

محمد داود



تاريخ تطوان

المجلد الاول

معهد مولاى الحسن
1379 - 1959
تطوان

تقدمة اولى

بقلم الاستاذ

محمد بنونة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبى الكريم

اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما تجر اليه اليراعة من الفلتات ، ونعتصم بك مما توجيه العقول من الخطرات ، ونلجأ اليك فى ثبات الخطوات ، وسداد الحكم فى النظرات ،

ما أقدمت على امر باندفاع تلقائى ، وحماس لدنى ، واغتباط لا شعورى مثلما اقدمت على وضع مقدمة لهذا التأليف القيم الذى انظر اليه الآن امامى ، وانتى لاحس من اعماقى ــ وقد تداخلنى الزهو ــ بانني احد الافراد المعدودين الذين يجب ان يقدموا للقراء الكرام هذا التاريخ ؛ فقد عرفته فكرة وامنية ، ثم شاهدت ولادته ، وعايشت نموه . وسايرت تضخمه، ورايت اختتامه ــ ان صح انه اختتم وانتهى ــ وخبرت فيما بين ذلك بعض ما تحمل فى اخراجه من الاتعاب . وسبرت فيه الاغوار والشعاب ؛ فشعرت بجدارة التقديم بل احسست باننى ــ انا ــ فى شدة نهم، وحرارة ظما ، الى قول جملة فيها تقدير واجلال ، وفى حاجة ملحة الى كتابة كلمة فيها اعتبار واعتراف. وكان الله بالصابرين عليما ، وللمجدين معينا ، وهو البصير باعمال العباد .

وما احجمت عن امر ـ انا فاعله ـ كاحجامي عن كتابة مقدمة لهذا المؤلف القيم . فما ان حملت القلم لاشرع فى العمل ـ وانا كما وصفت كلي اندفاع وحماس ـ حتى احسست بعي وعجز، وتبلبل ورجوع، وهيبة ما فوقها هيبة ، لقد تعاظمنى الامر ، وهالنى الخطب ، وكدت استرجع الوعد ، واعتذر بالقصور ؛ فليس من اليسير ان تضع ـ امامك ـ آلافا وآلافا من الصحائف وتقول فيها كلمتك فى مدى قصير من الزمن ، سواء كانت هذه الكلمة لها او عليها وليس من السهولة ـ ايضا ـ ان تقف امام المرآة وتصف نفسك للجمهور وانت صادق القول رضي الضمير ، مطمئن القلب ... ان الموقف حرج . وان الكأداء زلقة . واذا خبطت عشواء فى الحلك الدامس فكل الناس يعلمون مآلها .

تجاذبنى الاقدام والاحجام ، وتقاذفتنى رباطة الجأش ، وهيبة القلب. فخلوت الى نفسى الراغبة ... الى نفسي الراهبة ... احادثها وتحادثني؛ فهى الامارة وهى اللوامة وهى التى يمكن ان تكون مطمئنة ان حظيت بالتوفيق والقبول فترجع الي راضية مرضية .

اننى اريدها كلمة وضاءة أمينة ، خالصة ناصعة ، تقول الحق كالمرآة الصافية لا تتقعر فتتكبر ، ولا تحدودب فتصغر ، ولا اقنع بان اكون مثل الدليل الخريت من المتاحف ، ولا مثل المحشى البصير من الشارح ، وان هذه الارادة جعلت الفروض تتلون فى ذهنى بين النفض والنصوع ، فلم تترك فى الاستهلال براعة كما أوحى الاندفاع ، وانما لبدت افقه بالهيبة كما شاء النكوص. فغم علي . وعقد منى اللسان وكادت الشجاعة تنهزم امام تدبر العواقب ، واوشك الاقدام ان ينضب ازاء مراقبة الناس. وهجس فى نفسى ما يخامر كل حائر من شك ، وما يصيب كل مراقب من وهن .

وجاءت كلمة اخى العلامة سيدى عبد الله كنون بالحق . وذلك ما كنت منه اخاف :

« لم افكر اننى ساكون مضطرا فى يوم من الايام لتقديم نفسى بنفسى ، والكتابة عن شخصى ـ انا ـ لا فى معرض الاعتراف والتسجيل للحقيقة والتاريخ الذى قد تغتفر لى الكتابة فيه ، بل فى معرض التقريظ الذى يذكر الفضائل ويبرز المحاسن ، ويجعلنى من قبيل ما يقال : مادح نفسه يقرئك السلام ... » (I)

I) من مقدمة مختصر تاريخ تطوان للاستاذ العلامة سيدى عبد الله كنون ، ص I

جـاءت هذه الكلمة وعصفـت بالرجاء ، وفعلت أفاعيلها بالاقدام ، ان الانسان مهما ادعى ان فى قدرته الاستقلال فى الرأى ، وزعم ان فى استطاعته التجرد من غرائزه الذاتية ، والتحرر من العواطف والمشاعر والمعتقدات فانه واهم مستسلم لاكذب الظن .

اننا ـ ياقرائى الكرام ـ جماعة من الاحبـاب ، من الاخـوان ، من الارواح ؛ قد تعارفنا فائتلفنا حتى كأن نفوسنا خلقت من معدن الاخاء ، وفطرت على سجية الوفاء ، وهذبت بحسن التقدير ، فاصبح لنا ـ فيما بيننا ـ شان واى شان ؛ فالمختار السوسى وعبد الله كنـون ومحمد داود والتهامى الوزانى ، وكاتب هذه السطور (1) بيننا من المحبة والاخلاص . والوداد والولاء ، والتفاهم والانسجام ، والتقارب والاتحاد ما يعرفه الناس وما لا يعرفون ، فأصبحت كل كلمة يكتبها أى واحد منا عن أخيه فكأنما يكتبها عن نفسه ، ولم يتعود احد من ذوى النفوس الابية ، والضمائر الحية، والكرامة المعتزة ، ان يمدح نفسه او يذمها امام الناس ، ولو كان يعرف منها ما يعرف «ان الدنيا هكذا» .

وتلك هى سنة الله فى خلقـه، (ولـن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا). ولكن ماذا أصنع والواجـب فوق كل اعتبار، والرغبة ـ فى حيزها ـ تطغى وتجعلنى أتضور نهما .

اذا عرفنـا هذا واعترفنا به واقررناه، فلنا أن نتحمل لوازمه ، وعلينـا تقع نتائجه، وليقل الناس ما يمكن أن يقولوا، فمن راقبهم مات غما، كما قال أخى كنون من قبل. وبالله الاهتداء، وعليه يتوكل المتوكلون.

* * *

لست فى هذه العجالة محتاجا لتقديم المؤلف العزيز الى القراء الكرام فـان الاستـاذ داود معرفة المعارف هنا بتطوان، بـل وبالمغـرب أيضا ؛ فان الناس لم ينسوا مجلـة «السلام» ـ أول مجلـة وطنية ـ ولا جريدة «الاخبار» (2) ولا مختصر هـذا التاريخ، ولا المقالات الرائعة فى العلـم والتربيـة، والسياسـة والوطنية، ولـم ينسوا المدرسة الاهلية والمطبعة المهدية، والمعهد العالى، ومناهج التعليمين : الدينى والعصرى،

---

1) العدد هنا للتمثيل لا للحصر . والا فان بيننا وبين احباب آخرين من الصداقة والاخلاص ما لا يقل عن هؤلاء .

2) أقصد جريدة الاخبار الاولى التى كان يصدرها الاخ داود ثـم عطلـت، والا فهنـاك جريدة أخـرى استعمارية أصدرتها الادارة الاسبانية أيام حرب فرانكو للدعاية تحمل اسم الاخبار، وطالت مدتها .

والدروس والمحاضرات، ولم ينسوا كذلك الكتل الوطنية ، والجمعيات السرية، والمجازفات السفرية، لاجل الجهاد الوطنى، مع النزاهة والتعفف والاعتدال والشجاعة فى كل ذلك، ان الناس لم ينسوا ذلك، ولن ينسوه ما دام فى الدنيا انصاف وتقدير ، وما دام للناس قلب وضمير .

اقول : اننى لست محتاجا لتقديم هذا الاخ الحبيب الى القراء بل أرى ـ من جهتى ـ أن كل ما يجيش فى صدرى من أوصاف ونعوت مهما تعدد لفظها ، وكبر معناها ، وانسجم سبكها، فهى حصر وتقييد ولقد يسومنى من الحصر والتقييد في الكلام على أخى ما ليس بيسير ، وأنا لا أحب ذك .

ولست كذلك ـ مضطرا لتقديم المؤلف القيم الى القراء الافاضل، لان هذا الكتاب من الكتب التى تقدم نفسها بنفسها، وتفصح عما بها بقولها، فهو كنز للمعرفة عند ذوى الالباب، وذخر الاستفادة للمتعطشين من الطلاب، وسيبقى كذلك عند الابناء والاعقاب. فان المجهود الذى بذله فيه مؤلفه قام من أول يوم على الامانة فى النقل، والتدقيق فى الاستقصاء مع الاخلاص فى العمل ابتغاء وجه الله والدار الآخرة. ولم يقم على حطب الاخبار، وحصد الحوادث، لمجرد الفات النظر الى العمل بطرا ورئاء الناس ، والله يجزى الذين يحسنون صنعا ـ وهم مخلصون ـ بالخلود والذكر الحسن والانتفاع بآثارهم، ما دامت السموات والارض .

وما دام المؤلف والمؤلف مستغنيين عن التقديم، فلماذا أكتب ؟ ... وماذا أكتب ؟ ... لقد أوردت بنفسى هذين السؤالين على نفسى، وقعدت مدة أفكر فى قول يقنعنى، أو عمل يرضينى، فيكون جوابا وتبريرا ... فسنح لى أن أخى داود أرخ مدينتنا تطاون فلماذا لا أؤرخه ـ أنا ـ ؟ ... وأنا أعرف الناس به، فهو قرينى ورفيقى وأخى وحبيبى وصهرى وزميلى فى جميع مراحل الحياة... ولكن تاريخ الاستاذ لا يكفيه ما يمكن أن يخصص لى من الوقت والصحائف، فهو ملىء بالعمل والتضحية، وحافل بالنشاط والاجتهاد، لهذا قررت أن أجعل هذه الكلمة عبارة عن ارتسامات علقت بذهنى عن تأليف هذا الكتاب، لا أقل ولا أكثر. وفى هذه الارتسامات قد تظهر بعض الصور مما بذل المؤلف من جهد، وما أنفق من وقت، وما صرف من صحة وما أدى من ثمن وما امتاز به بين الاقران .

لقد حبا الله الاستاذ داود خلتين لا يد فيهما للتربية والتهذيب والارشاد والتعليم، وهما : الذكاء، والصبر .

فهو سريع الادراك قوى الاحساس، دقيق الملاحظة، يدرك الخوافى من المسائل بسرعة نادرة، ويحس بما وراء الظواهر من المساتير بقوة خارقة، ويبدى ملاحظاته وتعليقاتــه بدقة تترك السامع او القارىء يقدرها قدرها، ويعطيها حقها .

والاستاذ مع هذين الخلتين الفطريتين عرف كيف ينظم اشغاله ، ويوزعها على أوقاته، ووضع لها قانونا صارما، قد يحاسب نفسه على الاخلال به ، وقد يفرض عليها تعويض الضائع بالقص من وقت الراحة حتى يتم العمل فى الوقت الموعود ... وما كانت هذه المثابرة على العمل الرتيب بهذه الصورة، الا ثمرة لما فطر عليه من ميزة الصبر على تنفيذ ما وقر فى نفسه من العزم الصادق البات . ولهذا كان من مميزات الاستاذ ومزاياه الجمع بين شتى الاشغال المتباينة وبين انجازها ـ كلها أو جلها ـ فى أسرع وقت ممكن، وهو هادىء البال، قرير العين، رضى الضمير باسم الثغر .

ومن هنا تبتدىء قصة تأليف هذا الكتاب : فكر فى اخراج تاريخ تطاون، فقاده الذكاء الى المصادر والمراجع، والى التنظيم والتوزيع فعزم، وتوكل، ثم شرع وكتب...

وابتدأ الكتابة؛ فقاده الصبر الى المثابرة على البحث، والاستمرار فى التنقيب، فقيد الشوارد، وسجل النوادر. لا يؤخر عمل اليوم للغد مهما كبر ولا يغفل الحادثة ولو صغرت . ثم يصوغ الاحداث فى قول رصين، فتكون متعة، فيها عظة وعبرة، وفيها تحقيق وتدقيق .

لست أزعم أننى أحيط علما بكل الاتعاب والمصاعب التى عاناها أخونا العزيز، وأرهقه صعودها . وذلك لسبب واحد فقط : هو أن المؤلف لا يعلن عن أعماله ، ولا يشتكى مما يصيبه ولا يمتن بمجهوده. الا أن عدم الاحاطة بالشىء، ليس معناه عدم العلم ببعضه أو جله .

وكذلك لست أذكر بالتدقيق متى فكر فى تأليف تاريخه هذا . ولا أقدر على تحديد التاريخ بالضبط للشروع فى تنفيذ الفكرة بالكتابة، بيد أنى أعرف ـ ونحن لم نزل نقرأ القرآن الكريم فى «المسيد» (١) ـ أنه كان يسجل الموالد والوفيات ، وبعض الحوادث ، ويجمع صور الاشخاص ،

---

١) المسيد : لفظة يطلقها المغاربة على المدرسة التى يحفظ فيها الصبيان القرآن الكريم ، ويسميه المشارقة الكتاب (بضم الكاف وتشديد التاء) ولعل هذه اللفظة «المسيد» مصحفة ومحرفة عن اسم المكان المصوغ من (ساد) للموضع الذى تحصل فيه السيادة ، أطلقت على المكان الذى يسود فيه الصبيان على أقرانهم بحفظ كلام الله العزيز.

ومناظر الوقائع التى صحبت احتلال اسبانيا لتطوان ، مما يدل على أنه شغف بالتقييد منذ كان صبيا . ولعل شغفه هذا ترعرع معه حتى اصبح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يصيبه او يتصل به او يقع فى هذه المدينة او يعلم ان له قيمة تاريخية ؛ الا ويحصيه ويسجله . حتى اصبح بعد ذلك مرجعا وأى مرجع ، نرجع اليه فى تاريخ الحوادث التى وقعت فى عصرنا . وملجأ وأى ملجا نلجا اليه عند اختلاف الآراء. وقد وضع لهذه المعلومات والمقيدات سجلا «فيشيرا» منظما ومفهرسا على شتى الاشكال : لاسماء الاشخاص ، وللموضوعات ، وللسنين ، وللاماكن ، وما الى ذلك. يستخرج به ما يريد ... فى الوقت الذى يريد ، بسهولة عجيبة ، وسرعة منقطعة النظير ، ثم يضعه فى مكانه الذى يجب ان يوضع فيه.

وقضى فى هذا العمل المضنى ـ أعنى كتابة هذا التاريخ ـ بواكير حياته ، وبواكير ايامه (I). وصرف عليه ثمين صحته ، ولذيذ نومه ، واحكم فيه من بليغ الصوغ وعميق الغوص نبوغ آياته وأخرج ما أهمله الناس من بوالي الاوراق، ومن توالف الرسائل ومن قدامى الدفاتر مما استعصى على الأرضة خرمه ، وعلى الرطوبة محوه ؛ حقائق ولطائف ، وفوائد وطرائف ؛ من معاهدات سياسية ، وسفارات دبلوماسية ، وعلق عليها تعاليق موزونة فى سماحة لفظ ، وبساطة تعبير ، لا تعسر فى مسلكه ، ولا التواء فى عرضه ، ولا تكلف فى ربطه . وقد يكون فى النصوص بتر او تعقيد او محو فتجده يغوص فى الاعماق بمهارة السباح الكيس حتى يستخرج الصورة التاريخية فى لونها الصحيح ، وبالفاظ واضحة لا تمت بصلة الى التقعر والاغراب. وانما هى من النوع السهل المتبسط. وكذلك تم الجمع ، وكذلك كانت قصة هذا الكتاب . (ان الصبر والذكاء يفعلان العجائب).

هذا الكتاب هو فى الواقع صور لالوان الحياة بمدينة تطاون هو صور لشخوص حية تتحرك فى الحياة التطاونية من رجال ونساء يصنعون أحداث التاريخ ؛ فالبيوت والشوارع ، والمدارس والمحاكم ، تزخر بشتى الألوان من الحيوية المثيرة التى ترسل الدماء حارة فى الشرايين ، الى الالوان الهادئة التى تبعث الاطمئنان الى القلب . صور تجعل القارىء يعيش فترة من الزمان مع الذين سبقوه لرؤية النور ، فيتوقع معهم الحوادث

I) لقد اعتاد الاستاذ داود ـ منذ صغره ـ على ان يستيقظ قبل الفجر وبعد اداء فريضته وسنته يقعد للكتابة او المطالعة او ما ماثل ذلك الى ان يستيقظ الناس . وصدق رسول الله (ص) : «اللهم بارك لامتى فى بكورها»

المفاجئة ، ويترقب مثلهم نتائج المقدمات المعقولة ، لان المدينة فى جهاد دائم، وصراع مستمر ، على لقمة العيش ، ومتعة النفس ، وادراك العلى. ورغبة السكان ورهبتهم هما اللتان تصنعان حياة الانسان فى الكوخ والقصر وفى المصنع والحقل ، وفى السوق والمتجر ، وكل ذلك فى المدينة وفى سكانها ؛ ففيها الصالح القوى ، والجيد النبيل ، والكريم المرضى، وفيها المشبوه فى السلوك ، والمدمن للاثم ، والجبار فى الليل ؛ من حثالة المجتمع ، وصعاليك الاسواق ، وضعفاء الاخلاق . وهذا الكتاب ينقل للقارىء الكريم هذه اللوحات واضحة الظلال، ناصعة الالوان بما فيها من الخير والشر ، والقبح والجمال ، لا يتعمل ولا يتزيد .

ولقد يكون اخونا المؤلف أشار فى مقدمته الى ما أوردنا هنا بقوله :

« لقد كتبت ما كتبت ، وجمعت ما جمعت ، وعلقت بما رأيت ، بناء على مذهبى فى كتابة التاريخ العام . ذلك المذهب الذى يرى أن يثبت المؤرخ المعلومات ويصور الحوادث كما هى أو كما يراها دون تزوير أو تضليل . ثم لكل قارىء ان يستفيد ويستنبط على حسب ذوقه ومذهبه واستعداده . واذا كان للمؤرخ الحق فى ان يعلق بما شاء كما يشاء، فان للقارىء ـ ايضا ـ أن يقبل او يرفض ، والحق حق دائما ، حب من أحب، وكره من كره ، والباطل لا يخفى ولو موهه صاحبه تمويها ، ان الامة تختلف طبقاتها كما تختلف صور افرادها ، واذا كان المصور الماهر هو الذى يرسم الصورة رسما مطابقا للاصل فان المؤرخ الحقيقى « الذى لا يكتب للدعاية ولا يتأثر برغبة أو رهبة » هو الذى يسجل ما يقف عليه من المعلومات غثها وسمينها ، كلياتها وجزئياتها . فيكتب من الاقوال ما يدل على الذكاء وسعة الصدر وحسن التدبير ، وما يدل على الغباوة والجهل وفساد الرأى وسوء التقدير. ويسجل من الاخبار ما يعرف منه الجهال من العلماء ، والضعفاء من الاقوياء ، والابطال من الجبناء ، والاجواد من البخلاء ، والكسالى من النشيطين ، والخونة من المخلصين.» (هـ بنصه من خطه) .

والاستاذ اذ يلتزم هذا المذهب فى تاريخ هذه المدينة ورسم صورها كما هى ، فهو يبالغ فى تنفيذه ، ويتحرى فى نقله ، بل انه قد يغلو فى كثير من الاحيان فى المحافظة عليه ، حتى ينقل لنا النص بحروفه ولو كان لفظه يغضب سيبويه ، ويسىء الى الخليل ، لان المهم ـ عنده ـ هو الاتيان بالصورة كما هى بدون تزويق وتنميق (رتوش). فاذا كان العلامة الفلانى وهو من هو ، يجمع شيخا على مشائخ باثبات الهمزة مثلا ، والفقيه الفلانى يجمع طالبا على طلباء ، وضريحا على ضوارح ، وما الى ذلك من الاشباه والنظائر ، فانه ينقل القول كما هو ويكتفى بقوله هـ من خطه بنصه

فيؤدى بذلك أمانة المؤرخ ، وينبه القارىء ـ من غير اغتياب ولا اساءة ـ الى ان ذلك الفقيه الدراكة كان لا يحسن الصرف والاملاء ، وان اسلوبه الذى تكلفه فى الخطب الجمعية او الرسائل الادبية او ما الى ذلك ، فالله يعلم كم راجع له من فصول الفتح بن خاقان فى «قلائد العقيان» وكم «نفحته» رسائل ابن الخطيب «من اغصان» بيانها «الرطيب».

وقد يكون النص فى بعض الرسائل ملحونا لحنا جامعا من باب «لم عندنا خبرا» وباب « قلبت عليه البلد فما جبرته» الخ فياتى لك بذلك النص بلفظه وبحروفه كما رآه فى الرسالة او المذكرة . ويعطيك صورة تامة عن الكاتب لا تزويق فيها ولا غبار عليها ، وصورة ثانية للغة التى كان يتخاطب بها العامة وانصاف العلماء ، فتكمل الفائدة التاريخية ، وتظهر المعالم المحلية لتطاون واضحة . بل انه ينقل عدة نماذج لرسائل ادبية وحبية ، وتقاييد علمية ، وحسابات تجارية وحكومية ، ووثائق شرعية ودبلوماسية ، لتتكون عند القارىء فكرة تامة وصورة كاملة لتاريخ هذه المدينة .

ويحرص الاستاذ ـ مع ذلك ـ على تجنب حشو كتاب التاريخ بغير التاريخ . فهو ان أتى بما يعده «الموضوعيون» خروجا او استطرادا عن تاريخ تطاون . فان ذلك لا يتعدى نطاق تاريخ المغرب ، ولا بد من ان يمت الى تطاون بصلة ما قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة وقد تكون مباشرة وغير مباشرة ولكنها لا تتعدى الحدود ، ولا تتجاوز الموضوع الذى هو تاريخ مدينة هى جزء من كل هو المغرب «الوطن العزيز» .

* * *

لقد استكثر بعض الناس ثمانية اسفار فى تاريخ مدينة متوسطة لم يصل عمرها الى خمسمائة سنة . وتنادر مجان بلهو الحديث فيما يمكن ان يقال فى هذه الاسفار . وتناظر ناس آخرون بقول فيه شك وفيه يقين ، وفيه ما هو حق وما هو باطل . وأنا لا أحب أن أدخل ـ مع القوم ـ فى مناقشة اقوال المستكثرين والمتنادرين والمتناظرين . لان هذا الكتاب هو الذى سيكم افواه المرتابين بالحجج اليقينية . وهو الذى سيرسم ابتسامة الرضى على شفاه المنصفين .

نعم ، أحب ان أقرر حقيقة ثابتة ثبوت القطب فى مركزه ، وواضحة وضوح الالوان تحت ضوء النهار ،... وهى ان تطاون مدينة لم تتدرج كغيرها من المدن الناشئة من مدشر الى قرية ، ومن قرية الى مدينة ؛ وانما هى مدينة ولدت كاملة ، فمن اول يوم جدد فيه بناؤها الاخير كانت مركزا للحضارة الاندلسية ومهدا للرقى المهذب ، لأن المؤسسين او بالمعنى الصحيح المجددين كانوا من ارقى البشر الموجودين فى ذلك العصر ، اذ

من المعلوم والمعروف ان «كورة» غرناطة بشرق الاندلس كانت قد جمعت ـ يومئذ ـ خلاصة الخلاصات من العلماء والفقهاء ، والصيادلة والاطباء والصناع والمفتنين ، والفلاحين والمهندسين ، والابطال من رجال الفكر وأهل النجدة ، الذين جأروا اليها من كل بقعة خانها الحظ ووقعت تحت سيطرة الاسبان . حتى اصبح بها خيرة ورثة عظمة قرطبة الاموية ، وفنون اشبيلية العبادية فكان نور المعرفة يشع من مدارسها بألوانه وجلاله، وجمال الفردوس يرتسم فى رياضها بشذا عطره وروعة ظلاله . فلما اختل الامر بين امراء الحمراء الزاهرة، وظهرت الخيانة والتكالب على الحكم بين اصحاب المطامع الغادرة ، واتحدت النصرانية ضد الاسلام بزواج ملك أراغون بملكة قشتالة ، ولعب القوم بمستقبل الامة واستهانوا بحقوق الشعب؛ بدأ المومنون الذين ينظرون بنور الله ، يهاجرون بالدين والعرض والولد والمال والعلم والفن الى عدوة المغرب .

هاجروا ثم استقروا بسيف البحر بين مصب نهر «مجكصة» ونهر «هليلة» . واستأذنوا فأذن لهم . وجددوا المدينة فى سفح «درسة» محافظين على اسمها القديم «تطاون» .

ولم يتم التسوير والتبريج ، والخندقة والتحصين حتى اوفد اليهم سلطان المغرب محمد الشيخ الوطاسى جماعة من اهل فاس ليعمروا معهم المدينة الجديدة .

وكانت فاس يومئذ ـ وكما هى دائما ـ موطن العلم والمال ، والصناعة والفن ، والنبوغ والعبقرية ، والفكر والدقة ؛ تمد المغرب وغير المغرب بفيض مما رزقها الله من الخير، فجاء الفوج الاول من الفاسيين ليشارك فى التأسيس ، وليكون على بصيرة من امر المهاجرين الاندلسيين .

وتأسست تطاون فكانت بنت غرناطة وفاس ، وهما ـ يومئذ ـ عاصمتا المغرب والاندلس اللتان انحصرت فيهما حضارة القرن التاسع الهجرى ، بما فيها من متانة ودقة ، ولطافة ورقة .

وتكاتب اهل الاندلس مع بعضهم وتراسلوا ، فوفدت على تطاون الوفود وقصدها القصاد . واصبحت مهجرا لارقى مدنية عرفها التاريخ . ومعقلا لابطال الجهاد ، وحصنا من حصون الاسلام ، صمدت فى وجه الاسبان والبرتغال والانجليز الذين عاثوا فى شواطىء المغرب من شمال وغرب ؛ تصد الغارة ، وتبيد الهاجمين ، وتجيش الجنود فى البر والبحر للغزو والدفاع والتطهير ، ورفع اسم المغرب عاليا بين الدول. ولم يستطع شرلكان وخلفاء شرلكان ـ وهم الذين غزوا شواطىء افريقية وغير افريقية ـ ان يحدثوا انفسهم بالقرب من شواطئها ، وهى اقرب اليهم من تونس ووهران ، لما عرف به اهلها من شدة الشكيمة والاستبسال فى

الدفاع عن الكيان ، واتقان فنون الحرب والجهاد . وظلت كذلك أربعة قرون ونبع نهضتها لا ينضب ، وبوارق نجدتها لا تخبو ؛ فهى التى فتحت طنجة وطردت منها الانجليز ، وهى التى حمت شواطىء مرتيل من دنس الإحتلال ، وهى التى حصرت البرتغال ثم الاسبان فى صخرة سبتة ، وهى التى اخرجت الابطال المجاهدين كآل النقسيس وأضرابهم .

هذا الى تقعيد مبادىء المدنية ، وتأصيل معالم الترقى من حسن التنسيق فى المفروش والملبوس، وكثرة التنويع فى المطبوخ والمشروب، ورقة التفنن فى المنقوش والمخروز مع سلامة الذوق فى العرض والدقة فى الترتيب ... الى المحافظة على الموسيقى الاندلسية التى أتى بها مؤسسوها الاولون معهم من غرناطة ورندة ومالقة وفاس ... فاذا اضفنا الى هذا كله ما كان لها من العلاقات السياسية والاقتصادية والفنية مع الجزائر، نجد انها كانت همزة وصل الحضارات ، بل انها كانت بوتقة تنصهر فيها الحضارات المختلفة ، وتنصبغ باللون المحلى الأندلسى الفاسى ولكن فى صورة تطوانية بحتة ، وذوق تطوانى صميم .

ومدينة هذا شأنها من الارستقراطية فى الحضارة ، والعراقة فى المدنية ، من أول يوم اسست فيه ، لا يستكثر فى تاريخها ثمانية اسفار. بل اننى اعتقد انه لولا احتلال الاسبان لتطاون ونهبها وتخريبها (سنة1276هـ 1860م) وضياع كثير مما كان بها من الوثائق والتحف والكتب والحجج لكانت ثمانية أسفار أخينا الاستاذ داود بلغت عشرين . أما ما ضاع للناس وما فوتوه بل وما أحرقوه بانفسهم خوفا من لصوص التفتيش وزبانية التحقيق ـ فى عهد الحماية الاسبانية ـ فانه شىء يفوق الحصر ، ويجل عن العدد .

ثم ان هذا التاريخ ليس تاريخا «لتطاون» فحسب ، بل انه يحتوى على نواح كثيرة قادت المؤلف الى ربط تاريخ «تطاون» المحلى الخاص ، بتاريخ المغرب العام ، فكان هذا الكتاب بذلك من اهم المراجع للمؤلف والاديب والمتفنن المعاصرين . واذا كانت لى أمنية ، فانى أود لو رزق الله كل مدينة من مدن المغرب مؤرخا ذكيا فى البحث ومثابرا على العمل فى عزم وصبر اخينا الاستاذ داود حفظه الله . وانى لاتصور لو ان احد شبابنا المتنور عمد الى بيوت الرباط ـ مثلا ـ واطلع على ما بخزائن آل بركاش، والسويسى ، والزبيدى ، وافرج ، وبلافريج ، وغنام ، ووالزهراء

والتازى [الرباطى طبعا] ، وغيرهم من رسائل ومستندات ، ودفاتر وكنانيش ورسوم عدلية ، لاستخرج لنا من ذلك تاريخ الرباط السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وعلاقة الرباطيين بالحكومة المغربية وبغيرها من الدول ، ثم ذهب الى حوالات المساجد والزوايا والحجج الشرعية وما يسمى «بزمام المتروكات» وعقود الانكحة ، وما بها من الشروط وانواع الصدقات والنحل والدعاوى والفتاوى والنوازل وما الى ذلك لاستخرج عددا عديدا من صور الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من الالوان . وعددا عديدا من اسماء العدول والقضاء والحكام والمتخاصمين وتواريخ توليهم خطة القضاء والحكم والخصام مع ما يتبع ذلك من اسماء العائلات الخ... ثم انه لو ذهب كذلك ليبحث فيما عند الناس من المجاميع والدفاتر والتآليف لاستخرج من ذلك ايضا صورا من الادب وحياة الادباء ، ومن العلم وآراء العلماء ، والفن ومناحى المفتنين الخ...ومن كل هذا يربح المغرب بهذا العمل المضنى المتعب «والمثمر ايضا» تاريخ مدينة الرباط الذى يكون من اكبر المراجع للمؤرخ العصرى . وقل مثل ذلك فى حق فاس العظيمة، ومراكش الكبيرة ، وسلا القديمة ، وطنجة الزاهرة الخ الخ ...

ان هذا ـ ياسيدى القارىء ـ هو عرض لما فعله الاستاذ داود فاستخرج لنا تاريخ تطاون فى ثمانية اسفار مع ما يمكن ان يزاد عليها من ذيول وتتمات وصلات وتكميلات .

فلقد ظل اخونا داود مدة غير قليلة يراجع الرسوم والحجج العدلية فى الزوايا ... فى المساجد ... فى المحاكم ... فى بيوت الناس ... ويطلع على الرسائل والمكتوبات . ولا يغفل شيئا مهما يظن انه صغير اولا قيمة له ، بل انه لم يكتف فى بحثه بما وجد فى تطاون حتى جعل ينتقل بين مراكش والرباط وفاس ومكناس وسلا والبيضاء وغيرها ينقب فى المكاتب والرسائل وينقل ويترجم من مختلف اللغات ويختصر ويلخص وينسخ ويستقصى حتى استطاع ان يقدم لنا هذا الكتاب .

ان المجهودات التى بذلها الاستاذ داود لاستخراج تاريخ تطاون قد وضعت له فى عنق كل تطاونى صميم منة وأية منة، فلولاه ـ والهداية والتوفيق من الله ـ لظلت هذه المدينة الحالمة، الواقعة فى احضان الجبال المحاطة بألوان من الجمال الطبيعى : ـ غابات وسهول وانهار وجداول وشواهق تناطح السماء، وسيف بحر يغازل الامواج الزرقاء ـ مغمورة القيمة مهملة الذكر مجهولة التاريخ .

ان الاستاذ داود رسم لتطاون لوحات فنية عديدة فتحت للبحاث وطلاب المعرفة عوالم جديدة وآفاقا مدهشة، وأظهر لعشاق الفن والعرفان ما كان خافيا من الامجـاد والافضال فـي تاريخ المغرب الكبير، وسيجد المتصفح لاوراق هذا الكتاب من المتعـة والعبرة والعظة ما يؤكد قولنا، وما يصدق دعوانا. هذه بعض الارتسامـات التى علقت بالذهن، وقليل من السوانح التى خطرت على الفكر، فان أخطأنا فى توضيحها وابراز صورها سبيل التوقيق فى البيان، والبلاغة فى التبيين، فما أخطأنا سبيل حسن النية فى التعبير عما تكنـه صدورنـا مـن التقديـر والاغتبـاط والاعجـاب .

تطـاون — ربيع الاول 1377
اكتوبر 1957

محمد بن العربي بنونة

تقدمة ثانية

بقلم الاستاذ

التهامي الوزاني

من لدن اكثر من عشرين سنة ، أطلعنا الاستاذ الكبير ، الصابر المصابر العزوف البعيد الهمة، سيدى الحاج محمد بن احمد داود، على مشروعه فى خلق تاريخ لمدينة «تطاون» فآمنا به إيماننا بطلوع الشمس من مشرقها ، اذ عرفناه قادرا على الخلق والايجاد ، دون ما حاجة الى الوسائل السهلة المنال ، وما عليه الا ان يعزم على الفكرة فيقررها، ثم يتقدم اليها هادئا مواصلا ، وبهذه الخطة خلق المدرسة الأهلية بتطاون ، يوم كانت المدرسة العصرية تتراءى كالسراب فى الآفاق المتراخية المتباعدة ، ولكنه اوجد المدرسة ، وسارت سيرها المترجرج ، وما كانت مدرسة فحسب ، بيد انها كانت ثورة على الاساليب العتيقة التى تتنافى مع الحياة الصحيحة التى يحياها جيل القرن العشرين . وتلقى تلاميذ المدرسة فكرة التكوين الكامل ، فطاروا من اعشاشهم كافراخ الطيور حينما تنبت لها اجنحة ولو رخوة متبعثرة . ثم تقدم بنفس العزم الى مواطنيه واصدقائه وتلاميذه بفكرة خلق المطبعة المهدية ، واكد المتشائمون انها الى عدم ، فقالت ارادة داود ، ان المطبعة حقيقة ، بنفس القوة التى فى حقيقة المدرسة الاهلية . ودعا الاستاذ داود لانشاء تعليم عربى منظم فى شمال المملكة المغربية، فثابر مثابرته ، وسلك طريقه ، فاذا بالمدرسة المغربية العصرية والدينية تتكون فى الشمال . وكان برنامجه حافلا أدرج فيه البنت والولد على السواء.

وكما تتكون الأنهار من الجداول، والجداول من الامطار ، والامطار من القطرات ، ألف الاستاذ داود كتابه «تاريخ تطاون» وكتب لنا ان نستمتع بهذا

الولـد العزيز علـى المغرب يوم كان فكـرة ، ويوم كـان نطفة فعلقة ، فمضغة ، الى ان صار بشرا سويا ، فى طول عشرة أذرع او حجم عشرة اجزاء (I).

وربط الاستاذ داود تاريخ تطاون بالمغرب اجمعه ، حتى ظهرت تطاون الاقرب من أن تكون قزما بين مدن المغـرب منهـا أن تكون ربعة بين اترابها ، اظهرها عملاقة عاتية ، ذات اثر بارز فى الحياة التاريخية للمغرب .

وقام الاستاذ داود بمهمة مزدوجة ، فانه قام بواجبه الكفائى عن نفسه وعن جميع المغاربة التطاونيين من لدن كانت تطاون الى يوم نشر الكتاب،وتحدى جميع المدن المغربية ـ حاشا مكناس ـ ليقوم علماؤها بعمـل كعمـل داود فـى شأن تطاون ، وقبله ابن زيدان فى شأن مكناس ، ومن وراء داود جميع المثقفين المغاربة يتحدون المدن الاخرى كى تأتى كل مدينة مغربية بتاريخ لها، كتاريخ داود وكتاريخ ابن زيدان .

وليس التاريخ المغربى الا تاريخه بجهاته ومدنه وقراه، فاذا تكون تاريخ موسع للجهات، أمكن للمؤرخين المعتادين، الذيـن لم يصلوا الى طول عمالقة البحث والتنقيب، أمكنهـم أن يجدوا الموسوعـة المغربية للتاريخ، فى اطاره المغربى العربى المسلم .

ونقول هذا لان المستعمرين كتبوا عن تاريخ المغرب شيئا كثيرا، وكله أو أغلبه مدسوس مشوه، أفسدته التعليقات المغرضة التى تنكر على المغرب شخصيته الوضاءة اللامعة، وتحتقر شعوبه وقومه، وان نوهت بطبيعته وجباله وسهوله، حتى قال قائلهم : المغرب وطن محتاج الى مواطنين . وصوروه بمثل ما صوروا به العالم الجديد، الذى لم يكن فى التاريخ شيئا حتى جاءه الانسان الابيـض .

وتاريخ الاستاذ داود منزه عن المبالغات والافراط، فانما يذكر المسائل كما كانـت، وكما هى موجـودة فى الوثائق المتوارثة دون زيادة ولا نقصان، فكان عمله هـذا موجـدا لمنبـع صـاف لا تشوبه شائبة غرض، ولذوى الاغراض الصالحة ان يصبغوه بما ينسجم مع عظمة هذه الامة المغربية التى جاهدت فى سبيل المحافظة على شخصيتها جهادا قلما جاهدتـه أمة غيرها . وداخل اطار العروبة والاسلام فرضت وجودها المستقل، وكيانها الخاص، ومرت فى العالم أحداث جسام ورغم ذلك فان المغرب لم ينحن ولم يندغـم، وظـل هو هو دون أن ينسى قيمته التى فطره الله عليها .

I) تاريخ تطوان فى ثمـان مجلـدات، وله ذيل كتب منه الى الآن مجلـدان .

ان داود أوجد لتطاون تاريخا محترما فى نظر العلماء المحققين، ورفعه عن مستوى الاسطورة القصصية الى درجة الحقائق العلمية التى تظل مركزا للاستفادة المدققة، وليذهب الذاهبون بعد صدور تاريخ تطاون كما شاءوا أن يذهبوا فى تاريخ هذه المدينة، فان انتاجهم سيكون خاضعا لهيمنة تاريخ داود. وقليلة هى الكتب التى لها هذه القيمة السامية، التى لا تكون الا لكتاب جمعه صاحبه كما جمع داود كتابه بالمثابرة والاناة، حتى أبدع كل الابداع، وكلما اوجدت مدينة مغربية لنفسها تاريخا كتاريخ مكناس لابن زيدان، وتاريخ تطاون لداود، تزداد قيمة الكتابين، لانهما لن يبقيا كتابين منعزلين. بل انهما سيرتبطان مع غيرهما مما عسى أن تخلقه النهضة المغربية فى تاريخها، فتتكون من مجموع ذلك كله المعلمة التاريخية المغربية الكبرى.

تطاون 7 جمدى الاولى عام 1377

29 نوفمبر سنة 1957

التهامى الوزانى



الحمد لله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين المهتدين، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد، فهذا ما استطعت جمعه من أخبار «تطوان» وتاريخها، وما تطوان الا مدينة متوسطة من مدن المغرب «وطني العزيز»، هي مدينة عادية متواضعة ليس لها تاريخ عظيم ككبريات المدن المغربية، وليست بها آثار عظيمة ممتازة، وسكانها أقرب الى التواضع منهم الى التعاظم والتفاخر، الا ان لتطوان طابعا خاصا ومميزات اكتسبتها بموقعها الطبيعي، وبالعناصر التى يتكون منها سكانها، وبالشخصية القوية التى بها تستهوى كل من يستقر فيها، وبها تسيطر على ما عداها .

والذى يريد معرفة حقائق الامور، ودرس تاريخ الامم والشعوب، ينبغى ان لا يقتصر على الاطلاع على عظائم الاشياء وجلائل الاعمال، وينبغى ان ينظر فى الجليل والحقير، ويتصل بالغني والفقير، ويجالس العلماء والجهال، ويبحث فى مختلف الشؤون والاحوال . والتاريخ المغربى - كتاريخ بقية الاقطار والشعوب - ينبغى أن يسجل الحوادث الماضية كما وقعت، ويصور الحياة الحاضرة كما هى، ليعرف المجدون المخلصون ان جهودهم لم تضع، وأن أعمالهم الصالحة، ومشاريعهم النافعة، ستدر لهم الاعجاب بهم، والرحمات عليهم، ويعلم الجبابرة والظالمون، والمقصرون والمهملون ان أعالهم الضارة، وآثارهم السيئة، ستخلد فى صفحات سوداء تجعل أسماءهم مقرونة بالاشمئزاز والاحتقار.

والتاريخ على العموم، فيه نواح مختلفة، وكل ناحية لها محبذون يبتهجون بها ويتحمسون لها، كما أن لها أناسا يشمئزون منها ويستثقلون الكلام عنها ، تلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، وكل حزب بما لديهم فرحون.

لقد قضى وطننا المغربى العزيز حياته منذ وصول الاسلام والعروبة اليه الى قرننا هـذا الذى نعيش فيه، وطنا حرا عزيزا فى نفسه، مستقلا فى ادارة شؤونه وسياسته. وحينما امتدت سيطرة الاتراك على العالم العربى ومنه الشمال الافريقى، كانت الحدود الشرقية للمغرب هى الحجرة التى وقفت عندها تلك السيطـرة الاجنبية، بالرغم من كونها كانت سيطرة اسلامية لم يكن هناك مانع من الترحيب بها لولا الشعـور الوطنـى والغيـرة القومية على استقلال البلاد وحريتهـا.

وفى الوقت الذى كانت بـلاد شرقية كثيرة ترزح تحت أثقال الاستعمار الاجنبى. كان «المغرب» يتمتع بكامل حريته واستقلاله، محفوظ الكرامة مهيب الجانب فى الشرق والغرب، الا ان دوام الحال محال، فالعظمة ما دامت لدولة ولن تدوم، والتأخر والانحطاط ما دام أيضا ولن يدوم، ولقد تسلط على المغرب فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن عاملان قويان قد استطاعا ان يهدا أركانه وينخرا عظامه، ذانـك العامـلان هما الدسـائس الاجنبية من الخارج، والجهل العام المخجل من الداخل، لا فرق فى ذلك بين رجال الدولة وسواد الامة، وأمام هذين العاملين الفتاكين، انهدت قوى المغرب الذى كان عظيما فأصبح هيكلا بـلا روح، ثم آل به الامر الى أن صـار فى عداد البلاد الفاقـدة لحريتها واستقلالهـا، المجندلة امـام القوات الاجنبية، والسيطرة الافرنجية، وما كان للمغرب أن يتجندل لـو كانت حكومته جارت الدول مجاراة فـى ميادين العلم والمعرفة، والتقـدم والحضارة، ولكـن قومنا كانوا فـى واد غير وادى الناس، وفى عصر غير عصر اولئك الناس، والوقت الذى كانت الشعوب الغربية ودولها تسير فيه السير الحثيث نحو حياة جديدة مبنية على العلم والنظام والقوة والعدل، كان رجال دولتنا وولاة امرنا وقادة شعبنـا يعيشون فيـه بعقلية رجال القرون الوسطى جاهلين ما يجرى فى العالم من تقـدم مـادى وادبى، فكانت النتيجة الطبيعية لذلك، وما كان لغيرها أن يكون، أهل العلم والجد والاجتهاد يتقدمون، وأهل الغفلة والجهل والكسل يتقهقرون، ووجد الاستعمار فكان المتأخرون هم ضحاياه، وكان المغرب فى آخر تلك الضحايا.

ثم كانت حياة لها حسناتها وسيئاتها، وكانت احداث منها ما انتهى امره وصار فى ذمة التاريخ، ومنها ما لا يزال هو أو مفعوله ماثلا امام اعيننا، الا ان الـذى يسر ويفتح أمامنا أبواب الامل على مصراعيها، هو أن أمتنا قد أصبحت الآن شاعرة بالواجب عليها لوطنها، عارفة لحقوقها وواجباتها، وأخذت تعمل بالوسائل العلمية والعملية لاسترجاع ماضيها المجيد، اخذ الله بيدها حتى تبلغ مبتغاها من الحياة السعيدة، والمؤمل بحول الله ان تتغلب عناصر الخير علـى عناصر الشر وأن يزول النزاع ويمحى الخلاف وتتوحد الجهود فيعيش المغرب مع أصدقائه المخلصين فى أمن وأمان .

واننى ـ وامتنـا المغربية العزيـزة المجيدة بعد ان استرجعت حريتها واستقلالها، وقد أصبحـت اليوم على أبواب حياة جديدة ينتظر ان تتغير فيها مظاهرها واتجاهاتها، وان ينقلب معها الكثير من أوضاعها، خصوصا مع وجود بعض لغات وثقافات اجنبيـة حاول اصحابها من قبل ان يحلوها محل ثقافتنا العربية، وحضارتنا الاسلامية، وعواطفنا الشرقية، ـ أرى أننا معشر المشتغلين بالعلم والادب والتاريخ فى بلاد المغرب العربى، يجب علينا الآن اكثر من اى وقت آخر، ان نتقدم الى الميدان مصلحين، وأن نكتب من جديد تاريخ أمتنا بما فيه من نواحى القوة والكمال والضعف والانحلال، وما يدفع للتحمس والافتخار، أو يدعو للاختفاء والانزواء، لتعرف أمتنا سبل النفع والنجاح والعظمة فتسلكها، وتعرف طرق الضرر والخذلان والبلاء فتتنكبها، اذ ان فى هذا التاريخ لدروسا وعبرا وارشادا ووعظا، وفـى ذلك كله فائدة واية فائـدة لمن يريد ان يجعل الحياة الجديدة لامته مبنية على أساس قوي متين .

أقول هذا وأنا أعلم أن قيام شخـص واحـد بكتابة تاريخ أمة كاملة فى مختلف عصورها ومن جميـع نواحيها، ان لم يكن مستحيلا عادة فانه على الاقل من الصعوبة بمكـان، خصوصا اذا كان تاريخ أمة لعبت أيدى الأهمال بالكثير من وثائقها ومستنداتها، فلهذا أرى من الواجـب الوطنـى الآن أن يكتـب كل من يستطيع الكتابـة، عـن الناحيـة التى يعرفها، وفى الموضوع الذى يحسنه، وبالاسلوب الذى يتقنه او يستحسنه، ومن مختلف تلـك الكتابات والاساليب التى قد تجمع بين الغـث والسمين، تجتمع المعلومات الكافية لكتابة التاريخ الوطنى الجامع للنواحى السياسية والحربية، والعلمية والادبيـة، والاقتصاديـة والاجتماعية .

على هذا الاساس تقدمت لتأليف هذا الكتـاب، كتـاب «تاريخ تطوان» الذى أرى أنه لا يحتوى الا على معلومات متناثرة تتصل حلقاتها تارة وتنفصل تارة أخرى. وتتقارب موضوعاتها حينا وتتباعـد أحيانا، هى أخبار ومعلومات جديرة بأن تعتبر من المواد الاولية لكتابة التاريخ المغربى الكامل فى المستقبل، بعد ان يلم شعثها ويكمل نقصها. فلهذا أنبه قارىء كتابى هذا الى انه لا ينتظر أن يجد فيه تاريخا كاملا شاملا مبنيا على الاسس العلمية الخالصة، تام التناسق متصل الحلقات، رابطـا للاسبـاب بالمسببـات، لان المجهودات، انما استطاعت ان تحطب المعلومات، وتذيلها بالملاحظـات والتعليقات. ولعل الجيل المقبل يستطيع ان يضم ما نجمعه نحن الى ما حفظه اسلافنـا، وما يبعثه خلفنا، وينقح الجميع تنقيحا، وينظمه تنظيما، فيجمع الاشباه والنظائر، ويفرق بين مختلف الموضوعات، ويربط بين الحلقات، ثم يقدم للامة نتائج ابحاثه وثمرات جهوده ناضجة طيبة لذيذة بحول الله

لقد كتبت ما كتبت، وجمعت ما جمعت، وعلقت بما رأيت، بناء على مذهبى، فى كتابة التاريخ العام، ذلك المذهب الذى يرى ان يثبت المؤرخ المعلومات ويصور الحوادث كما هى او كما يراها دون تزوير او تضليل، ثم لكل قارىء ان يستفيد ويستنبط على حسب ذوقه ومذهبه واستعداده. واذا كان للمؤرخ الحق فى أن يعلق بما يشاء كما يشاء، فان للقارىء أيضا ان يقبل ويرفض على حسب ذوقه ومذهبه ايضا، والحق حق دائما، حب من حب وكره من كره، والباطل لا يخفى ولو موهه صاحبه تمويها. ان الامة تختلف طبقاتها كما تختلف صور افرادها، واذا كان المصور الماهر هو الذى يرسم الصورة رسما مطابقا للاصل، فان المؤرخ الحقيقى «الذى لا يكتب للدعاية ولا يتأثر برغبة او رهبة» هو الذى يسجل ما يقف عليه من المعلومات غثها وسمينها، كلياتها وجزئياتها، فيثبت من أقوال الناس وأعمالهم ما يدل على الذكاء وسعة الصدر وحسن التدبير، وما يدل على الغباوة والجهل وفساد الرأى وسوء التقدير. ويسجل من الاخبار ما يعرف منه الجهال من العلماء، والضعفاء من الاقوياء والابطال من الجبناء، والاجواد من البخلاء، والكسالى من النشيطين، والمتقلبون من الثابتين، والخونة من المخلصين. ثم ان من الطبيعى ان تختلف الاذواق والمشارب، وأن تكون فى الامة مسالك ومذاهب، فقد يكون هناك خبر او موضوع يلفت نظرى وأرى أنه من الاهمية بمكان، فى حين أن غيرى لا يعطيه اية أهمية ويمر به مر الكرام، وقد تكون هناك ناحية أخرى لا أرى أنا فيها فائدة كبيرة وتكون فى نظرك أنت من مهمات الامور، وهكذا تختلف الانظار والافكار، باختلاف الثقافات والعوائد والاوساط، فلا يطمع احد فى ارضاء جميع الطبقات ولو بلغ من المعرفة والذكاء ما بلغ. وعليه فان كنت كاتبا او مؤلفا فابذل جهدك، وأبد رأيك، وقل كلمتك، وارض ضميرك، وخل الناس يقولون، ولسوف يقولون كثيرا او قليلا، ولسوف تجد من يحبذ ويقرظ، ومن يغتاظ وينتقد، ومن يعجب ويطرب، ومن يستاء ويصخب، الا أن الميدان ميدان الكتابة والتأليف والنشر، ميدان فسيح، لا احتكار فيه ولا ازدحام عليه، ومن التنافس والتسابق وتبادل الافكار، تظهر الحقائق وتستفيد الامة، وتلك غاية المخلصين

لقد رأيت بالرغم من اعترافى بقصر الباع، وقلة الاطلاع، وشغل البال، واضطراب الاحوال، أن أسد ثغرة صغيرة فى ناحية من نواحى تاريخنا المغربى، بجمع هذه المعلومات عن مدينة «تطوان» مسقط رأسى وموطن آبائى واجدادى منذ الهجرة الاندلسية الاسلامية الى المغرب. والمعلومات عن مدينة «تطوان» المتواضعة، معلومات عن مدينة مغربية وعن سكان مغربيين، وتطوان وناحيتها ليست سوى قطعة من البلاد المغربية الناهضة الآن وما البلاد المغربية وسكانها، أعنى بلاد المغرب العربى بأقطاره الثلاثة «تونس والجزائر والمغرب»

الا الشق الايسر من جسم بـلاد العروبـة المجيدة، موطن النبل والشهامـة، والنجدة والمروءة . ومـا بلاد العروبة الا جزء من العالم الاسلامى العظيـم، هـذا العالم النبيل، الناهض النشيط الذى نفض عنه غبار الخمول، وكسر القيود ، وحطم السلاسل والاغلال، وأخذ يسعى للتوحيد والتقدم نحو الرقى والمجد، لحمل راية العظمة والسؤدد، فحياه الله وسدد خطاه وأيده ونصره .

منـهـاج هـذا الـكـتـاب

ولعل من المنـاسب ان آتـى هنا بفذلكة عن المنهـاج الذى سلكته فى ترتيب هذا الكتاب ليكون قارئه على بينة من امره، ويعدل عن قراءته من كانت موضوعاته لا تهمـه، أو طريقتـه لا ترضيه، لقد سلكـت فيه طريقة خـاصـة لا أدعى أنها أفضل من غيرها وانما هى طريقة ارتضيتها فسلكتها، ذلك أننى جعلت القرن الواحد «أعنى مائة سنة» وحدة مستقلة متماسكة، فجمعت أخبار كل قرن فى باب واحد تحته عدة فصـول بحيث اذا قرأ الشخص ذلك الباب بمختلف فصوله، عرف تاريخ هذه المدينة مـن جميع نواحيه فى ذلك القرن ، فمثلا القرن العاشر الهجرى، قد عقدت له بابا فيه خمسة فصول .

الاول فى ولاة هذه المدينة وحوادثها العامة فى ذلك القرن

الثانى فى قضاتها وعدولها كذلك

الثالث فى تراجم رجالها كذلك

الرابع فى مشاهير الزائرين لها

الخامس ملخـص عـن حياتها فـى ذلك القرن من النواحى السياسية والعلمية والادبية والاجتماعية

ثـم عقدت بابا آخر للقرن الحـادى عشر وفيه ستة فصول ثم بابا آخر للقرن الثانى عشر وفيه خمسة فصول الخ.

وبهذه الطريقة يسهل الامر حتى على من يريد مثلا أن يقتصر على معرفة ولاتها وحوادثها العامة فى مختلف العصور، اذ يجد مراده فى الفصول المعقودة لذلك من كل باب، والذى تهمه معرفـة قضاتها فقط يجد اسماءهم وتواريخهم وأخبارهم فى الفصول المعقودة لذلك من كل بـاب ايضا. وهكذا شأن من لا تهمه الا معرفة تراجم رجالها فقط الخ .

وقد جمعت ما وقفت عليه من المعلومات عن هذه المدينـة وسكانها فى حياتها الاولى ــ اى ما قبل القرن العـاشر الهجـرى ــ وهى معلومات قليلة مختصرة جدا، ثم تكلمت باسهاب على بنائها الحديث، وعلى عمارتها من جديد ثم على حياتها الثانية من اواخر القرن التاسع الهجرى الى قرننا هذا.

وقد كان اشتغالي بتأليف هذا الكتاب ـ كله من أوله الى آخره ـ فى بضع عشرة سنة مضت، اى فى عهد كان وطنى المغربى فيه مقسما بين دولتين اجنبيتين كانت احداهما تحمى جنوبه الذى هو القسم الاكبر الاهم، وكانت الاخرى تحمى شماله الذى به تقع مدينة تطوان .

وكانت الصفة الدولية الرسمية لتينك الدولتين ببلادنا هى الحماية «المفروضة» الا ان الواقع انهما كانتا تسيطران على البلاد وجميع ما فيها وكل من بها، سيطرة تامة لم يبق معها لدولة المغرب والشعب المغربى شىء من التصرف او النفوذ ـ لقد كان الحكم بالمغرب ـ فى الحقيقة حكما استعماريا تراعى فيه مصالح الاجانب قبل كل شىء

وقد مرت على البلاد اوقات كانت عسيرة غير يسيرة، ظلت الحرب قائمة بها سنين عديدة، ثم استتب الامن ولكن الحريات كانت مفقودة، واتسعت المعلومات، ولكن الالسن اصبحت معقودة، ثم تلا ذلك عهد صارت فيه السجون والمنافى مملوءة والاوساط والاجواء موبوءة، وايدى الظلمة وأذنابهم قوية ، ومواهب أصحاب العلم والحق والعدل منزوية، وفى ذلك العهد وصلت فى الكلام عن تاريخ تطوان، الى تاريخ دخول الاسبانيين لها، وبسط حمايتهم عليها ـ اى عام 1331 هـ. 1913 م. فأوقفت الكلام هناك أى عند احتجاب عهد الوحدة والاستقلال، وانزواء الحكم الوطنى فى غفوة، الا انها غفوة عملنا باعانة الله القوى القادر لانتهاء مدتها، واسترجاع السيادة الوطنية كاملة لتعيش امتنا الكريمة من جديد فى ظل لواء العروبة تحت راية الاسلام، فحقق الله آمالنا ، وأعاد لنا حريتنا واستقلالنا ، ووحدة ترابنا ، وجمع شملنا ، واصبحت تطوان ـ كما كانت مثل بقية الشمال المغربى ـ جزءا من المغرب المستقل الموحد ، لا فرق بين شرقه وغربه، شماله وجنوبه .

وانى أرجو الله تعالى ان يهيىء لى الاسباب ويحفظنى من الموانع لاستأنف عملى وأتابع كتابتى حتى أصل فى تاريخ هذه المدينة الى عهدنا هذا بحول الله .

وكنت قد قررت أن أجعل لهذا الكتاب «ذيلا» حددت له موضوعات خاصة أعرف أنها لدى بعض الناس، أهم من موضوعات الاصل التى هى تواريخ الولاة والحوادث وتراجم الرجال الخ.

وجعلت ذلك الذيل محتويا على ثلاثة اقسام :

الاول فى خطط هذه المدينة وبيان أقسامها وأبوابها ومساجدها وزواياها وأسواقها وءاثارها وبساتينها ومتنزهاتها وقبائلها الخ. مع تاريخ كل شىء من ذلك مصحوبا بالصور والرسوم والخرائط والبيانات.

الثانى فى سكانها وبيان عناصرهم وأسماء الاشخاص والعائلات وتاريخ من كان فيها من رجال العلوم والفنون والتأليف والتدريس والشعر، واصحاب

الخطط المختلفة من محتسبيـن ونظـار وخطبـاء وائمة الخ وفيه فصـول عن الاجانب وعن اليهود وعن الرقيق الخ.

الثالـث فى الحياة الاجتماعيـة بها وفيه الكلام على ما فيها من الأديان والمذاهب، والاخلاق والعوائـد، والحرف والصنـائع، والاعيـاد والمواسم، والفصول والمنازل، واللغات واللهجـات، والحكـم والامثـال، (الف مثل ومثل) والغناء والموسيقى والنظام المنزلى، والمرأة ومركزها، وهندسة المبانى والملابس والمآكل والمشارب (المطبخ التطوانى) والزراعة والزهور والفواكه والحيوانات والعملة «السكة» الخ

وقررت أن يكون هذا الذيل بأبوابه الثلاثة محتويا على مائة فصل وفصل، منها ما يحتوى على صفحة او بضع صفحات، ومنها ما فيه عشرات الصفحات وفعلا شرعـت فى كتابة هذا الذيل وحررت منه عدة فصول منها المطول ومنها المختصر، وقد كتبت منه حتـى الآن بضع مئات من الصفحات، الا أنى لما رأيت أن أمره قد يطول، قررت فصله عن أصل الكتاب واعتبار كتاب «تاريخ تطوان» منتهيا يمكن تقديمه للطبع بمجرد مراجعته وتنقيحه، ورأيت أن أجعل الموضوعات المذكورة كتابا مستقلا اسمه «تكملة تاريخ تطوان» وهذه التكملة اشتغل فيها من حين لآخر كلما سمح لى الوقت بذلك كما اشتغل فى الكتاب الثالث الذى مرت علي عدة سنوات فى جمع مواده وتحريره وهو كتاب «عائلات تطـوان» وانـى أرجـو من الله تعلـى الاعانة والتوفيـق لاكمال هذين الكتابين وتقديمهما للطبع أيضا فى زمن قريب غير بعيد بحوله سبحانه .

ويجمل بى هنا أن أبين أن كتاب «تاريخ تطوان» ليس كتاب دعاية، او مديح واطراء، وأننى لم يدعنى لتأليفه الا القيام ببعض الواجب علي لوطنى المغربى العزيز ولابنائه المحترمين.. فهو كتاب لم يؤلف لبيان خصوص المحاسن او المساوى، ولم يكتب بالاسلوب الانشائى أو المدرسى الذى تنمق عباراته تنميقا لينسج على منوالـه التلاميـذ، ولم أقيـد فيه نفسى بـأى أسلوب من أساليب المؤرخين، لا المتقدمين منهم ولا المتأخرين . فلم أتقيد فيه لا بالتطويل والاطناب ولا بالاختصار والايجاز، بل ضمنته من المعلومات ما عثرت عليه وعلقت على الحوادث والاخبار، بما خطر ببالى عند جمعها وتأليفها، وكتبتـه بالاسلوب الذى حضر، فلا التزام لما لا يلزم، ولا تقيد ولا تقييد، ولا تكلف ولا تكليف

على أننى بالرغم من كونى أنجزته فى عدة مجلدات، تحتوى على «الاف من الصفحات، ما زلت أشعر بنقص فيه كبير، اذ هناك أمور ربما كانت مهمة ولكننى أجهلها تماما، وهنا أشياء لا أعرف من حقائقها الا القليل، لان فى الدنيا كرامـا نبلاء، وفيهـا أيضا كسالى وبخلاء، يضنون لا بالمال فحسب، بل حتى بالمعلومات، وبالاطلاع على الوثائق والمستندات، ولله فى خلقه شؤون.

نعم انى قد بحثت واجتهدت، وسألت وارتحلت، وشرقت وغربت، وتعلمت وتتلمذت، وتذاكرت واستفدت، ونقلت وحطبت، وجمعت من ذلك كل ما استطعت، وربما كان ما جهلت اكثر مما علمت، ولكن هذا هو جهدى فان وجد فيه أحد ما يهمه او يفيده فالحمد والمنة لله الموفق، ومن رأى فيه نقصا فليكمله او ليرشد لاكماله. وله منى جزيل الشكر ومن الله حسن الجزاء، ومن وجد فيه خطأ فليصلحه وليعتقد أن الكمال انما هو لله، ومن لم يرضه فيه شىء فليعلم انه لم يؤلف لمثله، وان استطاع فليتفضل وليتحفنا بما هو احسن منه وأرقى، وأشمل وأوفى .

كيف ينبغى ان يكتب التاريخ ؟

ثم كيف ينبغى ان يكتب التاريخ ؟

هذا سؤال تختلف ءاراء الناس فى الجواب عنه نظريا وعمليا، فهذا مؤرخ حر نزيه لا يخشى شيئا ولا يطمع فى شىء، يقول الحق ويسير فى طريقه ، يرى أن من احسن يجب ان يعلم ان احسانه لم يضع، ومن أساء يعرف أن وراءه أعينا ساهرة تحصى عليه أعماله ومواقفه، واقلاما حادة تسجل ذلك وتخلده فى بطون التاريخ ليقرأها الاولاد والاحفاد وتسير بها الركبان فى مختلف الاقطار. وذاك كاتب مداح او هجاء يخدم مصالح شخصية له او لغيره لا يبالى بالحقيقة ولا يهمه انصاف، وانما يمدح او يذم بالحق وبالباطل وبالواقع وبالمختلق (I)

وكم من كاتب او شاعر او مؤرخ باع ضميره وقلمه وخان الامانة، وضل فى نفسه وأضل معه الناس لاجل دراهم معدودة قبضها، او وظيفة زائلة قلدها . او لرغبة او رهبة تزول بزوال اسبابها وتنتهى عوارضها طال الزمن ام قصر

والكتاب والمؤرخون الذين من هذا القبيل وذاك قد وجدوا فى العهد القديم وهم موجودون الآن وسيبقون فى الوجود، ما دام الانسان واخلاق الانسان .

I) لو تحرى المؤرخ غاية التحرى فانه لابد ان يتأثر بمؤثرات قد لا يشعر بها، لكن الملام انما هو على خطة منافقة تشم منها رائحة الاغراض السخيفة، أما التاريخ المحص فانه يوخذ الحق فيه او ما اشبه ان يكون حقا من دراسة الميولات المتنوعة، فمن بينها كلها تتمحض فكرة يكونها الدارس المستقل الفكر، لا تبعد كثيرا عن الواقع، واذا وجد الشجاعة على التعبير بكل ما يحسه ويعتقده فقد ادى الامانة كاملة ولا يضره نواحى النقصان فليس بمطلوب منه أن لا يخطىء وانما المطلوب منه أن لا يتعمد الخطأ ت. و.

الشرف، والنزاهة، وعلو الهمة، والعلم الغزير، والعقل الراجح، والاتزان المعقول، ونبذ الخوف والطمع، هـذه صفـات لا تسمـح لصاحبها بغير الحق والعدل والانصاف .

اما الامل والطمع، والخوف والهلع، والطغيان والجبروت، وصفاقة الوجه وخراب الذمة، فانها أوصاف تدعو بعض الناس لقلب الحقائق واختلاق الحوادث والاغضاء عن الزلات، ومداراة الذين يخاف منهم او يخشى انصارهم، ثم انكار حسنات الأضداد وفضائل المعارضيـن، فهذا فـلان بيده السلطـة او له جاه، يخشى من غضبه او اعراضه اذا قيل كـذا، او كتب كذا، وذاك فلان عدو فلان أو كان عدوا لآبائه او اجداده ويسوءه أن يسمع كلمة حق او انصاف فى خصمه او خصم اهله او مواطنيه، وهذا صديقنا فلان لا يناسب ان نقول فى سلفه كذا، او هؤلاء قومنا لا ينبغى ان نذكر شيئا من نقائصهم او هذه بلادنا لا يليق ان نصفها هى او أهلها بكـذا وكذا ليلا يستغل ذلك خصومنا الخ. هكذا تضيع الحقائق وتنقلب الامور فى كثير من الاحوال ومن كثير من الناس .

عن بعض مؤرخى المغرب فى عصرنا

لقد سمعت مرارا عديدة من بعض اصدقائـى، وهـم مـن ذوى المقامات المحترمة، أن العلامة المؤرخ المرحوم مولاى عبد الرحمن ابن زيدان، قد اساء الى المغرب والى بعض الناس فـى تاريخـه «الاتحـاف» وانه كشف الاسرار وفضح العورات، وليته حذف، وليته اثبت وليته وليته ..

اما انا فكنت وما زلت ارى ان ابن زيدان رحمه الله لم يسىء لا الى المغرب ولا الى التاريخ وانمـا قام بواجـب يستحـق ان يشكر عليه، وكنت استغرب صدور مثل ذلك القول ممن كنت اعرف فيهم العقل والعلم ، والذكـاء والفهـم ، ولكننى حينما افكر فى الموضوع، وفى سبب مثل ذلك القول، أصل فى النهاية الى ان الشخص اذا كان ينظر بعين الرضى لبعض الجهات، فانه لا يقدر على ان يسمع عنها غير الثناء ، واذا كان متصلا بالطبقة التى لا تهمها الحقائق بقدر ما يهمها المديح والاطراء ، فان اثقل شىء على سمعه هو ذكر الحقائق المجردة . واذا قلت لهذا الصنف من الناس، واين الحق والانصاف والامانة، قال لك ، ذلك شأن البسطاء والاغبياء

ولقد سمعت ايضا غير ما مـرة بعـض رفقائى الذين اعتقد انهم بعيدون عن الاغراض والشهوات، ينتقدون على استاذنا الرهونى رحمه الله، اثباته فى تاريخه الكبير لاشياء يعدونهـا من الخرافيات التـى لا تناسب العصـر، فكنت أقول لهم، أليس فى الدنيا اناس يعتقدون ان ما تسميه انت خرافات، هو عين

الحقائق وطريق الهدى وسبيل السلامة والنجاة ؟ ان هذه الطبقة من الناس موجودة حقا، وان من الامانة للتاريخ والحقيقة، أن تسجل أقوالها واعتقاداتها بما لها وما عليها ثم ما على قارىء التاريخ الا ان يقبل ما يراه حقا وصوابا ، ويرفض ما يرى انه خطأ او باطل

ومن كان جاهلا فليسئل أهل الذكر والعالمين

وكنت أسمع أشخاصا ينتقدون على كتاب «الأستقصا» لابى العباس الناصرى، اقتصاره على نواح دون أخرى ويقولون فى مؤلفه الكبير انه حاطب ليل، وربما بالغ بعضهم فقلد بعض الاجانب المغرضين فى قوله، انه لوردت كل فقرة فيه الى الكتاب الاصلى الذى نقلت منه لما بقى لمؤلفه شىء يذكر . فكنت أستغرب كيف يسوغ لمواطن مغربى ان ينكر فضل اعظم وأحسن وأجمع كتاب ألف فى تاريخ وطنه ، ذلك الكتاب الذى لم يعرف جل علماء هذا القرن فى العالم تاريخ المغرب الا منه. فهل كان فى الامكان ان يجمع المؤلف الواحد كل شىء ؟ وهل العالم او الاديب الذى لم يحط بكل شىء علما يجب عليه ان لا يكتب ولا يؤلف ليلا يقال، ان انتاجه ناقص ، وهل ينتظر الكمال الا من الله سبحانه ؟

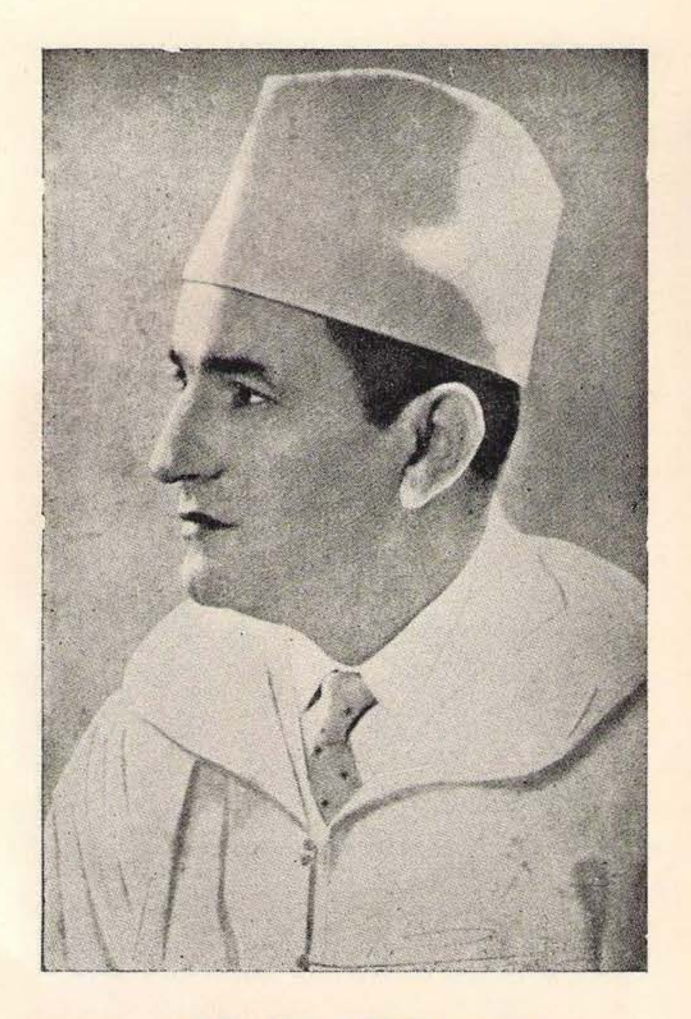
اما صديقنا العلامة العباس بن ابراهيم قاضى مراكش حفظه الله فانه لم يعدم من ينتقد عليه اقتصاره فى كتابه، «الاعلام» على تراجم الرجال، ولكن أليست تلك التراجم مشحونة بالعلم والادب والتاريخ والسير والمواعظ والعبر ؟ وهل ألف فى المغرب العربى كله احد غير ابن زيدان وابن ابراهيم كتابا يحتوى على نحو عشر مجلدات ضخام فى تراجم رجال مدينة واحدة ؟

الحق ان الناصرى السلوى مؤلف «الاستقصا» (1) والرهونى التطوانى مؤلف «عمدة الراوين» (2) وابن زيدان المكناسى مؤلف

---

(1) كتاب «الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى» للعلامة المطلع أبى العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى «من مدينة سلا» وقد طبع بمصر عام 1312 فى أربعة أجزاء متوسطة الحجم فى حياة مؤلفه المتوفى عام 1315 ومولده عام 1250 ثم طبع بمدينة الدار البيضاء فى تسعة اجزاء سنة 1954 ـ 1956 وهو أوسع ما عرفناه حتى الآن من الكتب المؤلفة فى تاريخ دول المغرب .

(2) كتاب «عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين» لابى العباس احمد الرهونى التطوانى «من مدينة تطوان» يقع فى عشرة اجزاء متوسطة الحجم. وقد وصف وصفا دقيقا فى الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب. وهو مخطوط الى الآن لم يطبع منه شىء ، ويا حبذا لو طبع فيستفيد منه كثير من الناس .



صاحب الجلالة ملك المغرب

(رقم 1) سيدى محمد الخامس، الرجل الذىحقق الله فى عهده وعلى يده استرجاع حرية المغرب واستقلاله وتوحيد ترابه.

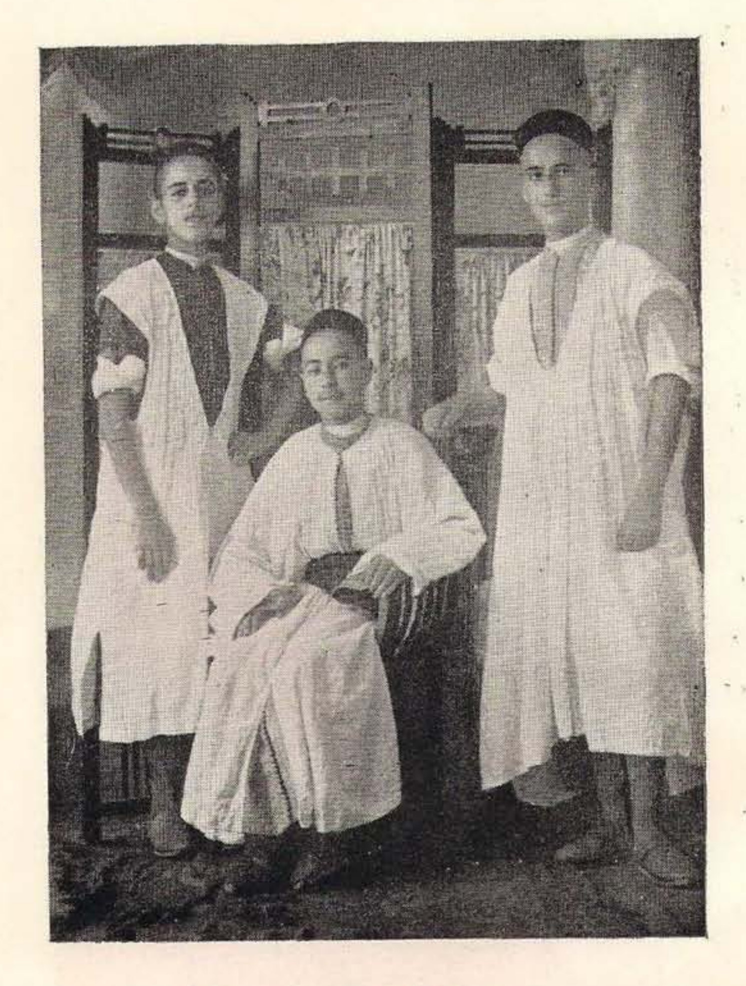
ولد حفظه الله بفاس عام 1329 هـ. 1911 م. وجلس على عرش المملكة المغربية يوم الجمعة 22 جمدى الاولى عام 1346 هـ. موافق 18 نوفمبر سنة 1927 م ايده الله ونصره نصرا عزيزا .

فى عهد هذا الملك الصالح، والوطنى المكافح ، الف هذا الكتاب وبرز منه هذا المجلد للوجود .



محمد داود

(رقم 2) عند ما شرع فى تاليف كتابه هذا «تاريخ تطوان»



صداقة اربعين سنة

مؤلف هذا الكتاب وكاتبا تقدمتيه

(رقم 3) هذه الصورة اخذت بتطوان فى شهر شوال عام 1335 هـ. موافق يوليه سنة 1917 م.
وقد ظهر فيها ثلاثة شبان من شباب تطوان فى ذلك التاريخ، وهم مؤلف هذا الكتاب محمد داود (الى اليمين) وقد وقف مقابلا له الاستاذ محمد بنونة كاتب تقدمته الاولى، انظر ص 7 ـ 18 وجلس بينهما الاستاذ التهامى الوزانى كاتب تقدمته الثانية، انظر ص 19 ـ 21
هى صداقة تجاوزت حياتها اربعين ربيعا.
صداقة خالدة خلود الحب الروحى الشريف.



الاصدقاء الثلاثة

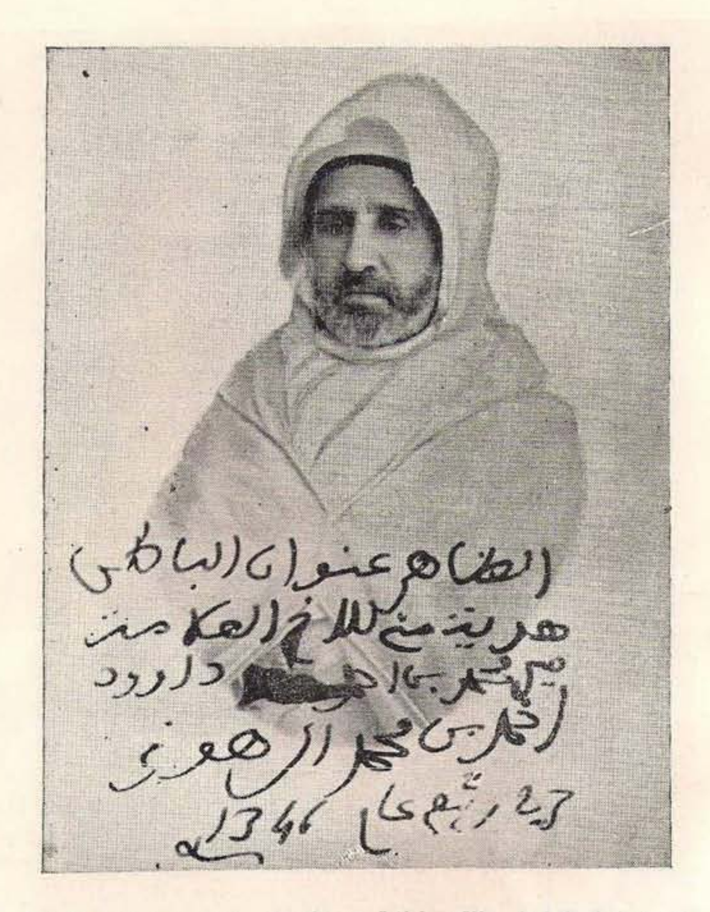
المؤلف مع رفيقيه، بنونة والوزاني

(رقم 4) بعد صداقة ما يقرب من نصف قرن اخذت هذه الصورة عام 1378 هـ سنة 1958 م بعد الفراغ من تاليف هذا الكتاب وطبع المجلد الاول منه، وقد ظهر فيها من اليسار :

الحاج محمد داود ومولده بتطوان ليلة يوم الاثنين 12 ذى الحجة عام 1318 هـ. موافق فاتح ابريل سنة 1901 م

الحاج محمد بنونة، ومولده بتطوان ليلة الاحد 17 رجب عام 1318 هـ موافق 11 نوفمبر 1900 م.

الحاج التهامى الوزاني، ومولده بتطوان يوم الاثنين 6 صفر عام 1321 هـ موافق 4 مايو سنة 1903 م .



(رقم 5) المؤرخ التطوانى الفقيه العلامة ابو العباس احمد بن محمد الرهونى، مؤلف «عمدة الراوين، فى تاريخ تطاوين» ولد بتطوان عام 1288 ه وتوفى ودفن بها يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الثانى عام 1373 هموافق 21 دجنبر سنة 1953 م. وقبره فى الزاوية العيساوية التى فى حومة العيون بتطوان وقد كتب رحمه الله بخطه على هذه الصورة ما يلى :

الظاهر عنوان الباطن، هدية منى للاخ العلامة سيدى محمد بن احمد داوود. احمد بن محمد الرهونى ـ 23 ربيع 2 عام 1346



(رقم 6) المؤرخ المكناسى العلامة الاديب أبو زيد عبد الرحمن ابن زيدان العلوى، مؤلف كتاب «اتحاف اعلام الناس، بجمال اخبار حاضرة مكناس» .
ولد بمكناسة الزيتون عام 1290 هـ. وتوفى ودفن بها فى 21 ذى الحجة الحرام عام 1365 موافق 16 نوفمبر سنة 1946 م. وقبره داخل القبة التى بها ضريح السلطان مولاى اسماعيل بمكناس وقد كتب رحمه الله بخطه على هذه الصورة ما يلى :
اقدم صورتى هذه لبهجة تطوان النحرير النقاد السيد محمد داود تذكارا وديا فى 28 ربيع 2 عام 1346 . عبد الرحمن ابن زيدان العلوى

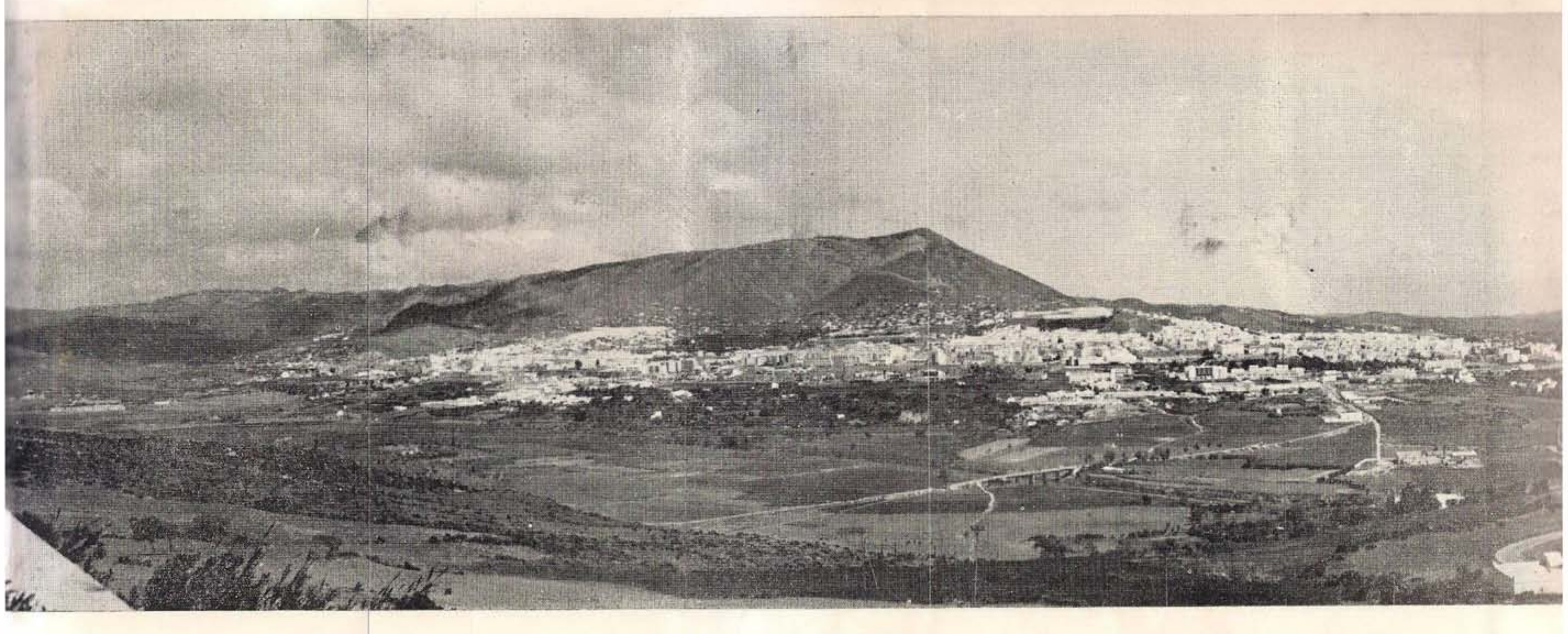


(رقم 7) المؤرخ المراكشى الفقيه القاضى العباس بن ابراهيم مؤلف كتاب «الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام»، ولد بمراكش عام 1294 هـ. وتوفى ودفن بها فى 19 شوال عام 1378 هـ، موافق 28 ابريل سنة 1959 م.

وقد كتب رحمه الله بخطه على هذه الصورة ما يلى :

8 شعبان عام 1355 عباس بن ابراهيم وفقه الله

مهداة الى العلامة سيدى محمد داود التطوانى



منظر عام لمدينة تطوان

(رقم 8) تقع مدينة تطوان فى سفح جبل يسمى جبل درسة بسكون الراء وفتح السين) وهذا الجبل ـ وهو المرتفع الظاهر فى الصورة ـ من سلسلة جبال قبيلة الحوز المتصلة بقبيلة انجرة التى بها مدينة سبتة، وتقع شمال تطوان فى مدخل بوغاز جبل طارق، وجبل درسة، تتفجر منه عيون يجرى ماؤها العذب الى داخل مساجد تطوان وديارها وقنواتها فيشرب منه الناس والحيوانات، وتسقى منه الزروع والبساتين، وتبعد تطوان عن شاطىء البحر الابيض المتوسط بنحو عشر كيلومترات ، وهذا البحر يقع فى الجهة الشرقية منها . والقسم الظاهر فى الصورة لجهة اليمين، هو القسم الشرقى من هذه المدينة ويحتوى على حومتى البلد والربض الاسفل، ثم الى يسار ذلك يقع الربض الاعلى، وفيه قسم الطالعة، وفى اعلى ذلك ، تجد القصبة وفى سفحها لجهة اليسار حومة العيون، وفى جنوبها حومة الطرنكات. ثم فى الوسط تقع توسعة تطوان «سانتشى» ثم تجد فى جهة الغرب حومة سيدى طلحة وما اتصل بها الى مدشر سمسة الواقع فى اقصى اليسار

وترى فى وسط الصورة ـ لجهة اليمين ـ قنطرة «مجاز الحجر» وهى واقعة على نهر تطوان الذى يصب فى البحر الابيض المتوسط، ويفصل بين قبيلة الحوز وقبيلة بنى حزمر التى اخذت هذه الصورة من احد جبالها، وهذا الجبل تنفجر منه ايضا عيون غزيرة مدت منها انابيب تستفيد منها الان ديار تطوان ومتنزهاتها وتتصل بضواحى المدينة، فدادين يزرع بها القمح والشعير والذرة البيضاء والحمراء وغراسى (بساتين) بها مختلف انواع الخضر والاشجار ، والفواكه والازهار.

«الاتحاف» (1) وابن ابراهيم المراكشي مؤلف «الاعلام» (2) كلهم من افذاذ علماء الامة المغربية الذين يستحقون كل اجلال واعظام ، ان بقي في الدنيا فضل وانصاف .

على أن أسماء هؤلاء النبغاء ومؤلفاتهم خالدة وان وجه لها من الانتقادات ما وجه، وان اختلاف اساليبها انما هو صورة لاختلاف صور الافراد والثقافات والانظار والاتجاهات

والرأي والله أعلم، أن كتابة التاريخ ينبغي أن تختلف باختلاف الاحوال، فالمؤرخ لاجل الاغراض الخاصة وللدعاية، له ان يراعي المبدأ الذي ألف لاجله فيرفع ما يشاء ويضع ما يريد، ويذكر ما يرضاه او يرضيه، ويغفل ما لا يوافق مبدأه ومراده، ويشيد بذكر ما يؤيد رأيه ومذهبه، ويحط من قيمة كل ما يخالف ذلك ...

فالتاريخ الموجه الذي يؤلف مثلا لتلاميذ المدارس الوطنية او لبث الروح القومية في الامة، او لنحو ذلك من الاغراض الشريفة النبيلة، يجب أن لا يثبت فيه من الحوادث والاخبار والمواقف، الا ما يناسب المقام من مفاخر وامجاد

والكتاب الذي يؤلف لمقاومة الدول الغاشمة، او لبيان فضائح الولاة المعتدين والطغاة المتجبرين، والظلمة المغتصبين، او لمقاومة المبادىء الهدامة والمذاهب والانظمة الضارة، او لمحاربة الظلم الاستعماري الغاشم او الاستغلال الاقطاعي الممقوت، من شأنه أن يحتوي على تشويه أعمال الظالمين والمعتدين وهدمها بالحق بل وحتى بغيره ــ ان اضطر لذلك ــ وان كان الحق غنيا بنفسه .

اما التاريخ الحقيقي الذي يكتب للاعتبار ، ويسجل مختلف الحوادث والاخبار، فينبغي أن يكون كالمرآة أو كالآلة المصورة التي تثبت الاشياء

---

(1) هو كتاب «اتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس» لابي زيد عبد الرحمن ابن زيدان العلوي المكناسي «من مدينة مكناس» طبعت منه في حياة مؤلفه خمس مجلدات كبار بمدينة الرباط، فيما بين سنتي 1347 هـ 1929 م. و 1352 هـ. 1933 م. وأخبرت أن الباقي منه بدون طبع ما يقرب من ذلك. وهو مؤلف جليل في تراجم رجال مكناس، ولكن به من المعلومات التاريخية والادبية عن المغرب وتاريخه ورجاله وملوكه ما لا يوجد في غيره .

(2) كتاب «الاعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام» للقاضي العباس بن ابراهيم المراكشي «من مدينة مراكش» يقع في نحو عشر مجلدات كبار، طبع منه مؤلفه خمس مجلدات بمدينة فاس فيما بين سنتي 1355 هـ 1936 م. 1358 هـ 1939 م والقسم الباقي منه مخطوطا، ربما كان اكثر من القسم المطبوع، وقد وقفت عليه وتصفحته لدى مؤلفه بمراكش. وهو كتاب جليل في تراجم رجال مراكش وغيرهم من أعلام المغرب. وقد جمع فيه مؤلفه من الفوائد والاخبار ما تفرق في غيره .

كما هى، والمؤرخ الصادق، والكاتب الحر، هو الذى يثبت الحوادث كما وقعت ويصف الاشخاص والاشياء بأوصافها الحقيقية بدون مبالغة ولا بخس، فبذلك يعرف مقام المصلحين وفضل المحسنين وكفـاح العاملين وجهـود المخلصيـن ، كما يعرف أيضا جبروت الظالمين وطغيان المعتدين، وضلال المغترين، واهمال المقصرين .

ومعرفة الحقائـق والنتائج هـى التـى تقف فى وجه من تحدثه نفسه بالغرور، وهى التى تعظ من يريد الاتعـاظ، وهـى التـى تدعـو لشكر الذين أحسنوا وقامـوا بواجبـاتهم، كمـا تدفع لنقـد الذين اساءوا ولم يهتموا الا بمصالحهم وشهواتهم، واعلان الحقائق ونتائجها هو الذى يدعو عددا من الناس للقيام بأعمال البر، والابتعاد عن طريق الشر وموجبات النقد، وفى ذلك صلاح الامة واكثار للخير واقلال للشرور والآفات ؟

لقـد كان بعـض الخيرة مـن اصدقائـى يمدحـون بعـض الناس بمـا لم يفعلوا لعلهم يعملون، ويصفونهم بأوصاف لا حظ لهم فيها لعلهم يهتدون «ومن الناس من يسرهم ان يحمدوا بما يفعلون وما لا يفعلون» فكنت أقول لاولئك الاصدقاء ان عملهم جناية على مصالح الامة التى أعتقد أنهم يعملون لها باخلاص، لان مدح الشخص بعمل صالح لم يقم به قد يكون سببا فى عدم قيامه بذلك العمل فى المستقبل فهو يقول ـ والاخلاص فى الدنيا غير كثير ـ اى فائدة للتعب والتضحية ما دامت الاعمال الصالحة تنسب الى وان لم أعملها، وألسن الناس لاهجة بالثناء على بأوصاف ولو لم أتصف بها، وهكذا تضيع الحقائق ايضا، وهكذا تهمل المصالح العامة اما بالتملق والطمع، واما بالخوف وبالاغراض المختلفة، وفى ذلك كله جناية على الامة وتضييع لحقوقها

ان الأشخاص يذهبون ، امـا الاعمال فتبقـى، وان الاعـراض والاغـــراض تفنى، أما الحقيقة فهى باقية خالدة، ولكن هل بلغ النـاس درجـة قبـول الحقائق المجردة ؟ وهل فى الامكان أن يسير كتـاب التاريخ على وتيرة واحدة ؟ لعل الذى يحاول أن يرغم الناس أجمعين على طريقة خاصة، أو يسيرهم فى اتجاه واحد، انما يتيه فى صحراء الخيال اذ رضا جميع الناس غاية لا تنال.

وقديما حاول المؤرخ الكبير العلامـة ابن خلدون، وضع قواعد وأصول لكتابة التاريخ ولكن هل وقف هو نفسه مع تلك القواعد والاصول حينما أخذ فى كتابة تاريخه «العبر» انه ان كان قد ذكرها حينا فانه نسيها او تناساها احيانا ـ والحال هو الحال فيمن أتى بعد ابن خلدون، ولعل الحال هو نفس الحال فى مؤرخي عصرنا هذا وفيما يأتي بعده من عصور الى ما شاء الله

ولعل من النادر بل من الصعب ان يستطيع المؤرخ او الكاتب ان يتجرد عن جميع الميول والاعتبارات، ويكتب الحقائق مجردة غير متأثر بما يشعر به من حب وحنان، واعتبار واعجاب، او بغض واشمئزاز، واحتقار واهمال.

ولعل حياة الامم والشعوب انما هـي كالروايـات السينمائيـة تتنـوع موضوعاتها ومغازيهـا، ولعـل التواريخ كالافلام تختلف مناظرها وتأثيراتها، ولعل المؤرخ كالمخرج لابد أن يتأثر بنفسيته وبثقافته وبالوسط الذى عاش او يعيش فيه، ولعل قراء التاريخ كرواد السينما منهم من يتأثر ويتعظ، ومنهم من يضحك أو يسخر أو يلهو، ومنهم المفكر المعتبر المستفيـد، ومنهم العبث الذى لا هو فـى العير ولا فـى النفير، واذا كان بقر الله فى ارض الله كثيرا وكانت لكل ساقطة لاقطة، فان فى الدنيا حكمة وعقلا، وذكاء ونبلا، وجواهر تستحـق نحـور الحـور، فى أعالى القصور، والله فضل بعضكـم على بعض، وانما الاعمال فى النيات ... وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم. والله سبحانه هو المستعان

الباب الاول

وفيه فصلان :

الفصل الاول

اسم تطوان وضبطه

هذه المدينة أسست قبل ظهور الاسلام ووصول اللغة العربية الى هذه النواحى من الشمال الافريقى

واسمها غير عربى لانه لا معنى له فى اللغة العربية، بل هو بربرى لان له معنى واستعمالا فى لغة البربر الذين كانوا منذ العصر الجاهلى وما زالوا حتى الآن يسكنون عدة جهات فى شمال افريقيا وخصوصا فى بلاد المغرب.

وهذا الاسم قد وقع الاختلاف فيه منذ عدة قرون، وقد تكلم عليه وعلى صيغته ومعناه عدد من المؤرخين، ويمكننا الرجوع فى هذا الموضوع لكلام ستة من الباحثين المغربيين نذكرهم هنا على حسب تاريخ وجودهم، وهم :

الحسن الوزان الاندلسى المغربى المعروف بليون الافريقى، والشيخ ابو على اليوسى، وصاحب المخطوط التطوانى (1) وهو من تطوان، والناصرى صاحب الاستقصا، والمؤرخان التطوانيان، ابو محمد سكيرج وأبو العباس الرهونى. أما ليون الافريقى وهو أقدم الستة المذكورين، فقد ذكر مدينة تطوان فى كتابه «وصف افريقيا» (2) وهو موجود باللغات الافرنجية وقد كتب فيه اسم هذه المدينة بالحروف الافرنجية فى اللغتين الاسبانية والفرنسية

---

(1) المخطوط التطوانى سيأتى التعريف به قريبا

(2) ان شئت فانظر DESCRIPTION DE L' AFRIQUE ج 2 ص 254 طبع باريس باللغة الفرنسية سنة 1847 وص 165 من DESCRIPCION DE AFRICA طبعة سبتة باللغة الاسبانية سنة 1952

هكذا TETTEGUIN اى تطاوين وبعد ان ذكر ان مؤسسى هذه المدينة الصغيرة هم الافريقيون الأقدمون، وان المسلمين افتتحوها فى نفس الوقت الذى افتتحوا فيه مدينة سبتة، نقل عن بعضهم ان المسلمين لما افتتحوها صاروا يسمونها باسم (كونته ـ كونديسة) وهى امرأة عوراء كانت تأتى اليها مرة فى الاسبوع لتستخلص الجبايات من سكانها الخ. ثم ذكر ان كلمة تطاوين فى اللغة الافريقية «يعنى البربرية» معناها العين، وأن هذه البلدة كانت بها عين واحدة الخ. واما الشيخ اليوسى فقد توسع فى الموضوع وكتب بحثا ذكر فيه ان الاسماء التى تطلق على البقاع تنقسم الى قسمين، الاول لا يقصد به الا تعيين المسمى دون ملاحظة أى شىء زائد على ذلك، وهذا يجب ان ينطق به كما هو دون تغيير او تعريب . الثانى يطلق على المسمى لوجود معناه فيه ، وهذا لا مانع من تعريب لفظه الخ. ثم تعرض لاسم تطوان وقال ما نصه :

«ومن الخطأ الواقع فى هذا ايضا لفظ تطاوين، اسم للمدينة المشهورة بالساحل فانه اشتهر فى ألسنة كثير من المتفصحين من أهل فاس وغيرهم ان الصواب فيها تطوان بكسر التاء وسكون الطاء، وزعموا انه كذلك ضبطها الفقيه أبو محمد سيدى العربى بن يوسف الفاسى رحمهما الله فقلدوه فى ذلك وهو خطأ فاحش وفى الحديث، استعينوا على كل صناعة بأهلها، ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ولا تقف ما ليس لك به علم، فحق المتكلم فى اللفظ ان لم يعرف له اصلا ولا اشتقاقا ان ينطق به كما سمع وليس فيه تصرف الا ان يكون عالما به وبأصله العربى فى العربى والعجمى فى العجمى فنقول. لفظ تطاوين وجدنا أهلها وجميع نواحيها ينطقون به بتشديد الطاء فلا موجب لتحويلها الى صيغة اخرى، ثم اذا نظرنا الى اصلها وجدنا لفظة بربرية وتلك البلاد اصلها للبربر فوجدناها موافقة لما يقولون وما ذاك الا لكونهم يتلقونها عن الآباء والاجداد وهى فى تلك جمع تيط بمعنى العين الجارية او البصيرة والبربر منهم تجمعها على هذا الجمع سواء كانت بصيرة او جارية فيقولون تطاوين فى لغتهم الآن فنظرنا فى تلك المدينة فوجدناها ذات عيون من الماء فعلمنا ان ذلك هو المراد بلا اشكال واما تطوان فلا معنى له فى لغة العرب ولا العجم والله الموفق اه. كلام اليوسى.

فاسم هذه المدينة عنده هو تطاوين، وقد رأيت انه أنكر على من يسميها تطوان وسماهم متفصحين الخ.

واما صاحب المخطوط التطوانى وهو تطوانى كما صرح بذلك فى تقييده وكان بهذه المدينة فى اوائل القرن الثالث عشر فقد قال ما نصه باختصار :

«تطاوين ـ جمع تط بكسر التاء وفتح الطاء المشددة وهى العين بلغة البربر جارية او غير جارية، وتصدق ايضا عندهم بعين البصر والمراد هنا الاولى بقسميها لكثرتها حتى سميت حومة منها بذلك (1) ...

ويحتمل انها سميت (بذلك) مجازا لحراسة اهلها لمن وراهم ... والنسبة اليها تطاوينى كما فى رسومها القديمة والآن يحذفون الياء ويبقون الواو (2) والروم تقول لها تطوان»

فصاحب هذا التقييد ـ كما ترى ـ يصرح بان اسم هذه المدينة فى القديم هو تطاوين، وان المتأخرين يقولون تطاون وان الروم هم الذين يسمونها تطوان .

واما الناصرى صاحب الاستقصا فانه يذكر هذه المدينة دائما باسم تطاوين وقد تعرض لمعنى هذه الكلمة فقال ما نصه (3) قالوا ولفظ تطاوين مركب من كلمتين «تيط» ومعناها فى لسان البربر العين، و «وين» وهى كناية عن المخاطب نحو يا فلان وما اشبه ذلك. قالوا والسبب فى تسميتها بذلك انهم فى وقت اختطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل او بالنهار «تطاوين» تطاوين، اى يا فلان افتح عينك لان عادة الحرس ان يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها، ويظهر ان هذا من كلام العامة ولا اصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين و وين معناها المقلة ومجموع الكلمتين مقلة العين والاضافة مقلوبة كما هى فى لسان بعض الامم العجمية فانه لا مستند له والله تعالى اعلم »

وأما أبو محمد سكيرج فانه اقتصر على ان اسم هذه المدينة هو «تطوان» وذكر ان هذا اللفظ غير عربى وان لفظ «طيط» معناه «العين» ولفظ «وان» معناه «نظر» ثم اشار الى ما يقال من ان سكانها كانوا ينادى بعضهم بعضا اثناء الحراسة بتلك الكلمة كما ينادى الحارس بياعساس اى يا حارس تنبه او افتح عينيك الخ ولم يعرج السكيرج على لفظ تطاوين. وسمى تأليفه ، (نزهة الاخوان فى الاخبار الواردة فى بناء تطوان) واما استاذنا الرهونى فانه ارتضى اسم تطاوين ، ولذلك سمى تاريخه «عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين» وقد عقد للكلام على اسمها فصلا استهله بقوله : «اعلم حفظك الله ان اسمها تطاوين، هكذا انفصل عليه علامة الدنيا سيدى الحسن اليوسى رضى الله عنه

---

1) اى ان فى تطوان حومة اسمها «العيون» وهذه الحومه لا تزال معروفة بهذا الاسم الى الآن.

2) اى يقولون فى اسم هذه المدينة تطاون وفى النسبة اليها «تطاونى» والنسبة اليها بهذه الصيغة هى التى نجدها فى جل الرسوم العدلية المكتوبة فى القرنين الماضى والحالى.

3) الاستقصا ج 2 ص 46

فى جواب له ... ثم اثبت كلام اليوسى بطوله، وعقب عليـه بقوله : «اقول هذا الاسم على هذا الوجه ـ يعنى تطاويـن ـ هـو الموجود الى الآن وحتى الآن فى ألسنــة أهل البلدة وجيرانها الباقيــن على أصل الفطرة المتلقين لذلك عن اسلافهم حسبما هو معروف بالاستقراء ولا ينطق بتطوان او يكتبها الا من يروم التصفح والتشـدق لولـوع الناس بالجديد ومخالفة الاصل السديد فطرة الله التى فطـر النــاس عليهــا والله أعلم. وأيضا لا زال برابرة الريف يعبرون عن العيون بتطاوين حسبما هو مشاهد فى ألسنتهم منه قولهم فى السب تطاوين ميغرا اى عيون الحية ، وتطاوين أمشوم، اى عيون النحيس. وما ذكره اليوسى فى وجـه تسميـة هذه البلدة، يؤيده انه لا زال قسم منها يسمى بمرادف هذا الاسم من العربى وهو العيون لكثرة وجودها فيه. ثم قال الرهونى «وبعد هذا التحقيق لا يلتفت لما قالـه السكيرج فى تقييده ثم اثبت نص كلام السكيرج وزيـفـه .

والخلاصة عن اسم هذه المدينة :

اولا : انه غير عربى بل هو بربرى

ثانيا : ان معناه له علاقة بالعيون، اما العيون الجارية بالماء واما العيون المبصـرة .

ثالثا : ان اصله مكـون من حروف ت. ط. ا. و. ن. ثم تختلف لهجة النطق بتلك الحروف باختلاف اللهجات والجهات، وهذا الاختلاف لا زال واقعا الى وقتنا هذا فسكان هذه المدينة كسكان بعض القبائل الجبلية القريبة منها وأهل جل المدن يقولون فى محادثاتهم العادية ، تطاون بواو محركة بحركة لا هى ضمة ولا فتحة ولا كسرة. وسكان عدد من القبائل الجبلية وخصوصا فى الناحية الغمارية يقولون «تطاوان» بفتح الواو.

وجل سكان القبائـل الريفيـة يقولـون «تيطـاوين» بكسر الواو، وهـذا الاختلاف فى اللهجة كما رأيت هو الذى جعل المؤرخين القدمـاء يكتبون اسم هذه المدينة بصيغ مختلفة كما ستـرى. وقد تتبعـت ذلك فـي مختلف الكتب والرسوم فوجدت تلك الصيغ تبلغ سبعا وهى :

1 ـ تطـوان
2 ـ تطـاون
3 ـ تطاويـن
4 ـ تيطاويـن
5 ـ تطـاوان
6 ـ تيطـاوان
7 ـ تيطـاون

ودونك بيــان ذلك.

1) تطوان : بكسر التاء وسكون الطاء وفتح الواو، ولا أعرف بالتدقيق تاريخ اطلاق هذا الاسم على هذه المدينة، ويظهر انه غير قديم جدا وان كان غير حديث جدا ايضا، لانه كان مستعملا فى القرن العاشر للهجرة، وقد ورد فى كتاب دوحة الناشر لابن عسكر المتوفى سنة 986. وان شئت فانظر فيه ترجمة القاضى ابى عبد الله الكراسى (1) والشيخ الجاسوس (2) وورد بهذه الصيغة ايضا فى كتاب درة الحجال لابن القاضى المتوفى سنة 1025 وانظر ان شئت ترجمة القاضى محمد الرزينى رقم 615 (3) وورد كذلك ايضا فى نزهة الحادى لليفرنى (4) .

وقد علمت ان الشيخ اليوسى نقل ان سيدى العربى الفاسى ضبطها كذلك ومعلوم انه توفى عام 1052.

وورد ايضا فى كتاب الدولة السعدية (5) المؤلف فى القرن الحادى عشر؛ بل ورد كذلك ايضا فى كتاب القرطاس لابن ابى زرع المؤلف فى القرن الثامن الا ان استاذنا الرهونى يرى ان ذكرها فى هذا الكتاب بهذه الصيغة انما هو من تفصح الناسخ.

2) تطاون: بتاء محركة (6) فطاء مشددة مفتوحة فألف فواو محركة. وقد وردت هذه الصيغة فى كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى الذى ولد فى القرن الخامس وتوفى سنة 560

ووردت كذلك فى كتاب درة الحجال، وانظر ان شئت ترجمة ابى القاسم القسنطينى رقم 1344. (7) ووردت ايضا فى كتاب الدولة السعدية فى عدة

---

1) ص 17 طبع فاس سنة 1309

2) ص 34 طبع فاس سنة 1309

3) ج 1 ص 167 وص 227

4) ص 202

5) هذا الكتاب لا يعرف اسم مؤلفه وقد اعتنى بنشره المستشرق م. جورج كولان وطبعه برباط الفتح عام 1353 هـ. 1934 م. وانظر ان شئت ص 67 منه.

6) قد اصطلحت اصطلاحا خاصا «ولا مشاحاة فى الاصطلاح» على ان الحركة الرابعة الزائدة فى اللغة العامية على الضمة والفتحة والكسرة ، اسميها «بالحركة» وان الحرف المشكول بها اصفه بمحرك كما نقول فى الحرف المحرك باحدى الحركات الثلاث، مضموم او مفتوح او مكسور ، وفى الحرف المسكن ، ساكن. وهذه الحركة الرابعة كثيرة الاستعمال فى كلام العامة فى جميع العالم العربى وهى حركة غير الحركات الثلاث المعروفة فى كتب النحو وغير السكون ايضا.

7) ج 2 ص 465 طبعة الرباط سنة 1934

مواضع (1) كما وردت ايضا فى كتاب نفح الطيب للمقرى (2) بل كانت هذه الصيغة معروفة حتى فى القرن الثامن لانها وردت فى مقدمة ابن خلدون (3) كما وردت أيضا فى كتاب مرآة المحاسن (4) وهذه الصيغة هى المستعملة الى الآن بهذه المدينة ونواحيها وربما نطق بعض الناس بها هكذا تسطاون بسين بين التاء والطاء وهذه السين انما هى ناشئة عن النطق الخاص بالتاء لدى اهل الحضر فى فاس وتطوان وغيرهما من مدن الشمال المغربى

3) تطاوين : بتاء مكسورة فطاء مشددة مفتوحة فألف فواو مكسورة ثم ياء فنون ـ وقد علمت أن هذه هى الصيغة التى ينطق بها سكان جل القبائل الريفية وهى التى أيدها العلامة اليوسى وارتضاها شيخنا الرهونى ولا يكاد الناصرى فى الاستقصا يستعمل غيرها

4) تيطاوين : مثل الصيغة التى قبلها مع زيادة ياء بين التاء والطاء وقد ذكر الصيغة العلامة ابن خلدون فى تاريخه (5) وهذه الصيغة ايضا وردت فى كتاب «البيدق» ومؤلفه من رجال القرن السادس كما هو معلوم، كما وردت ايضا فى كتاب النفحة المسكية فى الرحلة التركية (6)

5 تطاوان جاءت هذه الصيغة فى كتاب المسالك والممالك (7) لابى عبيد البكرى الاندلسى وهو من رجال القرن الخامس

6) تيطاوان) جاءت هذه الصيغة فى كتاب المسالك والممالك ايضا (8) وفى كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار وهو مؤلف فى القرن السادس، وفى كتاب النفحة المسكية (9) لابى الحسن على التمجروتي وقد زارها عام 997

---

1) ص 25 ـ 60 ـ 192 الخ.

2) ج 2 ص 617 طبع مصر سنة 1302

3) انظر ان شئت كلامه على الاقليم الرابع فى المقدمة الثانية من الباب الاول. وقد صحفت لفظة تطاون فى بعض النسخ فأبدلت تاؤها قافا كما انها وردت فى بعض نسخ المقدمة باسم تطاوين انظر ان شئت طبعة باريس سنة 1858 ص 118

4) ص 216 ـ طبع فاس سنة 1324

5) ج 4 ص 14 وج 7 ص 237 طبعة مصر

6) ص 11

7) ص 106 ـ 107 ـ 130 ـ طبع الجزائر سنة 1911 .

8) ص 100 ـ 108 ـ 115 الخ

9) ص 12 وص 184

7) تيطـاون : هكذا وردت عند الكلام على حوادث سنة 347 من كتاب البيـان المغـرب لابن عـذارى المراكشـى (1) ووردت ايضا كذلك فى مواضع متعددة من كتاب مناهل الصفا لمؤرخ الدولة السعدية ابى فارس عبد العزيز الفشتالـى وفـى كتاب «لقطـة الفرائد» لابن القاضى وفى النفحة المسكية (2)

وما تقدم كما رأيت، كله فى كتب التاريخ. أما فى الوقت الحاضر، فان جل الناس وخصوصا اهل العلـم والثقافـة، لا يستعملـون من تلـك الاسماء الا (تطوان) وخصوصا فى الكتب والصحف والرسائل ومختلف الوثائق الرسمية وغيرها . والنسبة اليها تطوانى . أما أصل هذا الاسم ومعناه وتاريخه فلا يصح فى ذلك شىء، ولا ارى انه ينبنى عليه شىء . والعـوام وأهـل البادية يقولون تطاون والنسبة اليها تطاونى (3) .

واما فى اللغات الاجنبية، فيكتب اسم هـذه المدينة فى اللغات الاسبانية والانجليزيـة والالمانيـة والايطاليـة هكـذا TETUAN وفى اللغة الفرنسيه تكتب هكذا TETOUAN

هـل توجـد مدن أخـرى تسمـى باسم تطـوان

تـوجد فـى القطـر التونسى قريـة تسمى «فـم تطاوين» هكذا يكتبها التونسيون ويكتبها الفرنسيون هكذا TATAHOUINE وقد جاء عن هذه القرية فى كتاب الجغرافية التونسية (4) ما يلى :

---

1) ج 1 ص 222 طبعة ليدن سنة 1948

2) ص 12 ـ 13

3) الحمد لله. احتاط المؤلف أيده الله لضبط كلمة تطوان بجلب ما لها وما عليها، وما نسب قديما وحديثا اليها، نعم وبغير تلعثم نقول، تطوان بوزن صنوان، هى الصيغـة الشائعة فـى عصرنا، ومن عهد ليس بقريب فى علمنا، وعقود الشهود، وصكوك الوثائق والرسوم بالعمل المشهود، كاف فى الحجة، بهذه المحجة، وما صدح به بلبل العلامة اليوسى فى الموضوع، لا تخش أن تقول هو مجرد تلفيق مصنوع، اذ العلماء مصدقـون فيما ينقلون، مبحوث معهم فيما يقولون، والتنويه بما ليس له سند ولا يعتمد، تعريج على مآل، اعرف الحق بالرجال، عكس الحقيقة فى المجال، فان الرجال بالحق يعرفون، وبه يوصفون. وكتب محمد سكيرج لطف الله به.

أهل تطاون أعرف باسم بلدهم من غيرهم، وهم كانوا ولا يزالون ينطقون بها «تطاون» واذا تكلم بعضهم مع بعض يخجلون أن يسموها «تطوان» ومن نطق بذلك عد ثقيلا متكلفا. أما غير التطاونيين فلهم أن ينطقوا بها كما أرادوا ت. و.

4) تأليف المختـار السمـاوى ومحمد كمـون ص 32 طبع تونس سنة 1354 ـ 1927

«وفى اقصى الجنوب توجد قريتا مدنين وفم تطاوين وهما مركزا بريد عند ابتداء الصحراء وبهما اسواق معدة لتبادل المصنوعات الاوربية بالنتائج المختلفة الواردة من السودان كريش النعام وعظم الفيل وجلود الحيوانات الوحشية الثمينة وغيرها الخ. وفى سنة 1376 هـ. 1957 م. كان عدد سكان هذه القرية 2599 نسمة .

وفى ناحية مدريد عاصمة اسبانيا، توجد مدينة صغيرة تسمى تطوان ويسميها الاسبانيون TETUAN DE LAS VICTORIAS

موقع تطوان من بلاد المغرب

«تطوان» مدينة من مدن «المغرب» وقطر المغرب كما هو معلوم يقع فى الشمال الغربى للقارة الافريقية ويحده شرقا قطر الجزائر وغربا المحيط الاطلسى وشمالا البحر الابيض المتوسط وفى جنوبه تقع الصحراء الكبرى التى تحد ببلاد السودان .

وهذا القطر هو الذى كان العرب قديما يسمونه «المغرب الاقصى» اى الابعد. لانه كان أبعد ما هو معروف من البلاد الواقعة غرب البلاد العربية، اذ كانوا يقسمون المغرب العربى الى ثلاثة اقسام :

المغرب الادنى وهو «تونس» وربما أطلق ايضا على طرابلس ـ القطر الليبى ـ

المغرب الاوسط وهو «الجزائر»

المغرب الاقصى وهو «المغرب» الآن.

وقد اصطلح عدد من الشرقيين على اطلاق اسم «مراكش» على قطر «المغرب» وهو اصطلاح لا نؤيده ولا نحبذه (1) بل نفضل ان يكون الاسم الرسمى لوطننا المحبوب هو «المغرب» لا مراكش ولا المغرب الاقصى وذلك لاسباب .

منها ان لفظ «المغرب» عربى معروف المعنى مطابق للواقع لان هذا القطر كما قلنا يقع فى غرب بلاد العرب التى هى مركز العروبة ومهبط الوحى، اما لفظ مراكش فغير عربى ولا معنى له مطلقا فهو غريب اللفظ عديم المعنى . ونحن نفضل اللفظ العربى الصحيح الموافق للغة القرآن الكريم، على لفظ غريب لا معنى له ولا مغزى.

---

1) اطلاق مراكش على المغرب ليس بقديم وانما هو انتحال من بعض المستشرقين الوافدين وتابعهم عليه فى زماننا هذا غالب الشرقيين ولله در المؤلف فى عدم تحبيذه واستنكافه من تأييد استعماله وتشييده م. س.

ومنها ان لفـظ مـراكش اذا اطلـق فى بـلاد المغرب « بـدون استثناء » فانـه لا ينصـرف الا للمدينـة المسمـاة بهـذا الاسـم وهى الـواقعـة فى الجنوب المغربـى ، وجميـع سكان المغـرب « مـا عـدا اهـل المدينـة المذكورة » اذا قلت لاحدهم هل انت مراكشى يقول لا ـ لانه يفهم انك تنسبه للمدينة المذكورة ـ ويقول لك بل انا فاسى او مكناسى او سلـوى او رباطـى مثلا، او يقول لك بل انا مغربى، ومن التعسف ان يطلق علـى اى قطـر مـن الاقطار اسم لا يطلقه عليه اهله بل يوقع سامعه فى الالتباس او الخطأ ...

ونرى أنه لا موجب الآن لوصف المغرب «بالاقصى» ما دامت كلمتا المغرب الادنى والمغرب الاوسط لم يبـق لهمـا استعمـال، للاستغناء عنهما بكلمتى «تونس» و «الجزائر» .

والمسألة مسألة تعود، فاذا تعود اخواننا الشرقيون (هداهم الله) اطلاق لفظ «المغرب» على هذا القطر فى صحفهـم وكتبهم كما يطلقون على القطرين المجاورين لفظتى «تونـس» «والجزائر» وصاروا اذا ارادوا النسبة لاحد هذه الاقطار الثلاثة التى يتكون منها المغرب العربى، يقولون، «تونسى» او «جزائرى» او «مغربى» صار ذلك عاديا عندهم وعند الناس اجمعين وصار لفظ مراكش كما كان فى الاصـل، خاصـا بالمدينة المشهورة حفظ الله أهلها ورحم مؤسسها سلطان المغرب ومنقذ الاندلس يوسف بن تاشفين حيا الله عهده، عهد الشرف والعز والبطولة والمجد .

ومن المعلوم أن الاجانب هم الذين حرفوا لفظ مراكـش وصاروا يطلقونه على جميع قطر «المغرب» (I) ولعل اخواننا الشرقيين مقلدون لهؤلاء الاجانب فى ذلك. فاسم المغرب عند الاسبانيين هو MARRUECOS وعند الفرنسيين MAROC وعند الانجليزيين MOROCCO وعند الالمانيين MAROKKO MAROCCO وعند الايطاليين MAROCCO ولى هنا اقتراح أرجو الله تعلى ان يوفق لتنفيذه

(I) يظن أن تسمية الاجانب للمغرب بمراكش، سببها ان مراكش (المدينة) كانت عاصمة المرابطين والموحدين، الذين كـان لهم ذكر صائت فى اوربا، واعتادوا ان يطلقوا على ملك المغرب اسم «سلطان مراكش» نسبة الى عاصمة ملكه، وشاعت هذه التسمية، حتى توهم الناس ان مراكش اسم القطر وليس اسم المدينة، والا فما عرف التاريخ ان المغرب سمى «مراكش» قبل بناء هذه المدينـة .

وها نحن فى انتظار الدولة المغربية الفتية ان تصدر امرا تبين فيه ان تسمية البلاد انما هى «المغرب» وليست «مراكش» بحيث ان من كتب «مراكش» يعنى بها المغرب لا تحمل رسائله فى البريد، ولا تعتمد فى المواصلات ، ولا فى وجه من وجوه الاقتصاد . وقد فعلت تركيا ذلك فى اصطنبول فحررتها من كلمة «قسطنطينية» وهذا يتم اذا تخلصت البلاد من المتفرنسين الذين يحتقرون كل شىء اسلامى عربى

ت. و.

حكومتنا المغربية الوطنية الناهضة الحازمة، وهو أن تصدر مرسوما تعلن فيه رسميا لدول العالم باللغتين، العربية والافرنجية، أن اسم وطننا هو «المغرب» هكذا يكتب بالحروف العربية، أما فى اللغات الافرنجية كلها بدون استثناء فيكتب هكذا : ALMAGREB بدل ماروك ومرويكوس وموروكو الخ. اللهم اهد حكومتنا واهد اخواننا الشرقيين ءامين .

ومدينة تطوان تقع فى الشمال الغربى من بلاد «المغرب» وشاطىء البحر الابيض المتوسط يقع شرقيها ويبعد عنها بنحو عشر كيلومترات.

ومدينة سبتة «المغربية الاصل» المشرفة على بوغاز جبل طارق، تقع شمالى تطوان وتبعد عنها بنحو أربعين كيلومترا . ومدينة طنجة الواقعة على المحيط الاطلسى تقع غربى تطوان وتبعد عنها بنحو ستين كيلومترا. ومدينة شفشاون تقع جنوبيها وتبعد عنها بنحو ستين كيلومترا . ومدينة مليلية «المغربية الاصل ايضا» تقع فى الجهة الشرقية منها وتبعد عنها بنحو 430 كيلومترا ومدينة اصيلا الواقعة على المحيط الاطلسى تقع فى الجهة الغربية منها وتبعد عنها بنحو ثمانين كيلو مترا . ومدينة العرائش كذلك وتبعد عنها بنحو مائة كيلومتر . ومدينة القصر الكبير تقع جنوبى تطوان وتبعد عنها بنحو مائة وأربعين كلومترا . وكذلك مدينة وزان ، وتبعد عن تطوان بنحو مائة واربعين كيلومترا عن طريق شفشاون، وبين مدينتى تطوان وفاس «عن طريق القصر الكبير» نحو 300 كيلومتر. (1) وبين تطوان ومكناس نحو 280 كيلومترا وبين تطوان وسلا مع رباط الفتح نحو 300 كيلومتر. وبينها وبين مدينة الدار البيضاء نحو 400 كيلومتر . وبينها وبين مدينة مراكش الواقعة فى اقصى الجنوب المغربى، نحو 630 كيلومترا .

فمدينة تطوان واقعة فى الشمال الغربى لبلاد المغرب، الواقعة فى الشمال الغربى من قارة افريقيا. وهى حسب اصطلاح الجغرافيين القدماء واقعة فى الاقليم الرابع الذى يصفه ابن خلدون بأنه أعدل العمران، ويصف سكانه بأنهم اعدل اجساما وألوانا واخلاقا.

وضعية تطوان

وقد كانت «تطوان» فى جميع اطوارها منذ تشرفت بالاسلام وطلعت عليها شمس العروبة المجيدة السمحاء ، مدينة عربية اللغة والثقافة مغربية الجنسية تابعة فى حكمها للسلطة المغربية الاسلامية، فلم تحكمها السلطة الاجنبية الا

---

(1) اى الطريق المعتاد سلوكه الآن وتوجد طريق بالجبل بين تطوان وفاس على أقل من ثلث هذه المسافة ولكن الآن لا يسلكها الا المشاة. م. س.

فى الحرب الاسبانية المغربية التى كانت عام 1276 هـ. 1860 م. فلما انعقد الصلح بين دولتى المغرب واسبانيا عاد الى تطوان، الحكم الأسلامى المغربى الخالص واستمر ذلك الحكم بها الى ان نشرت الحماية الاسبانية والفرنسية على جميع المغـرب، فاذ ذاك استقـرت السلطة الاسبانية بتطوان ونواحيها وكان ذلك عام 1331 هـ. 1913 م. واذ ذاك ألفت فى هذه المدينة حكومة وطنية ـ على رأسها خليفة عن سلطان المغرب ـ تحـت حماية الدولة الاسبانية، ومـن ذلك الحين صارت «تطوان» عاصمة شمال المغرب الذى كنا نطلق عليه مؤقتا اسم «المنطقة الخليفية» كما كنا نطلق على بقية بلاد المغرب اسم «المنطقة السطانية»

اما الاجانب فكانوا يسمون شمال المغرب بمنطقـة الحماية الاسبانية ، كما كانوا يسمون جنوب المغرب باسم منطقة الحماية الفرنسية، وكان بعض المتعصبين منهم قبل ذلك يسمى الاولى بالمنطقة الاسبانية، والاخيرة بالمنطقة الفرنسية كما كان بعض الاغبياء قبل ذلك ايضا يسمى الاولى بالمغرب الاسبانى والثانية بالمغرب الفرنساوى ...

وكم كنا نأسف حينما كنا نرى بعض اخواننا الشرقيين يقلدون اولئك الاغبياء فـى تلك التسمية السخيفة التى كان أصحابها يجهلون الحقيقة التى هى أن المغرب ما كان منذ أشرقت شمس الاسلام عليه، الا قطرا اسلاميا عربيا ولن يكون ابدا الا قطرا اسلاميا عربيا، وان وجود السلطات الاجنبية فيه انما كان بمقتضى معاهدات قانونية، واتفاقات دولية، وبصفة مؤقتة لها غاية، ولمدة محدودة لابد لها من نهاية يسود بعدها الاتفاق والوئام، وتزول اسباب الشقاق والخصـام واذ ذاك يعيش المغـرب حرا مستقـلا قويا عالما غنيا عزيزا الجانب عظيم المكانة متفقا مع اصدقائـه الحقيقييـن متعاونا معهم، يوالى من يحترمه ويواليـه ويجافـى من يناوئـه ويعاديه، وما ذلـك علـى الله سبحانه بعزيز (1)

هل ألفت كتـب فـى تاريخ تطوان ؟

هل توجد مؤلفات فى تاريخ تطوان ؟ وهل طبع شىء من تلك المؤلفات ؟ هذان سـؤالان ألقيا علي وعلـى غيرى مـرارا، والجواب أنه الى الآن لم يطبع باللغة العربية اى كتـاب مؤلف فى تاريخ تطوان، الا أنه يوجد فى الموضوع كتابان، أحدهما للفقيه السكيرج التطوانى، والآخر للفقيه الرهونى التطوانى.

---

1) تركت هذه الفقرات كما كتبت أولا فى عهد الحمايتين حفظا لعواطفنا وآمالنا فى ذلك العهـد .

أما كتاب السكيرج فالظاهر أنــه يقع فى جــزء واحد صغير الحجم (I) ولم أقف على نسخة كاملة منه حتى الآن، وقد اثبت شيخنا الرهونى في تاريخه جل ما احتوت عليــه الاوراق الموجودة من هــذا الكتاب الذى لا ندرى هل تم تأليفه ام لا ؟

وأما تأليف شيخنا الرهونى فهو كتاب تام يقع فى عشرة اجزاء متوسطة الحجم، وقد أعارنى مؤلفه رحمه الله نسخته الاصلية التى كتبهــا كلهــا بخطه ، فطالعتهــا ونقلت منهــا فوائــد كثيرة استفدت منها عند تأليف كتابى هذا فى مواضع عديدة .

وقــد وقفــت ايضــا علــى تقاييد مختلفــة فى مجاميــع واوراق مخطوطة فيها كلام قليل او كثير على تطوان وبعض متعلقاتها من سكان وحوادث واخبار وهذه التقاييد منها ما عرف كاتبه ومنها ما جهــل، وسأنسب كل شىء لصاحبه او لمحله كلما نقلت شيئا من ذلك فى كتابى هذا بحول الله. ودونك وصفا موجزا لكتابى السكيرج والرهونى والتقاييد التى استفدت منها فى الموضوع .

«نزهــة الاخــوان» ـ تأليف السكيرج

مؤلفه هو الفقيه العــدل ابو محمد عبد السلام بن احمد سكيرج التطوانى ولد فى أواسط القرن الثانى عشر بمدينة تطوان وبها نشأ وقرأ القرآن وبعض العلوم على شيوخها ثم انتقل الى فاس وقرأ بها مختلف العلوم ايضا على شيوخ القرويين ثم رجــع الى بلده تطــوان حيــث قضى عمره الطويل مشتغلا بحرفة العدالة وربما اشتغل فــى بعض الاوقــات بالتدريس وبالتوقيت وكان له خط جميل وقفت عليه فى كثير من الوثائق العدلية المتقنة المحررة

وقد ألف فى تاريخ تطوان كتابا فيه فوائد تاريخية لم توجد فى غيره ، وعنه نقلها من كتــب عن تطــوان من بعده، الا ان فيه معلومات خرافية خيالية، ولغته بسيطة، وفيه الفاظ وتعبيرات عامية وجمل كثيرة مكررة، مما يدل على ان صاحبه لم ينقحه تنقيحا. وقد اطلعنى شيخنا الرهونى علــى نحو ثمانين صفحة من هذا الكتاب فوجدت مؤلفه يقول فى مقدمته ما نصه :

«وبعد فقد طلب منى بعض الاخوان، ان اجمع له ما افترق مــن احاديث تطوان، وما والاها من الاخبار الحسان، ومن حكم فيها من الحكام طول الزمان ، وذكر الاولياء الذين لهم هناك أضرحة، والعلماء السالكين فيها سبل الانصحة، فاعتذرت له جهدى فلم يقبل عذرى فقمت على ساق وعزم، وشمرت عن ساعد

I) بل هو فى جزءين كل جزء من المربع لا يقل عدد أوراقه عن 250 . قاله من كان يملكه واختلس من خزانته محمد بن العياشى سكيرج كان الله له.

حزم، مستعينا بالله الجواد الحكيم القدير، انه نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة الا بالله سبحانه، اذ هو العليم الخبير، وسميته :

«نزهة الاخوان، وسلوة الاحزان، فى الاخبار الواردة فى بناء تطوان، ومن حكم فيها او تقرر (I) من الاعيان» وفصلته على فصول، ليعلم من يممه من اين الدخول، والى اين الوصول»

ثم عقد الفصل الاول وذكر فيه تاريخ البناء الاخير لتطوان وهو الذى قام به بعض الاندلسيين سنة 888 عقب هجرتهم من الأندلس الى المغرب، وذكر ايضا تاريخ بناء بعض مساجدها واقسامها ثم تكلم على بعض ولاتها بالاجمال ثم توسع فى الكلام على ولاية القائد النقسيس التطوانى والقائد الحمامى الريفى والفقيه عمر لوقش الاندلسى التطوانى، وتكلم على الحرب الاهلية المشئومة التى قتل فيها بتطوان آلاف من الناس، وهى المعروفة «بعيطة السبت» ثم تكلم على بقية القواد الذين حكموا تطوان وتواريخ بعضهم وذكر بعض اعمالهم الى عهد القائد محمد اشعاش الذى كان حاكما بتطوان فى عهد السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام وهو زمن تأليف الكتاب، اى ان المؤلف كتب تأليفه او زاد فيه وقد تجاوز الثمانين او التسعين من عمره .

وقد استطرد السكيرج فى هذا الفصل اخبارا ونوادر وغرائب عن سلاطين المغرب وبعض حوادثه ولكن بدون تثبت فى النقل ولا تعمق فى البحث، ولا استقراء للحوادث المهمة، وقد استغرق ذلك نحو اربعين صفحة .

ثم عقد فصلا آخر ترجم فيه للعلماء الذين قرأ عليهم بتطوان وفاس فذكر من شيوخه بتطوان، الفقهاء، الحايك، وابن قريش، وابن رحمون، والجنوى ، وابن عجيبة، ومدينة، والرشاى، وافيلال، وابن ريسون الخ. ومن شيوخه بفاس الشيخ التاودى بن سودة والشيخ محمد بنانى محشى الزرقانى الخ. وقد استغرق الكلام على هؤلاء الشيوخ نحو ثلاثين صفحة ، وهنا يقع البتر فى النسخة التى وقفت عليها.

ثم نجد فصلا آخر لم نقف على أوله، ويظهر أنه عقده للكلام على صلحاء تطوان وعلمائها، وهنا نجد الكلام على السادات: الفاسى، وابن مرزوق، ومصباح، والصعيدى، واليوسفى، وبن ريسون ، وكرازو وغيلان ، وقد استغرق ذلك نحو عشر صفحات . وهنا ينتهى ما فى النسخة المذكورة ، وهى نسخة استاذنا الرهونى وقد كتبت بخطوط مختلفة منها الجيد ومنها الردىء المصحف الذى لا يكاد يقرأ .

وكانت وفاة الفقيه سكيرج مؤلف هذا الكتاب بمدينة تطوان عام 1250 رحمه الله .

I) لعله يريد استقر

«عمدة الراوين» ـ تأليف الرهونى

اسم هذا الكتاب هو «عمدة الراوين» ومؤلفه هو شيخنا الفقيه العلامة المشارك قاضى القضاة ووزير العدلية سابقا ابو العباس احمد بن محمد الرهونى التطوانى من أجل علماء المغرب فى عصرنا. ولد «رحمه الله» بتطوان يوم الاربعاء ثامن جمدى الاخيرة عام 1288 . وقد نشأ بهذه المدينة وبها قرأ القرآن والعلوم الأسلامية العربية ثم ارتحل الى فاس فقرأ على شيوخها ثم رجع الى بلده تطوان فتولى بها وبغيرها جملة وظائف ما بين عدالة وفتوى وقضاء ووزارة ثم شغل وظيف مفتش للتعليم الاسلامى ثم عين رئيسا للمجلس الاعلى للتعليم المذكور الى ان توفى رحمه الله .

وقد ألف كتبا عديدة فى مختلف العلوم ، وكتابه فى تاريخ تطوان يختلف تمام الأختلاف عن كتاب السكيرج، سواء فى حجمه او فصوله او أسلوبه، ويصح أن يوصف بأنه موسوعة جمع فيها المؤلف ما وقف عليه من تاريخ مدينة تطوان وسكانها وكل ما له علاقة بذلك وبحياته العلمية ، ومعلوماته التاريخية مع استطرادات كثيرة استغرقت جل الكتاب ، وهذه الاستطرادات كلها تلخيصات مفيدة فى موضوعها خصوصا وان اصولها ليست فى متناول جميع الناس.

وكتاب «عمدة الراوين» يحتوى على عشرة اجزاء ، ويظهر ان مؤلفه أخذ فى تاليفه وترتيب فصوله عام 1342. لانه يذكر فى آخر المجلد الاول منه أنه فرغ من جمعه فى 14 ربيع الثانى عام 1343. وفى آخر المجلد الثانى انه فرغ منه فى ربيع الاول عام 1344 . وفى آخر المجلد الخامس انه فرغ منه فى محرم عام 1343 وفى آخر المجلد السابع انه فرغ منه فى رمضان عام 1344 الخ. وفى أماكن داخل الكتاب يذكر بعض حوادث سنة 1349. وهكذا يظهر بوضوح أن الكتاب ألف فى العقد الخامس من هذا القرن ـ أى بين 1340 و 1350 ـ الا أنى رأيت المؤلف يزيد فيه وينقص منه ويصلح تواريخ ويتدارك حوادث واخبارا ومعلومات بعد التاريخ المذكور بعدة سنين. والموجود الآن من هذا الكتاب ثلاث نسخ كاملة لا رابع لها فيما أعلم حتى الآن (1374 ـ 1954) وهذا بيانها :

النسخة الأولى كتبت كلها بخط المؤلف نفسه وهى فى عشر مجلدات بخط واسع فى ورق جيد متوسط الحجم . وهذه النسخة هى الاصل وعنها نقلت النسختان الاخريان. وهى الآن محفوظة فى قسم المخطوطات بالخزانة العمومية التى هى ملك للحكومة بتطوان . وكان المؤلف قد باعها فى اواخر عمره لاحدى ادارات الحماية الاسبانية حينما اشتدت به الضائقة المالية وكثرت عليه الديون والامر لله.

النسخة الثانية تقع فى عشر مجلدات ايضا كلها مكتوبة فى حياة المؤلف وتحت اشرافه بخط جميل واسع ايضا فى ورق جيد كبير الحجم، وناسخها

هو الفقيه الكاتب مولاى الطيب العلوى المتوفى بتطوان فى العقد السادس من هذا القرن . وهذه النسخة كان المؤلف قد أهداها لبعض الدوائر الرسمية ثم تقلبت الاحوال فعادت الى يد المؤلف فأهداها لصديقنا ورفيقنا الاستاذ المجاهد المخلص السيد عبد الخالق الطريس سنة 1356 وهى الآن فى ملكه حفظه الله.

وربما وجد اختلاف طفيف بين النسختين وان كانت الثانية منقولة عن الاولى ، لان المؤلف كما قلنا كان ينقح النسخة التى بخط يده من حين لآخر كما أن النسخة الثانية ربما وجدت فيها طرر وتصحيحات تاريخيـة كتبها بعض المطالعين لها فانفردت بذلك دون نسخة المؤلف .

النسخة الثالثة تقع فى عشرة اجزاء جلدت فى ثلاث مجلدات وكل جزء من الاجـزاء العشرة يتـراوح عـدد صفحاته «المخطوطة» بين المائة والخمسين والمائتين، وهذه النسخة ورقها وخطها عاديان، وقد كتبت لى بخطوط اشخاص مختلفين .

فالجزء الأول مكتوب بخطـي، وقد نقلتـه من خط المؤلف عـام 1344. أى بعـد تأليفه بعام واحد، والجزء الثانى كتبته بخطى ايضا من نسخة المؤلف عام 1344. أى فى سنـة تأليفه نفسهـا . والجزء الثالث جلـه بخطى وبعضه بخط المرحوم الاستاذ عبد السلام بن جلون (المتوفى بتطوان فى 18 شوال عام 1356) وكان فى تاريخ نسخه تلميذا لى بالمدرسة الاهلية .

والجزء الرابع بعضه بخطى وبعضه بخط الاستاذين محمد بن علال عزيمان، ومحمد بـن عبـد السلام الدليرو وكانـا وقـت نسخه من تلاميـذى بالمدرسة الاهلية ايضا .

والجزء الخامس أوله بخطى وجله بخط الفقيه السيد عبد الرحمن القطان وكان وقت نسخه وهو عام 1361 موظفا بالمعارف فى تطوان حينما كنت مديرا لها.

والجزء السادس اوله بخط الفقيه العدل السيد عبد الرحمن بروحو ، (وكان فى تاريخ نسخه كاتبا لى بادارة المعارف) وجله بخط الفقيه القطان المذكور .

والجزء السابع كله بخط الكاتب الشريف سيدى عبد الله ابن الشيخ سيدى ادريس الحراق ، وكان زمن نسخه وهو عام 1361 كاتبـا لـى بـادارة المعارف ايضا .

والجزء الثامن كله بخط الفقيه القطان المذكور .

والجزء التاسع كله بخط الشريف الحراق المذكور .

والجزء العاشـر ابتدأه القطـان فتوفى رحمـه الله فأكمل نسخه الطالـب السيد محمد عزوز عام 1362 . وكان فى ذلك العهد من موظفى ادارة المعارف ايضا ثم تولى القضاء بغمارة وتوفى قاضيا بها .

وهذه النسخة هى الآن فى خزانتى «الداودية» والاجزاء الاربعة الاول منها منقولة من خط المؤلف، والستة الباقية منقولة من النسخة الثانية التى كتبها المرحوم مولاى الطيب العلوى . وهذا بيان فصول هذا الكتاب ومحتوياته

نجد فى اول الجزء الاول منه بخط مؤلفه ان اسمه عمدة الراوين ، فى التعريف ببعض علماء وصلحاء تطاوين لعبد ربه احمد الرهونى لطف الله به ثم نجد المؤلف نفسه يكتب بخطه فى مواضع اخرى ان اسم الكتاب هو «عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين» .

وقد ذكر المؤلف فى أول الكتاب أنه لما قرأ كتاب سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس فيمن أقبر بمدينة فاس، لشيخه أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى ، تاقت نفسه لكتابة تاريخ صلحاء تطاوين وعلمائها، وذكر انه وقف على تاريخ السكيرج الذى سبق لنا وصفه» وانه سيلم ببعض ما اشتمل عليه. ثم اتى المؤلف بمقدمات فى فوائد التعريف بالعلماء والاولياء ، وذكر الزيارة وكيفيتها واتخاذ المواسم ، مما يدل على ان الفكرة الاولى للمؤلف كانت قاصرة على كتابة تاريخ صلحاء تطوان وعلمائها ، وأنه لما أخذ فى البحث والتقييد توفر لديه من المواد ما حمله على التوسع فى الموضوع وتحويله الى تاريخ عام لتطوان وسكانها ، بدل الاقتصار على علمائها وصلحائها ثم توسع فى ذلك فاثبت بعض مذكراته ورحلاته وفهارس اشياخه ومقروءاته ، ولخص كتبا وتقاييد له ولغيره كما سترى .

وعقد المؤلف فصلا فى تحقيق اسم هذه المدينة ، ثم فصلا آخر فى تاريخ بنائها وما مر عليها من الاطوار ووقع فيها من الحوادث، وهنا استطرد الكلام على مبدإ عمارة الارض معتمدا فى ذلك على تواريخ ابى الفدا وابن خلدون وغيرهما، فذكر ءادم ثم بقية الانبياء ثم تكلم على ملوك فارس وفراعنة مصر وملوك اليونان والروم والعرب قبل الاسلام ثم تكلم على اليهود والنصارى وعلى الهنود والصينيين والكنعانيين والبربر ، ثم تكلم على التاريخ الاسلامى وملوك الدولتين الاموية بالشام والعباسية بالعراق ومصر ثم الدولة الادريسية بالمغرب ثم العبيدية ثم الدولة الاموية بالاندلس ثم تكلم على ملوك اسبانيا الى الفونسو الثالث عشر الذى كان ملكا زمن تاليف الكتاب ثم تكلم على ملوك المغرب من زمن الفتح الاسلامى الى وقت التاليف ، واستطرد الكلام على دول أخرى بالشرق كدولة آل عثمان وغيرها .

ثم عاد المؤلف لموضوع الكتاب فتكلم على تاريخ بناء تطوان، وهنا أثبت فصلا مطولا يتعلق بتطوان وتاريخها مترجما عن مجموعة الارشيف ماروكان Archives Marocaines وهذا الفصل يتحدث عن تطوان فيما قبل التاريخ وفى القرن الاول للميلاد ، ثم تاريخ هذه المدينة ونواحيها وآثارها وأطوارها من ذلك العهد الى

عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوى المتوفى فى 24 رجب 1204. موافق 11 ابريل سنة 1790.

ويلاحظ أنه قسم أطوار تطوان الى خمسة وعشرين طورا وقد استغرق ذلك نحو ثلاثين صفحة عادية .

ثم اشار المؤلف اشارة خفيفة الى حرب اسبانيا والمغرب عام 1276-1860م

ثم اشار كذلك الى ثورة القبائل الجبلية ضد تطوان عام 1320 . ثم تكلم باختصار على دخول الاسبانيين لتطوان عام 1331.

وفى الفصل الثالث تكلم المؤلف على موقع تطوان الطبيعى ، وفى الرابع تكلم على جوها وهوائها ، وفى الخامس تكلم على صفتها ، وفى السادس تكلم على اقسامها وحوماتها ، وفى السابع تكلم على فواكهها وخضرها وحبوبها، وفى الثامن على صناعاتها وتجارتها. وهنا استطرد الكلام على العلوم والكتب التى تقرأ بها . وبذلك ينتهى الجزء الاول من الكتاب ، وأقدر أنه لو طبع طبقا عاديا لخرج فى نحو مائتين وخمسين من الصفحات ، وكل واحد من الاجزاء التسعة الباقية يقع فى مثل هذا الحجم تقريبا .

والجزء الثانى من الكتاب يبتدئه المؤلف بالفصل التاسع فى عدد سكان تطوان وأديانهم ومذهبهم وطرقهم الخ. ثم يتبعه بالفصل العاشر فى عدد دورها ومساجدها ومدارسها وحماماتها الخ. وهنا تكلم على تاريخ بناء بعض المساجد والزوايا .

وفى الفصل الحادى عشر تكلم على عمالها أى حكامها ابتداء من أبى الحسن المنظرى (الذى اشرف على بنائها الاخير سنة 888) الى وقت التأليف، وقد ذكر المؤلف أنه اعتمد فى هذا الفصل على تاريخ السكيرج الا أنه صحح بعض أخطائه وزاد عليه تواريخ الولاة الذين تواردوا على تطوان من لدن وفاة السكيرج سنة 1250. الى عهد المؤلف. وقد ذكر فى هذا الفصل اربعة وخمسين واليا آخرهم هو السيد عبد الكريم بن احمد اللبادى الذى كان هو باشا تطوان فى تاريخ كتابة المؤلف لهذا الفصل وهو عام 1344 .

ثم استطرد المؤلف الكلام على الاتفاق المنعقد سنة 1904 بين انجلترا وفرنسا وأثبت مضمن فصوله .

ثم تعرض لزيارة غليوم الثانى امبراطور المانيا لمدينة طنجة .

ثم تكلم على مؤتمر الجزيرة الخضراء ومقرراته .

ثم تعرض للحوادث التى سبقت نشر الحماية ، ثم تكلم على نشر الحماية على المغرب واحتلال فاس واتفاق فرنسا واسبانيا على اقتسام المغرب ودخول اسبانيا لشمال المغرب وتولى الامير مولاى المهدى بن اسماعيل العلوى منصب الخلافة عن سلطان المغرب فى مدينة تطوان التى اتخذت عاصمة لشمال المغرب .

ثم وصف المؤلف حكومة الخليفة المذكور ووزيره ابن عزوز وبقية الوزراء والكتاب، وكان المؤلف نفسه يتولى وزارة العدلية بهذه الحكومة فى ذلك التاريخ، وذلك من سنة 1331 الى زمن تاريخ كتابته لذلك الفصل وهو عام 1342

ثم ذكر المؤلف اسماء الحكام الاسبانيين لتطوان ونواحيها اثناء تلك المدة وهم الخنرالات : ألفاو ، ومارينة ، وخوردانا ، وبرنگيـر ، وبـورگيطـى ، واسبورو ، وبريمو دى ريفيرا .

ثم ذكر فى الفصل الثانى عشر أسماء وتواريخ من عرف من قضاة تطوان منذ تاريخ بنائها الى عام 1344 . وكان المؤلف نفسه هو قاضيها ايضا فى ذلك التاريخ زيادة على قيامه بوظيف قاضى القضاة ووزير العدلية .

ثم ذكر فى الفصل الثالث عشر عادات اهل تطوان فى المعيشة واللباس والزواج والولادة والفطام والختان والجنائز ، وفى المواسم والاعياد وفصول السنة الخ .

وفى الفصل الرابع عشر تكلم على أخلاق أهل تطوان، وبذلك ينتهي الجزء الثانى من الكتاب .

والجزء الثالث ابتدأه المؤلف بالفصل الخامس عشر فى لغة أهل تطوان، ومواد هذا الفصل مرتبة على حروف المعجم، وقد استغرق هذا الفصل جميع الجزء الثالث من الكتاب، وفى اثنائه تكلم على تواريخ عائلات وتراجم أفراد منها ما بين أحياء وأموات .

والجزء الرابع ابتدأه بالفصل السادس عشر فى التعريف بعلماء تطوان وشيوخها وأوليائها وذكر من لهم بها زوايا أو مزارات .

وهنا أثبت المؤلف منظومة تائية له فى رجال تطوان، وهذا أولها :

هذا ذيك هذا الربع ربع أحبتى ... وموطن ساداتى وعين محبتى
وهذى قباب شيدت بمكارم ... علت اذ علا سكانها بمشيئة

وعدد أبيات هذه المنظومة مائتان وخمسون، وقد ختمها بقوله .

على جمعهم رضوان ربى وفضله ... واحسانه دنيا ويوم القيامة
بجاه امام المرسلين محمد ... عليه صلاة الله ثم تحيتى
وءاله والاصحاب طرا ومن تلا ... هذا ذيك هذا الربع ربع أحبتى

ثم شرع المؤلف فى شرح هذه المنظومة، وأثناء شرحها أثبت تراجم وتواريخ كثير من علماء تطوان وصلحائها ومشاهير رجالها، ولم يقتصر على ذلك ؛ بل ذكر عددا من الاشخاص العاديين بها .

وفى الجزء الخامس تابع شرحه للمنظومة المذكورة، وقد توسع فى الكلام علي الشرفاء الريسونيين من عهد سيدى محمد بن على المتوفى عام 1018 الى تاريخ المؤلف، وفيه ترجمة مطولة للشيخ سيدى عبد السلام بن ريسون المتوفى بتطوان عام 1299 .

ثم تابع المؤلف شرح المنظومة المذكورة فى الجزءين السادس والسابع ، وفى هذا الاخير تكلم على الشيوخ الذين لهم بتطوان زوايا، فترجم للشيخ مولاى عبد القادر الجيلانى، ومولاى عبد السلام بن مشيش، والشيخ محمد بن عيسى، والشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسي، والشيخ محمد بن الفقيه، والشيخ محمد بن ناصر، والشيخ أبى العباس السبتى، والشيخ محمد الوزانى، والشيخ محمد الكتانى، والشيخ ابن عبد المومن الغمارى، رحم الله الجميع، وبذلك ينتهى الجزء السابع .

والجزء الثامن تكلم فيه بتوسع على الشرفاء البقاليين، ثم ترجم بتطويل للشيخ أبى العباس التجانى رحمه الله .

ثم ترجم المؤلف لنفسه فذكر تاريخ حياته ومقروءاته وشيوخه ورحلته العلمية الى فاس، ثم ذكر وظائفه ومؤلفاته وأهله وأولاده . وترجم لشيخه أبى العباس ابن الخياط رحمه الله .

وفى الجزء التاسع أثبت تراجم شيوخه بفاس، فترجم للشيخ محمد ابن جعفر الكتانى ، والشيخ محمد كنون (كنيون) والشيخ محمد القادرى ، والشيخ احمد بن الجيلالى، والشيخ محمد الصنهاجى «ماني» والشيخ التهامي كنون، والشيخ عبد السلام الهوارى، والشيخ المهدى الوزانى .

وفى الجزء العاشر ترجم للشيخ جعفر الكتانى .

وفى هذه الاجزاء الاخيرة أثناء ترجمة الفقيه لبعض شيوخه، أثبت اختصاره لبعض تآليفهم وفهارسهم . كما أنه عند الكلام على شيوخ الطرق الصوفية، أثبت نصوص أحزابهم وأذكارهم .

ثم ذكر المؤلف مذهبه وطريقته ، وأثبت نصوص بعض تقاييده وخطبه ومنظوماته، وبذلك ينتهى الكتاب رحم الله مؤلفه وجزاه على مجهوده العظيم خير الجزاء .

وقد طالعت هذا المؤلف الجليل فوجدت فيه «كما قلت» موسوعة عامرة عن تطوان وأهلها ومتعلقاتها، وعن المؤلف وحياته العلمية ومعلوماته التاريخية ولا أعرف احدا تكلم بتوسع على مدينة من مدن المغرب كما تكلم شيخنا الرهونى رحمه الله على مدينة تطوان وسكانها .

والمنصفون «الذين يعترفون بالفضل لذويه» كلهم يعترفون بأن لشيخنا الرهونى على تاريخ تطوان فضلا عظيما. وبعض الناس ينتقدون عليه طرقة

لبعض الموضوعات، والمبالغة في حسن الظن ومدح بعض الجهات، والمداراة لبعض الهيآت الخ. ويرون ان الكتاب جليل ومفيد لولا ما فيه من الضعف في هذه الناحية أما المؤلف « وان له من العلم والمشاركة والاطلاع ما يجعل له رأيا وأى رأى» فيرى أن ما فعله هو الصواب، وأن ما ينتقد عليه ليس مبنيا على أسس علمية، أو حقائق تاريخية، وانما هو صادر عن الاختلاف في المبادىء والمذاهب والتباين في الاذواق والمشارب، والواقع أن كل مؤلف أو كاتب محترم، له غيرة على كتابه وانتاجه، فهو لا يثبت من ذلك الا ما يعتقد أنه عين الصواب ، وأنه خير ما يمكن أن يكتب في موضوعه، على أن الاختلاف فيما أرى، انما هو اختلاف في تفضيل احدى طريقتين على أخرى، فالفقيه الرهوني سلك طريقة عدم التصنع في تاريخه، فأثبت الحالة كما هي أو كما يراها أو يعتقدها هو بمحاسنها ومساويها ، وحقائقها وخرافاتها ، وكم من أشياء يعدها أناس من الخرافات، ويعتقد آخرون أنها عين الحقائق. وقد كتب تأليفه بالاسلوب الذي كتب به امثاله من المتقدمين، وهذه الطريقة هي التي تعطي المطالع صورة حقيقية عن البلاد التي يقرأ عنها وعن مبلغها من العلم والحضارة والتفكير والثقافة، أو بالتدقيق تعطي صورة عن المعلومات الشخصية للمؤلف وطريقة تفكيره ومبلغ علمه ، وعن الوسط الذي يعيش فيه هو ومن في طبقته ، خصوصا اذا كان يعتمد على علمه ومحفوظاته ومذكراته أكثر من الرجوع الى نصوص الوثائق والمستندات كما هو الواقع في تاريخ أستاذنا الرهوني رحمه الله.

وهذه الطريقة قد يعد بعضهم صاحبها صريحا مؤديا للامانة التاريخية، ذاكرا للحقائق المجردة، واصفا للاشياء كما هي خدمة للحقيقة والتاريخ، وقد يعده البعض الآخر حاطب ليل، قاصرا ضعيفا لا يفرق بين الغث والسمين ، ولا يميز بين النافع والضار ...

اما الطريقة الاخرى فهي طريقة التنقيح والغربلة وتعمد إثبات المحاسن وحدها عند ارادة المدح للاشخاص والاشادة بالاعمال، والبحث عن المساوي واشهارها عند ارادة ذم الافراد او الهيآت، وتزييف الاقوال او الافعال. ولكل من الطريقتين محبذون ومنتقدون، والناس في مذاهبهم وآرائهم مختلفون، والمؤلفون منهم من يكتب عن عقيدة واخلاص ومنهم من يكتب عن هوى واغراض، او عن سياسة او تضليل، والسياسة والتضليل يتآخيان في كثير من الاحوال .

واني ارى ان يكتب كل واحد التاريخ بالطريقة التي يرى انها الصواب ، ويثبت في تاليفه ما لديه من معارف وتحقيقات ، ووثائق ومستندات ، ثم ما على من يخالفه في الرأي والاتجاه ، الا ان يؤلف هو ايضا بالطريقة التي يرضاها،

وميدان الكتابة والتأليف والنشر متسع للجميع ، ولا شك ان كل واحد يجد موافقين محبذين ، ومخالفين منتقدين ، وهكذا هى الحياة .

ورضا البعض فيه للبعض سخط ورضا الكل غاية لا تنال
ومن رام الكمال ، رام المحال

على أن تاريخ استاذنا الرهونى بالرغم من كل ما عسى ان يقول فيه المتقولون، ان هو الا كتاب مشحون بالفوائد التاريخية التى انفرد بها ، ولولاه لانطمست معالمها وانقطع خبرها ، وان الانصاف ليوجب على كل معتن بتاريخ المغرب عموما ، وتاريخ تطوان خصوصا ، ان يقر بالفضل العظيم لشيخنا الفقيه الرهونى الذى بذل من جهوده ما بذل ، وسهر من الليالى ما سهر ، لجمع اصول هذا التاريخ ، والبحث والتنقيب عن الحوادث والاخبار والحكايات من الافواه والمقيدات والرسوم ، وذلك شىء لم يتيسر لاحد من قبله فيما يعود لتطوان وأهلها . فله بذلك فضل واى فضل على كل من سيكتب فى تاريخ هذه المدينة من بعده ، وكفاه بذلك شرفا وفخرا .

وان الاسف لكبير على عدم طبع هذا التاريخ الجليل والموسوعة العامرة حتى الآن ، وحبذا ثم حبذا لو وفق الله من محبى المعرفة والتاريخ ، هيأة محترمة، أو شركة نشيطة أو شخصا أو اشخاصا غيورين يقومون بطبع هذه الموسوعة العلمية التاريخية فيخلد بذلك ذكرهم ويضمن عدم ضياع الجهود التى بذلها مؤلفه الذى بكل أسف لم يستطع طبعه لقلة ذات يده بالرغم من كونه قضى من افضل ايام عمره ما يزيد على عشرين سنة متقلدا لوزارة العدلية ، بل قيل لى قبيل وفاته ، ان الحاجة لسد رمقه ورمق عياله ، ولتسديد بعض ديونه ، قد اضطرته لبيع جميع كتبه حتى نسخته الوحيدة من تاريخه ، وهى التى كتبها بخطه فى عشر مجلدات . وقد اشترتها منه بعض الهيآت التى كانت تحمل اسما محترما من اشهر الاسماء فى هذا البلد . ولا أدرى ما الذى منع هذه الهيأة من طبعه فى حين انها كانت تطبع اشياء يعد تاريخ الرهونى أهم منها بكثير .

انى أرجو الله تعالى ان ييسر طبع تاريخ استاذنا الرهونى ثم طبع كتابي هذا ليستفاد من كل واحد منهما ما امتاز به على الآخر هيأ الله الاسباب وهو سبحانه المستعان .

وانى ـ وأنا الآن فى العقد السادس من عمرى ـ وقد انتقل شيخى الرهونى الى عفو الله ورضاه ، بعد أن قضى السنوات الأخيرة من عمره منبوذا من اصحاب السلطة والجاه ، مبعدا عن الوظائف العملية ، منزويا فى بستانه خارج تطوان ، بعيدا عن الخلق منقطعا لعبادة الله، أذكره فاذكر فيه شيخى الجليل واستاذى العزيز ، رجل العلم والحلم ، والكرم والنبل ، أذكر فيه

الرجل الشهم الذى له علي من الفضل ما لا أعده ولا أحصيه ، الرجل العالم المشارك الذى هو استاذى الاول فى مختلف العلوم ، خصوصا فى هذا التاريخ الذى أعد الفضل الاول فيه راجعا إليه والى إرشاداته وتوجيهاته وافاداته، رحمه الله وجزاه احسن الجزاء على اعتنائه بي وبرفقاءى من رجال العلم والمعرفة فى هذا البلد الأمين المحروس بعناية الله (I).

لقد كانت وفاة استاذنا الرهونى رحمه الله فى بستانه الواقع فى حومة «الطوابل» وسط البساتين الواقعة بضواحى تطوان ، مساء يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الثانى عام 1373. موافق 21 دجنبر سنة 1953 ودفن بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء فى الزاوية العيساوية التى بحومة العيون من تطوان بعد الصلاة عليه فى مصلى باب المقابر . وان ما عند الله لهو خير وأبقى ، وعلى شيخنا الفقيه الرهونى من الله الكريم ، الرحمة والرضوان .

تقاييد مختلفة

من التقاييد التى استفدت منها فى تاريخ تطوان مخطوط صغير عثرت عليه بين اوراق بيعت فى تركة الفقيه المرحوم السيد محمد بن محمد بن الحاج عبد السلام العطار «المعروف بصاحبى» وهو تقييد يحتوى على بضع صفحات مما جاء فيها قول مؤلفها فى اولها ، الفصل الثانى ، فى ذكر اخبار تطاوين ، لانها بلدتى ومحل نشأتي الخ. وقد تكلم فى هذا الفصل على اسم هذه المدينة وتاريخ بنائها الاندلسى الاخير وذكر بعض ولاتها وعلمائها باختصار ، وبذلك تم هذا الفصل وجاء بعده الفصل الثالث فى النسب وما يثبت به ، وبذلك ينتهى ما فى هذه الاوراق التى لم نقف على سابقها ولاحقها ولم نتحقق من معرفة اسم مؤلفها وان كنت لا أستبعد ان يكون هو العلامة المشارك المؤلف قاضى تطوان ابا زيد عبد الرحمن الحايك الذى هو من أشياخ السكيرج المؤرخ التطوانى ، والضعيف المؤرخ الرباطى والله اعلم.

I) رحم الله شيخنا الرهونى ، فقد مثل العالم الحقيقى ، بكل ما له من معرفة واسعة، وعواطف جامحة، وبؤس مبكى ، وعدم اعتراف الوسط بجميله، حتى ان تلاميذه لم يقيموا له ذكرى للوفاة . فى حين ان اخاه المرحوم الحاج محمد الرهونى ، أقامت له الجمعية الخيرية التى كان يترأسها ذكرى حسنة. والفرق هو أن العلامة الرهونى كان فذا يحيط به الجو الذى يحيط بالافذاذ، أما شقيقه فكان من اواسط الاخيار من الناس ، فلم يكن الفرق بينه وبينهم كبيرا . ت.و.

أما مزية هذا التقييد فترجع الى انه اقدم من تاريخ السكيرج ، لانه كتب فى أوائل القرن الماضى، أى قبل تاريخنا هذا بما يزيد على قرن ونصف قرن ، زيادة على ان الاسماء والحوادث المذكورة به فيها ضبط وتدقيق . وهذا التقييد هو الذى اطلق عليه عند النقل منه اسم «المخطوط التطوانى».

ومن هذا القبيل تقييد آخر للعلامة المشارك مؤلف «مرآة المحاسن» الشيخ أبى حامد العربى بن يوسف الفاسي المتوفى بتطوان عام 1052 وهو تقييد صغير عثرت عليه فى كناش قديم بخط الفقيه الشريف العدل سيدى التهامى بن محمد بن احمد بن رحمون التطوانى ، وهذا الكناش اطلعني عليه صديقنا الشريف الجليل النقيب سيدى محمد بن المكى بن ريسون التطوانى ثم اطلعني الفقيه القاضى الشيخ عبد الحفيظ الفهرى الفاسى بمدينة الصويرة ، على نفس هذا التقييد مكتوبا بخط علامة فاس سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى ناقلا له من خط كاتبه ابى حامد المذكور .

ومن ذلك كناش وتقاييد للفقيه العدل الشريف سيدى مفضل افيلال.

ومن ذلك مخطوط كتبه احد فقهاء تطوان كتابة شاهد عيان عن حرب سنة 1276هـ 1860م وهو فى خزانتى «الخزانة الداودية» بخط مؤلفه وقد وجدته بين اوراق الفقيه العطار المذكور رحمه الله.

الى غير ذلك مما نجده عن هذه المدينة ورجالها وحوادثها عرضا اثناء كتابة المؤرخين والمقيدين لحوادث المغرب وتاريخ رجاله عموما . وستجد اثناء هذا الكتاب أسماء تلك الكتب عند ما ننقل عنها او نستفيد منها .

كما أننى وجدت فى الرسوم والوثائق القديمة المكتوبة بتطوان، وفى الحوالات الحبسية لمساجدها وزواياها ، وفى اعماق الخزائن العلمية بمختلف المدن المغربية ، كالخزانة الكتانية والفاسية والسودية بفاس ، والزيدانية والمنونية بمكناس ، والزبيدية بالرباط ، والتطوانية بسلا ، وفى المؤلفات الافرنجية والمستندات الرسمية، مواد تاريخية غزيرة اخذت منها فوائد تتعلق بتاريخ هذه المدينة ، زيادة على ما نتلقاه من افواه الشيوخ الثقات من الاخبار والنوادر التى تكشف لنا عن بعض النواحى التاريخية المجهولة التى لا نجدها فى اى كتاب .

هذا التاريخ

هذا وان تاريخ شيخنا الرهونى وان كان كبير الحجم غزير المادة ، جامعا مانعا ، الا أنى رأيت ان هناك اشياء كثيرة لم يقف عليها ، ونواحى متعددة لم يتعرض لها ، وحوادث اختصر القول فيها اختصارا وقد وجدت مجال القول فيها فسيحا ، وذلك هو الذى دعانى لان أكتب عن تطوان كتابى هذا الذى

سميته «تاريخ تطوان» وكل ما يمكنني ان اقوله فيه ، هو أنه منظم تنظيما غير تنظيم تاريخي السكيرج والرهوني ، وان فيه زيادات كثيرة ، ووثائق عديدة وفصولا وموضوعات جديدة لم يتعرض لها احد من قبل ، كما يعلم ذلك بالمقارنة بينه وبين غيره .

على ان التاريخ الذي نريده ويرضينا ، الى الآن لم يكتب ، وكتابي هذا لا يغني عن كتاب استاذنا الرهوني الذي انفرد بأشياء كثيرة جدا لم اتعرض لها، كما انه هو لا يغني عن كتابي هذا لما انفرد به من وثائق وموضوعات ، وافكار وتعليقات ، واني اقدر تقديرا ان كل واحد من الكتابين لا يحتوي مما في الآخر الا على نحو خمسه فقط ، وينفرد عنه بنحو اربعة اخماس .

ولعل اقرب كلمة من الانصاف والواقع ، هي ان كلا من الكتابين متمم للآخر لان لكل باحث مجالا ، والفضل للمتقدم على كل حال ، والكمال انما هو للكبير المتعال .

الفصل الثاني

من الباب الاول

تطوان القديمة

نعنى بتطوان القديمة، تلك المدينة التى كانت موجودة قبل البناء الاندلسى الاخير، أى غير تطوان الموجودة الآن، لان مدينة تطوان الحالية بتقسيماتها وشوارعها ودروبها ومعاهدها، ليست قديمة، لانها انما بنيت فى أواخر القرن التاسع للهجرة، الموافقة لاواخر القرن الخامس عشر للميلاد، أى قبل تاريخنا هذا بما يقرب من خمسمائة عام . وذلك أنه لما نزلت الكارثة العظمى بالاندلس كارثة اضمحلال اخر دولة اسلامية بذلك الفردوس الأسلامى المفقود، هاجر كثير من المسلمين الى مختلف الاقطار الاسلامية، وكانت من بينهم جماعة من سكان غرناطة ونواحيها، فالتحقت هذه الجماعة بجماعة أندلسية أخرى كانت قد سبقتها الى هذه الناحية من بلاد المغرب، وجدد الجميع بناء مدينة تطوان التى كانت فى ذلك العهد مخربة غير عامرة ولا مسكونة، وهذا البناء الاندلسى هو الذى عمرت به هذه المدينة عمارتها الجديدة، ولم يطرأ عليها خراب بعد ذلك الى الآن والحمد لله .

نعم قد كانت تطوان موجودة قبل ذلك التاريخ بعدة قرون. وقد مرت عليها أطوار تاريخية ترددت فيها بين العمارة والخراب، والحضارة والبداوة، فلذلك قسمنا الكلام على تاريخها الى قسمين، تطوان القديمة، وهى التى كانت قبل البناء الاندلسى، وتطوان الحديثة، وهى التى جدد بناءها المهاجرون من مسلمى الاندلس، وهى القائمة الوجود الآن .

والواقع أن التاريخ الصحيح المحقق لتطوان ، انما يبتدىء من تاريخ هذا البناء الاندلسى، أما ما قبل ذلك فالمعلومات عنه انما هى شذرات متقطعة .

تطوان ونواحيها قبل الاسلام

لا نجد فى مصادرنا العربية شيئا يذكر عن مدينة تطوان القديمة ونواحيها قبل الاسلام، الا أن من المحقق الثابت، أن هذه النواحى كانت عامرة قبل ظهور الدين الأسلامى بكثير، بدليل الآثار القديمة التى وقع العثور عليها فيها .

ففى مجموعة «الارشيف ماروكان» ARCHIVES MAROCAINES ان م. بيارى M. PALLARY الفرنسوى، عثر فى ناحية تطوان على آثار ومصنوعات من عمل الاقدمين، وربما كان بعضها من عهد ما قبل التاريخ، والعلماء الاسبانيون الذين يبحثون فى التاريخ القديم ويشرفون على الآثار المخرجة من الاماكن القريبة من تطوان فى عصرنا هذا، يؤكدون أيضا أن عمارة هذه الناحية ترجع الى ما قبل التاريخ المعروف. وقد اكتشفوا أثناء حفرهم وبحثهم عن الآثار القديمة، أشياء تدل على ذلك، وهى محفوظة الآن فى متحف تطوان .

وقد ذكر الجغرافى الرومانى بلين PLINE أو PLINIO الذى عاش فى القرن الاول للميلاد، أن هذه الناحية كانت بها مدينة قديمة تسمى «تمودة» وأن المراكب كانت تصعد فى النهر المسمى باسمها الى أن تصل الى حد المدينة .

والمؤرخ الفرنسوى م. تيسيو M. TISSOT لم يستبعد أن يكون المكان الذى كانت به مدينة تمودة، هو نفس المكان الذى بنيت به فيما بعد مدينة تطوان الا أن الذى يظهر حتى الآن أن مدينة تمودة كانت فى غير المحل الذى توجد به مدينة تطوان الآن. لانه قد وقع العثور أخيرا على ءاثار مدينة فى مكان يبعد عن تطوان الحالية بنحو خمس كيلومترات فى الطريق التى بين تطوان وشفشاون، وهذا المكان واقع على الضفة اليمنى للنهر الذى يمر قرب تطوان ويصب فى البحر الابيض المتوسط (I)، وعلماء الآثار الذين يشرفون على الحفر الواقع بهذا المكان، يرون أن المدينة المكتشفة هى مدينة «تمودة» وهى صغيرة المساحة، وقد عثروا فيها على شوارع وآثار ومقابر وأوانى ونقود وغير ذلك .

I) هذا النهر ليس له اسم واحد عام يطلق على جميعه مثل نهر سبو، ونهر ورغة ونهر لكوس الخ. بل ان كل قطعة منه لها اسم خاص، فقطعة منه تسمى بوصفيحة، وأخرى الصوير، وأخرى المطيربة، وأخرى العدوة، وأخرى مجاز الحجر، وأخرى كيتان، وأخرى المحنش، وأخرى مجاز الحمارة، وأخرى مجاز الشطبة، وأخرى واد مرتيل وهذه هى المتصلة بالبحر .

والتواريخ الرومانية تحكى أن مدينة تمودة كانت عاصمة مطرانية، مما يدل على أنها كانت مدينة كبيرة ذات أهمية .

والعالم الاسبانى الاثرى «پيلايو كينطيرو» المدير السابق لمتحف تطوان ـ قد استنتج من أبحاثه أن هذه المدينة المكتشفة رومانية، وأنه كان بها معسكر رومانى، ويستدل على ذلك بالآثار والنقود التى عثر عليها، ويرى أن هذه المدينة قد احرقت، لانهم عثروا على ديار محترقة متهدمة، وأن أهلها تركوها وانتقلوا الى المكان الذى توجد به تطوان الآن ـ وهو كما قلنا يبعد عنها بنحو خمس كيلومترات ـ فبنوا به دورهم من جديد وعمرت بهم تطوان. ولا ندرى هل كانت مدينة تطوان موجودة قبل أن ينتقل اليها سكان تلك المدينة المحترقة المتهدمة، وأنهم انما انضموا الى أهلها وزادوها عمارة، أو أن أولئك المنتقلين اليها كانوا هم الذين أسسوا مدينة تطوان لاول مرة فى التاريخ ؟

والجغرافى بطولومى اليونانى PTOLÉMEE (PTOLOMEO) الذى عاش فى القرن الثانى للميلاد ، ذكر أيضا وجود مدينة بين المكانين المعروفين الآن برأس الطرف ورأس واد لو، وهما رأسان معروفان أحدهما فى الشمال الشرقى لتطوان، والآخر فى جنوبها الشرقى . وجاء بعض المؤرخين بعد بطولومى فرأوا أن تلك المدينة هى تطوان .

ونحن الى الآن لم نجد فى التواريخ العربية ما يدل على أن مدينة تطوان نفسها كانت موجودة قبل ظهور الاسلام، وانما وجدنا فى كلام الجغرافى الشهير ليون الافريقى، أن المسلمين استولوا على تطوان فى الوقت الذى استولوا على مدينة سبتة، فقد جاء فى كتابه «وصف افريقيا» عند وصف تطوان ما نص تعريبه (1) «تطاوين» TETTEGUIN بلدة صغيرة من تأسيس الافارقة الاقدمين، تبعد عن البوغاز بنحو ثمانية عشر ميلا، وعن البحر بنحو ستة أميال (2)، افتتحها المسلمون عند ما فتحوا مدينة سبتة ـ ويقال انهم عند ما فتحوها صاروا يسمونها باسم كنتة عوراء كانت تأتى اليها يوما فى الاسبوع بقصد أن تقبض ما كانت تستخلصه من جبايات البلدة. ومعنى «تطاوين» فى اللغة الافريقية «العين» ولم يكن للبليدة سوى عين واحدة»

---

1) ص 165 من الترجمة الاسبانية طبعة سبتة سنة 1952 .

2) بين مدينة تطوان الحالية وشاطىء البحر الابيض المتوسط نحو عشر كيلومترات .

والمؤرخ مارمول MARMOL الاسبانى الذى عاش فى القرن السادس عشر للميلاد ـ وهو العاشر للهجرة ـ ذكر أن تطوان ملكها الرومان ثم القوط ثم العرب الخ .

وفى الارشيف ماروكان، أن مدينة تطوان كانت عامرة بالنصارى قبل الاحتلال العربى، وأن موسى بن نصير احتلها سنة 710 م. 92 هـ. كما احتل سبتة وطنجة الخ .

والخلاصة ـ كما رأيت فى كلام أولئك المؤرخين الاجانب ـ هى أن تطوان مدينة قديمة وأنها كانت موجودة قبل الاسلام. والله أعلم.

تطوان فى القرن الثالث للهجرة

تحت حكم الادارسة

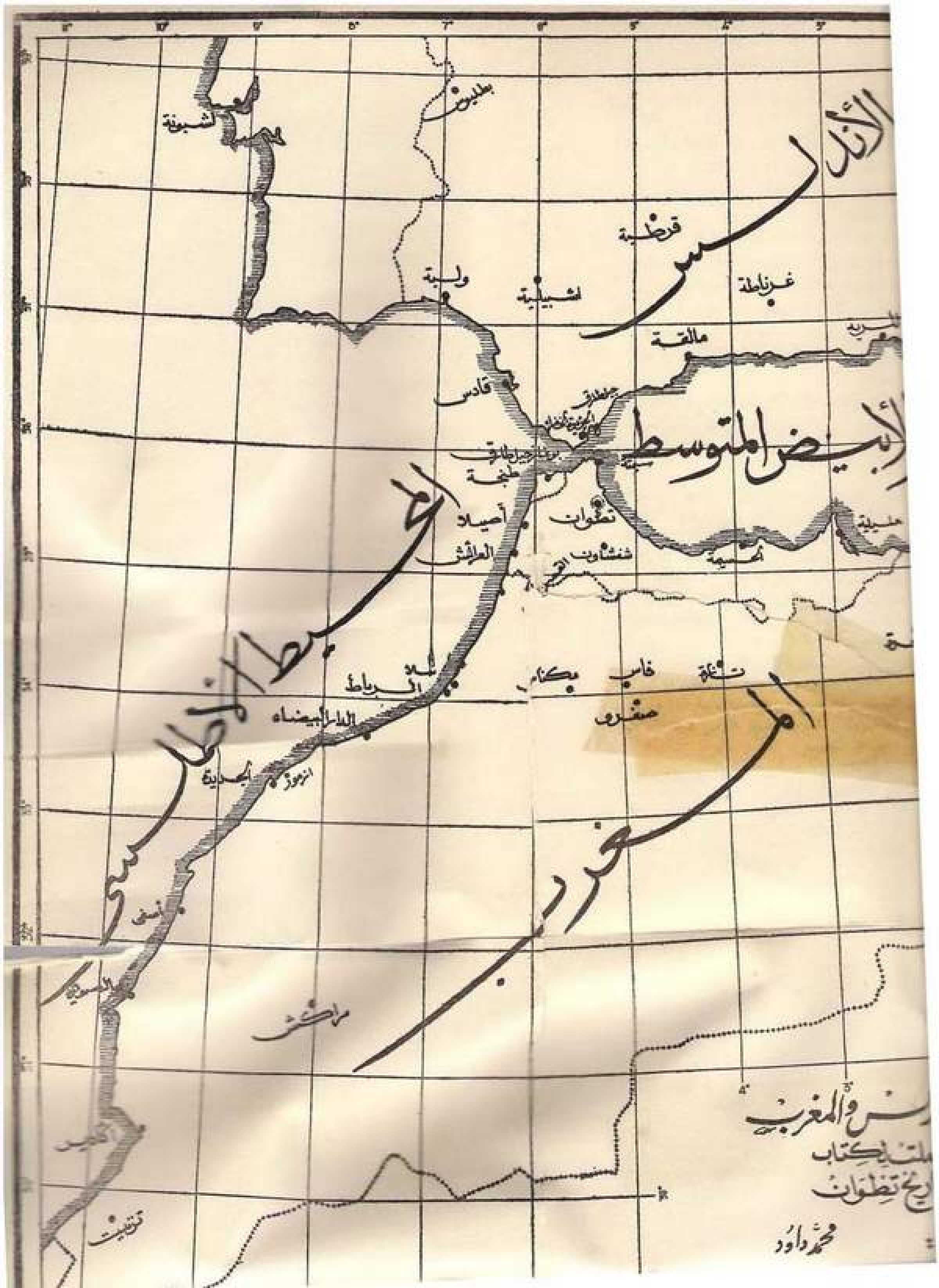
وجدنا اسم «تطوان» مذكورا عند الكلام على دولة الامير محمد بن ادريس ابن ادريس، ففى كتاب القرطاس (1) أن الأمير المذكور لما ولى (2) «قسم المغرب بين اخوته، وذلك برأى جدته كنزة أم أبيه، ولى أخاه القاسم مدينة طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما والى ذلك من البلاد والقبائل» (3) .

---

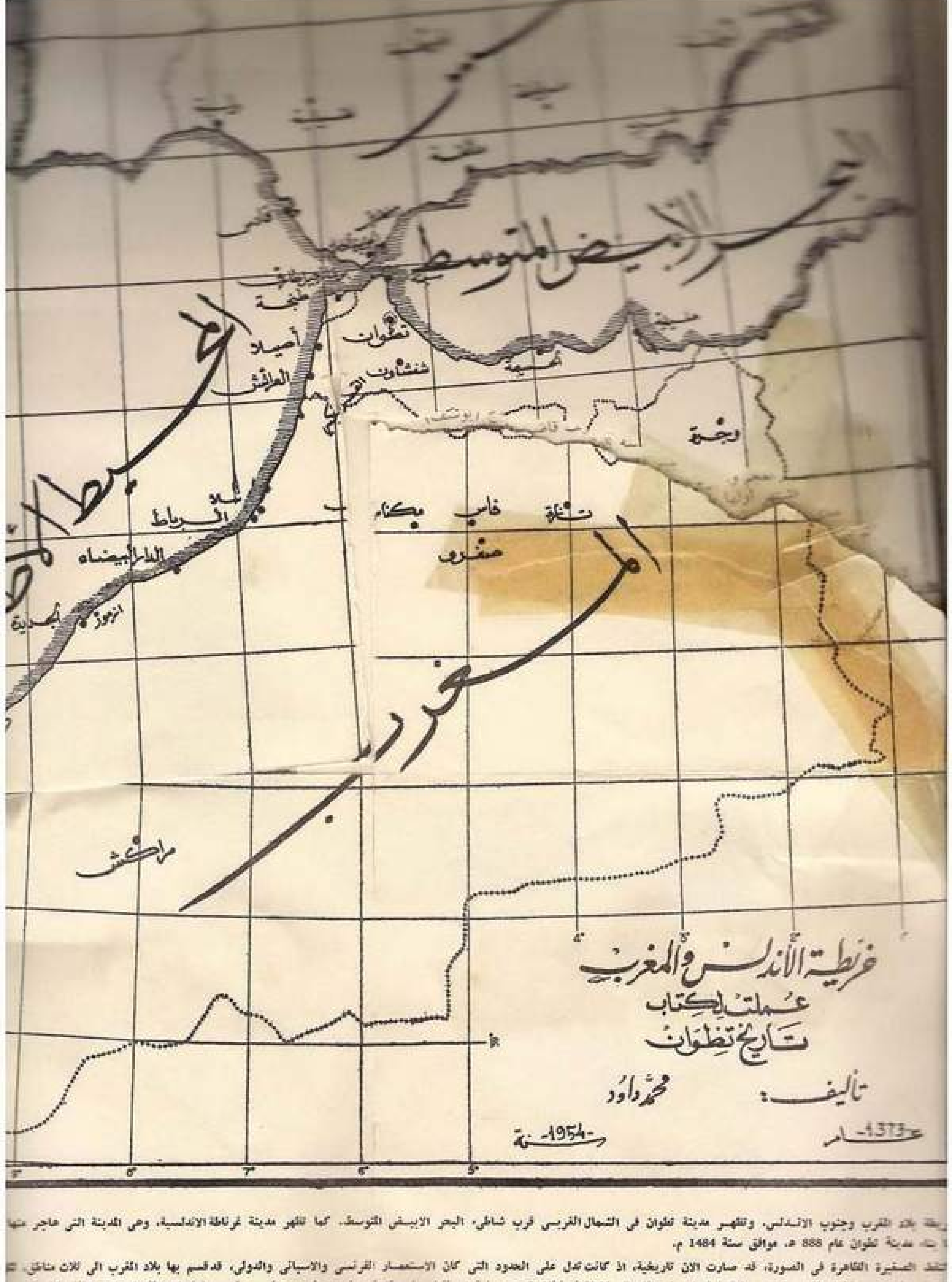
1) «القرطاس» اسم كتاب تاريخى ألفه محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبى زرع الفاسى، وسماه، الانيس المطرب القرطاس، فى أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، وبعضهم يسميه «الانيس المطرب بروض القرطاس، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» وقد وصل فيه الى حوادث سنة 726 فى عهد السلطان أبى سعيد بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى. وبعضهم ينسب هذا الكتاب لابى الحسن على بن محمد بن احمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى، وبعضهم ينسبه لابى محمد صالح بن عبد الحليم الغرناطى. وهو كتاب جليل مفيد ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته أنه من الكتب التى يعتمد عليها فى الاخبار وقد طبع مع ترجمته باللاتينية سنة 1883. وطبع مع ترجمته بالالمانية سنة 1794. ومع ترجمته بالفرنسية سنة 1860. وطبع فى المطبعة الحجرية بفاس عام 1303. ثم طبع بها ثانيا عام 1305 .

2) كانت ولاية محمد بن المولى ادريس عقب وفاة والده سنة 213 هـ 828 م

3) القرطاس ص 30 طبع فاس سنة 1305. ومثله فى الاستقصا ج 1 ص 75



لشبونة
بطليوس
قرطبة
غرناطة
اشبيلية
ولبة
مالقة
قادس
جبل طارق
الأبيض المتوسط
طنجة
أصيلا
العرائش
تطوان
شفشاون
سلا
الرباط
مكناس
فاس
تازة
صفرو
الدار البيضاء
أزمور
الجديدة
مراكش
والمغرب
ملحق لكتاب
تاريخ تطوان
محمد داود



...ريطة بلاد المغرب وجنوب الاندلس، وتظهر مدينة تطوان في الشمال الغربي قرب شاطئ البحر الابيض المتوسط. كما تظهر مدينة غرناطة الاندلسية، وهي المدينة التي هاجر منها ... بناء مدينة تطوان عام 888 هـ. موافق سنة 1484 م.

... الخطوط الصغيرة الظاهرة في الصورة، قد صارت الان تاريخية، اذ كانت تدل على الحدود التي كان الاستعمار الفرنسي والاسباني والدولي، قد قسم بها بلاد المغرب الى ثلاث مناطق ... الان في الجنوب سلطان المغرب تحت حماية فرنسا، وفي الشمال خليفة السلطان تحت حماية اسبانيا، وفي طنجة مجلس دولي هو المدبر لجميع شؤون منطقتها. الا ان ذلك كله قد ... الى الان ليعتبر المعتبرون، وبحمد الله المومنون

ومثل ذلك عند ابن خلدون (1) فى تاريخه الكبير ونصه (2) : «وهلك ادريس سنة ثلاث عشرة (يعنى 213) وقام بالامر من بعده ابنه محمد بعهده اليه فأجمع أمره بوفاة (3) جدته كنزة أم ادريس على أن يشرك اخوته فى سلطانه ويقاسم ممالك أبيه، فقسم المغرب بينهم أعمالا اختص القاسم منها بطنجة والبصرة وسبتة وتيطاوين وقلعة حجر النسر وما الى ذلك من البلاد والقبائل» .

وهذا التاريخ، أى سنة 213. هو (فيما وقفت عليه) أقدم تاريخ ورد فى المراجع العربية أن مدينة تطوان كانت موجودة فيه .

الا انى لاحظت أن أبا عبيد البكرى الاندلسى ـ وهو أقدم من ابن أبى زرع وابن خلدون، لما ذكر (4) ولاية محمد بن ادريس، وحكى أنه فرق البلاد على اخوته برأى جدته كنزة أم إدريس، وأنه ولى القاسم أخاه، البصرة وطنجة وما والاهما الخ. لم يذكر مدينة تطوان.

وكذلك المؤرخ ابن عذارى المراكشى (وهو من رجال القرن السابع) لما ذكر (5) أن محمد بن ادريس فرق البلاد على اخوته بأمر جدته كنزة وأعطى القاسم طنجة وما يليها الخ لم يذكر تطوان .

فأقدم مؤرخ ـ فيما وقفنا عليه ـ ذكر ولاية القاسم بن ادريس لمدينة تطوان، هو ابن أبى زرع، وهو من أهل القرن الثامن، وبينه وبين العهد المذكور نحو خمسة قرون .

---

1) ابن خلدون هو العلامة فخر المغرب وفيلسوف المؤرخين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، أصل عائلته من اشبيلية بالاندلس، ومنها انتقلت الى تونس حيث ولد أبو زيد سنة 732 وقد عاش بتونس مدة، وبتلمسان مدة أخرى، وانتقل الى فاس سنة 753 فعينه السلطان أبو عنان المرينى كاتبا ثم عزله واعتقله، ثم عينه غيره فى ديوان الانشاء، ثم انتقل الى غرناطة سنة 764 فاحتفل به السلطان أبو عبد الله محمد (الخامس) ابن أبى الحجاج (يوسف) ثم انتقل الى القاهرة فولاه سلطانها الظاهر برقوق وظيف قاضى القضاة المالكية وقد أقام بالشام مدة ثم توفى فجأة بالقاهرة سنة 808 .

وله تآليف متعددة أهمها تاريخه الكبير المسمى «كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر، فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر» وهو فى سبعة أسفار، اشتهر أولها بالمقدمة. وقد فرغ من تدوينه سنة 797 وذكر فى المقدمة أنه أهدى منه نسخة لخزانة سلطان المغرب أبى فارس عبد العزيز ابن أبى سالم بن ابى الحسن المرينى رحم الله الجميع .

2) ج 4 ص 14 طبع مصر سنة 1284 .

3) هكذا فى النسخة المطبوعة وهو خطأ لعل صوابه : باشارة بدل بوفاة الخ .

4) المسالك والممالك ص 124 طبع الجزائر سنة 1911 .

5) البيان المغرب ج 1 ص 211 طبع ليدن سنة 1948.

فهل كانت مدينة تطوان فى سنة 213 موجودة حقيقة، وكانت من جملة المدن العامرة التى تولى حكمها القاسم بن ادريس، أو ان ابن أبى زرع انما استنبط ذلك استنباطا فقط من قول غيره، طنجة وسبتة وما والاهما الخ؟ اذ من المعلوم أن المدينة التى كانت تلى سبتة وطنجة فى عهد ابن أبى زرع، أى في القرن الثامن هى مدينة تطوان .

ان الغالب عن الظن أن تطوان كانت مدينة عامرة فى عهد الادريسيين أوائل القرن الثالث للهجرة بدليل تهديمهم لها بعد ذلك. وهذا التهديم أثبته جميع المؤرخين، ومعلوم أن التهديم انما يكون بعد البناء والعمارة والله أعلم .

تطوان فى القرن الرابع

- تهديم الادارسة لتطوان سنة 338
- معارضة أهل سبتة فى اعادة بناء تطوان.

ورد ذكر مدينة تطوان فى حوادث سنة 338، و 341، و 347، و 366.
ففى كتاب المسالك والممالك للبكرى (1) ما نصه (2) :

«ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، أجمع بنو محمد بن القاسم (3) على هدم تطاون، فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وأرادوا بنيانها فضج أهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا أنها تضر بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فأعجل عبد الرحمن (4) أمير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم، وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة. والقائد أحمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يعلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر بأحمد بن يعلى على حرب بنى محمد، واجتمع العسكران فسفر حميد بن يعلى الى بنى محمد، على بن معاذ فأجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على أن يبعثوا بأبنائهم الى أمير المؤمنين»

---

1) البكرى هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى من أعيان أهل الاندلس ومشاهير رجال العلم والتاريخ بها، ولد قرب اشبيلية سنة 432 وانتقل الى قرطبة، وكان متقد الذهن واسع المعرفة، وقد برع فى اللغة والادب والجغرافية والتاريخ، وألف كتبا منها «المسالك والممالك» و «معجم ما استعجم» «وشرح أمالى القالى» وغير ذلك، وتوفى عام 487 هـ. موافق سنة 1094 م.

2) ص 130 طبع الجزائر سنة 1911.

3) يعنى الادارسة الذين كانت ما تزال لهم دولة بشمال المغرب.

4) يعنى عبد الرحمن الناصر أمير بلاد الاندلس التى طالت مدة حكمه بها منذ ولايته عليها سنة 300 ـ الى وفاته سنة 350 هـ.

وفى البيان المغرب لابن عذاري (1) ما نصه (2) :

«وفى سنة 347، دخل جوهر قائد تميم الى الغرب واستولى على مدينة فاس ثم توجه الى «تيطاون» ووصل الى مضيق سبتة فلم يقدر عليها ورجع عنها وقصد بعسكره الى سجلماسة الخ. ثم قال: «وفى هذه ... (يعنى سنة 347) وصل الى قرطبة ، الحسن بن قنون من بنى ادريس فـارا بنفسه امام جوهـر قائد أبى تميم المذكور، وكان بنو محمد بن القاسم من بنى ادريس بن ادريس رحمهم الله أجمعوا على هدم تيطاون فهدموها ثم ندموا على ذلك، وشرعوا فى بنائها، فضج أهل سبتة لذلك، لان بناءها ضرر بهم، فبعث اليهم عبد الرحمن الناصر جيشا برسم محاربة بنى محمد ، قود على الجيش أحمد بن يعلى وكتب الناصر الى حميد بن يصال صاحب تيكيساس وتلـك الجهات كلهـا ان يعين القائد المذكور على بنـى محمد، فتخلى بنو محمد عـن بناء تيطاون لما اجتمع العسكران عليهم وبعثوا أولادهم مراهن الى قرطبة ».

وورد ذكر تطوان أيضا فى حوادث سنة 369 ففى كتاب الاستقصا ما نصه (3) :

ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحـف بلكيـن بن زيـرى بن مناد الصنهاجى صاحب افريقيـة بعد العبيديـين الى المغرب الاقصى، واناخ على مدينتـى فاس، وقتـل عامليها محمد بن ابى على بن قشـوش صاحب عـدوة القرويين، وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس، واستعمل عليها محمد ابن عامر المكناسى ، واجفلت ملوك زناتة من بني خزر المغراويين وبنى محمد ابن صالح اليفرنيين أمامه ، وانحازوا جميعا الى سبتة ، وعبر محمد بن الخير من ءال خزر البحر الـى المنصور بن أبى عامر صريخـا، فخرج المنصور فى عساكره الـى الجزيـرة الخضراء ممـدا لهم بنفسه، وعقد لجعفر بن على بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجى وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال، فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة، وجاء بلكين الصنهاجى حتى صعد جبال تطوان وتسنم هضابها وأطل على عساكر زناتة وأهل الاندلس بساحة سبتة، فـرأى مالا قبل له بـه، ويقال، انه لما عاين ذلك قال، هذه أفعى فغرت الينا فاها . وكر راجعا على عقبه ، فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية أهل الاندلس وبها يومئذ عمارة عظيمـة فهدمها ثم صمـد الى برغواطة ببلاد تامسنا فجاهدهم وقتل ملكهم عيسى ابن أبى الانصار واستولى على المغرب أجمع ومحى دعوة بنى أمية من نواحيه ».

---

1) ابن عذارى هـو ابو عبد الله محمد بن عذارى المراكشى (من مدينة مراكش المغربية) وهو من رجال المغرب فى القـرن السابع للهجرة، وموضـوع كتابه المذكور ، تاريخ «الاندلس والمغرب».

2) ج 1 ص 222 طبع ليدن سنة 1948 .

3) ج 1 ص 90.

تطـوان فـي القـرن الخـامس

ــ وصــف البكـرى الانـدلسى لمدينـة تـطـوان .
ــ تطوان قاعدة بنــى سكيــن .

ورد اسم تطوان مرارا مع وصفها فــى كتاب «المسالك والمالــك» للبكرى الاندلسى (المتوفى سنة 487) فقد جــاء فيه ما نصه (I) «وببلـد مجكسه جبل حاميم وهو على مقربة من مدينة تيطاوان ».

وقال بعد ذلك ما نصه : (2) «وبنو وجفال ، رهط حاميم ينزلون على نهر راس وهو على ثلاثة أميال من مدينة تيطاوان» .

وقال بعد ذلك ما نصه (3) «ثم الى مدينة تطاوان وهى بصفح (كذا) جبل الشقار، وهو متصل بجبل الدرقة ويبلغ الى جبل رأس الثور الى مرسى موسى بالبحر الغربى .

ومدينة تطاوان على أسفل وادى راس، وقال محمد وادى مجكسة، وهذا النهر يتسع هنــاك وتدخله المراكب اللطــاف من البحر الى ان تصل تطاوان . ومسافة ما بين البحر وبينها عشرة أميال، وهى قاعدة بنى سكين، بها قصبة للاول ومنار، وبها ميــاه كثيرة سائحة عليهــا الارحــاء ، وبجوفيها جبل يعرف بجبل الشوك، يركب لبني سكين، مائة فارس، وبين مدينة تطاوان وجبل الدرقة سكة، وهو قاعدة بنى مرزوق بن عون من مصمودة وسكناهم منه بموضع يقال له صدينة قرية ذات مياه سائحة، وهى أطيب تلك البلاد مزارع. وهذا الجبل فى غاية المنعــة، وفى أعــلاه مسارح واسعة وحــروج خصبة للماشيــة ، وهذه القرية المذكورة فى قبلى الجبل وبين القبلة والغرب الجبل المنسوب الى حاميم المفترى. وجبل الدرقة يتصل ببلاد غمارة ويسكن ءاخره من غمارة بنو حسين ابن نصر . وبجبل الدرقة يتصل جبل حبيب بن يوسف الفهرى » (4).

وقال بعد ذلك ما نصه : (5)

I) ص 100 .
2) ص 101 .
3) ص 106 .
4) بين جبل الدرقة الحالى وقبر سيدى حبيب من قبيلة جبل حبيب ، مسافة نحو سبعين كيلومترا ، إذ الدرقة مطل على مدشر «بلوازن» مــن قبيلة حوز تطاون ، فى حين أن جبل حبيب فى قبيلة جبل حبيب ، ثم يمتد جبل الدرقة فيتصل بجبال غمارة ، فيكون جبل الدرقة الحالى ليس الا بقية اثــر لسلسلــة جبال مترامية الاطراف كانت تسمى بهذا الاسم. ت. و.
5) ص 115 .

«وطريق ءاخر الى فاس ، من سبتة الى تيطاوان مرحلة ... الخ ». فالبكرى ـ كما ترى ـ يصف تطوان فى عصره، أى أواسط القرن الخامس للهجرة، بأنها كانت مدينة ، بل زاد أنها كانت قاعدة بنى سكين ، ولكن يظهر أنها كانت قاعدة متواضعة، لان عدد فرسانها لم يكن يتجاوز المائة، ويذكر أيضا أنه كان بها منار وقصبة للاول، أى الذين كانوا قبل الاسلام ...

تطوان فى القرن السادس

تطوان فى كتاب الادريسى

ورد ذكر تطوان ووصفها فى جغرافية الشريف الادريسى المتوفى سنة 560 (1) فقد جاء فى كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» ما نصه «2» :

---

1) الشريف الادريسى (493 ـ 560) هو العالم المؤرخ الجغرافى أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسى السبتى، من الشرفاء الادريسيين المغربيين، ولد عام 493 هـ. موافق 1100 وجل المؤرخين الذين ترجموا له ذكروا أن ولادته كانت بسبتة، الا أن الاستاذ ميللر الالمانى ـ فيما قيل ـ ذكر أن ولادته كانت بتطوان، ولا ندرى مستنده فى ذلك ودرس الادريسى بقرطبة فوصفه بعضهم بالقرطبى، ثم رحل رحلة طويلة واتصل بملك صقليه روجر الثانى ROGER II وأقام عنده بصقلية فوصفه بعضهم بالصقلى، وقد نال عند الملك المذكور حظوة لعلمه ومهارته حتى بلغ من اكرامه له أنه كان كلما دخل عليه هرع لاستقباله عند الباب ثم أجلسه الى جانبه على سرير الملك، حتى اذا ما أتم المحاضرات معه وأفاده بما أراد ثم هم بالخروج، شيعه الملك بنفسه الى عتبة القصر، وقد صنع له صورة للارض فكانت أكمل صورة عرفت لذلك العهد، ويقال ان مساحة هذه الصورة كانت نحو ثلاثة أمتار ونصف طولا، فى نحو متر ونصف متر عرضا، كما صنع له من الفضة الخالصة أول كورة أرضية عرفت فى التاريخ ، وكانت زنتها فيما قيل نحو 180 رطلا رسم فيها جميع أنحاء الارض فى زمانه رسميا غائرا مشروحا بالاستيفاء، وقد ألف له أيضا فى مدينة بالرما من أعمال صقلية، كتاب «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» ويعرف بكتاب الادريسى ويسميه بعضهم بكتاب ريشار أو روجار، وقد أكمله سنة 548، قال الزركلى فى «الاعلام» وهو أصح كتاب ألفه العرب فى وصف بلاد أوربا وايطاليا، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه، وقد ترجم الى الافرنسية ونشر بها، «وطبعت منه بالعربية خلاصات. انظر الاعلام للزركلى ج 3 ص 971 .

2) نقلنا هذا النص بلفظه من نزهة المشتاق ص 170 طبعة ليدن سنة 1865 .

«ومن مدينة سبتة السابق ذكرها بين جنوب وشرق الى حصن تطاون مرحلة صغيرة (1) وهو حصن فى بسيط الارض، وبينه وبين البحر الشمالى خمسة أميال، (2) وتسكنه قبيلة من البربر تسمى مجكسة» .

والادريسى من أهل مدينة سبتة القريبة من تطوان، وقد جاب الآفاق البعيدة ووصفها، وقد وصف تطوان كما ترى بأنها حصن تسكنه قبيلة من البربر ولم يزد على ذلك، فهل تطوان التى وصفها البكرى بأنها كانت فى القرن الخامس مدينة الخ. كانت فى القرن السادس قد تهدمت ولم يبق منها الا الحصن الذى ذكره الادريسى ؟ لا اظن ذلك. والذى يظهر أن مدينة تطوان لم يطرأ عليها تغيير كبير فى ذلك العهد، وانما أطلق عليها الادريسى اسم الحصن لتحصنها بالاسوار والابراج، أو لانها كان بها حصن مشهور هو أبرز ما فيها فكانت المساكن القريبة منه كأنها تبع له.

تطوان فى كتاب «الاستبصار»

وورد ذكر تطوان ووصفها أيضا فى كتاب «الاستبصار، فى عجائب الامصار» (3) ومؤلفه من رجال النصف الثانى من القرن السادس، وقد جاء فيه عن تطوان ما نصه : «مدينة تيطاوان، وهى مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع. طيبة الهواء والماء» .

فأنت ترى أنه ذكر أنها مدينة ووصفها بأنها قديمة الخ .

---

1) من المعروف أن طول الطريق الموجودة الآن للسيارات بين تطوان وسبتة، نحو أربعين كيلومترا.

2) الطريق التى تصل الآن بين تطوان وميناءها الواقع على البحر الشمالى «الابيض المتوسط» طولها نحو عشر كيومترات.

3) كتاب «الاستبصار، فى عجائب الامصار» لا يعرف مؤلفه، وقد وقفت على مجلد عتيق منه لدى صديقنا النابغة العلامة الاستاذ المختار السوسى بمدينة مراكش عند زيارتى لها سنة 1368. ومنه نقلت الجملة التى هنا، ولا أدرى هل ذلك المجلد هو كل الكتاب أو انما هو جزء منه فقط. وقد جاء فى معجم المطبوعات ليوسف سركيس ص 1558، أن البارون فون كريمر المستشرق النمسوى طبع القطعة التى تشتمل على ذكر المغرب من هذا الكتاب فى مدينة فيينا. عاصمة النمسا سنة 1852 م. وقد وقفت على هذه القطعة المطبوعة ولم يرد فيها ذكر مدينة تطوان، وهى أقل بكثير مما فى النسخة المراكشية المختارية .

غـزو المـوحديـن لنواحـى تطـوان

وورد ذكـر تطوان أيضا أثناء كلام المؤرخين على غزوة الموحدين لشمال المغرب فى أواسط القرن السادس، وفى كتـاب الاستقصا (1) «أن الـذى قام بهذه الغزوة الكبرى هو السلطان عبد المومن بن على، وأنه مكث فيها سبع سنين الخ. وأنه خرج لها فى صفر سنة 534 فلم يزل يتقرى بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حماتها ويذلل صعابها الى سنة 541». ومثل ذلـك فى كتاب القرطاس (2)

وقد عقد البيدق (3) فى تاريخه فصلا عنوانه «خروج الخليفة للغزو الى المغرب» ومما جاء فيه قوله : (4)

«بلغنا منه الى تامغريت متاع أبى بكر بن سحنون وقلعنا من ثم الى بني سناد ثم قلعنا منه الى وادى لو، ونزلنا فى بنى سعيد عند دار كرناز بن منصور فامتنعوا وهربوا الى جبل يكاتل ثم هبط الابرتير (5) ونزل فى تيطاوين ... الخ.

قتـل الموحديـن لثمانمائـة شخـص فـى تطـوان

وجاء فى الفصـل الذى عنوانـه «ذكر الاعتـراف» (6) من كتاب البيدق المذكور، ما نصه (7) «ودفع جريدة أخرى لغمارة لابى محمد عبد الله بن سليمان ويحيى بن توكرورين وقتلا فى تيطاوين ثمانمائة الخ .

ثم ذكر فى الفصل نفسه (8) ان ذلك كان سنة 544.

---

1) ج 1 ص 141.

2) ص 131 ـ طبعة فاس سنة 1305.

3) البيدق لقب للشيخ ابى بكر بـن على الصنهاجـى، وتاريخـه قـد اعتنـى باخراجـه من الخزانـة الاسكوريالية، المستشرق الفرنسـى أ. لافـى بروفنسال، وطبعه سنة 1928 م. بعنوان، كتاب المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين» .

4) ص 92

5) الابرتير هو قائد الافـرنج المرتزقة الذين كانوا فـى جيش تاشفين ابن على اللمتونى وكانوا يحاربون فى صفـه ضد الموحدين الذيـن قاموا على اللمتونيين، والتاريخ شأنه عجيب، فقديما كان المغربيون هم الذين يستأجرون الاعلاج أى الاجانب الاوربيين ليقاتلوا فى صفوفهم خصوم الدولة المغربيه مقابل ملء بطونهم وجيوبهم، ثم انقلب الحال مدة من الزمن والامر لله ولكن دوام الحال محال. وقد قتل الموحدون ذلك القائد مع جماعة من اصحابه (انظر الاستقصا ج 1 ص 142) .

6) ص 109 .

7) ص 111 .

8) ص 112 .

انتقال الشيخ عبد القادر التبين من غرناطة الى تطوان

ووجدنا فى ترجمة الشيخ عبد القادر التبين الاندلسى المتوفى بتطوان سنة 566، أنه خرج من بلده غرناطة الى مدينة سبتة وبعد أن لبث بها مدة ذهب الى مدينة تطوان فوجد ناحيتها عامرة بالقرى فاختار الاقامة بها واشترى أرضا بنى فيها مسجدا ودارا فاقبل الناس عليه وبنوا حوله فعمر الموضع ثم بنى السوق والعيون التى فى أرضه وصنع أرحى لطحن الحبوب الخ.

ولم يذكر مترجم الشيخ التبين هل كانت مدينة تطوان نفسها حين ورد عليها الشيخ المذكور عامرة، زيادة على عمارة ناحيتها بالقرى، أو أن المدينة كانت مخربة، وأنه انما شيد ما شيد فيها من البناء على الانقاض أو حولها فى الارض التى اشتراها من أهل تلك الناحية ؟ والذى يظهر أن مدينة تطوان كانت عامرة الا أنها كانت صغيرة محاطة بالقرى وأنها ظلت صغيرة الى أن جددت عمارتها فى أوائل القرن الثامن والله أعلم .

ثم هل ان قتل الموحدين لثمانمائة شخص فى تطوان، كان بعد أن وفد عليها الشيخ التبين ، او إن الشيخ المذكور لم يصل اليها الا بعد ان مرت تلك المذبحة البشرية ؟ لقد تقدم لنا أن تلك المذبحة كانت سنة 544 والذى فى ترجمة الشيخ التبين أنه شرع فى بناء مسجده الذى يظن أنه هو مسجد حومة السويقة ـ سنة 542. أى قبل المذبحة البشرية بنحو عامين، وعليه فان الشيخ التبين كان بتطوان فى تاريخ تلك الفتنة، ولكن نجاه الله منها لعلمه وعبادته وعلو مكانته وكبير فضله رحمه الله.

من رجال تطوان في القرن السادس

الشيخ عبد القادر التبين الاندلسى التطوانـى 566

الشيخ العالم الصالح سيدى عبد القـادر التبين، هـو صاحـب الضريح المشهور الواقع خـارج المدينة بين باب العقلة وباب الرموز من مدينـة تطوان. وعامة الناس يسمونه سيدى عبد القادر التابى (1)

وهـذا الشيخ قد وصفه شيخنا الرهونى بأنه هو الامام أبو محمـد سيدى عبـد القـادر ابن الفقيـه العلامة سيدى محمد التبين الاندلسى اقليما ومنشأ، القرشى نسبا من نسل سيدنا عثمان رضى الله عنه، وذكـر انه عثر عند بعض حفدته على أوراق نقل منها ترجمته ونبه على بعض أخطاء تاريخية وقعت فيها .

وقد وقفت على تلك الاوراق المفيدة، الا أننـى لا أعرف كاتبهـا فلا أجزم بصحة ما فيها، ومما تحتوى عليه تلك الاوراق، المعلومات الآتية :

كان الجد الاعلى للشيخ عبد القادر التبيـن يسمـى أبا عبد الله القرشى العثمانى، وقد انتقل سنة 126 من المشرق الى الاندلس، ونزل قرطبة وأقام بها الى أن توفى، وبقيـت عائلته بها فى عـز ورفاهية الى أن قامـت فتنة بقرطبة فانتقلوا منها الى غرناطة بعد سنة 300. وكان والد الشيخ عبد القـادر واسمه محمد رجلا صاحب جاه ومقام، كثيـر المـال والاولاد، وكانت له أملاك بغرناطة وقرطبة والجزيرة الخضراء وسبتة، وفى سنة 540 انتقـل الشيخ عبـد القادر من غرناطة الى سبتة، وكان والده قد وهب له املاكـه التـى بسبتة. واتصل الشيخ أبو عبد الله الفخار بالشيخ التبين فصحبه وخرجا معا يبحثان عن موضع يرضيانه لنزولهما ومقامهما ، فلما بلغا تطوان ووجدا ناحيتها عامرة بالقـرى ، اختارا فيها مكانا مرتفعا مشرفا على عدة جهات ــ ويظن شيخنا الرهونى أن هذا المكان هو المعروف الان بالمنجرة من حومة السويقة ــ وهذا الظن لعله هو الواقع لان الموضع المذكور هو الذى يوجد به المسجد الكبير الجامع الذى هو الوحيد فى هذه الجهة، كما يوجد به السوق الذى ما زال حتى الآن يسمى بالسويقة، كما

---

1) بباء مشددة مكسورة .

كانت به أرحى لطحن الحبوب الى ما قبل تاريخنا هذا بسنين قليلة، وهذا الموضع مشرف على الضريح الذى أقبر به السيد المذكور والله أعلم .

وقد ضرب الشيخ خباءه هناك واجتمع عليه سكان القرى القريبة من ذلك المكان، وعرفوا الشيخ أبا عبد الله الفخار فعرفهم بالشيخ التبين الذى اشترى منهم قطعة من الارض بألف دينار، ثم استحضر من سبتة بنائين وخشبا وبنى دارا جلب اليها أهله الذين كانوا بسبتة، واستوطن ذلك المكان، وكان النـاس قد بنوا حوله فبنى لهم مسجدا وسوقا وأرحى لطحن الحبوب سنة 542 وأقبل الناس على السكنى هناك الى ان صار ذلك المكان من أكبر القـرى. واستمـر الشيخ التبين هناك الى أن توفى رحمه الله سنة 566 وخلف أولادا أوصى عليهم الشيخ أبا عبد الله الفخار .

وفى الاوراق المذكورة ان الشيخ عبد القادر التبين كان مشاركا فى العلوم الدينية والادبية ، وانه قرأ على أكابر شيوخ الاندلس كأبى الوليد ابـن رشد وأضرابه، وان القاضى عياضا والمفسر ابن عطية كانا من رفقائه فى الدراسـة وانه جرت بينه وبين القاضى أبى بكر ابن العربى مناظرات فى العلوم ، وكانت بينه وبين الغزالى مراسلات علميـة ، وانه ألـف كتابا اختصـر فيه صحيحى البخارى ومسلم ، وكتابا آخر فى قواعد الاسلام ، وآخر سماه « منهاج السلوك ، فيمن حل بالدنيا من الملوك » وآخر اسمه ، «درة الاحساب ، فيمن حل بالاندلس من الانساب» مع كتب أخرى فى موضوعات مختلفة، الا أن هذه الكتب لم نعثـر لها على اثر ، ولم نعرف عنها أى شىء غير ما فى هذا التقييد الذى يقول صاحبه فى آخره «ومن اراد استقصاء التعريف بالشيخ سيدى عبد القادر ـ التبين ـ وبأسلافه وبطريقته وأخلاقه ، فعليه بكتاب « نزهة الافكار ، وحلة الابرار ، فى مناقب الشيخ عبد القادر وشيخه الفخار » وهذا الكتاب أيضا لم نقف عليه ولا نعرف عنه شئا .

وقد أثبت صاحب التقييد المذكور للشيخ التبين كلمات فيها حكم ومواعظ ، وهذه جملة منها :

من أحب أن يسمع الناس كلامه اذا تكلم، فليس بزاهد.

من طلب صاحبا سالما ، بقى وحده دائما .

لا تجالس من فضل نفسه عليك ، فانه متكبر ، ولا من فضلك على نفسه ، فانه لا يدوم ، وجالس من يراك ونفسه سواء .

من تواضع لمتكبر، أذل نفسه من غير علم، ورفع نفسا من غير حلم.

من صاحب الاشرار ، فقد أساء الظن بالاخيار ، ومن صاحب الابرار ، لم يطلع على عيب الاشرار .

خيـار المسلمين، هم الذين لا تشغلهم آخرتهم عن الدنيـا، ولا تشغلهـم الدنيا عن الدين . الخ.

وزعموا انه لما مات وجد فى خزانته شىء كثير من امر الغيب ، وان من جملة ذلك ، الجفر التطوانى الذى يقول فى أوله :

عامين نحرث ونزرع ونربح بعد الخسارة
لا بد السوق يعمر تطاون تعطى البشارة

وصاحب التقييد المذكور يعد الشيخ التبين من الاولياء الكبار ، وقد حكى عنه عدة كرامات ظهر بعضها فى حياته، والبعض الآخر بعد وفاته، ولعل من اغربها أنه أخبر ان مدينة سبتة سيحتلها الكفار ويبقون فيها مدة ثم يسترجعها من يدهم رجل قرشى من أهل البيت اسمه محمد... ؟

وأهل تطوان كانوا وما زالوا يعدون «سيدى عبد القادر التبى » من أولياء هذه المدينة .

وذكر شيخنا الرهونى ان الذى بنى القبة الموجودة الآن لهذا السيد ، هو السلطان مولاى اليزيد بن محمد بن عبد الله رحم الله الجميع.

الشيخ أبو عبد الله الفخار السبتى التطوانى 586

الشيخ أبو عبد الله الفخار هو صاحب الضريح المشهور خارج باب الرموز بين سور المدينة والنهر. وعامة الناس يسمونه سيدى عبد الله الفخار. وقد ترجم له شيخنا الرهونى وذكر أنه هو « الولى الصالح الامام الهمام الناصح ، البركة المقصودة ، صاحب السير المحمودة ، الشيخ الكبير ، القطب الشهير . أبو عبد الله سيدى محمد الفخار السبتى التطوانى رحلة ومزارا »

وقد تقدم لنا فى ترجمة الشيخ عبد القادر التبين انه لما ورد من الاندلس على سبتة ، انضم اليه الشيخ ابو عبد الله الفخار وصحبه الى تطوان حيث بنى دارا ومسجدا وسوقا الخ .

ولم أقف على ترجمة كاملة للشيخ الفخار هذا، وانما وقفت على اسمه فى ترجمة الشيخ ابى العباس السبتى المتوفى بمراكش سنة 601 فقد ورد فيها انه قرأ فى صباه بسبتة على الشيخ ابى عبد الله ابن الفخار (1) وان هذا الشيخ (يعنى الفخار) كان من الاتقياء ، وكان متقنا للقراءة والفقه والعربية وفنون من الادب مع تقوى وورع زائد وولاية ظاهرة، وانوار شارقة (2) وفى مكان آخر من ترجمة الشيخ ابى العباس انه حفظ بالمكتب (يعنى مكتب ابى عبد

---

1) بعضهم يذكر هذا الشيخ باسم ابى عبد لله الفخار وبعضهم باسم ابن الفخار ، والصواب انه الفخار بدون ابن اما ابن الفخار الذى وصفه فى مرآة الجنان بعالم الاندلس وشيخ المالكية فهو غير هذا قطعا لانه توفى سنة 419 هـ.

2) الاعلام لابن ابراهيم المراكشى ج 1 ص 287

الله الفخار) القرءان والرسالة وفنونا من الادب والمعرفة الخ. (I) وفى موضع آخر قالـوا (2). وكـان الشيخ ابو العبـاس (السبتـى) يلهج فى حياته بهذه الابيات لشيخه ابى عبد الله الفخار وهى :

عقـدت عليـك مكمنـات خـواطـرى — عقـد الرجـاء فألـزمتـك حقـوقـا
ان الـزمـان عـدا علـي فـزادنـي — علـمـا بـأنـك خـالـقـي تحقيقـا
مـا نالنـي كـرب بـوجـه مسـاءة — الا عـبـرت بـه الـيـك طـريـقـا
امض القضاء على الـرضى منـى بـه — انـى وجدتـك بالعبيـد رفيـقـا

فاذا سمعها يخر ساجدا فأنشده اياها حفيده أبو زكرياء وهو فى النـزع فمد يده اليه الى ان اخذ بيده فقبلها..

الا أن بعضهم ذكر ان هذه الابيات قديمة ، وأنها كانت معروفة فى زمن التابعين (3) فان صح ذلك فالشيخ الفخار انما كان يتمثل بها لا غير والله اعلم.

وذكر شيخنا الرهونى انه سمع ان التادلى ترجم للشيخ الفخار فى كتابه التشوف الخ. والذى فى التشوف هو شخص آخر مدفون بمراكش .

وروى عن الشيخ على الخطيب ان وفاة المترجم كانت سنة 586 وذكر ان ضريحه والمسجد الذى حوله، بناهما الباشا احمد رحم الله الجميع .

تـطـوان فـى الـقـرن السـابـع

بـنـاء قـصـبـة تـطـوان عـام 685

جاء فى كتاب الاستقصا (4) ان من حوادث سنة 685 بنـاء قصبة تطاويـن أى فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى الذى تولى الملك بعد والده المتوفى فى محرم سنة 685 .

ولا ندرى هل القصبة التى بنيت فى هذه السنة كانت فى الموضع المعروف الآن بالقصبة فوق المدينة لجهة الشمال، أو كانت فى الموضع المعـروف الآن بحومة جامع القصبة، أو فى موضع آخر غيرهما، اذ لم نقف على ما يدل على تحقيق شيء من ذلك، الا أن الظاهر أن هذا البناء كان فى ناحية جامع القصبة. ولم نقف على غير هذا مـن أخبار تطوان فى هذا القرن، ويظهر أنها بقيت فيه على الحالـة التـى كانـت عليها فى القرن الذى قبله، أى كما وصفها الشريف الادريسى الجغرافى، وصاحب كتاب الاستبصار والله أعلم .

I) الاعلام لابن ابراهيم المراكشى ج I ص 288
2) الاعلام » » » ج I ص 252.
3) الاعلام » » » ج I ص 297.
4) ج 2 ص 43 .

من رجال تطوان قبل القرن الثامن

الشيخ سيدى طلحة الدريج

الشيخ أبو يعلى طلحة بن عبد الله الدريج الاندلسى السبتى التطوانى، هو صاحب الضريح المشهور خارج باب النوادر فى سفح الجبل عن يمين الذاهب من تطوان الى مدشر سمسة. وهو جد عائلة الدريج بتطوان وفاس. ولم نقف له على ترجمة كاملة فى كتاب معروف، كما لم نقف على تاريخ ولادته ووفاته ولو على سبيل التقريب .

ويظهر والله أعلم أنه كان حيا فى أواخر القرن السابع، اذ جاء فى ترجمته أنه لما اشتهر أمره، طلبه أهل بادية سبتة من أمرائها العزفيين الخ. أى أيام ولايتهم على سبتة وما قاربها. والامراء العزفيون معلوم أن أول أمرهم كان باستبداد زعيمهم أبى القاسم العزفى بحكم سبتة واستتباب أمره بها فى عهد عمر المرتضى من اواخر ملوك الموحدين، وكان ذلك حوالى سنة 653 والله أعلم.

وقد تكلم العلامة الاديب أبو الربيع سيدى سليمان الحوات المتوفى بفاس سنة 1231. فى تقييد له فى أولاد الدريج (1) على جدهم سيدى طلحة المذكور، ومنه نلخص المعلومات الآتية :

ذكر المؤلف أن أولاد الدريج (2) الذين كانوا فى عصره بفاس وتطوان يرجع نسبهم أولا الى ولى الله الشيخ أبى يعلى طلحة بن عبد الله الدريج الانصارى صاحب المزارة العظمى حيث ضريحه بخارج تطوان المحروسة (يعني مرحمة) ورفع نسبتهم اليه ثابت فى الكثير من أصدقتهم التى بخط جملة من أعيان العدول بالحضرة الفاسية والتطوانية من أهل الضبط والتحرى من العدول الموثقين بهما. وهو رضى الله عنه من نسل قاضى سبتة وخطيبها العلامة المحدث ولى الله أبى عبد الله الدراج الانصارى كما فى تاريخ العلامة الحافظ أبى عبد الله محمد بن الطيب القادرى، وقد صرح بأنصارية الشيخ أبى يعلى طلحة بن عبد الله الدريج، من عرف به كالشيخ العلامة عيسى بن حيون قاضى بعض

---

(1) هذا التقييد توجد نسخة منه فى «الخزانة الداودية» بتطوان.

(2) فى تطوان ينطقون بكلمة الدريج مضمومة الدال، أما فى فاس فيكسرونها مع كسر الراء المشددة.

أعمال سبتة فى تاريخ له، وزاد أنه من ذرية الصحابى الجليل عبادة بن الصامت رضى الله عنه، وكان سلفهم الاول بالاندلس كما فى العرف العاطر للعلامة أبـى محمد عبد السلام بن الطيب القادرى، ثم انتقلوا من غرناطـة الـى سبتة، وفيها نشأ أبو يعلى طلحـة بن عبد الله، ثم خرج منها الى ناحية تطوان حيث ضريحه الآن رحمه الله، ثم ذكر أبو الربيع الحوات أن سيدى طحلة هذا، كان رحمه الله جبلا راسخا فى العلوم والمعارف، مقطوعـا بولايتـه، مشهـورا بالزهد والورع والسلوك على طريقة السلف، دائم الصيام والقيام، كثير التهجد والناس نيام، ملازم الرباط للجهاد فى الثغور، مقصودا للزيارة فى مهمـات الامـور، ءامــرا بالمعروف، ناهيا عـن المنكـر، ناشــرا للشريعـة والحقيقة بكل محضر، تخاف صولته فى الحـق ملوك العدوتيـن، وترجـع الى رأيه فيمـا يعرو بين الفئتين، وتقدمه أمامها لقتال الكفار تيمنا بطلعته فى طلب الانتصار، فيحمدون حركتـه، ويجدون بركته، كان آباؤه بغرناطة، ثم استوطن بعضهم سبتة كما سبق، وبها نشأ صاحب الترجمة رضى الله عنه، ثم لما ظهر أمره وانتشر سـره، واعتقـده الناس بكل فاضلة وفضيلة، وانحشروا اليه من كل ناحية وقبيلة، لما شاهدوا من كمال عنايته، وعاينوا من ظاهر كرامتـه، وكانت بادية سبتـة القريبة منها خالية من أمثاله، لا جرم طلبـوه من بعض أمرائهـا العزفيين ليهتدوا بأنواره، ويستجيروا بجواره، فأجابهم الى ذلك فى الحين، رغبة فى اصلاح حالهم بالعلم والدين، واعلاء كلمة الله بالاستعداد، الى قوة الرباط فـى ثغور الجهاد، وأنزله رضى الله عنه فى محلتهم بمجشر واسع العمارة، يقال له خندق الفرجة فيه عين من الماء الغزير فبقى فيهم يهتدون بهداه، ويستجيرون بحماه. وكان رضى الله عنه قويا، شهما كميا، قرنا طويل القامة، اسمر اللون يلبس جبة خضراء، له فرس يركبه للجهاد، ويقتحم به أعداء الله فى كل واد، تخلق أهل المنـزل بأخلاقه من النجدة والبأس ورباط الخيل لارهاب عدو الله وعدوهم، فكانوا يركبون معه فى خمسين فارسا كل واحد منهم فى الحرب أسد هصور، وكان رضى الله عنه يتكلم بالغيوب والحقائق، ويتأكد فى الكرامات بالخـوارق، الى أن توفـى رحمه الله ودفن بمتعبده من المجشر المذكور حيث روضته الآن. وكان ذلك قبل احـداث قرية تطاوين أولا بذلك المجشر وما حوله واستيناف بنائها ثانيا بما هى عليه لهذا العهد ـ (يعنـى عهد أبـى الربيـع الحوات) ولا زالت الى اليوم هناك بقية من الرسوم الاولية وعين مائه لم تزل فى انهمار تسقى بها عرص أهل تطوان واجنتها التى بخارج باب النوادر حيث ضريح صاحـب الترجمة رضى الله عنه. وكانت تقصده بالزيارة أكابر العلماء والاولياء كالشيخ الامام الولى العارف أبى المحاسن يوسف بن محمد الفاسى الفهرى واخيه الشيخ العلامة المحقق العارف بالله أبى زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى، وشيخ الملة الامام المحقق المتفنن أبى حامد العربى ابن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى، وشيخ الاسلام امام الجماعة

[ولي] الله ابى محمد عبد القادر بن على ابن الشيخ ابى المحاسن يوسف الفاسي .
[و]كان الشيخ الولى أبو العباس احمد بن عبد الله معن الاندلسى يلتزم زيارته كلما
[زار] ضريح القطب مولانا عبد السلام بن مشيش فى كل سنة.
وكان الشيخ العلامة الصالـح التقى أبـو الحسن علـى بـن محمد بركة
الاندلسى التطوانى ملتزما لزيارته فى كل يوم خميس، ويخرج اليه في كل مهم
ويستسقى به، وغيرهم ممن لا أحصيه، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم.
ترجم له الشيخ العلامة المؤرخ عيسى بن حيون قاضى شقورة من أعمال
سبتة ردها الله دار اسلام ولم يذكر وفاته رحمه الله»
انتهى كلام أبى الربيع الحوات باختصار .
«قلت» وما تزال قبة الشيخ سيدى طلحة رحمه الله قائمة مشهورة ، وبها
ضريحه وهو محفوظ مصون مقصود للزيارة. وقد كانت ذريته قد انقرضت من
تطـوان الا أن افـردا منها عـادوا من فاس الى هـذه المدينة فى اواسط هذا
القرن وبعضهم يسكن قرب ضريحه مشتغلين بحرفة الخرازة ، موصوفين بالخير
والدين، مع مسكنة ومروءة وعبادة، وهم المتولون الآن لشؤون الضريح المذكور.
وقد تكلمت على عائلة الدريج بتطوان وفاس بتوسع وتحقيق فى كتابى «عائلات
تطوان » أعانني الله على اتمامه بمنه وكرمه .

تطـوان في القـــرن الثـامـن

بنـاء تطـوان فـي أوائـل القـرن الثامـن

بنيت تطوان بنـاء جديدا فى اوائـل القرن الثامن للهجرة ، وظلت مدينة
عامرة محصنـة الـى ان خربت فى اوائل القرن التاسع ، فقد جاء فى كتاب
« القرطاس » لابن ابى زرع اثناء كلامه على دولة ابى ثابت عامر بن عبد الله بن
أبى يعقوب المرينى ما ياتى : (1)
«ولما فرغ من اهل جبل علودان ، ارتحل فدخل طنجة فى اول المحرم عام
ثمان وسبعمائة ، ثم اخذ فى بعث الجيوش الى احواز سبتة ، وشرع فى بناء
مدينة تطـوان ، وبعث الفقيه أبا يحيى ابن أبى الصبر رسولا الـى ابن الاحمر
يطلب منه ان يتخلى له عن سبتة ، واقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما ياتى بـه
رسوله ، ففاجأه الموت فتوفى بها فى يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان
وسبعمائة» هـ.

---

1) ص 287 طبع فاس سنة 1305 .

وذكر المؤرخ الاسباني منويل كاسطيانوس في كتابه «تاريخ المغرب» (1) أنه بعد ان توفى ابو ثابت وقام مقامه اخوه ابو الربيع سليمان، رفع الحصار عن سبتة ، وامر بالاستمرار فى بناء تطوان والسرعة فى ذلك ، فلم تمض مدة حتى كانت مبنية كاملة الاسوار .

وفى الاستقصا ما يلى (2) «بناء مدينة تطاوين ـ ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وللاخذ بمخنق سبتة. هكذا عند ابن أبى زرع وابن خلدون (3) واعلم ان تطاوين هذه هى تطاوين القديمة وقد تقدم لنا ان قصبتها بنيت فى سنة خمس وثمانين وستمائة، وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها فى هذا التاريخ الذى هو فاتح ثمان وسبعمائة ، وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة».

فمن هذه النصوص عرفنا ان تطوان كانت مدينة كاملة الاسوار. عامرة من أوائل القرن الثامن الى صدر القرن التاسع، أى فى العصر الذى عاش فيه مؤرخ المغرب العلامة ابن خلدون، وأديب الاندلس لسان الدين ابن الخطيب، فهل ورد لتطوان ذكر فى كلام هذين الرجلين الكبيرين اللذين بحثا كثيرا وألفا كثيرا وكانا من الكتاب المحققين والمؤلفين الممتازين ؟

اما ابن خلدون فذكر تطوان فى مقدمته عند كلامه على الاقليم الرابع ونص كلامه : «وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث، يبقى فى الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين، وبعدها مدينة سبتة على البحر الرومى ثم تيطاوين (4) ثم باديس».

هكذا ذكر ابن خلدون تطوان ولم يصفها لا بكبر ولا بصغر بل اقتصر على لفظ تيطاوين ولم يقل مدينة تيطاوين كما قال فى مدينتى طنجة وسبتة .

---

1) ص 34 طبع طنجة بالاسبانية سنة 1898

2) ج 2 ص 46

3) عبارة ابن خلدون هكذا : «وامر باختطاط بلد تيطاوين لنزول معسكره والاخذ بمخنق سبتة» ج 7 ص 237.

4) هكذا فى نسخة المقدمة المطبوعة بباريس سنة 1858 ص 118 وفى بعض النسخ المطبوعة بمصر وبيروت، أبدلت لفظة تطاون بلفظة قطاون بالقاف بدل التاء وهو خطأ ظاهر .

واما ابن الخطيب (I) فانه لم يذكر تطوان بالكلية فى كتابه «معيار الاختيار

I) ابن الخطيب، هو العالم الاديب المؤرخ، ذو الوزارتين، لسان الدين، محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلمانى الاندلسى. ولد بمدينة لوشة قرب غرناطة سنة 713 ونشأ بعاصمة غرناطة، حيث درس مختلف العلوم فبرز فيها، وكان عالما كبيرا وأديبا ممتازا وكاتبا مبدعا وشاعرا مجيدا. وقد ألف كتبا كثيرة فى التاريخ والادب، وانتظم فى سلك موظفى حكومة الاندلس، فعين وزيرا وسفيرا، وتقلب بين أحضان العز والامتحان، وسكنى القصور والسجون، وزار المغرب سفيرا محترم الجناب، ولاجئا كسير الجناح، ومدح ملوك المغرب وصلحاءه ، وأقام ببعض مدنه معززا مكرما مدة من الزمن، الا أن منافسيه وحساده لم يهدأ لهم بال حتى زج به فى سجن فاس، ثم دسوا اليه من قتله خنقا سنة 776 وقبره معروف خارج باب محروق من فاس. وقد وقفت عليه مرارا أثناء دراستى بفاس فى العقد الرابع من هذا القرن، وكان فى ذلك العهد قبرا عاديا مهملا لا بناء عليه، وكنت أقف حوله كثيرا وأتأمل حاله فأتأثر من منظره المهمل، وتتجمع العبرات فى عينى فأقرأ الفاتحة وأترحم على لسان الدين العالم الاديب الممتاز، ثم انصرف الى مدرستى وأنا فى نحو العشرين من عمرى متعجبا من هذا الاهمال المخجل الذى تواطأ عليه الجهال والعلماء، والولاة والاغنياء، والاغبياء والنبهاء، ومرت السنون وأبيح لى الدخول الى فاس بعد أن لبثت بضع عشرة سنة ممنوعا رسميا من دخولها هى وجميع الناحية التى ابتليت بالنفوذ الفرنسى، فعدت لزيارة هذا القبر الذى أجل صاحبه، فوجدت القوم قد بنوا حوله سورا بسيطا قصيرا، وفى وسطه باب صغير، متواضع بل حقير وقد غرسوا جنب القبر شجرة تين، الا أن جوانب هذا السور لا يكاد الانسان يستطيع الوصول اليها لكثرة القاذورات المتراكمة حولها، والروائح الكريهة المتصاعدة منها، ولا حول ولا قوة الا بالله. مع أن ابن الخطيب من الرجال الذين يحق لبلاد الاندلس والمغرب أن تفتخر بهم، وهو فى مقدمة الافراد الممتازين الذين يستحقون الخلود لنبوغهم فى العلم والادب والتاريخ، ولكن الدينا هذا حالها.

ولقد كان تكريم لسان الدين والوفاء له فى نظرى دينا على هذا المغرب الذى اختاره وفضله وأوى اليه فكان مثواه الاخير، حتى وفق الله أخانا ورفيقنا وحبيبنا العلامة الصالح أبا عبد الله محمد بن أبى بكر التطوانى السلوى فألف فيه كتابا شفى الغليل، فجزاه الله على بره ونبله خير الجزاء، ورحمة الله على لسان الدين العالم الاديب الخالد، وهدى الله ذوى المروءة والنجدة من أهل فاس، العاطرة الانفاس، ووفقهم لبناء ضريح عظيم، لهذا الرجل العظيم، فى هذا البلد العظيم. وهو سبحانه القادر على أن يوفق أهل مدينة مراكش الامجاد، الفضلاء الاجواد، لتشييد ضريح آخر للمعتمد ابن عباد، أديب الملوك ، وملك الادباء ، وما ذلك على همة نبلاء فاس ومراكش بعزيز.

امـا اذا قام رجال دولتنا ـ هداهم الله ـ بما هو واجب على الامة المغربية من العناية بضريح امير المسلمين يوسف بن تاشفين مفخرة المغرب وبطل الاسلام، فهم انما يغسلون بذلك عار اهمال عظمائنا عن امتنا. فاللهم وفقهم للخير وأعنهم عليه .

فى ذكر المعاهد والديار» (I) ذلك الكتاب الذى وصف فيه المدن الاندلسية والمغربية التى كانت فى عصره، ومن بينها مدينتا سبتة وطنجة القريبتان من تطوان، فما هو السبب فى اغفاله لذكر تطوان ؟ مع أنها كانت موجودة قطعا طول حياته كما يعلم ذلك من النقول السابقة؟ الظاهر أن تطوان كانت فى ذلك العهد مدينة صغيرة لدرجة أنها لم تكن تستحق الذكر الى جانب المدن الاخرى التى وصفها، أضف الى ذلك ان ابن الخطيب يصف المدن وأخلاق أهلها وعوائدهم، وتطوان فى ذلك العهد كانت حديثة العهد بالعمارة الجديدة، وسكانها اذ ذاك لعلهم كانوا خليطا من الناس، فلم تكن لهم أخلاق خاصة وعوائد متمازة يوصفون بها، وذلك هو شأن المدن الحديثة العهد بالعمارة. والله أعلم .

تطوان فى جل القرن التاسع

قال الناصرى فى الاستقصا (2) «وفى هذه المدة ـ اى فى حدود سنة ثمانمائة ـ خربت تطاوين القديمة ايضا، فزعم منويل (3) فى تاريخه، ان قراصين المسلمين من اهل تطاوين وغيرهم، كانت تغير على سواحل اصبانيا وتغنم مراكبها، ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية، الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية، بعث الطاغية الريكى الثالث شكوادرة(4) لغزو تطاوين ومراكبها، فانتهت الى وادى مرتيل وافسدت قراصين المسلمين التى به ثم نزلت عساكر

I) معيار الاختيار، هو كتيب فى شكل مقامة، وقد وصف فيه مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب، المدن المغربية والاندلسية الاسلامية التى كانت فى عصره وصفا أدبيا، وبين محاسن كل مدينة ومساويها واخلاق أهلها وعوائدهم . وفى خزانتى «الداودية» منه نسخة طبعت بفاس سنة 1325، وعدد صفحاتها 54 واهم المدن المغربية المذكورة فى هذا الكتاب هى : سبتة ـ طنجة ـ القصر الكبير ـ اصيلا ـ سلا ـ الدار البيضاء ـ ازمور ـ تيط ـ اسفى ـ مراكش ـ اغمات ـ مكناس ـ فاس ـ سجلماسة ـ تازا الخ.

2) ج 2 ص 146.

3) منويل هو الراهب الاسبانى منويل كاسطيانوس MANUEL P. CASTELLANOS وكان مقيما فى مدينة طنجة بالمغرب، وقد ألف بلغته الاسبانية كتابا سماه HISTORIA DE MARRUECOS «تاريخ المغرب» وعدد صفحاته يقرب من السبعمائة .

4) شكوادرة، كلمة اسبانية معناها هنا اسطول بحرى.

الاصبنيول للبر، فاقتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها، وخربت وعاثت فيها، وبقيت خربة نحو تسعين سنة، ثم جدد بناؤها على يد الرئيس ابى الحسن على المنظرى الغرناطى الخ. (1)

وذكر المؤرخ الاسبانى مارمول Mármol y Carvajal فى تاريخه أن مدينة تطوان كانت فى ذلك العهد عامرة جدا بالسكان المسلمين، وأنهم كانوا يرسلون قراصينهم للغارة على سواحل المسيحيين، وأن أسطول قشتالة خرب مدينة تطوان وأسقط معظم أهلها أرقاء ، وان هذه المدينة بقيت فارغة مدة تسعين عاما حتى اجتاز المنظرى الى افريقية الخ. وفى الأرشيف ماروكان بعد نقل هذه الحادثة، أن العساكر الاسبانيين خربوا تطوان عن آخرها وقبضوا على كل من بقى بها وأخذوه أسيرا ورجعوا به الى بلادهم، واضمحل أثر البلد حتى صار أحراشا وغابات الخ.

ومن ذلك نعرف ان جل القرن التاسع قد مر على تطوان وهى مخربة (2)

---

1) الاصل الذى نقل عنه الناصرى هنا موجود فى ص 34 من الطبعة الثالثة من تاريخ منويل المذكور، وقد ذكر مؤلفه فى هامشه أنه نقل ذلك عن مرمول فى كتابه المسمى، وصف عام لافريقية ـ وعن كنساليس دافيلا فى كتابه تاريخ انريكى الثالث .

2) لقد كان القرن التاسع للهجرة ـ كجل القرن العاشر، عهد محنة وبلاء على الاسلام والمسلمين بالاندلس والمغرب، ففى ذلك العهد وقع القضاء على آخر دولة اسلامية عربية بالاندلس التى يصفها علماء الشرق بالفردوس الاسلامى المفقود .

وفيه اجلي مسلموها عن بلادهم التى أقاموا بها نحو ثمانية قرون كونوا فيها حضارة كانت أرقى حضارة موجودة بالدنيا فى ذلك العصر .

وفيه استولى الافرنج على جل موانىء المغرب وشواطئه، فبعد تخريبهم لمدينة تطوان سنة 803 كما علمت، استولوا على سبتة سنة 818، وعلى القصر الصغير سنة 862 وعلى طنجة سنة 869 وعلى أصيلا سنة 876، كما احتلوا انفا ـ أى الدار البيضاء ايضا ـ وكل ذلك قبل تجديد بناء تطوان سنة 888 وسقوط غرناطة سنة 895 .

ثم احتلوا الجديدة سنة 907 والعرائش سنة 910 واكادير وسواحل سوس سنة 910 ايضا، ثم أسفى سنة 912 وازمور سنة 914 . والمعمورة سنة 920، الا ان المغربيين استيقظوا من غفلتهم وقاموا فى وجه المعتدين على بلادهم فحاربوهم وطردوهم طردا قضى على قواتهم المادية والادبية وكانت معركة وادى المخازن سنة 986 هى مفتاح الخير، لان الشعب المغربى قد اعتمد فيها على الافعال لا على الأقوال، فمحقت جيوش المسلمين قوات الاجانب المعتدين، وقضت على استعمارهم، وكسرت شوكتهم الى الآن، وبذلك غسل المغربيون عار الاستعمار عن أرض بلادهم، واسترجعوا شرف وطنهم الاسلامى المقدس.

الباب الثاني

وفيه فصلان

الفصل الاول

1 ـ بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة
2 ـ حالة تطوان وأهلها فى أواخر القرن التاسع

مدينة تطوان الحديثة، هى تطوان الموجودة الآن، وهى التى بناها مهاجرو الاندلس فى أواخر القرن التاسع الهجرى على أنقاض تطوان القديمة، وذلك أنه لما ضاق الحال بمسلمى الاندلس عند استيلاء الافرنج على جل بلادهم، صار كثير منهم يفضلون الاحتفاظ بدينهم على البقاء فى وطنهم، فأخذوا يتركون بلادهم الاندلسية الجميلة ويهاجرون الى غيرها من بلاد الاسلام ليعيشوا بين اخوانهم المسلمين متمتعين بحريتهم الدينية تحت ظل الحكم الاسلامى الشريف. ولقد كانت تلك الهجرات متقطعة فى فترات مختلفة التاريخ، وكان من بين اولئك المهاجرين عدد من أهل غرناطة التى كانت عاصمة آخر دولة اسلامية بالاندلس .

ركب المهاجرون الغرناطيون البحر قاصدين بلاد المغرب، وسرعان ما وصلوا الى الشاطىء المغربى المقابل لاندلسهم، فنزلوا أمام مدينة تطوان القديمة التى ذكرنا سابقا ان الاسبانيين كانوا قد خربوها، وأنها بقيت خالية نحو تسعين سنة، وبعد أن اتخذ المهاجرون المذكورون اجراءات سنبينها، بنوا مدينة تطوان من جديد، وهذا البناء الاندلسى بتقسيماته وشوارعه ومنعرجاته لا زال جله موجودا الى وقتنا هذا .

ونحن الآن أمام استفهامات نرى من الفائدة ان نعرضها ونجيب عنها وهى:

أولا ـ ما هو عدد الاندلسيين الذين هاجروا من غرناطة الى شمال المغرب وجددوا فيه بناء تطوان وسكنوها .

ثانيا ـ ما هى الاجراءات التى اتخذوها للتوصل الى بناء هذه المدينة والسكنى بها ؟

ثالثا ـ من هو رئيسهم الذى أشرف على بنائها وتولى الحكم فيها ؟
رابعا ـ كيف كانت صفة هذه المدينة عند ما تم بناؤها الاندلسى ؟
خامسا ـ ما هى الاماكن الاولى التى بنوها بتطوان ؟
سادسا ـ ما هو تاريخ بنائها بالتدقيق ؟
سابعا ـ كيف كان موقف سكان القبائل المغربية منهم أثناء بنائها ؟
ثامنا ـ ماذا عمل سكان تطوان بعد بنائهم لها ؟
تاسعا ـ ما هى الارباض التى اضيفت الى المدينة بعد بنائها ؟

هذه اسئلة تسعة اجاب المؤرخون عنها ونحن سنعرض ما وقفنا عليه من كلامهم مع تعليقاتنا الخاصة على ذلك فيما يلى :

1 ـ عدد الاندلسيين الذين بنوا تطوان

أما عدد المهاجرين الاولين الذين وفدوا من الاندلس على المغرب وجددوا بناء مدينة تطوان. فنجد فيه ثلاث روايات.

فأبو محمد سكيرج مؤرخ تطوان، ذكر أن عددهم كان نحو الثمانين .

والعلامة أبو حامد الفاسى المتوفى بتطوان، ذكر ان عددهم كان ستة وأربعين رجلا وعشر نسوة .

وصاحب مخطوط قديم كتب بتطوان، ذكر أنهم كانوا نحو الاربعين دارا .

وهذه الروايات الثلاث وان كانت فى الظاهر مختلفة، الا أن من الواضح أنه لا منافاة بينها، ومن السهل الجمع بينها بأن عدد أولئك المهاجرين كان ثمانين شخصا منهم ستة وأربعون رجلا وعشر نسوة ونحو عشرين طفلا وانهم كانوا يسكنون نحو الأربعين دارا .

وقد وقفت فى كناش قديم على أبيات يظهر أن ناظمها قالها عقب الفراغ من بناء تطوان، وهى مؤيدة لما رواه سيدى العربى الفاسى .

وانى مثبتها هنا على ما فيها من ضعف وتصحيف وهى هذه :

قد بنيت تطاون يقينا ... عام تفاحة من السنينا
فى شهر شعبان فى حرف الزاء ... ابتدأوا الحفير والبناء
وكملت عند تمام الكاف ... قد صح ذا عندى بلا خلاف
وكان عدة الرجال الابرار ... ميم وزاء ليس ثم أكثر
وعدة النساء نقط الياء ... فهؤلاء أسسوا البناء

ومضمن مدلول هذه الابيات، ان مدينة تطوان الحديثة قد وقع الشروع فى حفر أسسها وبناء جدرانها فى اليوم السابع من شهر شعبان عام (تفاحة) اى سنة 889 . ولعل مراده من شطر البيت الثالث أن الفراغ من بناء هذه المدينة كان بعد مرور عشرين سنة على الشروع فى ذلك البناء، اذ عدد

العشريـن هو مدلول حرف الكـاف وفى البيتين الرابع والخامس ذكر أن عدد الاشخاص الذين أسسوا البناء هو من الرجال مدلول حرفى الميم والـزاى، أى سبعة واربعون، ومن النساء مدلول حرف الياء أى عشرة. والله أعلم.

والذى يظهر ان بعض الذين هاجروا من الاندلس الى المغرب كانـوا أولا منفردين، لانهم عند خروجهم من وطنهم كانوا يجهلون مصيرهم، فلما استقر بهم الحال رجعوا بأنفسهم او بعثوا الى من تخلف من أقاربهم أو أصدقائهم فجـاءوا بمن بقى من أهلهم. وعلى كل الروايات فان اولئك المهاجرين الاولين انما كانوا يعدون بالعشرات، لا بالآلاف ولا بالمآت ولكن مما لا شك فيه أنه وصـل عـدد آخر من المهاجرين باثر ذلك خصوصا بعد أن أكمل بناء المراكز الاولى بتطـوان واستقـر بها أهلهـا وتم استيلاء الافرنج على غرناطة وقضى على آخر دولـة اسلاميـة بالانـدلس . وهذا ليـون الافريقـى (1) الـذى يسميـه الاسبانيون: JUAN LEON AFRICANO ويسميه الفرنسيون JEAN LEUN AFRICAN يذكر لنا فى كتابـه أن المنظرى الذى حكم تطوان بعد بنائها «كانت تساعده فى عالمه ثلاثمائة من نخبة فرسان غرناطة وأشجعهم» (2) وليون الافريقى ولد بغرناطة عقب استيلاء الافرنج عليها وبعد بناء تطوان ببضع سنوات، وقد نقـل الى المغرب صغيرا ونشأ به وزار تطوان بنفسه وحكى عما شاهده فيها بعينيه .

---

1) ليون الافريقى هو الاسم الذى يطلقه الاوربيـون على الجغـرافـى البحاثة الحسن بن محمد الوزان الاندلسى الغرناطى المغربى الفاسى. وقد كان مولده بغرناطة حوالى سنة 901، أى بعد بناء تطوان بسنوات قليلة، وحمل الـى المغرب صغيرا فنشأ ودرس بفاس ثم جال فى المغرب والمشرق وبينما هو راجع الى بلده فى البحر اذ أسره قراصنة أوربيون وذهبوا به الى نابولى، فلما عرفوا أنه من أهل العلم قدموه هدية الى البابا جان ليون العاشر صاحب روما. وكانت لهذا البابا عناية بعلوم العرب فتلقاه بالقبول وأدخله فى حاشيته وسماه باسمه ـ جان ليون، فتعلم عدة لغات وألف عدة كتب. وقد وجد بخطه فى آخر قاموس طبى ألفه، أنه كان بمدينة بلونيا فى ايطاليا سنة 930 هـ. 1524 م. وفى سنة 932 هـ 1526 م. كان بروما حيث أتم كتابه (وصف افريقيا) وقد ذكر بعض المؤرخيـن الافرنج أنه غادر ايطاليا الى بلاد الاسلام ورجع الى دينه الاسلامى .

وهذا الشخص له شهرة عظيمة فى الاوساط العلميـة فى العالم بسبـب كتابه الجغرافى التاريخى (وصف افريقيا) وهو كتاب يدل على سعة اطلاعـه ودقة ملاحظاته، وقد ترجم الى الايطالية وطبـع بها سنة 1550. ثم تـرجم الى اللاتينية والفرنسيـة والالمانيـة، وطبع عدة مرات فى ثلاث مجلدات يزيد عدد صفحاتها علـى الالف فهو من أشهر وأقـدم الكتب الجغرافية التـى ظهـرت بأوربا ـ أما باللغة الاسبانية فقد نشر منه معهد فرنكو بتطوان مجلدا يحتـوى على القسمين الاول والثانى منه فى سنة 1940 .

2) ج 2 ص 255 من طبعة باريس سنة 1897.

وقد جاء فى آخر كتاب «نبذة العصر، فى أخبار ملوك بنى نصر» تحت عنوان «نزوح مسلمى الاندلس الى المغرب» بعد ان بين ما حل بالمسلمين الذين بقوا بغرناطة تحت حكم النصارى من زوال حرمتهم وقطع الاذان فى الصوامع، ومنع الاجتماع للصلاة فى المساجد، واخراجهم من المدينة الى الارباض الخ ما نصه : (I) وخرج اهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية مرذوش وحصن مرتيل الى تطوان وأحوازها ... الى أن قال : «وخرج أهل بربرة وبرجة وبولة وأندراش الى ما بين طنجة وتطوان ثم انتقل البعض منهم الى قبيلة بنى سعيد من قبائل غمارة».

وفى الارشيف ماروكان ان تطوان كانت ملجأ للمسلمين والاسرائيليين الذين كانوا يفرون من عقاب محاكم التفتيش بالاندلس .

وهنا يجمل بنا أن نشير الى رواية تناقلها بعض الكتاب الاجانب، فقد ذكر بعضهم أن مهاجرى الاندلس نقلوا معهم مفاتيح أملاكهم تبركا بها ؟ وحفظا لآثارها، وانتظارا ليوم رجوعهم لارضهم واملاكهم، وزاد بعضهم أن عند أهل تطوان عددا من تلك المفاتيح . وهذا شيء ربما كان فى القديم، أما فى عصرنا فاننا لا نعرفه ولم نسمعه من أحد من أهل بلدنا .

على أن الذى يثير الاستغراب هو استهزاء بعض الاجانب بما يحمله المسلمون والعرب فى المشرق والمغرب من ذكريات نحو ماضيهم ببلاد الاندلس ، وما يبدونه من عطف وحنان وحب لتلك البلاد التى يسمونها بالفردوس الاسلامى المفقود، فكأن أولئك الاجانب يرون أن القرون الثمانية التى عاشها العرب والمسلمون فى بلاد الاندلس، غير كافية لتخليد حبها والعطف عليها، فى قلوب أبناء العرب وأحفادهم الى الابد، وكأنهم لا يعرفون أن الحنين الى البلاد الاندلسية وتمنى عودة العرب والمسلمين اليها، وحمل راية الحضارة الاسلامية والثقافة العربية بها مرة أخرى، يشعر به ملايين من الناس فى مختلف أنحاء العالم العربى والاسلامى .

ونحن وان كنا نعلم أن الدهر أبو العجائب، وأنه بالناس قلب، الا أننا لا نساير أصحاب الخيال، ونكتفى اليوم بأن ننتظر أن يعيش المغرب حرا عزيزا فى ظل دولة وطنية مستقلة عزيزة الجانب صديقة لجارتها دولة اسبانيا، وأن يعيش الشعبان المغربى المسلم والاسبانى المسيحى كجارين يتبادلان المصالح على

(I) ص 48 طبعة العرائش سنة 1940

قدم المساواة بدلا من الحروب او الاحتلال او الاستعمـار. والله على كل شـىء قـديـر (I) .

2 ـ لاجراءات التى اتخذها الاندلسيون لبناء تطـوان

قد وجدنا عدة روايات عن الاجراءات التى اتخذها الاندلسيون للتوصل الى بناء تطوان الحديثة .

فأبو محمد سكيرج المؤرخ التطوانى ذكر انهـم شرعوا فى البناء فقاومهم سكان الناحيـة، فرفعوا أمرهم لامير الوقت فاعتذر لهم بقلة المال عنده وقتئذ، وأذن لناظر القرويين بفاس فى أن يسلفهم من وفر الاحباس، فأسلفهم أربعين قنطارا أى أربعين ألف مثقال .

وذكر أيضا ان الامير المذكور وجه معهم أربعين من أهل فاس وأربعين من أهل الريف ليحموهم مـن كل اعتداء، يقع عليهم من سكان القرى المجاورة لتطـوان .

ومنويل كاسطيانوس المؤرخ الاسبانى، ذكر أنهم لم يقدموا شيئا علـى الوفادة على سلطان المغـرب، فأذن لهم فى تجديد بناء تطـوان (2). وقد قـال الناصرى فى الاستقصا ما نصه : (3)

«قال مانويل، لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها الى المغرب، فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين، ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على الوفـادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسى، فأجل مقدمهم ورحب بهم، فقالوا ان ضيافتنا عندك، أن تعين لنا موضعا نبنى فيه بلدا يكننا ونحفظ

I) هذه العبارات تركتها كما كتبت يوم كان المغرب مقسما بين دولتى فرنسا واسبانيا، والحكم الاجنبى مسيطر على البلاد، خانق لحرية أبنائها، ولكن الدهر ـ كما قلت ـ أبو العجائب. فقد كافح أحرار المغرب واضمحلت الحمايتان الافرنسية والاسبانية، واسترجعت الامة المغربية حريتهـا واستقلالهـا وتوحيد اراضيها والحمد لله .

2) كانت طنجـة وسبتة ومليلية عواصم لشاطىء المغرب على المجاز والبحر الابيض المتوسط ويمتـد نفوذ هذه المدن الى الداخل لمسافة تقرب من مائة كيلومتر، وبذهاب هذه المدن الثلاث بقى المغرب الساحلى بلد لا احد، فلما بنى الاندلسيون تطاون أصبحـت عاصمـة لهذه الاقطـار كلها ولم تكن عاصمة سياسية بل ان الوضع الجغرافى هو الذى أعطاها هذه الاهمية، وكان المغاربة يخشون الدنو من الشواطىء لقربها من العدو، لكن الاندلسيين اعتادوا ان لا يكون بينهم وبين العدو الا رمية سهم فكانوا فى تطاون يرون انفسهم على بعد كبير من العدو فى حين ان المغاربة كانوا يحسبونهم فى فم الذيب ت. و.

3) ج 2 ص 162

فيه عيالنا من أهل الريف، فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخربة منذ تسعين سنة » .

وجاء فى المخطوط القديم أنهم بعد ما جاءوا من الاندلس تفرقوا فى قرى الجبل ثم ذهبوا الى مولاى على بن راشد بشفشاون وطلبوا منه اصلاح تطوان.

وذكر العلامة سيدى العربى الفاسى فى تقييده، «أن نزولهم هناك ـ أى فى المكان الذى بنوا فيه مدينة تطوان ـ كان على يد السيد المجاهد سيدى على ابن راشد الشريف العلمى (1) وهو أمير الجبل وبانى شفشاون».

والذى نستخلصه من مختلف الروايات، أن المهاجرين الاندلسيين بعد أن نزلوا بالشاطىء المغربى، أى فى وادى مرتيل أمام تطوان، قصدوا دواخل البلاد المغربية ونزلوا فى مختلف قراها الجبلية القريبة من الشاطىء ـ وكانت مدينة تطوان فى ذلك العهد مخربة ـ ثم اتصلوا بالشريف المجاهد مولاى على بن راشد العلمى بمدينته شفشاون، وقد سبق ان وفد عليه بعض مهاجرى الاندلس ومنهم القائد المجاهد أبو الحسن المنظرى الغرناطى، فاتفقوا على أن يجدد المهاجرون الغرناطيون المتحضرون بناء مدينة تطوان المتهدمة، وأن يقوموا بعمارتها من جديد، الا أن عملا مهما كهذا، لابد فيه من اذن سلطان المغرب وهو اذ ذاك محمد الشيخ الوطاسى، فتوجهوا اليه وهو بفاس فاستقبلهم احسن استقبال وساعدهم على ما طلبوا، ثم أمدهم بالمال والرجال كما ساعدهم ايضا الشريف الجليل مولاى على بن راشد صاحب شفشاون وبانيها وحاكم هذه النواحى الجبلية فى ذلك العهد .

3 ـ رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطوان

قد وقع الاتفاق من المؤرخين على أن رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطوان الحديثة، هو القائد المجاهد أبو الحسن على المنظرى الغرناطى أحد قواد بنى الاحمر، وأنه هو الذى أشرف على بناء هذه المدينة وتولى الحكم فيها وبقى قائما بأعمال الجهاد باقليمها الى أن توفى بها ودفن خارج باب المقابر منها وما زال قبره مشهورا يزار حتى الآن .

---

1) سيدى على بن راشد وصفه سيدى العربى الفاسى فى كتابه «مرآة المحاسن» (ص 168 طبع فاس سنة 1324) بأنه هو الامير الجليل الفاضل الاصيل أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب ابن علال بن مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنهم، وذكر أنه كان قائما بأمر الجهاد والاستنفار له وجمع الجموع وتجييش الجيوش الخ. وأنه شرع فى اختطاط شفشاون فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها ـ أى قبل بناء تطوان بقليل ـ ونزل الناس بها فبنوا وصارت فى عداد المدن الى أن توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة وورثها بنوه من بعده ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب الى ان أخرجهم منها السعديون سنة 969 .

٤ - صفة تطوان الحديثة فى أول امرها .

أما صورة تطوان الحديثة فى أول أمرها، فقد وصفها سيدى العربى الفاسى فى تقييده بما نصه :

«انها بلد مربع، وقصبتها فى ركنها، ولها ثلاثة أبواب، وسورها فى عرضه سبعة أذرع، ودار بالسور الاول سور ثان وبعده دارت الحفائر وأعظمها حفير القصبة، ويعلو البلد من جهة الجوف جبل بنى عليه المنظرى قصبة أكملها فى عشرين سنة . »

ويعنى بالقصبة التى فى ركن المدينة، المكان المعروف الآن بجامع القصبة اذ كانت فيه القصبة التى بناها المنظرى داخل المدينة وجعلها مقرا له ومركزا للحكم وادارة شؤون المدينة ونواحيها. وما زالت أبراج هذه القصبة قائمة الى الآن .

ومقتضى كون هذه المدينة مربعة الشكل، وأن قصبتها واقعة فى ركنها أى الركن الجنوبى الغربى منها كما هو مشاهد حتى الآن ان حدودها وأسوارها كانت تبتدىء من البرج الواقع فى أقصى جنوبها الغربى، وهو البرج الذى ما زال قائما حتى الآن فى الزاوية الجنوبية من سوق الحوت القديم، وهو المشرف على شارع الساقية الفوقية .

والسور المتصل بهذا البرج ما زال موجودا حتى الآن بين حومة جامع القصبة وسوق الحوت القديم، ويمتد هذا السور شمالا نحو ساحة الغرسة الكبيرة حتى يصل الى قوس السفاجين الذى هو الفاصل بين المدينة القديمة والغرسة الكبيرة التى كانت كما يدل عليه اسمها ارضا مغروسة لا بناء فيها ثم يمتد السور شمالا ايضا فى اتجاه جبل درسة حتى يصل الى المقابر ثم يتحول نحو جهة الشرق حتى يصل للمكان القريب من باب الجياف الآن ثم يتحول قليلا نحو الجنوب حتى يصل للقوس الواقع على رأس سلوقية سيدى السعيدى ثم يمتد جنوبا خلف الدور الواقعة شرقى المسجد الاعظم الآن حتى يصل الى الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة، ومحلها الآن فيما نرى هو القوس الذى بين حومة البلد وحومة الربض الاسفل من ناحية حومة الجنوى قرب زاوية سيدى ابن الفقيه. ثم يمتد السور غربا فيصل الى القوس المتصل بالزاوية الناصرية ثم يمتد غربا ايضا خلف حوانيت النجارين الآن الى شارع الساقية الفوقية حتى يتصل بالبرج الذى يشرف على هذا الشارع متصلا بسوق الحوت القديم وهو الذى ابتدأنا منه أولا .

وهذه الاسوار الاولى قد اختفى الكثير منها عن الانظار عند ما بنى الناس الى جانبها فاتصلت المدينة الاصلية ببعض أرباضها ولم يبق هناك فاصل ظاهر بينهما

أما ابواب المدينة الاصلية، فقد ذكر الشيخ أبو حامد الفاسى ـ كما رأيت ـ أنها ثلاثة، أحدها كان فى الجهة الشمالية الشرقية للمدينة، وهو الذى كان يعرف بالباب السفلى، لان الخارج منه ينزل الى السهل المنخفض عن المدينة، المنتهى الى شاطىء البحر، والمفهوم لدينا ان محل هذا الباب هو القوس الواقع على رأس سلوقية سيدى السعيدى بينها وبين حومتى الجامع الكبير والمطمر .

والباب الثانى كان ـ والله أعلم ـ جنب الزاوية الناصرية متصلا بالفندق المعروف بفندق النجار (١) .

اما الباب الثالث فكان فى الجهة الغربية من المدينة والغالب على الظن أنه كان بين شارع الصياغين والخرازين، وان كان من المحتمل انه كان فى القوس المعروف الآن بقوس السفاجين، والذى يظهر ان هذه الابواب الثلاثة هى التى كانت لتطوان عندما جدد بناؤها وأدير عليها السور الكبير، وأنه عندما ألحقت بالمدينة أرباض جديدة، صار الاتصال بها بواسطة فرجات أو أقواس فتحت فى السور المذكور، وربما كان من بين تلك الفرجات، القوس الواقع بين حومة الجنوى والجامع الكبير، والله أعلم.

وذكر الشيخ أبو حامد أن الحفائر كانت دائرة بالاسوار، والذى يظهر أن تلك الحفائر كانت فى ظروف خاصة، أى عند ما كانت المدينة مهددة بالهجوم عليها من أعدائها أو المناوئين لاهلها، ويظهر أيضا أن القسم الغربى من المدينة كان محصنا بالابراج المتينة، أما بقية الاقسام وخصوصا الجنوبى منها، فقد كان الاعتماد فى حفظها على الاسوار العالية مع محارسها الصغيرة والحفائر التى تتصل بها ويعسر معها الوصول اليها فضلا عن تسلقها .

وذكر أبو حامد أيضا أن المدينة «يعلوها من جهة الجوف جبل بنى عليه المنظرى قصبة أكملها فى عشرين سنة». فالجبل المذكور هو جبل درسة (وبعض الناس يطلقون على هذا الجبل جبل القصبة) وهو كما قال أبو حامد وكما هو مشاهد الآن، واقع فى جهة الجوف من المدينة أى فى الجهة الشمالية الغربية منها، وقد كان قدماؤنا يطلقون الجوف على جهة الشمال .

فالذى بنى هذه القصبة هو القائد المجاهد أبو الحسن المنظرى رحمه الله..

ومن تتمة كلام الشيخ أبى حامد أن الذين باشروا بناء هذه القصبة هم الاسارى الافرنج يوم كانت اليد العليا والعزة العظمى للمسلمين فى هذه البلاد.

وأن المدة التى استغرقها هذا البناء هى عشرون سنة كاملة، والذى نفهمه والله أعلم أن هذه المدة الطويلة هى التى تم فيها بناء القصبة مع السور المتصل بها، والذى يبتدىء من أعلى باب المقابر ويصعد الجبل الى برج القصبة ثم

---

(١) هذا الفندق هدم كله عام 1374 هـ. 1954 م. وأضيف الى الزاوية الناصرية التى جعل لها باب جديد فى نفس المكان الذى كان به باب الفندق .

يسير نحو الغرب ثم ينحدر الى المحل الذى به باب النودار ، لان هذه القصبة انما جعلت هناك لتحصين هذه المدينة وللدفاع عنها من جهة الشمال، وذلك لا يتأتى الا بذلك السور والله أعلم.

والمفهوم أن اسم القصبة كان يطلق فى تطوان على موضعين اثنين، أحدهما هو المعروف الآن بحومة جامع القصبة حيث الجامع المذكور، والآخر هو الواقع فى الجبل حيث الحصن المعروف حتى الآن بالقصبة، وكلا الموضعين من بناء القائد المنظرى رحمه الله .

5 ـ أقدم ما بنى من تطوان الحديثة

لعل أقدم ما بنى من تطوان الحديثة، هو قصبتها أى مركز الحكم بها ، وما يتعلق بذلك من بيت المال والسجن وغير ذلك من الاماكن الرسمية، وهذه القصبة كما هو مشاهد حتى الآن، واقعة فى الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة ومحلها هو المكان المعروف الآن بحومة جامع القصبة. وكانت هذه القصبة محصنة بالاسوار المتينة والابراج العديدة التى ما زالت قائمة حتى الآن والموضع الذى بنيت به هذه القصبة، هو الذى يواجه جميع من يرد على تطوان من جهة الغرب ، أى من جل بلاد المغرب.

ومن أقدم ما بنى من تطوان الحديثة، حومة البلد، وبالخصوص ما بين جامع القصبة والجامع الكبير وجامع الرابطة. وقد كان سور المدينة من أول ما بناه الاندلسيون للتحصن بداخله من غارات الجبليين الذين كانوا متضايقين من ذلك البناء، فكانوا يعاكسون أولئك الاندلسيين وربما كانوا يهدمون بالليل ما يبنيه الآخرون بالنهار. وقد كان ذلك السور واسعا ذكروا أن عرضه سبعة أذرع، وما زال قسم كبير منه ظاهرا الى الآن وهو الموجود بسوق الحوت القديم والغرسة الكبيرة والصباغين .

وذكر السكيرج أن المهاجرين الذين بنوا دورهم فى عهد القائد المنظرى ، كانوا يجعلون بجانب بيوتهم حدائق (أى كما يفعل أهل هذا العصر فى الدور الجديدة) وأنه لما توفى المنظرى، خالف الناس تلك العادة الخ. ولعل الداعى لهم الى ذلك، هو ضيق المجال وكثرة السكان قبل بناء أرباض المدينة.

وبنى ايضا المسجد الجامع، وهو جامع القصبة الذى ما زال معروفا بهذا الاسم الى الآن، وقد جدد بناؤه فى أوائل هذا القرن.

والحمام المعروف بحمام سيدى المنظرى او الحمام السطيطو فى الزنقة التى بين الزاوية الريسونية وساحة الوسعة، هو أيضا من بناء الاندلسيين .

وكذلك الفران أى الفرن الذى قرب جامع القصبة هو أيضا من بناء المنظرى وأصحابه، وبعضهم يذكر أن الحمام الذى بناه المنظرى كان متصلا

بجامع القصبة، وأنه ما زال قسم منه موجودا الى الآن وهو الخزين الذى بين المحكمة الشرعية والجامع، ويستدلون بسقفه على أنه كان قطعة من الحمام المذكور .

والابراج الموجودة على السور الكبير الذى فى ناحية سوق الحوت القديم وما يتصل به، جلها من بناء المنظرى والاندلسيين، والقسم الاعلى من أحد تلك الابراج، وهو قائم الذات الى الآن، كان مخصصا للحراسة الدائمة، لانه كان مشرفا على جميع الضواحى المحيطة بالمدينة، وعلى السهل الفسيح الذى ينتهى عند البحر المتصل ببلاد أعداء ذلك العهد .

وهناك أماكن أخرى كثيرة من بناء ذلك العهد وما قرب منه، وخصوصا داخل الدور التى فى الحومة المذكورة. وكذلك بعض الاقواس المؤلفة من قطع حجرية كبيرة منحوتة ما زال بعضها ظاهرا الى الآن مثل القوس الذى خلف جامع القصبة من جهة باب المقصورة، وكذلك قوس آخر فى وسط الزنقة التى تصل بين شارع المطامر وجامع بن صالح ـ الشحيت ـ وآخر فى درب صمعان وهو الدرب المنحنى الذى يواجه النازل من زنقة حمام أمحلى وغير ذلك.

والقصبة العالية التى بجبل درسة وهى الحصن المشرف على المدينة من الجهة الشمالية، هى ايضا من أقدم ما بني من هذه المدينة. اذ الذى بناها هو المنظرى ايضا كما قلنا .

ومن العادى أن يكون بعض أبنية ذلك العهد قويا متينا فيقوى على مقاومة الحوادث وتبقى أعيانه قائمة نراها الى الآن، وان يكون البعض الآخر بناء عاديا استغل مائة او مئات من السنين ثم تداعى فبنى غيره مكانه، فتلك سنة الله فى صنع الانسان، الا أن من المعروف أن الشوارع والدروب والمنعجرات التى فى هذه الناحية كلها ما زالت على الصفة التى اختطها الاندلسيون. أما الدار التى كان يسكنها القائد الحازم أبو الحسن المنظرى فلا نتحقق الآن مكانها بالتدقيق وان كان من الطبيعى أن تكون حول جامع القصبة، لان تلك الناحية هى التي بها المسجد الجامع وكان بها مركز الحكم ومصاعد الابراج التى كانت مركزا للحراسة. وقد ذكر السكيرج أن أبا الحسن المذكور بنى داخل السور دارا له، وأنها كانت فى زمنه ـ أى فى زمن السكيرج المتوفى فى أواسط القرن الماضى ـ معروفة تدعى دار السكة قرب سوق الحوت . وبعض الشيوخ يحكى أن مكان تلك الدار هو البقعة التى كانت فى أوائل هذا القرن فندقا للحواتة، ثم بنيت المحكمة الشرعية الحالية فى مكانها سنة 1354 هـ 1935 م. وشيخنا المرير حفظه الله يظن أن محلها هو الدار المجاورة للمسجد من جهة القبلة وهى التى جدد بناءها الناظر المرحوم السيد محمد بن عبد السلام القناوى وهى الآن فى ملك ابنائه والله أعلم بالحقيقة .

٦ ـ تاريخ بناء تطوان الحديثة بالتدقيق

وأما تاريخ بناء تطوان الحديثة بالتدقيق، فاننا نجد فيه روايتين، احداهما لابى محمد سكيرج وصاحب المخطوط القديم الذى هو أقدم من سكيرج، وهما معا تطوانيان، والرواية الاخرى لليون الافريقى وسيدى العربى الفاسى .

فالسكيرج ذكر أن بناءها كان عام 888 . ونص كلامه : «وأما بناؤها فالمشهور المنقول عن السلف والخلف أنها بنيت عام 888 واليها يشير من رمز لبنائها بقوله : (تفحة) بحساب الجمل، اذ التاءان عددهما ثمانمائة، والفاء ثمانون، والحاء ثمانية» .

وسلفه صاحب المخطوط القديم ذكر أن ذلك البناء كان سنة 889. وهذه عبارته : « كان ذلك آخر المائة التاسعة فى تسع وثمانين منها واليه يشير بعضهم بحساب الجمل بتفاحة، التاءان كل واحدة منهما بأربعمائة والفاء بثمانين والحاء بثمانية، والالف بواحدة، الجميع ثمانمائة وتسع وثمانون» ولا منافاة بين كلام السكيرج وسلفه لان بناء مدينة لا يتم فى عام واحد فلعل من أرخ بعام 888 قصد سنة الشروع فى بنائها، ومن أرخ بعام 889 قصد تاريخ الفراغ من أهم أبنيتها.

أما ليون الافريقى فبعد أن ذكر أنها بقيت فارغة خمسة وتسعين عاما، ذكر أنه بعد انتهاء المدة المذكورة جدد بناءها وسكنها القائد الغرناطى الذى جاز الى سلطان فاس بعد أن نفاه ضون فرناندو ملك اسبانيا من مملكته، أى إن بناءها كان بعد استيلاء الاسبانيين على غرناطة، ومعلوم أن ذلك الاستيلاء انما كان فى سنة 897 هـ. وبالتدقيق انه كان فى اليوم الثانى من ربيع الاول من السنة المذكورة، وهو موافق لليوم الثانى من يناير سنة 1492. فالفرق بين التاريخين كما ترى نحو تسع سنين، وهو فى الحقيقة غير كثير، وأنا كنت أولا أرجح رواية السكيرج وسلفه صاحب المخطوط القديم لامرين، الاول انهما من تطوان، والشأن فى أهل كل بلد أن يكونوا أعرف من غيرهم بتاريخ بلدهم والثانى أن روايتهما هى التى يتناقلها الخلف عن السلف الى الآن، حتى انهم زيادة فى التحقيق رمزوا لذلك التاريخ كما علمت بلفظ تفاحة أى سنة 889. ولكننى توقفت أخيرا فى ذلك الترجيح لانى وقفت على تقييد فى كناش قديم بخط الفقيه الشريف سيدى التهامى بن محمد بن رحمون التطوانى الذى كان حيا بهذه المدينة عام 1143، وهذا التقييد منقول من خط العلامة سيدى العربى الفاسى صاحب مرآة المحاسن، وكان سيدى العربى المذكور ساكنا بتطوان وبها توفى سنة 1052 وقد جاء فى التقييد المذكور ما نصه :

«ان هذا البناء الاخير كان على يد جماعة من الاندلس قدموا الى هذه العدوة حين استولى الكفرة دمرهم الله على الجزيرة أعادها الله للاسلام، وذلك

فى شعبان لسبع خلت منه عام 898» . وهذا التاريخ يوافقه من التاريخ الميلادى فاتح يونيه سنة 1493 أى بعد سقوط غرناطة بسبعة عشر شهرا. وسيدى العربى الفاسى كان ثقة صاحب تدقيق وهو أقدم من وقفنا على كلامهم من المؤرخين المغربيين فى الموضوع. وقد علمت أنه عاش بهذه المدينة قبل تاريخنا هذا بأكثر من ثلاثمائة سنة. وقد حدد تاريخ قدوم الاندلسيين لتطوان بالسنة وبالشهر واليوم. وفى ذلك من التدقيق ما لا يخفى. على أن الذى يظهر والله أعلم هو أن المهاجرين الذين وفدوا على تطوان عقب احتلال غرناطة كانوا من الكثرة والاهمية بحيث تنوسى عدد الذين سبقوهم، وربما كان هؤلاء اللاحقون يعدون بالمآت أو الالوف فى حين أن السابقين انما كانوا يعدون بالعشرات فقط، فلذلك نسب البناء الى اللاحقين بدل السابقين، وربما لاحظ المؤرخون أن السابقين الاولين انما اختطوا المدينة وبنوا سورها وأبراجها مع ما يكفى عددهم القليل من الدور وتوابعها، فنسب اليهم تأسيس المدينة، وأرخ ذلك بسنة 889 ثم لما لحق بهم اخوانهم عقب احتلال غرناطة وبنوا دورهم الكثيرة بالمدينة وعمروها بالصنائع والحرف وغيرها، نسبت اليهم لوفرة عددهم وكثرة ما بنوا فيها من الدور والمعاهد والاسواق، وأرخ ذلك بسنة 898.

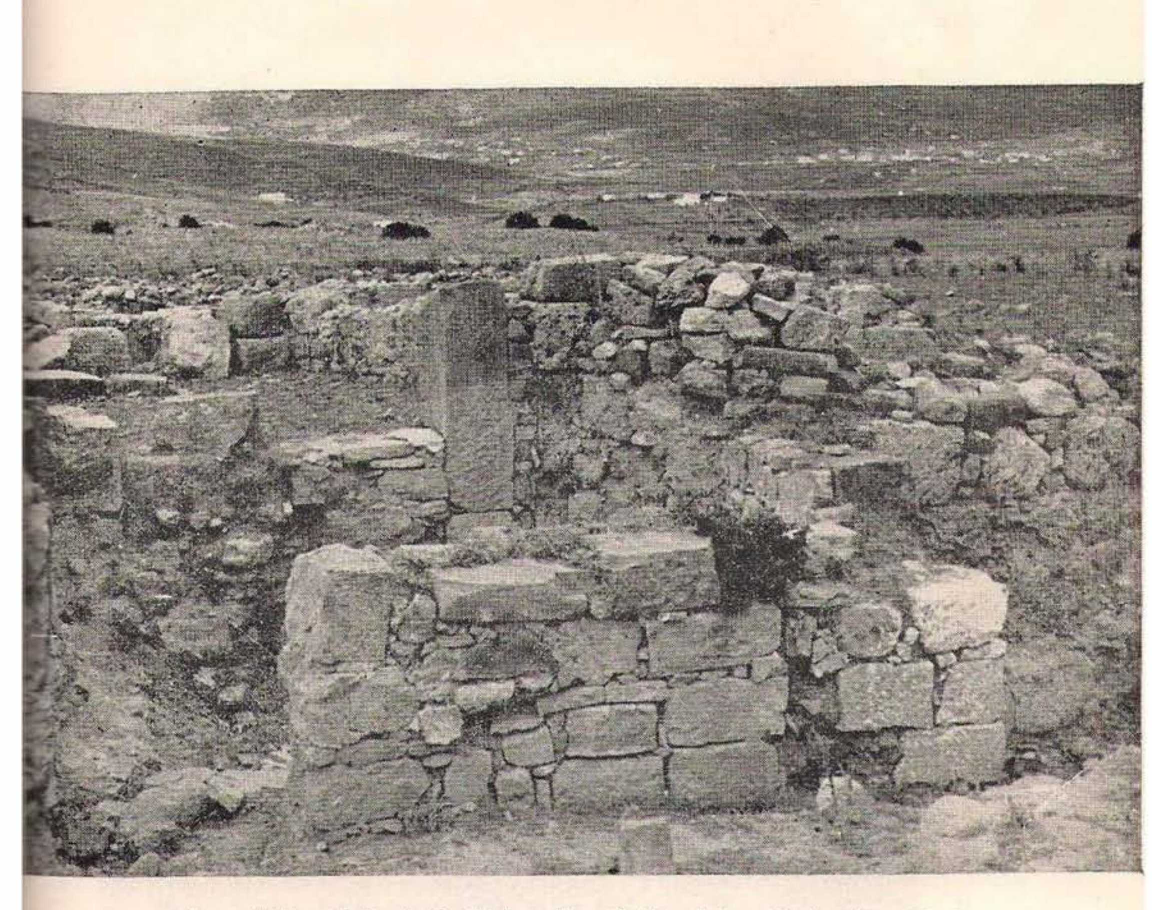
والعوام ـ عوام الفكر او العلم ـ فى كل زمان ومكان، مولعون بالمغربات من الاخبار، والمتدينون منهم وان كانوا متعلمين، يبتهجون ويتلقون بالفرح والقبول كل شىء له علاقة بالكرامات، وبالامور التى تنسب، إما للدين وإما لرجال الدين ولو كانت من وضع السياسيين المستغلين لطيبة قلوب الاخيار. ولعل من هذا القبيل ما حكاه أبو محمد سكيرج فى تاريخه عند كلامه على بناء تطوان، من أنه بينما كان أهل هذه المدينة ذات يوم يبنون سور البلد، وقد حل وقت الاكل فجلسوا يأكلون، اذ انتحى رئيسهم السيد المنظرى ناحية غير ناحيتهم، فوجد بها رجلا كله نور، فلما سأله من هو ؟ أجابه بأنه محمد رسول الله ... فقال له يا سيدى، ادع لهذه البلدة، فقال له أنا ضامنها ان شاء الله، ان يكن الناس فى النعم الى الركبة، تكن هى الى العنق، وان كان الناس فى الشر الى العنق، تكن هى الى الركبة .

وهذه الحكاية وان كانت هى وامثالها مما ينشر للدعاية ولغيرها، فان من الناس من لا يزال يعتقد أنها حكايات واقعية، وأن مصداقها ما يزال صحيحا واقعا ... ولله فى خلقه شؤون .

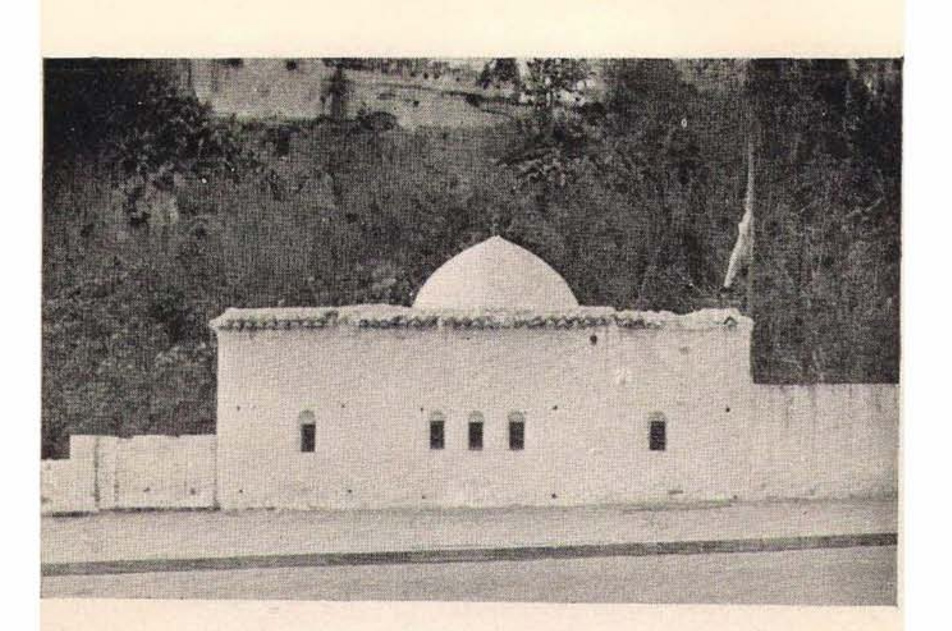
وما أظن الحديث المروى فى فضل فاس وسكانها وفى المغرب وأهله الا من هذا القبيل ـ والحقيقة أن الاستغلال كان، وما زال، وسيبقى، وانما تتبدل صوره ووجوهه، كما تتبدل ألقاب الذين يستغلون الناس، وصور الجماعات والافراد الذين يستغلهم الناس. وتلك سنة الله فى خلقه .



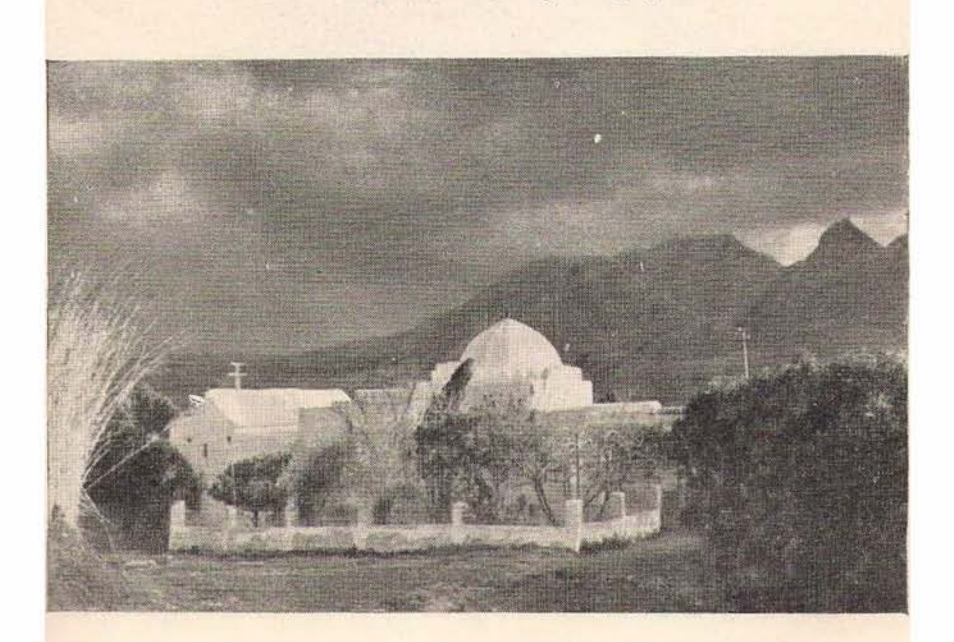
(رقم 9) قوس حجرى من بقايا «تمودة» التى هى من الاثار الرومانية قرب مدينة تطوان
انظر ص 62 ـ 63



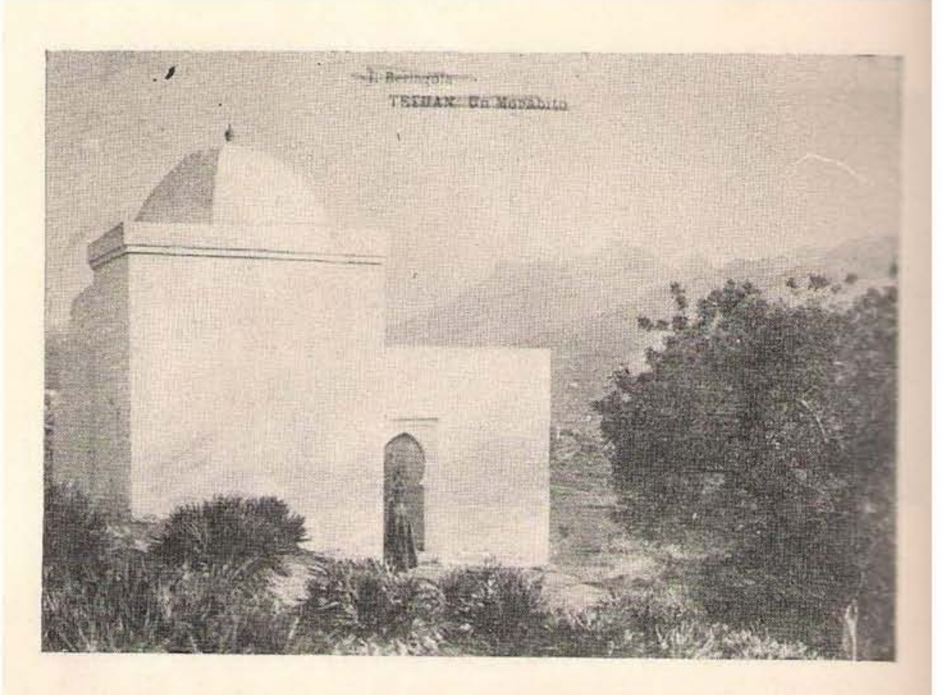
(رقم 10) منظر عام لاحدى نواحى الخرائـب الموجودة الان فى تمودة الرومانية قرب تطوان
ويلاحظ فيه ان بناء ذلك العهـد كان بالاحجار الضخمة التى لم يستعمل مثلها فيما بعد عند
تجديـد بناء تطوان فى اواخر القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)
وفـى اقصـى الصورة يظهـر بعض القسم الغربى من ضواحـى تطوان



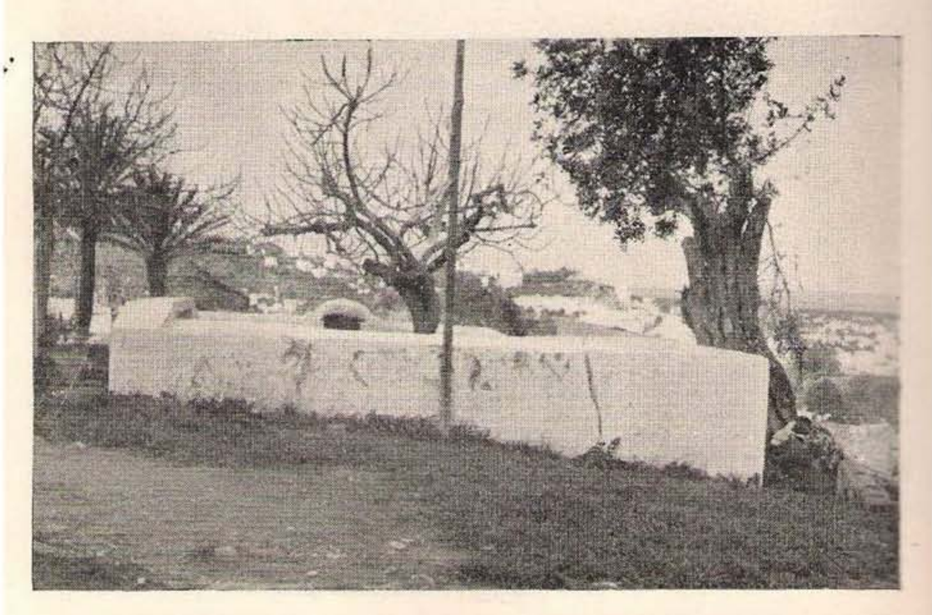
(رقم 12) قبة تحتها ضريح العالم الصالح الشيخ عبد القادر التبين الاندلسى التطوانى من رجال تطوان فى القرن السادس - وهو واقع عن يمين الذاهب من باب العقلة الى باب الرموز خارج اسوار تطوان ص 72 - 73



(رقم 13) قبة تحتها ضريح الشيخ ابى عبد الله الفخار السبتى التطوانى - من رجال تطوان فى القرن السادس - وهى واقعة خارج باب الرموز



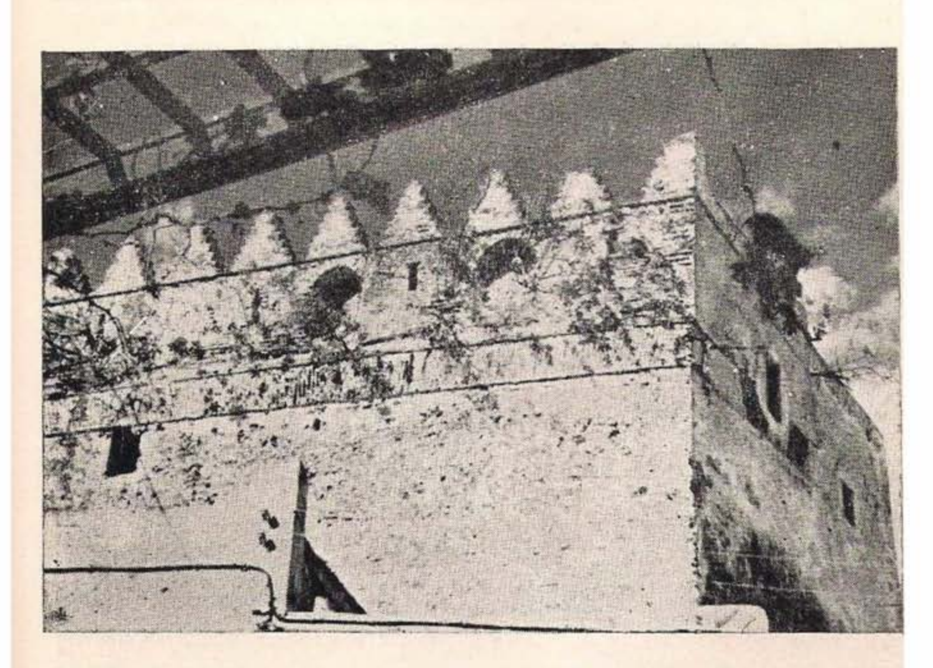
(رقم 14) ضريح الشيخ الصالح المجاهد ابى يعلى طلحة الدريج السبتى التطوانى، من رجال تطوان وصلحائها، وهو واقع خارج باب النوادر بتطوان، وسيدى طلحة، هو جد اولاد الدريج بتطوان وفاس ص 77



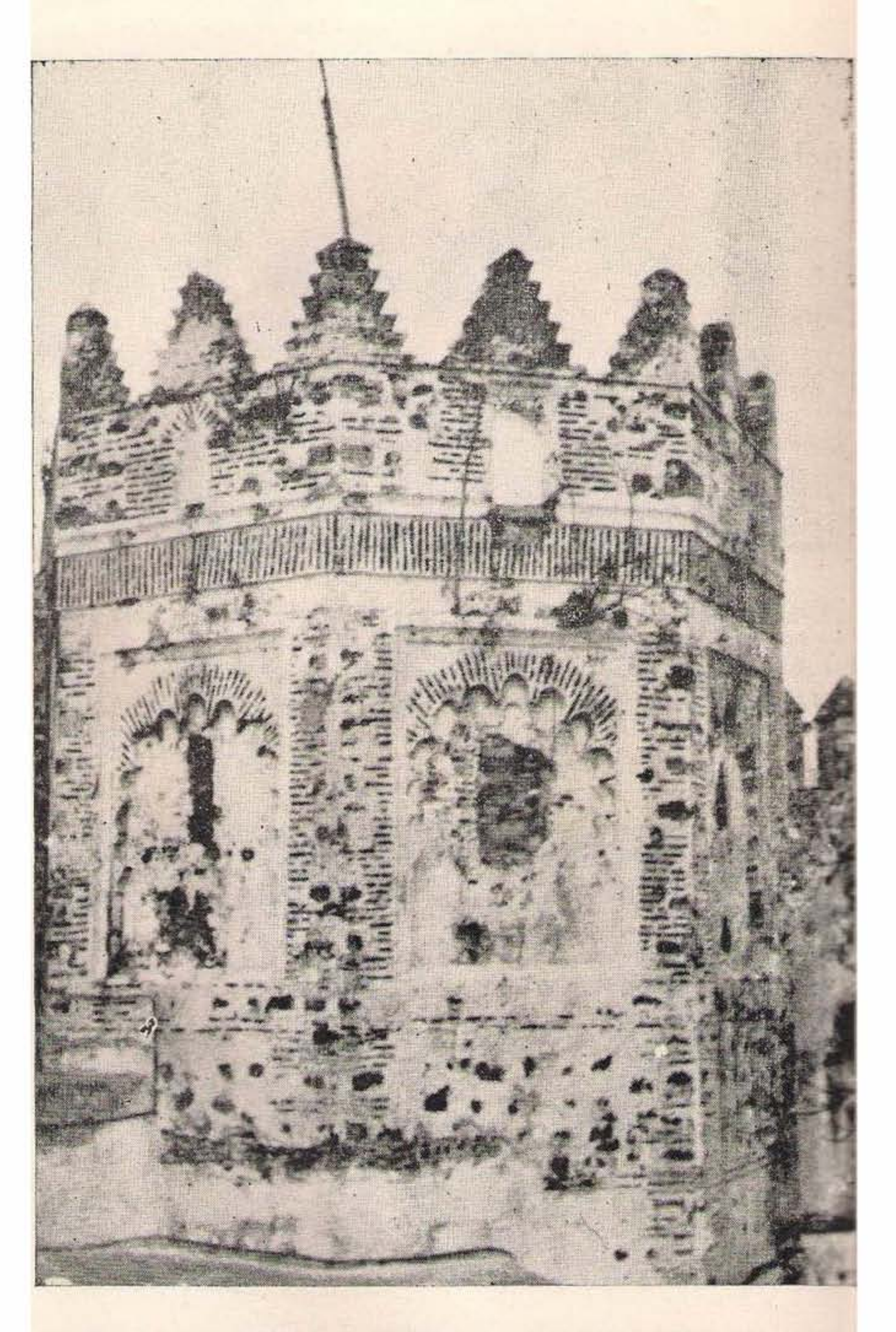
(رقم 15) حوش فى وسطه ضريح المجاهدالكبير ابى الحسن على المنظرى الاندلسى التطوانى، مجدد بناء تطوان وشيخها وحاكمها فى اواخر القرن التاسع للهجرة الموافقة لاواخر القرن الخامس عشر للميلاد وهو جد اولاد المنظرى بفاس وتطوان



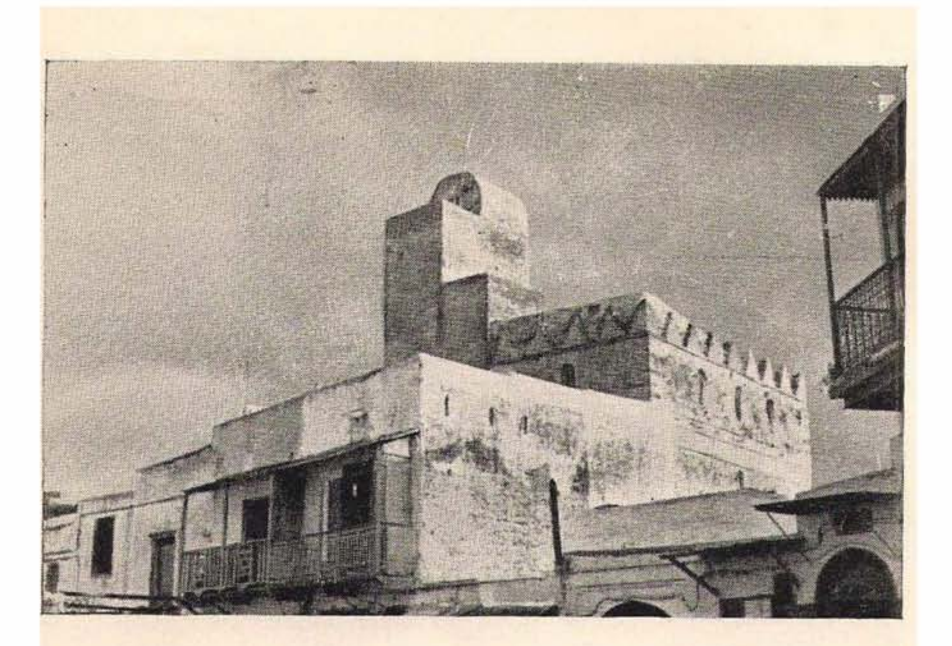
(رقم 16) بعض الاسوار والابراج التى بنيت بتطوان فى القرن التاسع وقد اخذت هذه الصورة منذ نحو مائة سنة، والابراج الثلاثة الظاهرة فيها مع السور الذى بينها، ما زالت موجودة الى الان بين الساقية الفوقية والغرسة الكبيرة ص 91 ـ 94



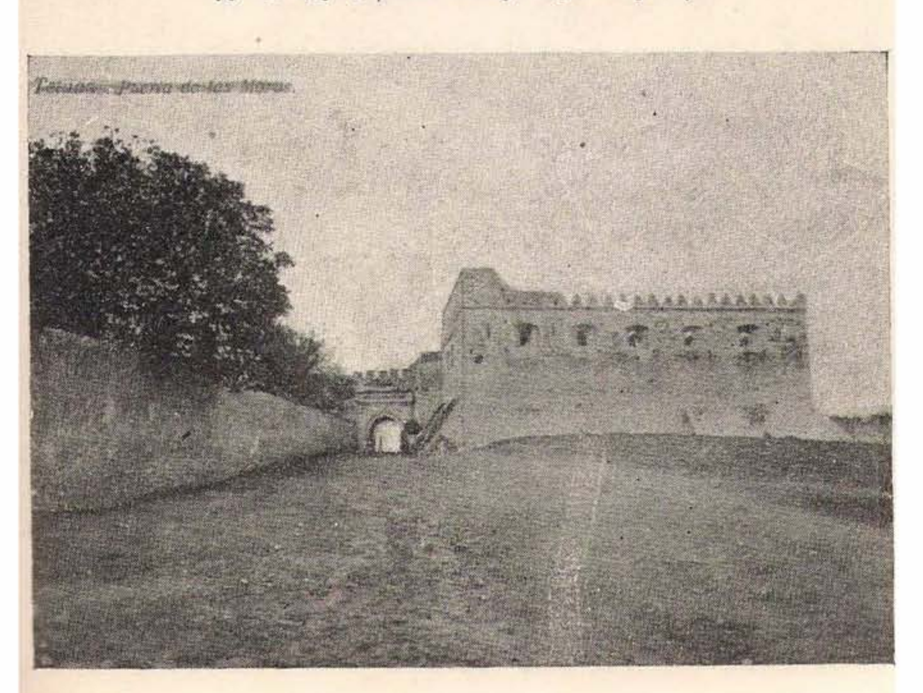
(رقم 17) احد الابراج التى بناها الاندلسيون المهاجرون من غرناطة الى تطوان فى اواخر القرن التاسع للهجرة، وهو واقع عند رأس شارع الساقية الفوقية متصلا بسوق الحوت القديم



(رقم 18) احد الابراج التى بنيت بتطوان عند تجديد بنائها فى اواخر القرن التاسع للهجرة ـ اواخر القرن الخامس عشر للميلاد ـ وهذا البرج واقع بين سوق الحوت القديم والغرسة الكبيرة ص 91



(رقم 19) برج الحراسة الدائمة بتطوان ويظهر جليا من الصباغين والغرسة الكبيرة ويقع هذا البرج قرب جامع القصبة، وهو من اول ما بنى عند تجديد تطوان سنة 889 هـ 1484 م وكان مركزا لحراسة هذه المدينة التى كانت رباطا للمجاهدين، وثغرا لحماية الشواطىء المغربية الواقعة على البحر الابيض المتوسط، وهو مشرف على جميع ضواحى تطوان وخصوصاً على السهل الذى بينها وبين البحر وكان به حرس ينفخ فى النفير عند الشعور بالخطر، خصوصا من اعداء الاسلام والعروبة والمغرب



(رقم 20) باب النوادر ويقع فى الجهة الغربية من تطوان حيث ينتهى شارع العيون. والى جانبه يظهر البرج الكبير الذى اهمل فانهد فى عهد الحماية الاسبانية

خريطة مدينة تطوان

—

هكذا كانت خريطة مدينة «تطوان» منذ نحو قرنين، اى من حوالي اواسط القرن الثاني عشر الى اواسط القرن الرابع عشر للهجرة، اذ كانت تطوان محاطة من جميع جهاتها بسور عال يفصل بينها وبين خارجها بحيث لا يدخل اليها ولا يخرج منها الا بواسطة احد الابواب السبعة التي بذلك السور، وهي : باب التوت، باب الرموز، باب العقلة، باب السعيدة، باب الجياف، باب المقابر، باب التوادر .

ويرى في شمال الخريطة موقع القصبة ، وهي حصن واقع في الجبل الذي تقع المدينة في سفحه.

وقد بين في هذه الخريطة موقع كل حومة من حوماتها الكبيرة ، فحومة البلد في الجهة الشرقية منها، وفي ضمنها الربض الاعلى اى السوق الفوقي وطالعته وزنقة المقدم، وحومة الربض الاسفل (السفلي) في الجنوب الشرقي منها، وفي ضمنها حومة السويقة وما اتصل بها .

اما حومة الطرنكات، ففي جهتها الغربية وفي ضمنها شارع النيارين ودروبه وطالعته . وبينها وبين الربض الاسفل ساحة الفدان وحومتا المصلى القديمة والملاح (حارة اليهود) .

ثم في الشمال الغربي للمدينة تقع حومة العيون، وفي ضمنها السانية وطالعتها .

وتلاحظ في سور المدينة نتوءات بارزة هي ابراج الحراسة .

وهذه الخريطة عملت لتطوان سنة 1277 هـ 1860 م، اى منذ نحو مائة سنة، اما خريطة تطوان الحالية فيناسب نشرها عند الكلام على تطوان في هذا العصر بحول الله .

الشمال

خريطة تطوان

ـ موقف سكان القبائل من المجددين لبناء تطوان

ثم كيف كان موقف سكان القبائل المغربية من المهاجرين الاندلسيين الذين جددوا بناء تطوان ؟

هذا سؤال أجابنا عنه أبو محمد سكيرج وسلفه صاحب المخطوط القديم، فقد ذكرا أن سكان القبائل المجاورة لتطوان كانوا قد استاءوا أولا من بناء هذه المدينة بدعوى أن أرضها تقع فى بلادهم، وأن مرافقها هى مراعى لماشيتهم، وان بناءها وعمارتها يضيقان عليهم ويضران بمصالحهم ، والسكيرج قد سمى من أولئك الجوار بنى حزمر، وسلفه سمى منهم بنى صالح وبنى سالم. وهذه الاسماء ومسمياتها ما زالت موجودة مجاورة لتطوان الى الآن. وقد زاد السكيرج أن بنى حزمر كانوا بالفعل يناوشون الاندلسيين ويهدمون لهم ما يبنونه من الدور، بل ذكر سيدى العربى الفاسى فى تقييده ان بعض سكان تلك القبائل قد استصرخ النصارى ولكن الله سلم المسلمين الخ.

على ان الاندلسيين لم يكن عددهم عظيما فى بادىء الامر كما علمت، ولم يكن مجيئهم الى هذه النواحى بصفة الحرب او الفتح، وانما جاءوا اليها فارين بدينهم من الافرنج وحكمهم، قصدوها لاجئين قانعين من اخوانهم المسلمين المغربيين بالسماح لهم بالسكنى الى جانبهم والتعاون معهم على تكاليف الحياة، وعلى الجهاد فى سبيل الله، وعلى مضايقة الافرنج الذين لم يكتفوا بمطاردة أهل الاندلس بل عبروا البحر وتراموا على أراض اسلامية مغربية صميمة .

ولعل الاندلسيين لمرونتهم كانوا يعذرون أولئك الجبليين البسطاء الذين كانوا لا يرون فى المهاجرين الاندلسيين الا انهم أناس جاءوا لمضايقتهم فى مراعيهم ومرافق قبائلهم، ولعل أولئك الاندلسيين لحضارتهم ونباهتهم وبعد نظرهم كانوا يرون أنهم لابد من أن يتمكنوا فى يوم ما من استجلاب قلوب أولئك الجوار، وذلك بالتعاون معهم واستخدامهم فى مصالحهم وشراء المحصولات منهم ومساعدتهم بتقديم مختلف الاشياء اللازمة لهم وخصوصا المصنوعات المدنية التى كانوا محرومين منها او على الاقل ما كانوا يحصلون عليها الا بالتعب الشديد او السفر الطويل، والاندلسيون فى ذلك العهد لم يكونوا فى حاجة الى نضال أو انتصار على الجوار، وانما كانوا فى حاجة الى قوة يرهبون بها من يروم الاعتداء على ضعفائهم من سكان القبائل او الاجانب، ثم الى تفرغ الزراع والصناع منهم لاعمالهم، وتوجه المقاتلين منهم لنضالهم وكفاحهم، ولقد كانت القوة الكافية لحراسة البلد والعجزة من أهلها متوفرة لديهم بالفعل، والسكيرج يحدثنا بأن أمير الوقت بعث مع الذين وفدوا عليه أربعين من أعيان فاس وأربعين من أهل الريف ليحرسوهم من اعتداء المجاورين لهم، وصاحب المخطوط القديم يذكر لنا ان المنظرى اشتكى لمولاى على بن راشد من تعسف

الجوار، فبعث مولاى على الى قبائـل الريف فجاء منهم نحو أربعمائة فارس، وبوجودهم ساد الامن وتمكن المنظرى من اتمام البناء ...

هكـذا كان موقف سكـان القبائل المغربية من مهاجرى غرناطة، البعض يتضايق منهم ويناوشهم، والبعض الآخر يعطف عليهم ويحميهم ويسكن معهم، على أنه لم تمض مدة طويلة حتى زال الخلاف واستأنس الجبليون بالاندلسيين وصاروا يستفيدون من معارفهم وحضارتهم وصناعتهم، ثم لما رأوا شجاعتهم ونجدتهم صاروا يتشاركون جميعا جنبا لجنب فى قتال الاجانب الذين كانوا مغتصبين لاقرب المدن من تطوان وهى مدينة سبتة المغربية .

واخيـرا استقر بتطوان نهائيا عدد من الريفيين والجبليين الى جانب اخوانهم الاندلسيين ومن سكن معهم من أهل فاس، فتصاهرت العائلات وامتزجت المصالح، ومرت على ذلك عهود تنوسيت فيها الفوارق التى بين العناصر لدى كثير من الناس، ثم توالت الهجرات الفردية الى تطوان من مختلف الجهات، الا أن جميع الذين وفدوا على تطوان، سواء من فاس او من مختلف القبائل الريفية والجبلية والعربية، قد تخلقوا بأخلاق الاندلسيين فى عاداتهم وملابسهم ومآكلهم ولهجة كلامهم، واصطبغ الجميع بالصبغة التطوانية الخاصة حتى صار من المتعذر التفريق بمجـرد المظاهر بين من أصله أندلسى ومن أصله فاسى او ريفى أو جبلى، ولكن رئاسة تطوان وزعامتها الروحية والاجتماعية انما كانت فى الغالب بيد العائلات الأندلسية العريقة فى الحضارة والثروة والوجاهة، وان زالت من يدهم فى بعض الاحيان بسبب بعض الانقلابات، أو الفتن والثورات، فانها كانت لا تلبث أن تعـود اليهم حينما يستتب الامـن ويحتاج الناس لسديـد الرأى وحسن التدبير. اما العائـلات الواردة على تطوان من فاس، فقد كانـت ممتازة بالمرونة والذكاء، والعمل والنشاط .

8 ـ ماذا عمـل أهـل تطوان بعد بنـاء مـدينتهـم ؟

ولنبحث الآن عما عمل المهاجرون الاندلسيون بعد ما أتموا أبنيتهم الاولى فى مدينة تطوان وحصنوا فيها أهلهم وأموالهم .

لقـد كان من الطبيعى أن يوجد بين مهاجرى الاندلس رجال مـن أهـل الصناعة والتجارة، وآخرون من أهل الزراعة والفلاحة، وأن يوجد فيهم أيضـا فرســان مقاتلون، لان هجرتهم كانت من غرناطة المجاهدة، غرناطـة الجميلـة المتحضرة، ذات الصناعات اللطيفة والمزارع الواسعة المنسقـة، غرناطـة مثوى رفات أجدادى الاولين عليهم من الله رحماته ورضوانه، غرناطة التى كانت آخر معقل لآخـر دولة عربية اسلامية بالاندلس، وقد انحدر اليها احسن ما كـان متفرقا فى غيرها من البلاد الاندلسية الاسلامية .

وكان من الطبيعى ان ينصرف أصحاب التجارة والصنائع والحرف الى أعمالهم، وأن يتوجه الابطال المقاتلون الى الميادين التى تظهـر فيها مواهبهم وبسالتهم، وكان من الطبيعـى ايضا ان ينضم كل مـن فتيان فاس الاشـاوش وأسود الريف البواسل، وشجعان الجبل الابطال، الى أخوانهم الاباة الكماة من مهاجرى الاندلس، وأن يتكون من الجميع جيش وطنى مغربى، اسلامى عـربي يقوده البطل الغرناطى أبو الحسن المنظرى مجدد بناء تطوان وحاكمها وزعيمها . وفى الارشيف ماروكان أن المنظرى كان فى ذلك العهد مستقلا بتطوان، وكانت مدينته شبه ايالة صغيرة تحت إمرته، ولا عجب فى ذلك، فدولة المغرب كانت فى ذلك العهد ضعيفة الجانب، يقتطع البرتغاليون من أطرافها قطعة بعد قطعة، فلا تقدر على صد هجماتهم، فضلا عن استرجاع ما كانوا يحتلونـه مـن موانـىء المغرب وأراضيه .

أما أندلسيو تطوان، فقد استطاعوا ـ تحت رئاسة القائد المنظـرى ـ ان يحافظوا على بلدهم الجديد بالرغم من احتلال الاجانب لجميع المدن القريبة منهم من لجل موانىء المغرب، وهى سبتة، وقصر المجاز (القصر الصغير) وطنجـة وأصيلا والعرائش والدار البيضاء (أنفا) والجديدة وأسفى الى سـوس... ولم يكن المنظرى وأصحابه يكتفون بالمحافظة على بلدهم فحسب، بل كانوا يغيرون على البلاد التى احتلها البرتغاليون ويأسرون منهـم الالـوف، نعم الالـوف، لا المئآت ولا العشرات كما سيأتى بيانه بحول الله .

ولقد كان من الطبيعى أيضا ان يتنافس الشجعان، وأن يكتـب الكتـاب، وينسخ النساخ، ويقرأ المجاهدون ما كتب ويكتب عن الفروسيـة والفرسان .

وقد وقفت على نسخة من كتاب «حلية الفرسان، وشجاعة الشجعان» (I) تأليف أبى عبد الله بن محمد بن محمد النعاس القيسى، وقـد جـاء فى أوله أن الذى دعاه لتأليفه هو حال السلطان محمد ابن السلطان أبى الحجاج يوسف ابن السلطان محمد ابن السلطان أبى الحجاج يـوسف ابن السلطـان أبـى الوليد اسماعيل ـ من بنـى الاحمر ـ وفـى آخر الكتاب أن الفـراغ من تأليفه كان بمدينة غرناطة يوم الاثنين ذى الحجة سنة أربع وثمانمائة، وأن محمد بن أبـى القاسم بـن أحمد بن ابراهيم البكرى الكريسى قد انتسخ من نسخة المـؤلف نسخة ثانية بمدينة تطاون ثم انتسخت مـن هذا الاصل الثانى هـذه النسخـة على يد كاتبها الحاج محمد بن محمد الجعيدى التطوانى فى مدينة القصر الكبير وقد فرغ من كتابتها بتاريخ ثانى عشر ربيع النبوى عام اثنين وتسعين والف.

I) هـذه النسخة عتيقة وتقع في ثلاث وستين صفحة متوسطة الحجم وهى محفوظة فى مكتبة ابن غازى بمكناسة الزيتون لدى صديقنا الاستاذ البحاثة المطلع السيد محمد المنونى حفظه الله .

٩ ـ أقسام تطوان الاولى وأرباضها

الارباض جمع ربض «بفتح الراء والباء» وهو ما حول المدينه من ديار ومساكن وغيرها، ومن المعلوم أنه قد أحدث بتطوان بعد بنائها ربضان، أحدهما أعلى والآخر اسفل، ثم بعد ذلك ألحقت بهذين الربضين زيادات متعددة تأخر بعضها عن بناء أصل المدينة بعشرات السنين.

وذلك أنه لما أتم المهاجرون الاندلسيون الاولون تجديد بناء هذه المدينة وشيدوا اسوارها وعمروا أسواقها، أخذ الناس يتواردون عليها من مختلف الجهات، فالذين تخلفوا فى بلاد الاندلس من أهالى اولئك المهاجرين ألاولين، لما علموا أن أقاربهم المهاجرين الى المغرب قد شيدوا مدينة حصينة أمينة يتمتعون فيها بحريتهم الدينية والاجتماعية، وليست عليهم فيها سلطة أجنبية، صاروا هم ايضا يهاجرون الى هذه المدينة الاندلسية المغربية أفرادا وجماعات، والتجار والصناع من أهل فاس ـ وهم الاذكياء الماهرون الذين يبحثون عن الدرهم حيث كان ـ رأوا أن فى تطوان مجالا واسعا للعمل والنشاط والربح.

وأبطال الرجال الذين يهمهم الجهاد فى سبيل الله، ويسرهم الاستشهاد فى حومة الوغى وميدان الشرف، والفتيان الشجعان أباة الضيم، المتعطشون للكفاح والقتال دفاعا عن الدين والوطن، كل أولئك تحولوا من الاندلس ومن انحاء المغرب الى مدينة تطوان الفتية، وتحصنوا بها واتخذوها مركزا لغزواتهم ومضايقتهم للافرنج الذين اعتدوا على شواطىء الوطن المقدس ودنسوها باحتلالهم العسكرى المهين للامة وشرفها وكرامتها، والاعيان الذين سئموا سكنى البادية وأهوالها وفتنها، قصدوا المدينة ايضا للاستقرار بها ءامنين على انفسهم واموالهم، وفقراء أهل البادية كانوا أيضا يقصدون المدينة ليقوموا فيها بالخدمات الشاقة من حراثة الاراضى ورعى المواشى وحمل الاحجار وغيرها للبناء وخصوصا فى الفصول التي تقل فيها المأكولات عندهم.

وجميع هؤلاء لابد أن يتبعهم من يقوم بمصالحهم الضرورية من بنائين ونجارين وحدادين وصانعى الملابس والاحذية، والاسلحة والاوانى البيتية وغيرها، زيادة على التجار والمزارعين الخ. بهؤلاء كلهم عمرت تطوان وضاقت بأهلها وبالواردين عليها، فاضطر الناس لتوسعة المدينة ببناء أرباض متصلة بها.

وقد قلنا انه أنشىء بتطوان فى أول الامر ربضان اثنان عرف أحدهما بالربض الاعلى، والاخر بالربض الاسفل، وعلى عادة أهل تطوان من ابدال الضاد طاء فى كثير من الالفاظ، فانهم كانوا يطلقون على الربض الاسفل اسم «الرباط السفلى» وما زال هذا الاسم مستعملا حتى الآن، وهذا الربض سمي بالاسفل لانه واقع اسفل المدينة، أى بينها وبين السهل الفسيح المنخفض عن المدينة، المتصل جنوبا بجبال بنى حزمر، وشرقا بشاطىء البحر الابيض المتوسط.

ولا ندرى بالتدقيق تاريخ الشروع فى بناء هذا الربض، والمفهوم أن ذلك كان فى أواسط القرن العاشر للهجرة .

ولا شـك ان هذا الربض كان أولا صغيرا ثم صار يمتد شيئا فشيئا حتى صار من اكبر حومات المدينة، وهو محتو على عدة أقسام تسمـى بالحومـات أيضـا، وهى حومة الجنوى، والمصدع، وباب العقلة، والساقية الفوقية، والسويقة والشجرة وقاع الحافة، وكان من هذه الحومة قسمان آخران كان أحدهما يسمى حومة سيدى عبيس عند باب الرموز، وآخر كان وما زال يسمى المصلى القديمة، الا أن أول هذين القسمين قد اندثر، والآخر مات جل سكانه بالوباء، فكثـر فيه الخراب فانتقل من بقى من أهله المسلمين الى سكنى أحياء أخرى (I).

وبانشاء هذا الربض انشىء بالمدينة سور جديد جعل فيه بابان جديدان هما باب العقلة وباب الرموز، وقد وقع الوقوف عند حد هذا السـور وهذين البابين ولم يقع أى توسع فى هذه الجهة بعد ذلك الى هذا القرن.

واما الربض الاعلى فسمى بهذا الاسم لانه واقع فى أعلى المدينة متصلا بالجبل المشرف عليها وهو جبل درسة الواقع فى الجهة الشمالية منها كما تقدم. وكان هذا الربض محتويا اولا على السوق الفوقى وما اتصل به من الخرازيـن والدباغين وزنقة المقدم والطالعة، وكثيرا ما نجد فى الرسوم القديمة تسميـة السوق الفوقى باسم سوق الربض الاعلى. ثم وقع التـوسع فى هذا الربـض ووقعت فيه زيادات أخرى كبيرة، اذ تفرعت عنه حومتان كبيرتان هما حومتـا العيون والطرنكات وقد بنيتا معا فى فترات مختلفة .

ويظهر ان اول ما بنى من حومة الربض الاعلى هو الحومة المتصلة بالجبل، وهى حومة الطالعة مع السوق المتصل بها .

وقد ذكر مؤرخ تطوان أبو محمد سكيرج أن القائد الحاج علـى الذيـب ـ وهو الذى تولى حكم تطوان بعد عائلة المنظرى ـ فى النصف الثانى من القرن العاشر ـ قام ضده أناس من أهل تطوان وطردوه من المدينة، فخرج منها وبنى القصبة المعروفة باسمه أى قصبة الذيب فى جانب من جبل درسة ثم بنى هـو وأصحابه تحتها حومة جديدة مكونـة من نحـو خمسمائـة دار وهى الحومـة المعروفة بالطالعة الخ .

فحومة الطالعة على هذا هى أول ما بنى فى الناحية الشمالية الغربية من المدينة القديمة وما زالت حتى الآن تعرف بهذا الاسم . وذكر السكيرج ايضا

I) لما ضاقت حارة اليهود (الملاح) بسكانها فى اوائل هذا القرن، قام عدد من أغنيائهم ببناء دور جديدة على الطراز الحديث فى الشارع العام لحومة المصلى القديمة، ثم لما كانت الحماية الاسبانية بتطوان ونواحيها ، كثرت عمارة هذا الشارع وأنشئت به متاجر كبيرة وسينما وغير ذلك . الا ان جل سكانه من غير المسلمين .

ان أناسا اخرين بنوا حومة الطرنكات وهى واقعة غرب المدينة الاصلية، وبعض العدول يكتبون اسم هذه الحومة هكذا «الاترنكات» وبعضهم يكتبها «الترنكات» ولكن الاسم الجارى على جميع الالسنة هو الطرنكات . ولا معنى لهذا الاسم فى لغتنا العربية ولعله أفرنجى من تسمية أواخر المهاجرين .

ثم ذكر السكيرج ايضا ان أواخر المهاجرين من الاندلس هم الذين بنوا الجهة العليا من حومة العيون وهى التى كانت تسمى فى عهده ـ بالسانية ـ وما زالت تسمى بذلك حتى الآن ، وكانت قبل ذلك تسمى رباط الاندلس .

ومعلوم ان وفود هؤلاء المهاجرين على تطوان كان قبيل سنة العشرين بعد الالف .

وذكر السكيرج ايضا ان حومة العيون بنيت بعد ذلك وحكى انه لما وفد الشيخ على الجعيدى على تطوان فى أوائل القرن الحادى عشر ، كانت الجهة التى بنيت بها حومة العيون كلها فدادين فاشترى الشيخ المذكور فدانا يبتدىء من الوطية وينتهى فى باب النوادر وحبسه على المسجد الذى بناه وهو المسجد الجامع بحومة العيون .

وهكذا اتسع الربض الاعلى حتى صارت مساحته وعدد سكانه مثل المدينة الاصلية او اكثر ولعل السبب فى امتداد البناء فى هذه الجهة هو جودة هوائها وكثرة مائها وبعدها عن الاوخام ومجارى المياه وفضلاتها .

وعند زيادة الربض الاعلى وما الحق به من حومتى العيون والطرنكات واحاطة تلك الزيادة بسور جديد ، وقع الاستغناء عن الباب القديم الذى كان فى الناحية الغربية من المدينة وجعلت بدله ثلاث ابواب هى باب المقابر فى شمال المدينة الاصلية، وهو قريب من السوق الفوقى، وباب النوادر المتصلة بحومة العيون ، فى الجهة الشمالية الغربية من المدينة ، وباب التوت فى غرب المدينة متصلا بحومة الطرنكات .

وفى ذلك العهد نفسه او فى عهد قريب منه وقع قليل من التوسع ايضا فى شرقى المدينة وفتح هناك بابان هما باب السعيدة وباب الجياف . ولعل تسمية باب السعيدة آتية من وجود ضريح سيدى السعيدى جنب هذا الباب ، ولعل تسمية باب الجياف آتية من كون اليهود كانوا يخرجون موتاهم الى المقابر من هذا الباب .

ومن المعلوم ان «الملاح» اى الحومة الخاصة بسكنى اليهود داخل مدينة تطوان ، كان واقعا قريبا من هذا الباب ، اى فى الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة الاصلية اى فى الحومة المعروفة الآن بالملاح البالى ، وان هذا الملاح ظل عامرا باليهود والاجانب الى ان بنى المسجد الاعظم الحالى بالقرب منه فاذ ذاك بنى لليهود ملاحهم الجديد ، وهو الموجود الان بين حومة السويقة والمصلى القديمة وساحة الفدان ، وكان المحل الذى بنى فيه قبل ذلك روضا كبيرا من

املاك الدولة تابعا لدار المخزن ، ونظرا لتأخر بناء هذا الملاح وكونه اعد للبناء في وقت واحد من اول الامر ، كانت هندسة بنائه اكثر اتقانا من المدينة الاصلية وبقية ارباضها، اذ جعلت شوارعه ودروبه كلها مستقيمة محكمة التقسيم والتنسيق فاقدة الاعوجاج ، قليلة الالتواء .

اما الملاح القديم «البالى» فقد تحول بعد ذلك الى حومة لا يسكنها الا المسلمون ، وقد هدمت منه دور كثيرة وبنيت مكانها دور جديدة من أحسن دور تطوان .

وبالجملة فان مدينة تطوان بعد الارباض التى زيدت فيها الى ما قبل هذا القرن ، صارت محتوية على خمسة اقسام ، كل قسم منها يسمى حومة خاصة لها حدودها ولها مقدم خاص بها .

فالحومة الاولى كانت ــ وما زالت ــ تسمى حومة البلد ، وهى المدينة الاصلية التى جدد بناءها مهاجرو الاندلس مع من انضم اليهم من اهل فاس والريف ، وهى واقعة فى الشمال الشرقى للمدينة ، وقسم منها يسمى حومة الجامع الكبير وآخر يسمى حومة الصياغين وآخر المطمر وآخر جامع القصبة الخ. وقد ضم الى هذه الحومة الربض الاعلى اى السوق الفوقى وما قرب منه كزنقة المقدم والطالعة الخ .

والحومة الثانية هى الربض الاسفل ــ الرباط السفلى ــ وهى واقعة فى الجنوب الشرقى للمدينة .

والحومة الثالثة هى حومة الطرنكات ، وهى واقعة غرب حومة البلد ، وفيها شارع اصلى طويل أوله قوس الحمام المتصل بالسوق الفوقى وآخره باب التوت ، وفيها ايضا شارع النيارين ، وتتفرع عن هذين الشارعين زنقات ودروب عن اليمين وعن الشمال مما يكون شبه مربع .

وهذه الحومة ــ كما قلنا ــ من بناء أواخر مهاجرى الاندلس ، وقد صارت بها فيما بعد «دار المخزن» اى مركز الحكم ومسكن حاكم البلد وسجن المدينة ومقر جندها .

والحومة الرابعة هى حومة العيون ، وهى واقعة غرب حومة البلد ، وفى الشمال الغربى لحومة الطرنكات ، وهى مستطيل ينتهى عند باب النوادر ، والقسم الشمالى من هذه الحومة ــ وهو جلها ــ كله عقبات تنتهى بجبل درسة ، وفيه دروب كثيرة ، وقسم كبير منه هو المسمى بالسانية .

والحومة الخامسة هى «الملاح» وكانت عند بنائها خاصة بسكنى اليهود ولم يكن لها الا منفذ واحد عليه باب متين يفتح ويغلق فى اوقات معلومة ثم صارت لها من بعد منافذ عديدة، كما شارك اليهود فى سكناها والتجارة بها غيرهم من النـاس .

وهذه الحومة هى آخر ما بنى من ارباض تطوان قبل هذا القرن .

ثم ان من المعروف ان هذه الحومات الخمس ـ البلد ـ الرباط السفلى ـ الطرنكات ـ العيون ـ الملاح ـ كانت الى سنة 1331 هـ 1913 م محاطة بأسوار حصينة فيها سبعة ابواب ـ كعدد ابواب الجنة والنار ـ لا يقع الخروج من المدينة أو الدخول اليها الا منها . وهى : باب النوادر ، باب التوت ، باب الرموز باب العقلة، باب السعيدة، باب المقابر، باب الجياف، وبعض الناس يسمى هذه الاخيرة بالباب السفلى .

ومن المعلوم لدى شيوخ تطوان ، ان الارض التى كانت تحيط بها اسوار تطوان وأبوابها السبعة ، لم تكن كلها مبنية ، بل كانت فيها اماكن تغرس فيها الفواكه والخضر والبقول ، وذلك مثل الفدان الكبير الذى كان معروفا بأغطاس بين باب التوت وباب النوادر وأماكن متعددة بين باب العقلة وباب السعيدة والباب السفلى ، ولعل من هذا القبيل ، المكان الذى بنيت فيه «دار المخزن» وما حولها بين حومة الطرنكات وزنقة المقدم مع المكان الذى بنى فيه ملاح اليهود، والفدان الذى ما زال معروفا بهذا الاسم الى الآن .

ومعلوم ايضا ان تطوان كان بها ما يكفيها داخل اسوارها من ماء العيون التى تنبع داخلها ، كما كانت بها الارحية الكافية لطحن حبوبها ، فكان فى امكانها بذلك ، ان تقاوم ما عسى ان يقع عليها من حصار مدة غير قليلة ، وقد بقيت مرات عديدة معرضة للهجوم والوثوب ، والحصار والدفاع ، كما انها كانت أول ثغر عامر يقابل الاجنبى الذى ينزل بشاطىء البحر الابيض المتوسط .

ومن المعروف ايضا ان السور الثانى الذى بنى طبعا بعد ما بنيت ارباض المدينة ـ اى حوماتها الخمس ـ قد وقع فيه تخريب كبير وتهديم عظيم فى أواسط القرن الثانى عشر للهجرة ، وذلك عندما هاجم الباشا احمد هذه المدينة واستولى عليها واستأنف حكمه الاستبدادى فيها بالرغم من كراهية اهلها لسلطته كما سيأتى بيانه بحول الله فلما انتهت سلطة الباشا المذكور بقتله وتعليق رأسه على باب فاس ، جددت تطوان أسوارها ، وكان ذلك فى الربع الثالث من القرن المذكور على يد القائد محمد عاشر ثم القائد محمد بن عمر لوقش .

وهذه الاسوار الاخيرة مع ابوابها السبعة المذكورة ، قد بقيت كلها قائمة العين الى اوائل الربع الثانى من هذا القرن ، اعنى القرن الرابع عشر للهجرة، الموافق للربع الاول من القرن العشرين للميلاد ، وبالتدقيق الى سنة 1331 هـ 1913م وهى السنة التى احتل الاسبانيون فيها تطوان وتسلموا الحكم بها.

ومن المعلوم ايضا ان الاسبانيين هدموا السور الكبير الذى كان فى غرب المدينة وبنيت خارجه حومات جديدة اهمها الحومة التى سماها الاسبانيون «شانتى» كما بنيت بعد ذلك حومة سانية الرمل، وحومة سيدى طلحة الخ. وتفصيل ذلك له محل خاص فى تكملة هذا الكتاب بحول الله .

الفصل الثاني

من الباب الثاني

ولاة تطوان وحوادثها في أواخر القرن التاسع

سنخصص من كل باب من الابواب الآتية ـ بحول الله ـ فصلا للكلام على ولاة تطوان وحوادثها فى أحد القرون الماضية .

وهذا الفصل الذى هو الثانى من الباب الاول، سنتكلم فيه على ولاة هذه المدينة فى أواخر القرن التاسع للهجرة، وسنمهد لذلك بفذلكة عن ألقاب ثلاثة كانت مستعملة فى تطوان وفى غيرها من أنحاء البلاد المغربية وهى :

الباشا ـ القائد ـ العامل

كانت ألقاب الولاة فى البلاد العربية تختلف باختلاف الاقطار والازمان ، ففى الولاية الكبرى، اى ولاية الاقطار والشعوب كنا نجد ألقاب أمير المومنين وأمير المسلمين، وخليفة رسول رب العالمين ، والملك، والسلطان، والباى والداى والخديوى، والعاهل والحاكم الخ. وفى الولايات الصغرى أى ولايات المدن والقبائل والاقاليم وما الى ذلك، كنا نجد لقب الوالى والعامل والباشا، والقائد، والمقدم والشيخ الخ. زيادة على لقب القاضى الذى هو متولى الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية وما يلحق بها ، ولقب المحتسب الذى يتولى صاحبه النظر فى الاسواق والاسعار والحرف والصنائع .

وكان الاصطلاح فى تطوان وجل بلاد المغرب، ان يطلق على والى المدينة أحد ألقاب ثلاثة هى : الباشا والقائد والعامل. فلفظ الباشا غير عربى، وهو مشتق اما من الفارسية واما من التركية، وكان كثير الاستعمال فى الشرق وخصوصا بتركيا فى عهد الخلفاء العثمانيين اذ كان لقبا يمنحه السلطان اما لبعض الامراء، واما لبعض القواد او الوزراء او غيرهم، وكان الامر كذلك فى مصر ايضا، اذ كان الوالى أو الخديوى أو الملك يمنح لقب الباشا لكبار الرجال من العسكريين والمدنيين الذين يقومون بعمل كبير أو خدمة جليلة للملك او

للامة، وكانت طبقة خاصة من الناس تتنافس فى الحصول على ذلك اللقب الشرفى الذى يتمتع صاحبه بامتيازات مادية وادبية تكبر فى أعين كثير من الناس، وربما قدم بعضهم فى سبيل الحصول على لقب الباشا هدايا ثمينة ورشى عظيمة، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وقد قضى اليوم على هذا اللقب وعلى غيره من بقية الالقاب الشرفية الفارغة، فى تركيا وفى مصر وغيرهما. أما بالمغرب فلم يكن للقب الباشا نظام خاص أو قاعدة ثابتة محددة، اذ كان فى بعض الاحيان يطلق على بعض كبار القواد الذين يسند اليهم حكم مدينة كبيرة او مقاطعة واسعة مثل الباشا أحمد ابن على حاكم تطوان وطنجة ونواحيهما فى أواسط القرن الثانى عشر للهجرة، فكنا نجد فى فاس مثلا الباشا بوشتى، وفي مكناس الباشا الجيلالي، وفى مراكش الباشا المدنى الخ، وهكذا كان ولاة كبريات المدن يلقبون بالباشا، وكنا نجد ايضا لقب الباشا يطلق على بعض كبار القواد الحربيين الذين يترأسون الجنود المحاربين مثل الباشا مساهل فى عهد السلطان المولى اسماعيل ، كما انه قد مر بالمغرب قواد كبار ووزراء مشهورون لم يطلق عليهم لقب الباشا .

أما القائد فهو لفظ عربى ـ اسم فاعل من قاد القوم أى كان رئيسا عليهم، وكان لقب القائد هو الذى يطلق على ولاة جل المدن والقبائل، وهو أقل منزلة وأهمية من الباشا، وجل ولاة تطوان كان لقبهم هو القائد، لان هذه المدينة لم تكن من المدن الكبرى بالمغرب .

ولقب العامل كان فى غالب الاحيان مرادفا للقب القائد اى حاكم المدينة، وقد وجدت فى كثير من الظهائر السلطانية والرسائل الرسمية اطلاق لقب العامل على حاكم المدينة، اذ كان رجال الحكومة المخزنية يطلقون لفظ عمال المدن على ولاتها وحكامها، وكثيرا ما تجد الظهائر السلطانية تصدر فيها الاوامر وتختتم بهذه العبارة، فعلى الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه لسواه الخ. ويعنى بالعمال ولاة المدن والقبائل.

والاشخاص الذين تولوا حكم تطوان وخصوصا فى العصور الاخيرة، منهم من كان يلقب بالباشا وجلهم كما قلنا كان يطلق عليه لقب القائد، ومن أراد التثبت من هذا فليتتبع الرسائل الرسمية التى سنثبت نصوصها فى مختلف فصول هذا الكتاب بحول الله .

وكان الاصطلاح فى تطوان وفى غيرها من باقى المدن المغربية، ان قائد المدينة أو عاملها فضلا عن الباشا، هو الذى يقوم مقام السلطان فى فصل الدعاوى العامة ما عدا ما يتعلق منها بالشؤون الشرعية التى هى من اختصاص القضاة، وكذلك شؤون الاسواق والاسعار والحرف والصنائع، لانها من اختصاص المحتسب .

هذا وان تطوان ـ قبل البناء الاندلسى الاخير، لم تكن سوى مدينة صغيرة او قرية كبيرة، أو حصن محدود الاهمية قليل عدد السكان، فلذلك لم تكن لها اهمية كبرى، وكانت هى وناحيتها والقبائل المحيطة بها والقريبة منها تابعة فى حكمها، إما لمدينة سبتة، وإما لمدينة طنجة. اما بعد البناء الاندلسى الذى وقع فى أواخر القرن التاسع للهجرة ، فان الحال قد تبدل، اذ صارت سبتة تحت حكم الاجانب مثل طنجة، وبقيت تطوان هى المدينة الوحيدة التى استطاعت ان تحافظ على عروبتها وعلى حكمها الاسلامى، فكانت هى مركز القوات الاسلامية الوطنية المحاربة للاحتلال الاجنبي، وصارت لها بموقعها الجغرافى وبسكانها المجاهدين ميزة كبيرة وأهمية خاصة .

اولا ـ من حيث وقوعها قرب ساحل البحر، وكونها على الحدود المجاورة للاجانب المحاربين، فكانت بذلك ثغرا من ثغور الاسلام التى يقيم بها المرابطون للجهاد، وحماية شواطىء البلاد من الاعتداء الاجنبى .

وثانيا ـ من حيث وقوعها فى وسط قبائل واسعة تشمل جميع القسم الشمالى من بلاد المغرب، أى جميع الناحية التى بين الحدود الجزائرية والمحيط الاطلسى، وهى ناحية بعيدة عن عواصم الحكومة المغربية، فلذلك كثيرا ما كانت لحكام هذه المدينة سلطة كبيرة ونفوذ واسع.

ونحن بكل أسف لم نقف على مستندات كثيرة يمكن ان نعرف منها احوال هذه المدينة وأخبارها فى ذلك العهد، وسنقتصر هنا على ما وقفنا عليه من ذلك ـ على قلته ـ وسنطلق على كل واحد من ولاة تطوان ما نجده موصوفا به فى المستندات الرسمية والحوادث المسجلة من لقب الباشا او القائد او العامل .

تطوان فى عهد الدولة الوطاسية

قد علمنا ان تجديد بناء تطوان كان فى سنة 889 ـ اى فى عهد الدولة الوطاسية التى قامت عند ضعف دولة بنى مرين، وبالخصوص فى عهد السلطان محمد الشيخ الوطاسى الذى تولى حكم المغرب من سنة 876. الى سنة 910 فمدة تجديد بناء تطوان الحديثة وولاية الحاكم الاول بها، وهو القائد أبو الحسن المنظرى، كلها كانت فى عهد الدولة الوطاسية.

القائد أبو الحسن المنظرى

قد وقع اجماع المؤرخين على ان الشخص الذى حكم تطوان بعد بنائها الاندلسى الاخير سنة 889 هو القائد المجاهد الشيخ الصالح ابو الحسن على المنظرى الاندلسى الغرناطى التطوانى. وقد ذكر شيخنا الرهونى انه منسوب الى المنظر الذى هو حصن قرب غرناطة .

وقد سبق لنا انه كان من أبطال جند ابن الاحمر بالاندلس ، وانه ابلى البلاء الحسن فى جهاد غرناطة ثم هاجر الى المغرب وتولى رئاسة المهاجرين وأشرف على بناء تطوان وتولى حكمها فكانت فى ايامه شبه ولاية مستقلة . فالقائد ابو الحسن المنظرى هو اول حاكم لتطوان بعد بنائها الاخير.

كما سبق لنا انه بعد ان شيد الاسوار والابنية الضرورية ، شرع فى الجهاد ومحاربة الاجانب الذين كانوا يحتلون الشواطىء المغربية القريبة من تطوان ، وقد بقى مثابرا على ذلك مع قيامه باعباء الحكم وعبادة ربه الى ان توفى بتطوان رحمه الله ولم أقف على تاريخ وفاته بالتدقيق، وأقدر تقديرا انها كانت فى حدود سنة 910 والله اعلم. وقد دفن رحمه الله خارج باب المقابر من هذه المدينة، وقبره الى الان مشهور يزوره الناس ، وعليه سياج بسيط غير مرتفع ولا مسقف تظلله شجرة خروب كبيرة ، فرحمة الله ورضوانه على المجاهد المنظرى وعلى رفقائه المجاهدين الاحرار ، المسلمين الابرار .

من اخبار تطوان فى عهد المنظرى

قلنا ان المنظرى كان شبه مستقل بتطوان ، وكانت هذه المدينة شبه ايالة صغيرة تحت امرته ، وقلنا ان من الطبيعى ان يكون من بين المهاجرين الاندلسيين الذين بنوا تطوان تجار وصناع وفلاحون ، وجنود مقاتلون ، ومن الطبيعى ان ينصرف الفلاح لزراعته ، والتاجر لبضاعته ، والصانع لحرفته ، وان يبحث المقاتل عن ميدان يستثمر فيه مواهبه ، وفعلا وجدنا ان حاكم تطوان القائد ابا الحسن المنظرى زيادة على تحمله لاعباء الحكم بالمدينة وقيامه بحراستها ، توجه ايضا لناحية الجهاد ، فجند الجنود وخاض المعارك واسر الاسرى وجمع الغنائم واستخدم الجميع فى مصالح قومه ومدينته ، وان شئت فاسمع ما يقوله ليون الافريقى (الحسن بن محمد الوزان الاندلسى المغربى) الذى أدرك أواخر أيام المنظرى، وزار تطوان فى عهد حفيده الذى كان حاكما بها ايضا فحدث عما عرفه فيها وشاهده بعينه، فقد ذكر فى كتابه «وصف افريقيا» (1) أن المنظرى لم ينقطع عن محاربة البرتغاليين وتكبيدهم الخسائر الجسيمة فى سبتة والقصر الصغير ـ وطنجة، وأنه كان يعتمد فى أعماله على ثلاثمائة من أخير فرسان غرناطة وأشجعهم، وأنه كان فى غالب المعارك يقبض من اعدائه أسارى فيستخدمهم فى بناء حصون المدينة الخ. وحدث ليون عن نفسه أنه لما زار تطوان رأى من أولئك الاسارى ثلاثة آلاف، وذكر أنهم كانوا لابسين أكياسا

---

1) ص 255 طبع باريز بالفرنسية سنة 1897 م. وص 165 من الطبعة الاسبانية سنة 1952 .

صوفية (لعلها قشاشب) وانهم كانوا ينامـون ليـلا فى بعـض المطاميـر (I) مصفدين بالسلاسل » .

ويقول مارمون كاربخال (2) فى كتابه «وصف افريقيا» بعد ان ذكر ان المنظرى جاز من الاندلس الى افريقية، انه عمر تطوان من جديد وبنى أسوارها وشيد بها قلعة، ومنها كان يخرج على رأس الاربعمائة من الفرسان الذين أتى بهم من الاندلس مع من ينضم اليهم من المغاربة من أهل الجبال، لمهاجمة حدود سبتة والقصر وطنجة، وكان يهاجم الاسبانيين من البر والبحـر، لانـه كـان يملك بعض السفن الصغيرة، وبواسطتها كان يهاجم الشواطىء الاسبانية بنجاح حتى اجتمع لديه نحو ثلاثة ءالاف من الارقاء كان يجبرهم على العمل طول النهار فى بناء الاسوار ويسجنون ليلا فى مطامير بأيديهم الحديد».

وفى تقييد سيدى العربى الفاسى ما نصه :

«ويعلو البلد ـ يعنى تطوان ـ من جهة الجوف ـ اى الشمال ـ جبل بنى عليه المنظرى قصبة أكملها فى عشرين سنة، ولم يكلف فـى بنائها أهل البلد بشىء ، انما كان يبنيها الاسارى من النصارى الذين تحت يده ... وكان يفدى أسارى المسلمين بأخماس الغنائم» .

وفى الاستقصا نقلا عن منويل كاسطيانوس المؤرخ الاسبانى ما نصه (3)

«ولما عقد له الشيخ الوطاسى على أصحابه ـ أى أصحاب المنظرى ـ رجع بهم الى تطاوين وشرع فى بناء أسوار البلد القديم فجدده، وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته، ثم أخذ فى جهاد البرتغال بسبتة وبلاد الهبط الىان أسر منهم ثلاثة ءالاف فاستخدمهم فى اتمام ما بقى عليـه من بنـاء تطاويـن، واتصلت الحرب بينهم وبين برتغال سبتة كاتصالها بين أهل أزمور وبرتغال الجديـدة ».

I) المفهوم أن هذه المطامير هى التى ما تزال الى وقتنا هذا تحت شارع المطامير وما اتصل به، وهى الآن مهملة كل الاهمال .

2) هـو المؤرخ الاسبانـى لويس ديـل مارمـول كاربخـال LUIS DEL MARMOL CARVAJAL الذى عاش فى القرن السادس عشر م. موافق القـرن العاشر للهجرة، وقد الف كتابا سماه DESCRIPCION GENERAL DE AFRICA اى «وصف عام لافريقيا» وقد طبع بلغته الاسبانية فى مدينة غرناطة بالاندلس سنـة 1573 م.

3) الاستقصا ج 2 ص 162

وقد وصف ليون الافريقي أبا الحسن المنظرى، وكان معاصرا له ـ بأنه «كان رجلا كريما صاحب مروءة، وأنه كان يحسن الى كل من ينزل بمدينته ـ تطوان ـ وأنه توفى منذ أمد قصير ـ وأنه قبل وفاته فقد احدى عينيه بسبب اصابتها بخنجر ثم فقد نور العين الاخرى بسبب الهرم والتقدم فى السن ؛ وانه ترك حكم المدينة بعده لحفيد له على جانب عظيم من الشجاعة »

وهكذا انتهى القرن التاسع للهجرة، ومدينة تطوان تحت حكم القائد المنظرى فى عهد السلطان محمد الشيخ الوطاسى.

ومن المعلوم أن آخر هذا القرن الهجرى، توافقه من التاريخ الميلادى أواخر القرن الخامس عشر، اذ أن آخر شهر منه وهو ذو الحجة عام 900 يوافقه شهر شتنبر سنة 1495 م.

الباب الثالث

تطوان في القرن العاشر

وفيه خمسة فصول :

الاول في ولاة تطوان وحوادثها في هذا القرن .

الثاني في قضاتها وعدولها .

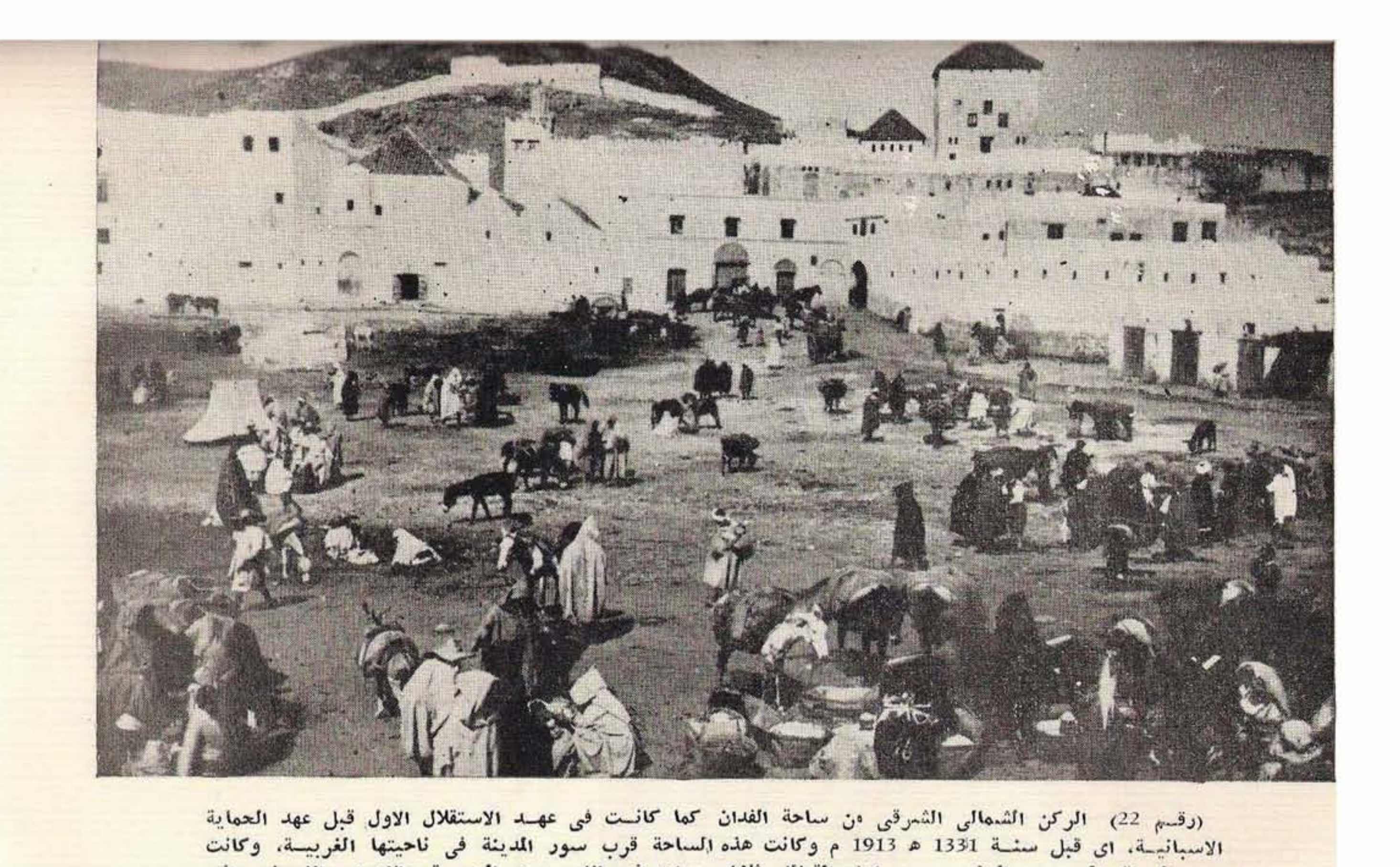
الثالث في تراجم رجالها .

الرابع في مشاهير الزائرين لها .

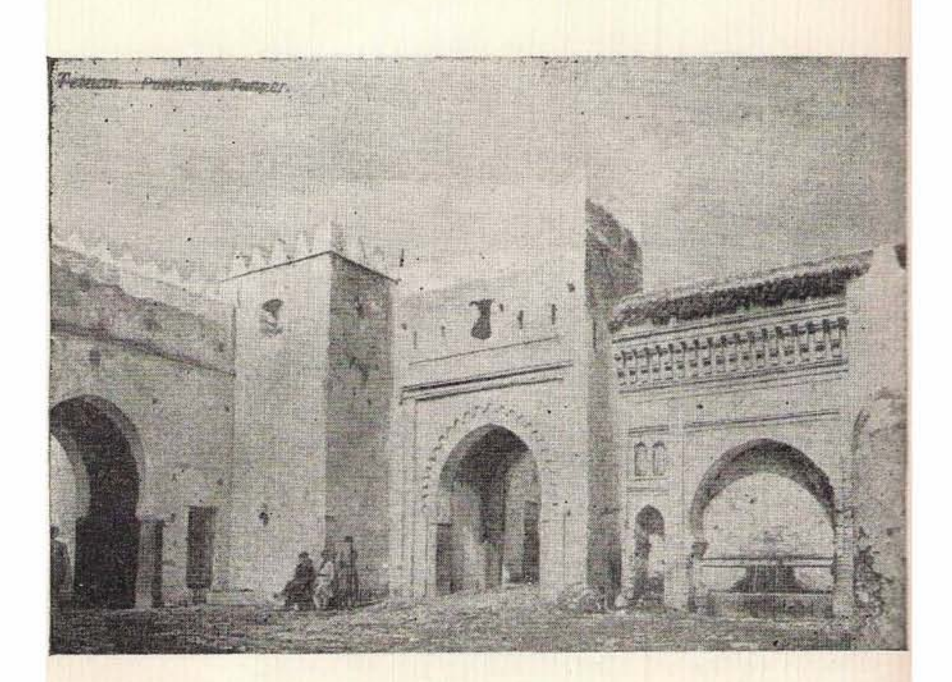
الخامس في ملخص حياتها .



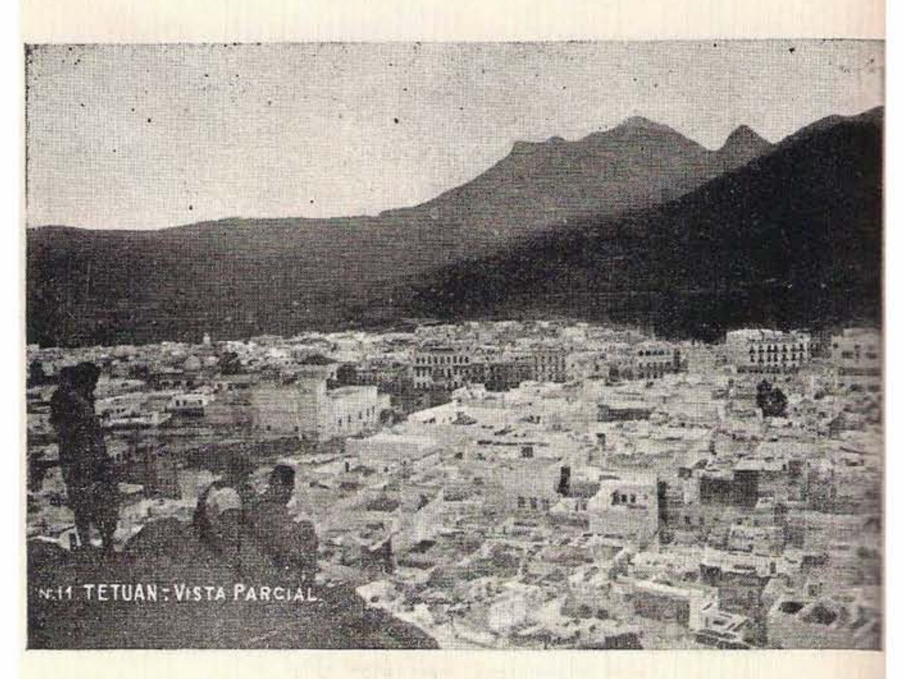
رقم 21) باب العقلة ـ احد الابواب السبعة القديمة بتطوان، وهو واقع فى الجهة الشرقية منها شرقا على السهل الفسيح الذى ينتهى عند البحر الابيض المتوسط، والى اليمين تظهر صومعة الجامع المعمورة، والى اليسار يظهر برج «الاسقالة»» احد حصون تطوان. وبالقرب من هذا الباب، الف هذا الكتاب .



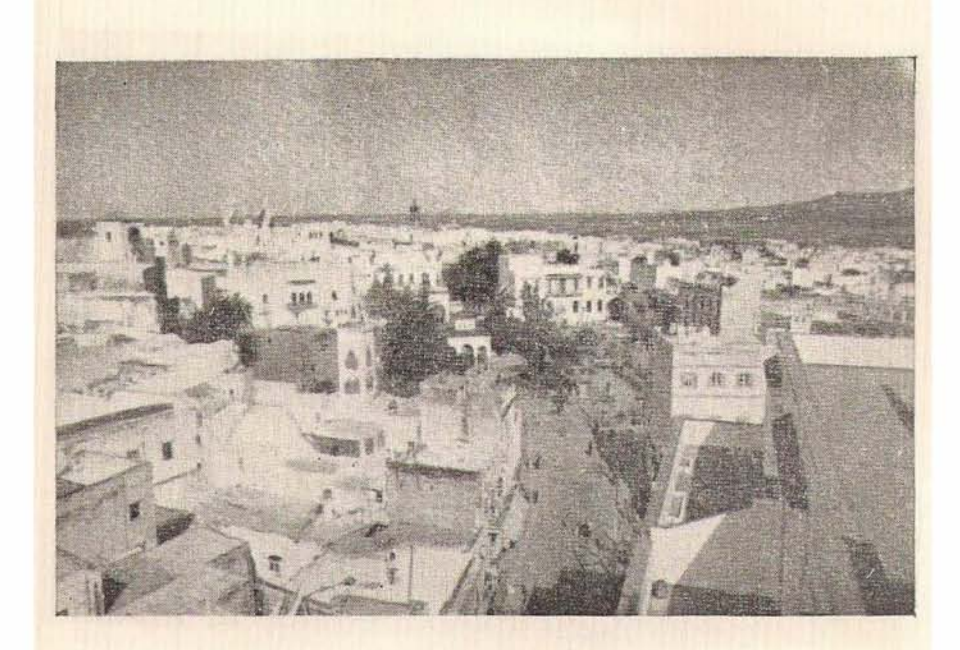
(رقم 22) الركن الشمالي الشرقي من ساحة الفدان كما كانت في عهد الاستقلال الاول قبل عهد الحماية الاسبانية، اي قبل سنة 1331 ه 1913 م وكانت هذه الساحة قرب سور المدينة في ناحيتها الغربية، وكانت هي السوق العمومي الذي يعمره اهل القبائل ثلاث مرات في الاسبوع، الجمعة والاحد والاربعاء، وفي اعلى اليمين تظهر قبتا قصر المشور الذي كان مقرا لوالي المدينة ثم صار مسكنا للخليفة السلطاني ومركزا للحكومة الخليفية وجنبه لجهة اليسار الديوانة ثم زاوية سيدي عبد الله الحاج التي مرت عليها ظروف حولت فيها الى كنيسة كاثوليكية وفي الاعلى جبل درسة وبسفحه قصبة تطوان المتصلة بالاسوار المحيطة بالبلد، وبها برج فيه مدافع كانت وما زالت عياراتها تطلق في الاحتفالات الدينية والقومية



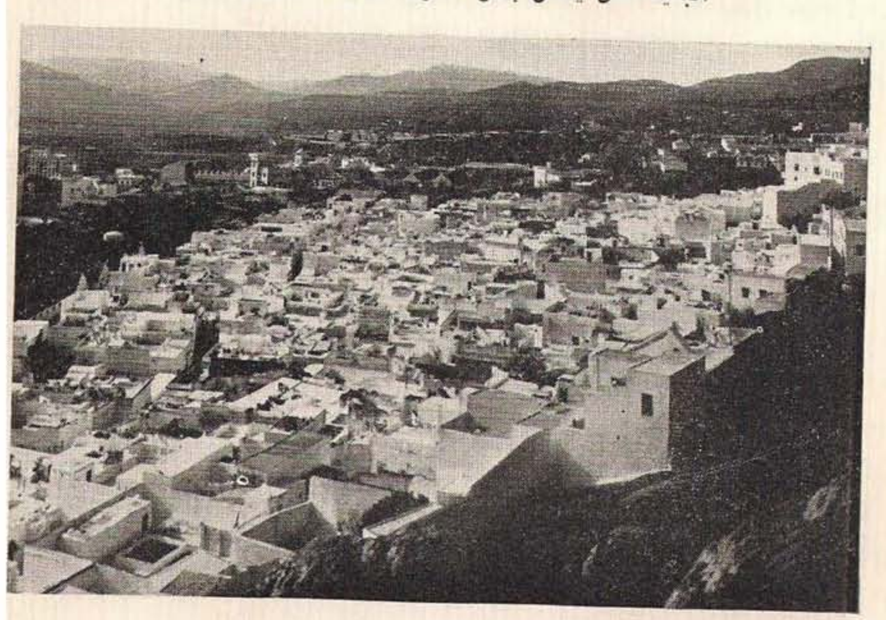
(رقم 23) باب التوت، احد ابواب تطوان في الجهة الغربية منها، وكان منه دخول وخروج جل المسافرين من تطوان واليها من مختلف البلاد المغربية، وهو متصل بحومة الطرنكات، قريب من سوق الزرع وساحة الفدان



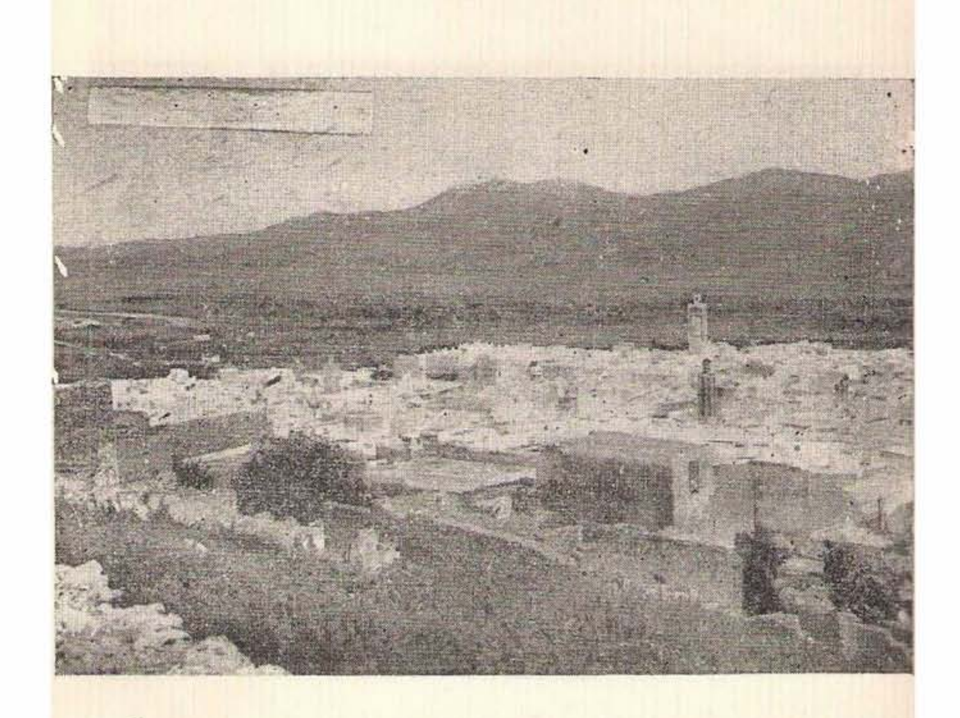
(رقم 24) منظر عام لوسط مدينة تطوان وقد اخذ من جبل درسة المشرف على المدينة



(رقم 25) منظر اخر لوسط مدينة تطوان، ويظهر فيه بعض ساحة الفدان، مع الشارع الجديد الذى يفصل بين تطوان القديمة وتطوان الحديثة



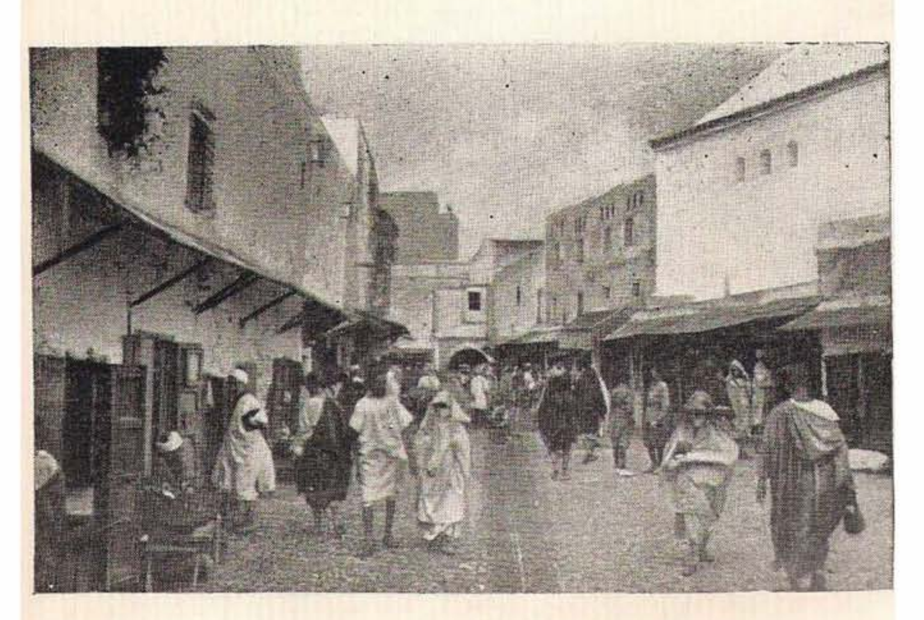
(رقم 26) منظر علوى لحومة العيون الواقعة فى غرب مدينة تطوان، والجبال الظاهرة فى الصورة، من سلسلة الجبال التى بقبائل بنى حزمر وبنى يدر ووادراس ومن المعلوم ان قبائل تطوان كلها جبلية سهولها قليلة



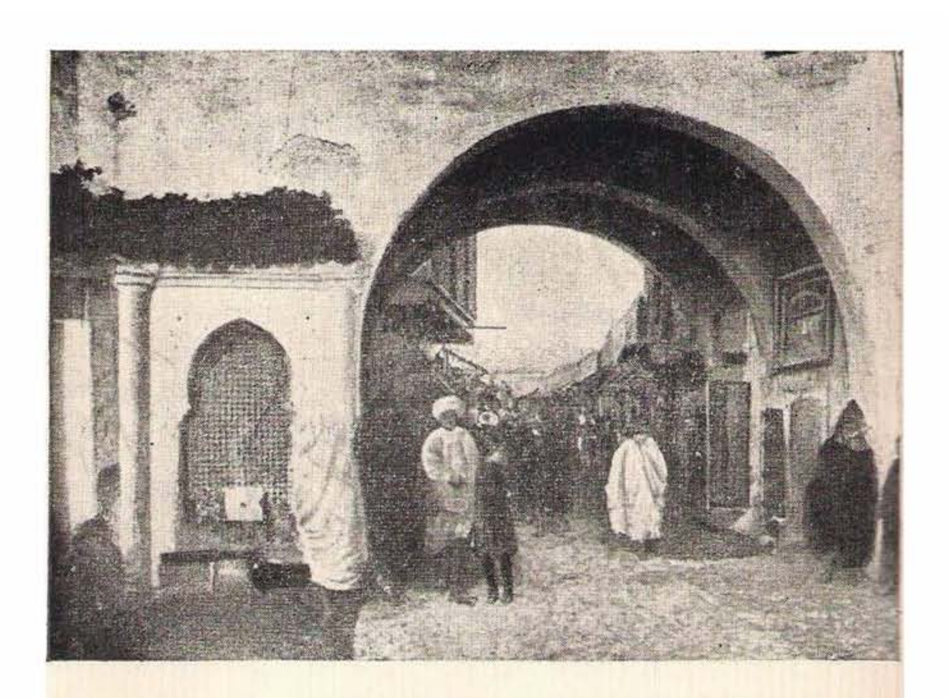
(رقم 27) بعض القسم الشرقى من مدينة تطوان، ويحتوى على حومة البلد، وترى فيه صومعتان كبيرتان، المربعة منهما هى صومعة الجامع الكبير «المسجد الاعظم» والمثمنة هى صومعة الزاوية الريسونية، زاوية سيدى على بن ريسون» والجبال الظاهرة هى جزء من قبيلة بنى حزمر المنتهية الى البحر الابيض المتوسط، وتتصل بجبال قبائل غمارة شرقا ثم بقبائل الريف الى حدود القطر الجزائرى والسهل الفاصل بين تلك الجبال وبين تطوان تقع به غراسى «بساتين» كيتان والمناقع والمحنش، ويشقه النهر الذى يصب فى البحر الابيض المتوسط، وتقع على شاطئيه غروس تطوان وبنى معدان، وقد اخذت هذه الصورة من الجهة الشرقية من جبل درسة



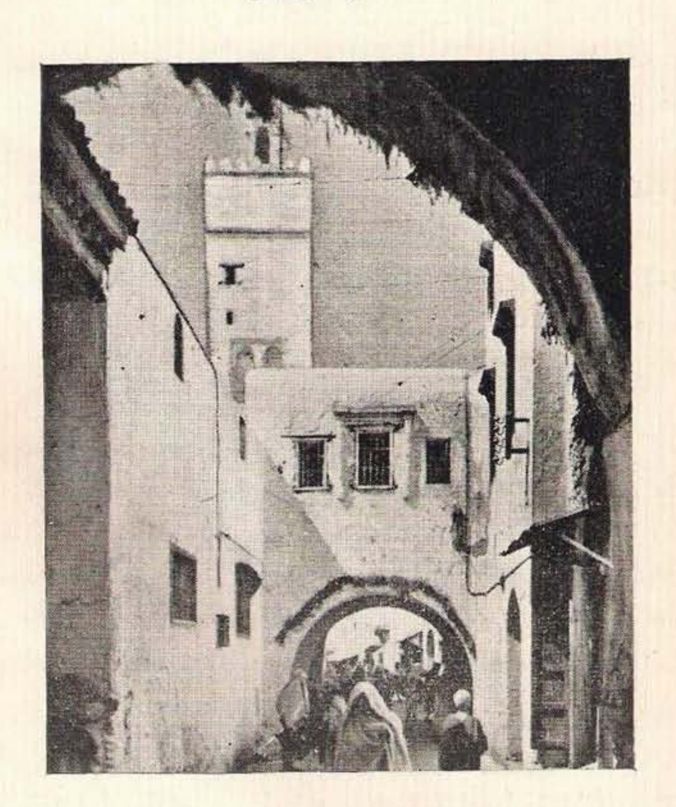
(رقم 28) شارع الوسعة، فى حومة البلد، وهو من اقدم ما بنى من تطوان بعد التجديد الاندلسى، وتقع فيه زاوية سيدى ابى العباس السبتى ومركز الجمعية الخيرية الاسلامية



(رقم 29) الجانب الغربى من شارع السوق الفوقى، وهو من الربض الاعلى التابع لحومة البلد، وما زال هذا الشارع كما كان فى القديم لم يلحقه اى تغيير



(رقم 30) منظر قديم كان واقعا فى ركن الجنوب الشرقى من ساحة الفدان وهو مدخل شارع الطرافين



(رقم 31) قطعة من شارع العيون الطويل الواقع فى قسم الشمال الغربى من تطوان وهو من بناء القرن الحادى عشر للهجرة

عـن بعض شـوارع تطـوان

مما يلاحـظ فى شـوارع تطوان ان ارضها كانـت كلهـا مرصفة بحجارة صغيرة صلبة متناسقة تنحدر مياه الامطـار فى وسطهـا فتبقى دائمة النظافة، وهذه الحجارة كانت وما زالت تجاب من النهر القريب من المدينة، ومن المعلوم ان جل تلك الشوارع قد مدت تحتها انابيب فخارية يجرى فيها الماء الذى يدخل المساجد والدور، كما تقع فى الكثير منها مجارى المياه المستعملة التى قد تدعو الضرورة لاصلاحها فى بعض الاحيان، فيسهل قلع تلك الحجارة واصلاح الانابيب التى تحتها ثم ارجاع تلك الحجارة لحالتهـا الاولى تمامـا دون ان يشوه منظر الشـارع .

ويلاحظ ايضا ان الجدران كلها مبيضة دائما إما بالجير الناصع البياض، واما بالجير المشوب بزرقة لا تكاد تظهر مما يزيد منظرها ملاحة ولطفا

ويلاحظ فى الصورة رقم 28 ان شارع الوسعـة قد مد فوقـه عريش من الخشب وقد انتشرت عليه دوالى العنب الذى تدلت عناقيده فكان هناك ظـل ظليل وهواء عليل .

وفى الصورة رقم 29 يرى لجهة اليمين جدار جامع السوق الفوقى، وهـو المسجد الذى كان عالم تطـوان وإمامهـا الشيخ على بركة يـؤم به فى الصلوات الخمس والجمعة، ويخطب ويعظ ويدرس مختلف العلوم الدينية والادبيه، وفى آخر هذا الشارع يقع قوس الحمام الذى يفصل بين حومة البلد وحومتى العيون والطرنكات، ومنه تتفرع شوارع الطالعة التى توصل الى القصبة التى كانت حصن المدينة ومركز مدافعها ومخازن البارود فيها ايام العز والكفـاح.

وفى الصورة رقم 30 يرى منظر قديم يحتوى على ثلاثة اقواس كانت تفصل ساحة الفدان عن شارع الطرافين الذى كان اكبـر شارع بتطـوان للتجارة فى الثياب القطنية والحريرية، وقد هدمت هذه الاقواس مع ما فوقهـا وما حولهـا فى عهد الحماية الاسبانية ، لا أعاد الله علـى المغـرب عهدا غير عهـد الحرية والاستقلال والرفاهية والرخاء

وفى الصـورة رقم 31 تظهـر صومعة المسجد الجامع، «جامع العيـون» أو مسجد سيدى على الجعيدى، ويلاحظ ان القوس الامامى قد وضع فوقـه اكليل من الريحان الاخضر الذكى الرائحة على عادة تطوان منذ القديم، لان به مدخل ضريحي الوليين الصالحين الشيخ على بـن مسعـود الجعيـدى والشيخ احمد بوسلهام رحمهما الله

الفصل الاول

ولاة تطـــوان وحوادثهـــا فى القـــرن العـــاشـــر

قد قدرنا فيما مضى ان وفاة القائد المجاهد أبى الحسن المنظرى كانـت فى حدود سنة 910 هـ. فالقرن العاشر قد دخل وتطوان تحت حكم القائد المنظرى وسترى أن القرن العاشر فيه ابتدأ التاريخ المعروف لهذه المدينة، اذ سجـل فيه كثيـر من حوادثها، وعرف عدد من ولاتها، وسنذكر فيما يلى أسماء من عرفنا من الاشخاص الذين حكموا هذه المدينة فى هذا القرن، مع ما بلغنا مـن أخبارهم والحوادث التى وقعت فى عهدهم .

القائـد المنظـرى الحفيـد

ذكر ليون الافريقى أنه لما زار تطوان فى أوائل القرن العاشر للهجرة، وجد الحاكم بها هو حفيد المنظرى، ولم يذكر اسم هذ الحفيـد، الا أنه وصفـه بأنه شديد اليقظة عظيم الشجاعة .

ولعل اسمه هو محمد كما يفهم من تحلية سيدى العربى الفاسى له بكنية أبى عبـد الله .

ومارمول المؤرخ الاسبانـى الذى عاش فى هـذا القـرن، أعنى العاشر للهجرة، بعد أن سطر تاريخ أبى الحسن المنظرى وأعماله الحربية، ذكر أيضا أن الذى خلفه فى الحكم هو حفيده الذى لم يكن أقل منه شجاعة الخ .

ويستفاد من كلام الباحث الفرنسوى ريكارد M. R. RICARD أن المنظرى ـ واى أنه يعنى الحفيد ـ كان متزوجا بالست الحرة ـ عائشة ـ ابنه الشيخ على بـن راشد، وان ابن راشد هذا لما مرض سنة 1511 م (اى عام 917، وهو العام الذى توفى فيه) استخلف على الجيش ولده مولاى ابراهيم وصهره المنظرى قائد تطوان وتارغة، فهجما على أصيلا وقاتلا البرتغاليين الذين كانـوا بهـا هـ.

فمن هذا نعرف ان المنظرى الحفيد كان عام 917 حاكما على تطوان وعلى القبائل القريبة منها الى تارغة التى هى قطعة من قبيلة غمارية في الجنوب الشرقى لتطوان، كما نعرف أن المنظرى الحفيد كان كجده قائدا شجاعا يقود الجيوش ويجاهد الافرنج الذين كانوا مترامين على الشواطىء المغربية فى عهده

وقلنا ان المنظرى الحفيد هو الذى كان موجودا فى هذ التاريخ، لاننا نعرف ان المنظرى الجد توفى فى حياة ابن راشد بعد أن تقدم فى السن وأدركه الهرم وفقد بصره كما تقدم .

وقد ذكر ابو محمد سكيرج المؤرخ الاول لتطوان أنه لما توفى ابو الحسن المنظرى ذهب أناس من تطوان الى الشيخ على بن راشد بمدينة شفشاون، وطلبوا منه أن يرشدهم الى المكان الذى ينبغى أن يدفنوا فيه أبا الحسن المنظرى فقال لهم ارجعوا الى بلدكم فانكم ستجدونه قد دفن الخ. مما يدل على أن المنظرى الجد توفى فى حياة الشيخ على بن راشد والله أعلم .

الافرنج يفتدون الاسارى من تطوان عام 929 هـ. موافق 1523 م.

سبق لنا عن ليون الافريقى ومارمول الاسبانى، ان الاسارى الافرنج الذين كانوا بتطوان فى عهد المنظرى الحفيد، قد بلغ عددهم نحو ثلاثة ءالاف رجل .

والمفهوم ان أولئك الاسارى كان جلهم من البرتغاليين (I) المحاربين المعتدين على الشواطىء المغربية، وبعضهم من الاسبانيين الذين تأسرهم المراكب القرصانية التطوانية والجزائرية .

ونحن لا ندرى ما ءال اليه أمر جل أولئك الأسارى وان كنا نعرف أن عددهم كان يزيد أحيانا بمن يضافون اليهم من الاسارى الذين كان المجاهدون يستولون عليهم فى حرب أصيلا وغيرها، كما كان ذلك العدد ينقص أيضا بسبب الوفيات والفداء . الا أننا عرفنا ان بعض أهل الخير والاحسان من الاسبانيين كانوا من حين لآخر يفتدون بعض أولئك الاسارى الذين كانوا يعبرون عنهم بالعبيد، لانهم كانوا يباعون فى الاسواق كما تباع الانعام ويشتريهم مطلق الناس ويستخدمونهم فى مختلف أعمالهم كما يستخدمون الدواب .

I) البرتغاليون كلمة محدثة وفى القديم كان المؤرخون العرب يسمونهم الجلالقة نسبة الى جليقية الكلمة المعربة عن GALICIA ت. و.

وقد وجدنا فى السجل الوطنى الاسبانى (1) بعض مستندات تتعلق بافتداء بعض أولئك الاسارى ومنها ما يلى : « فى يوم الخميس 29 اكتوبر 1523 (2) وصل الى اشبيلية مركب فيه بدرو دى طوليدو PEDRO DE TOLEDO من سبتة ، وذكر أن خوان أرطيث دى كويار JUAN ORTIZ DE CUELLAR دفع له فى سبتة خمسة وعشرين نصرانيا كانو أسارى عند المسلمين، وأن أورطيث المذكور، افتداهم بالمال الذى تصدق به ضون ألونسو بيمينتيل كوندى دى بينافينتى DON ALONSO PIMENTEL CONDE DE BENAVENTE وحملهم فى مركب دييگو دى ميراندا.

ثم بعد ذلك شهادة فراى سيباستيان وخوان دى أرطياگا ودييگو دى ميراندا، وهؤلاء الثلاثة كانوا بتطوان عند افتداء أولئك الاسارى فى 20 اكتوبر سنة 1523.

وقد ذكروا ان خوان أورطيث وفد على تطوان وافتدى بها خمسة وعشرين أسيرا مسيحيا كانوا عند المسلمين وذكروا أسماء أولئك الاسارى وأسماء المسلمين الذين كانوا يملكونهم ، ومن جملتهم القائد المنظرى وعلى فرناندو ومولاى ابراهيم ومولاى عثمان وأحمد أبو على والرايس الغزال وأشخاص آخرون كتبت أسماؤهم محرفة فلم نستطع معرفتها. ثم بعد ذلك شهادة حاكم سبتة ضون خوان دى كورونا وهى مؤرخة بـ 25 اكتوبر سنة 1523 ومضمنها أن خوان أورطيث وصل الى مدينة سبتة مع خمسة وعشرين نصرانيا كانوا أسارى عند المسلمين، وقد أرسلوا الى اشبيلية مع بدرو دى طوليدو المالقى وقد أحضر أولئك الاسارى أمام الحاكم واستدعى كل واحد منهم باسمه ثم أبحروا فى مركب دييگو دى ميراندا .

ثم بعد ذلك شهادة أولئك الاسارى أنفسهم، وقد ذكر كل واحد منهم اسمه واسم مالكه المسلم والمبلغ الذى افتدى به الخ.

ثم بعد ذلك شهادة مضمنها أنه فى 14 سبتمبر 1523 وصل اشبيلية خوان بوكانيرا موفدا من قبل خوان اورطيث فى مركب دييگودى ميراندا ومعهأربعون نصرانيا ما بين رجال ونساء كانوا مملوكين عند المسلمين، وقد ذكر ان خوان أورطيث المذكور قد سلم له أولئك الاسارى فى سبتة، وأنهم افتدوا بالاحسان الذى قدمه ألونسو بيمنتل .

ثم أثبت شهادة ثلاثة من الاسبانيين كانوا بتطوان، وملخصها أنهم كانوا بهذه المدينة حين حضر اليها خوان أورطيث فى 25 غشت 1523 وافتدى أربعين

---

1) عن مجلة موريطانيا MAURITANIA الاسبانية التى تصدر بطنجة عدد 182، المؤرخ بيناير سنة 1943.

2) هذا التاريخ يوافق من تاريخنا الهجرى أواخر ذى الحجة عام 929

أسيرا وذكروا أسماءهم وأسماء المسلمين الذين كانوا يملكونهم من أهالي تطوان الخ. واللهجة التي تتحدث بها تلك الشهادات والمستندات، لهجة خاصة تجد فيها، نصاري، مسلمين، أعداء ديننا، أعداء ايماننا المقدس الخ. الالفاظ والعبارات التي تدل على ان اولئك القوم كانوا منغمسين في حمأة التعصب والعداء ولعل تلك العواطف كانت متبادلة بين الطرفين، فلا ينبغي أن يستاء منها أحد الجانبين .

وفاة القائد المنظري الحفيد عام 935

رأيت فيما سبق أن القائد المنظري «الحفيد» كان حاكما بتطوان ونواحيها عام 917 ، وانه كان حيا يملك بعض الاسارى عام 929 . وقد رأيت بخط العلامة سيدي محمد ابن شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي نقلا عن خط العلامة سيدي العربي الفاسي «أن القائد أبا عبد الله المنظري توفي سنة 935 . كما ذكره سيدي الشلي » والله اعلم .

ونقول، ان المنظري الذي توفي في هذا التاريخ هو الحفيد لا الجد ، لاننا رأينا ليون الافريقي ذكر انه لما زار تطوان كان المنظري الجد قد توفي وخلفه حفيده ، ومعلوم أن ليون الافريقي قد فرغ من تأليف كتابه « وصف افريقيا » سنة 932 هـ. 1526 م أي قبل وفاة المنظري الحفيد ببضع سنين بعد ان لبث أسيرا في ايطاليا سنين عديدة ، فلم يبق الا ان الذي توفي عام 935 هو المنظري الثاني اي الحفيد لا الجد والله اعلم .

القائد المنظري الثالث

قد علمت ان المنظري الحفيد الذي تولى حكم تطوان بعد وفاة جده أبي الحسن ، والذي كان زوجا للست الحرة ابنة الشيخ علي بن راشد، قد توفي سنة 935 . وسيأتي لنا أن الست الحرة المذكورة كانت هي نفسها حاكمة بتطوان سنة 948 . فمن كان يحكم هذه المدينة بين سنتي 935 و 948 هـ.

ان الذي يظهر والله اعلم انه تولى حكم تطوان رجل اخر من عائلة المنظري ، وهذا هو القائد المنظري الثالث .

ويؤيد هذا ما ذكره مؤرخ ذلك العهد ومعاصره وهو مارمول الاسباني فانه بعد أن ذكر أبا الحسن المنظري وحفيده السابقي الذكر قال : وقد خلفه بعض المتحدرين من هذه العائلة وكلهم كانوا سادة في تطوان الخ .

ويؤيد ذلك ايضا ما جاء فى المصادر الافرنجية من أن الست الحرة قد تزوجت عدة مرات ، فمن المحتمل القريب جدا انها تزوجت اولا من المنظرى الحفيد وهو ثانى المنظريين ثم لما توفى سنة 935 تزوجت من منظرى ءاخر هو المنظرى الثالث ولعله كان أخا للذى قبله أو ابن عم له أو احد أقاربه.

ويؤيده أيضا ما جاء فى بعض المصادر الافرنجية أيضا من أن المنظرى حاكم تطوان توفى سنة 1541 م (وهذه السنة توافق من تاريخنا الهجرى عام 948) وأن السلطان أحمد الوطاسى وفد على تطوان وتزوج فيها بالست الحرة عقب تلك الوفاة فاذا علمنا أن المنظرى الاول توفى فى حدود سنة 910، والثانى توفى تحقيقا سنة 935 . وآخر توفى سنة 948 . لم يبق هناك شك فى أن هناك منظريا ثالثا تولى حكم تطوان وهو الذى توفى سنة 948. والله اعلم .

الست الحرة حاكمة تطوان سنة 948 هـ.

الست الحرة (1) هى امرأة كان لها نفوذ كبير فى مدينة تطوان ونواحيها. ويصح ان يقال انها تولت الحكم فيها . وقد وجدنا فى المسندات الافرنجية ذكر هذه السيدة مرارا وورد ذكرها ايضا فى كتاب « دوحة الناشر » لابن عسكر ، فقد جاء فى ترجمة السيد الجاسوس منه قوله (2) « ان سرية من المسلمين ذهبوا الى الاغارة على النصارى الذين بسبتة فوجدوا هذا الرجل على ساحل البحر بمقربة مدينة سبتة فظنوا أنه من الجواسيس الذين يترددون الى بلاد الكفر فسألوه عن أمره فتكلم بكلام لا يفهمونه فقبضوا عليه وأتوا به الى تطوان فى ولاية الحرة بنت على بن راشد الخ. فأنت ترى انه ذكر أن تلك الحادثة وقعت فى عهد ولاية السيدة المذكورة للحكم فى تطوان .

فمن هى هذه السيدة ؟

وما هو اسمها الحقيقى ؟

وما هو المركز الذى كان لها فى تطوان ؟

وما هو تاريخ وجودها فى هذه المدينة وحكمها فيها ؟

وما هى المدة التى قضتها فى حكمها ؟

هذه اسئلة خمسة دونك اجوبتها .

---

1) لشيوع التسرى بين القواد ورجال الدولة ، كانت أزواجهم الحرائر ذوات منزلة خاصة حتى كن يكرمن بأن ينص على أنهن حرائر ولسن بأمهات أولاد .
ت. و.

2) دوحة الناشر ص 34 .

أما السؤال الاول فقد اجابنا عنه ابن عسكر فى كتابه «دوحة الناشر» كما رأيت اذ ذكر أنها بنت على بن راشد الشريف العلمى صاحب مدينة شفشاون. وقد ذكر ذلك ايضا ، الباحث الفرنسوى م. ريكار M. ROBERT RICARD فى البحث الذى نشره بمجلة الاندلس (1) عن مولاى ابراهيم قائد شفشاون وشقيق الست الحرة المذكورة ، وزادنا فائدة اخرى فاجابنا عن السؤال الثانى وبين لنا اسمها الحقيقى فذكر نقلا عن المصادر البرتغالية أنها كانت تسمى عائشة ، بل زادنا عنها وعن والديها معلومات طريفة فذكر أن أمها كانت تسمى لا لا الزهرة وأن أصلها من مدينة فخير دى لافرونطيرا Vejer de la Frontera الاسبانية وهى مدينة صغيرة قرب الجزيرة الخضراء بالاندلس . وكانت هذه السيدة فى أول أمرها اسبانية مسيحية ثم اسلمت وصارت تدعى باسم لا لا الزهرة كما أن أخاها الذى كان اسمه مارتين فرنانديس اسلم فحول اسمه الى فرناندو ، وأن سيدى على بن راشد تزوج لا لا زهرة المذكورة فولدت منه مولاى ابراهيم الذى صار فيما بعد حاكما بشفشاون وكان قائدا كبيرا وحربيا مغامرا ، كما ولدت له ايضا ابنته عائشة التى صارت فيما بعد تدعى بالست الحرة او السيدة الحرة ، التى حكمت نوعا ما فى تطوان عندما كانت زوجا للمنظرى ، وقد تزوجت فيما بعد بسلطان فاس احمد الوطاسى الخ .

فاسم السيدة كما ترى هو عائشة ، ولقبها هو الست الحرة وهى ابنة الشريف الجليل المجاهد سيدى على بن راشد بانى شفشاون وحاكمها .

وفى المصادر الافرنجية ان الست الحرة ولدت بعد أخيها ابراهيم الذى ولد سنة 1490م 896 هـ. فعلى ذلك كانت عند وفاة الشيخ المنظرى الجد ، ما تزال فى سن الطفولة ، وكانت عند وفاة والدها سنة 917 فيما دون العشرين من عمرها .

ثم ان م ريكارد ذكر أنها حكمت تطوان نوعا ما حينما كانت زوجا للمنظرى، ومن ذلك ناخذ الجواب عن السؤال الثالث ، ونعرف أن الصفة التى كانت لها فى تطوان ، هى انها زوجة حاكمها القائد المنظرى ، ونحن نعرف انه كان بتطوان فى أوائل القرن العاشر منظريان اثنان أولهما هو القائد الغرناطى الشهير أبو الحسن المنظرى الذى جدد بناء تطوان وتولى الحكم بها فى اواخر القرن التاسع ، والآخر حفيده الذى تولى حكم تطوان من بعده ـ ولا شك أن الذى تزوج الست الحرة هو الحفيد ، لان الجد كما قلنا توفى وهو شيخ كبير فى حياة والدها على الذى كانت وفاته عام 917 .

والذى يظهر ان الست الحرة قد تولت الحكم بتطوان فى طورين :

---

1) مجلة الاندلس ـ مدريد ـ سنة 1941 . م 6 ج 2 ص 299.

الاول ـ حينما كانت زوجا للمنظرى فكانت تتولى بعض الاحكام اما فى غيبة زوجها الذى كان حاكما بتطوان فكان اذا غاب عنها فى حروبـه المتواليـة مع الافرنج ، تنوب عنه فى ابداء الرأى والاشارة بنظرها فى بعـض القضايـا الهامة والفصل فى المسائل العادية واما ان زوجها كان ينيبها عنه فى مباشرة بعض القضايا لما كان يرى من سداد رأيها وحسن تدبيرها، واما انه بعد ان توفى هو بقيت داره عامرة وحاشيته ملتفة حولها وبقيت زوجه الست الحرة بما كان لها من نفوذ وجاه ومقام ومعرفة ، قابضة على زمام الحكم ولم يجد النـاس فى ذلك حرجا لما كانوا يرونه من حزمها وحسن سياستها .

ومن المعروف أن بنى راشد الذين كانوا حكام مدينة شفشاون والقبائل الجبلية القريبة منها ، كانت بينهم وبين المنظرى وأندلسيى تطوان، علاقـة ودية متينة منذ هاجر أولئك الاندلسيون من غرناطة الى شمال المغرب .

ويظهر أن ذلك كان من أهم الاسباب فيما حصل بين آل المنظرى وأصحابه اهالى تطوان من ناحية ، وبنى راشد من ناحية اخرى من الانسجام والتعاون ، حتى أدى الحال أولا الى المصاهرة بين العائلتين المنظرية والراشدية ، وثانيا الى تولى «الست الحرة» الراشدية المنظرية لحكم مدينة تطوان نفسها ورضا اهالى تطوان بتلك الولاية بالرغم من كون ولاية المـرأة للحكم شيئـا لم يكـن معهودا بالمغرب فى عصر الحكم الاسلامى، الا أن مكانة العائلتين وذكاء الست الحرة ومرونتها وحزمها ودهاءها وقوة شخصيتها ـ وربما كان مع ذلك شىء من الجمال واللطف وحسن المعاملة ـ كل ذلك سوغ لها أن تحكم البلاد اداريا وتقود الرجال سياسيا واجتماعيا وحربيا . وذلك من أغرب ما حدث فى تاريخ تطـــوان .

الطور الثانى لما تزوجت بعد ذلك بالسلطان احمد الوطاسى كما سيأتى، كانت تحكم تطوان أيضا وقد اتسع نفوذها وصار عملها غيـر قـاصـر علـى مباشرة الاعمال العادية داخل أسوار المدينة ، بل صارت لها علاقـات خارجية ايضا . والمصادر الاسبانية والبرتغالية تصف الست الحرة بأنها كانت كفؤا لما وصلت اليه من مقام ، لانها تلقت علومها عن كبار الرجال ولانهـا كانـت ذات معرفة ونظر ، وتذكر أنها كانت شديدة فى تصرفاتها وخصوصا مـع حاكـم سبتة ، وأنها كانت لها مراكب تتعاطى القرصنة فى البحار ، وأنها كانت تتجر فى الاسارى المسيحيين الخ .

وانها تزوجت بالقائد المنظرى حاكم تطوان ونواحيها لتوحيد جبهة النضال بين مدينتى شفشاون وتطوان ضد عدوان البرتغاليين .

وفى المجموعة التاريخية التى نشرها م هنرى دى كاسترى (1) ان الست الحرة كانت حاكمة بتطوان وكان لها نفوذ بها ، وأنه وقع بينها وبين حاكم سبتة ضون الفونسو البرتغالى خلاف ادى الى قطع المواصلات بين سبتة وفاس فاهتم بذلك سلطان فاس احمد بن محمد المرينى ـ اى الوطاسى ـ وكلف سباستيان دى بركاس بكتابة رسالة الى جان الثالث (2) ملك البرتغال للتوسط بين حاكم سبتة والست الحرة فكتب سيباستيان المذكور رسالة من سبتة بتاريخ 8 سبتمبر سنة 1542 م وفى المجموعة المذكورة ترجمة الرسالة المذكورة الى الفرنسية وفيها ان الست الحرة كانت قد سمحت للمراكب التركية بالدخول الى ميناء تطوان الخ . مما يدل على انها كانت تباشر الاعمال الخارجية حتى مع الدول الاجنبية .

اما تاريخ وجود الست الحرة بتطوان ومدة حكمها فيها فقد ذكر ابن عسكر فى دوحة الناشر أنها كانت متولية فى حدود الخمسين اى وتسعمائة ومن رسالة سيباستيان دى بركاس نفهم انها كانت حاكمة سنة 1542 م وهى توافق عام 948 – 949 هـ .

والمعلومات عن الست الحرة فى المصادر العربية قليلة جدا وجل ما عرف عنها مأخوذ عن المصادر الافرنجية مما كتبه اشخاص أوربيون ، الا ان فى كلامهم بعض أخطاء .

فمن ذلك أنهم ذكروا أن الست الحرة هى والدة القاضى محمد بن عسكر مؤلف كتاب «دوحة الناشر» وانها هى التى ختمت حياتها باعتزال الحياة السياسية وانزوائها فى مدينة القصر الكبير حيث عاشت مع ولدها ابن عسكر المذكور الى أن توفيت فى ثانى عشر ذى القعدة عام 969 هـ وذلك كله لا أصل له ، لان والدة ابن عسكر هى عائشة ابنة أحمد بن عبد الله بن على ابن محمد بن احمد بن عمران الخ . وقد ترجم لها ابنها فى كتابه «دوحة الناشر» (3) ووصفها بالولية الصالحة المتبرك بها ، ونسب لها كرامات ، ومن ترجمتها نعرف انها قضت حياتها بمدينة شفشاون الى أن انتقلت الى القصر الكبير حيث توفيت فى التاريخ المذكور .

أما الست الحرة فهى عائشة ابنة الشيخ على بن موسى بن راشد من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش .

LES SOURCES INEDITES DE L' HISTOIRE DU MAROC PAR LE (1
L T . COLONEL H DE CASTRIES
السلسة الاولى ـ المجلد الاول ص 133 بالفرنسية.

2) هو خوان الثالث وقد تولى حكم البرتغال من سنة 1521 الى سنة 1557 .

3) دوحة الناشر ص 19 طبعة فاس سنة 1309 هـ

فوالدة ابن عسكر هي غيـر الست الحـرة قطعا . أما هـذه ، ـ أعنى الست الحرة ـ فان مصيرها بعد اقصائها عن حكم تطوان ما زال غير معروف لدينا الى الآن .

ومن ذلك قولهمان الست الحرة تزوجت الشيخ عليا المنظرى الكبير وانتقلت معه الى تطوان مركز حكمه الخ. فان ذلك خطأ أيضا، لان التاريخ الذى توفى فيه الشيخ المنظرى المذكور كانت هى فيه ما تزال فى سن الطفولة ، وهم انفسهم يذكرون ان مولدها كان عام 900 هـ والمنظرى لم يعش بعد هذا العام الا بضع سنين شيخا هرما فاقدا لبصره . فالمنظرى الذى كان زوجا لها هو أحد حفدة الشيخ المنظرى المذكور .

زواج سلطان فاس بحاكمة تطوان سنة 948

من أهم الاشياء التى تتعلق بالست الحـرة ، قصة زواجها مـن السلطان أحمد الوطاسى ، وقد ذكرها العلامـة سيدى العربـى الفاسى فى كتابه «مرآة المحاسن» اذ قال فيه ما نصه (1) : «ولما كان خروجـه (اى سلطان فـاس أحمد الوطاسى) الذى وصل فيه الى تطاون وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد ابى الحسن على بن موسى بن راشد الشريف ... الى ان قال : قال الشيخ قاضى الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسى رحمه الله فيما قرأته بخطه « وتزوج السلطان الحرة فى ربيع الاول عام ثمانية وأربعين (948) وبنـى بها ببلد تطاون » وهذا التاريخ يوافقه من التاريخ الميلادى شهر يوليه سنة 1541م. وقد نقل الناصرى مضمن ذلك فى الاستقصا (2) .

ولنا هنا وقفة . فقد سبق لنا أن الست الحرة كانت حاكمة بتطوان سنة 1542م 949 هـ كما فى رسالة سيباستيان دى بركاس ، وفى دوحة الناشر أنها كانت متولية فى حدود الخمسين وذلك يصدق بسنة 949 أيضا ، والثابت أنها تزوجت بسلطان فاس احمد الوطاسى وبنى بها فى تطوان قبل ذلك التاريخ اى عام 948 كما رأيت فى «مرآة المحاسن» ، فهل طلقها السلطان المذكور عقب زواجه بها وغادر هو تطوان وبقيت هى بها ؟ أم انها بقيت حاكمة فيها بالرغم مـن كونهـا زوجة للسلطان ؟ نحن نرجح هذا الاحتمال الثانى خصوصا بعد أن عرفنا أن مقام السلطان المذكور كان فى ذلك العهد مضعضعا ، وأن دولتـه كانت مشرفة على الاضمحلال بسبب محاربة السعديين له ومقاسمتهم له دولته، فكان يبحث عما يوطد به مركزه بمختلـف الوسائل ، ولذلك تزوج بالست الحرة التى كان لها

---

(1) مرآة المحاسن ص 216 طبع فاس سنة 1324

(2) ج 2 ص 177 .

مقام ممتاز بتطوان ونواحيها ، كما كانت لعائلتها الشريفة الحاكمة بشفشاون مكانة عظيمة في مختلف القبائل الجبلية بشمال المغرب ، وقد سبق له من قبل أنه زوج اخته من القائد مولاى ابراهيم شقيق الست الحرة نفسها ، فكان زواج السلطان بالست الحرة زواجا سياسيا المقصود منه اكتساب عطف هذه النواحي وتأييدها له، ولذلك ترك زوجتـه المذكورة نائبة عنه فى حكم هذه الناحية، وقد صرح مؤرخو الافرنج فى ذلك العهد بان زواج السلطـان االوطاسى بالست الحرة انما كان لتوطيد الامن فى هذه الربوع من المغرب.

ومن هذا كله تتضح لنا الصفة التى كانت تحكم بها الست الحرة مدينة تطوان فى المدة الاخيرة ، وهى أنها كانت زوجة للسلطان ونائبة عنه فى الحكم وكونها كانت زوجة للسلطان المذكور قد علمت انه ثابت لاشك فيه ، وكذلـك كونها كانت حاكمة بتطوان بعد ذلك الزواج فاذا لم يثبت أنه طلقها عقب زواجه بها لم يبق الا أنها كانت فى تلك المدة تحكم هذه المدينة ونواحيها بتفويض من زوجها السلطان والله اعلم .

القائد المنظرى الرابع والقضاء على حكم الست الحرة سنة 949 ه

علمت مما تقدم أن الست الحرة قد تم زواجها من السلطان احمد الوطاسى بتطوان سنة 948 عقب وفاة زوجهـا المنظرى حاكـم هذه المدينة ، وانها كانت حاكمة بها بعد ذلك فى اوائل سنة 949 . ويظهر ان كبار الرجال مـن عائلـة المنظرى وغيرهم قد استاءوا من ان تتولى الست الحرة حكم تطوان وهم فى الوجود ، فقاموا بمؤامـرة لقلب حكومـة هذه المرأة والاستيلاء على حكم هذه المدينة ، وقد شارك فى هذه المؤامرة محمد الحسن المنظرى الذى كان من سكان تطوان ، وهو حفيد المنظرى حاكم تطوان من قبل وصهر الست الحـرة ، كمـا شارك فيها والده محمد الحسن المنظرى ايضا وكان قاطنا مع عائلته بفاس (1) فجاء هذا المنظرى الوالد من فاس الى تطوان واستولى على الحكم فيها بالقوة.

وقد جاء فى المصادر البرتغاليـة انه فى يوم عشرى شهر اكتوبر سنة 1542 ـ وهو موافق لشهر رجب عام 949 ـ غادر السيد محمد الحسن المنظرى مدينة فاس هاربا من السلطان احمد الوطاسى وتوجه نحو مدينة تطوان مركز حكم الست الحرة ، فوصلها على رأس جماعة من الفرسان ومعه عائلتـه وبعد يومين من وصوله اليها أعلـن نفسه حاكما على هذه المدينة مستقلا عن سلطـان فاس ثم أخرج الست الحرة من هذه المدينة واستولى على جميع ممتلكاتها بها .

---

1) لا يزال أعقاب المنظرى بفاس ، ومنهم من عاد الى تطاون (ت.و.

ويظهر أن هذا الانقلاب لم يتم للمنظرى الا بمساعدة المتآمرين معه على حكم الست الحرة من سكان تطوان نفسها (I)

ولا يبعد ان يكون ذلك كله بتدبير عال من خصوم دولة الوطاسيين .

وبذلك وقع القضاء النهائى على حكم الست الحرة فى مدينة تطوان ونواحيها ، وكان القائم بذلك كما رأيت هو القائد محمد الحسن المنظرى الذى كان هو الرابع من الرجال الذين حكموا تطوان من عائلة المنظرى.

ولا ندرى أكثر من هذا لا عن شخصية هذا القائد ولا عن الحوادث التى وقعت فى عهده ولا عن مدة ولايته ونهايته .

أهمية عمل المنظرى وأبطال تطوان

والآن وقد انتهينا من اثبات ما استطعنا معرفته عن عصر القائد المنظرى ومن تولى حكم تطوان من بعده ، يجمل بنا أن نقارن بين حالة تطوان وحالة بقية نواحى المغرب فى ذلك العصر .

ونحن اذا راجعنا تاريخ المغرب فى ذلك العهد ، عرفنا الحالة التى وصل اليها من الضعف حتى ترامى الافرنج على سواحله واستولوا على جل مدنها ، وعرفنا ان المنظرى وحفيده واصحابهما من مجاهدى تطوان لم يقتصروا على المحافظة على هذه المدينة والحيلولة دون استيلاء الافرنج عليها فحسب ، بل كانوا ابطالا يهاجمون الافرنج فى معاقلهم ويأخذون منهم ءالاف الاسرى ويستخدمونهم فى مصالحهم ، اذا علمنا هذا ، قدرنا حينئذ فضل السيد المنظرى وسكان تطوان فى ذلك العهد ، وأدركنا عظم المهمة التى كانوا قائمين بها ، ولايضاح ذلك نلفت النظر الى انه فى عهد الحكام المنظريين بتطون كان الافرنج مستولين على مدن سبتة وطنجة وأصيلا ، وفى عهدهم استولوا على أرض الجديدة وعلى العرائش كما استولوا على سواحل سوس وأسفى وأزمور والمهدية والدار البيضاء ، ولم يبق بيد المسلمين من الثغور البحرية بالمغرب الا القليل مثل سلا ورباط الفتح كما فى الاستقصا ، كل هذا وتطوان التى كانت اقرب الى بلاد الافرنج من جميع تلك المدن بقيت محافظة على اسلامها وعروبتها ووطنيتها بفضل جهاد المنظريين والمجاهدين التطوانيين رحمهم الله ورضى عنهم.

(I) يظهر أن الحرة أفرطت فى موالاة البرتغاليين حتى اصبحوا يتوسطون لها ، وهذه خطة لم تكن لترضى المجاهدين سيما والمنافسون لا يمكن أن يتركوا هذه الفرصة تمر دون أن يستغلوها لصالح الوطن ولصالحهم ايضا . ت. و.

القائد الحاج علي الذيب

ذكر أبو محمد سكيرج أن القائد الحاج على الذيب هو الذى تولى حكم تطوان بعد القائد المنظرى، ومما تقدم لنا نعرف انه قصد بالمنظرى، آخر من حكم تطوان من عائلة المنظرى، لا أبا الحسن الاول، ويظهر ان السكيرج لم يعتبر حكم الست الحرة لانه كان حكما غير عادى وكان فى فترة استثنائية . ولم يذكر تاريخ تولية القائد الذيب واقتصر على أنه بقى حاكما مدة ثم عزل وطرد من المدينة فخرج منها وشرع فى بناء المحل المتصل بها من جهة الشمال الغربى وهو المعروف الان بحومة الطالعة ولم يكن فى تلك الناحية بناء قبل ذلك ، وان القائد المذكور بنى هناك أولا ثم بنى الناس حوله ، وفى مدة يسيرة بلغ عدد الدور هناك نحو خمسمائة دار ثم شيد الذيب باعلى تلك الناحية قصبة نسبها الناس اليه واطلقوا عليها اسم قصبة الذيب ولا زالت معروفة بهذا الاسم الى الآن.

ونحن لم نقف لا على تاريخ ولاية القائد الذيب ولا عزله او وفاته ، بل لم نعرف حتى التاريخ الذى كان حاكما فيه بالتدقيق وان كان الظاهر مما سبق ويأتى من الحوادث ان ولايته كانت فى العقد السادس او السابع من القرن العاشر .

وان شئت فانظر فيما ياتى حوادث سنة 974 ، فان لها علاقة بالقائد الذيب والله اعلم .

الوباء بتطوان سنة 964

كان بتطوان فى سنة 964 وباء مات به عدد من الناس ، ومن جملتهم الشيخ على الفحل صاحب الضريح المشهور خارج باب المقابر وقد ذكر ذلك ابن عسكر فى كتابه دوحة الناشر عند ترجمته للشيخ المذكور .

وذكر ايضا ان قاضى تطوان ابا عبد الله الكراسى كانت وفاته فى السنة المذكورة ايضا .

ويظهر ان ذلك الوباء كان عاما فى جميع البلاد المغربية فقد جاء فى الاستقصا ما نصه :

« وفى سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهله وجباله ، وأفنى كماته وأبطاله ، واتصل أمره الى سنة ست وستين بعدها » .

ولعل الوباء المذكور ابتدأ سنة 964 ثم استفحل امره باطراف المغرب سنة 965 والله اعلم .

تطوان في عهد الدولة السعدية

أصل الملوك السعديين من درعة فى جنوب المغرب ، وأول من قام منهم هو محمد القائم بامر الله عام 915 وتوفى عام 923 وبويع بعده ولده احمد الاعرج الذى انقذ اسفى من يد البرتغال ثم عزله اخوه محمد الشيخ وتولى مكانه عام 946 . وهو الذى قضى على الدولة الوطاسية بقبض السلطان احمد الوطاسى أولا عام 956. ثم بقتل اخيه ابى حسون الوطاسى عام 961. وبذلك انقرضت دولة بنى وطاس نهائيا .

ونحن لا ندرى بالتدقيق اسم الشخص الذى كان حاكما بتطوان فى الوقت الذى تم فيه الامر للسعديين كما لا ندرى فى أى تاريخ دخلت تطوان تحت حكم الدولة السعدية .

من حوادث تطوان سنة 972 هـ ـ 1564 م

1 ـ على ماذا كانت ترتكز قوة تطوان

2 ـ مراكب تطوان والجزائر كانت تهاجم سواحل اسبانيا

3 ـ التطوانيون هم الذين حركوا ثورة المدجنين (الموريسكوس) فى غرناطة .

4 ـ اغلاق الاسبانيين لمصب واد مرتيل

ذكر مارمول المؤرخ الاسبانى الذى كان موجودا فى ذلك العصر « أن قوة تطوان فى ذلك العهد كانت ترتكز أولا على أربعمائة من خيرة الفرسان وخمسمائة من المشاة ، وأن هذا العدد زاد بعد ثورة المسلمين الغرناطيين الذين تخلفوا باسبانيا ، ثم ذكر أنه زيادة على ذلك كانت توجد بعض السفن للقرصان الجزائريين الذين كانوا يلتجئون الى ميناء تطوان للتزود بالماء والطعام ، تضاف الى ذلك خمس عشرة سفينة صغيرة كان السكان يملكونها ويهاجمون بها سواحل اسبانيا وبواسطتها استطاعوا منذ قريب أن يحركوا الثورة فى بعض جهات غرناطة ، وقد اهتم بذلك ملك اسبانيا فليب الثانى

فامر قائد قواته البحرية باشبيلية ، أن يذهب ويغلق مصب نهـر تطـوان ، فذهب وأخذ من جبل طارق سفنا مشحونة بالحجارة وأغرقها فى مصب النهر فاصبح من المتعذر على السفن أن تجتاز ذلك المكان ، واذا كان البحر متراجعا فان تلك السفن تظهر على سطح الارض ، وقد تم هذا العمل دون أن يستطيع أهل البلاد ان يحولوا دون ذلك رغم المعركة التى دارت بيـن الفريقيـن على الشاطىء والتى سقط فيها قتلى من الطرفين »

هكذا ذكر مارمول حادث اغلاق الاسبانيين لمصب واد مرتيـل فى ذلـك التاريخ ، وهذه الحادثة قد وجدنا من بين الوثائق الاسبانية الرسمية رسائل تتعلق بها، ولتمام الفائدة نورد هنا بعضها :

فمن رسالة بعثها قائد اسطول البوغـاز ضـون ألفـاروا دى باثـان D. ALVARO DE BAZAN مـن اشبيلـيـة الـى مـلـك اسـبـانـيـا فلـيـب الثانـى بتاريـخ 3 نوفمبـر 1564 م. ـ موافـق عام 972 هـ. ما تعـريبـه (1)

« أما ما ذكرتم جلالتكم فيما يتعلق بما كتب به اليكم ضون غرسية دى طوليدو عن اغلاق مدخل نهر تطوان (دقم الواد)فيجب على ان اذكر لكم انه بعد الاستيلاء على البنيون (يعنى حجرة بادس فى ناحية الريف) لم يبق للسفن التركية فى البحر الابيض من الجزائر الى البوغاز مرفأ تلتجىء اليه الا ذلك الواد . ولهذا فان ما كتب به اليكم ضون غرسية ، يعتبر مشروعا عظيـم الفائـدة ، وأنـا استطيع ان اقوم بهذا العمل، ولدي ست من السفن الكبيرة فيلزم ان تزود بما يكفيها لمدة شهر ، وهى المدة اللازمة للذهاب فى فصل الشتاء ، ووواد تطوان نهر جيد ذو فم واسع ، وأرضه رملية ، ومدخله صالح للملاحة فى أوقات دون أخرى ، ولاجل اغلاقه تلزم أربع سفن لاغراقها محملة بالحجارة والجير عند مدخله ، ولا بد لنجاح هذا المشروع من احاطته بالتكتم التام .. الخ .

وقد أجابه الملك المذكور آمرا له بتنفيـذ المشروع برسالـة صادرة مـن مدريد بتاريخ 21 نوفمبر سنة 1564م.

وفى 10 مارس سنة 1565 م كتب ضون ألفارو دى باثان الى الملك رسالة من سبتة يخبره فيها بقيامه بالمشروع وفيها يقول :

« ان تنفيذ المشروع قد تأخر بسبب أن سفينتين انجليزيتين ذهبتا من سان لوكار الى العرائش واذاعتا بين المغاربة خبر استعـدادى للهجـوم على تطوان أو العرائش ، فاستعد المسلمون وأرسل الشريف اليهـم المدد (يعنـى بالشريف سلطان فاس عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ السعدى) ولهذا كان

---

1) هذه الوثائق موجودة فى الكتاب الاسبانى المسمى : LA MARINA ESPAÑOLA EN EL SIGLO XVI DON FRANCISCO DE BENAVIDES - POR IGNACIO BAUER LANDAUER. 329 — 315 صفحة

من الواجب على أن أضاعف استعداداتى فجمعت العساكر من طريفة وجبل طارق وقدم الي قائد سبتة العام بعض السفن والجيوش ، وفى ليلة الثامن من شهر مارس سنة 1565 خرجت متوجها الى النهر ووصلناه عند الفجر فالقيته فى غاية الاهمية بالنسبة للاعداء ، ولاحظت أن اغلاقه يؤمن الشواطىء الاسبانيه من هجمات القرصان الترك ويحرمهم ذلك المرفأ الامين ويزيل الخطر الذى يهدد مواصلاتنا مع الهند ، وقد كنت استصحبت معى مهندسا خبيرا بمد القناطر ، فانزلنا بعض الجيوش بموسيقاها وأعلامها لتضليل المسلمين عن حقيقة غرضنا ولتشغلهم عنا لنتم عملية اغراق السفن المحملة بالحجارة واغلاق فم النهر وجعله غير صالح لمرور السفن وقد خرج الينا جيش من المسلمين فى نحو أربعمائة من الرماح وألف من الرماة. ونشبت المعركة نحو نصف ساعة بين الجانبين ، وبلغ عدد من أصيبوا من المسلمين نحو المائة ما بين قتلى وجرحى ، ومات من الاسبانيين ثلاثة وجرح ثلاثون ، وقد رجعنا بعد أن قمنا بمهمتنا خير قيام » ا.هـ.

وهذه الحادثة ننقل تفاصيلها كما ترى عن مصدر اسبانى، لاننا لم نجد لها ذكرا فى المصادر العربية .

ولا نعرف من هو الشخص الذى كان حاكما بتطوان فى ذلك التاريخ.

من حوادث تطوان عام 974 هـ 1567م

1 ـ انقسام سكان تطوان على أنفسهم، وقيام الفتنة فيما بينهم.

2 ـ السلطان يرسل جيشا لقمع الفتنة فى تطوان.

ذكر المؤرخ الاسبانى مارمول (1) وكان حيا فى ذلك العصر، أن سكان تطوان انقسموا فرقتين ، فكانت كل واحدة منهما تقاتل الاخرى، وأن احدى الفرقتين طردت الاخرى من المدينة ، وانه فى سنة 1567 م (وهى توافق عام 974 ـ 975)دخل قائد المطرودين الى البلد فى غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولاصحابه ، فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لارسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من ألف فارس وألفى راجل ، وأن جند السلطان قصد تطوان وقبض على رئيس الثوار وأرسله سجينا الى فاس ثم طارد انصاره، وأن قائد أولئك الفرسان بقى بالمدينة أما قائد المشاة فقد رجع الى فاس ليبلغ الخبر الى السلطان الخ.

---

1) كتاب وصف افريقيا ج 2 ص 242 ـ 244

هذه حوادث ذكرها المؤرخ الاسبانى المذكور ولم يبين لا أسماء رؤساء الفرقتين المتخاصمتين ولا اسم السلطان الذى بعث الجند لقمع الفتنة ، ولكنه ذكر تاريخ ذلك وهو سنة 1567 م الموافقة لعام 974 – 975 ونحن نعرف ان السلطان الذى كان بالمغرب فى ذلك العهد هو السلطان عبد الله الغالب بن محمد الشيخ السعدى (لانه ولى عام 965 الى عام 981)

وهذا السلطان قد قرأنا فى تاريخه انه وجه لهذه الناحية الجبلية جيشا وصل الى مدينة شفشاون واجلى منها بني راشد، الا ان ذلك كان عام 969 . ولم اقف فى التواريخ العربية على تفصيل الحكاية التى ذكرها المؤرخ مارمول، وانما وقفت على ما ذكره ابن القاضى فى كتابه « لقطة الفرائد » من انه في تاسع محرم الحرام سنة 975 . أخرج الامير ابو محمد عبد الله الشريف الحسني ، القائد حسين من قيادة تيطاون .

فعلى هذا يكون الذى وقع من هذه الحوادث هو ان بعض سكان تطوان وعلى رأسهم القائد حسين قاموا أولا على قائدهم الحاج على الذيب وطردوه فانتقل الى حومة الطالعة وبناها فانضمت اليه جماعة صار هو رئيسها فنشأ عن ذلك ان سكان المدينة انقسموا فرقتين كما قال المؤرخ مارمول ، وتكون الطائفة التى يترأسها القائد الذيب قد انتقمت لصاحبها وتغلبت اولا على القائد حسين وعلى انصاره وعزلته من الحكم وطردته من المدينة وارجعت رئيسها الذيب للحكم ، ويكون حسين هذا الذى وصفه مارمول بانه قائد المطرودين هو الذى ثار ودخل المدينة فى غيبة حاكمها الذى تولى بعده وهو القائد الذيب فقتل حسين من قتل فجاءت قوات السلطان وتغلبت عليه واخذته سجينا الى فاس كما قاله ابن القاضى فى اللقطة (1).

القائد على الوسخ

لم يذكر المؤرخان السكيرج والرهونى اسم القائد حسين الذى تقدم لنا انه هو الذى قاوم القائد الذيب الى ان نقل سجينا الى فاس ، بل اقتصرا على ان الذى تولى حكم تطوان بعد عزل القائد الحاج على الذيب ، هو القائد الوسخ ، وقد ذكر السكيرج ان اسمه على ، وذكر الرهونى ان اسمه محمد ، وذكرا معا انه بقى حاكما الى ان توفى ، وعلى ذلك يكون القائد الوسخ هو

(1) علمت ان الاندلسيين كانوا طوائف ، منهم كرام ، ومنهم دون ذلك وكان اصحاب المنظرى من الخيرة المختارة ، ويظهر ان قوم الذيب كانوا من الاغمار . ت.و.

غير القائد حسين . والذى يظهر والله اعلم ان الوسخ انما هو لقب لهذا القائد ولعل خصومه هم الذين لقبوه بذلك ، ولم نقف على تحقيق اسمه ونسبه كما لم نقف لا على تاريخ توليته ووفاته ، ولا على شىء آخر من حوادث عصره.

القائد محمد الصبان

ذكر شيخنا الرهونى ان القائد محمدا الصبان تولى حكم تطوان بعد القائد الوسخ ولم يذكر تاريخ ولايته ووفاته بالتدقيق ، اما ابو محمد سكيرج فانه لم يذكر هذا القائد فى تاريخه .

القائد محمد بوردان

ذكر ابو محمد سكيرج وشيخنا ابو العباس الرهونى ان القائد محمدا بوردان (I) تولى حكم تطوان فى هذا العهد، اى بعد القائد الوسخ على ما عند سكيرج او بعد الصبان على ما عند الرهونى وانه بقى قائدا بها الى ان توفاه الله . ولم نقف لا على تاريخ ولايته ووفاته ، ولا على شىء من حوادث عهده .

القائد عبد الرحمن العلج

ذكر المؤرخان المذكوران ان الذى تولى بعد القائد محمد بوردان هو القائد عبد الرحمن العلج ، وانه بقى حاكما الى ان توفاه الله ولم نعرف عنه اكثر من ذلك . ويظهر ان هؤلاء الولاة الاربعة هم الذين تولوا حكم تطوان فى الربع الاخير من القرن العاشر والله اعلم

ولا تنس ان تطوان فى هذا العهد كانت عامرة برجال الحرب من الرماة والفرسان ، فلم يكن يتولى الحكم بها الا من كان كفؤا للرئاسة على ابطال المحاربين .

انقاذ المؤرخ ابن القاضى وارجاعه الى تطوان سنة 995

العلامة المشارك المدرس المؤرخ ابو العباس احمد بن محمد ابن القاضى المكناسى الفاسي ، هو مؤلف كتاب «جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام مدينة فاس » وكتاب «درة الحجال ، فى اسماء الرجال » وكتاب « المنتقى المقصور، على مآثر الخليفة ابى العباس المنصور» وغير ذلك من الكتب المفيدة ، وقد نكب باسر النصارى له وتعذيبهم اياه ، فانقذه السلطان ابو العباس احمد المنصور السعدى ، وقد كان ركوبه البحر قبل اسره من ميناء

(I) لا يزال بتطاون اولاد بوردان ت. و.

تطوان كما كانت عودته بعد انقاذه من الاسر الى هذه المدينة ، وقد بين ذلك معاصره مؤرخ الدولة السعدية ابو فارس عبد العزيز الفشتالي في كتابه «مناهل الصفا» لدى كلامه على كرم السلطان المذكور، فانه ذكر ان ابن القاضي المذكور ارتحل الى المشرق وأدى به فريضة الحج ولقى مشيخة العلم ، واخذ عنهم واجازوه ، ورجع للمغرب واتصل بالسلطان المذكور ، ثم بدا له السفر مرة اخرى الى الشرق ثم قال الفشتالي ما نصه :

« ثم ثاب له رأى فى معاودة السفر الي البلاد المشرقية بقصد التطوع بحجة اخرى واستزادة العلم والتحصيل ، وكانت له نية بالغة فى نشر مئاثر امير المومنين ايده الله فى الآفاق فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومئاثرها وامداحها ما امل بثه فى الاقطار ، ونشره فى المشارق لو ساعدته الاقدار ، واستأذن امير المومنين أيده الله فى ذلك فأذن له ووصله وتوخى الطريق على البحر، فركب السفين من ثغر تيطاون فاعترضتهم اساطيل العدو فى بحر الزقاق فاسرتهم وحصل فى ورطة عظيمة لولا ما تداركه من ألطاف الله تعلى وشمله من عنايته على يد امير المومنين ايده الله بعوائد صلاته ومئاثره الفخمة ، التى تجلى الخطوب المدلهمة ، وتفك عن العناة قيود النوائب الملمة ، فطير الى ابوابه العلية كتبه من ارض العدو ضارعا ومتطارحا عليه وناشدا للموات التى لا تخفر ذمامها لديه ، فانبعث لها ايده الله وحفظ له عهودها، ووصل اليه ايضا أخوه العدل الشهير من صنف الحضر بفاس بوفور العقل وكمال الدهاء محمد شقرون ابن القاضى فى جملة من اهل بيتهم بفاس ، واشفق منه وترحم له ووعده بخلاص اخيه وهناه مما اهمه من امره ، وكتب ايده الله فى شأنه الى قائد ثغر تيطاون والى الامين بها على اخماسها ومغانمها التاجر الارضى احمد المفضل يحرضهما على السعاية فى افتدائه وصرف العناية الى استخلاصه بكل وجه يمكن ، وكان الكفرة قد توسموا فيه مخايل الثراوة ، وتنسموا منه رائحة الحسب والاصالة ، فانبعثت مطامعهم اليه ، وشططوا فى الفداء عليه ، وبعث الى اهله فى ولد نصراني معلم ماهر قد نصبه طاغية قشتالة لصناعة أكوار الانفاط وعمل السلاح بحجرة بادس ، فكان له بذلك خطر وبال ، وزعم النصرانى لابن القاضى بافتدائه لولده ، وكان من أسارى الجناب العلى الامامى ومن سبي وادى المخازن ، فتقدم بنو القاضى الى امير المومنين ايده الله فيه ، وكان لديه ايده الله من أهل الفدية والمقاطعة بالاموال الطائلة ، فدفعه اليهم ولم يكن شىء اسهل عليه من بذله لهم على خطره ، فذهبوا به لفاس لينطلقوا به الى تيطاون للموعد الذى ضربوا به مع والده ، فوافق ذلك ما كان من خلاص اخيهم الفقيه السيد الحاج احمد وخروجه من سبتة الى تيطاون بتدبير التاجر الارضى السيد الحاج الفلوسى من اهل

مكناسة الزيتون امنها الله ، كان في بلاد العدو منذ أعوام يخاصم فى مقاطعات بعض الاسارى غدره بها علج ارتد الى دينه الاول ومر فى طريقه الى جبل الفتح بالسيد الحاج ابى العباس احمد ابن القاضى فاحتال وتلطف حتى قاطعه بمال لم يخل عن رفق لمكائد اعتمل فى استخلاصه بها ، فلم يتفطن لها الكفرة الا بعد عبوره الى سبتة فأدركتهم الندامة وطيروا السفن اثره فافلت من حبالها ابن القاضى وحصل في انشوطتها الحاج الفلوسى مستخلصه ، فلم يتخلص منها الا بعد عصب الريق ، وبجاه امير المومنين ايده الله وعنايته واغلاظه على من تحت ايالته من اساقفة الكفرة وقسيسيهم الذين على يدهم مفاداة اسارى المشركين ، فعمل الحاج ابو العباس ابن القاضى وقومه وجوههم الى امير المومنين ايده الله يسألونه الانعام عليهم بما تقاطع به من المال لبقاء الحاج الفلوس رهينة فيه هو وسلعه بسبتة ، فلقاه ايده الله برا واكراما وامر بتلك العدة من المال فدفعت اليه من حينه وشفعها له بصك سوغه به ايده الله ما حصل منه على ربح عظيم اورثه الثروة ، وكان صاحبنا الحاج ابو العباس يزعم ان جملة المال مما بذل له امير المومنين ايده الله فى المقاطعة وما حصل عليه من الربح بسبب ما سوغه وبما طرح عنه من الملازم بعنايته وجاهه ، تناهز عشرين ألفا ، يعدها عدا ويفصلها تفصيلا » ا ه كلام الفشتالى من «مناهل الصفا»

وكان أسر ابن القاضى فى رابع وعشرى شعبان عام 994 . وانقاذه من الاسر في سابع عشر رجب عام 995. فكانت مدة اسره نحو احد عشر شهرا . وقد قال فى كتابه «المنتقى المقصور» ،حكاية عن السلطان ابي العباس المنصور ما نصه :

«وقد اخرج من بلاد الكفرة من الاسارى ما لا يحصى كثرة ، بالاموال الطائلة التى لم يسبق الى بذل مثلها ملك قبله ، وفدانى ابقاه الله تعلى من يد العدو الكافر ، بما يعادل عشرين الف أوقية وقام بمسألتى معهم اتم قيام ، عامله الله باحسن مما عاملنى به ، ولا نعمة تشبه نعمته على ، اذ كنت مع العدو الكافر فى بلاء عظيم من الجوع والبرد والتكليف بما لا يطاق ، والضرب وغير ذلك مما لا يمكن وصفه من عذابهم اذلهم الله تعلى . والآن فها أنا حسنة من حسناته الخ .

ومن جملة ما خاطب به السلطان المذكور قوله وهو فى اسره مستعطفا :

تجلت عن العانى الاسير المكبل	هموم سرت فى الجسم فى كل مفصل
بذكر الامام الهاشمى الذى سما	بسيمة خير الخلق فى كل محفل
امام العلا المنصور فخر أيمة	به قد تحلى كل جيد معطل
به راق وجه الارض وافتر ثغره	وحلي جيد منه بالدر والحلي

امام الهدى بحر الندى قسور الردى ... الى المعتفي والقاجر المتضلل
بحق الذى اولاك ملكا فنجني ... من الهلك يا قصد السبيل المكبل
وكن يا امام العدل فى عون حائر ... اسير كسير ذى جناح مذلل
لقد مزقت ايدى الزمان وريده ... ودارت عليه الدائرات كجلجل
واخنى عليه الدهر من كل وجهة ... وداست عليه النائبات بأرجل

ومما مدحه به بعد انقاذه من الاسر قوله :

فرع النبوة اصل كل كريمة ... ورث السيادة أشرفا عن أشرف
كم أضحك الخيرات وسط يمينه ... وأسال عبرة كل سيف مرهف
بحر المكارم اصلها المنصور من ... نادى به فى المعضلات لقد كفي
ناديته لمصيبتي فكانه ... لشفائها أم الكتاب لمشتفى
أخرجتنى من ضيق اسر نالنى ... ومنحتنى اسماع ءاى المصحف
اذ كنت اسحب للحديد خلاخلا ... وسلاسلا أغلالها لم توصف
لازلت تكشف كرب كل موله ... ما اصحب المحزون باللطف الخفى

وكانت وفاة ابن القاضى بفاس سنة 1025 رحمه الله.

ايقا[illegible] [illegible]دى تطوان باهالى سبتة سنة 997 هـ.

جاء فى الاستقصا ما نصه (1) :

« وفى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة (996 هـ 1588م) في ذى الحجة منها سافر المنصور الى فاس وبينما هو فى الطريق (أى بعد دخول سنة 997) واافته البشرى بالفتك بنصارى سبتة ، وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم احمد بن عيسى النقسيس التطوانى ، كمن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع ، فخرج النصارى باولادهم وحشمهم فحال النقسيس بينهم وبين سبتة ، واوقع بهم ، وكاد يفتحها ، وسر المنصور بهذا الخبر ، وانشده فى ذلك الكاتب ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى بيتين زجر له منهما الفال باستيلائه عليها وهما :

هذه سبتة تزف عروسا ... نحو ناديك فى شباب قشيب
وهى بشرى وانت كفء اللواتى ... كافأت بعلها بفتح قريب

(1) ج 3 ص 57 .

«قلت» ووجدت بخط الشريف العلامة سيدى مفضل افيلال ما نصه :
« وفى يوم الجمعة 22 محرم 997 كانت وقعة عظيمة وغزوة جليلة جسيمة
نصارى سبتة على يد المقدم احمد النقسيس الذى تنسب اليه زنقة المقدم من
تطوان » .
وقال ابن القاضى فى لقطة الفرائد : « في سنة 997 كانت غزوة عظيمة
ظاهر سبتة صدرت من أهل تيطاون »
وقد تعرض الفشتالي في مناهل الصفا لهذه الغزوة ، وفصلها تفصيلا
لم نقف عليه عند غيره ، وهذا نص كلامه :
« ذكر خبر غارة المجاهدين على النصارى أهل سبتة وما أفاء الله عليهم
فيها من السبى والغنائم »
كانت هذه الغارة المباركة ، والغزوة المتداركة ، يوم الجمعة الثانى
والعشرين من المحرم الحرام ، فاتح عام سبعة وتسعين وتسعمائة . وكان من
الخبر فى ذلك ، ان العصابة القائمة بفرض الجهاد من المسلمين بمدينة تطاون
حاولوا انتهاز فرصة فى المشركين اهل سبتة ، فاجتمع زعماؤهم الذين مارسوا
حدائع الحرب على تدبير مكيدة توصل الى استيصال شأفة العدو والاستبلاغ فى
نكايته وتمنحهم رضا الله تعلى ، فانتدب لذلك منهم زعيم الفئة ابو العباس
احمد بن عيسى النقسيس ، وكان احد المقدمين على الرجال من حامية الثغر
وله في الجهاد والغزو معاهد مشهورة ، ومشاهد مذكورة ، وتقدم فى جماعة
من اصحابه الذين عركتهم مشاهد الحروب مع المشركين الى فحص سبتة ،
وكان اعرف الناس بمكامنه ، واخبرهم بمسالكه واماكنه ، لطول ممارسته ،
فتنكب عن المكامن التى يعتاد المشركون انبعاث خيل المسلمين منها وطلوع
طلائعهم من جهاتها ، وعدل الى جهة مأمنهم من جانب الشمال ، وكان المكان
لا يطرقه انسان من كثرة العشب والشجر وكثرة محاماته لاقترابه من العدو
فعكف هو واصحابه على تسوية الطريق وتمهيده ليجوز المسلمون من تلك
الناحية ، بقطع الشجر وتنقية الصخر ورضه بالفؤوس الكهام حتى تأتى لخيل
المسلمين المجاز منها ، وبعث فى اليوم السادس من مقامهم الى قائد الثغر (يعنى
تطوان) يستحثه على المسارعة والوصول اليه فى حامية الخيل والرجال ،
فتلقاهم وقص بهم الطريق الى الجهة التى سواها وارتادها لشن الغارة منها ،
وكان المشركون قد أنسوا راحة من خيل المسلمين فى تلك المدة ، لانكماشهم
عن معاورتهم واعراء مكانهم عن الوصد مكرا بالمشركين وخديعة ، حتى أمنوا
واطمأنوا وظنوا بالمسلمين الفشل والملل ، فاجمعوا امرهم على البروز من
سبتة بسائر سوادهم رجالا ونساء وولدانا برسم النزهة والراحة والتقلب فى
الفحص، وسرحوا مع الصباح عيونهم الى مكامن المسلمين المعروفة عندهم

ليستكشفوا خبرها ويأخذوا لانفسهم بالاحتياط من جهاتها على المعهود من امرهم فى ذلك ، فلم يتراء لهم شخص بالفحص ، ولا انسوا للمسلمين به حركة وكانوا لهم بالمرصاد من جهة مآمنهم من الشمال وهم لا يشعرون ، ولما ايقنوا بالبراءة من الفحص ووثقوا بالعافية من جهة المكامن التى يعتادون انطلاق الغارات منها ، أذنوا لاخوانهم المشركين بالبروز من سبتة فانتشر سوادهم بساحاتها رجالا ونساء وولدانا ، وماج فيها سرحهم ، واقبل كل على ما بدا له آمنين مطمئنين فاستبشر المسلمون بالفتح ، فقرعوا الطبول ، ونادوا بشعار النصر فلم يرع المشركين الا طلوع خيل المسلمين عليهم من حيث لا يحتسبون، فانطلقت عليهم مغاورة المسلمين عنانا واحدا فحالت بينهم وبين سبتة . وتدافعت الساقة تحت الالوية اثرهم، فمنحهم الله الظفر ، واستولوا على سائر سواد المشركين ما بين الاسر والقتل ، واكتسحوا سرحهم وكادوا ان يستولوا على سبتة بما اتيح لهم من الظهور باستيصال عامة اهلها وانتهاز الفرصة فى حاميتها ، ولكن الله أملى لها حتى ينجز فيها وعده الكريم، ونظم المسلمون من تخطاه الاجل من المشركين فى السلاسل والحبال ، وحملوا رؤوس القتلى على عجلات اكتسحوها مع السرح للنصارى ، وقفل المسلمون اعزاء ظاهرين فرحين مستبشرين ، واستاقوا السبي بين ايديهم الى تطاون ، فبرز الناس لمشاهدته ، فكان يوما مشهودا عندهم ، وكتبوا بالفتح الى السلطان مولاى احمد ايده الله فوافاه الرسول بالكتب بمخيمه من ساحة قلعة الكرار وذلك ان السلطان ايده الله لما طال مكثه بحضرة مراكش امنها الله ، وغاب بها عن فاس صانها الله نحوا من سبعة أعوام قبل تاريخه، وأراد القدوم عليها ، ضرب عسكره بباب أغمات ، وخرج اليه يوم الخميس موفى عشرين من ذى الحجة عام ستة وتسعين ، فاقام هنالك نصف شهر او نحوه فارتحل منه الى وادى السد وتثاقل فى الطريق اياما ونزل بساحة قلعة الكرار اياما فوافته البشارة بما فتح على المسلمين من المشركين اهل سبتة ، وكتب لقائد الثغر بالتقائه بالسبي لفاس ، وارتحل ايده الله لتادلا ، ومنها لمكناسة الزيتون امنها الله ، ومنها لفاس صانها الله ، مع احوال واشغال ثم وصل قائد الثغر والمقدمون على الغزاة بسبي سبتة ، وشقوا به فاسا على التعبئة والالوية وبرز العذارى والمخدرات لمشاهدة ذلك من وراء حجابها فكان يوما مشهودا عند اهل فاس ، وعرض السبي على السلطان ايده الله وسلم عليه اهل الثغر وفرح بهم السلطان غاية الفرح ودعا لهم باحسن الادعية ، وحرضهم وكافأهم ووصاهم فكان من الايام التى اعز الله تعلى فيها الاسلام ، واذل فيه عبدة الاصنام ، وفى ذلك قال صاحبنا وبلدينا ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى اصلحه الله بيتين وهما :

هـذه سبتـة تـزف عـروسـا   نحو ناديـك فى شبـاب وشيـب
وهى بشرى وانت كفء اللواتـي   كلفـت بعدهـا بفتـح قريـب

زجر له منهما الفال بانه يستولى على سبتة وينقاد لـه مـا وراءها من الثغور ويكمل بذلك الفرح والسرور » اهـ كلام الفشتالى .

ثـم ان الـذى يظـهـر ـ والله اعـلـم ـ ان سـكـان تـطـوان ونواحيهـا نظـرا لبعدهـم عـن مـركـز الحكـم والسلطـة فـى الدولة المغربية وانقطاعهم للكفاح والرباط فى الناحية الشمالية للبـلاد ، لم يفكروا فى الانغماس فى الاختلافات الداخلية التي كانت بين العائلات والاحزاب المتخاصمة علي الحكم من الوطاسيين والسعديين واكتفوا بقيامهم بواجب الجهاد ومحاربة أعدائهم الالداء الذين اخرجوهم من ارضهـم وديارهـم وطردوهم مـن رياضهم وفردوسهم ، وحرموهم من خيراتهم ونعيمهـم ، فكانـوا يناوشونهم ويضايقونهم برا وبحرا ويرابطون فى الحدود الشمالية حتى لا تتكرر بالمغرب مأساة الاندلس مرة اخرى والهجوم قد يكون من وسائل الدفاع كما يقولون.

هذا ما وقفت عليه من اخبار ولاة تطوان وحوادثها فى القرن العاشر ، وهو كما ترى ضئيل جدا ، وذلك لقلة المصادر وطول العهد واضمحلال جـل بل كل وثائق تطوان ومستنداتها التاريخية فى ذلك القرن والامر لله.

الفصل الثانـــى

مـن البـاب الثالـث

قضــاة تطـوان وعدولهـا فى القـرن العاشر

حـول الحكـام وأنظمـة الحكم فى مـدن المغـرب

كانت العادة فى عدد من مدن المغرب ـ ومنها تطوان ـ أن سلطة الحكم فيها موزعة بين ثلاثة حكام هم :

الباشا ، أو القائد

القـاضـــى

المحتسـب

يضاف اليهم لمباشرة بعض الاعمال الرسمية الحكومية، موظفون اداريون آخرون لم تكن لهم سلطة الحكم ، مثل الامين ، والناظـر ، وابـى المواريـث ، ووكيل الغياب الخ .

أما الباشا أو القائد ـ وكان لكل مدينة باشا أو قائد ، وعامـة النـــاس يقولون، القايد ، ويجمعونه على قياد ـ فهو الحاكم الذى يحكم فى القضايا المدنية فى الخصومات العادية ، وفى الاعتداءات البسيطة ، وغير ذلك من الامور التى لا ينظر فيها القضاة والمحتسبون واذا عرضت له حوادث مهمة أو جنايات كبرى فانه يرفعها او يرجع فى أمرها، أما للسلطان نفسه واما لوزيره أو لمن يقوم مقامهما فى مركز الدولة والنظر فى شؤونها .

وكان الحكام يستندون فيما يصدرونه من احكام ، على الاعراف والعادات التقاليد التى لا تنافى اصول الاسلام والاحكام الشرعية .

ولم تكن ـ فيما عرفنا ـ لدى اولئك الحكام ، قوانين رسمية عامة مدونة يرجعون اليها ويحكمون بمقتضاها ويقفون عندها ، وان كان هناك شيء من ذلك فهو نادر ومحدود ، فلذلك كان الحكام ينظرون ويجتهدون ويحكمون حسبما يظهر لهم ، فكانت احكامهم تختلف باختلاف شخصية الحاكم وعلمه ونباهته ونزاهته او ضد ذلك .

وهذا النوع من الحكم هو الذى كان شائعا فى مختلف العصور الماضية حتى في عهد كثير من الدول الراقية فى الامم المتحضرة ، وهو نظام له حسناته وله سيئاته ، وجل اهل عصرنا يرون ان سيئاته اكثر من حسناته، اما وجهة نظر اصحاب هذا النظام والمبررين له او المؤيدين له والمفضلين له على غيره ، فهى انه ينظر في القضايا والمشاكل بمجرد حدوثها ورفعها للحاكم ، فلا يتوقف البت فيها الا على اجراءات محلية لا تتعدى في الغالب سماع الحجج او كلام الشهود ان كانت القضية تستدعى ذلك ، والا وقع الحكم والتنفيذ فى آن واحد دون تحمل اتعاب ومصاريف ، ولا اتخاذ اجراءات طويلة وتأجيلات عريضة يضيع معها من الوقت والجهود والاموال والمصالح الشىء الكثير ، بل ان الحقائق والعدالة والحقوق قد تضيع مع تلك الاجراءات التى كثيرا ما تدعو للحبس الاحتياطى لمدة طويلة ثم يكشف الحال ان الاشخاص المحبوسين كانوا مظلومين او انهم كانوا ضحية خطأ او انتقام الخ.

وكان اهل العلم والمعرفة من اصحاب هذا الرأى يرون ان الشرط الاساسى لصلاح هذا النوع من الحكم، هو عدم اسناده الا لاهل العلم والمعرفة والنزاهة التامة ـ والامة لا تفقد ابدا من تتوفر فيه هذه الصفات ـ والا كان الظلم والعدوان وتضييع الحقوق ، وخصوصا حقوق الضعفاء والمساكين.

ولا يخفى ان هذا النوع من الحكم ، كان اصحاب الاستبداد وانصاره يجدون فيه بغيتهم سواء كانوا من اهل العدل والانصاف ، او من اهل الظلم والطغيان ، واذا استثنينا بعض الاقطار الواقعة تحت السيطرة الاستبدادية الفردية او الجماعية فان هذا النظام بالرغم من كل ما قيل فيه وما برر به، لم يبق له الآن وجود الا لدى الامم المتأخرة ، والشعوب التى تفضل الفوضى على النظام، او الدول الضعيفة التى تعجز عن التنظيم وحماية القوانين ، فالشعوب المتحضرة الراقية المجارية لانظمة الحكم العصرى كلها نظمت محاكمها وحددت قوانينها وصانت الحقوق العامة والخاصة لافرادها وهيآتها ، واصبح كل فرد منها يعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات ، ويعلم انه اذا لم يخالف القوانين المشروعة ولم يعتد على احد ، فانه لا سبيل عليه ، لا للافراد ولا للجماعات ، بل ولا حتى للحكومة نفسها ، لان القانون العام يحميه من كل اعتداء .

والرأى والله اعلم ، أنه ينبغى أن يكون فى البلاد نوعان من المحاكم ، الاول محاكم لها قوانين مدونة محكمة جامعة للاحكام التى لا تنافى الشريعة المطهرة السمحاء ، ولها من الانظمة والاجراءات المناسبة للنهضة الحديثة ما يصون الحقوق لجميع الطبقات ، وينصف المظلومين من الظالمين ، كما هو الشأن فى جميع انحاء العالم المتحضر .

الثانى محاكم اولية تنظر فى القضايا البسيطة المستعجلة ، وتبت فيها دون احتياج للاجراءات المطولة المضيعة للوقت والمال بغير حق ، وبذلك يوخذ احسن ما فى النظامين .

ومن الغريب ان ذلك النوع القديم من الحكم الذى كان مستعملا فى العصور الوسطى ، هو الذى ما زال العمل به جاريا فى جل الجهات من وطننا المغربي العزيز ، والله اعلم بالاسباب الداعية لذلك (I)

واما القاضى فهو الذى يحكم فى القضايا الشرعية ، فينظر في المسائل الشخصية من نكاح وطلاق ونحوهما وفى البيوعات وسائر العقود والالتزامات وجميع المعاملات المالية وغير ذلك من ابواب الفقه على مقتضى الشريعة الاسلامية ، وعلى مذهب الامام مالك بالخصوص وكان الشأن فى القاضى ان لا يكون الا من العلماء الذين درسوا العلوم الاسلامية والفقه المالكى دراسة واسعة ، واشتغلوا بمسائل القضاء والفتوى ومارسوا خطة العدالة الخ.

ولقب القاضى لم يكن يوصف به الا القاضى الشرعي لانه لم يكن هناك قاض سواه .

وأما المحتسب فهو الذى كان ينظر فى الاسواق واسعارها ومسائل اصحابها وما يتعلق بذلك من المصالح البلدية ، وينظر فى الحرف والصنائع واصحابها ومنتوجاتهم ، ويحكم فى القضايا التى ترفع اليه من هذا القبيل .

أما الحكام والسياسيون بتطوان فى هذا القرن – أعنى القرن العاشر للهجرة وهم الولاة والمدنيون ، فقد أثبتنا فيما تقدم – ما عرفنا من أسمائهم واخبارهم ، واما محتسبوها فيه فلم نقف على اى شىء يتعلق بهم ، واما القضاة أى الحكام الشرعيون ، فاننا سنذكر فى هذا الفصل ما عثرنا عليه من اخبارهم وان كان الذى وصلنا من ذلك قليلا جدا . فقاضيان اثنان فقط هما اللذان استطعت ان اعرف اسميهما من بين اسماء القضاة الذين تولوا الحكم بتطوان فى القرن العاشر ، وهما القاضى محمد الرزيني والقاضي محمد الكراسي .

I) ترك هذا الفصل – ومنه هذه الفقرات – كما كتب فى عهد الحمايتين ، الفرنسية والاسبانية بالمغرب ، وهو يصور الحالة كما كانت فى تلك العهد .

اما غيرهما من القضاة ، وقطعا كان بتطوان قضاة غيرهما فى هذا القرن ـ فلم نعرف حتى اسماءهم فضلا عن اخبارهم ، وذلك لطول العهد واضمحلال رسوم ذلك التاريخ.

وكذلك اسماء عدول هذا القرن فانى لم اقف على شىء منها كما اني بحثت كثيرا عما عسى ان يوجد من وثائق ورسوم شرعيـة كتبت بتطوان فى هذا القرن لاثبتها هنا كنماذج ، فلم اعثر على شىء من ذلك ايضاً .

القاضى محمد الرزيني 934 هـ

القاضى ابو عبد الله محمد الرزينى «نسبة الى «بنى رزين»(1)هو اقدم من عثرت على اسمه من بين قضاة تطوان. وقد ذكره ابن القـاضى فى كتابه «درة الحجال» ونص كلامه (2) «محمد الرزينى ـ ابو عبد الله القاضى بتطوان. كان فقيها نوازليا ـ توفى بعد 930 »

وفى لقطة الفرائد (3) لابن القاضي المذكور ، انه : « فى سنة 934 توفى القاضي بتطاون محمد الرزيني الاندلسى »

القاضـى محمد الكراسـي 964

كان الفقيه القاضى ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الكراسي قاضيا بتطوان فى النصف الثانى من القرن العاشر ، وقد ترجم لـه معاصره ابـن عسكر فى كتابه «دوحة الناشر» (4) وذكر انه تولى القضاء بتطوان وبقى على خطته الي ان توفي في حدود سنة 964 . وقد ذكره باسم (ابى عبد الله محمد) ووجدت فى تقييد قديم ان اسمه ابو القاسم الكراسى البكرى البقيوى ، وباسم

---

1) بنى رزين فى عهدنا هذا ، اسم لاحدى قبائل غمارة الجبلية الواقعة فى الجنوب الشرقي لتطوان . وتبعد عنها بنحو مائة واربعين كيلومترا وقد كانت لبنى رزين فى بلاد الاندلس مكانة وشهرة وحكم والدوام لله

2) درة الحجال ، الجزء الاول ص 227 . فى الترجمة التى رقمها 615 من طبعة الرباط سنة 1934 .

3) لقطة الفرائد ، مخطوط مختصر وقفت عليه فى الخزانة الاحمدية بفاس لدى صديقنا الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام ابن سودة حفظه الله.

4) دوحة الناشر ص 17 طبع فاس عام 1309 م

ابى القاسم ذكر ايضا فى رسوم كتبت بتطوان ، وقد اثبتها الزياتى فى نوازل الحجر من نوازله المسماة «الجواهر المختارة» (I) .

ومن المعلوم ان من اسمه محمد يكنى بابى عبد الله وبأبى القاسم، فيظهر ان القاضي الكراسي كان يعرف بكنيته ويدعي بها اكثر من اسمه الذى هو محمد . وان شئت فانظر ترجمة هذا القاضى واوصافه ومنظومة تاريخية له فى فصل التراجم من هذا الباب ، وهو الفصل الثالث الموالى لهذا الفصل .

I) هو مجلد كبير مخطوط توجد منه نسخة جيدة فى خزائتنا الداودية بتطوان .

الفصل الثالث

من الباب الثالث

من رجال تطوان فى القرن العاشر

علمت ان جل السكان الاولين لتطوان الحديثة ، كانوا من مهاجرى الاندلس مع من انضم اليهم من اهل فاس والريف ومن القبائل المجاورة ، ومن الطبيعى ان يكون من بين اولئك السكان رجال من اهل الفضل وذوى الخصوصية ، وما ظنك برجال ونساء تركوا ديارهم واموالهم واصحابهم وهاجروا من وطنهم ليحافظوا على دينهم ويعيشوا فى ظل الحكم الاسلامى النزيه الذى يحافظ علي حقوق جميع المواطنين من أى ملة كانوا ، ويضمن الحرية التامه لسائر الاديان والمتدينين . الا ان الاشخاص الذين لا تكتب تراجمهم ولا تسجل اخبارهم فى عصرهم او فيما قاربه ، يضيع تاريخهم مع الايام، والكلمة التى قالها العلامة ابو حامد الفاسى (1) فى اول كتابه «مرآة المحاسن» هي كلمة فيها كثير من الحق والصواب فى كثير من الاحيان ، وهي قوله : (2)

«ووسموا المغاربة بالاهمال ، ودفنهم فضلاءهم فى قبر تراب واخمال ، فكم فيهم من فاضل نبيه ، طوى ذكره عدم التنبيه ، فصار اسمه مهجورا ، كان لم يكن شيئا مذكورا الخ . ورجال تطوان فى القرن العاشر قد ضاعت

---

1) سيدى العربى ابن الشيخ يوسف الفاسى هذا توفى بتطوان سنة 1052 .

2) مرآة المحاسن ص 4 من طبعة فاس عام 1324.

اخبار جلهم (1) وقد بحثت فيما وقفت عليه من الكتب والتقاييد فلم اعثر الا على النزر اليسير من اسمائهم واخبارهم وسأثبت هنا ما عثرت عليه من ذلك

الشيخ علي الفحل 964

كان الشيخ علي الفحل من صلحاء تطوان ، وهو مدفون فى اعلى مقابرها وقد ترجم له معاصره القاضى ابن عسكر فى دوحة الناشر بقوله (2) .

«ومنهم الشيخ ابو الحسن على المعروف بالفحل ، كان هذا من الذين اذا رؤوا ذكروا الله تعلى مستغرقا فى بحر الشهود غائبا فى مذهب الحي الذى لا يرى في الوجود الا الله تعلى وما عليه من احد ، ولسانه لا يزال رطبا بذكر الله تعلى ، وله سمة حسنة ونور يتلألأ فى وجهه ، له احوال سنية على طريق اهل الجذب ينطق بالمغيبات من غير اختيار منه فتكون على وفق ما ذكر . وكان اكثر مأواه بين قبور الموتى . كنت اذا لقيته قبلت يده فيقول الله الله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ، ثم ينصرف . توفى رحمه الله فى الطاعون الذى كان سنة اربعة وستين (يعني 964) بمدينة تطوان وقبره خارج الربط معروف » .

«قلت» لا يزال قبر هذا الشيخ معروفا بتطوان خارج باب المقابر فوق قبر الشيخ ابى الحسن المنظرى والعامة يقولون له «سيدى على الفحل» وقد بنى عليه بيت فى صورة مسجد يقصده الناس للصلاة به وللزيارة والتبرك به حتى الآن. و«الفحل» هو لقب عائلة كانت معروفة بتطوان .

الفقيه القاضى محمد الكراسى 964

الفقيه القاضى أبو القاسم او أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسى، ترجم له معاصره القاضى ابن عسكر فى كتابه دوحة الناشر بقوله (3) :

«ومنهم القاضى ابو عبد الله محمد الكراسي الاندلسي . كان اديبا شاعرا تولى خطة القضاء بمدينة تطوان وبقى على خطته الى ان مات فى حدود اربعة

---

1) لكل امة رجال افذاذ لهم اثر بالغ فى سير الحياة العامة لتلك الامة ، وقد كان الفرسان والملوك الاوربيون فى العصور الوسطى يتخذون موظفين لا شغل لهم الا تسجيل مناقبهم ، وفى الفشاتلة واكنسوس مثلا وابن زيدان اثارة من هذه الفكرة الجميلة ، اما الشعب فيجب ان يكتب تاريخه ابناء الشعب للشعب . ت. و.

2) دوحة الناشر ص 33 من طبعة فاس عام 1309

3) دوحة الناشر ص 17 طبعة فاس سنة 1309

وستين وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بجبانة باب الربض (1) من مدينة تطوان ولقي مشايخ غرناطة في صغره منهم المواق وابن الجقوالة (2) وغيرهما واخذ عن ابى الحسن البياضى واجازه فى كتابى السنن والتاج والاكليل ، لابى عبد الله المواق (3) وكان المواق اجاز البياضى فيهما . واجازنى فيهما القاضي المذكور ، ولقى ايضا مشايخ فاس، الونشريشى (4) وابن غازى (5) وابن الزقاق (6) وابن هرون (7) وغيرهم ، ولقي الشيخ العارف بالله ابا العباس احمد زروق (8) وحدثنى قال، لما اقبل سيدى احمد زروق من المشرق وقدم على فاس خرج الفقهاء الى لقائه وخرجت انا معهم فلما سلمت عليه وجلسنا اخذ يسأل الفقهاء عن اسباب معاشهم فقالوا اكثرها من الاوقاف المحبسة على قبور الموتى فقال الشيخ ، الله اكبر حيث جعلكم تقتنصون من الموتى قال فسكتوا ثم قال له ابن الدقون الحمد لله الذى جعلنا نقتنص من الموتى مع ان الميتة سوغها الشارع عند الضرورة ولا جعلنا نقتنص من الاحياء الذين لا سبيل اليهم بوجه ولا بحال ، فصاح الشيخ وسقط مغشيا عليه ، قال فخرجنا عنه وتركناه كذلك »

وقال ابو زيد ابن عبد القادر الفاسى فى كتابه استنزال السكينة لتحديث اهل المدينة (9) ما نصه :

«الحديث التاسع عشر ، مسلسل أوله بالاندلسيين ايضا . حدثنا به اجازة فخر المجالس عن والده اعلاما عن قاضى تطوان الفقيه ابى عبد الله الكراسي الغرناطى عن ابي عبد الله المواق عن المنتورى عن ابي بكر بن جزى

---

1) باب الربض هو الباب المعروف اليوم بباب المقابر

2) فى نسخة الجغدالة

3) المواق هو صاحب الشرح المشهور لمختصر الشيخ خليل . وقد توفى سنة 897 اى فى نفس السنة التى احتل الافرنج فيها بلده غرناطة .

4) هو أبو العباس احمد بن يحيى الونشريشى مؤلف كتاب المعيار المتوفى بفاس عام 914

5) هو الشيخ العلامة محمد بن احمد ابن غازى المكناسى المتوفى بفاس عام 919 ه .

6) هو الشيخ علي بن قاسم الزقاق المتوفى بفاس عام 912

7) هو الشيخ علي بن موسى بن هرون المتوفى بفاس سنة 951

8) هو الشيخ الكبير ابو العباس احمد بن احمد زروق الملقب بمحتسب الصوفية المولود بفاس عام 846 والمتوفى بارض طرابلس عام 899

9) هذا الكتاب مخطوط وقفت على نسخة منه فى الخزانة التطوانية اوله ، حمدا وشكرا لمن أخرج من ارض النبوة شجرة الاسناد ، مفترة عن افنانها عن ثمار الفنون رزقا للعباد الخ .

عن ابيه عن ابى جعفر ابن الزبير عن ابى الحسن الغافقى عن ابى العباس بن العريف عن ابى علي الصدفى عن الباجى عن ابي بكر بن ثابت الخطيب الحافظ انبأنا القاضي ابو محمد الحسن بن الحسن بن رامين الاسطر اباذى ، حدثنا ابو احمد عبد الله بن على الجرجانى الحافظ انبأنا ابو قصى اسماعيل بن محمد السلمى عن على بن مسلم البكرى عن ابى صالح الاشعرى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاحدين »

وقد وجدت فى مخطوط قديم ان الفقيه الكراسى الذى تولى القضاء بتطوان هو ابو القاسم الكراسى البكرى البقيوى نسبة الى بقيوة احدى قبائل الريف ، وانه كان احد الريفيين الاربعمائة الذين وفدوا على تطوان وسكنوا بها عقب بنائها الاندلسى الاخير ، وارى انه لا منافاة بين وصف الكراسى بالاندلسى كما في الدوحة ، وبالبقيوى كما فى المخطوط المذكور ، فمن المحتمل ان اصله من الاندلس وانه انتقل منها الى الريف عند استيلاء الافرنج على غرناطة ، وقد كان عمر الكراسى عند ذلك الاستيلاء سبعة وعشرين عاما ، كما ان من المحتمل ان اصله من الريف وانه ينسب للاندلس لانه درس بها واقام بها مدة طويلة والله اعلم . وقد رايت فى كلام الدوحة انه دفن بمقبرة باب المقابر ، ومحل قبره ما زال معروفا الى الآن بمقابر تطوان وهو واقع جنب ضريح سيدى على الفحل وكانت فوقه قبة كبيرة تهدم جلها ولم تبق منها الآن الا قطعة من جدار .

منظومة لقاضى تطوان فى تاريخ الوطاسيين

وجاء فى كتاب «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» لصديقنا الفقيه المؤرخ ابى محمد عبد السلام ابن سودة ما نصه (1)

«1565. عروسة المسائل ، فيما لبنى وطاس من الوسائل ، رجز فى تاريخ الدولة الوطاسية من دول المغرب لناظمه ابى عبد الله محمد الكراسى كما سمى نفسه في آخر النظم. فرغ منه فى ذى الحجة متم سنة 950 خمسين وتسعمائة موافق سنة 1543 (2) استهله بقوله :

---

1) ص 470 طبع تطوان سنة 1369

2) بل ان شهر ذى الحجة من عام 950 يوافق شهرى فبراير ومارس من سنة 1544 م

الحمـــد لله العزيـز القـــادر عـالـــم كـــل وارد وصــــادر

[تقـ]ـع فى نحو الثلاثمائة من الابيات ، يوجد بالخزانة الفاسيـه ضمـن مجمـوع»
«قلت» لقد أوقفنى على هذه المنظومة صديقنا العلامة سيـدى العابـد
[الـ]ـفاسى اثناء زيارتى لفاس فى ربيع النبوى عام 1370. موافق دجنبر سنة 1950
[الا] ان النسخة التى وقفت عليها فيها بتر كبير ومحو فى كثير مـن الابيـات
[بسـ]ـبب قدم النسخة وتأثرها بالرطوبـة، وقد اخـذت منهـا نسخـة أرى مـن
[المنـ]ـاسب اثباتها هنا بنصها على ما فيها من بتر كأثر تاريخى لا ينبغى تركه
[معـ]ـرضا للضياع ونصها : (1)

الحمـد لله العزيـــز القـــادر عـالـــم كـــل وارد وصـــادر
نحمـده سبحانـــه ونشكـره ونستعينه علـى مـا نـذكـره
من بعد تكميل الصلاة والسلام على نبى الله مصبـاح الانـــام
وءالـه وصحبـــه والتابعيـــن وتابعيهم من خـيـار المومنيـن
وبعـد فاعلم يـا أخـى فاننـى قصدت نظمـا تابعـا للسنـن
يبقى به الذكـر لمـن قد يأتى ويعـرف الامـر على ثبـــات
تبعت فيـه السيـد الملـزوزى فـى ذكـر كـل ملـك معـزوز
وابن الخطيب ذاكرا رقم الحلل فى الخلفـاء والملـوك فى الملـل
وانـنـى لمـــا رايـت سـادة تقدمـوا مـن الملـوك قـــادة
من خلفـاء مـن خيـار الناس من ءال وطاس الشداد الباس
اردت نظمهـم عـلـى سلــوك من جـاز قبلهـم مـن الملـوك
لان تـرى اخبـــارهم عيانـــا ولمحاســـن اتــت بيـانـــا
فـى رجـز مقـرب مهـــذب فى ملك وطاس بارض المغرب

ذكـر دولة الاول منهـم وهو ابـو عبد الله
محمد الشيخ بن أبى زكـرى رحمـه الله.

اولهـم مـن حـازه مبـايعـــة محمـد الشيخ بـلا منـازعـة
ابن ابى زكرى الجليل الماجد وزيـر دار الملـك ذى المحامـد
وهـو الامام الفاضـل المعظـم شيخ بنـى وطـاس المفخـم
قـام بامـر الله عـن مشـورة على اتفاق مـن ذوى المشـورة
فعـاش فى عـز رفيـع عـال ودولـة سعيـــدة تـوالـــى
والغرب كان خاليا من الرجال ومن اليـه نظـر فى كـل حال

(1) هذه القصيدة لها قيمة تاريخية عظيمة ، لان المصادر عن الوطاسيين
[نادر]ة الوجود . ت. و.

والشرفاء قبل كانوا فيه ما ان لهم فى الفحص من وجيه
وكانت الشاوية الاعراب لاينج من شخص(I) بها الاسراب
كان لهم فى السكك المدارة لمن يريد الوقد او انفاره
حتى اتى شيخ العلى الوطاسي لاذو بفحص غيران النحاس
ونال منهم اكمل المقاصد فى يوم صدينا المليك الوارد
ابادهم بالضرب والطعان ذاقوا به كأس الهوان الفانى
وصار باقيهم الى تامسنا كالنمل فى العشاء اذ يلمسنا
يراقبوه فى البكور والمسا فيه ابا والهرب من دون كسا

ذكر مجيء النصارى الى عمارة جزيرة مليحة.

وجاءت الروم الى الجزيرة بكل اسطول وكل ميرة
ودخلوا فى وادى (2) ءال كوس ذاقوا به الهوان بالنكوس
هناك اذ ذاك اقاموا بلدا واسكنوا فيه الطغاة والعدا
جيش اهل الغرب طرا ودنا وكان للغرب نصيرا ما ونا
جاهد بالمال وبالنفوس قطع قصد الكافر البئيس
ولم يزل مع المجاهدينا من فاس والانجاد اجمعينا
لحقهم قبل تمام العمل وقد أداروا سور لوح معمل
وجيشوا فيه بستين مائة من صانع وقائد من الفئة
نازلهم على شفير الوادى ورد فى شماله الاعادى

وكان من ذا الرائس الحبيب رأى سديد ردهم جليب
ان قطع الوادى بجعل سلل من قصب وبالصخور تمتلى
انزلها بعمل التثبيت وقطع الوادى بلا تلبيت
وامتنع الطلوع بالاجفان فايقنوا بالهون والخسران
عمل فى ذاك اشد العمل وفوق موجه الصخور تحمل
حتى اذا بلغ قصدا وعلا ابطل للكافر ما قد املا
طاعت له وذلت العلوج ويئست من تحتها الخروج

I) فى نسخة : من اشخاصها.

2) ءال كوس اسم للنهر الذى يصب على مقربة من العرائش. ويظهر ان اسمه هذا آت من مدينة «ليكسوس» المسماة عندنا بالشميس وهى انقاض مدينة فنيقية كانت قديمة قريبا من مصب النهر الذى سمى باسمها . ومعنى «ليكسوس» باللغة الفنيقية «الذئب» ولم يجد العرب صعوبة فى تحويل ليكسوس الى ءال كوس، ثم الى «لكوس». ت. و.

ثم فدوا نفوسهم بكــل مــا — طلــب اعطـوه لــه متممــا
من بعد ما دام الحصار شهـرا — والنـاس تبـاع لـذاك قهـرا
وكـان للسلطـان ضـد خالفـه — شاويـة وغيرهـا فحالـفـه
فخـاف ان ابطـأ شهر آخــر — عواقبـا لا مثلهـا يؤخـر
غلـب اذ بلـغ قصـدا واعتـلا — واجفـل الكافر عنـه وانجـلا
وغلـب الاسـلام بعـد الترح — وكـان ذاك باكتمـال الفـرح
عقـد صلحـا بعـد ذاك معهـم — عشرين بعـد خمسـة سنينهـم
حتى ربـا المكسـب والتـلاد — وازدانـت العبـاد والبـلاد
عزم نجلـه الوزيـر (1) يحيى — على فساد الصلح طول المحيـا
مع الشريـف الا سعد الجلـى — علـي ابـن راشـد السـني
اخلى جميع ما النصارى عمروا — وجهـة الهبـط فكـلا دمـروا
وعـاد للاسـلام كـل مسلـم — وصار جيش الكفر غيـر مسلم

ذكر حركة السلطـان ابى عبد الله محمد
الشيـخ بـن أبى زكـرى الى شفشـاون

وثـار فـى شفشـاون وصالا — ذاك الشريف العـادم المثـالا
دعـا لنفسـه وجـاءه الطمـع — ان يدخل الحضرة من حيث طلع
على بـلاد مغـرب سلطانـا — خـاف وخـاب رأيـه مـاكـانا
تحـركـت لـداره الجنـود — فـاس ومكنـاس لهـم بنـود
دخل فاسا تحـت حكم الطاعـة — اذ عيبـت افعالـه الجماعـة
حتى الى سبتة كرهـا قدمـا — ولده يحيـى الوزيـر المكرمـا
وبقـى السلطـان فـى محلتـه — ورحـل الوزيـر فـى حميتـه
نزل فى شفشاون تحت الديار — وظهـر الغلب باخراب القرار
فر وخـلـى داره ومـرفقـه — واحرق الدار فصـارت محرقـة
فانحصر ابن راشد فى الجبل — بالانقطـاع وتـمـام الحيـل
فطلـع السـادات للشريـف — لاموه عمـا كـان مـن تحريف
دخل فى الطاعـة والجماعـة — وتبعـت شفشـاون بالطاعـة
واقلـع الوزيـر عنـه النـزلا — ومر راحلا ووفى العمـلا (2)
وبلـغ السلطـان فـى محلتـه — ساق ابنه رهنـا . . . رحلتـه
ومعـه علامـه المعـروف لـه — عاهـده مـن عـنـده لا بـد له

---

1) فى نسخة عزم نجله الامير
2) كانت الحياة السياسية بالمغرب جحيما لا يطاق ولا سبيل الى الحياد، فاما مع قائم واما مع ءاخر ولعل فى هذه الحادثة ما يفسر المصاهـرة التى تمت بين الشرفاء الراشديين والوطاسيين . ت.و.

ودخلوا الى ديار فاس　　فى ظل امن الملك الوطاسى
وجاء بعد ذلك ابن راشد　　لدار مولانا الكبير الماجد
قابله بالصفح والاغضاء　　عما جناه فى الخلاف . . .
اجرى عليه الرزق والانعاما　　وما يخص داره دواما
وبعد ذاك يوم ميز العيد　　جا طبله بعلم ج . . . .
وعادت البلاد كيف كانت　　كانها من يده ما بانت
وبقيت بينهما المحبة　　حتى قضى الشريف فيها نحبه
وكان ذا اوائل المحرم　　من بعد تسعمائة . . . . .
هذي عوائد الكرام السادة　　من ءال . . . .

ذكر حركته رحمه الله الى دبدو

وثار فى دبدو بذاك الحين　　محمد بن احمد المرينى
دعا لنفسه وعاث فى البلاد　　ورام بعد الصلح امرا بفساد
قام له الشيخ ابو عبد الله　　سلطان فاس مبرز المحلة
فجيش الغرب له بجملته　　وحاصروه تحت وادى منعته
وكان فيها نجله الامير　　يحيى همام الدولة الوزير
وعمدة القياد والاولاد　　وتابعيهم جملة الاجناد
وجملة الخلط والعربان　　كذا بنو غمارة الطغيان
واهل فاس وكذا مكناس　　واهل بطوية والاكياس
والعلماء والمرابطون　　والسادة الاخيار أجمعون
تقدم الامير ذاك زيان　　ابن الحلو بجيشه والعربان
مما يلى المنعة للدبادبة　　على يديه الصلح والمغاربة
فعقدوا صلحا مع السلطان　　ورجعوا فى نعمة المنان
وجاء رهنا ولد الدبدوبي　　حتى بفاس جد فى الركوب
من كونه من جملة الاختان　　وصل دار الملك فى الاخوان
هذى عوائد الملوك ابدا　　العفو عمن جاءهم القى اليدا
واجتمع الصالح والمصالح　　وكان ذا من اعظم المصالح
فالله يجزيهم عن العباد　　خيرا لقفو طرق السداد
والصلح خير وهو خير الخير　　ومانع الصلح هزيم الضير
. . . . . . سنة خمس جازت　　من بعد تسعمائة وفازت
. . . . . . عار المسلمين　　الى وفاة شيخ وطاس الامين
. . . . . . تسعمائة　　وقط ما خلا من امر التهيئة

دام له الملك . وقاد رسنه ثلاثة بعد ثلاثين سنة
وكانت الايام كالمواسم مع الرضى وقلة المظالم
عليه منا افضل الرحمات ما تليت على النبى صلاتى

ذكر دولة ولده السلطان ابى عبد الله محمد رحمة الله عليهما .

وقام من بعد ابنه المجاهد محمد السلطان ليث عاهد
اعطاه ربى النصر حيثما بدا اطلع فى المغرب بدرا وهدى
زانت به الارجاء والقصور (I) وعمرت فى وقته الثغور
زاد على ما كان فيها من عمل بعد ابيه وبه السعد اكتمل
كمثل تطاون والعرائش ولم يكن فى قوله بفاحش

ذكر حركته رحمه الله بسوس .

وقد غزا السوس وارض حاحة وكل قطر ابتغى إصلاحه
اوقف فى مراكش الشريفا وسار والسعد له أليفا
فى عام واحد وعشرين سنة من بعد تسعمائة مبينة
وظهرت نيته فيمن وقف لو انه ارضاه فيما قد . . . .
لابد ما نرجع للقضاء ما السر الا فى ات . . . . . .
هذا قضاؤه وما شاء فعل كل ميسرا . . . .

ذكر نزول الطاغية البرتغال معمورة وادى سبو

فى غيبة السلطان جاء عازما طاغية الكا . . . .
فى مركب فى البحر والاسطول ارسى بوادى . . . .
فيه اقام بلدا متينا مدورا . . . .
وعمروه بالرجال والعدد وكل ما يحتاجه اهل الجلد
وكان قد خلى اخاه الناصرا وزيره فجاءهم محاصرا
واعمل الجلاد والزعامة وحكم الجيش وذا الكرامة
ولم يدع من فل او زل ولا جسر من يقدم حتى لسلا
واستعمل الانفاض للاجفان وايقن الكفار بالخسران
واهل فاس مع مكناس بها تجار بالعون لها لربها

(I) هذه مغالطات يذكرها المؤرخون المغاربة ، فينسون الهجرة والهزيمة ... وينوهون باستبحار العمران فى عهد الوطاسيين . وارتفاع ثمن الدور ... بفاس وببقية مدن المغرب ، وما كان ذلك العمران الا شظايا الاندلس ... والا فان حالة المغرب المضطربة ما كانت تسمح بزيادة العمران. ت. و.

يا ناصر الاسلام تدعو كل حين انصر جيوش المسلمين الصالحين
وطمع الكفار فى المحال تحدثوا اذ ذاك بالمجال
راموا يباكروا المحلة صباح فلم يلاق رايهم فيهم رباح
لقوا عبادا صبروا على اللقا وصار كل للعدا معشقا
ثم اتى على بناء البلد فدخل الرعب لكل جلد
فركبوا الاجفان كيما يخرجوا للبحر فى اسطولهم ويدلجوا
وكانفى الوادى جسور من حجر منعت الاجفان من درك الوطر
. . . . . . مات من الاجفان من الخروج أيقنوا بالخسران
. . . . .ش اهل الله فى قتلهم بالرمى بالدواهى
. . . . الرمال وكلهم ماتوا على التوالى
. . . . فا على الهلاك بعد ما قد تلفا
. . . . رورة أفنى الاله سنة المعمورة
. . . . فوجد الجيش جميعا حاصر
. . . . رؤوس وصار يعطى ذهبا مثل الفلوس
. . . . لفاس وسيقت الرؤوسمن غيرالتباس
. . . . باب الشريعة بطول السور
فى صيف عام واحد وعشرين من بعد تسعمائة بالتبيين

ذكر رجوع السلطان من حركته من سوس

واذ اتى المولى محمد الامير من حركة السوس بأعلام النذير
نزلت المحلة العلالى وسار سير الخرد الغوالى
الى وادى سبو الى المعمورة وجدها خالية مغمورة
اتاه ذاك الاسد المهاصر حامى الحما الليث أخوهالناصر
ومعه الاسلاب والغنائم وكانت الايام كالمواسم
مهنئا بما اتاه الله مستبشرا به وما أولاه
يا من تولى وتلا حزب الجهاد اغتنم الفرص تملك الوهاد
لولا الجهاد لم تلاق مسلما وكل من تلقاه يلفى ظالما
هذى فعال ءال وطاس الكرام عليه ماتوا وثووا اعلى مقام

ذكر حركة السلطان لمراكش عام البسباس

وبعد ذا حركة البسباس الى الشريف . . . .
وكان حال المسلمين يوما ستر فيه الله . . . .
وكانت الصولة للسلطان وقال خا . . . .

مـن بعد مـا ابصـره عيانـا ... رءالـــه فـــى . . . .
ابصر ما لم يبصـر الانـــاس ... فـــى ق . . . .
ثـم عفـا الله بفتـح الخـيـــر ... و . . . .
وفى رجوع السيـد الوطـاس ... جـ . . . .
أباد فيـه جيـــش ءاصـــلاء ... .
وقتـل الفرسـان والاجنـــادا ... .
سبحان من يملـك . . . .
فكم له من صولة علـى العدا ... وكم له من فتكة فيمـن عـدا
وكم رمى بالنفس فى المهالـك ... وربـه ينجيـه نعـم المـالـك
والذكر باق والانـاس تحفظـه ... وكل معمـول فربـى يلحظـه
هذا وكـل ينتهـى الـى اجـل ... والروح واصل اذا تم الاجـل
عاش سعيدا فـى ظـلال وافية ... وموتـه على سريـر العافيـة
عـام اثنتيـن وثلاثيـن تـرى ... مـن بعـد تسعمائـة مسطـرا
وملكـه دام لـه ثـــلاثـــة ... من بعد عشرين علـى وراثـــة

ذكر دولـة اخيه ابى الحسن علـي بـن محمد
المدعو بوحسـون بتوليتـه ايـاه رحمهمـا الله

ثـم ولـي عـهـده الميـمـون ... اخوه ذا المولـى ابـو حسـون
بقـى اشهـرا تعـــد قـلــــة ... وكـــان ذا مكـانـة مقلـــة
وكان فى البخل على اموالـه ... ما لم يكن فى غيـره مـن ءاله
. . . . . . ان المال قد ينجيه ... من كل ضيق او لمـا يلجيـه
. . . . بـالاشهـــــاد ... والاتفاق من اولـى السـداد
. . . . . عـلـى العـــادات ... فى كـل مخلـوع من الـولاة
. . . . علي المـالا ... هـذا قضـاء ربنـا تعـلـــى
. . . . مـؤلـــف ... لغيره وصيـرت فـى التلـف
. . . . مـطـــــاه ... ومـا اراد الله ان يخطـو خطـاه

دولة السلطـان ابـى العبـاس احمد بـن
محمـد بـن محـمـد الشيـخ ايـده الله

. . . . .ابـو العبـاس ... ابو محمد الرضـى الـوطـاس
. . . . الامـــرا ... يساير الزمـان حيثمـا سـرى

(هنا يقع بتر كبير)

سميتها عروسة المسائل فيما لوطاس من الوسائل
وهذا بحر منه زبد الخبر عمى تولى بصحيح النظر
فى دار فاس الملك والولاية على اتفاق من أولى الدراية
انطقنى الله الذى قد انطقا وكل شىء ربنا قد خلقا
والغرب كان وله ملوك الحكم والدولة والسلوك
ءاثارهم شرقا وغربا بنفوس ابية حتى ملوك الاندلس
لولا بقاؤها لنا فى الكتب لم ندر ما كان لهم من رتب
والناس قبلنا لهذا سبقوا والحق اولى ان يكن تحقق
وان يكن قولى على عقلى سريع فلست في امثال ذا بمتبدع
لكن تمنيت بقاء الذكر لمن شغلت بحلاه فكرى
جهد المقل وقبول عذرى من حبه كحب ءال عذرى
هذا بما فى قلبه قد شغلا على رجا ان تقبلوه عولا
شيخ على كبره اتاكم ولبنات فكره اهداكم
قولوا له يدخل حتى تسمعوا كلامه ومثله ترفعوا
فى دارنا من مثله كثير شيخ كبير ناصح خبير
لولا رجاء ملككم ما فاها بكلمة ولم يحل فاها
لكن الى الحق الرجوع جملة وهذا اصل من اصول الملة
والله ارجو ان ينيل عفوه بستر ما كانت له من هفوة
عدده (مفد ونسج) من سطر اللدبه ناظمه قضى الوطر
وبالصلاة والسلام فى الختام على نبي الله مصباح الظلام
وءاله وصحبه افضل جيل ومن مشى فىءاثرهم على سبيل
على يدى محمد الكراسى ناظمها بسمح اهل فاس
ءاخر شهر الحجة الحرام متم خمسين على التمام
من بعد تسعمائة لهجرته لطيبة طابت بطيب تربته

ويلاحظ على هذه المنظومة انها ذكرت فيها حوادث واخبار لم نجد لها ذكرا فيما هو متداول لدينا من الكتب التاريخية التى تكلمت على دولة الوطاسيين .

ويلاحظ ايضا ان نظمها كان عقب زيارة السلطان احمد الوطاسى لتطوان وزواجه فيها بحاكمتها الست الحرة عائشة ابنة سيدى على بن راشد. ومن المعلوم أن ذلك الزواج كان سنة 949، وان الفراغ من نظم هذه القصيدة كان فى سنة 950، كما ذكره الناظم نفسه فى آخرها .

ويفهم من ابياتها الاخيرة ان ناظمها الشيخ القاضى على كبر سنه قد حملها الى عاصمة فاس وقدمها هدية الى السلطان احمد المذكور لانه قال فى آخـرهـا :

شيـخ علـى كبـره اتاكـم   ولبنـات فكـره اهـداكـم
قولوا له يدخل حتى تسمعـوا   كلامه الخ.

أما عدد ابيات هذه المنظومة فلا نعرفه على سبيل التحقيق والذى ذكره صاحب دليل المؤرخ انه يقرب من ثلاثمائة والذى وقفنا عليه من ذلك واثبتناه هنا هو نحو مائتين فقط وربما كان العدد هو 483 لانه هو الذى يفهم من قول ناظمها «عدده (مفد ونسج) والله اعلم.

الشيخ احمد الشاعر اليجمى 965

الشيخ الصالح ابو العباس احمد الشاعر اليجمى ، منسوب الى قبيلة بنى يجم التي تسمى الآن بني حزمر المقابلة لتطوان وكانت سكناه بمدشر بوخلاد القريب من مدشر دار بن قريش ، وكان رجلا عابدا زاهدا كثير التردد على مدينة تطوان لصلاة الجمعة بها وقضاء اغراضه فيها . وقد ترجم له معاصره الشيخ ابن عسكر فى كتابه دوحة الناشر بقوله (I)

«ومنهم الشيخ ابو العباس احمد الشاعر اليجمى من بنى يجم من حوز تطوان . كان رحمه الله فقيها نزيها عارفا بالله تعلى كثير الورع والزهد حافظا للتاريخ ومولعا به كثير الاطلاع ، شأنه الفكرة والاعتبار يذهب فى كل يوم جمعة على قدميه الى مدينة تطوان ليصلي بها صلاة الجمعة . ومنزله بوخلاد على قدر اثنى عشر ميلا ، وكان عاملا على التوكل فلا يحترف بشيء ، وكانت له عريصة بازاء داره يزرع فيها شيئا من الزرع وينبشها بفاس بيده فما جاء فيها من الزرع فذلك عولته وعولة عياله ويطعم منه الطعام لكل من نزل بالمسجد الذى بازاء داره على محجة الطريق من ابناء السبيل، ومن راءهـا يقطـع بأنها لا تكفى شخصا واحدا ، وكان لا يقبل من احد شيئا ، واذا ذهب الى تطوان حمل قفة في يده اليسرى فاذا اراد احد من المارين معه ان يحملها عنه امتنع من ذلك وقطب وجهه اخذت عنه رحمه الله علم التاريخ والاعتبار ، وكنت اذا لقيته فى سنين كثيرة لا يتكلم معى الا في علم التاريخ واخبار من تقـدم من

I) دوحة الناشر ص I7 طبعة فاس سنة I309

العلماء والصالحين والملوك وغيرهم ، فاذا فرغ من حديثه قال ، البقاء لله ، الا الى الله تصير الامور، كل شيء هالك الى وجهه ، ثم يصفر لونه ويعتريه حال ثم ينصرف . توفى فى حدود خمسة وستين من القرن (يعنى العاشر اى سنة 965) ودفن بازاء مسجده رحمه الله»

(قلت) وقبر هذا السيد ما زال محفوظا مشهورا بازاء مسجده المذكور فى مدشر بوخلاد ، وقد وقفت عنده مرارا ، ومظهره بسيط على عادة اهل البادية فى قبورهم الا ان عليه اثر النور لمن يتفكر ويعتبر ، وما زالت عائلة هذا الشيخ موجودة بذلك المكان وقد اجتمعت فى سنة 1367 بشيخ منها يزيد عمره على الثمانين ووجهه الابيض الازهر بلحيته المسدولة البيضاء يتلألأ نورا، وكنا جالسين بمسجده المذكور جنب ضريح المترجم ، فسألته عنه فقال لى انه من ذريته ، وحكى لى عدة كرامات متواترة عنه على عادة كثير من الناس الذين لا يعرفون عن الشيوخ الا كراماتهم . وذكر لى ان مسجده كانت تقام به الجمعة الى ان حولت منه الى مسجد آخر قد بنى منذ بضع سنين .

رحم الله الشيخ الصالح ، وبارك فى ذريته اهل الفضل والصلاح.

الشيخ الجاسوس

هذا الرجل لا نعرف لا اسمه ولا اصله وانما يعرف بلقبه الذى هو الجاسوس، ولم اسمع احدا من شيوخ تطوان يذكره بوصف الولاية والصلاح وقد كان من سكان هذه المدينة فى القرن العاشر وقد ترجم له معاصره ابن عسكر فى دوحة الناشر (1) واطال ترجمته فى نحو صفحتين ، وعده من الاولياء اصحاب الكرامات، وطلب من الله ان ينفعه به وبالاولياء امثاله ، وذكر أنه كان على طريق الملامتية، وأنه لقيه بباب مسجد جامع تطوان وطلب منه أن يدعو له بخير الخ. وانه اشتهر عنه ظهور الكرامات فكان الناس يزدحمون عليه وهو يفر منهم، وانه توفى فى العشرة السابعة (يعنى عام نيف وستين وتسعمائة).

«قلت» قبر هذا الرجل غير معروف الآن ، وبعض الناس يشكون فى حالته المريبة، وفيما حكاه عنه صاحب الدوحة ما يبرر ذلك الشك، والله أعلم بالحقيقة (2).

---

(1) دوحة الناشر ص 34

(2) شهادة صاحب الدوحة فى الجاسوس ليست بشيء ، لان صاحب الدوحة مات فى ركاب البرتغاليين، متعاونا معهم ضد الوطن، ثم نقل ودفن بشفشاون وامره موكول الى الله . وقد ستره اشراف شفشاون لعلمه وفضله ونسبه فيهم . ت.و.

الفقيـه ابـو القاسـم بـن سلطـان

كان الفقيه ابو القاسم بن سلطان القسنطينى من سكان تطوان فى القرن العاشر ، وقد ترجم له معاصره ابو العباس ابن القاضى فى كتابه درة الحجال بـقـولـه : (1)

«ابو القاسم بن سلطان القسنطينى، الفقيه المعقولـى الخطيـب بقصبـة تطاون وله كتاب فى مجلدين فى الرد على الطائفة الاندلسية اجـاد فيـه كـل الاجادة وناضل فيه عن السنة السمحاء ، أطلعنـى عليه سنـة 995 ، عاملـه الله بقصده ونيته ، وهو رجل زاهد ورع محافظ على دينه ، اخذ عن ابى العباس احمد المنجور ، وله رحلة الى الشرق ادى فيها فريضة الحج ولقى جماعـة هناك اخذ عنهم كابى زيد التاجورى وابى الحسن البكرى الصديقى وغيرهم ، ولد تقريبا بعد 930»

ولما تكلم ابن القاضى المذكـور فى نفـس الكتـاب على الشيـخ محمد الاندلسى رئيس الطائفة الاندلسية وشنع على هذه الطائفة قال ما نصه (2) .

«ومن اراد الوقوف على شناعتهم جملة وتفصيلا وما قيل فى هذه الطائفة الملعونة، فليطالع تأليف الفقيه الخطيب ابـى القاسم بـن سلطان القسنطينـى نزيل تطوان ، فقد ابدع فيهم وزيف اقوالهم وبين فسادها ، وهـو فـى نحـو مجلدين »

«قلت» يظهر والله اعلم ، ان الكتاب المذكور قد اضمحل ولم يبق له اثر ، اذ لم نعرف عنه وعن مؤلفـه شيئا زائـدا على ما ذكره ابـن القاضى رحـم الله الجميع .

---

1) درة الحجال م 2 ص 465 . فى الترجمة التى رقمها 1344 ، طبعة الرباط سنة 1354

2) درة الحجال ، م 1 . ص 167 .

الفصل الرابـع

مـن البـاب الثالـث

مـن زوار تطـوان فـى القـرن العاشـر

الاديب التمجروتى مؤلف «النفحة المسكية»

الفقيه الاديب ابو الحسن على بـن محمد التمجروتـى الدرعي الجـزولي مؤلف كتاب «النفحة المسكية فى السفارة التركية» ترجـم له اليفرانـى فـى صفوة (1) والقادرى فى نشر المثانى (2) ووصفاه بالشيخ العلامة وذكرا أنه كان مشاركا فى العلوم الخ. وان السلطان ابا العباس احمد المنصـور السعـدى وجهه بهدية لملك الترك بالقسطنطينية العظمى (3) وانه ألف فى ذلك رحلته المسماة بالنفحة المسكية فى السفارة التركية ، وان هذا الكتاب مفيد (4) وان مؤلفه توفى بمراكش سنة 1003 ودفن بروضة القاضى عياض .

والذى كان على عرش الدولة العثمانية فى ذلـك العهد ، هو السلطـان مراد ابن السلطان سليم ابن السلطان سليمان ، وكانت تلك السفارة سنة 997. وقد قضى المؤلف فى هذه الرحلة ما يزيد على السنة وزار مدينة تطوان قبل الرحلة ومنها ركب البحر الى تركيا ثم لما عاد من رحلته نزل بتطوان ايضا قبـل عوده على السلطان المذكور .

---

1) صفوة من انتشر ص 106 وذكره باسم التمجروتى .

2) نشر المثانى ج 1 ص 31

3) فى النصف الثانى من القرن العاشـر الهجـرى اشتـد تدخـل العثمانيين فى سياسة المغرب. ت.و.

4) قد طبعت هذه الرحلة اخيرا فى سفر يقرب عـدد صفحاتـه من الثمانين ولم يذكر فيه لا اسم المدينة التى طبع فيها ولا تاريخ طبعه ولعل طبعه كان فى اوربا .

وقد ذكر المؤلف ان رفيقه الرسمى فى هذه السفارة ، هو الفقيه الكاتب الشاعر ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى ثم قال ما نصه: (1) «فوردنا ثغر تيطاوين يوم الخميس لخمس بقين منه (يعنى من شهر جمدى الاخيـرة عام 997) فاقمنا بالثغر ثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان ننتظر ورود السفينة علينا من الجزائر فما وردت الا لليلتين بقيتا من رمضان بعد ان سردنا صحيح البخارى وختمناه ، وركبنا البحر اثر ختمنا له ووجدنا له بركة عظيمة فى سفرنا .

وكان قد بلغ السلطان ايده الله تعلى ان سفينة الرايس قبطان الجزائر وردت لرفع رسل الترك فاشخصنا السلطان وازعجنا اليه معهم لما ورد عليه كتاب صاحب السفينة ، وحين وردنا الثغر وجدنا السفينة صارت الى الجزائر قبل ورودنا بليلة واحدة زعم رئيسها ان اغربة (2) للافرنج دمرهم الله تحركوا بأطراف سبتة اعادها الله للاسلام ءامين فخاف منهم، وان تيطاون ليس لها مرسى تمنعهم منهم .

ثم سافر من تيطاون وركبنا البحر يوم عيد الفطر وهو يوم الاحد لليلتين خلتا من شهر غشت (يعنى من سنة 1589 م) ثم قال بعد ذلك ما نصه: (3)

«وقد ذكر لنا اهل تيطاون ان النصارى دمرهم الله اتبعونا من سبتة بثمانية سفن فخذلهم الله وردهم خائبين بسبب هذه الشرقية (يعنى الريح الشرقية القوية التى يهيج معها البحر فى تطوان) ثبطتهم عنا حتى فتناهم والحمد لله ، ذكروا لنا ذلك فى رجوعنا اليهم »

وبعد ان وصف المؤلف رحلته الى عاصمة الدولة التركية ذهابا وايابا ، وما لاقاه في سفره من الاهوال والاخطار ، وشاهده فى اصطانبول من العجائب والاثار ، ذكر اخيرا انهم وصلوا فى مركب بحرى الى مرسى تطوان عشية يوم الجمعة حادى عشر محرم الحرام عام 999 فحاولوا النزول بالبر فمنعتهم شدة الريح من ذلك وردتهم على اعقابهم الى واد لو (مرسى بقبيلة بني سعيد الجبلية فى الجنوب الشرقى لتطوان) (4) فنزلوا به وباتوا ليلتهم ، ثم ساروا لتطوان وأقاموا بها ينتظرون ان يرد عليهم امر امير المومنين من مراكش، وفى اثناء ذلك زاروا ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش بجبل العلم (من قبيلة بنى عروس)

---

1) النفحة المسكية ص 11

2) أغربة ، كلمة عربها المغاربة لان «غراب» معناها بالبربرية سفينة ، فجمعوها على اغربة . ت.و.

3) النفحة المسكية ص 13

4) كانت مرسى وادى اللو تابعة لشفشاون، فكانت مرسى لهذه الامارة، اما تطاون فمرساها نهرها . ت.و.

ثم ورد عليهم امر امير المومنين بالقدوم على حضرته ، فرحلوا من تطوان غرة شهر صفر من العام المذكور ومعهم رسل السلطان العثمانى، ثم قال المؤلف فى آخر الكتاب ما نصه : (1)

«ومما كنت أسلى به النفس ، عند اشتداد الكرب واليأس ، واجعله مجيراى واطلب به النجاة ، ابيات ركيكة سمح بها الخاطر الكليل ، والقلب العليل، على منهوك الرجز، ابتدأتها من تيطاوان لما اشرفنا على البحر ، واتممتها بالقسطنطينية ، وهى هذه :

الحمد للموفق	لذكره ومنطق
صلى على الهادى الذى	به الى العرش ارتقى
وءاله وصحبه	ممن لقربه انتقى
يا رب ما عودتنى	سوى الجميل المطلق

الى آخر مائة بيت وتسعة عشر بيتا كلها على هذا الروى، ثم قال ما نصه : (2)

ومما قلته بتيطاوان ونحن ننتظر ورود السفينة على بساط المؤانسة مع الرفقاء وصاحب المنزل الذى نحن فيه ، وهو السيد احمد بن محمد بن احمد ابن المفضل الاندلسى الغرناطى، وهو من اهل اليسار والسعة بها، وهو المتولى قبض السلطان مما يخرج من عند النصارى من سبتة وما يدخل اليها من التجارة والاسارى وغير ذلك (3) وكان اكرم مثوانا وبسط علينا فى الاقامة ، وما غير علينا شيئا مما اقمنا به اول يوم الى آخر ثلاثة اشهر جزاه الله خيرا، ونحن مع ذلك فى غاية الضيق من الوحشة والغربة وطول الانتظار ، مع استقبال السفر البعيد وأهوال البحر وخطره فى قرب أوطاننا واستدبار ديارنا وما وجدنا اليها سبيلا .

وفى نظر الصادى الى الماء حسرة	اذا كان ممنوعا سبيل الموارد

وقد عظم علينا الخوف ، وكاد ان يغلب علينا اليأس من الرجوع الى بلادنا لولا فضل الله الواسع وكرمه العام :

قال الفقير الى الله الكريم علي	نجل محمد الدرعي بالوطن
سابع تسعين مع تسع مئين مضت	بتطاوان نزلنا منزل السكين
يا رب كاف ابا العباس مالكه	نجل المفضل بالخيرات والمنن

---

1) النفحة المسكية ص 177

2) النفحة المسكية ص 184

3) يعنى ان ابن المفضل المذكور كان هو امين المداخيل المالية للسلطان بمدينة تطوان وناحيتها .

وهب له صالح النسل السعيد على ... ما كان اسعدنـا من فعلـه الحسن
والكاتب الفشتالى مرافقى سيدى ... محمد وهو يدعى ابن ابي الحسن
ذاك الاديب الذى من حسن اخلاقه ... وطيب عشرته يسلو اخو شجـن
ما ابن العميد وما عبد الحميد اذا ... أنشا الرسائل فاق كل ذى لسن
موجهيـن لقسطنطينـة ولنـا ... حوز السلام(ة) فى البحور والسفن
من الامام ابـى العبـاس بحـر ندا ... مبيد كل العدا الخليفـة الحسـن
المالـك العـادل المنصور همتـه ... جهاد اهـل اعتقاد الكفر والوثن
ياربنا هب لـه اذ كـان أولى بـه ... ملك الملوك وملك الخلد فى قـرن
يا من يطالع قولي قل ءامين وسل ... لنا السلامـة ثم العـود للوطـن

ثم قال بعد ذلك ما نصه : (I)

«وكنا خرجنا فى اثناء اقامتنا بتيطاون الى بستان الابر المفضل وفيه قصر مبنى مشرف على الرياض ، فجلسنا فى علوه وتحته بيت للنصـارى خـدمـة البستان وهم لا ينفكون عن الشراب ولا يفارقونه ، فقال الكاتب ارتجالا ونحن هـنـاك :

وبسيـط يطـرز النهـر فـى جا ... نبـه بـرد خـزه ووشاحـه
قـد نعمنـا بنزهـة كـان فيـهـا ... بيـت راح وفوقـه بيـت راحـه
فى ريـاض تبسـم الزهـر لـمـا ... اطلـع الياسميـن فيهـا صباحـه
وتغنـت ام الحسيـن عـلـى عيـ ... ـدانهـا بالحسيـن شعر الفصاحة

كان ذلك يوم الاربعاء ثانى عشر رجـب الفرد عـام ثمانية (بـل سبعـة) وتسعين وتسعمائة ويسمى هذا الرياض الصوير »

وبهذه الجملة ختم المؤلف هذه الرحلة.

«قلت»، المظنون ان هذا البستان الذى يحدثنا عنه الاديب مؤلف «النفحة المسكية» هو الذى صار بعد مرور نحو ثلاثمائة سنة من ذلك التاريخ ، ملكـا للامين المرحوم الحاج عبد الكريم بريشة ، ثم لصهره الامين المرحوم الحاج العربى بنونة ، ثم لنجله الوجيه المرحوم صهرنا الحاج عبد السلام بنونة، ثم لابنائه النبلاء من بعده ، وهو المعروف بغرسة العدوة المشهورة التى كانت اكبر بساتين تلك الناحية واشهرها.

I) النفحة المسكية ص 188

ان كان هو نفسه فكم اقام فيه هؤلاء السادة الابرار من نزه وحفلات ، وكم طربوا واطربو فيه بالموسيقى الاندلسية وبالاصوات الحسان وحلو النغمات، وكم مدوا فيه من موائد كانت تكتظ بما امتازت به تطوان من لذيذ المأكولات ، وكم اداروا فيه من كؤوس الا انها بلورية مترعة بالاتاى المعنبر الحلال ، وكم جمعوا فيه بين رجال الدين واقطاب الشريعة واهل الفضل والصلاح ، ورجال العلوم والفنون والاداب !؟

لقد حسنت نياتهم ، وخلصت ديانتهم ، فطابت اوقاتهم ، وكثرت خيراتهم ، وتوالت نعماتهم ، فاستفادوا وافادوا .

طيب الله ثراهم ، وخلدهم فى جنات النعيم .

الفصل الخامس

من الباب الثالث

ملخص عن حالة تطوان فى القرن العاشر

هذا فصل لا نستطيع ان نكتب فيه سوى كلمة مختصرة فقط ، لاننا لم [نج]د من المستندات والمعلومات ما يسمح لنا بالافاضة فى القول والاطناب فى [ال]تعليق ، الا ان ما لا يدرك كله لا يترك كله .

[م]ن الناحية السياسية

علمنا ان القرن العاشر قد دخل وتطوان تحت حكم القائد المجاهد ابى [ال]حسن المنظرى الاندلسى الذى كان هو المجدد لها واول حاكم بها . وقد مضى [ف]يها النصف الاول من هذا القرن تحت حكمه وحكم افراد من عائلته ، وكانت [تط]وان فى ذلك العهد شبه ولاية مستقلة عن بقية المغرب ، لان حكومة المغرب [فى] ذلك العهد وهى حكومة الوطاسيين، كانت ضعيفة لاشتغالها بمدافعة [ال]سعديين الذين كانوا يزاحمونها ويريدون القضاء عليها وخصوصا فى الجنوب [ال]غربى ، وقد حاول آخر سلاطين بنى وطاس وهو احمد الوطاسى ان يقوى [جا]نبه باستجلاب عطف اهالى تطوان وناحيتها وتأييدهم له للتغلب على خصوم [د]ولته ، حتى انه تزوج بتطوان من «الست الحرة» التى كانت تحكم هذه المدينة [كم]ا تقدم . ولكن ذلك لم يغن عنه شيئا امام القوات العظيمة التى تدفقت عليه [من] جنوب المغرب ، لان تطوان انما كانت تبدو قوتها ويظهر تفوقها حينما [تح]ارب الاجانب المعتدين ، اما عند ما يغضب الله على الامة فتنقسم على نفسها [وت]تقد فيها نيران الحروب الداخلية التى يقتل فيها المواطنون بعضهم بعضا ، [فا]ن تطوان فى الغالب تنكمش على نفسها ولا تكون لها فى ذلك الميدان جولة [و]لا صولة .

وكان مثال الدولة الوطاسية هو الانقراض ـ ولابد لكل دولة من الانقراض ـ فتم الامر للسعديين سنة 961، وبقيت حالة تطوان على ما كانت عليه فكانت سلطة ملوك فاس عليها فى الغالب انما هى اسمية فقط .

ثم تردد على حكم تطوان ولاة لم تكن لاسمائهم شهرة ، ولم يبلغنا من اعمالهم واخبار عهدهم الا الشئ القليل حتى ان بعضهم لم نعرف عنه الا اسمه فقط، وربما كان هناك ولاة لم نعرف حتى اسماءهم، لطول العهد وفقدان المستندات (1)

على ان اهم اعمالهم جميعا هو القيام بواجب الجهاد والرباط لحماية البلاد من احتلال الافرنج الذين كانوا قد احتلوا جل الشواطىء المغربية، ولكنهم عجزوا عن الوصول الى تطوان.

وكان ابرز من ظهر من رجال تطوان ومجاهديها فى اواخر هذا القرن، هو البطل المجاهد المقدم ابو العباس احمد بن عيسى النقسيس رحمه الله .

ولا تنس ايقاع مجاهدى تطوان باهالى سبتة فى اواخر هذا القرن ، تلك الوقعة العظيمة التى سارت بذكرها الركبان، وقد انتقل كماة تطوان عقبها بغنائمهم واسراب اسراهم الى فاس حيث استقبلتهم تلك المدينة الخالدة بالاجلال والاكبار، وكان افاضل اهلها يرون فى مجاهدى تطوان خير مثال لرجال السلف الصالح الذين كانوا يقومون بالرباط والجهاد لحماية بيضة الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وينبغى ان لا ننسى ما تقدم من ان اهالي تطوان قد كونوا اسطولا بحريا كانوا يغيرون به على شواطىء الافرنج فيعودون منها وقد امتلأت ايديهم وسفنهم بالغنائم والاسرى .

كما ينبغى ايضا ان لا ننسى أن أندلسيي تطوان كانوا دائما يحنون الى العودة الى اندلسهم الفردوسية ، فكانوا من حين لآخر يحاولون اثارة الفتنة وايقاد نار الحرب ضد الذين تسلطوا على بلادهم ، لعل حركة المقاومة تنجح فيعود الحكم الاسلامى العربى الى وطنهم ، ويرجعون هم الى مدينتهم المحبوبة،

---

1) والذى زاد فى غموض الحالة بتطاون فى هذه المرحلة من التاريخ ، ان النظام الذى كانت عليه ، كان نظاما عاما منتشرا فى المغرب ، حتى سمى بعض المؤرخين هذه الفترة العصيبة بأنها كأيام ملوك الطوائف بالاندلس ، والا فان تطاون ، كانت مع شفشاون تكون ولايتين متحالفتين ، فكانت مرسى وادى اللو لولاة شفشاون ، ومرسى تطاون لاصحابها التطاونيين . واتفق ان قد تضخمت مرسى تطاون وباديس ، فضعف شان مرسى وادى اللو ، وزاد فى ضعفها اضطراب الاحوال فى شفشاون ، المدينة المجاهدة التى نكاد لا نعلم عنها شيئا فى هذه الفترة . ت.و.

غرناطة الجميلة ، ليستأنفوا حياتهم السعيدة بها ويحصنوا بلادهم من جديد حتى لا تخرج مرة اخرى من حظيرة الدولة الاسلامية العربية ، الا ان تلك المحاولات كلها ذهبت ادراج الرياح ، وتلك الامانى العذبة تبخرت مع الليالى والايـــام .

من الناحيــة العلميــة والادبيــة

اذا بحثنا فى حالة تطوان مـن الناحيتين العلميـة والادبية ، فاننا بكل سهولة نستطيع ان نحكم بان هذه المدينة لم تكن فى القرن العاشر وما قبله دار علم وادب ، وانما كانت دار رباط وجهاد من ناحية ومركزا صناعيا زراعيا من ناحية اخرى .

واذا كان صديقنـا وحبيبنا العلامـة المختار السوسـى «نابغـة الجنوب المغربى فى عصرنا هذا » قد استطاع ان يؤلف ما اطلعنى عليه من المجلدات الضخمة فى أدباء سوس وعلمائها، والآثار الادبية الخالدة التى خلفوها بلغتنا العربية ، فان هذه المدينة ـ ككثير من المدن المغربية ـ ما أظن انها فكرت فى ان تدخل يوما ما مباراة من هذا القبيل .

ونحن حينما رجعنا الى لائحة الاشخاص الذين عرفنا شيئا عن حياتهم من مشاهير رجال تطوان القديمة، لم نجد غير ثلاثة افراد هم: الشيخ عبد القادر التبين، والشيخ ابو عبد الله الفخار ، والشيخ ابـو يعلى طلحة الدريج، وهؤلاء الثلاثة كلهم مشهورون بخصوص الولاية والصلاح . والشيخ التبين وحده هو الذى جاء فى ترجمته انه كان من رجال العلم والتأليف.

وبالجملة فان تطوان القديمة لم يشتهر احد من رجالها بالعلم والادب ، شأن جل المدن الصغيرة ، بخلاف جارتها مدينة سبتة فانها مثـل فـاس غنيـة بالعلماء والادباء ، ولها الفخر بذلك على جميع الشمال المغربى.

ومما يؤكد ان تطوان القديمة كانت فقيرة من ناحية العلماء والادباء ، ان لسان الدين ابن الخطيب ـ وهو الكاتب المكثار الـذى جـاب المغرب ودرس احواله وترجم لرجاله ووصف بلاده واخلاق اهلها ـ لم يذكر اى واحد من رجال تطوان ، بل لم يذكر حتى اسم هذه المدينة ، وما ذلك فيما يظهر ، الا لانه لم يجد فيها من يستحق الذكر والله اعلم .

اما فى هذا القرن ـ اعنى العاشر ـ فيظهر ان الحالة العلميـة والادبية بتطوان لم تتغير كثيرا عن ذى قبل، وهذا القاضى ابن عسكر مؤلف كتاب دوحة الناشر، كان كثير التردد على هذه المدينة، وقد حطب فى كتابه حطبا فذكـر من رجال هذا القرن من لهم اهمية ومن لا اهمية لهم ، ومع ذلك لم يذكر من رجال تطوان فى هذا القرن الا بضعة أفراد ليس بينهم غير رجلين اثنين عرفا

بالعلم والتأليف ، فأحدهما وهو القاضي ابو القاسم الكراسي ، له منظومة تاريخية فى دولة بنى وطاس، والآخر وهو ابو القاسم بن سلطان، له تآليف فى الذب عن اهل السنة والجماعة ورد كيد الزائغين، اما غيرهما من رجال تطوان فى ذلك القرن فاما انهم كانوا ينتمون للولاية والصلاح ، او للجذب والملامتية ، واما انهم كانوا منقطعين للرباط والجهاد ، يفضلون قعقعة السلاح على حفيف اوراق الكتب ، ويختارون تعهد الحراب والسيوف ، على قرض الشعر وترتيب مجلدات العلم والادب .

ولعل موقعهم ووسطهم وما كان محيطا بهم من ظروف ، هو الذى حتم عليهم ان يكونوا كذلك ، وان يتمذهبوا بقول شاعر العرب :

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

على أنه مما لا شك فيه أن المهاجرين الاندلسيين كان منهم رجال من أهل العلم والادب، الا أن هجرتهم لم تكن الى تطوان التى كانت معرضا للحرب والطعان بل الى فاس وتلمسان وغيرهما من الحواضر العامرة المشهورة بالعلوم والآداب اما هذه المدينة فيظهر انه نظرا لوقوعها فى حدود الرباط والدفاع ، وقربها من ميدان الجهاد والقتال ، كان المهاجرون اليها من خصوص رجال الحرب مع من انضم اليهم من الصناع والمزارعين لان جل الذين ينتمون للعلم والادب وجوههم ناعمة، وأيديهم بضة، وقلوبهم رحيمة، ان تحمسوا فالى غير الاقلام والطروس لا يهرعون ، وان حاربوا فعلى غير ألسنتهم لا يعتمدون ، وبغير القوافى لا يتقدمون .

خلق الله للحروب رجالا   ورجالا لقصعة من ثريد

من الناحية الاجتماعية

قد علمنا ان الذين قاموا بتجديد بناء تطوان هم المسلمون الذين هاجروا الى المغرب من بلاد الاندلس ، وخاصة من عاصمة غرناطة التى اجتمعت فيها نقاية الحضارة الاسلامية العربية الاندلسية، اذ كانت هى آخر معقل لدولة الاسلام والعروبة فى ذلك العهد .

وقد انضمت الى أولئك الاندلسيين جماعة من أهل مدينة فاس التى هى عاصمة العلم والدين ، ومركز الصناعة والفن ببلاد المغرب ، كما انضمت اليهم جماعة اخرى من ابطال رجال الريف المشهورين بالجد والعمل والبطولة فى ميادين الجهاد ، مع من لحق بهم من نخبة رجال القبائل الجبلية من الذين الفوا عيش الحرية ، وقد تعودوا الكفاح من اجل الحياة .

فمن هذه المجموعة المختارة تكون سكان تطوان الحديثة.

وكان من الطبيعى ان تجلب كل طائفة من تلك الطوائف معها ما كان لها فى بلادها الاولى من اعراف وعوائد ، وحرف وصنائع، ومعرفة وتجارب فى مختلف نواحى الحياة ، وميادين الجهاد والكفاح .

وقد انصهرت مميزات تلك الطوائف وثقافاتها ومعارفها ، وتكونت من ذلك كله حضارة جديدة اندلسية مغربية ، وصارت لتطوان بذلك شخصية ممتازة سيطرت على ما اتصل بها حتى اصبحت هذه المدينة بمرور الزمن وكانها عريقة فى الحضارة والمدنية .

وكان من الطبيعى ان يستقر سكان تطوان فى مدينتهم بعد اتمام بنائها وتحصينها، وان يتفرغ عامة اهلها لصنائعهم (I) وحرفهم وخصوصا الاعمال الفلاحية، وكان من الطبيعي ايضا ان يتوجه الابطال لناحية الرباط والجهاد ، والحصول على الغنائم التى كانت من اهم المداخيل فى ذلك العهد ، ولعل تلك الغنائم كانت اهم ما اعتمد عليه اهالى تطوان فى توسعة مدينتهم وبناء ارباضها وتعويض بعض ما لحقهم من الخسائر المادية عند ما تركوا ارضهم وديارهم وهاجروا الى بلاد المغرب الكريمة المضيافة وحالتهم هذه تذكرنا بحالة السادات المهاجرين بدينهم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة

ولقد كانت تطوان بالرغم من صغر مساحتها، وانحصار عدد سكانها ، تعتبر هى الخط الاول للدفاع الوطنى والرباط على الحدود ، اى لمواجهة اعداء الوطن وخصومه المهاجمين المعتدين، فكان كل من يقدر على حمل السلاح من سكانها يعتبر مرابطا فى سبيل الله ، وهو وان كان يقضى نهاره فى معمله او متجره او حقله، فان سلاحه يظل معلقا فوق رأسه، أو موضوعا الى جانبه، حتى اذا ما سمع صوت النفير المعلن بوجود الخطر ، اسرع الى تقلد سلاحه ، وتسابق الى الاماكن التى كانت محددة لاجتماع الغزاة والمجاهدين ، لمقابلة الخطر والدفاع عن الحمى، حمى الدين والوطن .

وبذلك كانت هذه الواجهة ، اعنى واجهة تطوان، حصينة منيعة بقلوب رجالها وشجاعة ابطالها ، حتى ان القوات الافرنجية التى كانت فى ذلك العهد فتية قوية مغامرة، فتاحة للاراضى، متغلبة على الاقطار، لم تحدث نفسها بالتغلب على قوات تطوان ، وان كانت قد فكرت فى ذلك او حاولته فانها قد باءت بالفشل والخذلان ، ولم تجن غير الخسارة والحرمان.

I) واهم صنائع التطاونيين صناعة الاسلحة ، نظرا لكونها رباطا فى نحر العدو. ت. و.

وتطوان التى علمت انها كانت مدينة صغيرة ، وان سكانها كانوا فئة قليلة لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف، هى التى استطاعت ان تجمع فى معاقلها من اسارى الافرنج المعتدين على ارض الوطن المغربى ، ما يزيد على ثلاثة ءالاف كانوا يستخدمون نهارا فى الاشغال العمومية ، ويقضون لياليهم مصفدين بالاغلال ولكنها الايام لا تدوم على حال ، فالدهر بالناس قلب .

وأعقل الناس، من أخذ حقه وترك حق الناس .

وتلك الايام نداولها بين الناس . صدق الله العظيم .

الباب الرابع

تطوان في القرن الحادى عشر

وفيه ستة فصول :

الاول، فى ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الحادى عشر

الثانى، فى قضاة تطوان وعدولها

الثالث، فى الشيوخ والزوايا بتطوان

الرابع، من رجال تطوان

الخامس، فى رحلات المشاهير الى تطوان

السادس، ملخص عن حالة تطوان

الفصل الاول

ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الحادى عشر

دخل القرن الحادى عشر وحالة تطوان لم يطرأ عليها تغيير ، فولاتها المحليون قائمون بشؤونها ، والمجاهدون من اهلها يقومون باعمال الجهاد والغارات على الاطراف التى اقتطعها الافرنج من بلاد المغرب ، وسلطة السلطان على تطوان كانت اسمية اكثر منها عملية . وسترى ان جل هذا القرن قد مضى على تطوان وهى مستقلة فى أعمالها واحكامها عن نفوذ سلطان المغرب وكان المتولون للحكم بها هم المقدمون المجاهدون من اولاد النقسيس التطوانيين، اذ بقى حكم تطوان مع زعامتها متوارثين بين افراد هذه العائلة عشرات السنين، الى ان كان من امرهم ما ياتى بيانه بحول الله.

فهذا القرن يصح أن يقال فيه انه قرن اولاد النقسيس بتطوان، وتاريخ تطوان فيه هو تاريخ اولاد النقسيس .

اولاد النقسيس

والمتواتر أن أولاد النقسيس كان لهم ظهور كبير بتطوان ونواحيها ، وقد تولى الحكم بها عدد منهم ، الا أننا لم نقف على كلام جامع لاسمائهم واخبارهم، ونحن نظرا لماضى هذه العائلة وشهرتها فى الجهاد، وفى حكم تطوان وسياستها ، قد بذلنا الوسع فى البحث عن اخبارها فى المصادر العربية ، ما بين مخطوطة ومطبوعة ، وكذلك فى المصادر الافرنجية المختلفة ، وكانت النتيجة أننا جمعنا من تلك الاخبار قدرا لا بأس به، الا أنه غير جامع والكمال لله . ودونك ذلك :

اننا نجد اسماء اولاد النقسيس مقرونة بلقب «المقدم» وهو لقب يظهر انه كان أولا يطلق على رئيس جماعة المجاهدين ، فكنا نجد من الملقبين به ، المقدم محمد ابو الليف ، والمقدم احمد بن عيسى النقسيس (1) الخ. ثم صار يطلق

---

1) ومن المقدمين الشيخ العياشى قبل ان تسمى شيخا ومنهم المقدم الخضر غيلان . ت.و.

على غير اولئك الرؤساء ، «شأن بعض الالقاب الشرفية» ولعله بقي لقبا متوارثا لدى بعض العائلات حتى بعد انقطاع رجالها عن الجهاد.

وقد وقع شيء من الاضطراب والابهام في كلام بعض الذين نقلوا بعض أخبار أولاد النقسيس ، فالناصري في الاستقصا (1) ذكر أنه كان في زمان المنصور (يعني السعدي المتوفى سنة 1012) رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة والنجدة في قتال العدو، منهم أولاد النقسيس التطوانيون الخ.

وقد ذكر أخبار بعضهم في حوادث سنة 996 . (2) وذكرهم ايضا في عدة مناسبات اخرى ، وكلام الناصري في هذا الموضوع صحيح لا غبار عليه .

أما ابو محمد سكيرج فذكر ان اول من تولى منهم بعد القائد عبد الرحمن العلج، هو القائد محمد النقسيس، الا أنه ذكر أن ولايته كانت عام 1050، وأن مدة ولاية أولاد النقسيس كانت اثنين وثلاثين عاما من سنة 1050 الى سنة 1082 ، وسيأتي لنا من المستندات والوثائق الصحيحة ما يخالف ذلك ويثبت لنا ان ابناء النقسيس كانوا متولين بتطوان قبل ذلك التاريخ.

ثم ان الناصري لم يذكر من أسماء اولاد النقسيس الا أبا العباس المقدم احمد بن عيسى ، والسكيرج ذكر اسم المقدم محمد واخيه عبد الكريم ، وذكر ان هناك ءاخرين لم يعرف اسماءهم ، ونحن قد توصلنا لمعرفة ان اربعة عشر شخصا منهم قد تولوا الحكم بتطوان ، أو على الاقل كانت لهم سلطة ونفوذ بها ، اما على المدينة واهاليها ، واما على جماعة المجاهدين بها أو بنواحيها ، الا اننا لم نعرف من أسمائهم الا عشرة فقط هي هذه :

1 ـ المقدم عيسى، والد المقدم أحمد «الاول» بن عيسى

2 ـ المقدم محمد من عام 1006 ، الى 1019 ـ (1597 م 1610)

3 ـ المقدم احمد بن عيسى (الاول) من عام 1019 ـ الى ـ 1031 (1610 ـ 1622م)

4 ـ المقدم عيسى بن احمد ـ واربعة من اخوته .

5 ـ المقدم عبد الله بن احمد ـ 1038 هـ ـ (1629م)

6 ـ المقدم محمد بن عيسى من 1050 ـ الى ـ 1063 ـ (1640 ـ 1653)

7 ـ المقدم عبد الكريم بن عيسى ـ من 1063 ـ الى حوالى 1070 (1653 ـ 1659)

8 ـ احمد بن عبد الكريم حوالى 1071 ـ (1660 م)

9 ـ احمد بن عيسى الثاني من 1071 ـ (1660م)

10 ـ مفضل عام 1083 ـ (1672)

---

1) الاستقصا ج 3 ص 58

2) ج 3 ص 57

- المقدم عيسى الاول

عيسى الاول هو والد المجاهد الكبير المقدم احمد بن عيسى الشهير الذى سيأتى الكلام عليه . وقد وجدنا اسم عيسى هذا موصوفا بالمجاهد المقدم فى الحجر المنقوش على قبر ولده احمد المذكور ، مما يدل على أن عيسى ايضا كان مقدما أى من رؤساء المجاهدين من اهل تطوان ونواحيها ، الا اننا لم نقف على ما يدل على ان عيسى هذا تولى الحكم بهذه المدينة ، وما أظن انه تولى حكمها.

- المقدم محمد النقسيس (1)

من عام 1006 ـ الى ـ 1019 ـ (1597 ـ 1610) ذكر أبو محمد سكيرج ان اول من تولى من اولاد النقسيس هو المقدم محمد ، ويظهر انه قد وقع شيء من الاختلاط والاضطراب فى اخبار المقدم محمد النقسيس ، ولعل الواقع هو انه كان هناك شخصان اثنان كان كل منهما مسمى بمحمد النقسيس ، اذ ورد ذكر احدهما مع اخباره وولايته ووفاته فى الربع الاول من هذا القرن ، كما ورد ذكر الآخر وولايته فى وسط القرن ايضا .

وقد كتب المستعرب الاسبانى، سرديرة (2) عن اولاد النقسيس بحثا مختصرا نقل فيه كلام المؤرخ سكيرج واجتهد فى تدارك ما فاته واصلاح ما ظن انـه خطـأ .

---

1) لعله اول من تولى عمل تطوان مع مقدمية الجهاد ، والا فان عيسى النقسيس وولده احمد كانا مقدمين من قبل بدليل وقعة سنة 996هـ . فاحمد كان مقدما سنة 996هـ . ولم يكن عاملا الا فى سنة 1019.

2) كليمنطى سرديرة CLEMENTE CERDEIRA مستعرب اسبانى كان مقيما بتطوان ، وقد درس العربية بالمغرب وبيروت ثم عين ترجمانا اسبانيا بالمغرب ، وتولى رئاسة التراجمة الاسبانيين بالاقامة العامة لاسبانيا بتطوان ، وكان شخصا ذكيا مغامرا ، وقد لعب أدوارا سياسية كان آخرها عند قيام الثورة العسكرية باسبانيا ضد حكومة الجمهورية الاسبانية سنة 1355 هـ. 1936 م. فكان سرديرة متحيزا لناحية الجمهوريين، فلما انتصرت الثورة الوطنية فر سرديرة واستقر بباريس عاصمة فرنسا، وبها مات فى حدود سنة 1940 .

وهو مؤلف كتاب نهج الاذهان فى تعلم لسان الاسبان، وقد طبع فى بيروت سنة 1911، وقد ترجم سرديرة الى لغته الاسبانية بعض الكتب، وكان مولوع بالتاريخ والآثار، وقد اتصل بمخطوطات قديمة وكتب في صحف اسبانية كتابات منها البحث الذى ننقل عنه هنا وهو منشور في عدد يناير سنة 1926 من مجلة «افريقيا» AFRICA التى كانت تصدر بمدينة سبتة .

وقد ذكر السكيرج ـ وتبعه الرهونى وسرديرة، حكاية ننقلها على ما فيها (1) وهى «أن سكان القبائل المجاورة لتطوان وفى مقدمتهم وادراس، كانوا فى ذلك العهد ثائرين يقطعون الطريق وينهبون الاموال ويوذون الناس أشد الاذاية، وكان محمد النقسيس الذى أصله من قبيلة بنى حزمر (2) المجاورة لتطوان طالبا يقرأ العلم بهذه المدينة، فلما رأى طغيان أهل الجبل، اتصل بأعيان تطوان وعرض عليهم أن يسندوا اليه الامر على أن يستعين بقومه ويكفوا عنهم اذاية الجبليين، ولم ير الناس بأسا فى اجابة رغبته، ففوضوا اليه الامر للقيام بذلك » .

ويقول سرديرة، ان القائد محمدا هذا طلب المساعدة من أحد أفراد عائلته وهو المقدم احمد بن عيسى النقسيس رئيس المجاهدين الذين كانوا مرابطين على مدينة سبتة، فساعده على ما طلبه، وفى مدة قصيرة وقع القضاء على الثائرين من أهل الجبل، وساد الامن والسكينة فى البلاد، وقد برهن القائد محمد النقسيس على مقدرته وكفاءته وحزمه، واستطاع المحافظة على مركزه فبقى متوليا للحكم بتطوان الى أن توفي بها، أى نحو أربعة عشر عاما، من سنة 1597 م. الى 1610 ـ (1006 ـ 1019 هـ) .

ولم نقف على شيء زائد على هذا من أخبار هذا القائد رحمه الله. وذكر سرديرة أن الذى تولى بعده هو ابن عمه القائد احمد بن عيسى النقسيس

3 ـ المقدم احمد بن عيسى النقسيس

من عام 1019 الى 1031 هـ. (1610 ـ 1622 م) .

كل من طالع تاريخ المغرب، يعرف أنه لما توفى السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدى عام 1012 هـ. (1603 م.) قام الخلاف على الملك بين أبنائه فبويع أحدهم بفاس وبويع آخر بمراكش، واشتبك القتال بين جيوش الاثنين وشارك فيه بعض الاخوة الآخرين، ثم ترامى بعضهم على العرش وصارت عاصمتا المغرب، فاس ومراكش، كالكرة تتقاذفها الايدى او الارجل .

وقامت الفتن، وسفكت الدماء، وانتهكت الحرمات، ولم يبق فى المغرب سلطان له القوة الكافية لتوحيد الكلمة وجمع شمل الامة تحت حكمه ونفوذه

---

1) قلنا على ما فيها، لان السكيرج حكاها عن القائد محمد النقسيس الذى ذكر أنه تولى عام 1050 هـ. ونقلها سرديرة على أنها وقعت للنقسيس الذى ذكر أنه ولى سنة 1597 ـ اى عام 1006 . فهل وقع هنا تخليط أم أن الحكاية هنا كلها ملفقة ؟

2) المعروف أن أصل أولاد النقسيس من النقاقسة، وهو مدشر واقع فى فرقة العنصر من قبيلة بنى يدر المتصلة بقبيلة بنى حزمر .

[...]ـة الله سبحانه بعد ذلك التاريخ، ففشلت الدولة السعدية، وذهبت ريحها [...]ضعف شأن ملوكها، فزالت هيبتهم من القلوب، وانتهز الفرصة بعض أصحاب الآمال والاغراض المختلفة، ما بين صالح منها وفاسد، فقاموا بثورات مختلفة الغايات، وكانت نية بعضهم حسنة، فتقدم للجهاد، وتدارك الانحلال واصلاح الفساد، وكان نظر البعض الآخر قاصرا فلم يكن يهمه الا التسلط على الرقاب والتحكم فى البلاد والعباد .

وبذلك أصبحت كل جهة من جهات المغـرب مستقلـة بنفسها، منفصلـة عن باقى الجهات فى أحكامها، وبقى الحال على ذلك زمنا طويلا سماه بعـض الناس بزمن الفترة .

وفى هذا الوقت كانت ناحية تطوان أيضا كغيرها من بقية نواحى المغرب مستقلة بنفسها، وكان الحكم فيها بيد زعمائها المقدمين مـن أولاد النقسيس، فكانوا هم القائمين فيها بالحكم الداخلى، وبحراسة الامن، وبالجهاد والرباط فى الحدود دفاعا عن حوزة الوطن وحفظا له من الاحتلال الاجنبى. وفى الحين [...]ـه، كانت لهم علاقات دولية وارتباطات قانونية، كما ستطلع عليه فيمـا بعد [...]ـحـول الله .

والمقدم المجاهد احمد بن عيسى النقسيس، هو أشهر أفراد هذه العائلة فى التاريخ، وهو أقدم من ورد اسمه فى الكتب الصحيحة الموثوق بصحة اخبارها.

وقد تقدم لنا عن كتاب الاستقصا (1) أنـه أوقع بنصارى مدينة سبتة ، [...]كاد يفتحها سنة 996 هـ. فالمقـدم احمد بـن عيسى كـان مجاهدا بـل زعيم المجاهدين المنتصرين عام 996 كما ترى، الا أنه لم يكن متوليا حكم تطـوان فى [...] العهد، وقد تقدم لنا نقلا عن كتاب «مناهل الصفا» أن المقدم المذكور ـ وهو [...]ى تولى تنظيم وقعة سبتة المذكورة ـ كتب الى قائد تطوان يستحثه علـى اللحاق به والتعاون معه على الايقاع بأهالى سبتة، الـخ. مما يـدل علـى أن [...] تطوان فى ذلك العهد، كان شخصا غيره .

وقد سبق لنا عن سرديرة أن القائد محمدا النقسيس، لما اسند اليه أمـر تطوان عام 1006. استعان بقريبـه المقدم احمـد المذكـور، على استرجاع الامن والسكينة، فقضيا على المعتدين من أهل الجبال فى مدة قصيرة، كما سبق لنا [...]ـه أيضا أن القائد محمدا النقسيس، لما توفى عام 1019 خلفه فى حكم تطوان [...] عمه المقدم احمد بن عيسى النقسيس. فاذا ثبت ذلك، فان ولاية المقدم أحمد على تطوان كانت فى التاريخ المذكور، أى عام 1019 هـ.

---

1) ج 3 ص 57.

على أن الذى وجدته فى مجموعة الكونت هنرى دى كاسترى، أن المقدم أحمد النقسيس كان حاكما بتطوان قبل ذلك التاريخ أى فى 11 غشت سنة 1608 م. وهذا التاريخ يوافق 28 ربيع الثانى عام 1017 هـ. فاذا ثبت ذلك فان المقدم أحمد يكون قد تولى حكم تطوان عام 1017، أو قبله. ولكن كيف يتفق هذا مع ما تقدم من أن محمدا النقسيس توفى عام 1019 ؟ إن من المحتمل أن وفاة محمد النقسيس تقدمت عن عام 1019، كما أن من المحتمل أن المقدم احمد تولى الحكم بتطوان فى حياة قريبه محمد، كما أن من المحتمل أيضا أن المخابرة التى وقعت بين السلطان محمد الشيخ والمقدم احمد بن عيسى قبل سنة 1019 ـ كما سيأتى ـ انما كانت بصفته مقدما وزعيما للمجاهدين بتطوان وناحيتها، وان كان المتولى لحكم هذه المدينة، هو قريبه محمد النقسيس، وكذلك ما ورد من وصفه بحاكم تطوان، انما هو من هذا القبيل والله أعلم .

(من أخبار تطوان ونواحيها فى عهد المقدم احمد النقسيس)

1 ـ فذلكة تاريخية عن الشيخ المامون السعدى

يقول لنا المؤرخون : إن السلطان احمد المنصور السعدى قد فرق عمالات المغرب على أبنائه، فاستعمل الشيخ المامون على فاس والغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها، ولما أراد الخروج من مراكش الى فاس استخلف ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها، ثم قصد ولده الشيخ الذى كان سىء السيرة فاسد الاخلاق، وكان قد أرشده ونهاه فلم ينته، فقبض عليه وسجنه بمكناس .

ثم انتشر بالمغرب وباء عظيم، فأصيب المنصور به وتوفى بفاس سنة 1012 وبأثر موته بايع أهل فاس ولده زيدان الذى كان معه بفاس، وبايع أهل مراكش ولده أبا فارس، لانه هو الذى كان خليفة أبيه بعاصمة ملكه مراكش، ونشأ عن ذلك أن صار كل واحد من الاخوين يستعد لمحاربة أخيه، فلما صح العزم على القتال، أخرج أبو فارس أخاه الشيخ من سجنه وأخذ عليه العهود والمواثيق على النصح له والطاعة وعدم شق العصا، فوعده الشيخ بذلك وخرج لقتال أخيه زيدان، والتقى الجمعان فانهزم زيدان، ثم فر الى تلمسان، ثم دخل الشيخ مدينة فاس، ونكث عهد أخيه أبى فارس، ودعا أهل فاس لنفسه فبايعوه، واستبد هو بالامر وانفرد بالسلطة، ولم يكتف بذلك، بل ألف جيشا أمر عليه ولده عبد الله وبعثه لقتال أخيه وولى نعمته أبى فارس بمراكش، وتقاتل الجيشان فانهزم أبو فارس، ودخل عبد الله مراكش، فأباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واشتغل هو بالفساد .

ثم ان السلطان زيدان، رجع الى المغرب، فاستدعاه أهل مراكش وبايعوه وقامت بين الاخوة المتنازعين حروب كانت أولا سجالا بينهم، ثم انهزمت جيوش الشيخ وولده عبد الله، ودخلت فاس فى طاعة زيدان، ففر الشيخ الى العرائش ومنها ركب البحر الى ملك اسبانيا (1) مستصرخا به على أخيه السلطان زيدان، وكان ذلك عام 1017 هـ. موافق سنة 1608 م.

ويقول الناصرى فى الاستقصا (2) : «ان ملك اسبانيا أبى أن يمده فراوده الشيخ على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال، حتى اذا ملك أمره، بذل له ما شارطه عليه، ولم يزل به الى أن شرط عليه أن يخلي له العرائش من المسلمين ويملكه اياها، فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وغادر اسبانيا ونزل بحجر باديس فى ذى الحجة عام 1018 هـ. ثم تقدم فى بلاد الريف». وفى كتاب تاريخ الدولة السعدية (3) ما نصه :

واما مولاى الشيخ، فانه لما استقر عند النصارى ولقيه قوادهم وعقد الكلام معهم على بيع العرائش، وأعطى المرهن فى ذلك أربعة من أولاد سودخنا نيس، فلما اتفق النصرانى على ذلك وهاداه، .. وعده أن يعطيه العدة وما يحتاج اليه من المال، فطلب منه الركوب فى البحر والخروج فى تطاون، فاذن له فى ذلك النصرانى، فخرج الى أن أشرف على تطاون وأراد النزول عليها، وكتب الى المقدم أحمد بن عيسى المدعو النقسيس رحمه الله يعلمه بذلك، فرد له فى الجواب كلاما قبيحا وأغلظ له فى القول ومنعه مما طلب، فتأخر عن تطاون وخرج فى بادس (من بلاد الريف) عند القائد محمد بن يحيى أعراص، فلما وصل الخبر لولده عبد الله سبه وشتمه ودعا لنفسه فتوبع على ذلك.

2 ـ استيلاء الشيخ السعدى على تطوان .

ثم ذكر صاحب تاريخ الدولة السعدية (4) ان الشيخ ارتحل من جبال الريف وسار الى أن نزل على مدينة تطاون واتصل بأهل الفحص وأعطاهم أموالا كثيرة فأطاعوه وخدموه .

---

1) ملك اسبانيا فى ذلك العهد هو فليب الثالث الذى ولد سنة 1578 م وتولى الملك بعد ابيه فليب الثانى سنة 1598 م. وهو الذى طرد من اسبانيا من بقى بها من المسلمين وعددهم نحو المليون، وقد مات سنة 1621 م.

2) الاستقصا ج 3 ص 105.

3) ص 92 طبعة الرباط سنة 1353 هـ. 1934 م.

4) ص 94

وفى نزهة الحادى (1) والاستقصا (2) أنه نزل بالفحص واجتمعت عليه أمة من أهل الذعارة والفساد» والعتو والعناد، على شاكلته فعتا فى البلاد على عادته، ورحل لتطوان فأخذها وخرج منها المقدم احمد النقسيس هاربا .

3 ـ خروج المقدم احمد النقسيس من تطوان

ويظهر ان الشيخ كانت معه قوة كبيرة لم يستطع المقدم النقسيس مقاومتها، ولم يرض بالخضوع له، فخرج من تطوان واعتصم فى قبيلة بنى سعيد بزاوية سيدى احمد الفيلالى (3) وقد اجتمع عليه نحو اربعين رجلا من المجاهدين .

وقد سعى الشيخ المامون فى قتل المقدم النقسيس، وخصص لمن يأتيه برأسه مالا عظيما فلم يتمكن من مراده .

4 ـ ولاية القائد حمو بودبيرة على تطوان

ولما تم الامر فى تطوان ونواحيها للشيخ المامون ونفذ تسليمه العرائش للافرنج كما سيأتى، سلم حكم مدينة تطوان لقائده المشهور حمو بودبيرة. وهذا القائد كان من خاصة أنصار الشيخ، وقد سبق له أن كان حاكما على فاس ومن أخباره بها أنه لما قام الشريف مولاى أحمد بن ادريس ودار على مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش فانضاف اليه أقوام وعزموا على التوجه لذلك، فت فى عضدهم ذلك القائد، أعنى حمو بودبيرة، وصرف وجوههم عما قصدوه (4) .

---

1) ص 169

2) الاستقصا ج 3 ص 106 .

3) هكذا جاء فى تاريخ الدولة السعدية (ص 94) والمعروف لدينا أن ضريح الشيخ سيدى احمد الفيلالى يقع فى أعلى الجبل قرب مدشر تفزة من قبيلة بنى بوزرة التى هي احدى قبائل غمارة، كما أن ضريح الشيخ سيدى احمد الغزال يقع على شاطىء البحر فى جماعة ترغة من قبيلة بنى زيات الغمارية، وضريح الشيخ سيدى محمد البوزيدى يقع على شاطىء البحر أيضا قرب مدشر تكيسات من قبيلة بنى زيات المذكورة، وهؤلاء الشيوخ الثلاثة كانت لهم مكانة عظيمة لدى قبائل غمارة الواقعة فى الجنوب الشرقى لتطوان، بحيث ان من احتمى بأضرحتهم يدافعون عنه بدمائهم وارواحهم.

4) نزهة الحادى ص 169 .

5 ـ مـن أعمال الشيـخ السعدى فـى تطوان ونواحيها

وجاء فى كتاب تاريخ الدولة السعدية ايضا (1) ما ملخصه ان من أعمال الشيخ فى هذه الناحية، قتله لمراد برتقيش، وهو رجل تركى من سكان تطوان، وكانت له فركاطة يغير بها على سواحل الافرنج ويتعرض لمراكبهـم فيأخذ مـا فيها ويعود الى تطوان بالغنائم أربع مرات أو خمسا فى كل شهر، وقد تضايق من أعماله سكان سبتة وجبل طارق فرفعوا أمره الى الشيخ فأوعز بقتله فقتل ليلا وأخفيت جثته، وقد أرسل الافرنج للشيخ هدية نفيسة جزاء له على اراحتهم من حارس البحر (مراد برتقيش) .

ومن اعمال الشيخ بهذه الناحية أنه اعلن بين الناس أنه عقد مـع الافرنج هدنة لمدة اربعين سنة، وأمر الناس بالكف عن الجهاد، فامتثل بعـض المقدميـن أمره ومنهم بعض أولاد بو الليف واولاد حسينو، فوزع عليهم اراضى للحراثـة، ثم صار يغرى بعض المقدمين بالبعض الآخر فكثر الهرج بينهم، واحتدم القتال، ومات بسبب ذلك من المجاهدين والمقدمين رجال وابطال.

ومن أعمال الشيخ ايضا. ان بعض الاسارى المسلمين كانوا تحت يد برتغال طنجة، فوجدوا فرصة هربوا فيها فما كان من الشيخ الا أن قبضهم وردهـم مع وصفانه الى يد البرتغالين .

6 ـ اخراج بقية المسلمين مـن الانـدلس عـام 1018 هـ.

وجاء فى كتاب تاريخ الدولة السعدية أيضا (2) أن بعض المسلمين الذين تخلف آباؤهم وأجدادهم بالاندلس بعد استيلاء الافرنج عليها، كتبوا من اسبانيا الى الشيخ وأبلغـوه أنهم أقويـاء، وأن جلهم فى الجيش، وان عددهم نحو ثمانية آلاف رجل، وعرضوا أنفسهم عليـه للقيام بالثورة ضد الافرنج وارجاع الحكم الاسلامى الى الاندلس، (وكانت الفرصة مساعدة على ذلك لو كان هناك استعداد من ملك المغرب، لان ملك اسبانيا فى ذلك العهد وهو فيليب الثالث كان منهمكا فى ملاذه، وكانت دولته منهوكة القوى بسبب الحروب التى توالت عليها، فما كان من الشيخ الا أن فضح أسرار مسلمى الاندلس، وأبلغ أخبارهم الى ملك الافرنج وأشار عليه باجلائهم، ففرض الافرنج على أولئك المسلمين أموالا طائلة لا قبل لهم بها وعذبوهم وشردوهم ثم اجلوهم فتوزعوا فى أراضى المشرق والمغـرب، وكان ذلك عام 1018 هـ. (1610 م.)

---

1) ص 95.
2) ص 96

وقد تعرض المقرى فى نفح الطيب (1) لخبر هذا الجلاء الذى كان فى عصره وذكر أنه كان أعوام سبعة عشر والف (2) وأن أولئك المهاجرين الاندلسيين، ذهبوا الى فاس وتلمسان وتونس وتطاون وسلا ومصر والشام والقسطنطينية، وقد استخدم سلطان المغرب من المهاجرين منهم الى المغرب عسكرا جرارا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن الخ .

وذكر أبو محمد سكيرج أن الاندلسيين الذين وفدوا على تطوان فى ذلك العهد، هم الذين بنوا الحومة التى تدعى السانية فى أعلى حومة العيون وأنها أى حومة السانية، كانت تدعى «رباط الاندلس» وأن ذلك البناء كان فى حدود سنة 1020 .

7 ـ تسليم العرائش للاسبانيين عام 1019

ومن أعمال الشيخ فى شمال المغرب، تسليمه مدينة العرائش للاسبانيين وقد ذكر ذلك اليفرنى فى نزهة الحادى (3) والناصرى فى الاستقصا (4) والقادرى فى نشر المثانى (5) وصاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية (6)

وملخص ذلك، أن الشيخ لما استقر فى فج الفرس (7) وطال هناك مقامه انتقل الى مدينة القصر الكبير، وراود قواده ورؤساء جيوشه على أن يقفوا معه فى تمكين الافرنج من العرائش ليفوا له بما وعدوه به من النصرة بالمال والرجال، فامتنع الناس من إسعافه على ذلك ولم يوافقه على غرضه الا قائده الجرنى (8) فانه ساعده، فبعثه الشيخ لها وأمره أن يخليها ولا يدع بها أحدا من المسلمين، فذهب الجرنى وكلم أهلها فى ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها، فقتل منهم عدة وخرج الباقون تخفق على رؤوسهم ألوية الذل والصغار وهم يبكون،

---

1) ج 2 ص 617 طبع مصر عام 1302 ونقله فى الاستقصا ج 3 ص 101.
2) لعل ابتداء ذلك الجلاء كان عام 1017 وانتهاءه عام 1018 .
3) ص 168 طبع فاس .
4) ج 3 ص 105 .
5) ج 1 ص 108 .
6) ص 96 .
7) فج الفرس موضع قرب طنجة
8) فى نزهة الحادى وتاريخ الدولة السعدية (الجرنى) وفى الاستقصا الكرنى ـ ويظهر أن هذا الحرف ينطق به كالجيم المصرية .

ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الجرنى الى أن احتل بها النصارى وذلك فى رابع رمضان من عام 1019 (1)

وذكر المؤرخ منويل كاسطيانوس الاسبانى (2) أن الاسبانيين الذين احتلوا العرائش فى هذا العهد، كان عددهم ثلاثة ءالاف رجل، وأنهم ذهبوا اليها بحرا فى تسعة مراكب عام 1610 (موافق عام 1019) .

وقال اليفرنى فى نزهة الحادى (3) وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة وانكار العامة والخاصة عليه اعطاءه العرائش بلاد الاسلام للكفار، احتال على ذلك بأن كتب سؤالا لعلماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل ببلاد العدو الكافر واقتحمها كرها بأولاده وحشمه، منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها حتى يعطيهم بلاد العرائش، وأنهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا حتى يمكنهم مما ارادوه، فهل يجوز أن يفدى اولاده من أيديهم باعطائها لهم أم لا ؟ فأجابوه بأن فداء المسلمين، سيما أولاد أمير المؤمنين، سيما أولاد سيد المرسلين وخاتم النبيئين، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر، باعطاء بلد من بلاد المسلمين للعدو الكافر جائز، وانا موافقون على ذلك ه.

ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع العطاء ، وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه. وقد هرب جماعة من تلك الفتوى كالامام أبى عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر الشهيرة على المختصر، وكالامام أبى العباس احمد المقرى صاحب نفح الطيب، فاختفيا مدة مديدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما، وبسبب هذه الفتوى أيضا هرب جماعة من علماء فاس للبوادى كالامام سيدى الحسن الزياتى شارح الجمل، وكالامام الحافظ أبى العباس احمد بن يوسف الفاسى وغيرهما ه. ويرحم الله اولئك العلماء الحقيقيين المخلصين لدينهم، الذين لم يخونوا وطنهم بمساعدة الحاكم الظالم على ضلاله وهواه، ففازوا برضى الله وخلود الثناء عليهم من الناس.

---

1) هكذا فى نزهة الحادى ونقله الناصرى فى الاستقصا، ومثله فى نشر المثانى وذلك التاريخ يوافقه يوم السبت 20 نوفمبر سنة 1610. وفى تاريخ الدولة السعدية، أن ذلك كان يوم السبت ثامن رمضان 1019 والذى يوافقه هو 24 نوفمبر 1610 م. وذلك خطأ لان يوم السبت كان هو رابع رمضان ذلك العام لا ثامنه، ولان الثابت فى التواريخ الافرنجية هو يوم 20 نوفمبر لا – 24 – منه والله اعلم .

2) ص 400 من طبعة طنجة سنة 1898 م.

3) نزهة الحادى ص 169. ونقله فى الاستقصا ج 3 ص 105 .

8 ـ قتل الشيخ وقائده فى ناحية تطوان.

وأخيرا قتل السلطان الشيخ المامون وقائده حم بودبيرة فى نواحى تطوان عام 1022 هـ (1613 م) وبيان ذلك أن أهل تطوان ونواحيها لما رأوا الاعمال الفظيعة التى سطرنا بعضها وعرفوا حقيقة نية الشيخ وسوء تدبيره وفساد أخلاقه، تمالأوا على قتله واراحة البلاد والعباد من شره، وذلك جزاء الظالمين وقد حكى ذلك صاحب نزهة الحادى (1) والناصرى (2) وصاحب تاريخ الدولة السعدية (3) وملخص ما عندهم، أن السلطان الشيخ لم يزل يجول فى بلاد الفحص ويعسف بأهلها الى أن ملته القلوب وتمالأ أشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ورقة ديانته وتمليكه بلاد الاسلام للكفار، فاجتمع منهم المقدم محمد الصغير بو الليف والمقدم أحمد النقسيس وغيرهما، وتكلموا فى ذلك فكانت بينهم ملاقاة وعهود، وكتموا تدبيرهم الى يوم معلوم، فأصبح المقدم أحمد بن عيسى النقسيس على تطاون، فقتل فيها القائد حمو بودبيرة واخوانه، وسبى أموالهم، وأصبح المقدم أبو الليف على المحلة فقتل السلطان الشيخ فى وسط محلته فانتهبت تلك المحلة وتفرقت جموعه. وكان قتله فى محل يعرف بفج الفرس يوم الثلاثاء سادس وعشرى رجب عام 1022 (4) وبقى الشيخ مطروحا مكشوف العورة خمسة ايام بلياليها والناس يترددون عليه لمشاهدته على تلك الحال والتحقق من مآل من خان الله والرسول وباع أرض المسلمين للعدو الكافر، حتى خرج جماعة من أهل تطوان فحملوه مع من قتل معه كالدبيريين رهط القائد حمو بودبيرة وبعض أولاده ودفنوهم خارج تطوان الى أن حمل الشيخ الى فاس الجديد مع أمه الخيزران فدفنا به .

وفى نزهة الحادى والاستقصا أن السلطان الشيخ كان له مال كثير انتهب كله، ومن جملته نحو مد من الياقوت، وأنه بقى من أثاثه نحو وسق سفينة كان قد تركه بطنجة، فاستولى عليه نصاراها من البرتغال عند موته .

هكذا روت الكتب الثلاثة المذكورة صفة قتل السلطان الشيخ ثم نقل الناصرى فى الاستقصا (5) عن منويل المؤرخ الاسبانى فى كيفية قتله، أنه

---

1) نزهة الحادى ص 169

2) الاستقصا ج 3 ص 106

3) تاريخ الدولة السعدية ص 97

4) هكذا فى تاريخ الدولة السعدية ص 97. والذى فى نزهة الحادى ونشر المثانى والتقاط الدرر والاستقصا أن قتله كان فى خامس رجب 1022 .

5) الاستقصا ج 3 ص 106.

وصل الى قرب تطاوين وبنى هناك أفراكًا وأقام ينتظر اجتماع الجيوش عليه، ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عين ماء هناك، فاستلقى قربها فى نبات أخضر أعجبته خضرته، فجاء أناس من أهل تلك البلدة فعرفوه وشدخوا رأسه فقتلوه الخ» ولا منافاة بين الروايتيس فيما نرى والله اعلم.

٩ - السلطان عبد الله بن الشيخ يحاصر تطوان

وكان عبد الله ابن الشيخ فى أواخر حياة أبيه مستوليا على فاس، وكان تحت أمره ونهيه يصغى له ولا يقطع أمرا دونه، فلما بلغه خبر قتل والده، استبد بفاس وما انضاف اليها، وعزم على الاخذ بثار أبيه من قاتليه أولاد أبى الليف وأزمع المسير اليهم، ووافقه على ذلك زعيما فاس وهما الشريف أبو الربيع سليمان، والفقيه المربوع وأصحابهما، وامتنعت العامة من الذهاب معهم، لان الشيخ لم تبق له فى نفوس المسلمين مودة، حيث باع العرائش للنصارى، فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا لا نقبل سليمان ولا المربوع، واتخذوا رؤساء ءاخرين، فوقع بسبب ذلك شر عظيم أدى الى قتل الشريف مولاى ادريس بن احمد الجوطى العمرانى، وسبب ذلك أن منادى أبى الربيع مر ينادى فى السوق باستنفار الناس مع عبد الله ابن الشيخ فقام اليه الشريف مولاى ادريس وضربه بعصا وسبه، فأقبل أبو الربيع ومن معه واقتحموا على مولاى ادريس دار القيطون وقتلوه على خصتها، ثم بعد مدة قتل ابو الربيع المذكور الخ (1) . وهكذا كان الشيخ مشئوما على الناس فى حياته وبعد مماته والعياذ بالله .

وفى نزهة الحادى (2) والاستقصا (3) «أن السلطان عبد الله بن الشيخ لما عادت دولته بفاس الى شبابها واستتب امره وتمهدت له البلاد ودانت له العباد، وذلك فى جمدى الاولى عام 1027 (موافق مايو 1618) بعث بعض جنده لحصار تطوان للاخذ بثار أبيه من الذين قتلوه» .

ونحن نعلم أن الذى كان حاكما بتطوان فى ذلك العهد هو المقدم أبو العباس احمد بن عيسى النقسيس، وكان هذا الحاكم غير خاضع لحكم السلطان عبد الله المذكور. والمصادر العربية التى بين ايدينا لم تذكر كيف كان حصار جند السلطان عبد الله لتطوان وكيف انتهى ذلك الحصار، الا ان المستعرب الاسبانى «سرديرة» ذكر ان المقدم أحمد النقسيس رد جميع الهجمات التى قام بها جند السلطان المذكور على تطوان .

---

1) الاستقصا ج 3 ص 120
2) نزهة الحادى ص 202
3) الاستقصا ج 3 ص 121

والذى يظهر من المستندات الانجليزية التى ستأتى، أن العلاقات بين الطرفين قد تحسنت فى الجملة بعد ذلك التاريخ، وصار المقدم النقسيس يعترف بالسلطة الاسمية للسلطان عبد الله .

بين الانجليز وتطوان

- قراصنة وأسارى .
- علاقات ومراسلات .
- تقارير ومساعى .

كانت بلاد المغرب فى جل الثلث الاول من القرن الحادى عشر للهجرة (الموافق للربع الاول من القرن السابع عشر للميلاد) واقعة فى شبه فوضى حكمية، اذ توفى السلطان أبو العباس احمد المنصور السعدى فوقع بين ابنائه نزاع فى الحكم «كما تقدم» وأراد كل واحد من أولئك الابناء أن يقضى على الآخر ليستبد هو بالامر، فكانت فتنة، وكان قتال وانتصار وانهزام .

وكانت الحالة أمام الشواطىء البحرية المغربية غير مستقرة ولا مامونة فالمراكب تغدو وتروح مترصدة، والقرصان المسلحون ـ من المغربيين والافرنج ـ يهجمون على سفن اعدائهم فيأخذون ما يجدون فيها من سلع، ويسترقون من فيها من أحرار، يبيعونهم أو يستخدمونهم كالعبيد ولو كانوا من الاشراف والاعيان، لا فرق فى ذلك بين المسلمين والمسيحيين .

والاوربيون المسيحيون هم الذين يصرحون بأنهم هم الذين علموا المسلمين هذه القرصنة ـ اى اللصوصية البحرية ـ فقد جاء فى الفصل الثامن والعشرين من تقرير لجون سميث JOHN SMITH الانجليزى المكتوب سنة 1604 م (1012 هـ) ما يلى : (1)

«أحوال القراصنة وحياتهم السيئة، وكيف علموا الاتراك والمغاربة أن يصبحوا رجال قرصنة»

... الآن حيث ان هؤلاء نشأوا مبغضين لكل الامراء المسيحيين، فانهم لجأوا الى أرض البربر ولو أنه ليس هناك كثير من المرافىء الصالحة، الا أن تونس والجزائر والمعمورة وتطوان، كانت مسالك هامة على البحار المفتوحة حيث سيادتهم الرئيسية. وأحسن مرافئهم «ماس الكبير» ومدن وهران ومليلية وطنجة وسبتة على الخطوط المستقيمة المملوكة للاسبان، وغير هذه الرؤوس

---

1) من المجموعة الانجليزية لهنرى دى كاسترى م 2 ص 272

فلهم أيضا أصيلا ومازكان (الجديدة). أما المعمورة فكذلك قد امتلكوها قليلا وحصنوها (1) .

وورد، البحار الانجليزى الفقير، ودنسكر، ورجل جرمانى قد أقاموا هناك أولا مرسى حيث تعلم المغاربة كيف يبحرون بسفينة، وكان بيشوپ قديما قد أحدث بعض الضرر، ولكن ايستون استطاع بقوة أن يجعل نفسه سيدا فى سيغويا، وعاش ورد كباشا فى أرض البربر. هؤلاء هم الذين كانوا أولا قد علموا المغاربة أن يصبحوا رجال الحرب فى البحر... الخ

وقد تعرض HENRY MAINWARING هنرى ماينوارينج الانجليزى فى مذكراته التى كتبها سنة 1618 م (1027 هـ) للقراصنة ومرفأ تطوان فقال : (2)

«وفى تطوان أول مدينة على جانب الداخل الى بلاد البربر، يستطيع القرصان أن يسقوا، ولهم الخليج المتدفق الطيب ومخزن البارود الذى يجلب معظمه التجار الانجليز والالمان، كما يبيعون هناك بضائعهم جيدا حيث يرسون بسرعة وينزلون بضائعهم بواسطة قوارب المدينة، ولكن ليست هناك قيادة الا أن يعتمد على رعايتهم وقد يقيمون أيضا فى الارض الوحلة ، ويجب أن يقلع للابحار اذا ما هبت الرياح الشرقية للابيض المتوسط، والاهالى هنا عادلون جدا وأمناء الخ .

ثم ان تطوان فى ذلك العهد، كانت ـ كما علمت ـ غير خاضعة لسلطان فاس، وكان حاكمها هو المقدم احمد بن عيسى النقسيس كما علمت ايضا. وكانت السفن الاجنبية التى ترد على ميناء تطوان، تطلب الاذن بالرسو فيه من الحاكم المذكور، فكان يمنحها جوازا خاصا بذلك؛ وكانت من جملة السفن التى وصلت الى ميناء تطوان، ورسا رئيسها فيه بجواز من هذا القبيل، سفينة القبطان توشينج TOUCHING الانجليزى الا أن هذا القبطان لم يحفظ العهد ، بل انتهز احدى الفرص وسطا على مركب لاولاد النقسيس الحاكم المذكور فاخذه وهرب به وبجميع ما فيه من اشخاص وسلع . وقد استاء المقدم احمد النقسيس من غدر ذلك القبطان بعد ان وثق به وسمح له بالنزول فى بلده .

ثم بعد ذلك وصل الى ميناء تطوان مركب انجليزى آخر ونزل منه جورج فريزويل GEORGE FRISWELL الانجليزى بدون اذن من النقسيس ، فألقى عليه القبض انتقاما من عمل توشينج القبطان الغدار ، وصادف الحال وجود ثمانية من الاسارى الانجليزيين بتطوان وكانوا يباعون ويشترون فيها كالعبيد. وذات يوم خرج مركب من ميناء تطوان وبه أناس من الاندلسيين المقيمين بهذه

1) امتلكها الاسبان سنة 1614

2) المجموعة الانجليزية لكاسترى م 2 ص 507

المدينة، فسطا عليهم اسطول انجليزى يقوده الاميرال روبرت مانزيل SIR ROBERT MANSELL فأسرهم مع مركبهم، ثم جاء الاميرال المذكور الى مياه تطوان وتخابر مع النقسيس حاكم المدينة فى شأن تبادل الاسرى الذين لدى الطرفين، فلم يصلا الى نتيجة، فأبحر الاميرال المذكور الى مدينة أليكانطى باسبانيا، وباع بعض اولئك الاسارى التطوانيين، وترك البعض الآخر فى ميناء قادس باسبانيا تحت اشراف جون دوپا الانجليزى. وجاء جون دوپا هذا الى تطوان وتخابر مع النقسيس من جديد فى شأن تبادل الاسرى، وعقد اتفاق بين الطرفين، التطوانى والانجليزى. وقد وقفنا على وثائق انجليزية واسبانية مهمة تتعلق بهذا الموضوع وفيها زيادة تفصيل وبيان (1)

جاء فى مجموعة م دى كاسترى من رسالة كتبها م والتر أسطون الانجليزى WALTERASTON (2) الى م فرنسيس نثرسول FRANCIS NETHERSOLE ما يأتى تعريبه (3)

«... سير روبيرت مانسيل مع ذلك الاسطول الذى هو الآن بجبل طارق حيث أنه ـ كما يبدو ـ عازم على ترتيب سفنه، وقد استولى أخيرا قسم من الاسطول على سفينة صغيرة للاتراك، ولكن مع هذا فان بعض رجال الحكومة من الحربيين قد كافحوا فى المعركة، وقد كانت الغلبة مقسمة بينهم وكانت الحرب بينهما سجالا ، وقد أعلمت الآن من جديد بمهمة أخرى عظمية وهى أن بعض الانجليز قد أسروا فى سفينة فى طريق تطوان ، ولهذا فان السير روبرت مانسيل ـ كما أرجو ـ سيجيب بكل الطرق بما يتوقع منه ـ مدريد 12 مارس سنة 1620 (وهذا التاريخ يوافقه 7 ربيع الثانى عام 1029).

فالسير روبرت مانسيل الانجليزى كان رئيس اسطول انجليزى، وكان يسطو على المراكب البحرية ويستولى عليها بما فيها، وهذا يدل على أن

---

1) هذه الوثائق موجودة فى المجلد الثانى من المجموعة الانجليزية عن الدولة السعدية ، تأليف الم. هنرى دى كاسترى الفرنسى : LES SOURCES INÉDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC PAR HENRI DE CASTRIES PREMIÈRE SÉRIE DYNASTIE SAADIENNE ANGLETERRE TOME II-1925 وقد ترجم لنا نصوصها الانجليزية صديقنا الاستاذ محمد بن تاوين التطوانى (شيخ المعهد الدينى العالى بتطوان فى ذلك العهد) كما ترجم لنا ما فيها من النصوص الاسبانية، صديقنا الاستاذ حسن عسيران اللبنانى قنصل دولته فى أواسط افريقيا حينما كان مقيما بتطوان موظفا فيها بادارة المعارف اثناء رئاستى لها فى العقد الخامس من هذا القرن (الميلادى)

2) والتر أسطون كان سفيرا لانجلترا باسبانيا من سنة 1620 الى 1625 ثم من سنة 1635 الى سنة 1638 .

3) ص 516.

القرصنة أى اللصوصية البحرية كانت شيئا عاديا، وكانت متبادلة بين الطرفين الانجليزى والمغربى ، وبعبارة اصح . انها كانت متبادلة بين المسيحيين، انجليز وغيرهم ، والمسلمين مغربيين وغيرهم .

وجاء فى رسالة اخرى من والتر اسطون ايضا الى جورج كالفيرط GEORGE CALVERT ما يلى : (1)

«منذ أن بعثث (أنت) بواسطة ذينك الرسولين الى السير روبرت مانسيل الذى كنت (أنا) كذلك قد كتبت اليه معهما، لم اسمع عنه اى شىء ولا تلقيت عنه اى خبر بأن هذين الرسولين قد وجداه ولو انى أظن أن أولهما الذى ذهب الى جبل طارق قد سلمه الرسائل هناك ، وفهمت من رسائل متعددة لبعض التجار انه يهتم قريبا باتيان ذخيرته من انجلترا .

وقد أعلمت من مالقة بان السير روبرت له علم بمراكب تركية معينة بحمولتها الفنية فى وادى تطوان وهى الان فى الاستعداد للابحار الى الجزائر وقد ارسل اليها مائتين وخمسين من احسن رجاله وانضم اليهم كثير من الرجال واغلبهم من الجنود الذين قدمهم اليه حاكم سبتة مزودين بالقوارب التى كانت معدة للتمرين ، وذلك على امل ان يفاجئهم (يعنى رجال المراكب التركية التى بميناء تطوان) ولهذا اذا كان هذا الاعلام حقيقة ، فنحن عما قريب سندرك نجاحهم ، اما تبليغى فانه يقول ، ان هذه القوات قد انفصلت عن الاسطول فى 26 غشت ، فلعل سعادتكم ستسر من اعلام سيدى الاميرال بهذا الصدد ، ولهذ فانى لا ازعج الآن سعادتكم بأى مكتوب آخر .

مدريد 5 سبتمبر سنة 1621 . (يوافقه 18 شوال عام 1030) .

فالقرصنة كانت منظمة ، وكانت للقرصان استعلامات واستخبارات يشترك فيها اللصوص والتجار، ويتتبعها ويساعدها حتى السفراء والوزراء الرسميون كما ترى .

والمعلومات التى ذكرها السفير اسطون فى رسالته السابقة ، كانت صحيحة اذ ان المراكب التركية المذكورة قد خرجت من تطوان محملة بالسلع والمسافرين فتعرض لها الاميرال مانسيل المذكور واستولى عليها ، وممن كان بها من اهل تطوان ، أناس أندلسيون باعوا امتعتهم ليهاجروا الى بعض اهليهم بالجزائر كما سترى تفصيله بحول الله.

وجاء فى كتاب بعثه المقدم احمد النقسيس (حاكم تطوان) الى والتر اسطول (سفير انجلترا بمدريد) ما مضمنه (2) انه وصل جون دوبا الانجليزى

---

1) ص 519

2) ص 521

JOHN DUPPA (1) الى تطوان مكلفا من الاميرال روبرت مانسيل للمفاوضة معه فى مبادلة الاندلسيين الذين اسرهم الاسطول الانجليزى ، وقبل هذا كانت قد جرت مفاوضات مع روبرت مانسيل الذى جاء الى تطوان مع اسطوله ، وقد قدم الاميرال الانجليزى للمقدم شكاية بخصوص اسر جورج فريزويل ، فاجابه المقدم بان ذلك كان انتقاما لزورق اولاده الذى اسره القبطان توشينج، اما ما يتعلق بمبادلة الاسارى الاندلسيين الذين كانوا على ظهر باخرة روبرت مانزيل بالاسارى الانجليزيين ، فان المقدم قدم مطالب غير مقبولة وكان الاميرال قد ذهب الى اليكانطى «باسبانيا» حيث باع بعض الاسارى وبعد ذلك ابحر الى انجلترا تاركا بقية الاسرى فى قادس تحت حراسة جون دوپا واثناء ذلك كان المقدم قد افتدى ثمانية عبيد انجليزيين من مواليهم وطلب أن تقع مبادلتهم بالاندلسيين الستة عشر الذين بقوا فى قادس ، وان تجرى تلك العملية فى سبتة ، وفى نفس الوقت قدم مشروع معاهدة تعقد بين تطوان والانجليز على اساس المواد الآتية :

اولا ـ يمنع بيع وشراء الرعايا الانجليزيين فى تطوان ، ما عدا من هو موجود منهم الآن تحت الاسر .

ثانيا ـ ان الاشخاص الذين يحضرون الى تطوان حاملين للجواز ، يمكنهم ان يتاجروا بحرية

ثالثا ـ كل مركب يغرق فى الشاطىء تكون حمولته ملكا للسلطان ، اما البحارة فيطلق سراحهم

رابعا ـ ان السلع التى تنزل فى تطوان يمكن بيعها بعد دفع تعريفة الاعشار .

خامسا ـ كل اسطول انجليزى ياتى الى تطوان ، يمكنه ان ياخذ الماء ويتمون من المدينة .

وطلب من والتر أسطون أن يعطى جون دوپا تعليمات لابرام هذه المعاهدة كما طلب البحث عن القبطان توشينج ومعاقبته ، ودونك النص الكامل لكتاب المقدم احمد النقسيس (2) .

« ياصاحب السعادة ، وصل الى هنا جون دوپا السيد الانجليزى للمفاوضة فى فدية الاسرى الاندلسيين الذين قبض عليهم اسطول ملك بريطانيا العظمى ، وبناء على الامر الذى عنده من قائده، لا يمكنه ان يفديهم الا نفسا بنفس ، وعليه فانى افيد سعادتكم ان هؤلاء الناس قد خرجوا كمسافرين من نهر هذه

---

1) جون دوپا هذا كان ترجمانا لاسطول السير روبرت مانسيل الانجليزى .

2) الاصل باللغة الاسبانية فى ص 522 من المجموعة الانجليزية

المدينة على مركب تركى (1) واثقين من الصداقة التى حصلت، وكانوا ذاهبين الى منازلهم ولم يكونوا قاصدين الى أى مهرجان، بل كانوا تجارا يعتقدون انهم وان صادفوا أسطول الملك المذكور فلن يصيب احدا منهم ضرر ما، وعليه فلدى خروج المركب المذكور الى البحر تلاقى مع الجنرال روبرت مانزيل الذى أسرهم جميعا، وبعد ذلك وصل الى هذا المرفأ مع جميع أسطوله، وأرسل بعض رجاله الى البر للمفاوضة فى فدية هؤلاء الناس الذين أسرهم، وقد سئلت لماذا أسر جورج فريزويل فأجبت بأنه كان قد وصل قبلا الى هذا المرفأ تاجر يدعى توشينغ، وقد حصل على اذن منى فأخذ من نفس المرفأ مركبا لاولادى بمن فيه، وذهب الى مالقة حيث باع المركب والمسلمين، وبعد ذلك عند ما وصل جورج فريزويل دون الحصول على اذن منى نزل الى البر، فعند ذلك صاحت نسوة المسلمين الذين بيعوا فى مالقة وطلبن العدالة وهى أن يعتقل حتى يطلق سراح المسلمين والمركب، أما بشأن المصيبة التى حلت بهؤلاء الاندلسيين فقد طلب منى الجنرال أخذ الاندلسيين والركاب مقابل الانجليزيين رعايا ملك بريطانيا العظمى الذين بتطوان، غير ان الاندلسيين وبقية المسلمين لم يقبلوا ذلك دون ارجاع الامتعة التى أخذت من هؤلاء الناس المساكين دون حق. وفعلا لدى عدم قبول هذا، ذهب الاسطول وباع بعض اولئك الناس كعبيد فى اليكانطى، وبعد ذلك توجه الاسطول نحو انجلترا تاركا بقية هؤلاء الناس المساكين فى قادس مع جون دوپا المذكور بحالة يرثى لها، لانهم فقراء جدا وليس لهم أقارب أو متاع فى تطوان او فى اية جهة اخرى، وقد حركتنى الشفقة فأعطيت أوامر لجمع صدقة من بين الاندلسيين توازى ثمانية انجليزيين مقابل الاندلسيين الستة عشر الذين فى قادس بقبضة جون دوپا وادموند كارسون الانجليزيين (2) وعند احضارهم الى سبتة يسلمون لجنرال القوة (3) الذى يتسلم الانجليزيين الثمانية وصكا موقعا باسمى وبخط يدى ومن اولادى وقاضى المدينة وسكانها أنه لا يباع بتطوان أى انجليزى أو اسقوسى أو ارلندى من رعايا جلالة ملك بريطانيا العظمى باستثناء الاسرى الموجودين حاليا. وأن أى تاجر من رعايا الملك المذكور اذا وصل الى تطوان، يمكنه باذن منى أن ينزل الى المدينة للمتاجرة والتعاقد مع جميع التجار، سواء فى هذه المدينة او فى فاس وفى جهات أخرى من بلاد البربر، على أن يحضر سلعة جيدة، وأن يعامل معاملة حسنة دون خداع. أما اذا جنح أحد المراكب الى البر فيفهم أن محتوياته تعود

---

1) هذا المركب أصله فرنسى ولكن الاتراك كانوا قد أسروه .

2) ادمون كارسون كان قنصلا لبريطانيا فى جبل طارق

3) هو لويس دى نورونها D. LUIZ DE NORUNHA

للملك (1) أما الرجال فيطلق سراحهم. واذا كان تخوف من القرصـان يمكـ
للمراكب أن تنزل بعض السلع بحرية وتبيعها بعد دفع ضريبة العشر كالعادة
دون أن يوخذ أى عبد .

واذا وصل أى أسطول للملك المذكور الى هذا المرفأ، فيمكنه أن يـأخـ
الماء على حسب طريقته وما شاء من الزاد، واذا لم يعتدوا على أحد فـى البر
فيقدم لهم جميع الاحترام اللازم. وهذا ما لزم كتبناه لسعادتكم لتعطوا الامـ
لجـون دوپا المذكور ليبرم هذا العمل الطيـب، وبالفعل هو كذلـك وعلى المحبـ
واجيبونا حفظكم المولى .

تطوان 21 دجنبـر 1621 (يوافقـه 6 صفر 1031)

وأريد من سعادتكم أن تفتشوا ـ وهذا تذكرتـه بعد ان كتبـت المسطـ
أعلاه، ليتم كل شىء على ما يرام ـ وتعاقبوا من اخذ المركب الذى كان تحت
حمايتى وأن يفتش عنه ويعاقب فى اسبانيا او انجلترا.

التوقيع : المقدم احمد النقسيس حاكم تطوان

وفى 28 ديسمبر 1621 كتب جون دوپا الى ولتر اسطون رسالة بين له
فيها مهمته فى تطوان ونتيجة سفره اليها، وكان مانزيل قد عهد الى كارسون
ودوپا بمبادلة الاندلسيين الذين أسرهم أسطوله نفسا بنفس أى بالانجليزيين
الذين هم اسارى بتطوان، والا ففداء هؤلاء بالدراهم التى يقدمها اولئك فدية
عنهم، وكانت المبادلة نفسا بنفس متعذرة بسبب فقر الاندلسيين الذين أسروا
مع جميع ما يملكونه، وكونهم من عائلة واحدة، ولا تنتظر اية مساعدة لهم من
أقاربهم الذين بقوا بالمغرب الخ .

ودونك النص الكامل لترجمة الرسالة المذكورة عن الانجليزية (2)

سيدى الفـاضـل المكـرم.

بما أنى أعلم أن سعادتكم لكم ميول متحمسة واستعداد لكل ما فيه صالح
يرجع الى بلادنا او الى حكومة صاحب الجلالة، فانى أجرؤ فى الوقت الحاضر
على أن أخبر سعادتكم باجراءاتى وبما قد تم بينى وبين مقدم تطوان قريبا
بحيث اذا كنت قد تخطيت حدود تفويضى فأرجو أن يعزى ذلك الى خبرتى
القليلة، لا الى أى غرض جرأنى لاجل مصلحة خاصة بنفسى، وذلك جميعه
يعتمد على نقد سعادتكم الملائم .

---

1) المقصود هنا سلطـان فـاس مـولاى عبد الله الـذى كان المقـدم
النقسيس يعترف بسلطته الاسمية فى هذا العهد.

2) نصها فى ص 525 من المجموعة الانجليزية

قد كنت أخبرت سعادتكم سابقا بالتفويض الذى جعله لـى وللمستر غرسون MR. GARSON السير روبرت مانسيل SIR. ROBERT MANSEL حول الاندلسيين الذين وقعوا فى أسر أسطولنا، وهم الان مقبوض عليهم فى قالص .

اولا ــ انى سأطلق سراحهم مقابل الاسرى بتطوان الذين ينتمون الى حكومة صاحب الجلالة، وذلك رأسا برأس، وفى حالة ما اذا لم أستطع اطلاق سراحهم فانى سأفديهم بالمال الذى تجمع من تلك الوسيلة الى اقصى ما يفى به ذلك المال فى فداء هؤلاء الاسرى المواطنين كما سبق ذكره، لان الاندلسيين قد انكروا. ولهذا فان التبادل يبدو مستحيلا من أجل فقرهم، وان اولئك الانجليز كان أناس قد اشتروهم بأموالهم.

ثانيا ــ الاسرى المذكورون كانوا قد احتفظ بهم بعشرين ريالا يوميا فى مدة اربعة أشهر، ولا يمكن أن يحصل من تطوان على وسيلة يفتدون بها .

وقصة هؤلاء الاندلسيين أنهم كانوا يقطنون على رؤوس الجبال القريبة من تطوان، الى أن جاء أخ لهم من الجزائر، وبحث عن هؤلاء الذين كان اغلبهم ينتمى الى عائلة واحدة، وهم من اقربائه، فزين لهم ان يبيعوا كل بيوتهم ومواشيهم وكل ما يمتلكون، وأن ينقلوا أموالهم وما بقى لهم من بضائع الى الجزائر، فعمل هؤلاء المساكين بنصيحته فكان من الصدفة أن أتوا الى تطوان واستصحبهم الاتراك المسافرون الى الجزائر، ولما انخرطوا فى سلك المسافرين وكانوا فى عرض البحر أسروا بواسطة أسطولنا الانجليزى الذى نهب فى الحال أموالهم وبضائعهم التى كانت معهم، ولم يكونوا قد تركوا خلفهم فى تطوان بضائع أو أحدا من أقاربهم يمكنه ان يخلصهم أو أن يواسيهم، وعندئذ نظرا الى فقرهم والى فقر اسرانا الانجليز والى أنى ليست لى سلطة واضحة فى تفويضى لبيعهم ... ؟

وقد كان هناك فى قالص أحد تجار لندن ذاهبا الى تطوان واسمه طوماس أسطون MR. THOMAS ASTON صممت على أن أذهب معه املا فى أن أقوم بمفاوضة وأنا على ظهر السفينة مع الاندلسيين علنى أستطيع أن أحصل على نتيجة حسنة لحرية هؤلاء الناس، فلما وصلت الى هناك سمع مقدم تطوان بانى قدمت، وأنى على ظهر السفينة فبعث الي بضمانة، وكتب الي رسالة قال فيها أنه سيتداول معى حول اطلاق سراح الاسرى المذكورين وكبرهان على حسن نوايا بلاده والصنيع المختص بمواطنينا والتجار الانجليز الذين يرعون رعاية حسنة، فانه أمر برهينة ترسل الى ظهر السفينة الى ان أعود. وقد نفذ ذلك بالفعل، وفى اليوم التالى توجهت الى المدينة حيث كان المقدم قد اتى وبعث الى رؤساء الاندلسين بالمدينة، ولما اتوا طلب

منهم فى حضور اولاده أن يجيبوا بما يرون بناء على المهمة التى جئت من أجلها
وهى تحرير المنتمين اليهم (أى الاندلسيين الذين أسرتهم القوات الانجليزية)
فأجابوا بأن هؤلاء النـاس لا شأن لهـم بهم، بل ولا اصدقاء لهم أو اقرباء بين
ظهرانيهم ، ومع هذا فانهم يستطيعـون أن يجمعوا مـن الزكـوات أمـوالا تفى
بـأن يشتـروا مـن أسـرى الانجليـز ثمـانيـة . هـذا كـل ما سيقدمونه
فأجبتهم بأنى اذا كنت أعلم أن عزمهم سيكون هكذا فانى كنت قد وفرت على
نفسى تعب الاتيان من هناك ، والآن ليس لى أن أعمل من تلقاىء خلاف ذلك الا
ما يسمح به التفويض الموكول الي .

حينئذ قال لى المقدم بواسطة ترجمانه ما يلى :

تصريـح المقـدم احمـد النقسيس (1)

«في كل عهد الملكة اليزابيت ELIZABETH وكثير من السنوات قبلها ومنذ
أن توج صاحب الجلالة وبلادنا الريفية فى سلام وعلاقـة حسنـة مع الشعـب
الانجليزى ونحن نسعى ليستمر ذلك كما كان، ولكن حصل أن أتت عبر بلادنا
سفينة انجليزية يدعى قبطانها أو رئيسها توشينـج، وكما هى عادة التجـار فقد
طلب ضمانى ليتعامل معنا، ولكن تصادف أن كان ملكنا اذ ذاك قد نزل مع قوة
من العرب أحاطت بمدينتنا (2) بحيث انه (أى التاجر) لم يكن قادرا على انزال
بضائعه حينئذ رفع المرساة وأبحر الى بعض الموانىء الاخرى حيث اكتشف فى
طريقه مركبا ءاتيا من ناحية سبتة، فاستولى عليه وأجراه الى مالقة حيث باع
كلا من الركاب والمركب، وكان هذا المركب من مراكب أولادى التى يجهزونها
فى بعض الاحيان ويرسلونها الى حماية شواطئنا من سفن سبتة وطنجة، وأيضا
ليباغتوها اذا استطعنا، ولكنهم ما أخطأوا قط، لا فى حق الانجليز ولا فى حق
الشعوب الاخرى، ولكن فى حق خصومنا الذين نحاربهم فى كل يوم.

هذا الضرر الذى لحـق بنا، والـذى أفقدنـا أحسن دفاع عن الشواطىء
البحرية، الى جانب الصرخـات المتواليـة مـن زوجـات أولئك الاسارى لفقد
أزواجهن الذين وقعوا فى العبودية، كان مـن نتيجتـه أن صمم أولادى ورئيس
هذه المدينة (3) على أن يستعبدوا كل من ينتمى الى حكومة ملك انجلتـرا. وقـد
أحضر منهم من بيع، كما صمموا على أن يضعوا أيديهم على أول تاجر انجليزى

1) نصه الانجليزى موجود فى صفحة 527 من المجموعة المذكورة .
2) تقدم لنا أن حصار السلطان عبد الله بن الشيخ لتطـوان كـان عام 1027 هـ. موافق 1618 م.
3) هل كان لتطـوان رئيـس مدنـى الـى جانـب النقسيس الحاكم العسكـرى ؟ ت. و.

يأتى الى هذه الناحية، وطبقا لذلك فقد وقعوا على أحدهم واسمه GEORGE FRISWELL جورج فريزويل وهو رجل اسكتلندى اتى هنا بسفينة راكنا الى الحرية التى كان قد نالها فى هذا البلد سابقا، فأتى الى الشاطىء بدون ضمانة مني، وقصد الى المدينة حيث وقع فى الاسر الى أن يرضى أولادى ويسترجعوا مركبهم ورجاله، أو أن يتمكنوا من وعد صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى بعقوبة توشينج TOUCHING المذكور الذى أوقع الاذى بنا والذى خرق السلام بيننا وبين الشعب الانجليزى .

والآن نعتبر أننا قد حل بنا ضرران، الاول هو الذى ارتكبه فى حقنا التاجر المذكور، والثانى ما قامت به القوة الانجليزية من بيع بعض الرجال واستعباد الآخرين من المسافرين المساكين الذين كانوا قد توجهوا من هذا البلد الى الجزائر، وفيما يتصل بالخصوص الاخير فأنت تقول انك لا تستطيع أن تغير الاوامر التى أسندت اليك من الجنرال الانجليزى ان لم يكن ذلك من صاحب الجلالة، سواء من انجلترا او من سفير صاحب الجلالة فى مدريد، فكلاهما يصدر اليك الاوامر الخصوصية، ومهما يكن فانى صادرا عن الرغبة فى تجديد صداقتنا السابقة مع شعبك، سأكتب الى سفير صاحب الجلالة بمدريد، ليمكنك من القدرة والسلطة حتى تستخلص الحرية. وبصرف النظر عن الاندلسيين الذين قد تركتهم فى الاسر فى مدينة سبتة، حيث انك فى المبادلة ستتسلم ثمانية من الانجليز، فان على السفير المذكور أن يمكننى من الوعد بأن العدالة ستنال توشينج المذكور .

وحينئذ سواء فى سبتة أو اذا كنت ستأتى الى تطوان، فانك ستتسلم رسالة ممضاة بخط يدى وأولادى وقاضى مدينة تطوان حيث انه فى الوقت الحاضر، كل له الحرية فى أن يشترى أو يستعبد أى واحد ممن ينتمون الى حكومة ملك انجلترا، ومن يوم ما توقع الرسالة المذكورة فاننا سنأمر بايقاع العقاب على كل من يشترى أو يبيع أو يستعبد أى فرد ينتمى الى حكومة صاحب الجلالة المذكور، ولكن كل هؤلاء الذين هم من الشعب المذكور وأتي بهم الى هنا باستثناء اولئك الذين هم الآن رقيق، سينالون حريتهم فى الذهاب الى سبتة او طنجة، وفوق هذا اذا صادف أن كانت هناك أية سفينة من السفن المنتمية الى حكومة ملك بريطانيا العظمى وقد طاردها القرصان الى هذا المعبر أو الى أى ساحل من السواحل التى فى حكمنا فاضطرت الى أن تلتجىء الى الشاطيء، فالسفينة والبضائع التى أمكن أن تسلم، يتصرف فيها بحرية كما يراد، أما بالنسبة الى رجالها فهم سيكونون أحرارا وينجون من العبودية او السجن .

كما أنه اذا اصيبت سفينة بعطب بسبب الرياح الهوج أو الاهمال، ففى مثل هذه الحالة كل من فى السفينة والبضائع يصادر الا رجالها فأحرار .

الى جانب هذا فاذا أتت من جانبكم الى طريقنا قوة تنتمى الى ملك بريطانيا العظمى، فانها ستعامل بكل كرم، وستكون لها الحرية التامة فى أن تشترى بأموالها ما تحتاج اليه من زاد وأطعمة أو أى شىء آخر مما يعرض فى بلادنا عليها، الا اذا أبدت غدرا أو ارتكبت ضررا فى حق مواطنينا.

واخيرا فان اى تاجر ينتمى الى حكومة صاحب الجلالة، يمكنه ان يتاجر فى اى ثغر أو اى مكان فى داخل حكمنا ، وكذلك اذا صادف انه لم يستطع ان يصرف بضاعته كما يرغب ، فله أن ينتقل بأية بضاعة أراد ، وأن يخرج بها من مدينتنا تطوان بعد أداء واجب الجمرك ، وحينئذ فله ان ينقل بضاعته الى فاس مثلا أو الى اى مكان ءاخر يرتضيه .

والآن وقد سمعت قولى فى المسألة ، فانك ستتأكد بنفسك من ان السفير وقد ادرك هذه الاشياء ، سيخضع راضيا الى تخليص هؤلاء المساكين بمقتضى تلك الشروط الشريفة الملائمة . واذا كنت ستظل هنا الى ان تحصل على جواب السفير ، فانك ستقيم عندنا ضيفا لانجاز هذا العمل الذى أرغب فيه كثيرا وارى ان سيكون له الاثر الفعال فى صالح كل من الشعبين »(1)

وهكذا فانى قد أعطيت لسعادتكم بيانا عن اجراءاتى التى قمت بها مع المقدم حول الاندلسيين الذين لا زالوا فى عهدتى والآن ارجو من سعاتكم ان تمكنونى من السلطة التى اتصرف بها معهم ، واذا رات حكمتكم طريقا احسن فانى سأسلكه بكل احتياط وكل اجتهاد ، وكذلك اذا شاءت سعادتكم فانى سأعطيكم بيانا عن عهدتى التى كانت للمستر غرسون بما يتعلق بكل من هؤلاء اليهود الذين اذا كنت ترى ذلك لائقا ــ سنتسلم منهم خمسمائة قطعة من ذوات الثمانية ، والباقى على ضمانة بعض الاشخاص القاطنين فى قالص وهم قادرون وملتزمون على تأدية الباقى من الالف قطعة من ذوات الثمانية خلال ستة اشهر ، ولذا سنكون احرارا من اى عهدة فيما بعد ، وسيكون لنا المال لتسديد ما كان قد انفق من ذى قبل ، فاذا شاءت سعادتكم فانى سأعطيكم بيانا خاصا عن الجميع .

أرجوا من سعادتكم المعذرة الخ .

28 ديسمبر سنة 1621 (يوافقه 13 صفر 1031)

والذى يقرأ هذه التصريحات الصادرة من مقدم تطوان وحاكمها ابى العباس النقسيس ، يدرك مدى المرونة السياسية ، والكرامة القومية ، والعزة

---

1) هنا ينتهى تصريح المقدم احمد النقسيس . والكلام الذى يليه هو تتمة رسالة م. جون دوپا الانجليزى الى سفير دولته بمدريد .

الوطنية التى كانت لدى اولئك التطوانيين جدد الله عليهم سحائب الرحمات .

ثم انه فى 10 يناير سنة 1622 . اى بعد بضعة عشر يوما من تاريخ الرسائل السابقة ، أرسل جون دوپا ايضا الى ولتر أسطون المذكور ، رسالة اخرى جاء فيها قوله : (1)

« منذ اتيانى الى جبل طارق ، وقنصل جبل طارق (2) يلح علي فى ان اكتب الى سعادتكم لتوافق مشيئتكم على تمكينه وتمكينى من الامر بمنح الخمسة اليهود الذين لا زالوا معه وهم الآن فى السجن ، حريتهم ـ وقد وضعوا فى السجن هنا بأمر السير روبرت مانسيل ـ الى أن يؤدوا مقدار مائتى لبرة كانوا قد وعدوا كتابة بان يؤدوها فى خلال شهر ، المال الذى كان مخصصا لتاجر اسمه جيلس بن ـ GILES PEN ـ كان هذا التاجر قد سلف الى الاسطول مقدار خمسمائة وخمسين لبرة ليقضى بها مآربه، فكان المبلغ المذكور جزءا منه ، وكان سيتسلمه من اليهود المذكورين ، كما سيتسلم قسطا منه فى مالقة ، والباقى فى انجلترا ، ولكن لا احد من هؤلاء قد ادى .

وفيما يخص اليهود المذكورين فليس لهم اصدقاء فى تطوان ، بحيث ان احدهم يعاملهم ، ولهذا فانى متأكد من انهم سيقاسون فى السجن مع الحديد فى ارجلهم خمسة اشهر اذا هم استطاعوا ان يبحثوا عن علاجهم او وسيلة تخلصهم ، ولكنهم يقولون بواسطة تهديد من الجنرال ، انهم قطعوا انفسهم فى الحصول على مائتى لبرة ، ولكنهم كانوا غير قادرين على انجاز ذلك . ولهذا فاذا وافقت مشيئة سعادتكم على ان يفك سراحهم مقابل اطلاق سراح خمسة اسرى من الانجليز وهم فى تطوان ، حيث ان هناك بعض اليهود يملكون بعض الانجليز وهم متأكدون من انهم سيفك سراحهم منهم ، ولكن اترك هذا لمشيئة سعادتكم التى انا فى استعداد لاطيعها . . . ومكافئا لكل الخدمات ، فان كل رغباتى هى أن أجعل قنصلا لشؤون صاحب الجلالة التى اقوم بها فى تطوان ، وارجوا ان احصل على ذلك من الرسالة التى تتكرمون بها من لدن سعادتكم ولو ان الفائدة التى سأحصلها من ذلك قليلة ، الا ان رجاءى هو ان استطيع تخليص مواطنى من الرق بواسطة سكناى هناك (اى فى تطوان). هذا هو الهدف الرئيسى الذى اهدف اليه ، فأرجو ان احصل على ما يتطلبه منكم خضوعى .

وفيما يخص رسالة المقدم التى كنت سأبعثها مع رسالتى ، فانى لم ابعثها حتى كنت اتي الى قالص حيث ستكون هناك اضمن . وقد عزمت بواسطة الامر التالى من قادس ان ابعثها الى سعادتكم ...

جبل طارق 10 يناير سنة 1622 . (يوافقه 26 صفر 1031)

---

1) ص 531

2) قنصل انجلترا بجبل طارق فى ذلك العهد، هو ادموند كرسون

ثم بعد ثلاثة ايام كتب اليه رسالة أخرى جاء فيها قوله (1) : «أرجو منكم المعذرة لتجرئى على ازعاج سعادتكم بتقريراتى، ولكن لاجل الالحاح الشديد من جانب المستر توماس أستون (2) الذى كان معى فى تطوان فألح علي فى ارسال رسالة الى سعادتكم، لهذا فانى لم أستطع أن أمتنع من ارسالها أمام هذا الاستعطاف. وبهذه الرسالة فانكم ستدركون بواسطة تاجر يتاجر هناك، السلام المستقر الذى يعم نفعه أولئك الذين يتاجرون هناك، فذلك أكثر نفعا بالنسبة الى مملكتنا من بيع الستة العبيد، ومع هذا فانى أترك ذلك لما ترى سعادتكم .

لقد فكرت منذ يومين فى أن أذهب الى قالص، ومن هناك أبعث الى سعادتكم رسالة حاكم تطوان، ولكن حيث انى غير متأكد من أن الجو سيسمح لى بذلك، فاني أبعث الآن هذه الرسالة الى سعادتكم، وأتوسل الى سعادتكم أن تسمحوا لي بالجواب الى قالص حيث إنى لا أشك فى أنى سأكون هناك خلال أيام قلائل، وأملى أن يكون سفرى غدا. وأخيرا أرجو من سعادتكم أن أن تغفروا لى ازعاجى الخ.

جبل طارق 13 يناير سنة 1622 (يوافقه 29 صفر 1031 هـ).

ثم فى عاشر يوليه سنة 1622. كتب اليه رسالة جاء فيها قوله (3)

سيدى ...

خدمتى المتواضعة تذكر سعادتكم، وقد عدت من طنجة، بأنى رأيت من اللائق أن أعطى سعادتكم تقريرا عن اجراءاتى التى قمت بها مع الموريسكوس (4) الذين لا زالوا في عهدتي، وأيضا عن الحالة الراهنة للبلاد من طنجة الى فاس حيث إني سأنجز ـ حسب اشارة سعادتكم ـ بتثبت أوامر الجنرال الذى استخدمني. وسأكون حينئذ قد تأكدت من ذلك حيثما سأدعى للتقرير فتسر اجراءاتى هناك الجميع .

كنت أخبرت سعادتكم سابقا بأن السير روبرت مانسيل قد غادر مراكش معى ليخلص كثيرا من مواطنينا من الاسر فى تطوان، وبما أنهم كانوا عديدين وأن فداءهم لا يمكن الآن انجازه، فانى كتبت الى السير روبرت مانسيل بكل من طريق البحر وطريق البر حتى أعلم السبيل الذى سأسلكه معهم، ولكن حتى الآن لم أتلق أى جواب منه، بل ولا أى انسان من انجلترا ـ والى جانب

(1) ص 533 .
(2) هو تاجر من لندن .
(3) ص 535 .
(4) يطلق لفظ الموريسكوس على بعض المسلمين الاندلسيين (المطرودين دون المهاجرين) .

هذا فان السير روبرت مانسيل قبل سفره الى انجلترا كـان قـد أرسل الى الموريسكوس المذكورين ليقصدوا سفينته، ووكلهم الي حتى لا يباعوا، والشـىء الذى فكرت فيه وأدركته، أنى لست قادرا على تنفيذ أوامره فى الحين كما أمرت

وقد صممت تماما على أن أحملهم الى طنجة، ومن هناك بواسطة الرسائل المتداولة مع مقدم تطوان، انتهيت معه الى أن يـؤدى الموريسكـوس مصاريف الطعام الذى نصرفه لهم، وأن يسلم ثمانية من الانجليز، وحيث إنه ليس فـى الامكان الحصول على أكثر، فقد أحضرتهم معى الى قالص. وزيادة على ذلك فان المقدم المذكور قد أصدر أوامره بان لا يباع أو يشتـرى أى انجليـزى أو اسكتلندى ينتمى الى صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى (أكثر من هـؤلاء الذين ظلوا هناك فى الوقت الحاضر وهم ستون) فلا يسمح بذلك سواء فـي المدينة أو فيما تحت حكمه من البلاد، كما يتضح من رسالته التي أرفقتها هنـا بما أرسله الى سعادتكم. وقد عزم على أن يبين السبب الذى قام من أجله بهذا العمل لمولاى عبد الله ملك فاس الذى يعتـرف به ملكـا له، بحيـث ان الملك المذكور ربما سيصدر فى مثل هذه الحالة أمرا فى كل أقسام البربر التى هى تحت حكمه بأن لا يباع أى شخص ينتمى الى ملكنا او يشترى. وبموجب هذا فان تجار بلادنا فى كل الموانىء سيعاملـون معاملة حسنة ويتاجرون بكل عدل واحسان .

ولكن لاجل النتيجة النهائية التى أسفرت عن صنيع حسن سيتمتـع به تجارنا، وأيضا عن حرية هـؤلاء الذين ينتمون الى شعبنا والذين ربما يحضـرون الى بلاد البربر ليباعوا، فان المقدم المذكور طلب من صاحب الجلالة أن يرسل الى تطوان من يحمل منه رسالة التصديق الى ملك فاس، وبمقتضى رسالـة صاحب الجلالة هذه يتعامل المغاربة والموريسكوس مع شعبنا من غيـر ما يقع على جانبهم حيف منا، ولكن يتمتعون بالعدل سواء فى المكان الذى حدث فيه الخطأ او فى انجلترا بناء على طبيعة الاسباب (حسب طبيعة الحال).

وفى هذا الخصوص اذا رأيتم سعادتكم أنه يليق بعرضه علـى صاحـب الجلالة، وأن صاحب الجلالة سيوافق على استخدام خديم له هنا للقيام بهـذه المهمة فانى سأكون مدينا لسعادتكم جـدا فى أن أعين لذلك، حيث إنى قد قمت بمثل هذه الاعمال وتقبلتها، ولو أنى حتى الآن لم أتلق أية مكافأة أو أى وعد بها عما قمت به من أعمال وانفقت فيه من الزمان سنتين فى مثل هذه الخدمة وفى خدمة أسطول صاحب الجلالة .

وعلى كل فانى أعتبر نفسى أكثر مكافأة وشرفا، وأملى ليس فـي أن أصبح غنيا بواسطة هذه الوظيفة، ولكني متأكد من أنـي ستكـون لي تعزيـة بالنسبة الى هؤلاء الذين هم فى ذلك القطر فى ضائقة من رعايا صاحب الجلالة .

واني سأمنع أن يقع مثل ما كان يقع على كثير من البحارة المساكين، وبعطف النظر الى الحالة الراهنة فى بلاد البربر (1) فان مولاى زيدان يحكم من فاس الى مراكش، وفي فاس الملك عبد الله ويلقب نفسه بملك فاس وكل البلاد او الشواطيء البربرية القريبة من الشواطيء المسيحية، ولكن مولاى محمد (2) باغتصابه للسلطان خلال ثلاث سنوات وتملكه حكم القصر الذى كان مدينة القوة والمبانى الجميلة، الى أن أراد مولاى محمد هذا أن يمكن لنفسه هناك فأصابها كثير من التخريب ـ عند محاولة امتلاك القصر ـ وبعد هذا ليس فقط فى المدينة، حيث كان قد اطيع، وحينما أدرك من أحد المغاربة الذى كان معتبرا لقدره ولحبه بين الشعب فخوفا من أنه ربما يستميله (الشعب) فانه بعث اليه خصيصا من يدعوه ظاهريا لاجل بعض الشؤون الطارئة، وليقطع حلقومه فى واقع الامر بعدئذ .

وقد مرت بعض السنوات كان البرتغال الذين هم فى طنجة لا يجرؤون على أن يذهبوا خارجا عن الابواب من أجل الهجمات المتوالية التى كان يشنها المغاربة الشهيرون وذوو البال، والآن وقد قطع مولاى محمد المذكور رؤوس كثير من هؤلاء المغاربة بخيانة، فان البرتغال فى كثير من الاضطراب والهجوم، يخرجون فى بعض الاحيان الى عشرة فراسخ بعيدين عن طنجة .

وهكذا فقد قدمت كثير من الشكاوى الى ملك فاس من ظلم وطغيان مولاى محمد، فأتى ملك فاس المذكور غير بعيد جدا عن القصر ليطرد ذلك الطاغية خارج القطر او يستل روحه من بين جنبيه، وقد كان هذا بسهولة حيث ان سكان البلاد كانوا يكرهونه، وكان البرتغال قد أرسلوا اليه سابقا يخطرونه بأنهم لن يحموه ولن يتقبلوه فى مدينتهم، ولهذا فانه بموته سيجنى مولاى عبد الله

---

1) هذا الكاتب (مثل كثير غيره من الاوروبيين) يطلق بلاد البربر على جميع بلاد المغرب مدنها وقبائلها، لا فرق بين الجهات التى يسكنها البربر حقيقة، والجهات التى يسكنها العرب الاقحاح الذين لا علاقة لهم بالبربرية . وهم كثير .

2) زيدان هو ابن احمد المنصور، وعبد الله ومحمد (زغودة) هما ابنا محمد الشيخ ابن احمد المنصور ـ وكان أهل البلاد الهبطية قد اجتمعوا على محمد (زغودة) فى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش بدعوة الشيخ على بن محمد بن على بن ريسون فبايعوه على الكتاب والسنة واحياء الحق واماتة الباطل الخ. وقد جاء فى هذه الرسالة أن الملك عبد الله قصد مدينة القصر لقبض محمد زغودة أو قتله، الخ. وتتمة الخبر أن عبد الله كان قد قصد أخاه محمدا المذكور ولكنه انهزم أمام قواته وتقدم محمد الى فاس وملكها، ثم بعد قليل عاد اليه عبد الله وأخرجه منها. ثم خرج عبد الله لقتال أخيه المذكور فوقعت المعركة بينهما بوادى بهت فانهزم محمد وفر شريدا الى أن قتل.

المذكور كثيرا من الهدوء فى بلاده مما يجعل القوافل ستسير أكثر سلامة وأمنا من أبواب الثغور الى المدن التجارية المهمة. ها أنذا قد أعطيت لسعادتك هـذا التعليق عن الحالة الخ .

قالس 10 يوليه 1622 (يوافقه 1 رمضان 1031)

وفاة المقدم احمد النقسيس عام 1031

وتوفى المقدم المجاهد أبو العباس احمد بن عيسى النقسيس حاكم تطوان وزعيمها يوم الاثنين ثامن عشر ذى الحجة الحرام عام 1031 موافق 24 اكتوبر سنة 1622. ولم نقف على بيان الصفة التى مات عليها، فلا ندرى هل مات فى الجهاد أم مات موتا طبيعيا، كما لا ندرى هل مات داخل تطوان أم خارجها، الا أن الغالب على الظن، أنه مات فى داره بين أهله وذويه بتطوان .

أما قبره فهو معروف (1) بأعلى مقابر تطوان، وهو القبر الوحيد الذى ما زال معروفا من قبور أولاد النقسيس، وعلى هذا القبر حجر منقوش عليه اسم المقدم ولقبه وأوصافه وتاريخ وفاته. وهذه الكتابة هى الوحيدة الباقية فى مقابر تطوان من ذلك العهد .

وقد وقفت على هذا القبر ورأيت الحجر المذكور وقرأت تلك الكتابة التى تأثرت حروفها بتوالى السنين فأصبحت لا تقرأ الا بتعب، ودونك ما استطعت أن أقرأه منها :

1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد وءاله
2 ـ هذا ضريح نصيح البلدة التيطاونية و . . . . . .
3 ـ ومن عليه فى كل المهمات مدارها، من سيفه
4 ـ على الاعادى مسلول، وحبل عنايته بالتأييد
5 ـ الالهى موصول، الذى لولاه لفغرت طواغيت الكفار
6 ـ أفواها، ولاصبحت ملة الاسلام تنادى . . . .
7 ـ ان طلع شمس الدعة وسنى ضحاها، المسكن روعة
8 ـ الشيخ والكهل والوليد، السالك فى جهاده سبيل
9 ـ خالد بن الوليد، الاسنى السرى الاحمد المقدم المجاهد أبى العباس

---

1) من أراد الوقوف على قبر المقدم أبى العباس النقسيس فليطلع لاعلى مقابر تطوان، وليقف بباب قبة سيدى قاسم بوكوارع، وليجعل وجهه مسامتـا لصومعة الجامع الاعظم ثم ليخط نحو ثلاثين خطوة فى ذلك الاتجاه، فهناك يجـد القبر وعليه الحجر المذكور الذى طوله خمسة وستون سنتيمترا وعرضه خمسة وأربعون، وسمكه ثلاثة عشر سنتيمترا، وعدد سطوره اربعة عشر. وهذا الحجر ما زال بمكانه المذكور الى تاريخنا هذا الذى هو (1374 هـ 1954 م)

I0 ـ احمـد بـن المجاهـد المجالد الخيـر الديـن الحـاج المقدم (I)
II ـ عيسى النقسيس، وكانـت وفاتـه يـوم الاثنيـن الثامـن عشر
I2 ـ من الحجة متم احدى وثلاثين وألف سنـة ودفن مـن الغـد. بعـد
I3 ـ أن صلى عليـه جم غفيـر ينيف على عشرة ءالاف ما بيـن شيخ
وكـهـل وصغـيـر .

I4 ـ أخلى ظهور عباد سالف القدر ومنزلا كان معمـورا من الخفر

وهكذا قضى هذا الرجل الشهم النبيل المجاهد البطل الذى عـرف كيف يذود عن الشرف ويحافظ على الكرامة، ويبث الرعب والهلع فى قلوب الافرنج المعتدين على الحمى، ولنعمت المواقف مواقفه، ولنعم الكفاح كفاحه، عليه من الله الكريم الرحمة والرضـوان .

أبناء المقدم أحمـد النقسيس عـام 1031

تقدم لنا ان المقدم احمد بن عيسى النقسيس توفى عام I03I هـ. (I622 م) حسبما هو منقوش على قـبـره .

ومن المعلوم ان تطوان فى ذلك العهد لم تكن خاضعة عمليا لا لعبد الله ابن الشيخ سلطان فاس، ولا لزيدان سلطان مراكش، ولا لغيرهما من حكام النواحى الاخرى كما أن من الثابت أن حكمها بعد وفاة المقدم أحمد، قد بقى بيد أبنائه.

ومما وقفنا عليه من أخبار تطوان واولاد النقسيس فى هذا العهـد ما جاء فى رسالة كتبها جون هاريسون الانجليزى الى كومندان الاسطول البريطانى من تطوان فى 20 يوليه سنة I625 م (موافق I4 شوال سنة I034 هـ) ومضمنها الاعلام بوصول كاتبها هاريسون المذكور الى تطـوان، وبمـوت المقدم القـديم (2) وحكم أولاده الاربعة أجمعين (3) ومقابلتهم لهاريسون فى اجتماع سرى، والفرح الذى حدث بتطوان عند ما شاع استعداد انجلترا ضد اسبانيا، وان المقدميـن حكـام تطوان قالوا لهاريسون انه بسبب الفوضى الحاصلة فى المغرب ، لا يمكنـه أن يسافر برا الى مقر السلطـان زيدان، وان المقدمين المذكورين طلبوا استقـلال دولتهم استقلالا تاما ، وأظهروا اخلاصهم لملك انجلترا وعرضوا مساعدتهم له ضد اسبانيا .

I) من هنا عرفنا ان عيسى والد أبى العباس، كان مقدما ايضا .
2) يعنى احمد بن عيسى النقسيس
3) لم نعرف من اسماء هؤلاء الاولاد الاربعة الا عبد الله وعيسى، والذى يظهر من هذه الرسالة انه بعد وفاة المقدم احمد الذى خلف ستـة اولاد ، بقى حكم تطوان وناحيتها مشاعا بين اربعة من ابنائه ، ومنهم عبد الله وعيسى ، ثم بعد مدة قتل عيسى مع اثنين من اولئك الابناء ، فبقى الحكم بيد عبد الله الذى ضم اليه أخوين ءاخرين يظهر انهما كانا صغيرين .

وذكر هاريسون أنه من مقابلته مع الموريسكوس (1) تحقق لديـه حبهـم للبروتستانية وبغضهم لاسبانيا، وأنه حرر ثلاث رسائل للدعاية الدينية بيـن المسلمين واليهود والاسبانيين (2) وقد بقي بتطوان حتى يتلقى الاوامر من رئيس الاسطول البريطانـى .

ثم بين هاريسون النتائج الحسنـة التى يمكـن لانجلترا ان تحصل عليها من احتلالها لسبتة، للتجارة ولنشر الديانة البروتستانية، وأن هـذه النتائـج تزداد باحتلال جبل طارق (3) والمعمورة الخ وأنه نزولا عند اشارة المقدمين، عدل عن الذهاب برا الى السلطان زيدان واكتفى بالكتابة اليه ... الخ

ودونك النص الكامل لترجمة هذه الرسالة التى فيها زيادة على ما ذكـر فوائد مختلفة لا عن تطوان فحسب، بل عن أحوال المغـرب كله، وعن المحاولات والامانى الانجليزية فى ذلك العهـد، وغير ذلـك مما لا نجـده فـى تواريخنـا القومية العربية .

قال المستر هاريسون الانجليزى مخاطبا لقومندان الاسطول البريطانـى ما تـرجمتــه : (4)

سيدى . . . . .

كان قد أمرنى السكرتير المستر مورتون MORTON بأنه بمجرد ما أسمع بالاسطول يرسو على هذا الشاطىء، أرسل رسائلى بكل سرعة، وبما أنى لا أعلم بعد خروجي من انجلترا، بمن سيحل قائدا رئيسيا في هذه الخدمة، فانى ألتمس المعذرة اذا كنت قد أخطأت فى حق الصيغة أو أمور أخرى، ومهما يكن فلنصل الآن الى جوهر الموضوع من حيث اتصالـه بعملـى الحاضـر لصاحب الجلالة، أما من حيث اعطائى التقريرات فشكرا لله أن بعث الينا ريحا رخاء طيبة من انجلترا، حيث اننا كنا فى تسعة ايام على الاكثر على فم المضيق، ولكـن هناك التقينا بالرياح الشرقية للابيض المتوسط بعض الايام.

---

1) يعنى بهم الاندلسيين الساكنين بتطوان .

2) يظهر من كلام هاريسون هـذا أنه كان مـن الرهبان المبشريـن بالمذهب البروتستانتى ، وانه كان يتستر بالتبشير لخدمة سياسة دولته ، كما يظهر ان اهل تطوان وخصوصا الاندلسيين منهم ، وكذلك الحكام من ابناء النقسيس، أدركوا مراده، فارادوا هم أيضا استغلاله لخدمة مصالحهم السياسية والحربية والاقتصادية .

3) من المعلوم ان جبل طارق كان فى ذلك التاريخ بيد اسبانيا التى انتزعته من العرب ، وان انجلترا انما انتزعته من يد اسبانيا سنة 1704م الموافقة لعام 1116 هـ أى بعد تاريخ الرسالة المذكورة بنحو ثمانين سنة .

4) ص 573 من المستند السابق الذكر

وفى ثالث يونيه وصلت هنا فى طريق تطوان هذا وفى نفس الليلة نزلت الى الشاطىء، وكتبت الى المقدم بوصولي مصحوبا برسائل صاحب الجلالة، وفي الصباح التالي بعث الي برسالة يهنيني فيها بسلامة الوصول ، ومنها علمت ان المقدم الشيخ كان قد توفى قريبا ، وقد كان على قيد الحياة حينما كنت هنا فى المدة السالفة، وكان قد كتب رسائل الى مولاى زيدان وطلب منى أن أشهد له بأنه لم يعترف بأى ملك غيره قط، وما زالت رسالته عندى للاطلاع عليها، ولكن أولاده الاربعة الآن كل منهم يحكم بالتداول، يخرج ثلاثة منهم الى الخارج وكل واحد منهم مصحوب بالفرسان والرجل كما هى العادة عندهم فى نضالهم ضد اسبانيا بسبتة وطنجة، ورابعهم يبقى للمحافظة على المدينة، وهو الذى ذهبت اليه وسلمته رسالة صاحب الجلالة حيث سر بذلك سرورا عظيما وبعد يومين او ثلاثة كان الاخوة الثلاثة الغائبون قد رجعوا وعقدوا بينهم اجتماعا وأرسلوا حولى ، لما حضرت لم يأذنوا لاحد أن يحضر معنا لا مغربى ولا يهودى الا السكرتير وهو أحد الموريسكوس مترجم بالاسبانية، فأعربوا جميعا بواسطته عن ترحيبهم بى وأنهم يعتبروننى سفيرا لاعظم أمير يحفظون له الوداد والصداقة، ويشيدون بفضله، فأجبتهم بما يناسب، وقد أدركت أنه كل من المغاربة واليهود قد سروا بهذه السفارة، خصوصا الاندلسيين أو الموريسكوس الذين طردوا من اسبانيا، وهم فى هذا الجزء من بلاد المغرب وفى فاس كثيرو العدد، وهم جميعا لهم اعتقاد سالف بأن صاحب الجلالة له أعظم قوة حربية على استعداد، ولهذا فان اتيانى جعلهم يظنون أنه من أجل أعمال ضد اسبانيا فى هذه الاجزاء .

قلت لهم، ان معى رسالة من مولاى الملك الى مولاى زيدان تتعلق بالاسرى الانجليز وبأشياء اخرى، وانى امل أن أذهب اليه لتقديمها بكل سرعة، والاولى أن اتخذ سبيلى من هذا الطريق اليه، وانى لما كنت هنا أخيرا كتب لى أبوهم (أى أبو المقدمين اولاد النقسيس) الرسالة التى أريتهم اياها بأنه يعترف بمولاى زيدان ملكا لا غيره، فقالوا لى ان سفرى عن طريق البر مستحيل، لان البلاد مضطربة، والطرق خطيرة، ففى فاس ملك هو مولاى عبد الملك، وهو شاب حدث، وفى القصر ملك آخر وهو مولاى محمد، أما مراكش فملكها زيدان، وقد خلفه الآن سيدى يحيى (بن عبد الله) وسيدى على (بن موسى) أعظم أولياء سوس، فهما يقران عزله ويحاولان أن يقيما ملكا آخر هناك، ولهذا فان مولاى زيدان قد بعث قريبا يطلب ألف رجل من الموريسكوس من سلا حيث يعتمد عليهم فى هذا الحادث كأحسن جيوش له.

اما فيما يتصل بهم فقد أقروا لى بأنهم لا يعترفون بهؤلاء الملوك ولا بأى ملك آخر جديد، وأنهم لا يقرون الا بالله، وهم قد أدوا خدمات سابقة

لمولاى زيدان، ولكنه عاملهم معاملة سيئة، وزيادة على ذلك فقد أبرز نفسه بأنه الطاغية القاسى فى حكمه، ولهذا فلهم الحق أن يقفوا عند الاعتماد على أنفسهم، ويعتبروا أنفسهم حكاما مستقلين كما هو الشأن فى البندقية والاراضى الواطئة وهم يدعون أن الزعيم الذى تتمثـل فيـه قساوة اسبانيـا كمـا تبدو من هنا، يجعل فى باقى القطر اسم الملك ممقوتا بينهم، كما كان فى الايام الغابرة بين الرومان .

وفى الوقت الحاضر لا احد من هؤلاء الملوك له ما كان لاولئك، وكما هو واضح فليس للملك عليهم حكم عظيـم، وانما له اسم الملـك، فها هى فاس قد قسمت بين الاندلسييـن والمغاربة، وهم فى تنازع مستمر، لان الاندلسيين سرعان ما يتجمعون فى كل مكان، وهم كما قلت أحسن الجنود، وبتجمعهم تحت رئيس واحد يستطيعون أن يؤدوا خدمات جليلة جدا .

المقدمون قد مكنونى من الحرية فيما اجتمعت عليه كلمتهم، وهو انه اذا كان صاحب الجلالة أو هؤلاء الذين يقومون بتمثيله، يرغبون فى أن تهاجم سبتة أو أى مكان قريب منهم، فانهم سيساعدون فى هذا العمل بعشرة ءالاف رجـل من البر، ولن يعمـل الانجليز الا فـى البحـر، وبقوة صغيرة، وبمجموعـة من البطاريات فى البر، وهؤلاء سيرون أنهم سيموتون دونهـم، وذلـك سعيا فى أن يقوموا بخدمة ملك الانجليز ضد اسبانيا. وحينئذ سواء هم أو فى المدينة الآهلة بسكانها أو أحوازها من أقصى ما يحكمون الى أقصاه، كل ذلـك فى خدمة صاحب الجلالة ملك الانجليز كتابع له ءاملين ان يضعـوا أنفسهم تحـت حمايته، وهم لا يطلبون منى الا شيئين فقط، أن أعمل على مساعدتهم ببعـض البارود ليقوموا بخدمة صاحب الجلالة، وليدافعوا ضد عدوهم، كما أن لهم بعض القطع الحربية قد عطبت هنا وصارت غير صالحة للاستعمال، فيرجون أن تحمل الى انجلترا لتصلح وتجدد ثم ترد اليهم، زيادة على ذلـك فهم يعرضون كـل أنواع المؤن والضروريات التى يمكن أن تقدمها هذه البلاد، سواء لسفن صاحب الجلالة أو لاغراض أخرى مما هو مرغوب فيه بالتفصيل فـى رسالة صاحـب الـجـلالـة .

وبما ان لى التفويض في أن أثير أقصى المسائل حتـى أطلع على جليات الامور، وقد رأيت اندفاعهم (مع قلة اكتراث فى التكلم حيث وضعوا في أعظـم ثقتهم كما أفضوا الي بأسرارهـم، فانى سألتهـم عمـا اذا كـانت هنـاك بعض الدواعى ربما تقتضى كثيرا من السرعة (وأنا نفسى لا أذكر الترتيبات الخاصة) فى تقديمهم للمساعدة في البر كما وعدوا بها، فهل أولئـك الموريسكـوس أو غيرهم يمكن أن ينقلوا الى بعض الجهات الاخرى حيث يعاملون معاملة حسنة ،

فأجابونى بأنهم لا يمكنهم أن يكرهوا أحدا على الخروج أو ترك بلدته مجردا غير محروس خوفا من أعدائهم، ولكنهم يمنحون حرية المغادرة لكل من الموريسكوس أو اليهود أو غيرهم، فيذهبون باختيارهم حيث شاءوا، ولكن اذا كان ذلك بواسطة البر ـ كذى قبل ـ تجاه سبتة او أى مكان قريب منها فانهم يذهبون شخصيا الى كل الجهات القريبة من بلدهم، مع القوات التى يستطيعون أن يجهزوها، مؤكدين لى أنهم سيقفون عند وعودهم، وهم لن يعدوا بأكثر مما يقصدون الى تنفيذه .

وبهذه الترضية الطيبة انفصلت عنهم، ولكن ما انجزناه بيننا مقدما طبقا لذلك التكتم الذى التزمته فى أول الامر محافظة على الاسرار (حيث ان سبتة قريبة منا، وعلى اشارة اليد وان سفينة ببعض الرجال قد أرسلت من هناك الى هنا لفك الاسرى) هو أننا اتفقنا على أن يجاب كل ما طلب منى فيما يخص عملى (وهذا كان رأى المقدم، وهو أننا يمكن أن نوافق على كل شىء فى مرة واحدة كما أفضى بذلك السكرتير) وأيضا قد أدركوا أنى جئت لافك الاسرى ولاثبت السلم وأقر التعامل التجارى ثم لنعمى أعين الاسبانيين فى النهاية.

وفى بضعة ايام بعد ذلك أذيع قرار يقضى بأن لا يباع أو يشترى أى انجليزى من الآن فصاعدا سواء من الاتراك أو ممن وقعوا فى الاسر، ولكن يعامل معاملة الاحرار كما كان سابقا، ومن خالف تجرى عليه اقصى العقوبات، على أن برتغاليا من هؤلاء الرجال كان يأتى فى أوقات متعددة يزورنى، ولكن في الحقيقة كما لاحظت كان يأتى ليفحصنى حيث أجبته طبق المرغوب.

كان هؤلاء الموريسكوس باستمرار يلازمنى واحد منهم أو أكثر، ولا يرغبون فى سماع شىء كما يرغبون في أخبار الحرب ضد اسبانيا، ويتداولون معى الاحاديث ويقرأون فى الانجيل الاسبانى الذى كان معى، كما كان معهم ايضا انجيل يمتلكونه فيما بينهم، ولكنهم كانوا يشتاقون الى الذى معي كما يشتاقون الى كالفين CALVIN (I) والى كتب اخرى فى ديننا، وقد وعدتهم بأنهم سيحصلون عليها بكثرة فى اللغة الاسبانية .

نعم كل من المغاربة واليهود جميعا لا ينصتون الى شىء كما ينصتون الى أخبار الحرب ضد اسبانيا، والسلم والصداقة مع انجلترا، مع عطف عام ورغبة صادقة نحو شعبنا، بل حتى نحو ديننا المسيحى، مراعين بلا ريب أن الله له أصبع يقلب بها قلوب جميع الخلق، وأنه يستطيع أن يوجهها الى أى طريق يرضاه بل حتى قلوب الملوك كما يقول سليمان .

(I) كالفين أحد رجال بعض المذاهب المسيحية .

أنا أعتقد أنه من واجبى لله ولصاحب الجلالة أن لا يضيع هذا الوقت من عملى سدى. كل المسيحية الآن فى السلاح، ولكن لتنفخ فى تلك النار التى أوقدت من قبل، وان شاء الله سأثنى هذه الاجراءات بتلك الحملة التى بدأتها بأن ذلك ربما سينمو مع الزمان ويتحول الى أعظم شعلة تقضى فى النهاية على العدو، كلا بل أتجرأ فأزعم فى ذلك أن فم الله قد نطق به فان بابليون (I) BABYLON سيسقط كما هو فى الوحى، اعملوا فضلاء أيها الانجليز النبلاء، سيروا بشجاعة كما كنتم فى الازمان السابقة فانه واقع انه واقع الخ.

وأخيرا اتى الى فكرى ــ وأرجو أن يكون ذلك من الله أيضاً ــ أن أكتب منشورين عامين بالاسبانية، أحدهما الى المغاربة والآخر الى اليهود، وبمجرد ما سمعت أن الاسطول كان على الشاطىء (2) ناولتهما الاندلسيين ليقوموا بتوزيعهما، كما كتبت منشورا وتحذيرا آخر بالاسبانية الى الاسبانيين أنفسهم والى البرتغال، وكل هذه المنشورات الثلاثة فى أسلوب لا يمكن أن يستثنى لا المغاربة ولا اليهود ولا الاسبان، أما بالنسبة الى الاول والمغاربة فأنا متأكد من أنهم لن يستثنوا أنفسهم، لانهم كانوا من ذى قبل قد تقبلوا ذلك واتخذوا الطريق الى تنفيذه، واما بالنسبة الى الآخرين فانهم اذا لم يذعنوا فلن يقدروا جميعا ــ ودمهم سيكون على رؤوسهم ــ أمر الله وكلمته، لابد من تنفيذه، وذلك بكل صرامة كما يبدو فى ذلك.

وقد أرسلت نسخة من المنشورات مع الرسول الذى يستطيع ان يبلغ الى سعادتكم هناك مهما اخر حيث انه من الممل جدا أن يكتب هنا . . . .

وهكذا بالنسبة الى حالة البلاد فى الوقت الحاضر، فانى أرى من واجبى جدا أن أخبر سعادتكم بما يجرى فيه، وأن أظل هنا الى أن أعلم مدى مشيئة سعادتكم، غير مدرك مقدار ما يهم هذا المكان فى الخدمة الحاضرة (وما عزم عليه أقصد اليه) من حيث ان الاسطول قد يكون أحسن وأسرع تزويدا هنا من أى مكان آخر من أراضى البربر، كما أنى غير مدرك مدى ما تلاحظه سعادتكم فى عرض المقدم .

وفيما يخص احتلال سبتة، فان ذلك يكون مناسبا جدا لمصلحة سفننا التجارية المرتبطة بالمضيق حيث انها ستتقوى وتزود بكل الضروريات من وقت لآخر ومن انجلترا، وحيث اننا اكتسبنا صداقة تطوان وكل البلاد التى حولها، وقد وعدت بكل المساعدات فان أقل حامية تستطيع أن تحتل هذه المدينة ، ومن هناك يمكن لتجارنا ان يروجوا تجارتهم بكل سلام ويتمكنوا من الاسواق

I) هى عاصمة الكلدانيين او اية مدينة سيئة او روما.
2) شاطىء قالص.

بكل بضائعهم، سواء فى مملكة فاس أم فى أمكنة أخرى تحس بالحاجة الملحة اليها وتدعو الى التجارة (معنا) ولكن الشىء الرئيسى والجدير بالاعتبار قبل كل شىء، هو مجد الله ومزرعة الدين فى هذه الاجزاء الخصيبة بالايمان المسيحى الذى صاحب الجلالة حاميه الرئيسى، فاذا وضع ذلك فى الميزان، فانه سوف يرجح الجميع، حيث ان له هناك أعظم أرجحية كما يبدو، سواء بالنسبة الى اليهود أو الموريسكوس الذين هم فى معظمهم مسيحيون بقلوبهم من ذى قبل، كل هؤلاء سيكونون رعية (لنا) نعم وحتى المغاربة أنفسهم حيث إن صاحب الجلالة لا يحتاج الى تزويد، سواء من الرجال او من كل ما تنتجه هذه البلاد الا عرض عليه من وقت لآخر، واذا امتلك صاحب الجلالة جبل طارق فانه يتحكم فى المضايق وبقية بلاد البربر التى هى على الشواطيء والتي احتلها الاسبان، ولا تستطيع أن تعيش طويلا لافتقارها الى القمح ومواد أخرى من الذخيرة بحيث يقال انهم فى الوقت الحاضر يقعون عند أعظم احتياج الى ذلك. نعم، وحتى في اسبانيا نفسها، ولكن فى هذا المكان من بلاد البربر توجد اعظم ذخيرة، على أنى آمل أن تكون المعمورة أيضا فى قبضة صاحب الجلالة للاسباب المذكورة سابقا، ولان النهر يجرى منها الى فاس، حيث إن صاحب الجلالة تكون له السيطرة على اسبانيا بواسطة البحر، وتكون هذه المدينة ملاذا لسفننا فى كل العمليات الواجب اتخاذها. . مولاى زيدان يحتل سلا، وهى بعيدة عن المعمورة بخمسة عشر ميلا، ولكن أى حكم له هناك ؟ انه فى الوقت الحاضر يعتمد على العرب الذين قوتهم الرئيسية فى خيولهم، أنا لا أدرى قوة هذا الحكم .

عملت حينما تقلدت اولا مهمتى فى هذه الخدمة، على أن يكون لي حكم على بعض السفن الصغيرة أو غيرها، لنضع اولا تحت حوزتنا سلا، ومن هناك نملك باقى المدن من القطر، مدركا أن يكون ذلك بأسباب مختلفة، وبتبديل الخطة حسب الطوارىء، وقبل هذا الوقت بزمن طويل كنت أستطيع أن أحقق ذلك بواسطة مولاى زيدان، ولكن الآن أنا غير عالم كذى قبل بمدى ما يسعفنا هذا المكان فى المهمة الحاضرة، أرجو الله أن يسير كل الامور الى أحسن .

وقريبا أتى بعض الاسرى من سلا الى هنا ليباعوا، وقصوا علي كيف كانوا والاسرى الآخرين الانجليز يعاملون هناك بقساوة، وأنهم قد أسروا بواسطة هذه السفن المنتمية الى سلا التى هى تحت حكم مولاى زيدان (ظانين أنهم قد أتوا الى القنوات الانجليزية وليست بعيدة عن سلا) وهناك رأيت الاسرى وهم على الاغلب ستون ينتمون الى الارض الجديدة، والآن هؤلاء المقدمون وقد وقفوا على مثل الشروط مع مولاى زيدان، ولهم أعظم حكم هنا سواء فى المدينة أم فيما جاورها من البلاد، فانى أرى من واجبى أن أعلم سعادتك بكل هذه المسالك، موضحا بخضوع كل شىء لسعادتك، مفتقرا الى

نصائحك الغالية لتشيروا علي بما يجب عمله، سواء فى صيانة شرف صاحب الجلالة، وتوجيه الخدمة الحاضرة التى يوفقها الله وأعمال صاحب الجلالة الحسنة، أم فى الاسرى المذكورين سابقا، والتجار الذين يتعاملون هنا أو فى أى مكان آخر. والذى فى نظرى انه الخطة المثلى هو ان نحصل على مفاوضة مع الجميع فى اسرع ما يمكن ، حيث ان التجارة هنا أحسن وسيلة وسياسة تخدم بها امراء المسيحية ، لنفدى اولئك المدنيين والحربيين من الكفار بعناية الله الخاصة التى بعثت بينهم، وايضا فان هؤلاء سينمون اقوياء خصو صا الآن. إن العالم المسيحى جميعه فى حيرة عظيمة فلنوجه قوتنا الى كل الاطراف.

وهناك على الخصوص نقطتان قد سلف ذكرهما ، وهما سبتة والمعمورة، ومن السهل الاستيلاء عليهما ، وبواسطة الطريقة التى سبقت ان نضع باتفاق قوة فى الداخل وأخرى فى الخارج من المضيق، نعم حتى من الاسبانيين أنفسهم فاذا امتلك صاحب الجلالة جبل طارق أو أى ثغر قريب الى تلك الجهة، فواحد يثنى الآخر ولا اشك فى احتلال اسبانيا نفسها أو البرتغال، كما لا أشك فى أن بلاد البربر التى تئن تحت نير ينافى المسيحية، ستسقط الى جانب أو تفر الى آخر كما يشاء الله، صادرا هذا عن بابيلون بالنسبة الى اولئك الذين بعثت اليهم (1) برسالتى او تحذيرى، فقد وصلهم ذلك وأرجو أن يكون وفق المطلوب، كما يكون للطائفتين الاخريين (2) بدون كل استثناء، فيتخذ ضد أية واحدة منهما كما قلت أى استثناء معين، وأنا لا أشك فى أن الله قد وضع من ذى قبل فى قلب صاحب الجلالة الذى هو الحامى الحقيقى للايمان وأمراء المسيحية الآخرين، أن يصنع جميلا، ففى هذا أيضا قد ملكت التفويض الكافى الذى يحفزنى على العزم .

أما ذهابى الى مولاى زيدان برسائل صاحب الجلالة، فان ذلك يجب أن يكون عن طريق البحر لا البر، حيث ان حالة القصر الآن واقفة، بل حتى المقدمون مع خلو ذمتهم، لا يسمحون لى بذلك لانهم يقولون لى اذا أنا فقدت فسيكون ذلك فى حرمتهم أو تحت ملجأ مقدس، وستتوجه اليهم من أعظم أمير تهمة فى حق كفالتهم، ولكنى بعيدا استطعت ان أقارن بين كلامهم وكلام الآخرين، فعلمت أنهم لا يهتمون مطلقا بذهابى الى مولاى زيدان، قائلين، انه يعد كثيرا ولكنه ينجز قليلا، أما هم فانهم سيكونون أحسن من وعدهم حينما يحين الوقت المناسب، لهذا فانى باق هنا، وسأظل فى حيرة حيث انى لا أعلم كذى قبل ما هى مشيئة صاحب الجلالة، لانى اذا ذهبت الى مولاى زيدان فهؤلاء المقدمون ربما سيغارون كثيرا من ذلك، وربما من خوفهم منه سيركنون

---

1) يعنى الاسبان والبرتغال.

2) هم المغاربة واليهود .

الى الاسبان، حيث اننا لن تكون لنا حينئذ أية نجدة من هذا المكان، وحاكم سبتة (كما قال بعضهم) كان قد أرسل لهم من ذى قبل فى ضمانة او حماية اذا هو وضع عند الاستعانة به، وهنا رجلان مقيمان للجاسوسية فقط، وللاعلام بكل الحركات، ولكن فى الوقت نفسه فانى قد كتبت الى مولاى زيدان بوصولى هنا حاملا رسائل صاحب الجلالة حول الشروط العامة التى سبقت بينى وبينه، مذكرا اياه بوعده السابق، لاعلم مدى مشيئته، فاذا سر سعادتكم أن أذهب الى هناك، فانى سأكون عند أول ريح تهب من هنا فأسافر عن طريق البحر مع اول ريح شرقية (الابيض المتوسط) فى أى مركب صغير سأكون مستعدا ان شاء الله .

لهذا فانى فى انتظار العلم بمشيئة سعادتك الخ. الامضاء

جون هاريسون

تطوان 20 يوليه سنة 1625 (يوافقه 14 شوال 1034)

(ملحق)

«الاندلسيون هنا قد كتبوا الى أصدقائهم فى سلا وفى أماكن أخرى ليستعدوا، وقد ترك احد الموريسكوس هذه الاسطر معى وهى مرفقة هنا حيث تدرك سعادتك منها الاتجاه العام للجميع، وفيها أيضا بعض التنبؤات القديمة لهم تؤول الى ذلك التأثير الذى أرى من المستحسن أن يثنى بتفسيرها بأمانة حقيقية لنا ـ صادرة عن كلمة الله ـ وهذه هى الاسطر المذكورة :

CON EL FAVOR DE DIOS LOS MOROS Y LOS YNGLEZES TOMARAN A ESPAÑA Y CON LOS SANTOS Y CRUCES GUISARAN LAS COMIDAS Y DESTROYRAN A ESPAÑA Y SERAN TOTOS ERMANOS Y AYUDARÁ DIOS A LOS QUE MANDAMIENTOS SEGIEREN Y DIOS SOBRE TODO.

وتعريب هذه الفقرات التى هى باللغة الاسبانية هو ما يلى :

بفضل الله، الموريسكوس والانجليز سيسيطرون على اسبانيا وبفضل الاولياء والصلبان يقومون بطهى الاطعمة ويحطمون اسبانيا فيصبحون جميعا اخوة يتعاونون ـ بفضل الله ـ مع الذين يتبعون اوامره، والله فوق الجميع .

ثم كتب هاريسون المذكور أيضا الى م. بوشنكام Buckingham ما يلى (1)

سيدى. قد أرسلت قريبا رسولا عن طريق البر الى سلا، ولم أسمع هنا أى خبر أكيد عن الاسطول .

أبواب سبتة وطنجة مغلقة من زمن طويل، ولا يسمح لا لمغربى ولا ليهودى بالدخول اليهما ولا بالخروج منهما، واخيرا قد فرت سفينة انجليزية من مالقة وأتت الينا بخبر عن الوصول الثانى السعيد للاسطول الانجليزى الى قالص فاستقبل ذلك بالشكر لله.

(1) ص 589

أرجو أن تكون رسائلي الاخرى عن نفس طريق سلا قد وصلت الى سعادتك قبل هذه، كما أن تكون الاخرى قد وصلتك مع رسل أخر حول الاشاعة الكاذبة بأن الاسطول كان رئى بجوار الموانىء. وقد كنت بعثتها فى سفينة ألمانية، ولا أعلم ما اذا كانت قد وصلت الى سعادتك شخصيا بهذا الخصوص حتى الآن بواسطة هذه السفينة. ولهذا فانى أرجو من سعادتك أن تسامحنى اذا كنت أخطأت أى سبيل فى هذه الرسائل، ومهما يكن فانى متوقف ومقيم هنا الى أن أعلم من سعادتك مدى مشيئتك وخوفا من ان تكون رسائلي السابقة لم تصلك فانى قد ارسلت ايضا رسولا ثالثا يمكن ان يقص على سعادتك كل الحوادث هنا.

وكنت أود أن أقدم بنفسى، غير ان المقدم ربما لا يسمح لى بذلك الى أن تأتى أخبار أخرى اكيدة ارجو الله ان يحقق ءامال سعادتكم الخ.

تطوان 3 نوفمبر سنة 1625 (يوافقه 2 صفر 1035).

ثم ان هاريسون المذكور كان قد كتب من تطوان ايضا فيما بين 13 يونيه و 30 يوليه سنة 1625 (رمضان ـ شوال 1034) رسالة وجهها الى السلطان مولاى زيدان، وقد جاء فيها ما يلى (1)

... بصرف النظر عن كل المكدرات الفارطة وخدماتى السابقة المؤلمة ورحلاتى التى كانت تهدف الى السلام والاتحاد بين جلالتكم وبين مولاى الملك أمير السلام الذى هو الآن بحمد الله قد سرى مفعوله من زمن قريب حتى الآن، وذلك الموجب الذى قد عرض ـ حيث انى لا محالة كنت قد أخطأت فى حق جلالتكم بمثل تلك الاجراءات الخارجة عن حد الصبر، اذ وضعت على طول الطريق سفينة فى ذلك الوقت فى طريق اسفى كانت تعلو وتنحدر طول سنة بأكملها بدون الحصول على أمر مطلقا من لدن جلالتكم او أجوبة منكم عن رسائل مولاى الملك مما جعلنىأعتبر ذلك أعظم اهانة متجهة الى اعظم أمير قد اتيتمن عنده

والآن وقد عدت مرة اخرى برسائل مولاى الملك الذى هو الآن الملك شارل CHARLES وهو بناء على توضيحاتى راغب فى تجديد الصداقة السابقة التى ابتدأت بين كل من أسلافكما واضعا اياى موضع الثقة فى أعمال هامة ترسل الى جلالتكم ـ كما ستبدو من هذه الرسائل، ولكنى وقد رسوت في تطوان على سفينة من سفن المضيق، فكرت هنا فى أن أذهب الى سلا، ومن هناك بالبحر الى أسفى، ولكن المقدمين قالوا لى ان الطريق البرى مخوف جدا.

ولهذا فانه من المستحيل علي أن أسافر بواسطة البر، بل انهم لن يسمحوا لى بذلك قائلين، انى كنت فى حمايتهم، فاذا حصل أن هلكت فى طريق البر فربما يأتى من أعظم أمير اتهام يقع عليهم .

(1 ص 571

ولهذا فأرى أنه من واجبى أن ألفت نظر جلالتكم الى أنه اذا كانت هناك أية سفينة من الاسطول راسية على ميناء أسفى أو سلا فى هذه الايام لتستعلم عنى، فلعله مما يسر جلالتكم أن تكتبوا الى قوادكم هنا للمداولة معهم ممن يكون له نفس التفويض الذى حصلت عليه من مولاى الملك أو قائده الاعلى فى الحالة التى ربما أضيع فيها والتى من الحكمة أن تتدارك فيها مثل هذه الحوادث، ومهما يكن فانى على العموم فى احتياج كبير الى ما تقترحه جلالتكم سلفا، ومن هناك يمكن لجلالتكم أن تدركوا أكثر من كل أحد أنه حينما كنت معكم، كان يسر جلالتكم أن تتذكروا أنكم وعدتمونى بأنه اذا كانت هناك حالة شبيهة بالحرب وتسترعى انتباه جلالتكم، فانكم ستقدمون لنا مساعدتكم، وها هو الوقت الآن قد حان والا فلا ليتوجه كل من الانجليز والمغاربة ضد عدوهم المشترك، وأنا لا أقول أكثر من هذا، أنا فى انتظار مشيئة جلالتكم الخ

رسالة من المجاهد العياشى الى ملك انجلترا عام 1036

وهذه رسالة بعثها الشيخ المجاهد أبو عبد الله العياشى من سلا الى شارل الاول ملك انجلترا، وقد تعرض فيها لذكر تطوان (1)

الى الامير الاعظم .

ان العلاقة التى قام بها معكم جون هاريسون خادم جلالتكم، والتى أحكمها معى فى سفرته من تطوان الى هذه المدينة من سلا كانت عملا صغيرا فى حق المعاهدة والالتزام الذى كان على كل منى وهذه المملكة أن يقوم بالخدمة على مقتضاها لجلالتكم واسمكم، والعظمة التى أنتم جديرون بها، لهذا فانى أرجو أن تأمرونى بكل ما عساه أن يسر مشيئة جلالتكم وخدمتكم (2) .

أنا مسرور جدا من السلام المعقود بين سكان هذا الحصن من الاندلسيين ففيه كل خير وصلاح لجلالتكم وللجميع هنا ولتأييد ما كان قديما بين المملكتين والله يحفظ ويوفق جلالتكم ويزيد فى قوة مملكتكم.

من معسكر سلا، 2 رمضان سنة 1036 (3).

---

1) ترجمها لنا الاستاذ محمد بن تاويت عن الاصل الانجليزى الموجود فى ص 23 من المجلد الثالث الانجليزى. طبع باريس سنة 1936.

2) إما أن كاتب أصل هذه الرسالة كان ترجمانا يهوديا متعودا مثل هذا الخضوع المزرى، وإما أن الشيخ العياشى كان من الدهاء والمرونة بدرجة تسمح بمثل هذه المجاملة سعيا وراء الحصول على ما كان فى حاجة اليه من مواد حربية او غيرها .

3) هذا التاريخ يوافقه 18 مايو سنة 1627 وان شئت فانظر فيما يأتى رسالة كتبها الملك شارل المذكور الى المجاهد العياشى بتاريخ 12 اكتوبر 1627 موافق 1 صفر 1037 .

تقرير انجليزى عن احوال المغرب وتطوان عام 1036 هـ - 1627 م.

وكتب المستر جون هاريسون JOHN HARRISON الانجليزى الى شارل الاول ملك انجلترا تقريرا ضافيا ضمنه من أخبار المغرب عموما وتطوان خصوصا، ومن مساعى الشيخ المجاهد أبى عبد الله العياشى ومواقف السلطان زيدان وأماني أندلسيي تطوان والرباط وسياستهم ومغامرات الانجليز ومساعيهم الخ ما لا نجد له تفصيلا فى مصادرنا العربية، ودونك ترجمة أهم ما فى ذلك التقرير (1) المؤرخ بحادى عشر سبتمبر سنة 1627 م (الموافق لتم ذى الحجة عام 1036 هـ) :

لتسعد جلالتكم. قبل الحملة الاخيرة لاسطول جلالتكم الملكى العظيم الى قالص، شاءت جلالتكم - بناء على بعض الانباء التى كنت سلمتها الى السيد البرطوس مورتون SIR ALBERTUS MORTON وقد ترك منصبه كاتبا رئيسا فى حكومة جلالتكم - أن تستخدمنى من قبل فى أرض البربر لاختبر وداد واتجاه هؤلاء الناس، وخصوصا الاندلسيين أو الموريسكوس الذين طردوا من اسبانيا، والقسم الاعظم فى أرض البربر، يصلح للعمل مع القوم، بحيث إن لجلالتكم أن تعملوا أعظم عمل على كل الاحوال، مدركين أن القطر الاسبانى قريب ومتأخم جدا، ولتتخذوا السبيل لمهمات أخرى من مثل الزاد والمأكولات وحاجيات الاسطول التى ربما تشتد علينا الحاجة اليها.

والحمد لله أن جعل طريقى قصيرا بحيث إننا فى تسعة أيام كنا قد أبحرنا من دوفر DOVER ووصلنا الى شاطىء ارض البربر، وعند وصولى الى تطوان داخل المضيق حيث يقطن اعظم عدد من الموريسكوس، قد وجدت كلا منهم ومن المغاربة مستعدين ومتحمسين الى أقصى ما كنت أتوقع. فكلهم يعرض خدماته على جلالتكم وعلى حسابهم الخاص وسلاحهم وكل ما يحتاجون اليه من زاد وغيره، وبالجملة فهم مستعدون للمخاطرة بأرواحهم مثل رعاياكم منتظرين بفارغ الصبر تلك القوة العظمى على حد تعبيرهم، الشهيرة والمرعبة والتى جعلت كل شواطىء اسبانيا والمغرب تضطرب حيث إن الاسبانيين يجلبون حامياتهم من وقت لآخر كما قال لى المغاربة، ولكن النتيجة وهى لا تجيب بشىء عظيم متوقع، حيث إن اشارة صاحب الجلالة على إثر تتويجه، كانت كأولى أعمال الملوك ملاحظة، مما ألصق بجلالتكم ما ينافى الشرف كثيرا والخزى بكل من شعبنا وعقيدتنا، هذا الشعب المحب للحرب قد فقد فكرته الاولى فها هو العدو قد كان مرتجفا والآن منتصر مع كثير من الغرور والصلف مع أن

---

(1) ص 30 من المجلد الانجليزى الثالث بقلم صديقنا الاستاذ محمد بن تاويت حفظه الله.

المغاربة واليهود قصوا علي قصة عن اسبانيين انفسهم من سبتة وطنجة، أنهم يقولون ان ليس الآن فى انجلترا غير البط فكلهم دجاج فى ثياب الشجعان .

المغاربة وخصوصا الموريسكوس يأملون ان تكون الساعة قد حلت لارجاعهم اسبانيا بناء على تنبؤاتهم القديمة، وهم يميزون حنقا وغضبا لهذا السبب مثل رعاياكم .

لا سفينة بالمرة ولا رسائل الاشارات أو التلميحات تأتى الي كما كانت موعودا بها وقد أثيرت شبهة فى بعضها أنى جئت كجاسوس وأشياء أخرى، ولكن لكونى طالما كنت عاملا فى هذه النواحى من ذى قبل ومعروفا بينهم، فقد جلب ذلك الي أحسن أنواع الآراء في، وعلى ذلك فقد كتب لى مقدمو تطوان الى جلالتكم عارضين فى أية فرصة مساعداتهم على جلالتكم بكل قواتهم ، وكذلك مقدم أنجرة القبيلة المجاورة لهم، وكذلك الموريسكوس الذين يحكمون الآن فى سلا قد بعثوا الي بأنه اذا جئت اليهم للتعامل معهم، فانهم سيخلعون مولاى زيدان الحاكم الطاغية الذى كان السبب فى أسر كثير من رعايا جلالتكم وفقد سفنهم وضياع بضائعهم وأرواحهم، وهم يضعون أنفسهم جميعا تحت حماية جلالتكم كرعاياكم الخاصة بكم، وللقيام بخدمة جلالتكم قد اتخذت أشد الاسفار خطرا مسافرا من تطوان الى سلا مختفيا فى شخص قاطن مغربى (والبلاد خطرة جدا لسفر الاجانب، والجميع فى فوضى لا يعترف بملك) ثم أدركت أن الاسبان يتربصون بى الدوائر ليغتالونى بواسطة الاعراب الذين يبيعون آباءهم بالمال، وقد سافرنا فوق الجبال العالية وسلكنا الربى القريبة من فاس لتجنب هذه الاخطار، وتلبست بشخص مغربى فى جماعة أعظمها راجل مكشوف السيقان فى صفة حجاج، على أننا قد أتينا السهول وأقمنا بجانب القصر حيث كان معلوما لنا أكبر خطر يهددنا، فهناك من يترقب اغتيالنا مقابل ألف دوكة تحمل الى العرائش او المعمورة، ولكن والحمد لله أن التقيت برجلين شريفين من المرابطين او الصالحين الذين كانوا محترمين جدا فى ذلك البلد (فأتى أحدهم ليقابلنى بسلا وهو ولي مصمودة) وشيخين شريفين يحكمان بمحلهما أو قبيلتهما فنقلنى هؤلاء من مكان لآخر مرة فى النهار ومرة فى الليل الى أن وصلت سليما من كل خطر الى سلا القديمة حيث الولي الاعظم سيدى محمد العياشي الذى يخضع لحكمه الجميع، الذين عرضوا على جلالتكم خدماتهم لاحتلال المعمورة أو العرائش أو أى مكان احتله الاسبان من شواطىء البربر، راغبين أن تقع هذه الشواطىء بأيدى جلالتكم بناء على تلك الصداقة القديمة والصناعة والتجارة التى كانت تتبادل دائما بين الانجليز والمغاربة قديما، ولكن يستحسن أن يزحف ليلا الى المعمورة عن طريق البر وتهاجم من طريق البحر على بعد ميلين منها .

ولما أتيت الى سلا التى هى على الجانب الآخـر شمـالا والموريسكوس الذين يحكمون على القلعة المدينة المبنية حديثا على الجانب الآخر جنوبـا قد أرسلوا لي هنا أن أبقى حتى يبعثوا قائد مولاى زيدان ـ عبد العزيز الزرورى ـ وكذلك قد أشـار علي الـولي مضيفـا اياى بمنتهى الكرم، طالبـا أن أعده بأن أرجو من جلالتكم أن تحتلوا المعمورة ؟

وبعد ما ذهب قائد مولاى زيدان، بعثوا وراءى فـى الحال الـى القلعـة، عارضين خدماتهم أيضا على جلالتكم بكل حرية، واطـلاق سراح كـل رعايـا جلالتكم الذين أسروا فى حكومة مولاى زيـدان وبيعـوا واشتـروا من جماعـة لآخرين، بأن يرضوا مواليهم بعروض أخرى، وهم راغبون فقط مـن جـلالتكم فى 14 قطعة نحاسية من المدفعية، وكميـة من البارود والفسـك ليدافعـوا عن أنفسهم الاسبان وأعداءهم الآخرين، ولكن مـع كل فانهم يعرضـون أنفسهم جميعا على مشيئة جلالتكم فى كل حال كما يبدو من أقوالهم، وعندئذ وعدت بأن جلالتكم ستجازونهم وتعاملونهم بكل ثقة ونبـل كما هو الشأن فى الملـوك الـعـظـام .

ولما اتخذت طريقى على هذه الشروط، أبحرت راكبا كـل الاخطـار فى سفينة صغيرة لفلامنكي من رجال القرصنة كان قد رسا هناك صدفة ليصلـح بعض الخروق فى سفينته مزودا بزاد خمسة أشهر، وعلى أمل معاكس أن يلتقي بسفينة أو أكثر فى البحر تنتمى الى انجلترا، ولقد بعث قبطانو القصر لاجـل الازدياد فى السلامة معى القبطان جون وهو ألمانى مرتد، ولكنـه صديق جـدا لشعبنا، مع سفينتين تقلعان بى من الشواطىء خوفا من الاسبان وأربـعة مـن السفن التى كانت فى الطريق، ولكن قبل بضعة ايام والحمد لله.

بعد يوم أو يومين وقد فقدنا القبطان جون فى الليل، التقينا مع ثلاثة من السفن الاسبانية كانت احداها سفينة العبور ـ (احـدى سفن الملك) فأتينا معهم فى اطلاق القذائف معتمدين على بحارتنا، وبـعـد مـا أطلقوا القذائف علينا اشتبكوا معنا، ولكن استرسلنا مع الـريح وأحسنا الابحـار، وبعد لحظة أخذوا سبيلهم وتركونا فعجبنا لذلك واتجهنا فى طريقنا ووقفنا بعدهم حيث بعثنا فى الحال أحدنا الى المركز الرئيسى ليطلب خمسة من البحارين زيادة على ما كان لنا ثم بدا أن القراصنة الاسبان ظنوا أنهم منا فتركونا حينئذ، والحقيقة أنـه امتحان للقبطان جون الذى فقد منذ اسبـوع، والذى كـان قد أسـر اثنين من HAMBURGERS كانا ءاتيين من مالقة وخمسة من تجارنا الانجليز فـى طريقهم الى وطنهم، وقد أطلق سراحهم وسلم قيادهم الي كما يصنع دائماً مع الانجليز فلا يضر احدا منهم ولكن البضائع يأخذها، وقـد وضعنـاهم فـى قـارب صغير

وسيرناهم فى الطريق ليأتـوا معنا هـم والـ HAMBURGERS المنتمين الى هولندا وكانوا قريبا ما نهبوا بواسطة الاتراك .

وفى هذه السفينة الصغيرة التى لا تزيد على أربعة أطنان، لم يكن فيها أكثر من قطعة مدفعية للدفاع عن انفسنا، بل بالكاد لم يكن الزاد الا مـا أعطاناه القبطان جون فوضعت نفسى بين مواطنى وظللت معتمدا علـى العنايـة الالهية التي لم تضيعنى أبدا ـ ولا أنا أرجو جميلا ـ خصوصا فى النهاية وفى رحلاتى هذه اولا واخيرا متاحة لى فرصة بعد اخرى من العظمة بمكـان كمـا لو كانت الظروف كلها فى كل يوم محسوبا حسابها لى، ولهذا فلا يمكن ان يفكـر ان لله أصبعا فى ذلك تسيرنـا على خط مستقيم والحمد لله بـدون ان نرى بحارة آخرين الى أن وصلنا الى الموانىء الانجليزية .

وصلنا الى FALMOUTH فى 14 من ماى سنة 1626. وكنا فـى نفس اليوم من الشهر الذى بدأت فيه اول رحلة من انجلترا الى بلاد البربـر 1610 . . . . (الى أن قال الكاتب (1) : وفى يوم الخميس 11 يناير سافرنا مرة أخرى على ظهر سفينة DARTMOUTH وكان فى رفقتنا أيضا ثـلاث سفـن أخرى تتجه الى ناحية الجنوب، وفـى الصبـاح التالـى باكر كنـا قد وقفنا مع DUNKIRKER فأطلقنا عليه القذائف، ولكنه لم يجبنا مـرة أخرى ولا هـو ضرب، واستعد بقايا بحارة السفينة للمخاطرة وتركناه لكونه فى العميق وليلا نضيع على التجار رحلتهم ، وكانت الريح قليلة الى يوم الاحـد حـول الظهـر فارتفعت فحمدنا الله علـى أن أرسـل الينا عاصفـة طيبة منعشة بحيث اننا فى سبعة أيام بعد ما سافرنا من انجلترا وصلنا الى شواطىء البربر، وكذلك كنا سلكنا المر الخطير الى تطوان، وكان سلوكنا سليما أيضا، وتعجـب من ذلـك البحارة انفسهم قائلين ـ كما صنعوا فى الرحلة الاولى من ذى قبل ـ انهـم بالتأكيد أدركوا أن ذلك كان وفق بعـض الاعمال الطيبـة حيث ان الله أرسل علينا ريحا طيبة عجيبة، وسرعان ما كنا فى ظرف يوم سنرسو على شواطىء سلا فى الشمال، ولكن أولئك التجـار ـ وكان لهم حمل ثقيل من البضائع ـ ترجونى أن يرسوا أولا عند أسفى فى الجنوب ليمارسوا ما عساهم يستطيعون أن يعملوا هناك، وربما كنا من قبل بعيدين عن المغرب خوفا من القرصان الاسبان حيث قالوا انهم استطاعوا بصعوبة ان يأتوا الى سلا التى بها نزلت بمأموريتى السابقة، وأذنت للتجار بناء على هذه المناسبة، أن تكون لهم الحرية فى تصريف بضائعهم فى سلا ... (الى أن قال) ... (2) : كـان الهـواء فى ذلك اليـوم اكثر

1) ص 36.
2) ص 39

تشعبا بالرطوبة وقد اضطرتنا الرياح الهوج الى أن نتوقف عن الابحار خمسة او سبعة ايام حيث لطف الجو بعض الشيء ، فاتينا الى المعبر مرة اخرى ، واضطررنا الى ان نعبر المضيق نحو تطوان ، وفى الحال ابتدأت الرياح تهب منعشة مما جعلنا نخرج مرة اخرى الى عرض البحر ، ولكننا لم نستطع حيث ارتفعت الرياح واشتد هبوبها اكثر من ذى قبل متجهة الى ناحية الغرب ملقية بنا فى البحار العظيمة (المحيط) وحينئذ خفنا على انفسنا من ان نقيم الصوارى العالية والقوائم على ظهر السفينة ، وبقينا بين الحياة والموت ثلاثة ايام . . . .
الي ان قال : (I)

... الحكام جميعا قد استنكروا اعمال مولاى زيدان الطاغية المذكور وحكمه القاسى الذى هو اصل لكل هذه الشرور ، وقد كرسوا انفسهم جميعا ليكونوا فى خدمة جلالتكم ، وقد وجد عليهم مولاى زيدان لاطلاقهم سراح رعاياكم (وخصوصا بعض اطفال الانجليز الذين ختنوا واصبحوا مغاربة مضطرين) ليذهبوا الى بلادهم ويعودوا مرة اخرى الى المسيحية لهذا كتب اليهم رسالة مستعجلة جدا يوغر فيها المغاربة على الاندلسيين بانهم قاموا بمؤامرة سرية ليخلصوا القلعة ـ قصبة الودايا ـ الى ايدى جلالتكم ، وليصبحوا مسيحيين ، وان سلا مع ميعاد مع الموريسكوس المحنقين فى كل اقطار المغرب ليتجمعوا هناك والحقيقة ان لهم الحق فى ان يظنوا ذلك .

القلعة الآن محصنة بالمدافع النحاسية والصخور ، وهى على استعداد لتعبئة هؤلاء الذين هم ـ على كل حال ـ أشباه المسيحيين ، وقد انصاعوا هناك الى رئيس، مما جعل مولاى زيدان يأسر بعض رؤساء الاندلسيين فى مراكش وترك الباقى فى عزلة تامة وهذا سيكون ايضا موجبا آخر لاكراههم على أن يعودوا ويتقهقروا من كل النواحى الى سلا ، وقد أتت عشر عائلات دفعة واحدة من تطوان .

وحتى الآن لا زالت مكاتبات عظيمة مع الولى العظيم سيدى محمد العياشى الذى يحكم تلك النواحي من سلا الى تطوان وله رغبة أكيدة نحو جلالتكم وعداوة شديدة نحو الاسبان، ولهذا فهو يعرض مساعدته على جلالتكم بكل قواته لاحتلال المعمورة أو لتأدية اية خدمة أخرى كما وضحت قبل لجلالتكم . وقد سلمت اليه رسالتكم فى سلا القديمة وهى على الجانب الآخر من النهر فسر بذلك سرورا عظيما وعاملنى بمنتهى التقدير والاحترام كما صنع فيما قبل حينما أتيت اليه من تطوان ، وقد ذهبت اليه مرتين فكان فى كل مرة يحدث ان السماء تمطر امطارا غزيرة حينما أكون مجتمعا معه ، فلاحظ ذلك بعض المغاربة واعتبره دليلا حسنا على أنى قد أتيت اليهم بحظ وسعد عظيم ، لان

I) ص 43

ندى السماء مرغوب فيه جدا فى ذلك القطر الحار الناشف ، وقد قادونا فى أول لحظة الى قاعته او خلوة عبادته حيث انه لم يصل الى ذلك المكان أى مسيحى من قبلى لان أولئك الاولياء لا يسمحون لاى مسيحى أن يتخطي أبوابهم بناء علي أن معابدهم تتلوث منهم . وفى أثناء أحاديثه قال لي :

ان جلالتكم لكم من التشريف والحب بين المغاربة أعظمه ، خصوصا لو جددتم الصداقة القديمة التى ابتدأت قديما بين هذا الشعب والشعب الانجليزى وأيضا فانهم قد وضعوا في ثقتهم التامة فى أن أنفذ ما وعدت به وأن أرجع اليهم برسائل من جلالتكم وبترضية حسنة على كل حال ... (الى ان قال) :

وعلى وصولى الى تطوان ، كان الاسطول قد خرج من انجلترا وأرسل الله اليه ملكا يسير بين يديه ليلقي الرعب فى قلوب الاسبان كما فعل فى أيام يسوع حيث لم يكن هناك مسيحيون في تلك الايام ليقاتلوا أبطال المعارك الذين سقطوا فى الميدان ...

قتل ثلاثة من أولاد النقسيس

ثم قال المستر هاريسون الانجليزى فى تقريره المذكور ما يلى (I) :

«أما رسائل جلالتكم ـ يخاطب شارل الاول ملك انجلترا ـ الى مقدمى تطوان، فلا يمكننى الآن ان أسلمها اليهم ، لاننى ليست لى سفينة تحملني اليهم غير سفينة التجار التى أتيت فيها ، وقد ارتفعت الضوضاء حولى حيث انى ساعزم على الذهاب بعيدا الى سلا خوفا من الاسبان ، ولو أن جلالتكم قد اعطيتهم تحذيرا ملكيا في تلك الخدمة 280 لبرة لم يسمحوا الا باربعين منها لشركة السفن ، فانهم يكررون تذمرهم فى هذا العمل ، وقد كنت على استعداد لان أمكنهم من قسطى وستين لبرة زيادة على هذا يجعلهم اكثر رضي

واذا سافرت من سلا الى تطوان بطريق البر ، فان ذلك يكون متعبا جدا وبحراسة فوق العادة وفي خطر عظيم كما قد لقيت فى المرة الاخيرة ، لان حالة تطوان وحكومتها قد تغيرت تغيرا كبيرا عما كانت عليه منذ أن كنت هناك وهى لا تزداد الا خطرا بعد خطر ، فقد ذبح الاندلسيون فى مرة واحدة ثلاثة من المقدمين ، وكان احد الاندلسيين من اقدمهم وهو ابو على (احمد أبو على) وانحاز الباقي اليه قائلين ، انهم كانوا حكام المدينة فيما سبق الى ان كان والد هؤلاء المقدمين النقسيس البربرى أو الجبلى وتبعه خلفه فتمكنوا من الحكم بالقوة وجمعوا بها وبالطعام ، الناس حولهم فاغتصبوا السلطة فنجح أولاده الستة واعتصبوا عصابة اخوان مغاربة أقوياء ، وسادوا بالدهاء وبالقساوة كما هو شأن

I) ص 54

كل الطغاة الاتراك الحاكمين فيما سبق . ثم بحثوا عن التمكين بانفسهم وقبضوا على المدينة جميعها واستبدوا بشؤونها منذ وفاة أبيهم الشهير بالدهاء والقدرة ـ واتخذوا لانفسهم مظاهر للهيبة خصوصا أحدهم فانه كان أكثر هيبة من باقيهم وهو سيدى عيسى الذى كان أبوه وهو على سرير الموت قد أوصى اليه برئاسة شؤون العدالة، مستعملا قليلا من العدل وكثيرا من السيف ، ولم يمكن الباقى من مشيئتهم، وكان عدد من هؤلاء الاندلسيين قد سقطوا مع الباقى عند حافة ذلك بدون استحقاق كما قالوا، والى جانب ذلك كانت المطالبة بالوعود ... من كلا الطرفين مما جر الى انتهاكات أخر للحرم كثيرا. ومن بين الباقى سيدى عيسى الذى لاجل انتهاك عرض نساء الاندلسيين واخواتهم «حالة فظيعة جدا فى تلك النواحي»

وكانت آخر الحوادث كما سمعت، أن احدى بناتهم تزوجت حديثا وبينما هى عروس بعث بمن يأتى بها في نفس ليلة الزفاف وشدد على أبويها بواسطة الاصدقاء والاتباع. وكان أبو علي هذا أول الاندلسيين ورئيسهم، فأتى هو وجماعته اليه وكان هو وأخواه الآخران فى مجلس الشراب ـ كما هى عادتهم فى كل ليل ونهار ـ فى بيت أحد اليهود فذبحوهم جميعا بثلاثتهم فى ذلك اليوم. وهذا البيت كان أول بيت أقمت فيه، بحيث ان الاخوة الآخرين وأحد رؤسائهم سيدى عبد الله أبحروا فى ذلك الوقت وجمعوا حولهم كل أصدقائهم وقواتهم لاجل الانتقام من القاتل الرئيس ابى على الذى كان قد فر فقتلوا بعض الاندلسيين وعاملوا بقيتهم معاملة طيبة حتى يبقوا فى بيوتهم ويحتفظوا هم بأموالهم كما كان ذلك من ذى قبل فى حالة السلام ، مما جعل الجميع يرجعون الى بيوتهم .

حينئذ تمكن هؤلاء الاخوة الثلاثة من المدينة ولكن فى خوف عظيم وحراسة متوالية قوية حول أشخاصهم، وقد أرسل سيدى عبد الله من قبل كل ماله الى سبتة محتميا بالاسبان متوقعا أن المدينة ستظل حامية زمنا طويلا بينهم وبين الاندلسيين، لانهم لا يطمئنون الا الى القائم على حفظهم ويتوقعون فى كل يوم أن يعود اليهم أبو علي ويدخل المدينة مرة أخرى ويمكنه أن يقيم فى المدينة حكومة أخرى أقوى معضدا بكل الاندلسيين وغيرهم الى جانب أن له أصدقاء اخرين عظاما فى طريقه الى المدينة، وقد عقد مصاهرة مع مقدمى أنجرة المتأخمة لطنجة، وهم أشد الناس وفاء لجلالتكم، وقد كنتم جلالتكم قد كتبتم اليهم، فللاسباب السابقة المذكورة ولانه من المظنون أن هذه المدينة ـ تطوان ـ ستسقط فى يد الاندلسيين، ستكون النتيجة مع الايام أن كل البلاد من تطوان الى سلا ستساق مرة واحدة الى رياسة واحدة مثل ما ابتدأ الآن من كل النواحي والجهات أنهم يطلبون حقيقة أن يضعوا الاساس من هناك، من سلا الى حيث أول مركز لتطوان، كما صرحوا أن الاندلسيين فى الازمان الماضية بكدهم

واجتهادهم ـ وقد أتوا أخيرا من اسبانيا ـ قد جعلوا من مزبلة رياضا وأجنة مثمرة بهجة خصوصا مزارع الكرم التى غرسوها فى كل النواحى، واتخذوا لانفسهم ذخائر ومؤنا وهي فى ازدياد دائما، لهذا فكرت فى هذه الاسباب لاقدمها الى جلالتكم ولاعلم مشيئتكم فيما بعد، وأكد علي أن أبقى كما وعدت الولى العظيم والاندلسيين كذلك الذين يتوسلون الى جلالتكم باحتلال المعمورة

سبب قتل أولاد النقسيس

قد رأيت فى كلام هاريسون السابق، أن أولاد النقسيس ـ كلهم أو بعضهم ـ كانوا ينتهكون أعراض الناس، وأن سبب قتل ثلاثة منهم هو قضية لها علاقة بمحاولتهم انتهاك بعض الاعراض، الخ. والذى ذكره هاريسون من ذلك يغلب على الظن أنه صحيح .

وقد حكى لي صديقي السيد محمد مدينة نقلا عن المسن المرحوم السيد محمد القطان، أن السبب المباشر لتآمر بعض أهل تطوان على أبناء النقسيس وقتلهم، هو حكاية أخرى لها علاقة أيضا بمحاولة بعضهم انتهاك عرض احدى السيدات الطاهرات وقتلهم لولد لها فى سن الرضاع، وملخص تلك الحكاية، أن أحد اولاد النقسيس، ولعله كان شابا مستهترا، وربما كان هو المقدم عيسى ابن احمد نفسه، انتهز فرصة ساعة الزوال من يوم الجمعة، وهى الساعة التى يهرع فيها جميع الرجال المؤمنين الى بيوت الله لاداء صلاة الجمعة، وتبقى النساء وحدهن في بيوتهن، فاقتحم فى تلك الساعة احدى الديار، وأراد أن ينتهك عرض امرأة شريفة متزوجة، فما كان منها الا أن فرت منه محافظة على شرفها ودخلت بيتها وأغلقت بابه عليها دون أن تتمكن من حمل ولدها الرضيع وادخاله معها للبيت، فطلب منها ولد النقسيس أن تمكنه من نفسها فامتنعت، فهددها بقتل رضيعها ان لم تلب رغبته الخسيسة، فأصرت هى على المحافظة على عرضها ولو كان فى ذلك قتل ولدها، وذبح فلذة كبدها، ويئس ابن النقسيس من اذعانها، فنفذ وعيده وذبح ابنها الرضيع وهى تنظر اليه من شباك بيتها ثم ذهب لحال سبيله دون أن يصل الى غرضه الدنيء منها، وعاد الزوج المسكين من مصلاه الى داره ليتناول الغذاء مع زوجته ـ وكان معلما دباغا ـ فوجد ابنه الرضيع مذبوحا غارقا فى دمه. وحكت له زوجه الطاهرة ما وقع، فقال لها، أحضرى الغذاء وتغذى ثم وضع ابنه الذبيح فى قفة وحملها تحت جلابته ثم صار يطوف بها على رفقائه من الدباغين وغيرهم فغلى الدم فى رؤوس ذوى الغيرة على الاعراض والفضيلة، وقرروا أن يغيروا المنكر وأن يوقفوا أصحاب الفجور والفسوق عند حدهم . فكانت المؤامرة من أصحاب الحرف وكان الهجوم على الفساق من أبناء النقسيس وهم سكارى فى محل فجورهم ،

وكان ذبحهم فيها ذبح العجول ، وهكذا كانت نهاية الفاسقين » وأرى أنه لا منافاة بين هذه الحكاية وبين ما ذكره المستر هاريسون من وجود حزازات أخرى سياسية وغيرها بين الاندلسيين وأبناء النقسيس الجبليين المسطيرين على حكومة تطوان، وأن تكون هناك أيضا محاولة أخرى لهتك عرض عروس فى صبيحة يوم زفافها الخ. فالاسباب قد تتعدد وتكون نتيجتها واحدة. وهكذا تحقق المثل التطوانى : «من شوكة وردة، ومن وردة شوكة» فبعد أن كان أبناء النقسيس خير مثال للشهامة والبطولة والجهاد فى سبيل الله، جاءت بعدهم شرذمة كانت شر مثال للفسق والفجور والعياذ بالله .

رسالة من ملك انجلترا الى المجاهد العياشي بسلا سنة 1037 هـ.

قد تقدمت لنا رسالة كتبها الشيخ المجاهد أبو عبد الله العياشى من سلا الى شارل الاول CHARLES Ier. ملك انجلترا، وهذه رسالة من الملك شارل الى المجاهد العياشى (1) .

... الى الحاكم المجيد العالى

قد تسلمنا رسائلكم التى تعبر عما أسديتم من معروف الى خادمنا جون هاريسون في هذه الرحلة التي كانت من تطوان، فنكرر لكم شكرنا وسنجازى بما يجازى به مثل هذا الصنيع. وقد أحطنا علما بأنه بواسطة تعضيدكم ومساعدتكم الاندلسيين فى تغلبهم على سلا لطرد أولئك القواد الذين كانوا العاملين في التلف الواقع على رعايانا، وليقرروا الحكم الافضل المطمئن هناك فنلتمس منك أن تجدد معروفك فيهم ...

12 اكتوبر 1627. (يوافقه فاتح صفر 1037).

وجاء فى تعليق لجون هاريسون المذكور على الاجراءات المتخذة في بلاد المغرب لاجل السلام مع سلا وتطوان ما يلى : (2)

... على أنه أخيرا قد كانت قطعة صغيرة من المدافع قد سرقها من حكام تطوان رجل انجليزى، والآن قد صدرت أوامر بارجاعها ثانية، واذا رئي أنه من المناسب أن تضم الى ما سيرسل اليهم، فمن المستحسن أن تحمى الطريق تلافيا لهذا ولبعض الاخطاء التي وقعت أيضا في حق ذلك المكان، حيث انه غالبا ما تضطر سفننا الانجليزية للرسو هناك، كما أنه مما تجب مراعاته جيدا، أنه أيضا كان بعض الانجليز قد بيعوا هناك فيما مضى بواسطة الاتراك كأسارى

---

1) ص 60 من المجلد الانجليزى الثالث

2) ص 71 من المجلد الانجليزى الثالث

هناك، وأن حكّام تطوان هؤلاء قد عرضوا أيضا خدماتهم على صاحب الجلالة كما يبدو ذلك من رسائلهم.

هاتان الناحيتان، تطوان وسلا، واحداهما داخل المضيق والاخرى خارجه ـ ونحن الآن نحارب كلا من الاسبان والفرنسيين ـ كثيرا ما تجب رعايتهما، حيث إن سفننا يمكن أن تمون نفسها بالماء والطعام وبعض الحاجيات الاخرى فى جميع الاحوال كما قد وعدوا بذلك.

نعم ان سلا ستمون سفن صاحب الجلالة فى كل احوال الضيق بحرية ومن غير مقابل كما رفعت الى النظر العالى، وليست هناك أية مصلحة تخصني بالذات، ولكن واجبي وقد وظفت من قبل صاحب الجلالة، أن أقدم خدماتي الى صاحب الجلالة ، وأن أدعو الى الديانة المسيحية لتكون فى حيز مصالحى الشخصية، كما هو الامل الاعظم هناك أن تشفع هاتان البدايتان الطيبتان ...

والآن فاني أقدم الى صاحب الجلالة والى مجلس الشورى الشريف تقريرا عادلا صادقا عن أعمالي هذه، وسأكون راضيا بعد رحلاتى الشاقة ونفقاتى الباهظة وراغبا فى أن أعتزل وأن أدعو الله لانجاح شؤونهم ...

متم سنة 1627. (يوافقه ربيع الاول 1037)

منشور من ملك انجلترا عن سلا وتطوان وغيرهما عام 1038 هـ.

وهذا منشور أصدره شارل الاول ملك انجلترا محذرا فيه أصحاب المراكب الانجليزية من الاعتداء على أهل الجزائر وتونس وسلا وتطوان، آمرا لهم بحسن معاملتهم الخ. ومهددا بالعقاب كل من يخالف ذلك الامر من الرعايا الانجليز ونصه : (1)

«إنه حيث إن الشكاوى المتنوعة قد وصلت الينا أخيرا من سكان الجزائر وتونس وسلا وتطوان والبلاد التى هى تحت الحكومات السالفة، بتلك الاخطاء المختلفة العظيمة التى وقعت عليهم من جانب رعايانا فى البحر، والتي لو كانت قد حصلت فانها تخالف رعايتنا الملوكية، وانها بدون أى تفويض من جانبنا، وعليه فاننا قد أخذنا ذلك بتبصرنا الاميرى وأكدنا تماما وعدنا بحسن المعاملة لهؤلاء الذين لهم تعامل تجارى مع رعايانا او سيكون منهم تبادل كما يقتضى به الاحسان والسلام المعقود لرعايانا التجار فى تلك النواحي برغبة من مجلسنا الخاص، فليعمل بهذا المنشور الذى ينص على ارادتنا الملوكية، وبهذا التفويض المطلق ، ونأمر كل رعايانا المحبين بذلك وليقدروا الدرجة والكيفية على ذلك النحو والمصلحة التى تفرض عليهم أن يمتنعوا من الآن فصاعدا من

(1) ص 80 .

كل أعمال العدوان، وأن لا يبدوا أية قسوة أو معاملـة سيئة لاى شخـص مـن الاشخاص أو السفن أو البضاعة التى تتعلق أو ستتعلق بالجزائر أو تونس أو تطوان أو سلا او أى ميناء آخر أو ناحية من الاقطار التى هى تحت نفس الحكم، وليجيبوا بالعكس عند اخطارهـم وليتجنبوا سخطنـا العالى الرفيع والعقوبات العظيمة التى سيحلها بهم قانوننا اذا ما ازدروا بهذا وأهملوا فى شأنه...

صدر بقصرنا فى WHITHALL في الثاني والعشرين من اكتوبر سنة 1628 م (يوافقه 23 صفر 1038 هـ)

المقدم عبد الله بن أحمد النقسيس عام 1038 ـ 1629 م.

المقدم عبد الله بن احمد النقسيس، هو أحد الابناء الستة الذين خلفهم المقدم المجاهد أبو العباس أحمد بن عيسى النقسيس، وقد تولوا الحكم من بعده. وقد سبق لنا أنه عند ما توفي المقدم أحمـد، بقي حكم تطوان بيـد أربعة مـن أبنائه، وهم عيسى وعبـد الله واخـوان آخران لهما، ثم قتل عيسى مع أخويه المذكورين، وفر اخوهم عبد الله وتسلم الحكم جماعة من أهل تطوان الاندلسيين وفى مقدمتهم أحمد أبو على، ثم عاد عبد الله النقسيس بقواته الى تطوان وتغلب على خصومه واسترجع الحكم من أيديهم وضم اليه أخوين آخرين له الخ .

بين عبد الله النقسيس وملك انجلترا

وقد أرسل عبد الله المذكور الى شارل الاول ملك انجلترا بعـض الهدايا مصحوبة برسالة أجابه عنها الملك المذكور برسالة أخرى هذه ترجمتها نقلا عن النص الانجليزى : (1)

من شارل الذى هو بفضـل الله ملك بريطانيـا العظمى وفرنسا وارلندا وحامى العقيدة المسيحية... الى السيد الرفيع العظيم سيدى عبد الله النقسيس حاكم تطوان، أحييكم .

وبعد فقد تسلمنا رسالتكم من خادمنا جيلس پن JYLES PEN مـع طائفـة من الصقور أرسلتها الينا معه، وقد أنفذناه اليكم مرة أخرى مع تشكراتنا عليها ءاملين أن تمنحوه اذنكم وسماحكم له بأن ينقل من هناكم الينا صقورا أخـرى وأفراسا من أحسن الاصـول وأجـود الانـواع هناكم، وباسمنا فانه سيفضـى اليكم بما نرجو أن تكونوا على استعداد لتمكنوه منه تحقيقا لطلبنا، وحيث أن خادمنا المذكور قد بين لنا العلاقة الحسنة والمعاملة التجارية التى يجدها رعايانا فى مينائكم هناك ، فنحن لاجل ذلك ولما أبديتموه من تقدير نحونا، نبعث اليكم

---

(1) م 3 ص 87

بتشكراتنا الملوكية راغبين فى استمرار وتنمية تلك العلاقات الطيبة التى سبق أن أنشئت معكم ، مؤكدين لكم أن كل ما تأمرون به من بضاعة مهما تكن فى أية ناحية من نواحى مملكتنا، فهي فى خدمتكم. وأخيرا قد أصدرنا الاوامر الى تجارنا بأن يترددوا على مينائكم المذكورة ومدينتكم ببضائعهم، وأن يتاجروا هناك ما داموا يجدون أسواقا ملائمة لتجارتهم ومعاملة حسنة لاشخاصهم مما ليس لنا فيه أدنى شك .

وعلى كل فنحن ايضا قد تركنا الكتابة اليكم وبعثنا خادمنا المذكور ـ جليس پن ـ ليعقد معكم باسمنا الاتفاق، وقد مكناه من تلك السلطة ، فنأمل منكم أن تعتمدوا عليه تمام الاعتماد ، وأن تضعوا فيه ثقتكم .

صدر تحت خاتمنا وامضاء يدنا فى بلاطنا الشريف COURTE HAMPTON فى اليوم... من اكتوبر من السنة الخامسة عشرة(1) من ملكنا ـ (يعنى سنة 1629 (وأوائل اكتوبر سنة 1629 . توافق أواسط صفر عام 1039) .

وقد وجدت فى كناش الفقيه بن رحمون التطوانى أن عبد الله النقسيس أخرج من تطوان عام 1040 ، ولكنه لم يبين كيف كان اخراجه والى أين ذهب وذلك ما وجدناه مبينا فى المصادر الافرنجية كما سيأتى لنا بحول الله .

من أخبار تطوان فى هذا العهد

ومن أخبار تطوان والمغرب والمساعى الانجليزية فيه فى ذلك العهد ، ما كتبه المستر هاريسون الانجليزى فى تقرير رفعه الى ملك انجلترا بتاريخ ثامن اكتوبر سنة 1630.(الموافق لفاتح ربيع الاول عام 1040)، ومما جاء فيه ما يلى:(2)

« وفى ظرف عشرة أيام كنا على شاطىء أرض البربر ، وكانت الهبة نفسها من الريح ـ وأنا متأكد أنه الله نفسه ـ حيث كانت الرحلة من قبل ومن نفس المكان DARTMOUTH . وقد هبت الريح بنا فى سبعة أيام وثمان ليال وكانت الرحلة الاخرى من قبل قد استغرقت تسعة أيام من DOWNES الى فم المضيق من حيث اتجهنا الى تطوان ... الى أن قال : (3)

« توسلت الى الحكام لينادوا على اصحاب الجمرك وقد فعلوا مدعين أن كثيرا من الاخطاء قد ارتكبت فى حقهم من جانب قرصاننا الانجليز فى البحر منذ أول معاهدة ، وقد ألقوا برجالهم على ظهر السفينة وسلبوهم بضائعهم ومقدراتهم ، فقلت ان ذلك كان من غير علم من جلالتكم ومخالفا لارادتكم ومشيئتكم ، وعلى ذلك فلاجل منع كل هذه المخالفات من الآن فصاعدا فان

---

1) المعروف أن شارل الاول تولي الملك سنة 1625 م.

2) ص 104

3) ص 111.

جلالتكم ستنشرون اعلانا صارما أطلعتهم عليه وعلى الغرامات في ذلك الصدد .

وحيث انى قد اخذت أعظم قصاص وخاطرت بنفسى أولا بواسطة سفرى عن طريق البر من تطوان الى سلا، وقبل ذلك سافرت بحرا مرتين لآتى اليهم ، فقد كانوا مسرورين ليعلنوا لى شكاواهم السابقة حينئذ فوعدتهم بأنه فيما بعد لن ترتكب فى حقهم أخطاء أيضا ... الى أن قال : (1)

... وفى خلال بضعة أيام تسلمت رسالة من سيدى محمد العياشى بواسطة رسول أرسله الي خصيصا، وقال : ان الولى راغب جدا فى أن يتكلم معي، وكذلك مقدم تطوان (عبد الله بن أحمد النقسيس) وكذلك تسلمت رسالة أخرى من تاجر انجليزى بتطوان فى هذا الغرض شارحا لي كيف أنه كثيرا يعتمد على الولي لتخليص أصيلا بعد تحطيم أسطوله الذى ذكر أنه عمل وفقا لاقتراحاتى أو لاوامر أرسلت اليه من هنا ...

وتسلمت أخرى من أحد الاندلسيين بتطوان حيث فر انجليزى من سيده الذى كان يعامله بقساوة وقد أدى قبله خمسين دوكة بربرية، وكان سيبقى معه الى أن يؤدى ذلك المال الكثير لتعود اليه الحرية مرة أخرى ومع أنى بعد انفصالي عنهم قد ذهبت فى سفينة انجليزية كانت تحمل قطعة صغيرة من المدفعية، فانها كذلك قد سرقت من شاطىء ينتمى الى حكومة المقدم الذى شكوته الى رؤساء القناصل بواسطة من تركته هناك، وأتيت فى نفس الوقت الذى كنت مأمورا بالرجوع مرة أخرى، وكان المال بالاندلس قد وضع عند SIR HUGH HAMERSTRYES ALDERMAN لندن الذى كما يقول خلص ذلك أو أرسله من هناك الى القبطان LEATES حالة كانت سفينته قاصدة الى هناك فى رجوعها بناء على السلام الذى كان معقودا بين كل ...

ولكن القبطان مخجل جدا بيننا جميعا حيث اننا رجال مكان ثقة وان هذا الامر يلصق بجلالتكم أعظم اهانة وخزى...

جماعة الاندلسيين من حين لآخر يكتبون الي بما يرون ابداءه من عدم الارتياح الى الموقف الذى ينافى الشرف (2)، وقد وقعه سادة المجلس الشوري والعهدة الملقاة على عاتقي حيث اني لا أجرؤ على العمل ...

---

1) ص 112.

2) يشير الي الصرامة التى ظهر بها البرلمان الانجليزى أمام التصرفات الاستبدادية التى كان يتصرفها كرلوس الاول (شارل) ملك انجلترا، وانتهى الامر بأن قتل البرلمان الانجليزى هذا الملك المستبد سنة 1649 م. ت. و.

مـن المساعـى الانجليزيـة بالمغرب فى هذا العهد

ومن المساعى الانجليزية بالمغرب في هذا العهد، ما جاء في تقرير كتبه المستر هاريسون الانجليزى السابق الذكر عن المعمورة بتاريخ 8 اكتوبر سنة 1630 م (الموافق فاتح ربيع الاول عام 1040) ومنه ما يأتى : (1)

«قد عرض مقدمو ـ أو ـ حكام تطوان برضاهم، خدماتهم علي ومنذ أن كان حاكم تطوان هو سيدى عبد الله وحده، فقد كتب الى جلالتكم مرة أخرى بواسطة الكابتن PEN وبعث معي كلمة الى سلا بأنه كان متعجبا جدا من أنه لم يسمع بأى شيء بالمرة منى حالة كونى قد وظفت في ذلك الوقت لاجل تلك الحالات التى أوجبتها جلالتكم، لهذا فان هذين المكانين يمكن أن يستغلا للتمكن من جبل طارق وسبتة، وبذلك نقبض على المضيق كما فعل ملوك الدانمـرك فى المضيق SOUND فاذا قمنا بهذا العمل النافع، فان له من بعد كل بلاد البربر الصديقة كما صرحوا بذلك أنفسهم فى رسائلهم وعهودهم الاخيـرة حيث إن فى ذلك الوقت على عودتـي كنـت أعطيت جلالتكم ومجلس الشورى حسابا مقررا، ومنذ ذلك الوقت توسلوا الي من وقت لآخر كما رغب المغاربة أنفسهم فى أن أكون على الحاح مترقبا الجواب كذى قبل .. الخ. وجاء فى مذكرة أخرى له كتبها عن المغرب بتاريخ 25 يوليه سنة 1631 م (26 حجة عام 1040 هـ) مـا يلـى : (2)

«بمناسبة تلك الخدمات السالفة التى قمت بها فى أرض البربر خلال أيام سكناى هناك فى مرات متعددة ، وأماكن مختلفة ، فانى لاحظت حالة القطر ومركز الشعب منه، وقد داخلت الموريسكوس أو الاندلسيين الذين طردوا مـن اسبانيا ، والذين كثير منهم قد اعترفوا لي بأنهم فى داخليتهم مسيحيو القلوب وهم يتظلمون بمرارة من تلك الطـردة القاسيـة، ويعرضـون خدماتهم باسم جميعهم اذا كانت هناك أية حالة حرب ضد اسبانيا. مشتاقين بحرقة الى أن يصبحـوا تحـت حكم مسيحـى مـرة أخـرى . . . .

«قلـت» ان هـذا السياسى *الراهـب الجاسوس* كاتـب هذا التقرير ، *كثيرا ما* يتهـم *أندلسيي* المغـرب بالحنيـن الـى المسيحيـة والعطف عليها وتمنـي دخولهـم فيهـا الخ. وعمله هـذا لا يخـرج عـن كونـه صادرا عـن بـلادة وغبـاوة فـى نفسـه ، أو تـدجيـل وتضليـل لحـكـومتـه، والـذى نرى أنه ان كان قد وقع شيء من ذلك ظاهريا ، فانما هو ناشىء عن السياسة التى كان أولئك السياسيون المسلمون الاندلسيون يعاملون بها هذا الراهب الذى يظهر انه كان يسره أن يسمع الثناء على الدين الذى يعمل لنشره، والعقيدة

---

1) م 3. ص. 130

2) م 3. ص. 145

التى يدعو اليها، لقد شعر اولئك السياسيون المرنون بنقطة الضعف فى هذا المبعوث السياسى من دولته لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وغير ذلـك فصاروا يضربون على وتره الحساس لاستجلاب عطفه عسى أن يتمكنوا مـن حمل دولته على تأييدهم فيما كانوا يرغبون فيه من محاربة أعدائهم الـذيـن حاربوهم فى دينهم ، وطردوهم من وطنهم .

لقـد كان اولئك الاندلسيون يعملون بكل ما فى وسعهم لاضعاف قـوة الاسبانيين واخراجهم من المراكز التى كانوا قد احتلوها بالمغـرب ثـم العمـل على تأليـب الـدول عليهم لخضـد شوكتهـم واضمحـلال دولتهم لعـل الحكـم الاسلامي يعود الى الاندلس، فيعود اولئك المهاجرون الى وطنهم الذى عاشوا فيه كما عاش أجدادهم ما يزيد على ثمانمائة عام .

واذا كان لديهم حنين حقيقة، فانما هو الى ذلك الوطن المحبوب، لا الـى الديانه المسيحيه التى منها ومـن طغيـان رجالها فروا الى بلاد الاسلام شرقا وغربا، وانظر كيف يصرح هذا السياسى فى تقريره بأن أولئك الاندلسيين « يعرضون خدماتهم باسم جميعهم اذا كانت هناك أية حرب ضد اسبانيا »

وليت شعرى كيف يتفق مع هذا ما جاء فى كتـاب الاستقصـا من أن أندلسيى سلا «يعنى أهل رباط الفتح كانوا ناصحين للكفر وأهله، الخ. حاشا ثم حاشا ومعاذ الله أن ينصح للكفـر وأهلـه، من ترك وطنـه ووطـن ءابائه وأجداده وأهله وأصحابه وجميع ما يملك من متاع الحياة الدنيا، لا لشىء سوى أن يتمكن من المحافظة على دينه الاسلامى الحنيف، والعيش في وسط اسلامي يؤدى فيه شعائره الدينية بحرية، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين .

الا قبح الله السياسة التى تعمي وتصم وتوقع في شراكها المغفلين مـن المنتمين للعلـم او الـصـلاح .

ثم قال م. هاريسون الانجليزى فى تقريره ما يلي : (I)

«قبل حملتنا العظيمة الاخيرة الى قالص ـ كما كـان واجبـي ـ أعلمت السير البرطوس مورتون — SIR ALBERTUS MORTON ثم سكرتير الدولة وهو بعد ذلك صاحب الجلالة والدوق بوكنگام DUKE OF BUCKINGHAME مع الخبر الذى علمته مؤكدا لهم أنه اذا كان الغرض فى هـذه الانحـاء فانه يستحسن أن يعامل معاملة طيبـة، ذلك القطـر وأولئك الاهالى حالة كونه ءاهلا بالناس والتجار، قاطعـا علـى نفسي أن أحصـل علـى عشرة ءالاف من هؤلاء الموريسكوس المستعدين الى خدمة صاحب الجلالة فى ذلك الظرف ، حيث كان قد فهم جيدا وأدرك أنه في الحاضر عندئذ قد أخذت مكانى الى البربر قبل أن يبحر الاسطول وأنه كان لي عبور سريع جدا بحيث إنه فى تسعة أيام كنت قد

I) ص 145 م. 3

عبرت منْ DOWNES الى فم المضيق THES TRAIGHTES حيث وصلت الى تطوان فلم اجد الاندلسيين فقط أعظم قسم هناك من السكان حينئذ ، ولكن كل المغاربة فى استعداد ومتقدمون بحيث إنى أستطيع أن أحصـل على أربعين أو خمسين ألفا حينما يقع هناك حادث، وعلى الاخـص الموريسكوس الذين سروا فـوق العادة معتمدين على نبوءة قديمة حكوها الى أن أسلافهم وجدوا مكتوبا فى صفائح من الرصاص فى MONTE SANTO قريبا من غرناطة تقول، ان طردهم خارج اسبانيا الى أرض البربر، ولكنهم فى وقت سيرجعون أيضا، وذلك فى سفن مسيحية، وفي الوقت الذى سمعوا بأعظم تعبئة لاسطولنا الانجليزى، ظنوا كثيرا أنه الآن قد أتى نهائيا لتحقيق تلك النبوءة، وعلى ذلك أعدوا أنفسهم بالقطـع والبارود وكل الضروريات الاخرى مستعدين للذهاب منتظرين فقط وصول تلك القوة العظيمة «كما يدعونها» لتنقلهم ، ولكن ذلك التصوير العظيم غيـر ءاخـذ للمثول الفعال ... ذلك أن الفرصة الجميلة كانت قد ضيعت، فالاسبانيون وقد كانوا قبل يرتعدون، هم الآن منتصرون يقولون للمغاربة ـ كما قصوا علي ـ ليس هناك بط اكثر مـن انجلترا فالجميع دجاج، وفـى الوقت نفسه قد توفى البرتوس مورتون. وأنا كذلك كنت قدمت ونسيت متروكا هنا مخـذولا معوزا سواء من السفن او من وسائل أخرى كنت قد وعدت بأنها ستبعث الي لتنقلنى من هناك، فاضطررت لاخذ رحلة ميئسة، بواسطة البر من تطوان الى سلا فى أعظم خطر، سواء على نفسى أو على حريتي، والاسبان في ذلـك الشاطيء قد أدركوا تلك الخدمة لي وتلك الرحلـة قـد وضعـوا لـي كمينا بين البرابرة ـ لاغتيالى ـ أولئك الذين هم فى سبيل المال سيبيعون ءاباءهم وأنفسهم وأولادهم وقد جعلوا ـ كما علمت ـ ألف دوكة تمنح ـ كما أدركت ـ لاحضارى الى العرائش أو أى حامية لهم، ولكن المقدمين أو حكام تطوان وهم محتاطون لسلامتى بعثوا رجلا مع طول الطريق ، وفضلا عن ذلك (ولو أن الشقاء السابـق والخـزى الـذى انعكس عليهم أيضا لاجل أنهم كانوا قد أعطونى تعضيدا عظيما وضيافة) كتبوا لي رسالة ودية للغاية الى صاحب الجلالة ، عارضين خدماتهم وكل الاقطار هناك لتكون تحت أمره اذا أرسل صاحب الجلالة أسطولا ءاخر واحتل سبتة وجبل طارق وفم المضايق وهما متقابلان تماما ـ الواحد أمام الآخر جاعـلا جبـــل طارق جزيرة تقطع عنق البر، وبسهولة يعمل، ولنا من المغاربة حليـف عظيم ليتقدموا بطلائع جيش تمهد السبيل كما عرضوا قائلين، ان صاحب الجلالة فى ذلك العمل سيحكم المضايق كما يعمل ملك الدانيمرك فى SOUND وهو مزود جيدا ليكون سيد البحار ومالك جبل طارق. وهم يعرضـــون أيضـا أن يعملوا من وقت لآخر وأيضا فان مقدم أنجرة أو حاكمها المتأخمة لطنجة، يعرض كذلك كل مساعداته لاخـذ ذلـك المكـان، وحينما كنت مـارا فى طريقى فان الاولياء والشيوخ المجاورين للعرائش عرضوا علي نفس العرض لاخذ ذلك المكان حيث

قالوا ان صاحب الجلالة عليه أن يحتفظ بالسفن طول مدة الصيف ليضايق العدو الخ.

استيلاء أصحاب المجاهد العياشي على تطوان عام 1040

وقفنا في مجموعة الوثائق الفرنسية للكونت هنري دي كاستري (1) على تقرير رسمي كتب في 31 اكتوبر سنة 1631 (وهو يوافق 5 ربيع الثاني عام 1041) وفيه معلومات مهمة عن حوادث تطوان في ذلك العهد، وملخصها أن حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسيس لم يكن خاضعا لحكم المجاهد أبي عبد الله العياشي الذي كان بسلا (2) ولم يقبل أن يسلم له تطوان، فكان العياشي يتأسف لبقاء هذه المدينة خارجة عن حكمه، وقد أراد أن يضمها الى منطقة نفوذه بدون إراقة الدماء ، فبعث بعض أنصاره اليها وقاموا بدعاية سرية للثورة ضد المقدم عبد الله النقسيس والانضمام الى العياشي ولم تعدم هذه الدعاية أنصارا فانضم الى أصحابها خصوم عبد الله النقسيس وتمت المؤامرة وفتح المتآمرون أبواب المدينة فدخلها أصحاب العياشي وعلى رأسهم سليمان بن يوسف مقدم الخروب وأحمد أبو علي الذي كان من أكبر خصوم عبد الله النقسيس وعائلته.

فرار عبد الله النقسيس الى غمارة

وقد فر المقدم عبد الله النقسيس الى تارغة من بلاد غمارة في الجنوب الشرقي لتطوان، وأمر أبو عبد الله العياشي قائده سليمان بن يوسف أن يجمع من أهل تطوان ونواحيها نحو ثمانية ءالاف شخص ويبعثهم لقبض عبد الله النقسيس أو قتله، وفعلا جمع هذا الجيش وخرج لتنفيذ ذلك الامر في 25 اكتوبر سنة 1631 م (29 ربيع الاول عام 1041)

---

1) ج 3 ص 422 من سجلات فرنسا.

2) أبو عبد الله العياشي هو الشيخ المجاهد أبو عبد الله محمد بن احمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي ونسبته الى بني مالك الهلاليين من عرب الغرب. وكان رحمه الله من أبطال المجاهدين، وقد قاتل برتغال الجديدة وضيق عليهم، ولما كان زمن الفترة او الفوضى المشهورة في انحاء المغرب، اجتمع عليه كثير من الناس وقدموه على أنفسهم وبايعوه على الجهاد والتزموا نصرته عام 1023 . فقاتل الاجانب الذين كانوا قد احتلوا بعض نواحي المغرب، وأوقع ببرتغال الجديدة، ودخلت في طاعته بلاد مغربية كثيرة في مقدمتها مدينة فاس، ثم حصلت خلافات داخلية أدت الى النفرة بينه وبين أهل الدلاء حتى أفضى الحال لنشوب القتال بينهما، ثم ان جماعة من الاعراب غدروا بأبي عبد الله العياشي فقتلوه واحتزوا رأسه في تاسع عشر محرم الحرام عام 1051. وقد كان من أكابر أصحابه، المقدم المجاهد أبو العباس الخضر غيلان رحم لله الجميع

وقد نقلنا من الكناش المخطوط للفقيه سيدى التهامى بن رحمون التطوانى ان اخراج المقدم عبد الله النقسيس من تطوان كان عام 1040 ثم لا ندرى ما ءال إليه أمر تلك الحركة، الا أن من المحقق أن أصحابها لـم يتمكنـوا من القاء القبض على النقسيس المذكور .

النقسيس ملتجىء عند اسبان سبتة

ثم ان عبد الله النقسيس لم يبق مقيما فى تارغة من أرض غمارة ، وكأنه خشي من القاء القبض عليه وتسليمـه لخصومـه فـى تطوان، فانتقل الى سبتة والتجأ بها عند الاسبانيين، وقد وقفت فى الكتاب المسمى LIBRO DE LOS VEEDORES DE CEUTA (1) على نص رسالة بعثها ملك اسبانيا من مدريد الى حاكم سبتة فى ذلك العهد بتاريخ 11 مايو سنة 1633 م (موافق ثانى ذى القعدة الحرام عام 1042) والمفهوم من تلك الرسالة، أن عبـد الله النقسيس ومـن معه قد لجأوا الى سبتة، فأمر ملك اسبانيا حاكمها بأن يحسن استقبالهم ويـدفع لهم المال من المصاريف السرية، ولكن مع الاحتراس منهم الخ.

وهذه ترجمة الرسالة المذكورة مع عنوانها من الكتاب المذكور (2)

رسالة من ملك اسبانيا فى شأن النقسيس

وثيقة صاحب الجلالة المتعلقة بقضية عبد الله النقسيس المسجلة «خورخى سيكو» بمحول الصفحة رقم 191 .

الى الحاكم من طرفنا على مدينة سبتـة.

ان رسائلك ورسائل كل من حاكمى طنجة والعرائش، تفيد أن عبد الله النقسيس والكلاطى الانجرى ومفضل، قد دخلوا هذه المدينة، كما أنهم تطارحوا على حامية طنجة والعرائش وتعلقوا بالشيخ لكى تسوى نزاعاتهم حتى اذا انتظم لهم ما يحبون من جمع الكلمة، خفوا لمحاربة أتباع المرابط(3) الذين نزعوا عبد الله النقسيس من حكم تطاون، وحدث أن الكلاطى ومفضـل عنـد ما قصـدوا مدينة العرائش كان فى رفقتهما الشيخ يحيى ومسلمون تابعون لحاكم القصر الكبير. وفى اجتماعهم هذا أخذوا يتجادلـون فى القضايا التـى كانوا يحاولون بحثها

---

1) لمؤلفه JOSE DE ESAGUY وقـد طـبـع بطنـجـة سنـة 1939 وهذه الرسالة موجودة فى ص 147 منه.

2) هذه الترجمة الى العربية من الاسبانية بقلم صديقنا الاستاذ سيدى التهامى الوزاني حفظه الله.

3) يعني باتباع المرابط، أصحاب أبى عبد الله العياشى

كما أنهم تجادلوا فى حدود املاكنا، وهذه الاجراءات أحسبها خدمة جليلة لجلالتنا فلحضرتكم منا جزيل الشكر على الاعتناء الشديد الذى أوليتوه هذه القضية وآمركم أن تسيروا على هذه الوتيرة، واذا وقع ونزل وعاد هؤلاء المسلمون الى هذه المدينة فأجملوا مقابلتهم، وأسرعوا في امدادهم بالمال المعتاد أن ينفق على الطرقات السرية، وإن هنالك حكاما يعرفون بما لهم من حزم ورزانة كيف يواجهون مثل هذه الشؤون، واذا لم تكن لكم ثقة بهم فعليكم فى سائر الاحوال أن تأخذوا الحذر اللازم، وقد أمرنا حاكم مدينة صيدونيا بأن يتعامل معكم فى هذا الامر، فعليكم أن تعلموه حتى يكون عالما بما يحسن لخدمتنا، وبهذا أحسب أنني مخدوم.

مدريد 11 مايو 1633 الملك

بين حاكم تطوان وملك انجلترا عام 1041

ثم ان سليمان بن يوسف ـ حاكم تطوان الجديد ـ سعى فى ربط علاقات ودية مع الحكومة الانجليزية، وقد بعث الى شارل الاول ملك انجلترا رسالة كتبها بتطوان فى 30 مارس 1632 م (9 رمضان 1041) ومما جاء فيها (1) ما مضمنه : «انه علم من بعض تجار تطوان أن ملك انجلترا كان قد أوصى مقدم تطوان السابق عبد الله النقسيس بأن يحسن معاملة الرعايا الانجليزيين الخ. وأنه ـ أى سليمان ـ يتعهد لملك انجلترا باسم رئيسه سيدى محمد العياشى بتنفيذ رغباته، وبمعاملة الرعايا الانجليز بأحسن مما كان يعاملهم به الحاكم النقسيس، وفعلا بعث اليه ورقتى جواز، احداهما لتجار لندن، والاخرى لتجار بريسطول، وذكر له أن التجار المذكورين يمكنهم أن يصلوا بمراكبهم الى ميناء تطوان ءامنين اعتمادا على الورقتين المذكورتين الخ. وقد كتب فى آخر هذه الرسالة بالحروف العربية ما نصه :

«وكتب مملوك سدى محمد العياش (كذا) سلمن (كذا) بن يوسف»

ثم ان الذى يظهر، أن سليمان بن يوسف هذا هو الذى كان حاكما لهذه المدينة من قبل رئيسه أبى عبد الله العياشى حاكم سلا وما اليها، أما أحمد بوعلى الاندلسى التطوانى فانه كان زعيم أندلسيي تطوان، وهو الذى سبق له أن سعى في قتل خصومه الحكام الثلاثة المستهترين من أولاد النقسيس، اخوة المقدم عبد الله الذى فر بعد ذلك الى غمارة ثم الى سبتة الى آخر ما تقدم

ثم ان نفوذ ابى عبد الله العياشى، ظل قائما بتطوان الى أن وقع الخلاف بينه وبين الدلائيين، وقامت الحرب بينهما، فضعفت شوكة العياشى واستقلت

---

1) أصل هذه الرسالة مثبت باللغة الاسبانية فى ص 182 من المجلد الثالث من المجموعة الانجليزية

هذه المدينة بحكم نفسها وباشر الحكم فيها مجلس من أهلهـا الذين كان جلهم في هذا العهد من مهاجـرى الانـدلس، ثم بعـد مدة عـاد الامر فيها الى أولاد النقسيس، ولم نقف على تفصيل ذلك الا أن الذى يظهر والله أعلم، ان عودة الحكم الى يد اولاد النقسيس، كانت بتضامن مقدمى القبائل الجبلية مع المقدمين من أبناء النقسيس لتبقى السلطة العليا فى هذه النواحى بيد المقدمين أى بيد رجال الحرب لا بيد غيرهم من أهالى المدن وغيرهم .

ولم نقف أيضا على بيان ما فعل الله بالمقدم عبد الله النقسيس بعد ركونه الى أسبان سبتة، كما لا ندرى أين كانت وفاته وفي اى تاريخ كانت ...

المقـدم محمـد بـن عيسـى النقسيس 1050

المقدم محمد بن عيسى النقسيس هو أيضا أحد أولاد النقسيس الذين تولوا حكم تطوان، ولم أقف على اسمه في المصادر العربية المطبوعـة، وانمـا عثرت عليه بخط الفقيه سيدى التهامي بن رحمون فى كناشه، اذ فيه أنة تولى أمر تطاون عام 1050. وتوفى عام 1063. وذكر من حوادث عهده أن الغزوة التى أسر فيها ابن القبطان بفحص سبتة، كانت على يده عام 1058 (1648) وهـذه الغزوة لم نعرف عنها شيئا اكثر من ذلك.

والمقدم محمد هذا هو الذى ذكره المؤرخ سكيرج وحدد تاريخي ولايتـه ووفاته، وذكر أنه أول من تولى حكم تطوان من أولاد النقسيس، أما التاريخ الذى ذكره فهو صحيح كما علمت مـن كـلام ابن رحمون، وأما أنه هو اول من تولى من أفراد عائلته، فقد علمت مما سبق ما فيه. وفى هذا الموضوع يقول صديقنا ورفقينا الاستاذ سيدى التهامى الوزانى ما نصه :

«الظاهر من نظام ذلك العصر، أن مقدمية الجهاد لم تكن ملازمة للعمالة، بل كانت منظمات شبيهة بمنظمات الاحزاب الفاشية تسند الحكومة القـائمـة وتعمل بالاتفاق معها، وعند ضعف الحكومة المركزية يستقل المقدمون بالبـوادى والثغور ، وربما استبدوا حتى بالمدن والعواصم ، وفى عهد مـولاى اسماعيـل السجلماسي تقوت الحكومة المركزية فاصبح كل شيء للسلطان ، وكان فى طول عصر مولاى اسماعيل ما أكد هذا النظام طيلة حكم العائلة العلوية. أما السعديون فقد وجدوا مقدمية الجهاد قائمة ، بل هم كانوا من مقدمى الجهاد فأيدوه ، ومن هنا نعلم أن كـلام السكيرج قد يحمـل علـى هذا المعنى بحيـث كانت مقدمية الجهاد منفصلة عن العمالة، وأول مـن جمع بين الوظيفين من أولاد النقسيس هو المقدم محمد بن عيسى والعلم لله اهـ. وهو توجيه لطيف وجيه، ولكن ماذا نقول فى المستندات الرسميـة التـى تصف عبد الله النقسيس وغيـره من المقدمين أولاد النقسيس بأنهم كانوا حاكمين بتطوان، أى أنهم كانوا جامعين

بين المقدمية والحكم معا، وقد سبق لنا فى رسالة ملك اسبانيا الى حاكم سبتة عام 1042 أن اتباع المرابط ـ أبى عبد الله العياشى ـ عزلوا عبد الله النقسيس من حكم تطوان لا من مقدمية الجهاد فقط.

واذا لم نتسرع بتخطئة المؤرخ سكيرج، فانه لا يبقى لنا فى تبرير كلامه، الا أن نفهم أنه أراد أن محمد بن عيسى النقسيس هو أول نقسيسى تولى الحكم بتطوان مستقلا به، وقد يصح لنا أن نفهم هذا لان أبا العباس النقسيس الكبير الاول، انما كان أولا مقدما للمجاهدين فاتسع نفوذه حتى طغى على نفوذ كل من عداه بتطوان من مقدمين وحكام، فلما توفى بقي الحكم بيد أربعة من أبنائه مجتمعين، ولم ينفرد بذلك الحكم أى واحد منهم حتى عبد الله نفسه فانه لما تولى بعد قتل اخوته الثلاثة، كان الى جانبه أخوان له أيضا. فلما تولى محمد بن عيسى منفردا بالحكم كان هو اول من تولى الحكم من أبناء النقسيس بهذه الصفة والله اعلم.

ثم ان الذى يظهر، أن محمدا هذا هو ابن عيسى بن احمد، أى أنه حفيد المقدم الكبير، أبى العباس أحمد بن عيسى النقسيس. وقد طالت مدة حكمه كما رأيت ثلاث عشرة سنة، ويظهر أن الاحوال الداخلية فى عهده كانت مستقرة حتى إنه كان يقوم بغزو سبتة ويعود من غزوه بالاسارى .

وفى عهد محمد هذا ظهر أول ملوك الدولة العلوية، وهو المولى محمد ابن الشريف، الا أن نفوذه لم يمتد الى ناحية تطوان التى هي في أقصى الشمال من بلاد المغرب، فبقيت الحالة فيها على ما كانت عليه من قبل كما سيأتى بيانه بحول الله .

المقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس 1063

المقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس، هو أيضا أحد الافراد الذين تولوا حكم تطوان من هذه العائلة، وقد ذكر أبو محمد سكيرج اسمه، وأنه تولى بعد وفاة أخيه المقدم محمد ـ الذى سبق لنا أنه توفى عام 1063 وهو كذلك، فقد وجدت فى كناش الفقيه بن رحمون أن عبد الكريم هذا تولى أمر تطاون عام 1063. وذكر السكيرج أيضا أنه لبث حاكما بها تسعة أعوام، وفي بحث المستعرب سرديرة الاسبانى، أنه حكم تطوان سبع سنوات فتكون نهاية حكمه عام 1070 ـ او ـ 1071 .

وقد وقفت أيضا فى مجموعة المصادر التاريخية المذكورة ءانفا (1) على رسالة جاء فيها أنه فى يونيه سنة 1656 م (1066 هـ) وصل بعض الانجليزيين البحارين الى ميناء تطوان وكان حاكمها اذ ذاك هو المقدم عبد الكريم النقسيس

(1) ص 552 فما بعد من المجلد الثالث من مجموعة انجلترا

فسمح لهم بأخذ الماء واللحم، وعاملهم معاملة حسنة، ثم كانت لهم معه علاقات ودية الخ .

وسيأتي لنا بعض ما وقع فى عهد عبد الكريم هذا من حوادث.

تطوان تحت حكم الغزواني صاحب الخضر غيلان

يقول المستعرب سرديرة الاسبانى فى بحثه، ان عبد الكريم النقسيس بعد أن حكم سبع سنوات، توفى فخلفه الغزوانى صاحب الخضر غيلان، وقد قدرنا أن وفاة عبد الكريم المذكور كانت سنة 1070 ـ او ـ 1071. فتطوان قد دخلت فى حكم المقدم الخضر غيلان، والذى كان حاكما بها نيابة عنه هو الغزوانى هذا. ولا نعرف شيئا من تفاصيل هذا الحكم ومدته وحوادثه بالتدقيق، الا أن سرديرة ذكر أن هذه المدة كانت قليلة، وأن أحمد بن عبد الكريم النقسيس خلف الغزوانى المذكور فى حكم تطوان .

أحمد بن عبد الكريم النقسيس عام 1071

نقلنا عن بحث سرديرة أن الغزوانى صاحب الخضر غيلان بعد أن حكم بتطوان مدة قليلة، حل محله أحمد بن عبد الكريم النقسيس، فان صح ذلك، فمن المحتمل أن أهل تطوان عموما لم يرضوا بحكم الغزوانى المذكور فعزلوه وولوا النقسيس المذكور مكانه، ومن الممكن أن تكون عصبة اولاد النقسيس بالخصوص هى التي تغلبت على الغزوانى وطردته وأسندت الحكم الى أحد أفرادها، وقد نتج عن طرد الغزواني أن رئيسه المقدم الخضر غيلان، عاد لمهاجمة تطوان من جديد، الا أن الخلاف بين الطرفين لم يطل، وانعقد الصلح فيما بينهما كما سيأتى.

وقد ذكر السكيرج أن الذى تولى بعد عبد الكريم النقسيس هو أخ له لا ابنه، الا أنه لم يعرف اسمه، وذكر أن هذا الاخ مات مقتولا، وأن الذى قتله هو أحد أولاد الرموز دفاعا عن عرضه وشرفه، لان النقسيس المذكور أراد الاختلاء على وجه غير شرعى باخت جميلة للرموز المذكور. وعلى ذلك يكون هذا هو رابع أربعة من أولاد النقسيس قتلوا بتطوان فى حالة سيئة لاسباب غير شريفة والكمال لله .

المقـدم الخضـر غيـلان وأولاد النقسيس

تكرر ورود اسم المجاهد المقدم (I) الخضر غيلان فى أخبـار هذا العهد ونحن تتميما للفائدة نأتى هنا بفذلكة من أخباره، خصوصا وان لبعضها علاقة بأولاد النقسيس وتاريخ تطوان .

فقد ذكر الناصرى فى الاستقصا (2) أن المقدم أبا العباس الخضر غيلان الجرفطى (3) كان من أصحاب الشيخ المجاهد أبى عبد الله العياشى، وكـان مقدما على الغزاة ببلاد الهبط فلما قتل العياشى فى التاريخ المتقدم (أى عـام 1051) استقل غيلان برئاسة تلك الجهة واستمرت حالته الى سنة 1063 فثار فى الفحص وزحف الى القصر الكبير، فقاومه أهله ثم انهزموا فاقتحم القصر عنوة وقتل جماعة من أعيانه وبقي متغلبا على تلك الناحية... ثم ذكـر فـى الاستقصا (4) أيضا أن السلطان المولى الرشيد بعد أن اهتولـى علـى فاس فى أواخر عام 1076، وبويع بها، خرج الى بلاد الغرب فقصد الخضر غيلان الثائر ببلاد الهبط وكـان بقصر كتامـة، فزحـف اليه المولى الرشيد فانهزم الخضر الى أصيلا» اهـ.

وفى كتاب «الجيش» (5) أن ذلك كان عام 1077.

وقد قرأنا فى تاريخ طنجة (6) أن المقدم الخضر غيلان قد عقد معاهدة مع الانجليزيين الذين كانوا بمدينة طنجة عام 1666 م (1076 هـ) فكانوا بمقتضى تلك المعاهدة يمدونه بكل ما كان يحتاج اليه طول المدة التى قضاها بأصيـلا .

وقد بقي المقدم غيلان وأصحابه بأصيلا الى عام 1079.

وفى الاستقصا (7) أن الخضر غيلان فى هذه السنة (يعنى سنة 1079) خلى سبيل أصيلا وركب البحر الى الجزائر.

وفى المصادر الانجليزيـة أنه فـى يوليه سنـة 1668 م. جـاء الخضر غيلان من أصيلا الى طنجة ومنها ركب البحر الى الجزائر .

I) ثلاثة ألقاب كانت شائعة فى عهد السعديين، وهى الشيخ، وهو خاص بالسلاطين، ولقب بابا، وهو خاص بأبناء السلطان، ولقب المقدم، وهـو خاص بكبراء متطوعى المجاهدين ت. و.

2) ج 4 ص 14

3) الجرفطى نسبة الى قبيلة بنى جرفط ـ او كرفـط ـ الجبليـة الواقعة بين مدينتى العرائش وتطوان .

4) ج 4 ص 17

5) ص 59 طبع فاس سنة 1336

6) ج 4 ص 19 .

7) مجلة السلام م I ـ ج 6 ص 6.

وفى أول الامر كانت العلاقات سيئة بين المقدم الخضر غيلان وأولاد النقسيس، لما علمت من أن غيلان كان من أصحاب أبى عبد الله العياشى وأن أولاد النقسيس كانوا من أضداد الشيخ المذكور، فكان غيلان يهاجم تطوان وكان المقدم عبد الكريم النقسيس يقاومه ويرد هجماته، واستمر الحال كذلك الى أن توفى عبد الكريم المذكور، واذ ذاك دخلت تطوان فى حكم غيلان وتولى الامر بها نائبه الغزوانى ثم ابدل الغزوانى بأحمد بن عبد الكريم النقسيس كما سبق فاغتاظ غيلان من ذلك وعاد الى مهاجمة تطوان من جديد، ويظهر ان الخضر غيلان لما يئس من التغلب على تطوان واقتحامها عنوة كما فعل فى القصر، عقد الصلح مع أولاد النقسيس.

وفى بحث سرديرة أن الذى باشر عقد الصلح مع الخضر غيلان، هو أحمد بن عبد الكريم النقسيس، والذى وجدته بخط الفقيه بن رحمون أن هذا الصلح كان عام 1072، وأن ولاية أحمد بن عيسى النقسس كانت عام 1071، ورواية ابن رحمون عندنا أقدم وأصح، وعليه فان الذى عقد الصلح مع غيلان هو احمد بن عيسى النقسيس ، لا احمد بن عبد الكريم النقسيس ، وزاد سرديرة أن هذا الصلح كان على أساس أن يبقى النقسيس حاكما بتطوان ولكن بشرط أن يقبل نائبا مراقبا من قبل الخضر غيلان، وأن يقدم لغيلان رجالا يعينونه على مقاتلة الانجليزيين الذين كانوا بطنجة فى ذلك العهد، وهذه الشروط يظهر منها أن قوات الطرفين كانت متكافئة .

ثم ان الحال لم يقتصر على عقد الصلح بين الخضر غيلان وأولاد النقسيس بل ان كلا من الطرفين اعترف بمكانة الآخر وتحولت العلاقات الى صداقة ومصاهرة كما ستعلمه مما يأتى

المقدم أحمد الثانى بن عيسى النقسيس 1071

تقدم لنا أن المقدم احمد بن عيسى النقسيس كان عام 996 زعيم المجاهدين الذين كانوا يهاجمون سبتة كما فى الاستقصا، وقلنا انه تولى حكم تطوان الى أن توفى ودفن بها عام 1031 كما هو منقوش على قبره، وقد ورد ذكر أحمد بن عيسى النقسيس أيضا فى حوادث وقعت بعد ذلك التاريخ بعشرات السنين وربما أوقع ذلك بعض الناس فى حيرة، **والواقع أنهما** شخصان، أحدهما هو الذى ذكرنا تاريخه وأخباره فيما مضى، وهو الذى كان مجاهدا عام 996 وتوفى عام 1031 ، والثانى هو هذا، وهو حفيد الاول، اذ أنه أحمد بن عيسى بن احمد بن عيسى، وقد وجدت بخط الفقيه العدل سيدى التهامى ابن رحمون التطوانى، أن أحمد هذا تولى حكم تطوان بعد المقدم عبد الكريم

النقسيس عام 1071 (1660) وقد سبق لنا عن سرديرة أن الذى تولى بعد عبد الكريم هو الغزوانى صاحب الخضر غيلان ثم استبدل بأحمد بن عبد الكريم النقسيس الخ. والظاهر أن مدة حكم الغزوانى وأحمد بن عبد الكريم كانت قصيرة جدا فلم يعتبرها ابن رحمون، وحكى أن الذى تولى بعد عبد الكريم هو أحمد بن عيسى لانه هو الذى رسخ حكمه وطالت مدته دونهما .

وذكر سرديرة فى بحثه أن أحمد بن عيسى هو ابن عم احمد بن عبد الكريم والذى يظهر أنه عمه لا ابن عمه.

ثم ان المقدم أحمد بن عيسى (الثانى) بقي حاكما بتطوان الى أن قبض عليه السلطان المولى الرشيد كما سيأتى تفصيله بحول الله

تطوان فى عهد الدولة العلوية الشريفة

«فذلكة» ـ أول من تولى الحكم من الاشراف العلويين، هو المولى محمد بن الشريف، وكانت بيعته بتافيلالت ـ سجلماسة ـ فى حياة والده المولى الشريف بن على سنة 1050 فقام بقتال خصومه وتغلب عليهم واستولى على فاس مدة ثم خرج منها.

وكانت تطوان فى ذلك التاريخ وقبله كما علمنا، غير خاضعة لحكم السلطان، بل كان حكمها مستقلا يتولى السلطة فيها غالبا زعماؤها ومقدموها أولاد النقسيس .

وقد تقدم لنا أن الشيخ المجاهد أبا عبد الله العياشى قد امتد نفوذه اليها مدة ثم لما ضعف أمره عاد حكمها لاولاد النقسيس، وقلنا أيضا، إن المقدم الخضر غيلان قد صارت له مع تطوان علاقة ودية أيضا، وخصوصا حينما تعاهد وتصاهر مع حكامها من أولاد النقسيس.

وفى تاريخ بيعة المولى محمد بن الشريف كان حاكم تطوان هو المقدم محمد بن عيسى النقسيس كما سبق، وكان حاكم البلاد الهبطية هو المقدم الخضر غيلان كما مر أيضا، وهكذا كانت تطوان والبلاد الهبطية بسبب بعدهما عن عاصمتى فاس ومراكش، يتأخر امتداد النفوذ السلطانى اليهما .

ثم قام المولى الرشيد فى ناحية تازا طالبا للملك، فقصده اخوه المولى محمد والتقى الجمعان فقتل المولى محمد رحمه الله عام 1075 وبوفاته بايع الناس المولى الرشيد، فتصدى لفتح بلاد المغرب واحتل مدينة فاس سنة 1076 ثم خرج منها لفتح بقية البلاد المغربية، وهنا تبتدىء علاقة المولى الرشيد بتطوان وحكامها أولاد النقسيس .

المولى الرشيد يقبض على المقدم احمد النقسيس عام 1078

قلنا ان السلطان المولى الرشيد تولى الحكم عام 1075 ثـم فتـح مدينة فاس عام 1076. ثم خرج منها لفتح بقية بلاد المغرب. وقـد حكـى الناصرى ذلك فى الاستقصا، وبعد أن ذكر عدة حوادث قال ما نصه (1) «ثم مال المولى الرشيد الى تطاوين فقبض على رئيسها أبى العباس النقسيس في جماعة من حزبه، وقدم بهم الى فاس فسجنهم بها أوائل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وألف (1667 م)» ومثل ذلك فى كتاب الجيش (2)

وقال القادرى فى التقاط الدرر ما نصه: «وفى صفر 1078. نزل المولـى الرشيد على تطاون فأخذ رئيسها فسجنه مع جماعته ورجع الى فـاس فـى أوائـل ربيع الاول» الا أن أولاد النقسيس قـد عادوا بعد ذلك لحكم تطـوان كما سيأتى.

استغراق ذمة أولاد النقسيس وبيع أملاكهـم عام 1078

بعـد ما وقع القبض من السلطان المولـى الرشيـد على حاكم تطـوان ومقدمها أحمد بـن عيسى النقسيس وعلـى أنصاره كمـا تقدم، صـدر الامر باستغراق ذمم أولاد النقسيس وبيع جميع أملاكهم، ودونك رسم شهادة جماعة من أهل تطوان بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم، «والويل للمغلوب او المعزول فى كل زمان وفى كل مكان» ونص الرسم المذكور :

الحمد لله شهـود الموضوعة اسماؤهم عقـب تاريخـه، يعرفـون ويتحققون جملة أولاد النقسيس التطاونيين معرفة كافية، وعلى تفصيل أحوالهـم ءاتية، ويشهدون مع ذلك بأنهم منذ ولوا أمر الثغر التطاونى حاطه الله كانوا موسومين بالاقلال والاقتار، والفقر والافتقار، ولا شأن لهم به النقض والابرام، والتوقير والاحترام، الـى أن ترامـت لهم حال الجرأة والذعارة، والتمادى فى السيابة والجسارة، واستطالـوا فى البـلاد، وقامـوا وقعدوا فـى الفساد، وتعصبوا بالعصائب، وتحزبوا بالاحزاب والكتائب، ولـم يزالـوا فـى البلاد التطـاونية يضرمون نار الحروب، ويثيرون المحن والكروب، والاهواء تلعب بهم، والاغواء تسوسهم حتى طلبوا الامـارة، كمـا سولـت لهـم نفوسهم الامـارة، وصالوا واستطالوا مع أشياعهم زمن الفترة من الملك فى الفتن واستغاثتهم وتغلبهم على ما هو معروف لبيت مال الله وقهر الضعفاء والمساكين من عباد الله، وخاضـوا فيما يلوح لهم من المال المستحق لبيت مال المسلمين برا وبحرا، وعمارة وقفرا،

---

1) الاستقصـا ج 4 ص 17

2) الجيش ص 59 طبعة فاس سنة 1336

من كل ما يتعين لله، ويستعان به على اقامة دين الله، ووثبوا على ما يبدو لهم من متروك من انقطع، ويتحكمون فيمن أبى وامتنع، الى أن غرسوا بذلك وبنوا، واشتروا العقار والاصول والامتعة واستغنوا، وصاروا بسبب ذلك مستغرقين الذمم مما ذكر، وقرر وسطر، لا ينتفعون بذلك حقيقة فى حياتهم، ولا غيرهم ارثا بعد وفاتهم، لكون ما بأيديهم لا يفى ببعض ما حصل فى ذمتهم، وحين أراد الله جل وعلا اظهار نوره، واعلائه وظهوره، أقام سبحانه من بيت النبوءة عمادا، وشيد للدين حصنا حصينا اشتد به ركن الاسلام اشتدادا، جامع أشتات الفضائل والفواضل، ومحيى رسوم ملوك العدل الاوائل، وهو الامام الهمام، ملاذ الانام، وعز الاسلام الواثق بالله السعيد، الموفق مولانا الرشيد، بن مولانا الفاطمى الشريف الرفيع القدر المنيف، مولانا الشريف بن مولانا على، المرتدى ما ليس فى الاطواق من المجد العلى، المتصل بسلسلة نسبته الذهبية الى فاطمة البتول وأخى الرسول أمير المؤمنين علي، أطال الله بقاءه، وأجرى معه عوائده الجميلة على وفق ما رامه وما شاءه، ومهد بمعونة الله أمر العباد والبلاد ورفع عن الناس الشرور والفساد، فانتظمت بحمد الله الامور، واتصل بحبل الله العامة والجمهور، وبنى أمر الخلافة على أساسه، ورد الفرع بسياسته الى أصله وقياسه، فهو أيده الله باكف الجميع لاشتات تلك الاموال حقيقة، وأولى من يضمها الى بيت المال فينفذ فيها أمره بالجمع والتفريق، ويمضى فيها نظره السديد ورأيه الموفق الوثيق، بكل ذلك يتحققون ويشهدون، على مضمنه يؤدون اذا سئلوا ويفصحون، فى الثانى والعشرين من شوال عام ثمانية وسبعين وألف. عبد الله محمد بن يحيى الشريف المذبوحى، والمقدم الحاج علي الشاط ويوسف بن محمد الرثوث واحمد بن عبد الرحمن بن عمر، وعبد الله بن احمد الخطيب، ومحمد بن عبد الرحمن الشرقى، وعبد الكريم بن احمد طانية ومحمد ابن على الزكيك ومسعود بن احمد اجانة، وعلى القمر، وعبد القادر بن احمد طانية، وعلى بن احمد مرشك وقاسم عاشر، وعلى بن محمد الشودرى ومحمد بن محمد ناصح، ومحمد بن علي اللقنتي، والحاج عاشور بن محمد تميم، وسعيد بن عبد الكريم بن طريقة، وأحمد بن عبد القادر المنصورى، وعبد العزيز بن على الفاسى، وعبد الوهاب بن محمد بن زاكور، ومحمد بن محمد الشودرى، وعلى بن الحاج آمسنو، ومحمد بن محمد الشويطى، ومحمد بن محمد الفاسى الغازى، واحمد بن محمد قشتلى والحاج محمد بن على قشتلى، ومحمد بن عبد السلام بوسداجة، ومحمد بن الحسن خديم، واحمد بن قاسم قرضناش، وقاسم بن سعيد الدودار وعلى مرين، واحمد بن محمد الحاج، واحمد بن محمد الكحيلى، وقاسم منطورو، والحاج محمد منضوصه، وقاسم بن على بن ظنو، وقاسم بن سعيد الخنشوف، وعلى بن محمد المصمدى، ويوسف بن محمد الشودرى، ومحمد الديمانى وأحمد

ابن سعيد الدودار والحاج عبد الرحمن الريفى، والحاج على الريفى، وموسى ابن احمد الريفى، وقاسم الشيبو .

وبعد أن تمت الشهادة المذكور أمر قاضى تطوان فى ذلك العهد باستغراق ذمة أولاد النقسيس ونزع ملكيتهم عن كل ما كانوا يملكونه وصرف جميع ذلك لبيت مال المسلمين .

ودونك الشهادة الرسمية بذلك، ونصها :

الحمد لله لما استقل وثبت لدى الفقيه الاجل الافضل الاكمل القاضى بمدينة تطاون وعمارتها وهو محمد بن سعيد بن قريش أعزه الله تعلى وحرسها رسم الاسترعاء أعلاه، فى شأن المشهود فيهم بالذعارة، والتعدى حسبما سطر وقرر أعلاه، وصح عنده أصله ومبناه، وسئل منه حفظه الله النظر فى ذلك والتأمل فى تلك المسالك، اقتضى نظره السديد، ورأيه الموفق الرشيد، أن حكم بتغريق ذمتهم لبيت مال المسلمين عمره الله. واضافة جميع ما يملكونه له وارتفاع يد ملكيتهم عن جميع ما كانوا يملكونه وصرفه للجانب المذكور، حكما ألزمه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه شهد على إشهاد من ذكر دامت كرامته بما فيه عنه وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاريخ اعلاه صح به يوسف بن محمد الرثوث وفقه الله وعبد الله بن احمد الخطيب وفقه الله .

ثم بعد ذلك أمر السلطان المولى الرشيد ناظر المواريث بمملكته ، وهو الفقيه السيد محمد بن على بن سودة أن يبيع جميع أملاك أولاد النقسيس المذكورين، ودونك الامر الرسمى بذلك ونصه :

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم ثم الطابع السلطانى للمولى الرشيد وبعده .

وعلى خديمنا الانصح، الطالب محمد بن على بن سودة السلام التام، هذا وإن أصول الظلمة المستغرقين الذمم النقاسسة وحسين العباس فنفذ البيع فى جميعها وأمضه وبرىء من تجب براءته، واقبض الثمن، وكذلك أمتعتهم ابحث عليها بتطاوين وغيرها واقبضها من عند من كانت عنده وتعينت ولا بد ولا بد والسلام وكتب خامس ذى القعدة الحرام عام ثمانية وسبعين والف.

وبعده بخط قاضى تطوان ما نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله. أعلم بثبوت الطابع الشريف عبد الله تعالى محمد بن سعيد بن قريش وفقه الله.

ودونك نموذجا للشهادات التى وقع بها بيع ابن سودة المذكور للاملاك التى أمره السلطان ببيعها بتطوان ونصه :

الحمد لله من الفقيه النبيه، الحسيب الوجيه، ناظر المواريث السعيدة بسائر المملكة الرشيدية المديدة، وهو محمد بن على بن سودة، اعزه الله تعالى

وأجمل خلاصه، اشترى التاجر الابر الحاج عمر بن الرايس على الذيب به عرف التطاونى نائبا فى الشراء ودفع الثمن عن نفسه وعمن شاركه فى مشتراه وهو المعلم احمد بن الحسن الرضنضو، والمكرم قاسم كحلين، والتاجر محمد قلينــة، والتاجر محمد بن محمد قبريرة، والتاجر محمد الصحاف، والمعلم احمد البرجى، والتاجر محمد الرفعى، يختص الذيب والرضنضو وكحليــن بالنصف الواحد . والنصف الآخر لمن عداهم، جميع الغرسة الكائنة بكيتان المتصلة بملك هرندو وعسيلة والحبس والوادى بمنافعها ومرافقها وكافة حرمها اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لها ثلاثة ءالاف أوقية وخمسون أوقيــة صحيحة شقوبية أحضرها المشتريون (كذا) المذكــورون وقبضها البائع النائب المذكور وأبرأهم من درك القبض بحكم ما بيده من أمر مولانــا الامــام أيده الله حسبما سطر بمحوله، على أن نصف العدة المذكورة دفعها الذيب المذكــور ومــن شاركه على السواء والاعتدال، والنصف الآخر دفع قلينة المذكور منــه خمسمائة أوقية وخمس وعشرين أوقية، ومحمد قبريــرة ثلاثمائة أوقيــة، ومحمد الصحاف مائتى أوقية ثنتين والبرجى مائتى أوقية ثنتين وخمسين أوقية، والرفعى مثل ما دفع البرجى المذكور يأخذ كل واحد من المبيع المذكور بنسبة ما دفع من ثمنها وملكهم البائع المذكور المبيع المذكور تملكا صحيحا تاما على السنة والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ووقوف أرباب البصر ومــن له معرفــة بذلك، اذ هو المعين اليها عن اذن من يجب، وهما المكرمان ابراهيم بن قاسم الفردال، ومحمد ابن الحسين عمير واشهادهمــا أن لا غبن فى ثمن ما بيع بــه المبيــع المذكور ولا بخس، وأن ذلك أكثر ما يساويه عرفــا قدره شهد علــى اشهاد من ذكر دامت كرامته بما فيه عنه وهو حفظه الله بالحالة الموصوفة من أشهده من عداه بما فيه عنهم وهم بحال كما له فى أوائل رجــب الفرد المبــارك تسعــة وسبعين والف وفيه بأن مناب الذيب المذكــور من ثمــن نصف المبيع المذكور خمسمائة أوقية ، ومناب كحلين المذكور من النصف المذكور مائة اوقيــة واحدة، وخمس وتسعون أوقية ومناب الرضنضو المذكور فيها ثمانمائة اوقية وخمسون أوقية، وفيه بأن زيد فى قيمة المبيع المذكور مائتا أوقية وسبعــة وثلاثون أوقية ونصف أخذ منها الابر قلينة المذكور خمسا وسبعين اوقية ومحمد بن موسى لبارش ... مائة أوقية ولعبد الله عبيس اثنان وستون أوقية ونصف فأخذ كل واحد بنسبته من المبيــع المذكور على حسب ما أدى عنه عبد الله الخطيــب وفقــه الله ويــوسف الرثوث وفقه الله.

ولايـة احمد بن يعقـوب على تطـوان عـام 1078

نقلنا عن الاستقصا والجيش، أن السلطان المولى الرشيد قبض على المقدم أبى العباس أحمد بن عيسى النقسيس وحمله الى فاس مع جماعة من حزبه عام 1078 ، وقد ذكر سرديرة فى بحثه أن السلطان المذكور بعد أن فعـل ذلـك ولى على تطوان القائد أحمد بن يعقوب، وأن ابن يعقوب هذا هـو الـذى بنى بـرج ـ امسا ـ (1) ولا نعرف من أخبار هذا القائد أكثر من ذلك.

ولاية قـاسم فرشيش علـى تطـوان عـام 1081

وذكر سرديرة أيضـا ـ ولا نـدرى مستنده ـ أن القائد قاسم فرشيش هو الذى خلف القائد احمد بن يعقوب فى حكم تطوان، وأنه هو الذى أعاد بناء سور القصبة سنة 1670 (1081) ولم نعرف من أخبار القائد فرشيش أكثـر مـن ذلـك .

مفضـل النقسيس يحكم بتطـوان، ويساعـد الخضر غيلان عام 1083

وذكر سرديرة فى بحثه أيضا، أن بعض أولاد النقسيس عاد مـرة أخـرى الى حكم تطوان مدة قصيرة سنة 1672 (1083) وهـذا هـو التاريخ الذى عاد فيه الخضر غيلان من الجزائر الى تطوان .

ثم ذكر سرديرة أن مفضل النقسيس هو الذى ساعد صهـره (2) الخضر غيلان على النزول بتطوان حين عاد من الجزائر فى البحر، وأنه فتح له أبـواب تطوان فأعاد تنظيم جيوشه واستعد لقتال السلطان المولى اسماعيل .

وفى المصادر الانجليزية، أن الخضر غيلان لما عاد من الجزائر، جاء معه عدد من الاتـراك .

وفي الاستقصا (3) أنه لما توفي المولى الرشيد عام 1082 وتولى أخوه المولى اسماعيل، انتقض عليه أهل فاس، فزحف اليهم وحاصرهـم واستمـر القتـال بينهما أياما ثم بعثوا الى ابن أخيه المولى أحمد بن محرز ليأتيهم فيجتمعوا عليه.

---

1) أمسا ـ أحد أقسام قبيلة بنى سعيد الجبلية قرب تطوان، وبه عدة مداشر، والبرج المذكور واقع على شاطىء البحر الابيض المتوسط، وهو مسامت للبرج المسمى ببرج رأس الطرف ـ الذى بين سبتة وتطوان .

2) من هنا نعرف أن الخضر غيلان كان متصاهرا مع أولاد النقسيس، وأنهم جميعا كانوا مقاومين لحكم الدولة الجديدة التى قامت بالمغـرب فى ذلـك الـتـاريـخ .

3) الاستقصا ج 4 ص 22 ومثله في الجيش ج 1 ص 64 .

فقدم دبدو وأنزل على ملوية، وبعث اليهم رسوله يعلمهم بمجيئه، فأعلنوا بنصره، وذلك يوم الخميس العشرين من جمدى الثانية عام 1083. وفى سلخ الشهر المذكور بعثوا عشرة من الخيل للقائه بتازا، ثم أصبح عليهم رسول الخضر غيلان يعلمهم بأنه قدم من ثغر الجزائر فى البحر، وأنه نزل بتطاوين مع رؤسائها أولاد النقسيس .

وفى نشر المثاني والتقاط الدرر، أنه في يوم الثلاثاء ثانى رجب (1083) أصبح رقاص الخضر غيلان بفاس، وأنه وصل تطوان ودخلها مع أولاد النقسيس فى بعض السفن من الجزائر .

قتل الخضر غيلان وفرار أولاد النقسيس الى سبتة عام 1084

ذكر الناصرى فى الاستقصا (1) أن السلطان المولى اسماعيل نهض الى ابن أخيه أحمد بن محرز الثائر عليه، فحاصره فى تازا ففر ابن محرز ودخل الصحراء، ولما علم السلطان بفراره عدل الى ناحية الهبط وقصد الخضر غيلان، فحاربه الى أن ظفر به وقتله يوم الاحد عشرى جمدى الاولى سنة 1084 والذى وجدته بخط بعض الفقهاء أن وفاة الخضر غيلان كانت فى شهر رجب، وفى بعض المصادر الاجنبية، أنه كان فى 18 سبتمبر سنة 1673 م وهو يوافق 6 جمدى الاخيرة، والله أعلم بالصواب من ذلك. ثم ان من الثابت أن أولاد النقسيس الذين كانوا بتطوان فى ذلك العهد، فروا منها ولجأوا الى سبتة وبقوا بها إما مقيمين بها وإما مترددين عليها تحت رعاية الاسبانيين وحمايتهم، ثم خرجوا منها أخيرا. وقد حكى السكيرج ذلك باختصار فذكر أنه لما انتصر السلطان المولى اسماعيل، كان الباقون من أولاد النقسيس أربعة هربوا الى مدينة سبتة، وقال سرديرة فى بحثه، انه فى سبتمبر سنة 1673 مات الخضر غيلان وانهزم حلفاؤه أولاد النقسيس الاربعة، فالتجأوا مع أهلهم وأقاربهم الى سبتة حيث أكرم وفادتهم حلفاؤهم الحكام الاسبانيون الذين كانوا قد عقدوا معهم هدنة منذ عام 1661. (1072) وجددت سنة 1672 (1083) من قبل الحاكم الماركيس دى طريس فدراس MARQUES DE TORRES VEDRAS وزاد أن أولاد النقسيس وأقاربهم صحبوا معهم الى سبتة 60 رجلا و 18 امرأة، وهذا العدد نفسه هو الذى ورد فى تاريخ مانويل كاسطيانوس (2).

وقد وقفت فى الكتاب الاسبانى المسمى علاقات افريقية (3) RELACIONES DE AFRICA على رسالة كتبها أحد الضباط الاسبانيين من سبتة الى أحد

---

1) الاستقصا ج 4 ص 22 ومثله فى الجيش ج 1 ص 64

2) ص 441 .

3) ص 21

أصدقائه، وقد حدثه فيها بأخبار سبتة وغيرها، ومن جملة ما فى تلك الرسالة تفاصيل عن قتل الخضر غيلان وفرار أولاد النقسيس من تطوان الى سبتة. ونحن ننقل من تلك الرسالة ما ملخصه، أن اسبانيى سبتة قد تمكنوا فى ذلك التاريخ من أخذ مواشى لاهل تطوان دون أن يتكبدوا خسائر (1) وأنه فى 14 سبتمبر 1673. (موافق ثانى جمدى الاخيرة عام 1084) وصل الى سبتة رجل مغربى يحمل من قاضى انجرة رسالة يطلب فيها من الحكام الاسبانيين أن يسمحوا له بأن يلتجىء مع عائلته الى سبتة فأذنوا له فى ذلك، وفي اليوم التالي جاء أيضا من يطلب السماح لعائلة النقسيس بالالتجاء الى سبتة فأذن حاكمها بذلك، وفى مساء نفس اليوم وصل ستة من الركاب ومعهم ست نسوة احداهن هى زوجة (2) BENSAYMAN والخمس الباقيات خادمات، وقد قابلهن حاكم سبتة وسكانها بكل اجلال واحترام.

وفى 17 منه وصل أولاد النقسيس ومعهم أولاد (3) MONSADAL وأكثر من 150 شخصا، وقد فروا من تطوان بعد أن تدلوا من اسوارها، لان أهاليها فكروا فى تسليمهم للسلطان (4).

وفى يوم 18 منه خرج الخضر غيلان مع أربعة ءالاف من الخيل ليحارب جيوش السلطان، وفى نفس الليلة بعد ما ذهب المقدم غيلان المذكور الى محل نومه، دخل عليه رجال وقتلوه وثار أصحابه وانضموا لجيش السلطان، وقد أشهر أصحاب السلطان جثة الخضر غيلان وطافوا بها فى شوارع تطوان، أما بقية الموالين لغيلان فانهم فروا الى سبتة فقوبلوا فيها بمزيد الاحترام.

---

1) يظهر من هذا أن معاهدة الصداقة انما كانت بين حاكم سبتة وأولاد النقسيس، أما أهالى تطوان وسبتة فلم يكونوا على وفاق، بل كان كل طرف منهما يغير على ناحية الآخر ويختطف منها ما تصل اليه يده.

2) لم نعرف صاحب هذا الاسم ولعله بن سليمان.

3) المفهوم أن المراد هنا أولاد مفضل ومن الممكن أن يكونوا هم أولاد مفضل النقسيس الذى سبق أنه حكم تطوان أخيرا وساعد صهره الخضر غيلان على حركته الاخيرة عند عودته من الجزائر، كما أن من الممكن أنهم أفراد من عائلة مفضل التى كانت لها ثروة وشهرة بتطوان. وقد سبق للسيد أحمد مفضل أنه كان نائبا وأمينا للسلطان على حدود تطوان سبتة.

4) نحن نعرف أن السلطان الذى كان فى ذلك العهد، هو المولى اسماعيل، وكان فى ذلك التاريخ قد قصد بلاد الهبط القريبة من تطوان ليقضى على حركة المقدم الخضر غيلان، فيظهر أن أهالي تطوان خافوا من هجوم السلطان عليهم للقضاء على أنصار غيلان وفى مقدمتهم أصهاره أولاد النقسيس، فخاطبوهم فى شأن الاستسلام للسلطان فامتنعوا من ذلك نظرا لما كانوا يعرفونه من بطشه وانتقامه، وفضلوا الفرار الى سبتة الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وفى فجر يوم 19 منه وصل سبتة رسول من تطوان باسم السلطان ودعا أولاد النقسيس للاستسلام للسلطان وأعطاهم الامان على أنفسهم وأملاكهم فجمع حاكم سبتة بعض رجاله، وبعد المذاكرة معهم رفض طلب ذلك الرسول.

وفى مساء اليوم نفسه وصل من تطوان شخص آخر وأخبر أولاد النقسيس بأن السلطان عازم على قتلهم، فتأثروا من ذلك وصمموا على عدم الاستسلام له مهما كلفهم الامر ... الخ الرسالة وتاريخ الرسالة التى وردت فيها هذه الاخبار هو 23 سبتمبر سنة 1673 م (11 جمدى الاخيرة عام 1084 هـ)

ثم تردد على أولاد النقسيس رسل كان بعضهم من جهة السلطان وبعضهم من جهة خصومه، أولئك يراودونهم على الخضوع، وهؤلاء يحذرونهم من الوقوع، أما هم فقد قرروا البقاء بسبتة الى أن كان من أمرهم ما يأتى بحول الله (1) .

مهمة أولاد النقسيس وعلاقاتهم الخارجية

عرفنا أن تطوان كانت فى عهد أولاد النقسيس غير خاضعة لحكم سلاطين المغرب الذين كانوا فى جل ذلك العهد كملوك الطوائف لا هم لكثير منهم الا الانغماس الشخصى فى الملاهى والملذات، وارسال الجيوش الوطنية لمحاربة جيوش وطنية أخرى فى سبيل الاغراض الخاصة، وكان من نتيجة ذلك أن استغل الاجانب تلك الاختلافات وذلك الضعف، وصاروا يقتطعون مما بقى من أطراف المغرب شيئا فشيئا الى أن كادوا يأتون على جميع الشواطىء البحرية بالمغرب (2)

أما أولاد النقسيس فانهم لم يشاركوا فى تلك الاختلافات الداخلية وحروبها الاهلية بل احتفظوا بقواتهم المادية والادبية، واستبدوا بتطوان ونواحيها وبقوا قائمين بأعمال الجهاد والرباط على الحدود حفظا لناحيتهم من الاحتلال الاجنبى، فكانت نتيجة عملهم هذا أن تطوان بالرغم من قربها من الحدود الاجنبية برا وبحرا، بقيت كما كانت فى أيام المنظرى محتفظة بحكمها الاسلامى الوطنى، فكان مقدموها وحكامها هم الذين يباشرون جميع شؤونها الداخلية وكانت لهم مع الدول الاجنبية علاقات ومعاهدات ومكاتبات، ومن الاسف أن المصادر العربية التى بين أيدينا لا نجد فيها شيئا من الوثائق المتعلقة بهذا

---

(1) ان شئت فانظر بعد هذا حوادث سنتى 1088 و 1098.

(2) كان الاجانب فى ذلك العهد مستولين على مليلية وحجر بادس شرق تطوان، وعلى سبتة شمالها، وعلى طنجة غربها، وعلى أصيلا والبريجة (الجديدة) وفى سنة 1019 استولوا على العرائش، وفى سنة 1022 استولوا على المعمورة ـ المهدية الخ

الموضوع، أما المصادر الافرنجية فقد عثرنا فيها على بعض معلومات يمكننا استنادا عليها أن نحكم بأن علاقات اولاد النقسيس وأهالى تطوان بالدول الاجنبية قد مرت عليها فى ذلك العهد أطوار أربعة نلخص ما عرفناه عنها فيما يلى :

الطور الاول ـ فى عهد المقدم احمد بن عيسى النقسيس

- ـ مع اسبانيا .
- ـ مع انجلترا .
- ـ مع هولندا .

مع اسبانيا

كان السلطان زيدان بن احمد المنصور بمراكش ، وكان أخوه محمد الشيخ المامون يحاربه، وانهزم محمد الشيخ فلجأ الى ملك اسبانيا فليب الثالث، وطلب منه أن يساعده على أخيه زيدان، وكان المقدم أحمد بن عيسى النقسيس ضد محمد الشيخ فنشأ عن ذلك أن صارت بين السلطان زيدان والمقدم النقسيس علاقات وصداقة لمصلحة الطرفين ضد عدوهما محمد الشيخ. وفى هذا الوقت حاول المقدم احمد النقسيس أن يربط علاقات ودية بين صديقه السلطان زيدان وملك اسبانيا فليب الثالث كما فى مجموعة م. هنرى دى كاسترى، وكأن النقسيس كان يقول لملك اسبانيا، ان كان ولا بد من أن تكون لدولتكم علاقة وصداقة مع حكام المغرب، فلتكن مع مولاى زيدان السلطان الشرعى صاحب القوة والسلطة، لا مع محمد الشيخ الثائر الضعيف الملتجىء ، ولكن ملك اسبانيا كان كجل ساسة الدول فى ذلك العصر ـ وفى هذا العصر أيضا ـ لا يفكرون لا فى الحق او الباطل، ولا فى العدل او الظلم، ولا فى المبادىء السامية والمثل العليا من الانسانية والشفقة والرحمة، أو ضد ذلك، من الاستعمار والاستعباد والوحشية، كل ذلك لا يهمهم، وانما يزنون الاشياء بميزان مصالحهم الخاصة لا غير، انما يؤيدون بمقابل، ويخذلون بعوض، أو فى انتظار عوض، فلذلك كان فليب يرى خلاف ما كان النقسيس يراه لان السلطان زيدان لا يسمح بأكثر من تبادل المصالح العادية بين الطرفين، أما محمد الشيخ فقد وعده بتسليم مدينة العرائش له وبغير ذلك من الاشياء التى كانت كلها فى مصلحة اسبانيا دون المغرب. وهكذا فشل النقسيس فى محاولته

السياسية، وكانت نتيجة ذلك أنه صار يعمل ضد مصالح اسبانيا التى صادقت عدوه محمدا الشيخ ـ وصديق العدو عدو ـ كما يقول العرب (I)

مـع انجلتـرا ـ والمعـروف عن المقـدم أحمد بـن عيسى النقسيس، أنه كانت له مع الانجليزيين مراسلات وعلاقات ودية، وقد سبقت لنا الاشارة الى شىء من ذلك، والى أنه قد وقعت بين الطرفين مفاوضـات انتهـت بعقد معاهدة صداقة وتبادل المصالح بينهما، ومن المعلـوم أن انجلتـرا كانت في ذلك العهد فى خصومة مع اسبانيا .

وقد وقفت فى مجموعة الكونت دى كاسترى علـى رسالـة كتبهـا حاكم طنجة الاسبانى (2) بتاريخ 9 ابريل عام 1622 (1031) وفيها أنه عثر على رسائل تبودلت بين حاكم تطوان المقدم احمد النقسيس وسفير انجلترا وتاجر انجليزى كان مقيما بقادس (اسبانيا) ومضمنها المخابرة فـى شـأن تأسيس دار تجاريـة انجليزية بتطوان. وقد أشار الحاكم الاسبانى المذكور بمقاومة ذلك المشروع بكل ما فى الامكان، لان فيه تأييدا للنفوذ الانجليزى وضررا بمصالح دولة اسبانيا الخ.

مـع هـولـنـدا

وكانت للمقدم احمد النقسيس أيضا علاقات تجارية مع التجار الهولنديين ومراسلات مع حكومة هولندا، وفى مجموعة دى كاسترى رسائل كثيرة تبودلت

I) جاء فى آخر الرسالة التي أجاب بها السلطان زيدان بن المنصور المرابط يحيى بن عبد المنعم الحاجى ما يلى :

«وعرفنا النـاس وعرفونـا وعاملناهم وعاملونا، ولو أردت خمسمائة ألف مثقال من أصحاب أفلامنك أو من أصحاب الانجليز وكتبت اليهم فى ذلك ما تأنوا فى بعثه ولا لاذوا فيه بمعذرة» .

وتاريخ هذه الرسالة كان حوالى سنة 1025 هـ. ثم ان غيلان وحزبه كـان متفرغا فى الكثير للرباط على طنجة وهى فى حوزة الانجليز اذ ذاك، أما قدماء أولاد النقسيس الذين كانوا ضد غيلان وشيخـه العياشى فانهـم كانوا يحاربون الاسبانيين بسبتة وقد كان العداء مستحكما فى هـذا التاريخ بين الدولتين، فقد تحاربا فى قضية الاصلاح الدينى الذى كـان يسمى بـه القـرن السادس عشر الميلادى، ثم اتت حرب الثلاثين سنة (1618 ـ 1648 م) وهـى من معنى ما قبلها.
ت. و.

2) مـن المعلـوم أن طنجـة كانـت بيد البرتغاليين منذ سنـة 876 هـ (1471 م) فلمـا انضمـت البرتغـال الى اسبانيا سنة 989 (1581) صارت طنجة تحت حكم اسبانيا، وبقيت كذلك الى أن انفصلت البرتغال عـن اسبانيـا سنة 1050 (1640) فاذ ذاك عادت الى حكم البرتغال الـى أن سلموهـا للانجليز سنة 1072 (1662) .

بين النقسيس المذكور وحكومة لاهاى وخصوصا فى قضية رفعها النقسيس الى الحكومة المذكورة ضد تاجر هولندى هرب بمركب فيه زيت لاهل تطوان، وقد عرضت القضية المذكورة على مجلس أمسطردام فحكم فيها للنقسيس ضد التاجر الهولندى وان شئت فانظر تفاصيل ذلك بالمجموعة المذكورة فى رسائل سنة 1615 ـ 1616 م.

الطور الثانى ـ فى عهد المقدم عبد الله النقسيس

مع انجلترا ـ مع اسبانيا ضد العياشى

مع انجلترا

بقيت العلاقات حسنة بين انجلترا واولاد النقسيس بقية مدة المقدم احمد النقسيس، واستمرت كذلك فى عهد المقدم عبد الله بن احمد. وقد وقفت على رسالة كتبها عبد الله المذكور بتطوان فى 30 يونيه 1629 م (1038 هـ) وبعثها الى شارل ملك انجلترا، وفيها ان المقدم المذكور كان يعامل الانجليز فى بلده خير معاملة الخ. وقد تقدم لنا جواب تلك الرسالة من شارل الاول الى عبد الله المذكور، وقد كتب فى اكتوبر سنة 1629 م (1039 هـ) وفيه نجد ملك انجلترا يشكر المقدم النقسيس على حسن معاملته للانجليز وعلى الهدايا التى بعثها اليه، ويطلب منه أن يسمح للانجليز بشراء الخيل من بلاده، وأن يواصل التجار الانجليزيون تعاطى التجارة فيها الخ. ويعلمه بأن الرسول حامل تلك الرسالة سيبلغه الاشياء التى لا تمكن كتابتها. وذلك يدل على أن العلاقات كانت متينة بين الطرفين وأنها كانت ذات أسرار لا تمكن كتابتها، وكيفما كان الحال فانه لا يخرج عن كون كل واحد من الطرفين كان يستعين بالآخر على توطيد مركزه، وعلى محاربة خصومه، وذلك شأن الدول والسياسة فى كل زمان ومكان. فلا يغتر العقلاء بالتودد السياسى فانما هو برق خلب .

ويظهر أن تلك العلاقات الودية قد استمرت بعد المقدم عبد الله النقسيس وسيأتى لنا أن المقدم محمد بن عيسى النقسيس كان يرحب بالبحارة الانجليز الذين يردون على ميناء تطوان ويمد اسطولهم بالمواد الغذائية وغيرها. وكان ذلك عام 1061 هـ (1651 م)

مع اسبانيا ضد أبى عبد الله العياشى

وفى عهد عبد الله النقسيس نفسه تحولت عداوة اسبانيا الى صداقة ، فالصديقان القديمان محمد الشيخ المامون وفليب الثالث قد دخلا فى ذمة التاريخ. وأصبح أولاد النقسيس أمام حاكم جديد قد انضم اليه خصومهم، وصاروا يعملون للاستيلاء على مدينتهم وانتزاع السلطة من ايديهم، فلم يكن هناك بد فى نظرهم من مقاومة خصومهم، وأن يكونوا ضد هذا الحاكم الجديد الذى هو أبو عبد الله العياشى، وأبو عبد الله هذا وأصحابه لم يكونوا على وفاق مع الاسبانيين، فاتحدت بذلك مصالح اولاد النقسيس مع مصالح اسبانيا وصار الجميع يقاوم اصحاب أبى عبد الله العياشى. وهكذا تحول الاعداء الى اصدقاء والمواطنون المجاهدون الى خصوم واعداء ، وهكذا هى السياسة لا يعرف أصحابها الا مصالحهم قبل كل شىء الا من رحم ربك وقليل ما هم، ولكن هذه الصداقة لم تفد أصحابها كثيرا، لان أصحاب المجاهد الناصح المخلص أبى عبد الله العياشى، قد احكموا مؤامرتهم واستولوا على تطوان، فهرب منها المقدم عبد الله النقسيس والتجأ الى الاسبانيين بسبتة، فزال حكم تطوان من يد اولاد النقسيس مدة ثم عاد اليهم كما تقدم بيانه .

الطور الثالث ـ فى عهدى محمد وعبد الكريم النقسيس

وجدنا فى مجموعة الكونت دى كاسترى (1) ملخصا عن العلاقات بين انجلترا والمغرب من عام 1642 الى 1660 (1052 ـ 1070 هـ) وفيه بيان العلاقات بين الانجليزيين وحاكمى تطوان فى تلك المدة، وهما المقدم محمد بن عيسى النقسيس، والمقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس، وقد جاء فى ذلك الملخص ما مضمنه أن العلاقات بين انجلترا والمغرب لم تنقطع فى المدة المذكورة، وأن كروميل حاكم انجلترا فى ذلك العهد، قد اضطرته سياسته فى البحر الابيض المتوسط ، أن يعين قنصلا لدولته فى تطوان (عند مقدميها أولاد النقسيس) وقد عقد معاهدة مع محمد الشيخ الاصغر، ولكن تلك المعاهدة قد نقضها التجار الانجليز عقب عقدها ببيعهم الاسلحة للثوار ثم ذهب القائد محمد بن عسكر الى لندن سفيرا عن دولة المغرب، ولكنه لم يصل الى نتيجة مع الانجليزيين.

---

(1) من سجلات انجلترا م 3 من ص 552 فما بعد .

وفى سنــة 1646 م (1056 هـ) اضطرت العــواصف بعــض المراكــب الــى سواحل المغرب فأسر من كان فيها من الانجليزيين .

وفى سنة 1656 م (1067 هـ) استطــاع أحــد التجار الانجليزييــن انقــاذ عشرة من الاسارى الانجليز بمبلغ 580 لبرة انجليزية، وقــد بقيــت العــلاقات متوتــرة بين الطرفيــن الى أن انعقد الصلح بينهما وتــم تسليم الاسرى فى سنة 1657 الخ .

ثم جاء فى الملخص المذكور ما مضمنه أنه بينما كانت العلائق بين الانجليز وداخلية المغرب متوترة كمــا ذكرنــا، كــان الحــال بعكس ذلك بين انجلترا وتطوان، وكانت السياسة الدوليــة هــى السبب فى ربط العلاقات الودية بين الطرفين المذكوريــن، فحــرب اسبانيا التــى اعلنت فى شهر فبرايــر 1656 م (1066 هـ) وحصار قادس الذى كان أهم حادثة فى الحرب المذكورة قد أظهــرا لانجلترا أن الحاجة تدعوها للاستيلاء على مركز مهم فى البوغاز للتوصل بذلك الى تمويــن الاسطــول الانجليزى، ولاجل هــذه الغايــة خــرج الاميرال بلاك ومونتاغو تحت أوامر كرومويل للاستطلاع على الحالــة فى جبل طارق وجزيرة الخزامى (الحسيمة ALHUCEMAS) ولكن نظرا لضيق الوقت وفقدان الوسائل اللازمة لاحتلال المركزين المذكورين، فان الانجليزيين قد فضلوا على ذلك ربط علاقــات وداديــة مع حــاكم مدينــة تطوان، هــذه المدينة التــى عادت بعد موت العياشى الى يد أولاد النقسيس بمساعدة الدلائيين، وقد كانت دائما تستقبل البحارة الانجليزيين استقبالا حسنا، وقبــل هــذه المــدة بخمس سنــوات كان القائد محمد بن عيسى النقسيس قد قدم مواد غذائية الى القبطان وليام پن الذى كان قد أرسل الى البوغاز ليمنع السفن المعادية من اجتيازه .

وعند ما ظهر بلاك ومونطاغو أمام ميناء تطوان فى شهر يونيه سنة 1656 م (1066 هـ) لاجل تموين سفنهما، استقبلهما المقدم عبد الكريم النقسيس أحسن استقبال، ولم يكتف بــأن يقــدم اليهمــا اللحم والمــاء اللذيــن كانا فى حاجة اليهما، بل اقترح عليهما عقد معاهدة ودادية تجارية بين الطرفين، وعرض عليهما أن يتركا فى تطوان نائبا عن انجلترا للسهــر على تنفيــذ تلك المعاهدة. (1) الا

---

1) لا نستغرب سعى النقسيس والانجليزيين فى ابرام مثــل هــذه المعاهدة، فالانجليزيون كانوا فى حالة حرب ضد اسبانيا، وكانوا فى حاجة الى مراكز قريبة لتموين اسطولهم بالماء والطعام وغيرهما، وميناء تطوان كان كفيلا بمرغوبهم، ومــن جهة أخرى كــان المقــدم النقسيس فى ذلك العهد فى خصام عنيف مع المقدم الخضر غيلان الذى كانت هجماته متواليــه على تطوان، فكان النقسيس أيضا فى غاية الحاجة لدولة قويــة صديقة تمده بمــا يحتاج اليه من السلاح والمعدات الحربية وغيرها ليستطيع مقاومة خصمه الــذى كــان يحاول الاستيلاء على مدينته ...

أن اضطرار الاسطول الانجليزى لمغادرة ميناء تطوان بسرعة، حال دون عقد تلك المعاهدة، ولكن مع ذلك لم تنس اقتراحات حاكم تطوان، فبمجرد رجوع الرئيس باديلى BADILEY فى آخر السنة الى انجلترا ـ وقد كان مصاحبا للرئيس بلاك في البحر الابيض ـ اقترح على الحكومة الانجليزية أن تعين قنصلا لها فى تطوان لاستغلال الاستعداد الموجود فى أهلها، وضمانة تموين السفن الانجليزية ما دامت الحرب قائمة مع اسبانيا وهذا الاقتراح الذى قدم الى الحكومة الانجليزية، قد عرض فى 18 يناير سنة 1657. على مفوضى الامبرالية الانجليزية لابداء رأيهم فيه، وبالرغم من كون أعضاء شركة الشرق لم يبدوا ارتياحهم لذلك المشروع، فان الرئيس مونطاغو قد أيد اقتراحات باديلى، وانتصر فى النهاية رأى البحارة على رأى التجار، وكان الشخص الذى اقترح تعيينه قنصلا لانجلترا بتطوان وهو المستر ناثانيل لوك NATHANIEL LUKE أحد التجار الانجليز القدماء بتطوان. وفعلا وقعت المصادقة على تعيينه وتلقى من الامبرالية الانجليزية تعليمات مكتوبة كلفته فيها بأن يقوم فى تطوان بمهمة الحارس لمصالح انجلترا وادارة قسم الاستعلامات للاسطول الانجليزى الذى كان يحارب اسبانيا .

واجابة لرغبة المقدم عبد الكريم النقسيس حاكم تطوان تلقى القنصل المذكور أمرا بتحرير الاتفاق الذى أمضاه الدلائى الحاكم الاسمى للبلاد، والنقسيس حاكم تطوان، فى 19 غشت سنة 1657 م (1067 هـ) وهذا الاتفاق (1) ضمن للانجليزيين الحرية فى أشخاصهم وأموالهم وأعطاهم من جديد مقاما ممتازا فى المغرب بالسماح لهم بتنمية التجارة، وبأن يجدوا من المغرب مساعدة ضد اسبانيا التى كانت فى حالة حرب معهم، ولكن هذه الحالة قد تغيرت تماما بسبب احتلال الانجليز لطنجة، اذ صارت تطوان صديقة لخصميها السابقين وهما الخضر غيلان ودولة اسبانيا، كما صارت عدوة محاربة لانجلترا فى طنجة .

الطور الرابع ـ فى عهد المقدم احمد (الثانى) بن عيسى النقسيس

محاربة انجلترا ـ صداقة اسبانيا

كان البرتغاليون محتلين لطنجة، وكان الوطنيون المغربيون وعلى رأسهم المقدم الخضر غيلان يحاصرونهم ويحاربونهم باستمرار، ويئس البرتغاليون

---

1) النص الانجليزى لهذا الاتفاق موجود فى ص 588 من المجلد الثالث من مجموعة دى كاسترى ـ سجلات انجلترا ـ وعليه امضاءات عبد الله الغزوانى ومحمد بن بوبكر ـ ملك الزاوية ـ وعبد الكريم النقسيس (حاكم) والحسين الهادى (عدل) .

من انقطاع تلك الحروب المضنية ، فسلموا طنجة للانجليزيين فكان احتلال الانجليز لطنجة بالاتفاق مع البرتغاليين، والصداقة السياسية كالخصومة تدور مع المصلحة حيثما دارت، وقبل هذا العهد كان أولاد النقسيس يصادقون الانجليز للاستعانة بهم على خصومهم، وكان الانجليزيون يبادلونهم الصداقة للاستعانة بهم على حرب اسبانيا، والآن وقد امتدت مطامع الانجليز الى الاستيلاء على قطعة من الارض المغربية، فانه لم يبق مناص لاهل تطوان من تغيير السياسة بازاء هؤلاء الاجانب المحتلين لقطعة من أرض الوطن المقدس .

وكانت بين أولاد النقسيس ومواطنهم الخضر غيلان، خصومات فتداركوها وانعقد الصلح بين المقدم غيلان وحاكم تطوان المقدم احمد بن عيسى النقسيس عام 1072 هـ (1661 م) أى فى نفس السنة التى احتل الانجليز فيها مدينة طنجة وكان من جملة ما وقع الاتفاق عليه من المتصالحين، أن يمد اولاد النقسيس حليفهم غيلان برجال يحاربون معه الاجانب الجدد. وهم الانجليزيون الذين احتلوا مدينة طنجة أخيرا، مما يدل على أن صداقة أولاد النقسيس للانجليز انما كانت موقتة، أى ان كل جانب من الطرفين كان يستغل صاحبه لمدة محدودة ولمصالح معينة، فلم تكن صداقة النقسيس للانجليزيين على أساس الخيانة أو التنازل لهم عن أرض الوطن، بدليل أنهم كانوا من أول المحاربين لهم عند ما تنازل لهم البرتغاليون عن مدينة طنجة المغربية.

وفى نفس هذه السنة (1072 هـ 1661 م) عقد أولاد النقسيس مع الاسبانيين هدنة بقى كل من الطرفين محافظا عليها الى أن لجأ الباقون من أولاد النقسيس مع عائلتهم وأصحابهم الى سبتة حينما خافوا من قبض السلطان عليهم وعقابهم، فاستقبلهم الاسبانيون أحسن استقبال ولبثوا عندهم بضع عشرة سنة الى أن غادروا سبتة باختيارهم، وكان من أمرهم ما كان .

وهكذا صار أولاد النقسيس أعداء للانجليز، وأصبح الاسبانيون أصدقاء لاولاد النقسيس، وقبل ذلك استغل الانجليز عواطف أهل تطوان ـ كما قالوا ـ واستخدموا صداقتهم فى محاربة الاسبانيين، وهكذا هى السياسة، وهكذا هي معاملة السياسيين، فلا عهود ولا مواثيق، الا حيث المصلحة، والا فالاعداء أصدقاء، والاصدقاء والمواطنون أعداء ! تلك هى طبيعة السياسة والسياسيين فى الماضى وفى الحال وفى المستقبل الى ما شاء الله .

حكم تطوان بعد أولاد النقسيس

قلنا إن السلطان المولى الرشيد قد قبض على المقدم أحمد بن عيسى النقسيس وحمله مع جماعة من حزبه الى فاس، وولى على تطوان القائد أحمد ابن يعقوب عام 1078. ثم كان القائد قاسم بن فرشيش واليا على تطوان عام 1081. ثم عاد الحكم فى تطوان ليد أولاد النقسيس عام 1083، ثم فى سنة 1084 قتل الخضر غيلان وفر الباقون من أولاد النقسيس الى سبتة ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك التاريخ، والظاهر أنه بعد أن وقع القضاء على نفوذ أولاد النقسيس وأنصارهم، لم يبق بتطوان منازع للنفوذ السلطاني، فاجتمعت الكلمة واشتغل الناس بما يعنيهم، واتجهت الفكرة العامة الى تأليف الجيوش الوطنية وحشد القوات واعلان الجهاد لاسترجاع الاراضى المغربية التى كانت بيد الافرنج .

ونحن لا نعرف بالتدقيق من هو الشخص الذى تولى حكم تطوان عقب فرار أولاد النقسيس الى سبتة، وان كنا نعلم أن السلطان المولى اسماعيل هو الذى عين حاكم تطوان فى ذلك التاريخ، ولعل الذى تولى بعد أولاد النقسيس مباشرة هو القائد أحمد بن حدو والله أعلم.

ولاية القائد أحمد بن حدو على تطوان عام 1084

القائد أحمد بن حدو الحمامي التمسماني الريفى ينسب الى قبيلة تمسمان من القبائل الريفية الشرقية، وقد ذكر أبو محمد سكيرج أنه هو الذى تولى حكم تطوان بعد أولاد النقسيس، وقد سبق لنا أن فرار من بقى من أولاد النقسيس الى مدينة سبتة، كان عام 1084 فاذا صح ذلك كان القائد أحمد قد تولى حكم تطوان فى هذه السنة (1084) . وقد كان رحمه الله من أبطال المجاهدين الريفيين، وكان من رؤوس عائلته الشهيرة التى قال فيها الناصرى فى الاستقصا ما نصه (1)

... «وكان أولاد الريفى هؤلاء من الشهرة في الجهاد والمكانة في الشجاعة ومكائد الحرب بمنزلة أولاد النقسيس وأولاد أبى الليف وأضرابهم رحم الله الجميع »

وذكر أبو محمد سكيرج، أن القائد أحمد هذا اليه تنسب الزنقة المعروفة فى حومة الطرنكات بزنقة القائد احمد، لانه كان يسكن بها، وأن الدار التى كان يسكنها كانت ما تزال معروفة الى عهده الخ. ولعلها هى الدار التي كانت الى

---

1) الاستقصا ج 4 ص 30

وقتنا تعرف بدار الحمامي، عن يمين الذاهب من الطرنكات الى ساحة الفدان والله اعلم .

ولا نعلم بالتدقيق ما هي المدة التي قضاها القائد أحمد في حكم تطوان وغاية ما نعلم عن ذلك أن مدة حكمه بتطوان لم تطل، لان الباشا علي بن عبد الله تولى حكم تطوان سنة 1090 كما سيأتي .

من أخبار القائد أحمد رحمه الله

قرأنا في أخبار فتح المهدية (1) أن استرجاع المسلمين لها كان عام 1092 هـ (1681 م) وأن المجاهدين لما فرغوا من أمرها، ارتحلوا مع أميرهم القائد عمر ابن حدو البطوئي، فأصابه الوباء، فمات في الطريق، وتولى رئاسة المجاهدين أخوه القائد أحمد بن حدو واقتسمها هو والقائد أبو الحسن على بن عبد الله الريفي (2) .

فالقائد أحمد كما ترى كان في مقدمة المجاهدين الذين افتتحوا المهدية ـ المعمورة ـ وكان من أعيانهم حتى إنه تولى رئاستهم بعد وفاة قائدهم، وتاريخ فتح المهدية كما قلنا كان سنة 1092 ومن الثابت أيضا كما سيأتي أن القائد علي بن عبد الله تولى حكم تطوان ونواحيها بأمر السلطان المولى اسماعيل عام

---

1) «المهدية» ويسميها بعضهم بالمعمورة، هي ميناء مغربي على المحيط الاطلسي شمال مدينة سلا، وقد نقل الناصري في الاستقصا (ج 2 ص 172) ان الذي اختطها هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله، وأن بعض الافرنج زعم أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدي، وقد احتلها البرتغاليون سنة 921 هـ (1515 م) واستقروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم. ثم استولى عليها الاسبانيون سنه 1023 هـ واستمروا بها نحو سبعين سنة الى أن استرجعها المسلمون منهم سنة 1092 هـ.

وقد وجدت بخط الفقيه العلامة سيدي محمد بن الهاشمي افيلال رحمه الله ما نصه : «كان افتتاح مدينة المعمورة واستيلاء المسلمين عليها في خلافة مولانا اسماعيل الشريف العلوي رحمه الله وذلك في صبيحة الاربعاء حادي ربيع الثاني عام 1092 .

وفي الاستقصا (ج 4 ص 30) والجيش (ج 1 ص 72) أن السلطان المولى اسماعيل، لما بلغه أن العسكر المحاصر للمهدية قد اشرف على فتحها وتوقفوا على حضوره، نهض اليهم وحضر الفتح وأخرج رئيس النصارى وأمنه هو وأصحابه وكانوا 306 أنفس وأما الغنيمة فقد احرزها المجاهدون من أهل الفحص والريف الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمر بن حدو البطوئي .

2) الاستقصا ج 4 ص 30

فيظهر ان السلطان المذكور اسند حكم تطوان أولا الى القائد أحمد عام 1084، ثم اخره عن ذلك وولى مكانه القائد علي بن عبد الله عام 1090 ثم لما كانت سنة 1092. كان القائدان معا فى مقدمة المجاهدين الذين افتتحوا المهدية تحت رئاسة قائد الجيش عمر بن حدو، فلما مات هذا القائد الكبير، تولى مكانه أخوه القائد أحمد واقتسم رئاسة المجاهدين مع القائد على بن عبد الله.

على أن أولئك القواد كلهم كانوا من أبطال المجاهدين، والسلطان المولى اسماعيل كان همه الاكبر فى ذلك العهد كما قلنا، منصرفا الى الجهاد واسترجاع البلاد المغربية من أيدى الاجانب المترامين عليها، وقيام أولئك القواد بأعمال الجهاد، لا ينافى ان بعضهم كان يسند اليه حكم بعض البلاد ثم ينقل منها الى غيرها، أو يكلف بالرباط فى بعض الجهات .

ومن أخبار القائد احمد «رحمه الله» كما سيأتى لنا تفصيله فى أخبار القرن الثانى عشر. أنه شارك في فتح مدينة العرائش سنة 1101، وان السلطان أمره بأن يبنى داره بقلعتها كما في الاستقصا(1) فيظهر أنه اتخذ العرائش مسكنا له ثم شارك فى فتح مدينة اصيلا سنة 1102 .

والظاهر أن السلطان أسند اليه حكم تلك النواحى والله أعلم.

ابا حدو

فى القبائل الريفية الواقعة شرقى تطوان، يقولون لاحمد ـ حدو ـ كما يقولون لمحمد موح .

واسم «ابا حدو» معروف كثيرا فى قبائل غمارة التى هي من القبائل الجبلية، ولكنه اسم يقرن غالبا باللعنة، فمن هو هذا ابا حدو الذى يلعنه الغماريون كما يلعن الناس الشيطان ؟ لقد سألت بعض من يظن بهم العلم من رجال غمارة فلم أجد عندهم تحقيقا ـ ولم أعرف هل ذلك منهم جهل أو تجاهل الا أن بعضهم يظن أن ابا حدو ليس سوى القائد أحمد قائد تطوان وحاكم قبائلها ومن بينها غمارة .

وابا حدو هذا قد اجمع أهل غمارة على أن لا يرحمه أحد منهم، لا فرق فى ذلك بين العوام والخواص، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، داخل قبائلهم وخارجها.

ويذكر بعضهم فى سبب ذلك، أنه كان حاكما عليهم، وفى بعض سنوات المسغبة، وزع عليهم حبوبا على أن يزرعوها وعند ما يحصدون يأخذون حظهم ويأتونه بحظه، أو حظ المخزن الذى يمثله ـ أى الحكومة المغربية ـ فما كان منهم

---

1) ج 4 ص 35 .

الا أنهم وزعوا تلك الحبوب فيما بينهم وأكلوهـا أكـلا فلما كـان وقت الحصاد تقدموا الى ابا حدو متأسفين واعتـذروا له بأنهم زرعـوا القمح ولكن المحصول كان شوكا، فقبل عذرهم الا أنـه أمـرهم بـأن يحصدوا ذلك المحصول ويجعلوه أكواما أكواما، ثم بعث اليهم من جنوده رجالا أقوياء الزموهـم أن يدرسوا ذلك الشوك بأرجلهم بعد أن ألبسوهم أحذية مصنوعة من كـاغد، زيادة فى التنكيت والتبكيت .

ولا تسل عما كان لذلـك من وقـع فى نفوس أهل غمارة، وما ظنك بمن يرغم على دوس الشوك برجليه، والسياط تنهال على ظهره وكتفه، زيادة علـى الفضيحة بين القبائل وما يتلو ذلك من شماتة الاعداء وارسال النكت والامثال، وتغنى النساء بذلـك فـى البيوت، والرجال فـى الاسواق، مما جعل أهل غمارة مضغة فى الافواه وأهلا للتندر بهم وعليهم في المجتمعات.

وكثيرا ما سمعنا شخصـا يخاطـب أحد الغماريين بقوله، ارحم ابا حدو فيجيبه الغمارى بقوله، الله لا يرحم فيه عظم، وأجـاب آخـر بقوله، الله ينعلو (يعنى يلعنه) وينعل جدو ــ وسمعت مرة أحدهم يجيب مخاطبه بقوله، الله ينعلك وينعلو وينعل جدك وجدو ــ وكان عندى خادم ــ فى البناء ــ وهو رجـل غمارى فى نحو السبعين من عمره، صالح عابد يأكل من عمل يديه زهدا وورعا، فقلـت له ذات يوم لماذا ياسى أحمد لا يرحم أهل غمارة ابا حدو، فقـال ان لذلـك سرا لولا أنك محل ثقتى ما أطلعتك عليه، فقلت هو ماذا ؟ قال لو كـان الرجل مسلما لكنا نترحم عليه كما نترحم على جميع المومنين والمومنات، والمسلمين والمسلمات فقلت وماذا كان الرجل ؟ قال، لقد كان اللعين يهوديا يتستر بمظاهر المسلمين ويعذب المومنين، وهل تطيـب نفسك يا سيـدى الفقيـه بالترحم على أحد من الكافرين ؟ ان اللعين كان يهوديا، نعم يهـودى مخـزز فكـن يا سيـدى الحاج واثقا من أنه كان عدوا للاسلام والمسلمين عليه لعنة الله الى يوم الدين. وكانت عندى خادمة ــ فى البناء ايضـا ــ وهـى امـرأة غماريـة فـى نحو الستين من عمرها الا أنها قوية البنية، وذات يوم جاء رجل من قبيلة بنى سعيد ــ المجاورة لغمارة ــ فجلس بالقرب من محل البناء وأخذ يتلـو بصوت مرتفع سورة يس (وقصده التنكيت على من هنـاك مـن أهل غمارة) فتقدم رجـل غمارى من تلك المرأة وقال لها، أتدرين على من يقرأ هذا الرجل سورة القـرآن فقالت، لعله تذكر والديه فأراد أن يهدى لهما هذه السورة فى هـذا الصبـاح، فهـز رأسه وتبسم مستهزءا وقال كلا انه يقرأها على ذلك اللعين الذى لا أستطيع ذكر اسمه فقالت هل هو ابا حدو فقال، هو ذاك نعم نعم. فما كان منها الا أن تغير وجهها وفقدت توازنها وحملت حجرة كبيرة وقصدت جهة الرجل القارىء ورمت بها على وجهه بكل قواها، ولولا أنه شعر بها وانحنى قليلا لشوهت تلك الحجرة وجهه

تشويها ، ثم هجمت عليه بنفسها لتنهشه بأظافرها ، ففر هاربا فتبعته كالمجنونة ولولا أنــه كان أصغر منها سنا وأسرع منهـا جريا لهشمت وجهـه ، وبعد ان يئست من اللحاق به ، عادت لشغلها وقضت يومها كله تأوها وتوعدا ...

وموقف أهل قبائل غمارة من ابا حدو بالرغم من مرور عدة قرون على حادثته ـ ان صحت ـ ان دل على شيء فانه يدل علي تضامن عجيب، أو تقليد غريب ، ولا أعرف في بلاد المغرب شخصا آخر يتضامن أهل بلد او قبيلة على لعنه كما يلعن الشيطان، أما في بلاد المشرق، فقد سمعت في أحد مساجد مدينة النجف بالعراق ، شيخا يسقى الناس الماء ويردد بصوت عال ، اللهم ألعن يزيد اللهم ألعن يزيد، يعنى يزيد بن معاوية الاموى، ولعل الرجل من غلاة الشيعة .

الا أن مما لا شك فيه، أن انتشار العلم والمعرفة، ينور العقول والافكـار وأن اختلاط المتزمتين بالمثقفين والمتنورين، يغير من أخلاقهم وعوائدهم، ويخفف من تعصبهم وعقائدهم، ودوام الحال محال .

السلطان يقطـع رؤوس مساجيـن تطوان بفاس عام 1088

قال الناصرى فى الاستقصا بعد أن ذكر حوادث سنة 1088 ما نصه (1):

«وفى هذه الايام (يعنى من سنـة 1088 ولى قضـاء فاس الخ وأمر بقتل أهل تطاوين الذين كانوا بسجن فاس، وهم عشرون، فضربت أعناقهـم ورفعت على الاسوار ...

ويظهر أن هؤلاء المساجين هم اصحـاب المقدم احمـد بن عيسى النقسيس الذين قبض عليهم السلطان المولى الرشيد عام 1078 والله أعلم. وانظر ان شئت نهاية اولاد النقسيس فى حوادث سنة 1098 .

الوبـاء بتطـوان عـام 1088

ذكر الشيخ محمد بن الطيب القادرى فى كتابه «نشر المثانـى» (2) أنه وقع طاعون بتطوان وحوز قبيلة بنى زيات الغمارية عام 1088. ثم ذكر (3) بعد ذلك أنه كان بالمغرب طاعون سنـة 1089. وأن عـدد الموتـى بتطوان فى ذلك الطاعون، بلغ خمسين شخصا فى اليوم اه.

وقد وقفت على قصيـدة للشيخ العـلامـة الصالـح سيدى على بركة في التوسل الى الله تعلى لرفع ذلك الوباء ومطلعها :

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 25. ومثله فى الجيش ج 1 ص 67.

(2) نشر المثانى ج 2 ص 29.

(3) نشر المثانى ج 2 ص 44 .

يا ربنا يا كاشف البلواء　　يا رافع الغماء واللئواء

وانظرها ان شئت فى ترجمته الآتية :

ووقفت على قصيدة أخرى فى الموضوع للشيخ أحمد بن عبد الحى الحلبي دفين فاس ومطلعها :

يا رب بالمصطفى عجل لنا فرجا　　من الوبا ومن الطاعون والسقم

وأبياتها تسعة وخمسون .

ولاية القائد علي بن عبد الله سنة 1090

القائد علي بن عبد الله الحمامى التمسمانى الريفى من عائلة القائد احمد ابن حدو السابق الذكر، وهو أيضا من أبطال المجاهدين الريفيين، ومن أكبر القواد الذين كان السلطان المولى اسماعيل يعتمد عليهم فى المهمات الحربية وغيرها كما سنعرفه مما يأتى.

وقد وجدت في كناش للفقيه ابن رحمون ما نصه :

«تولى أمر تطاون وما والاها وجميع البلاد الهبطية والجبال الى رأس ورغة الى الريف وما اتصل بذلك من المدن، على يد مولانا اسماعيل الشريف نصره الله، القائد علي بن عبد الله فى منتصف جمدى الاخيرة عام 1090 هـ»

فولاية القائد علي لحكم تطوان كانت كما ترى عام 1090. ولم تكن خاصة بها بل كانت عامة على جميع شمال المغرب الذى صار فى عهد الحماية الاجنبية يسمى بالمنطقة الخليفية، وكان زيادة على حكمه لهذه النواحي، يتولى رئاسة المجاهدين، ويقوم بأعمال الجهاد كما ستقف على تفصيله .

من سياسة السلطان المولى اسماعيل

كل من طالع تاريخ المغرب، يعلم أن السلطان المولى اسماعيل لما تولى الملك عام 1082، كان عدد من البلاد المغربية تحت الحكم الاجنبى، فمدن مليلية، وسبتة، وطنجة، واصيلا، والعرائش، والمهدية، كلها كانت خاضعة لنفوذ الاجانب محتلة بقواتهم الحربية، وقد سلك المولى اسماعيل فى سبيل انقاذ تلك البلاد وتطهيرها من الاحتلال الافرنجى، سبيلا واضحا هو سبيل القوة، وانتهج سياسة رشيدة كانت نتيجتها استرجاع تلك المدن من يد مغتصبيها ما عدا سبتة ومليلية، فانهما ما زالتا بيد الاسبان الى الآن كما لا تزال انجلترا مغتصبة لمدينة جبل طارق من اسبانيا حتى الآن ايضا. ذلك أنه أسند حكم هذه النواحى الى رجال عرفوا بالجهاد والجد والمروءة، وبالبعد عن ترف الحواضر وعدم التطلع الى الاستبداد بالحكم، فكلفهم بالجهاد والرباط على تلك المدن ، الواحدة تلو الاخرى، والتضييق على من بها من الاجانب الى ان يسلموا او يفروا.

وقد علمت مما قدمنا مقام آل الريفي الحمامي من الشهرة في الجهاد والمكانة في الشجاعة ومكائد الحرب، وعرفت ان السلطان قد أسند حكم تطوان أولا الى القائد أحمد بن حدو، ثم اسند حكم هذه النواحى كلها الى القائد علي بن عبد الله، وعلمت ايضا ان القائد عمر بن حدو «أخ القائد احمد» هو الذى كان أولا رئيس القواد المجاهدين من بلاد الريف وأهل الفحص. فلما توفى قام مقامه قريباه اللذان هما أخوه القائد احمد، وابن عمه القائد علي بن عبد الله، فكانت هذه الناحية كلها مجموعة الكلمة، موحدة السلطة تحت رئاسة أولئك القواد المجاهدين الذين كانوا من قبيلة واحدة، بل من عائلة واحدة، ولم يبق للناس فى ذلك العهد من هم الا الرباط والجهاد.

وكان السلطان يمد اولئك القواد والمجاهدين بما يحتاجون اليه من القوات والتنشيط، أما هو نفسه فقد اقتصر على تنظيم داخلية مملكته، والقضاء على كل حركة منازعة لنفوذه وسلطته، وسنلخص فيما يلى ما وقفنا عليه من أخبار القائد علي بن عبد الله مع غيره من القواد فى تطوان ونواحيها، لان مدينة تطوان كانت فى ذلك العهد مركز الحكم ومصدر حركات المقاومة والتحرير الوطنى، أما بقية مدن هذه الناحية فكان جلها كما علمت تحت حكم الاجانب.

مقاتلة المسلمين للانجليز بطنجة سنة 1090 - 1091

قال الناصرى فى الاستقصا (1) «وفى أواخر المحرم من هذه السنة - يعنى سنة 1090 - أوقع جيش المسلمين بنصارى طنجة، فقتلوا منهم نحو ثلاثمائة وخمسين، وانتزعوا منهم قصبة بأربعة أبراج، واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رحمهم الله» ومثل ذلك فى نشر المثانى (2) الا أنه ذكر أن ذلك كان فى رابع المحرم لا في أواخره.

ووجدت فى كناش الفقيه الرافعى التطوانى الذى كان معاصرا لتلك الحوادث «أن أبراجا أربعة هدت بطنجة عام 1091. وأنه قتل ممن كان بها مائة ونيف وخمسون، وأسر نيف وخمسون وتوفى أخلاط من الناس».

وفى نشر المثانى (3) أنه فى أواسط ربيع الثاني سنة 1091 وصل لفاس خبر أخذ المسلمين لقصبة فى طنجة على يد قائد القصر عمر بن حدو البطوئي

وفى زهر البستان (4) لابن العياشى وزير السلطان المولى اسماعيل، فى معرض الحديث عن أعمال السلطان المذكور ما نصه : « ومع طول حركته أيده

1) الاستقصا ج 4 ص 28
2) نشر المثانى ج 2 ص 57
3) نشر المثانى ج 2 ص 71
4) مخطوط توجد منه نسخة فى خزانتنا «الداودية» بتطوان.

الله ومكابدة أعباء الخلافة فى تسكين الدهماء ومصالح الامـة، لم يغفل عـن جهاد العدو الكافر ومحاصرة معاقلهم حتى استسبر لهم منها فكم حصن دعاه صـارم عزمه فأجاب، وظهر من تيسير أمره وتسهيل فتحه بتوفيق الله العجب العجاب، حتى افتتح ايده الله سبحانه من حصونهم أضرها على المسلمين نكايـة، وأقواها عليهم ضررا واذاية، فلم يزل ايده الله حتى فتحها الله تعلى عليه، وألقى بأزمتها اليه، من ذلك بساتين طنجة (I) التي بناها النصارى الانجليز فى ايام الهدنـة التى كانت بينهم وبين غيلان، فامسى أيده الله وله بالتصدى لها فى أندية العدل أرفع مكان، فأمر أيده الله كبير قواده، القائد عمر بن حدو بمنازلة الثغر المذكور ومناجزته والرباط فيه حتى يفتح الله تعلى عليه، وأسند الى نظره جيش أهل الريف والمتطوعـة من سائر الناس، فنازل البساتيـن المذكورة التي منها قبـة السلاطين، ومرشان، ودار البارود، وغيرها من البساتين، وحاصرها مـن كـل جهـة ومكان، حتى استفتحهـا واستولى على ما فيهـا، وبقى حصن طنجة نهبة للمسلمين تصـل جيوشهم عند الغارة الـى سوره بعد ما كانـوا فى أمن بتلك البساتين من مفاجأة المسلمين والغارة على سرحهم بما انشأوه من الرسق الذى أحكموا تأليف بعضه الى بعض بين تلـك البساتين، ورصفـوا بعضه فى بعـض كأنه بنيان مرصـوص ممتدا مـن البحر للبحـر فـى زمن الفترة، وتقلص ظل الخلافة حتى كانت تلك البساتين ستورا لفحصهم من طنجة وراحة للنصارى فى سرحهم وغ وهم ورواحهم ينقلبون فى ذلك الفحص بخيلهم ورجلهم، فقيض الله لهم بوجود المولى المنصور بالله جيشا عرمرما الى نظـر القائد المذكـور، ففض ختامهم واستنزلهم من معاقلهم، وفتح الله على يده تلك البساتين فبقي النصارى فى حصن طنجة منكمشين، أحير من بقة فى حقة متخوفين، فجاء القائد المذكور بالفتح للمولى المنصور، وتلوم جهد الاستراحة ورجع لمحلة أخـرى. وأمر أيـده الله بمعاودة منازلتها فتهيأ النصارى الانجليز الذين بها لملاقاة المسلمين، وطلبوا الاغاثة من جيرانهم النصارى صبنيول من عـدوة الانـدلس عنـد تعذر اغاثتهم من اخوانهم الانجليز لبعد ما بين طنجة وجزيرة انقلطرة فأغاثهم صبنيول بطائفة من النصارى أهل الفنطجية فخرجوا من حصـن طنجة لمحاربـة المسلمين، فوثب المسلمون فى وجوههم وأمكنهم الله منهـم فقاتلوهم قتـالا ذريعا ورجعوا لحصنهم

I) البساتين هنا ليست جمع بستان بل جمع بستيون. ولفظ البستيون يطلقه بعض أهل المغرب على الحصن الكبير. فالبساتين هنا مراد بها الحصون والقلاع. وفى مدينة فاس مركز العلم والفضل، نعرف بستيونيـن كبيرين لهما ذكر وشهرة فى التاريخ، وهما مشرفان على هذه المدينة حيا الله أهلها وحفظهم من كل باس .

منهزمين، وطلبوا من القائد المذكور أمانا على شروط اشترطها عليهم من فك أسارى المسلمين ودفع بارود وعدة وغير ذلك مما تحملوا مما يكبر عليهم دفعه لولا خوفهم من سطوة المولى المنصور بالله. والتزموا دفع ذلك للقائد المذكور وأشهدوا على أنفسهم وشهد عليهم بذلك القسيسون والرهبان، ورجع القائد المذكور بأجر وغنيمة» اهـ. كلام زهر البستان .

ولعل هذا الصلح هو الذى حكاه القادرى فى نشر المثانى بقوله : (1) «واصطلح البطوئى مع النصارى أوائل جمدى الاولى (1091) ثم قال : «وفى منتصف رمضان ورد خبر خروج النصارى من طنجة، وأنهم تقاتلوا مع المسلمين فمات من المجاهدين أكثر من مائة شخص رحمهم الله».

سفيـر من تطـوان الى ملـك فرنسا عـام 1092

علمنا مما سبق أن السلطان المولى اسماعيل كان قد أسند حكم جل الشمال المغربى الى القائد علي بن عبد الله، وفي ذلك العهد كانت تطوان (كما قلنا) هى المدينة الوحيدة التي ظلت اسلامية مغربية غير خاضعة لحكم الاجانب فى هذه النواحى، فكانت بذلك مركزا لقوات المجاهدين المغربيين العاملين لتطهير بقية المدن الساحلية من رجس الاحتلال الاجنبى وارجاع الحكم الاسلامى المغربى اليها .

ونظرا لاتساع الناحية التى كانت تحت نظر القائد علي المذكور، فانه يظهر أنه كان يولي أشخاصا ليباشروا تحت اشرافه الاحكام المدنية فى بعض النواحي ولا ندرى ما هو اللقب الذى كانوا يطلقونه على أولئك الحكام، هل هو لقب القائد أم لقب الخليفة أم غير ذلك.

والذى نفهمه من الحوادث أن الحاج محمد تميم (الاول) كان أولا أحد أولئك الحكام المحليين، أى انه كان حاكما بمدينة تطوان فى أواخر القرن الحادى عشر للهجرة، والمسيو شارل پنز الفرنسى (الآتى ذكره) يذكر لنا أن الحاج محمد تميم هذا قد تولى منصب باشا بمدينة تطوان ثم بمدينة سلا، فهل ولايته لمنصب باشا تطوان كانت بعد احتلال المسلمين لطنجة وأمر السلطان للقائد علي بن عبد الله بالانتقال اليها وللسكني بها، أم ان ولايته لتطوان انما كانت كحاكم محلى تحت نظر القائد العام علي بن عبد الله ؟ الله أعلم .

وعائلة تميم نعرف عنها أنها كانت عائلة تطوانية مشهورة، ونعرف من تاريخها أن أحد افرادها وهو الحاج محمد تميم (الثانى) قد تولى حكم تطوان فى أواسط القرن الثانى عشر بعد قتل السلطان للباشا أحمد بن علي الريفي

---

1) نشر المثانى ج 2 ص 71

عام 1156. وسيأتى لنا الكلام على ولايته وأعماله، فلعـل تميما الثاني، حفيد تميم الاول، أو لعله على الاقل من أقاربه .

والحاج محمد تميم «الاول» لم نقف له على ذكر في مراجعنا العربية، ولكن المصادر الافرنجية قد تحدثت عنه كثيرا وذكرت أنه كان أول سفيـر للسلطان المولى اسماعيل الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وكانت تلك السفارة أواخر سنة 1681 م (عام 1092 هـ) وقد أفاض القول فى هذه السفارة المسيو شارل پنز CHARLES PENZ فى كتابه «ملوك فرنسا والمغرب» LES ROIS DE FRANCE ET LE MAROC (1) وصديقنا الاستاذ عبد الغفـور الفقاى التطوانى بارك الله فيه هو الذى استخرج لنا من هذا التأليف معلومات لخصت فيمـا يلى :

«كان الحاج محمد تميم الذى شغل منصب باشا تطوان ثم مدينة سلا، أول سفير أرسله جلالة الملك مولاى اسماعيل الى بلاط الملك لويس الرابـع عشر، وذلك فى شتاء سبتمبر سنة 1681 م وقد نزل الى ميناء بريست فى 17 اكتوبر سنة 1681 ولم يصل الى بـاريس الا فـى 30 ديسمبر. وكانت مقابلته للويس الرابع عشر فى 4 يناير سنـة 1682 (24 ذى الحجة عـام 1092 هـ) وعلى اثـر تلك المقابلة ابتدأت المفاوضة بين تميم من جهة والوزيرين كولبير دو كرواسى COLBERT DE CROISSY وسنيلى SEGNELAY من جهة أخرى، تلك المفاوضة التى انتهت بابرام المعاهدة التجارية المعروفة بمعاهدة 29 يناير 1682 (20 محرم 1093) والتى ما زالت ءاثارها ماثلة حتى اليوم. ولئن كان شهرا يناير وفبراير (حيث جرت تلك المحادثات) مهمين فى تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية، فانهما لم يكونا أقل أهمية منهما فى حياة السفير الحاج محمد تميم .

ولقد خصصت صحف ذلك العهد عدة أحاديث عجيبة عن اقامته بالعاصمة الفرنسية، ستكون لنا مساعدة على تتبعه أثنـاء تجوله ببـاريس والاشارة الى أعماله بما شاهده من مناظر المدينة وءاثارها القديمة .

وفى اليوم الذى أعقب يوم المقابلة، أقام تميم مـأدبة غـذاء تكريما للملك لويس الرابع عشر، وكان السفير يتحدث اليه باللغة الاسبانية، ويقوم الضابط البحرى دوريموندى DERAYMONDIS بمهام ترجمان أثناء ذلـك الحديـث. وفى نفس ذلك اليوم ذهب السفير الى مسرح سان جرمـان SAINT GERMAIN لمشاهدة أوپـرا أطيس ATYS مـن وضع كينـو ولولـى QUINAULT ET LULLI وقد أعجـب بذلـك كثيرا، كما حضـر أيضا عـرض «بالـى» انتصـار الحـب LE TRIOMPHE DE L AMOUR لنفس المؤلفين، وذلـك على خشبـة مسرح الاكاديمية الموسيقية الملكية. ولقد سببت تلك المناظر عجبا شديدا لـدى أعضاء

---

(1) EDITIONS A-MAYNIER CASABLANCA 1947 Pa. 115

الوفد الذين كانوا برفقة تميم لدرجة أن أحدهم امتنع عن النظر الى ما يجرى على خشبة المسرح قائلا ان ذلك ضرب من السحر .

وبتاريخ 12 يناير، زار السفير كنيسة نوتردام NOTREDAME حيث استقبل على أنغام الارغن وصعد الى أبراجها لمشاهدة مدينة باريس، وقد قال حينئذ انه يرى بها ثلاث مدن بعضها فوق بعض وذلك لشدة علو منازلها.

وعند ما زار المكتبة الملكية، اندهش لكثرة ما ألفى بها من الكتب العربية ومن بينها مصحف، وقد اخذه ووضعه على جبهته وجبينه وفمه بعلامات اجلال وتعظيم خاصة.

وفى أثناء مأدبة عشاء أقامها له لويس الرابع عشر، سأله هل كان مسرورا بمقامه بباريس، فأجاب بأنه قد بكى عند ما أمره مولاه السلطان بالسفر الى باريس، ولكن بكاءه سيكون اشد عند ما يهم بمغادرتها، ثم استفهمه الملك عن رأيه فى مدينة باريس، فأجاب قائلا انى فى حيرة لاننى اذا ما عدت الى بلادى وقصصت على الناس ما شاهدته هنا، فانهم لن يصدقونى، ثم اضاف قائلا، انه لا غرابة فى ذلك، لانه هو بنفسه لو لم يزر باريس، لما ءامن بوجود ما وقع بصره عليه، وأنه قد عني بوصف كل ما شاهده فى كتاب سماه «كتاب العجائب». ولقد أشار محرر جريدة مركور - MERCURE - الذى روى هذا الحديث، أن الملك سر بهذا الجواب وقال على رؤوس الاشهاد، ان السفير رجل ظريف .

وفى أوائل فبراير، زار قصر فرساى VERSAILLES فأعجب بحجره وخاصة بما وجد به من أوان فضية .

وفى اليوم العاشر من الشهر المذكور بعد ما شاهد للمرة الثانية أوپرا «أطيس» استقبل من طرف لويس الرابع عشر مقابلة الوداع، فألقى الحاج تميم خطابا بين يديه أشاد فيه بشخصية الملك وبعظمته، وعبر فيه عن اعجابه الفائق بما شاهده بالديار الفرنسية، وعن سروره بالوصول الى الاحراز علي سلام ذى فائدة كبرى لمولاه السلطان. ثم دعا الله أن يمنح كافة افريقيا لمولاى اسماعيل، وباقى أجزاء المعمورة للملك الفرنسى .

وقد مكث السفير بعد ذلك بضعة اسابيع بالعاصمة، زار أثناءها مدرسة CUATRE NATIONS فوجد بمكتبتها عدة كتب عربية، كما زار ملجأ LA CHARITE فأعجب بنظامه وبالنظام السائد فيه، ورأى راهبا يفصد بعض المرضى فأبدى استغرابه من ذلك. وذكر ان عملية الفصد لا تجرى ببلاده فى فصل الشتاء، بل ان ذلك لا يكون الا في فصل الصيف فقط.

ثم سيق بعد ذلك الى الصيدلية حيث عرضت عليه عدة مساحيق للاحجار الكريمة، ومما استرعى انتباهه، مسحوق الياقوت الاحمر واللؤلؤ والزبرجد المرجان الاحمر والابيض والعنبر وغيرها، وعند ما سئل عن رأيه فى ذلك، أجاب بأن كل هذا يصدر من بلده مثل العلوم الطبية أيضا .

ومما رواه صحفيو ذلك العصر، أن اغرب ما لوحظ، هو ان السفير عند ما مر بحجرة الجرحى بذلك الملجأ نهض الكثير منهم ومن بينهم خمسة أو ستة كانوا منذ اكثر من ثلاثة اشهر عديمى الحركة، فلقد فعل حب الاستطلاع فى هذه المناسبة ما عجز الدواء عن فعله بمثل هذه السرعة .

ثم زار معهد السوربون ومكتبته، وحضر موسم SAINT GERMAIN DESPRÈS وشاهد أثناءه حفلة تمثيلية ايطالية، اذ أن تميم كان يعرف اللغة الايطالية، وقد رسم انطوان تروڤان ANTOINE TROUVAIN العضو بأكاديمية الرسم، صورة للسفير ورفاقه وهم باحدى شرفات المسرح ينصتون بانتباه وبصحبتهم الضابط الترجمان M . DERAYMONDIS الذى لزم الحاج تميم منذ وصوله لميناء بريست .

وعند زيارته لمطبعتين من مطابع المدينة، طلب فى احداهما أن تحضر اليه حروف عربية، فأحضرت فى الحال وركب منها بعض الاسطر، كما طبع اسمه واسم أفراد حاشيته وسلم لهم ذلك .

وقبل مغادرته لباريس بيومين وصلته من الملك لويس الرابع عشر بضع هدايا، منها مسرجتان زجاجيتان جميلتان، وساعتان كبيرتان واثنتا عشرة ساعة صغيرة مختلفة الاصناف، واثنا عشر كساء من الديباج، وبندقيتان بديعتان، وطبنجتان وزربية وأشياء اخرى .

وفى 25 فبراير غادر باريس ولم يصل مرسيليا الا يوم 16 مارس، وقد أمضى فى طريق عودته ثلاثة ايام بمدينة ليون، وبعض يوم بمدينة أفينيون AVIGNON وفي مدينة مرسيليا قدم له شيوخ البلدة هدية ثم توجه بعد ذلك الى ميناء طولون حيث وصل يوم 22 مارس وقد زار بها الترسانة ومختلف المعامل .

وفى 28 مارس طلب الحضور لمشاهدة صنع المدافع، فرأى كيف تم افراغ ستة مدافع، ثم أبحر بعد ذلك على ظهر سفينة لو لوريي LE LAURIER التى كان يقودها مسيو دو بيليسل M. DE BELLISLE . . . . . الخ

رسائل رسمية من سلطان المغرب وولاته الى ملك فرنسا

وعاد السفير الحاج محمد تميم الى بلده تطوان، وكتب منها الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، رسالة مؤرخة بـ 27 ربيع الثانى عام 1093 هـ. موافق 5 مايو 1682 م. هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى عظيم الروم النبراضورا لويش الرابع عشر صاحب مملكة الفرنسيس السلام على من اتبع الهدى. اما بعد فليكن في علمكم أنا وصلنا لبلاد الاسلام بخير ولله واجب الحمد على ذلك وكان ركوبنا البحر فى مركب القبطان بليله وقد أحسن الينا غاية الاحسان وعاملنا بالبرور والامتنان وبالغ فى اكرامنا وتعظيمنا فوجب علينا شكره اليكم وعند ما وصلنا حضرة ضيفنا وسيدنا أمير المؤمنين المؤيد بالله تعلى أبى النصر مولانا اسماعيل الهاشمي الاصيل، سألنا عن حال سفرنا وملاقاتنا معكم ورجوعنا عنكم وما جرى بيننا وبينكم، فأجبناه عنكم بما عاملتمونا به من البرور والاكرام لجانب مولانا المؤيد والاعظام، وتتابع الاحسان والانعام فشكر ذلك منكم وحصل له اليقين عنكم وواعدنا بمجازاة خيركم ومقابلة احسانكم وبركم، فاذا وصل الباشضور من بلادكم ان شاء الله، فله ما يرضيه ويسره .

وعرفناه أيضا بما وقع الوفق معكم من فداء أسارى الفريقين، فأنعم بالقبول والرضى وهذا ما أجاب به أيده الله من فضله والسلام. وكتب لثلاث بقين من ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين والف .

غلام مولانا نصره الله : **الحاج محمد تميم وفقه الله بمنه**

وفى نفس التاريخ وجه رسالة اخرى الى الوزير SEIGNELAY الذى كان قد وقع معاهدة 29 يناير 1682 بالنيابة عن لويس الرابع عشر وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى المعظم المبجل صاحب الدولة الفرنسيسية وخديمها وناصحها ال . . . . ادسل السلام على من اتبع الهدى، اما بعد فليكن في علمكم اننا وصلنا لبلاد الاسلام وفره الله بخير والحمد لله والمنة له وكان ركوبنا فى . . . . مركب القبطان بليلة ، وقد احسن الينا غاية وعاملنا بغاية البر والاحسان وبالغ فى اكرامنا وتعظيمنا ما وقف عند الحد فوجب علينا ان نعلم بما أسداه الينا من الخير، وعند ما وصلنا ضيفنا وسيدنا امير المومنين المؤيد بالله تعلى ابى الفداء

مولانا اسماعيل سألنا عن حال سفرنا وملاقاتنا معكم ورجوعنا عنكم وعلى ما جرى بيننا وبين معظمكم وأميركم فأجبناه عن ... بما عاملتمونا به من الاكرام والاجلال والاعظام، فشكر ذلك منكم وحصل له اليقين بذلك وواعدنا بمجازاة خيركم فى مقابلة احسانكم الينا و . . . . بنا فاذا ورد ان شاء الله الباشدور من بلادكم فله ما يرضيه ويسره وعرفناه بما وقع به الوفق معكم من فداء الاسارى من الجانبين فأنعم ذلك وقبله ورضيه والله تعلى يؤيده ءامين والسلام وكتب فى السابع والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين والف.

غلام مولانا نصره الله : الحاج محمد تميم وفقه الله بمنه

وفى التاريخ نفسه كتب القائد على بن عبد الله «حاكم الشمال المغربى» رسالة فى نفس الموضوع الى الملك الفرنسى المذكور وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وعن يسار البسملة طابع مستدير نقشه ــ خديم المقام العالى بالله علي ابن عبد الله الحمامى رعاه الله) .

الى عظيم الروم أمير مملكة الفرنسيس النبرضور الرابع عشر من هذا الاسم. السلام على من اتبع الهدى. اما بعد فليكن فى صحيح علمكم أن محبنا الحاج محمد تميم الباشضور وأصحابه رجعوا من بلادكم سالمين ولله الحمد فى سفينة القبطان بليله وعند ما لقينا الباشضور المذكور سألناه عن حاله منذ انفصاله عنا لبلادكم الى حين رجوعه الينا، فذكر لنا عنكم ما وافق جميل الظن بكم وأنكم بالغتم فى تعظيمهم وإكرامهم والاحسان غاية اليهم، فشكرنا لكم ذلك، وحمدنا عنكم سلوك هذه المسالك، وأنهينا جميع ذلك لضيفنا الامام، أمير المومنين، وعرفناه أيده الله بذلك وبجميع ما صدر منكم من الجميل، والفضل الوافر الجزيل، فها هو نصره الله يعلم ذلك، وواعدنا بمقابلة احسانكم ومكافأتكم ومجازاتكم بما فيه رضاكم ان شاء الله، اذا وصل الباشضور الوارد عنكم، وها نحن بهذه الاقطار وبمراسى مولانا السلطان، ومهما تعينت بعض مراكبكم فلهم عندنا ما يرضيهم ويسرهم ان شاء الله، ولا يروا منا الا ما يوافق أغراضهم بحول الله، والسلام، وفى السابع والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين والف .

وقد كتب العاهل المغربى الى الملك الفرنسي المذكور رسالة أخرى في نفس الموضوع أيضا وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده

من عبد الله تعلى الامام ملك المغرب وما والاه من أقطار الاسلام أمير المومنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى (ثم طابع مستدير نقش وسطه) اسماعيل بن الشريف الحسنى رعاه الله (وبدائرته يمينا) اليمن والاقبال وبلوغ الآمال. (ومثل ذلك يسارا).

أيد الله أوامره، وخلد مفاخره الكريمة ومئاثره، ءامين، الى عظيم الروم الامبراضور ببلاد فرنسية الرابع عشر من هذا الاسم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد اعلم أنه بلغنا أصحابنا صحبة كتابك، وذكروا لنا خيرك ومباشرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا بسرورك بهم وفرحك بجميعهم، فكذلك ينبغى لك أن تكون، اذ أنت من سلالة عظيم الروم الذى كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى نحن أن نتكلم الا معك، لانك قابض على أمرك وكلام طاعتك مقصور على رأسك، واما الاجناس الاخرى فكلامهم عند اهل ديوانهم ولا يبلغون منزلتك عندنا أبدا لما نعلمه من علو همتك عليهم فأنت الذى تستحق أن تكون انبراضور على سائرهم ولا يستحق تاجهم الا أنت. لان يدك هى العليا عليهم بحذافرهم، وفى اليوم الذى يصلنا الباشضور من عندك فلا يعود اليك ان شاء الله الا بما يسرك ويرضيك ولا لك عندنا الا ما تريده وتشتهيه فى خاطرك والسلام. وكتب فى خامس عشر ربيع الثانى ثلاثة وتسعين وألف (1).

ملخص المعاهدة المغربية الفرنسية سنة 1093 هـ 1682 م.

ان المعاهدة التى وقعها بتاريخ 29 يناير 1682 م (20 محرم 1093) كل من الحاج محمد تميم بالنيابة عن جلالة السلطان مولاى اسماعيل، وكولبير وكرواسى وسنييلى باسم ملك فرنسا، تشتمل على عشرين مادة معظمها يتعلق بالسلام وبالعلاقات التجارية بين الامتين .

---

1) هذا التاريخ يوافق 23 ابريل 1682 .

فتؤكد المادتان الاولى والثانيــة أن السلام سائد بيــن امبراطور فرنسا ورعاياه من جهة وبين امبراطور المغرب ملك فاس وسوس ورعــاياه من جهــة أخرى، وأنه فى امكان رعايا كل دولة منهما تعاطــى التجارة فــى بــلاد الآخر والابحار فى مياهها بكامل الحرية بحيث لا يمنعون من ذلك مهما كان السبــب وكيفما كانت الحجة .

وجاء فى المادتين التاليتين :

«ان البواخر الحربية والتجارية لكل دولة منهما يمكنها ان ترسو فــى موانىء الدولة الاخرى حيث يتم امدادها هــى ومــلاحوهــا وركابها بكل أنواع الاسعافات عند اقتضاء الحاجــة، كما تــزود بالمــؤن والاجهزة وجميع الاشياء الضرورية لها . على أن تدفع عن ذلك الاثمان العادية المألوفــة بالاماكــن التــى ترسو بها تلك البواخر .

وتشير المادة الخامسة الى تبادل المساعدة فى حالة اعتداء قراصنة البحر الابيض المتوسط، وهي تنص على أنه اذا ما كانــت بواخــر فرنسيــة راسيــة باحدى موانىء المملكة المغربية أو مرافئها ووقع عليها هجوم من طرف بواخر معادية ولو كانت من الجزائر وتونس او غيرهما من موانىء الشاطىء الافريقي، فان مدافع القلاع التي هي بها تتولى حمايتها والدفاع عنها ثم تمنحها الوقــت الكافي للاقلاع عن تلك الموانىء والمرافيء والابتعاد عنهــا ، وتوقــف البواخر المعادية ولا تسمح لها بمطاردتها كما تتخذ الاجراءات نفسها من قبل الامبراطور الفرنسى .

ومن جهــة أخرى فان البواخــر الفرنسية التى قد تصاب بالغرق قرب السواحل المغربية من جــراء العواصــف أو على يد العــدو، تمد بالنجدة بقدر المستطاع، وتقوم السلطات المحلية ورعايا الامبراطور مولاى اسماعيل بمساعدة الغرقى على الرحيل وعلى استرجاع البضائــع الضائعــة بــدون أن يطالــب أصحابها بأداء رسوم أو ضرائب على ذلك، انما عليهم أن يــؤدوا اجــور الذيــن قاموا بمد يد المعونة اليهم .

والمــــادة العاشــرة تتعلــق بالتجــارة، وهى تنص على ان جميع التجار الفرنسيين الذين يصلون الى موانىء المغرب أو فاس وسواحلهما يمكنهم انزال بضائعهم ومباشرة البيع والشراء بحرية على أن لا يقوموا بأداء شىء سوى

ما اعتاد رعايا المغرب أداءه، ومثل هذا يجرى فى موانىء مملكة امبراطور فرنسا، وفى حالة ما اذا كان انزال تلك البضائع بقصد ايداعها فى المخازن. فانه عند اعادتها الى تلك البواخر لا يكون أصحابها ملزمين باداء مكوس عن ذلك.

وتعترف هذه المعاهدة علاوة على ذلك بحق ملك فرنسا فى اقامة قناصل بالقطر المغربى، وفى هذا الصدد تقول، «يمكن لامبراطور فرنسا تعيين قنصل بمدينة سلا وتطوان أو فى أى مكان يراه مناسبا، وذلك بقصد بذل المساعدة للباعة الفرنسيين فى جميع ما يحتاجونه، كما يكون من حق القنصل المذكور اقامة شعائر الدين المسيحى فى بيته بحرية، وكذا جميع النصارى الذين يريدون الحضور هناك.

وكذلك يمكن رعايا الامبراطور المغربى الذين يأتون الى فرنسا، أن يقيموا شعائرهم الدينية فى بيوتهم، ويكون للقنصل مطلق السلطة والتصرف فى المنازعات التى قد تحدث بين الفرنسيين بدون ان يكون للقضاة المغاربة أى حق فى الاطلاع عليها»

والمادة الخامسة عشرة تشير الى اعفاء القنصل من أداء جميع المكوس الواجبة عن المؤن والاشياء الضرورية لبيته.

وكل ما يحدث من نزاع بين الرعايا الفرنسيين والمغاربة فانه لن يوكل أمر الحكم فيه الى قضاة عاديين، بل يرفع ذلك الى مجلس ملك المغرب أو الباشا الذى يمثله بالثغور التى تنشأ فيها تلك الخلافات ...

ونص هذه المعاهدة مذيل بصيغة الجواز الذى سيكون لدى السفن الفرنسية، والذى سيتولى اميرال فرنسا اصداره، وهو يخول تلك السفن حرية السفر فى المياه المغربية اما السفن المغربية فستكون حاملة شهادة يمنحها قنصل الدولة الفرنسية بمدينة سلا ...

هذا ملخص هذه المعاهدة التى كان المغرب فيها سخيا، بل مبذرا متلافا غبيا، ولا ندرى فى مقابل ماذا سمح المغرب لفرنسا بتلك الامتيازات، التى كانت مفتاحا لباب المصائب والويلات، ان الحقيقة هى أن نفسية جل ولاة ذلك العهد كانت فى واد، ونفسية العالم المتحضر في واد آخر، وبين العقليتين بون شاسع في المعارف والانظمة والعادات، والامر لله على كل حال، وقبح الله الجهل والاغترار.

فتح المسلمين لمدينة طنجة (1) سنة 1095

ذكر الناصرى فى الاستقصا (2) أن السلطان المولى اسماعيل عقد للقائد أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي على جيش المجاهدين، ووجهه لحصار طنجة فصبقوا على من بها من النصارى وطاولوهم الى أن ركبوا سفنهم وهربوا فى البحر، وتركوها خاوية على عروشها، وذلك فى ربيع الاول سنة 1095... قاله فى النزهة. وقال فى البستان، لما ضاق الامر على النصارى الذين بطنجة وطال عليهم الحصار، خربوها وهدموا أسوارها وأبراجها وركبوا سفنهم فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب، وشرع قائد المجاهدين علي بن عبد الله الريفى فى بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها فى فاتح جمدى الاولى من السنة

ووجدت فى كناش للفقيه الاديب سيدى محمد بن الهاشمى افيلال بخطه ما نصه :

«كان افتتاح مدينة طنجة عمرها الله تعلى بذكره لما خرج عنها النصارى الانجليز في مهل شهر ربيع الاول النبوى (3) عام 1095 وقد نظم بعضهم تاريخ ذلك فى أبيات وهى :

فى أول شهر ربيع النبوى — لم يبق للروم بطنجة دوي
في عام ألف زد لنا تسعينا — وخمسة مضت من السنينا
وأمر السلطان بالبناء — من غير تأخير ولا استهزاء

---

1) طنجة مدينة مغربية قديمة واقعة على المحيط الاطلسي قرب بوغاز جبل طارق. وقد استولى عليها البرتغاليون أيام ضعف الحكومة المغربية فى عهد دولة الوطاسيين أى فى (28 غشت 1471) موافق ثانى ربيع الاول عام 876 هـ. فلما انضمت البرتغال الى اسبانيا صارت طنجة تحت حكم اسبانيا. وفى عهد فليب الثانى تحولت الى حصن عسكرى. ثم لما انفصلت البرتغال عن اسبانيا سنة 1640 م. عادت طنجة الى حكمهم، وفى سنة 1661 م. 1072 هـ. سلم البرتغاليون طنجة للانجليز وبذلك انتهى احتلال البرتغاليين لطنجة بعد أن مكثوا بها ما يقرب من مائتى سنة لم يهنأ لهم فيها عيش بسبب الغزوات المتوالية التى كانت توجه اليهم طول تلك المدة. ولما دخل الانجليز طنجة. ظل الحال بها كما كان، فلم تنقطع عنهم الغارات والمضايقات، واستولى المجاهدون على عدد من حصونهم وقتلوا كثيرا من رجالهم، فاقتنع الانجليز ايضا بأنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بطنجة فهدموا ما بقى من حصونها وبناءاتها وركبوا سفنهم وغادروها الى بلادهم عام 1095 هـ 1684 م. وبذلك ضمت طنجة الى بقية البلاد المغربية. وان شئت فانظر مجلتنا «السلام» الجزء السادس من المجلد الاول .

2) الاستقصا ج 4 ص 31

3) لعل مبالغة أهل طنجة فى الاحتفال بأيام المولد النبوى، يرجع السبب فيها الى أنهم كانوا فى أول الامر يحيون هذه الذكرى. ت. و.

ففي جمدى الاولى أيضا شرعوا   واجتهد الناس وثم قطعوا
أعمارهم وكان أمرا هائلا   فكن للطف لالاله سائلا

وتعرض ابن العياشي فى كتابه «زهر البستان» لفتح طنجة على يد القائد علي بن عبد الله فقال بعد ان ذكر وفاة القائد عمر بن حدو ما نصه : «فتولى بعده ابن عمه القائد علي بن عبد الله، وأمره مولانا المنصور بالله على تلك السواحل الفحصية، وأسند اليه ما كان الى نظر ابن عمه بل زاده فيها تفويضا لما ظهر له من محبته وصدق خدمته، ففوق الى حصن طنجة سهامه وجرد لمنازلته حسامه، ولم يزل ايده الله ونصره يؤيده بتدبير، ويمده من رأيه بالتنوير، ويراسل العدو ويهدده ويرهبه، فكان ذلك أشد عليهم من القتال، وأنكى لهم من المراماة بالنبال، والمقارعة بالنضال، فطلب العدو الخلاص، ولات حين مناص، وفتح الله أغلاقه، وفك من أسر العدو أوثاقه، فأسكنه المولى المنصور اياه، وأمره أن يستوطن به مع من جاوره من القبائل ووالاه، وابنى بأمره الشريف ما انهدم من الاسوار، وأعاد ما تلف للمعاصم من السوار، وبنى فيه مسجداً أعظم، ومنارا أفخم، بناء أحكم فيه وأتقن ما شا، وورنق ما استطاع ووشى، جاريا فى ذلك على وفق ارادة مولانا الامام، وساعيا فى تحصيل غرضه وفق المرام، فهو من وثوقه وصحة جدرانه كأنما ولدته دجاجة، او أفرغ من زجاجة، ثم بنى مسجدا بالقصبة القديمة، قائما على سوارى مستقيمة، وأقام فيها عن اذن مولانا الامام الجماعات والجمع، وضم اليها ما أمكنه من المدرسين والقراء وجمع رغبة فى وفور الثواب لمولانا الامام، أبقاه الله رحمة ونصرة للمسلمين والاسلام» هـ.

وبعد أن ذكر الفقيه الرافعي التطواني فى كناشه تاريخ فتح طنجة ـ وقد كان معاصرا له ـ قال ما نصه : «وفيه خربت قصبة مرشان، وهدم برج الصفيحة وبرج البحر»

ويظهر أن هذه هى اسماء الابراج التى ذكر صاحب البستان أن الافرنج هدموها قبل جلائهم عن مدينة طنجة.

ثم قال الناصرى فى الاستقصا عقب ما تقدم لنا عنه ما نصه (I) «ثم اتفق أن نشب بقرب ساحلها (أى طنجة) مركب قرصانى جاء مددا لاهل سبتة، فيه أموال وبضائع فحارب المسلمون أهله واحتووا على ما فيه وألزم السلطان قبيلة غمارة بجر مدافعه النحاسية الى مكناسة، وأرسل الرماة من أهل فاس لجرها أيضا فأتوا بها لاربعين يوما والله غالب على أمره».

I) الاستقصا ج 4 ص 3I

رسالـة من قائـد تطـوان الى ملك فرنسا عـام 1098

سبق لنا وصف سفارة الحاج محمد تميم الى فرنسا عـام 1092 ـ 1093 وفى هذه السنة أى سنة 1098، توجه تميم المذكور أيضا الى فرنسا فى مهمة رسمية، ولكنه عاد منها دون أن يجتمع بملكها لويس الرابع عشر، فكتب حاكم تطوان ونواحيها الى الملك المذكور رسالة هذا نصها (1) :

الحمد لله تعلى وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الى عظيم المملكة الرومية والقائم بامور الملـة المسيحية ملك اقطار بـلاد جنس النصارى الفرنسيس من تسمى باسم الويش الرابع عشر، السلام على من اتبع الهدى، وسلك طريق الرشد وما اعتدى ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فكتبناه عن الخير والعافية والشكر لله سبحانه على توالى نعمه الضافية اعلاما منا لمقامكم وأننا كنا وجهنا خديم مولانا نصره الله الحـاج محمـد تميم بقصد الوصول الى دار مملكتكم والحضور عندكم وعهدنا اليه أن يقـص عليكم أمورا أكيدة كان ضيفنا (2) أمير المومنين أيده الله أوصانا ان نعرفكـم بها، ونبعث من يخبركم بحقيقتها مشافهة فوصل الى بلادكم مدينة طلـون، ثم رجـع منها ومنع من الوصول لحضرتكم ومخاطبتكم بما أمر بـه، ولم يكـن له اذن الا فى الكـلام معكم، ولتبقـى حال المهادنـة متصلة واثقة، وأسبابها بتجديد العهـد متناسقة، فلما وقع قضاء الله سبحانه برجوع الحاج محمد تميم وطـال العهـد ولم يأتنا بجواب يعتمد عليه ويلتفت اليه مع طول المدة وتوالى الايام، فنـاولنا الكلام مع خديمكم الفونص صطيله المقيم عندنا هنا وتفاوضنا معه فى أمور هى بحول الله لائقة بالجانبين ، ورأينا من أعظم أسباب الخير أن يقدم علينا رجلا (كذا) من خدامكم على العادة وله التفويض العام منكم للحل والعقد والربـط فنتلقاه بالبرور والاكرام، ونقف معه على ساق الجد والاهتمام، حتى نوصلـه للحضرة العلية من بساط مولانا المنصور بالله، ويستوفى كل من الجانبين جميع الاغراض المهمة، على ما يرضى بحول الله ومن كان له حـق ودعـوى وحجـة يبينها ويقع الانصاف والتفاصل فى جميع الامور، وتصفى من الكـدر وجـوه المطالبات والمعاكسات، فان شؤون البحر والمراكـب لا تتخطـى أن يقع فيهـا

---

1) نقلا عن صورة أصلها المنشورة أمام ص 36 من المجلـد الثالث من المجموعة الفرنسية لكاستـرى .

2) كانت كلمتا «ضيف» وأضيـاف، تستعملان بتطـوان مرادفتيـن لكلمتى «سيد» «وسادة» وما زال بعض أهالى تطـوان حتـى الآن يستعملون عبارة «اسيادو وضيافو» حينما يريدون الكناية عن أفضل الناس.



(رقم 32) قبر المجاهد الكبير، بطل تطوان وحاكمها وزعيم مجاهديها، ابى العباس المقدم احمد بن عيسى النقسيس، وهو واقع فى القسم الاعلى من مقابر تطوان، فى سفح جبل درسة الواقع شمال هذه المدينة وقد ظهرت فيه الحجرة التاريخية التى اثبتنا نص الكتابة التى عليها فى صفحة 201 من هذا الكتاب والمقدم النقسيس هو اكبر واشهر حاكم تطوانى فى القرن الحادى عشر للهجرة، فلقد كان وطنيا غيورا، ومجاهدا كبيرا، وبطلا مغوارا وسياسيا محنكا، وعهده - الذى كانت شمس الدولة السعدية فيه على اطراف النخيل - لم يكن فيه بالمغرب عاهل كبير قوى الشخصية واسع النفوذ، ممن يرضى ان يخضع له امثال المقدم النقسيس من كبار القادة الابطال، وزعماء المجاهدين الاحرار، فلذلك تصدر ابو العباس للرئاسة والجهاد فى تطوان ونواحيها وكان موفقا فى اعماله ناجحا فى سياسته وادارته وجهاده رحمه الله. وهذا المقدم، اليه تنسب زنقة المقدم التى بين السوق الفوقى والغرسة الكبيرة، وداره ودور اولاده هى التى تحولت لمساكن الاشراف من ءال وزان فى درب الشرفاء بالزنقة المذكورة .

وفى مظهر الاهمال المؤسف البادى على قبر المقدم النقسيس وامثاله، عبرة لمن يعتبر من اصحاب السلطة والجاه، والغطرسة والجبروت، والبقاء والدوام لله سبحانه



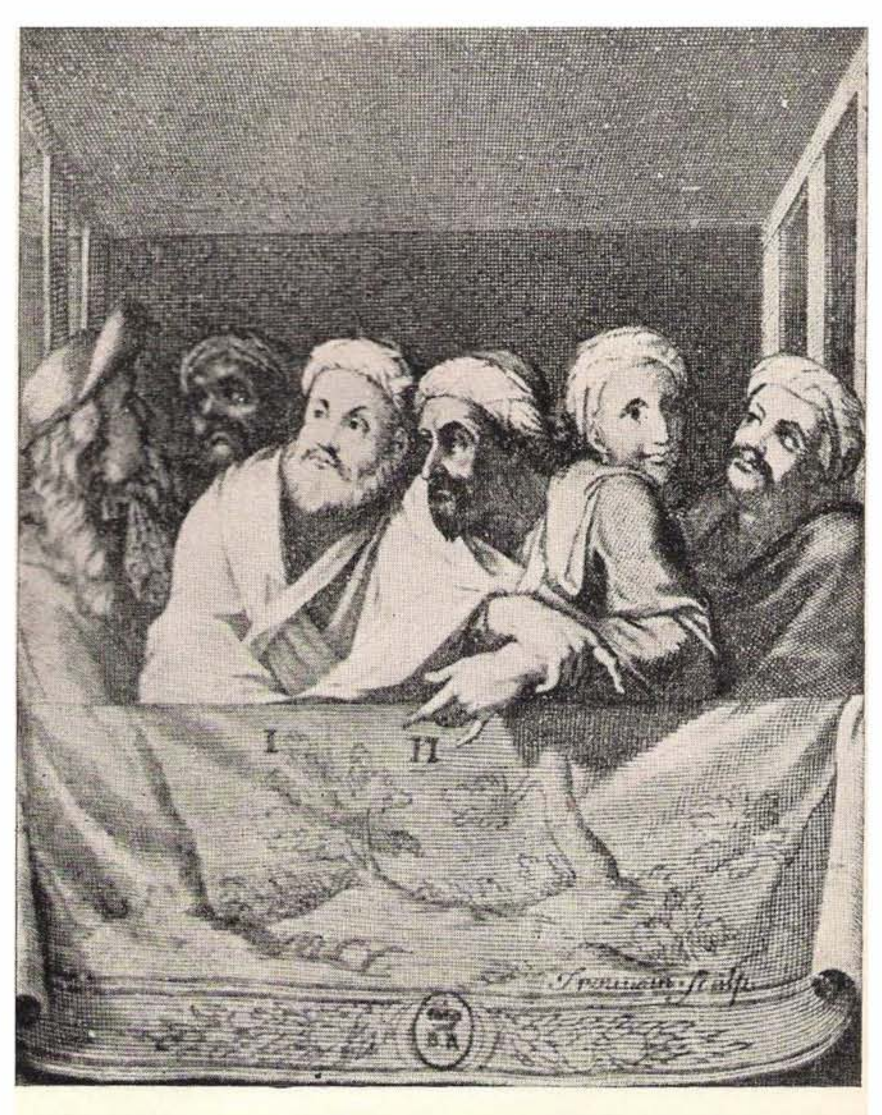
(رقم 33) صورة البطل المجاهد المقدم الخضر غيلان الذى دخلت تطوان تحت حكمه مدة من الزمن، (وما تزال عائلة غيلان بتطوان الى الان) وقد نشرت هذه الصورة بلندن عاصمة انجلترا سنة 1075 هـ 1664 م وان شئت فانظر صفحة 234 ـ 235 ـ 242 ـ 243



(رقم 34) صورة سلطان المغرب مولاى رشيد بن الشريف، من الاشراف العلويين واحد كبار الدولة العلوية الشريفة، خلد الله مجدها بعز المغرب وعظمته. وقد احتل مولاى رشيد مدينة تطوان ونواحيها وقضى على السلطات المحلية التى لم يبق هناك مبرر لوجودها وضم هذه المدينة مع سائر الشمال المغربى لبقية المملكة المغربية، فتوحدت بذلك نواحى الوطن المغربى العزيز ، وما احسن التوحيد مع العدل والانصاف. والتاريخ يعيد نفسه، فبعد مرور نحو ثلاثمائة سنة على عهد مولاى رشيد، وفى عهد تاليف هذا الكتاب بتطوان - كان المغرب فاقدا لحريته واستقلاله راضخا للسيطرة الاجنبية، فأعاد الله له حريته واستقلاله، وجمع شمله، ووحد ترابه ،(وأعيدت تطوان وسائر الشمال المغربى لبقية المملكة المغربية) تحت حكم الملك الموفق والسياسى المحنك، ابى عبد الله محمد بن يوسف العلوى بارك الله فى عمره لخير المغرب والعروبة والاسلام



(رقم 35) صورة السلطان الكبير مولاى اسماعيل بن الشريف العلوى مفخرة المغرب والدولة العلوية الشريفة
هذا الملك العربى الحر، الشريف الابى، المسلم الغيور، فى عهده وباذنه، كانت تطوان هى مركز الكفاح الوطنى، ومقر المقاومة المسلحة، ومصدر الجهاد الدينى لتطهير موانىء المغرب من الاحتلال الاجنبى البغيض
ففى اول عهده - والمملكة العلوية الشريفة ما زالت فى عهد طفولتها - كان جل الموانىء المغربية محتلا من ثلاث دول افرنجية معتدية فتجمعت القوات الوطنية بمدينة تطوان التى كانت القوات الاجنبية محتلة لبلاد مغربية فى شرقها وغربها وشمالها. وتحت قيادة والى تطوان وبزعامة مجاهديها، استرجع المغرب مدينة طنجة سنة 1095 هـ ومدينة العرائش سنة 1101هـ ومدينة اصيلا سنة 1102 هـ وحصن بادس سنة 1113 الخ وان شئت فانظر ص 258 .

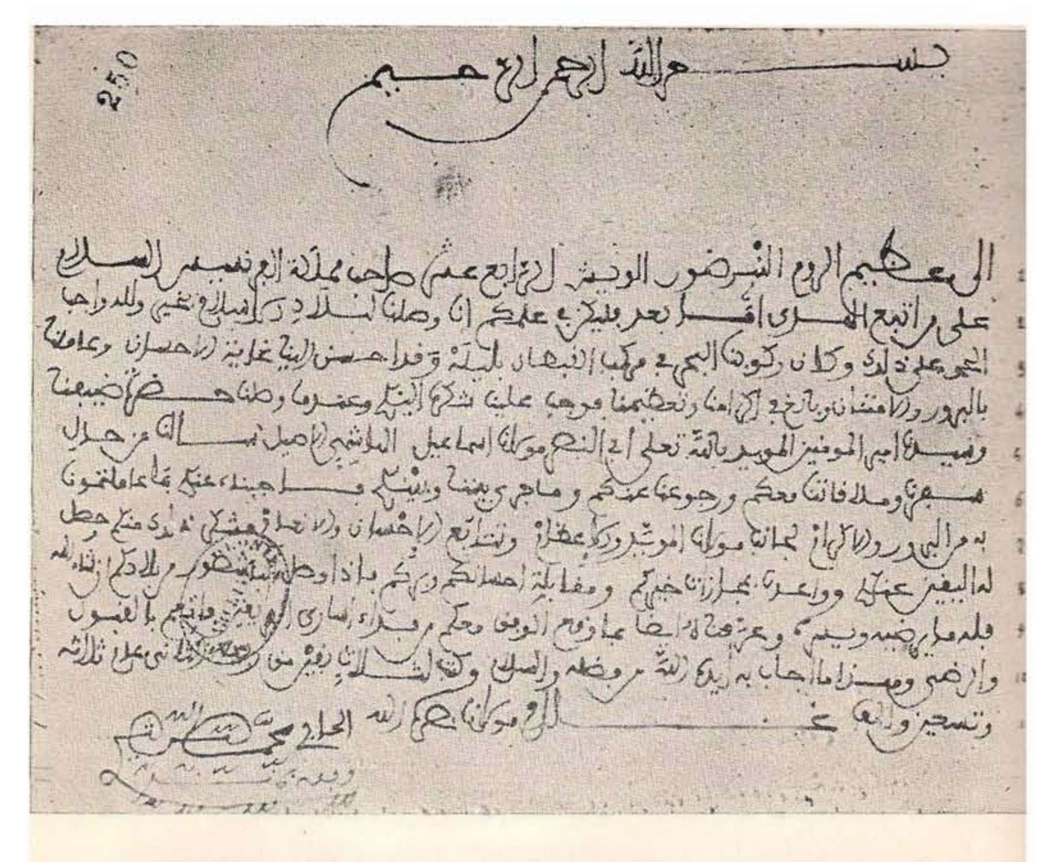


(رقم 36) قائد تطوان الحاج محمد تميم، سفير السلطان مولاى اسماعيل لدى لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وقد اخذت هذه الصورة بباريس سنة 1093 هـ 1682 م

وصلى الله على من لا نبي بعده

بسم الله الرحمن الرحيم

(رقم 37) صورة الرسالة التى بعثها سلطان المغرب مولاى اسماعيل بن الشريف العلوى الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر فى شأن سفارة قائد تطوان الحاج محمد تميم، وهى مؤرخة بـ 15 ربيع الثانى عام 1093 هـ موافق 23 ابريل سنة 1682 م. ونصها الكامل مثبت فى ص 267



بسم الله الرحمن الرحيم

الى عظيم الروم الشريف الوجيه لويس الرابع عشر صاحب مملكة افرنسيس السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فليكن في علمكم انا وصلنا لبلاد [illegible] ولله واجب
الحمد على ذلك وكان ركوبنا البحر في مركب القبطان [illegible] وقد احسن الينا غاية الاحسان وعاملنا
بالبرور والامتنان [illegible] وعظمنا [illegible] علينا [illegible] وعمرنا [illegible] ضيافتنا
ونسيدنا امير المومنين المويد بالله تعالى ابي النصر مولانا اسماعيل الهاشمي [illegible] من جلال
[illegible] وملاقاتنا معكم ورجوعنا عندكم وما جرى بيننا وبينكم فيما [illegible] عنكم بما علمتموه
به من البرور والاكرام لجانب مولانا المويد [illegible] ونتائج الاحسان والانعام [illegible] حصل
له [illegible] بمجازاة خيركم ومقابلة احسانكم [illegible] من بلادكم [illegible]
فلما [illegible]
وارضى وهذا ما اجاب به ايده الله [illegible] والسلام وكتب في [illegible] الثاني [illegible] عام ثلاثة
وتسعين والف [illegible] مولانا [illegible] الحاج محمد تميم

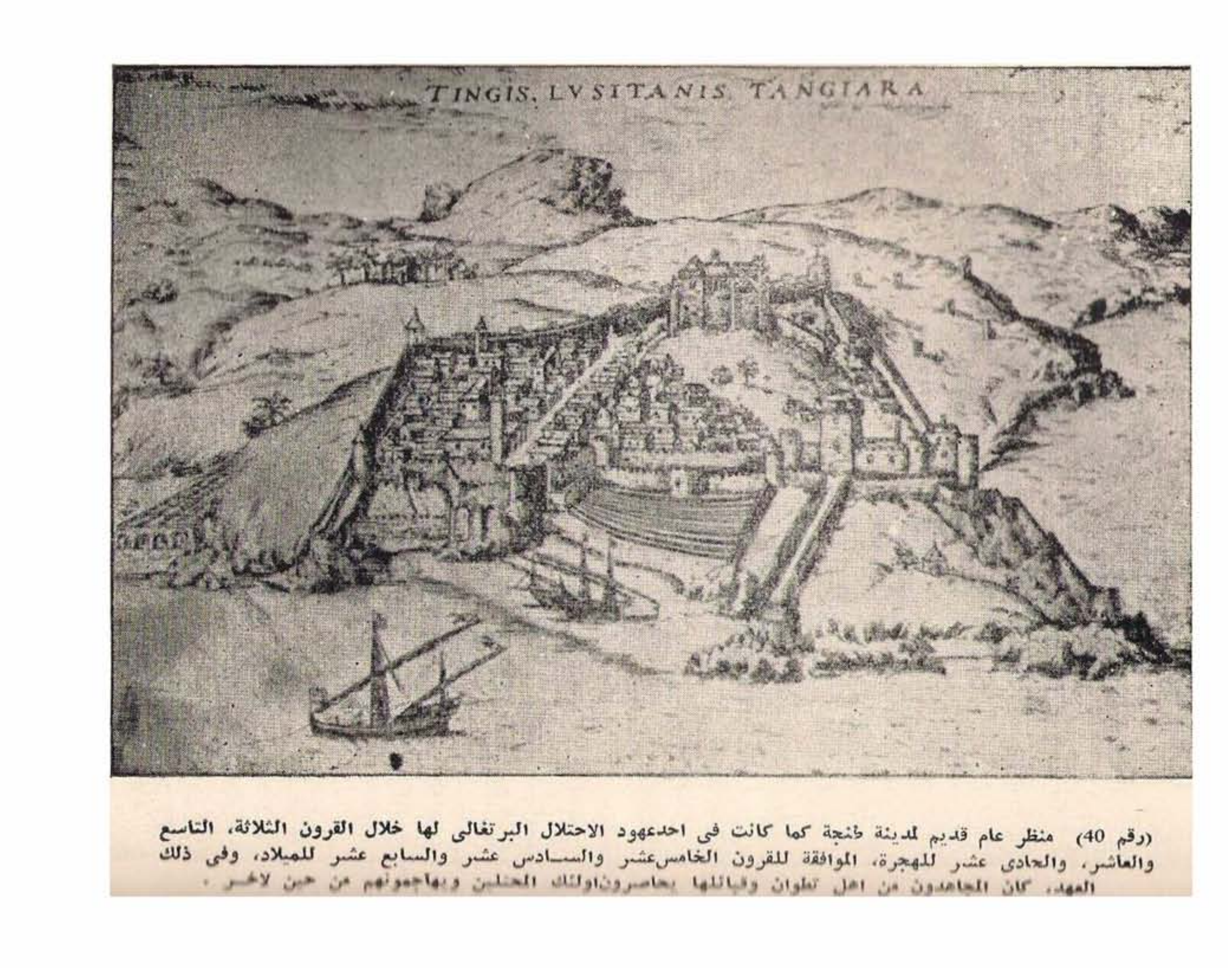
(رقم 38) صورة الرسالة التي وجهها قائد تطوان الحاج محمد تميم الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1093 هـ موافق 5 مايو سنة 1862 م وقد اثبت نصها الكامل في صفحة 265

بسم الله الرحمن الرحيم

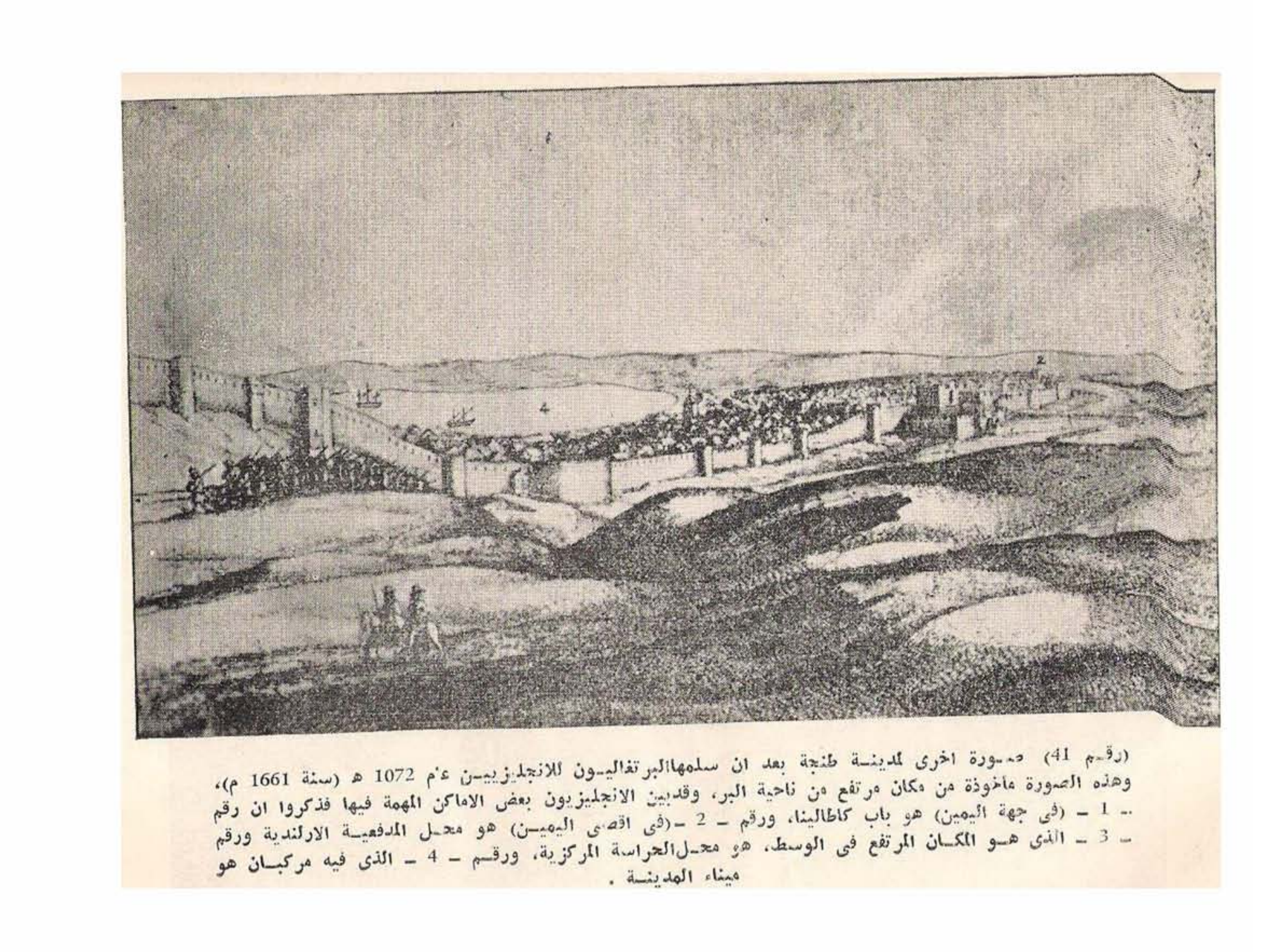
الى المحب المبجل صاحب الدولة الفرنسيسية وخديمها وتابعها [illegible]
[illegible] امّا [illegible] علمكم انا
[illegible] السلام على من اتبع الهدى
وصلنا البلاد بالسلام وقدره الله بخير والحمد لله والمنة له وكان ركوبنا في [illegible]
[illegible] مركب الفرقاط [illegible] وقد احسن البناغا [illegible] وعاملنا بالغاية [illegible]
والاحسان وبالغ في اكرامنا وتعظيمنا ما وقف عند الحد فوجب علينا [illegible]
بما انصرف اليه من [illegible] و[illegible] ما وصلنا [illegible] وسيدنا امير المومنين
الموثق بالله تعالى [illegible] مولانا اسماعيل [illegible] عن حال سفرنا وملاقاتنا
معكم ورجوعنا عنكم وعلى ما جرى بيننا وبين محبتكم وامينكم فاجبناه عن
[illegible] به من الاكرام والاجلال [illegible] ذلك منكم وحصل
له [illegible] بذلك [illegible] احسانكم [illegible]
[illegible]
ايضا [illegible] من البر [illegible] من الجانبين [illegible] ذلك [illegible]
ورضيه والله تعالى [illegible] والسلام وكتب في السابع والعشرين
من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين والف [illegible] مولانا نصره الله

الحاج محمد [illegible]

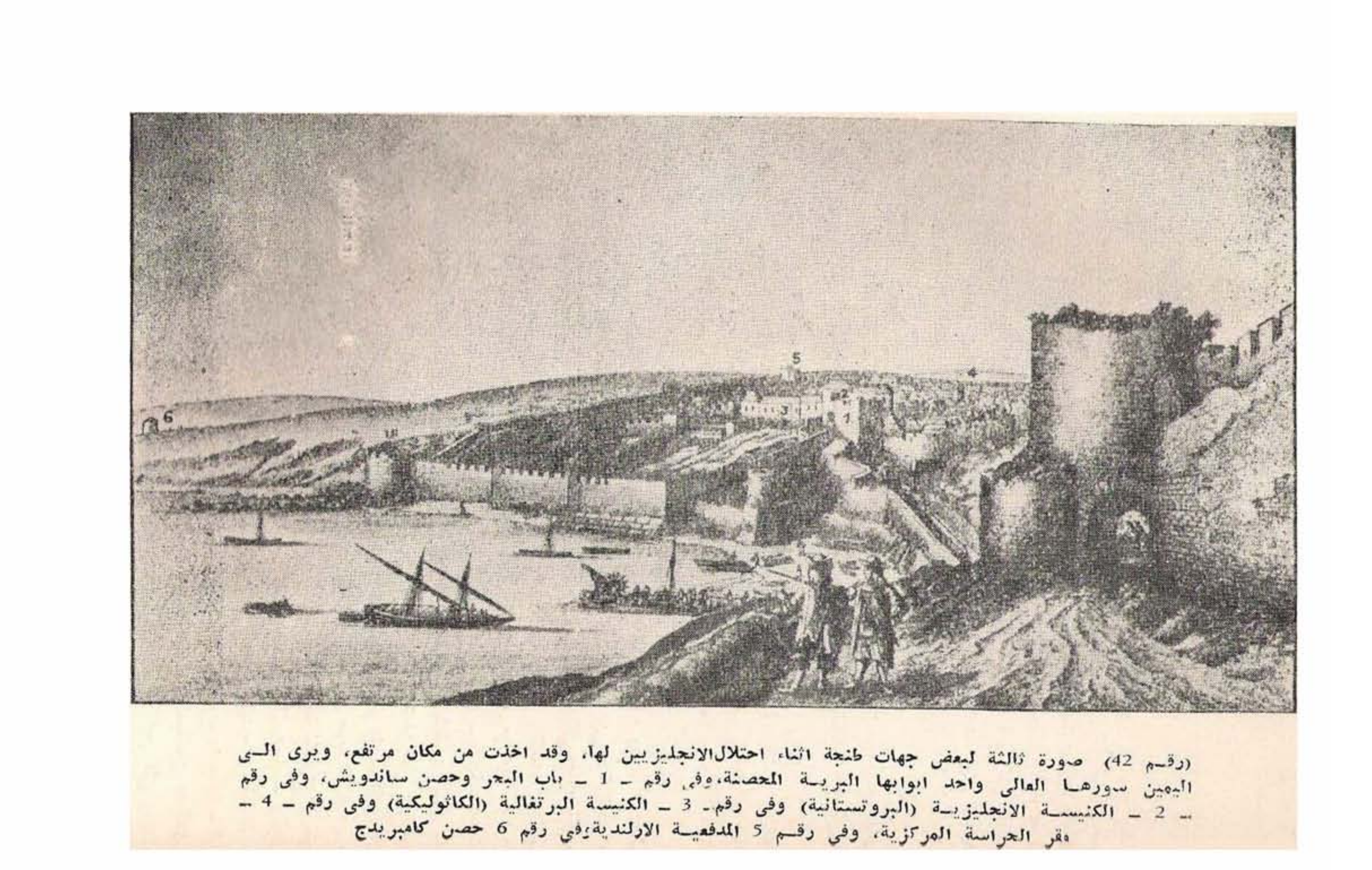
(رقم 39) صورة الرسالة التي بعثها القائد تميم التطواني الى وزير فرنسا بعد عودته من رحلته الى باريس بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1093 هـ (5 مايو 1682 م) انظر صفحة 266 - 265



(رقم 40) منظر عام قديم لمدينة طنجة كما كانت فى احدعهود الاحتلال البرتغالى لها خلال القرون الثلاثة، التاسع والعاشر، والحادى عشر للهجرة، الموافقة للقرون الخامس‌عشر والسادس عشر والسابع عشر للميلاد، وفى ذلك العهد، كان المجاهدون من اهل تطوان وقبائلها يحاصرون‌اولئك المحتلين ويهاجمونهم من حين لاخر .



(رقم 41) صورة اخرى لمدينة طنجة بعد ان سلمها البرتغاليون للانجليزيين عام 1072 هـ (سنة 1661 م)، وهذه الصورة ماخوذة من مكان مرتفع من ناحية البر، وقد بين الانجليزيون بعض الاماكن المهمة فيها فذكروا ان رقم - 1 - (فى جهة اليمين) هو باب كاطالينا، ورقم - 2 - (فى اقصى اليمين) هو محل المدفعية الارلندية ورقم - 3 - الذى هو المكان المرتفع فى الوسط، هو محل الحراسة المركزية، ورقم - 4 - الذى فيه مركبان هو ميناء المدينة .



(رقم 42) صورة ثالثة لبعض جهات طنجة اثناء احتلال الانجليزيين لها، وقد اخذت من مكان مرتفع، ويرى الى اليمين سورها العالي واحد ابوابها البرية المحصنة، وفي رقم – 1 – باب البحر وحصن ساندويش، وفي رقم – 2 – الكنيسة الانجليزية (البروتستانية) وفي رقم – 3 – الكنيسة البرتغالية (الكاثوليكية) وفي رقم – 4 – مقر الحراسة المركزية، وفي رقم 5 المدفعية الارلندية، وفي رقم 6 حصن كامبريدج

عن صــور طنجة فــى عهــد الاحتــلال الاجنبــى

هذه الصور الثلاث لمدينة طنجة، مما سجلته اقـلام البرتغاليين والاسبانيين والانجليزيين فــى عهد احتلالهم لهـذه المدينـة، وقد زادت مدة ذلك الاحتـلال على مائتين مـن السنين، ويلاحظ فى جميعهـا، مـا كانـت عليه المدينـة من التحصن بأسوارها العالية وابراجها المتقاربة، ولا غرابة فى ذلـك، لان الافرنج قد قضوا مدة احتلالهم لطنجة، فى ضيق شديد ونقمة متزايدة، فلقد كان مجاهدو تطوان وقبائلها، لا ينقطعـون عن مهاجمة حصون تلك المدينة وضواحيهـا واسوارها، وعن مضايقة سكانهـا ـ الذيـن كانـوا يعتبرونهم مغتصبين معتدين ـ حتى كانو لا يذوقون للراحة طعما، ولا يعرفون للهنـاء سبيلا

وفى الصورة رقم (40) منظر لطنجة من البحر وقد دارت بها الاسوار والحصون من جميع جهاتها ويلاحظ فيهـا ان مساحـة المدينة كانت فى ذلك العهد صغيرة ربما لا تسع الا الحامية العسكريـة وعددا قليلا من السكان المدنيين

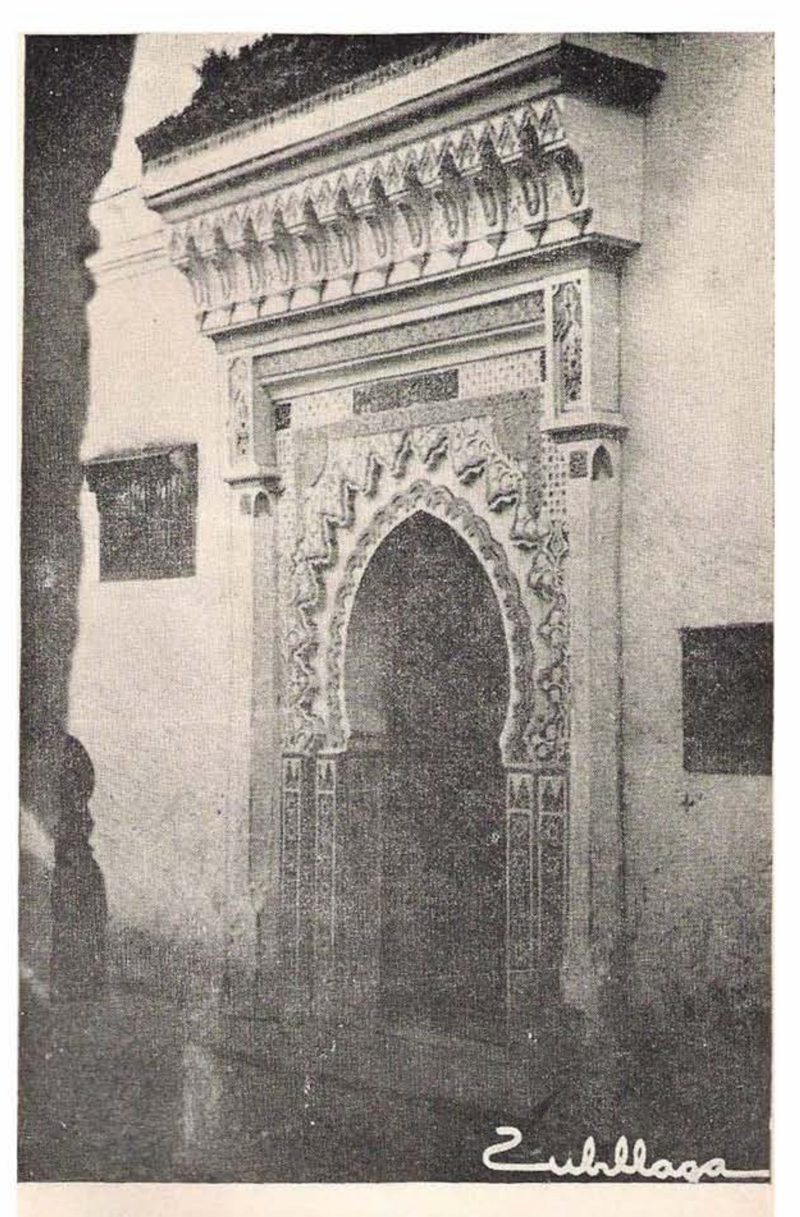
وفــى الصــورة رقـم (41) يلاحظ ان مساحة طنجة قد اتسعت، وان عمارتها قد ازدادت فى عهد الانجليـز، كمـا يلاحـظ علو الاســوار وكثرة الحصون، مما يدل على ان القوم كانوا فى هلع من مضايقـة المجاهدين المغربيين، ويرى فى هذه الصــورة بعض الجنــود يطوفــون حــول الاسوار وسلاحهم علــى اكتافهــم خوفا مــن مفاجآة رجال المقاومة والكفاح من الوطنيين .

وفــى الصورة رقم (42) يظهر ميناء طنجـة وفيه مراكب يحمل بعضها الجنود والزاد الذى لم يكن لوصوله طريق الا البحر، ويلاحظ ان المدينة كانت كأنها حصن حصين حتى من ناحية البحر ، بالرغم من كــون رجـآل المغرب لم يكونوا يهاجمو نها الا مــن ناحيــة البــر ، ولكن مهاجمــاتهــم كانت متواليـة مزعجـة عجـز الانجليزيـون معهـا عـن المحافظـة علــى انفسهم وعلــى مراكزهم، فاضطروا لاخلاء هذه المدينة وحصونها والنجاة بأنفسهم بالفرار منها فى مراكبهم البحرية ليلا تحـت جنـح الظـلام، وكان ذلك الجلاء عام 1095 هـ 1684 م. وهكذا انقذت ـ طنجة ـ مدينة الفرح والمرح، والمناظر الجميلة والموقع الممتـاز، ولكـن بقيـت مدينتا سبتة ومليلية، محتلتين بيد الاسبانيين الى تاريخنا هذا، وذلك الاحتلال اصبح الان بقاؤه من العآر، لانه ظاهرة من بقايا رواسب العصور الوسطى، عصور الغزو والسطو والعدوان، ولعل من الخير لانجلترا ولسائر العالم الحر، ان تتنـازل الدولـة الانجليزية الرشيدة لاسبانيا عن جبل طـارق الذى هو قطعة من صميم الاندلس ، ولعل من الخيــر لاسبانيـا وللمصالح الاسبانية، ان تسلم الدولة الاسبانية العاقلة للمغرب مدينتى سبتـة ومليليـة ـ وهمـا المدينتــان المغربيتـان الصميمتان ـ تسليم الصديق للصديق ـ والجار لجآره الرفيق، وخيــر للشعوب العاقلة وللسلم العالمــى، ان يعــم التعاون والهدوء والاطمئنان ، ويسود العدل والانصاف والسلام، وانى لا استبعد مطلقا، ان يصل عقلاء دولتى المغرب واسبانيا ـ فى عهدنا هذا ـ الى حل معقول يرجع للمغرب حقه المشروع، ويحفظ لاسبانيا والاسبانيين مصالحهم المشروعة، ولكن بشرط ان يسند النظر فى ذلك ـ من الجانبيــن ـ الى رجـال ذوى عقل ورزانة وسعة صدر، بعيدين عن العجرفة والتعصب والغرور فهـل مـن مفكريـن عقـلاء منـا ومن اصدقـائنـا الاسبانيين ؟ أظن ان الجواب سيكون « نعـم »

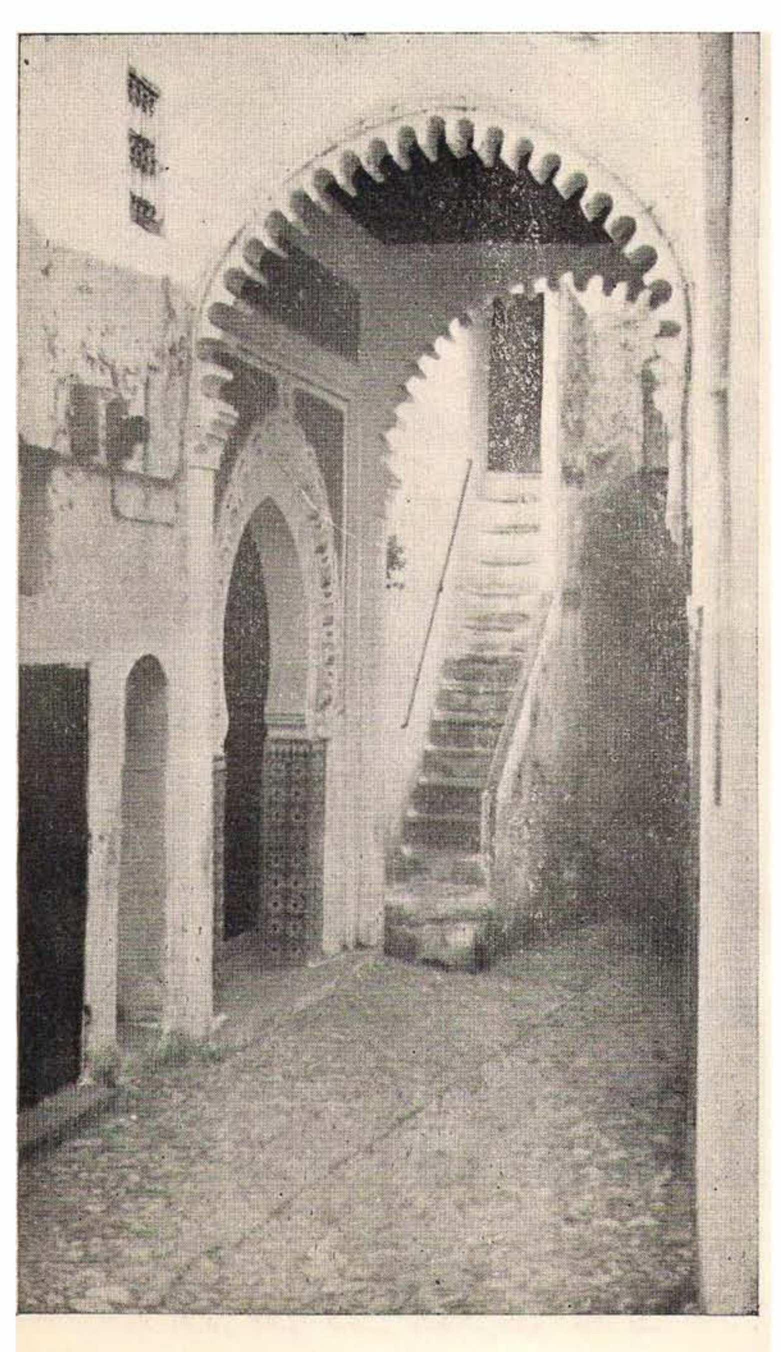
(رقم 43) صورة رسم عدلي كتب بتطوان بتاريخ اوائل جمدى الاخيرة عام 1062 هـ. موافق اواسط مايو سنة 1652 .

وقد اثبت نصه الكامل في ص 290 فما بعدها .

(رقم 44) نموذج من الرسوم الشرعية بتطوان في القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السابع عشر للميلاد، وهو مكتوب بالخط الاندلسي المغربي وبآخره شكل العدلين الشاهدين فيه ولا يستطيع معرفة اسميهما الا الخواص، وتاريخه اوائل ذي الحجة عام 1088 هموافق يناير سنة 1678 م. واصله محفوظ في الخزانة الداودية بتطوان، وان شئت فانظر نصه الكامل في ص 297



(رقم 45) باب الزاوية الفاسية بتطوان وقد بني اصلها في حياة صاحبها ومؤسسها الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي عام 1003 هـ موافق سنة 1595 م وجدد بناءها في عصرنا هذا، صديقنا الفقيه الصوفي الصالح ابو العباس احمد بن عبد القادر الفاسي الوطني التطواني الغيور حفظه الله.



(رقم 46) باب الزاوية الناصرية بتطوان، وهي من اقدم زوايا الطرق الصوفية بهذه المدينة، وقد بنيت في القرن الحادى عشر للهجرة، وان شئت فانظر ص 312 .

مغالطات ومخالفات، فيجب النظر فيها والرجوع للحق فى تلافيها، فان لم يتعاهدها من له بصيرة بصلاح الامور فيؤدى طول مكثها الى الجفا والمحذور . والله سبحانه نسأله الهداية والتوفيق، والانقياد الى سواء الرشد والطريق، بمنه وكرمه، وبتاريخ أواخر جمدى الاولى عام ثمانية وتسعين والف.

خديم مولانا نصره الله : علي بن عبد الله وفقه الله ورعاه

ثم الطابع الذى نقشه (خديم المقام العلي بالله علي بن عبد الله الحمامي رعاه الله) والتاريخ المذكور توافقه اوائل ابريل سنة 1687 م.

نهاية أولاد النقسيس عام 1098 هـ.

ذكر الناصرى فى الاستقصا (1) أن السلطان المولى اسماعيل لما بلغه أن أخاه المولى الحران وابن اخيه المولى أحمد بن محرز اللذين كانا ثائرين عليه، قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات، نهض اليهما، وبعد حروب كثيرة، اقتحم المولى اسماعيل تارودانت عنوة بالسيف واستباحها واستولى عليها فى جمدى الاولى عام 1098. ولما اتصل خبر الفتح بأهل فاس عينوا وفدا من كبرائهم وأشرافهم وعلمائهم فقدموا على السلطان بقصد التهنئة يقدمهم ولده المولى محمد بن اسماعيل فأكرم وفادتهم، وخرج أولاد النقسيس من سبتة وكانوا قد لجأوا اليها بعد مقتل الخضر غيلان فقدموا على السلطان (يعنى المولى اسماعيل) بعسكره من تارودانت فأمر بردهم الى تطاوين وقتلهم بها، وأمر بقتل من كان منهم مسجونا بفاس فقتلوا أجمعون رحمهم الله .

وقال ابن الحاج فى «الدر المنتخب» (2) ما نصه :

«ولما أصلح من أحوال أهل تارودانت ما اراده، وقطع دابر كل من عانده، قدم عليه اولاد النقسيس من سبتة، وكان كبيرهم عيسى بن عبد الله مات فى ربيع الاول، وتنصر بعض من كان معهم، ولما وصلوا اليه أمر بردهم لتطوان ويقتلون، فقتلوا كما سبق فى الازل، وذلك فى رمضان العام.

---

1) الاستقصا ج 4 ص 32. ومثله فى كتاب الجيش ج 1 ص 74.
2) الدر المنتخب ج 6 فى حوادث سنة 1098.

وفي يوم الخميس خامس شوال من هذا العام قتل ثلاثة من اولاد النقسيس بفاس الجديد، وفي يوم السبت سابع شوال هذا قتل اربعة من أولاد النقسيس كانوا بسجن تطوان وفعل بهم ذلك خوفا أن يفعلوا كما فعل من كان معهم من العوام» .

ووجدت فى تقييد قديم بخط أحد قضاة تطوان فى أوائل القرن الثالث عشر، أن اولاد النقسيس فروا الى نصارى سبتة فقدم بعض خدام السلطان وتحت يده أمر بأخذهم وقتلهم ولكنه أظهر لهم الامان حيلة منه، وخدع الفقيه الولى الصالح سيدى الحاج على بركة وأخذه معه الى سبتة فاغتر أولاد النقسيس وعادوا الى تطوان صحبة الخديم المذكور مع سيدى علي بركة فلما دخلوا باب المقابر (I) وهي الباب المقابلة لسبتة، ألقى القبض عليهم ثم سيقوا الى باب القاعة (2) بالغرسة الكبيرة وقتلوا هناك وكانوا سبعة ومعهم عبد لهم فلما رأى العبد المذكور ما وقع بأسياده، واجه خادم السلطان بأنه غادر فألحقوه بأسياده .

ثم ذكر صاحب التقييد المذكور أن أولاد النقسيس انقرضوا بذلك ولم يبق منهم أحد (يعنى بتطوان)

وذكر ابو محمد سكيرج أن السلطان هو الذى بعث الولى الصالح العالم العامل سيدى الحاج علي بركة الى أولاد النقسيس وأمره ان يعطيهم الامان ويأتى بهم الى تطوان فلما اطمأنوا الى ذلك ورجعوا الى تطوان قتلوا بها وعلقت رؤوسهم على سور البلد بالموضع الذى به الآن القاعة في الغرسة الكبيرة .

وذكر المستعرب سرديرة الاسبانى ان سيدى على بركة هو الذى سعى لدى السلطان فى العفو عنهم، وأن السلطان وعده بذلك ولكن كان ما كان .

وللتوفيق بين مختلف الروايات، نرى والله أعلم، أن اولاد النقسيس فى ذلك العهد، كان عدد منهم فى سجن فاس ومعهم بعض انصارهم من عهد السلطان المولى الرشيد الذى ألقى القبض بتطوان على مقدمها أحمد بن عيسى النقسيس واصحابه عام 1078 ثم قتل عدد منهم بفاس عام 1088 وبقى البعض الآخر منهم بالسجن المذكور، وفى الحين نفسه كان البعض الآخر منهم لاجئا بسبتة خوفا على نفسه منذ قتل المقدم الخضر غيلان، فلما انتصر المولى اسماعيل على خصومه عام 1098. وفد عليه بعض من كان منهم فى سبتة وبقى

I) كان هذا الباب يسمى قديما «باب الربض» انظر ترجمة الكراسى من هذا الكتاب. ت. و.

2) هى القاعة التي ما زالت معروفة حتى الآن بهذا الاسم فى ساحة الغرسة الكبيرة وهى الفندق الذى كان وما زال يباع به السمن والزيت والعسل والتين والزيتون الخ.

البعض الآخر بها، فأمر السلطان من وفدوا عليه بعودتهم الى تطوان، ثم وقع السعي في جلب من كان باقيا منهم في سبتة بالحيلة والوعد بالامان، فلما اغتروا بذلك الامان الذى يشبه امان بعض الملوك العباسيين بالشرق، ظنا منهم أن ذمة الشيخ سيدى على بركة لا تخفر، عادوا الى تطوان، فضموا الى اخوانهم العائدين من عند السلطان وقتل الجميع .

أما الاشخاص الثلاثة الذين كانوا بفاس الجديد وأمر السلطان بقتلهم في ذلك العهد، فهم البقية الاخيرة من اولاد النقسيس مع انصارهم، الذين وقع القبض عليهم بتطوان بعد قتل الخضر غيلان وفرار البعض الآخر منهم الى سبتة، ويظهر ـ كما قال صاحب المخطوط التطوانى ـ أن هذه الحادثة كانت هى القضاء النهائى على أولاد النقسيس وأنصارهم بتطوان ونواحيها، اذ لم يذكر اسمهم بعد ذلك في أى حادث من الحوادث. وهكذا كانت نهاية احفاد اولئك الابطال الذين طالما جاهدوا في سبيل الله ودافعوا عن الوطن، وانما البقاء والدوام لله وحده سبحانه.

رسالة من القائد علي بن عبد الله الى قنصل فرنسا عام 1099

وهذه رسالة نثبتها هنا كنموذج لما كان القائد على بن عبد الله ـ قائد تطوان ونواحيها ـ يخاطب به القناصل الاجانب في المغرب، ونصها على ما فيها (I)

الحمد لله وحده   وصلى الله على جميع أنبيائه ورسله

الى النصراني القونصو جوان برلي (2) الفرنسيس الجنسية السلام على من اتبع الهدى، فقد عن غرض منا اليك فأقدم لملاقتنا حين رؤيتك لمسطورنا هذا ولا بد ثم ترجع على طريقك ان شاء الله والسلام على من اتبع الهدى. وكتب في أواخر رمضان المعظم عام تسعة وتسعين والف (3)

ولنقف عند هذا الحد من أخبار ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الحادى عشر، ولنرجع الى الوراء قليلا لنطرق موضوعات أخرى من تاريخ تطوان فى هذا القرن، اذ ليست الحوادث السياسية والحروب وأخبار الحكام، هى كل ما في التاريخ، بل ان هناك نواحى تاريخية واجتماعية أخرى يرى كثير من الناس أن أهميتها لا تقل عن النواحى المذكورة ان لم تكن تفوقها.

وسنذكر فيما يلى ما استطعنا العثور عليه من ذلك، ثم نعود الى الكلام على ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الثانى عشر بحول الله .

(I) من المجموعة الفرنسية لكاسترى م 3 ص 190

(2) هو المسيو PERILLET وهو قنصل فرنسا فى سلا .

(3) هذا التاريخ يوافقه أواخر يوليه سنة 1688 م.

الفصل الثاني

من الباب الرابع

من قضاة تطوان وعدولها فى القرن الحادى عشر

لم أقف على مستندات قديمة يمكن أن توخذ منها أسماء جميع الاشخاص الذين تولوا قضاء تطوان فى القرن الحادى عشر، وانما وقفت على اللائحة التي أثبتها أستاذنا الرهوني في تاريخه، وهي محتوية علي أسماء بعض القضاة والتواريخ التى كانوا متولين فيها، أما ما عدا ذلك من المعلومات عنهم وعن عدولهم وأخبارهم فلم يذكر من ذلك شيئا. وأستاذنا الرهونى رحمه الله كان عمدة فى الموضوع، لانه لبث متوليا لوزارة العدلية ورئاسة القضاة بتطوان وبقية الشمال المغربى أكثر من عشرين سنة، ولا شك أنه انما استخلص لائحته من الرسوم القديمة التى اطلع عليها، والمعلومات الصحيحة التى عثر عليها. وسأنقل هنا مضمن ما في اللائحة المذكورة وإن كانت غير مستوفية لجميع قضاة تطوان فى هذا القرن، وقد أزيد عليها ما أعثر عليه فى غيرها من المعلومات المتصلة بالموضوع وان كان ذلك ضئيلا، والسبب في ذلك هو طول العهد واضمحلال كثير من المستندات ويا للاسف.

ولقد قلنا سابقا إن أبا عبد الله الكراسي بقي متوليا لقضاء تطوان الى أن توفى قاضيا بها عام 964 ولكننا لم ندر من هم الذين تولوا قضاء هذه المدينة في الربع الاخير من القرن العاشر، أما الربع الاول من القرن الحادى عشر، فلم نعرف من أسماء ولاته الشرعيين الا واحدا هو الفقيه محمد بن محمد يعقوب «نائب القاضى» كما سيأتى، أما القضاة فأقدم من عثرنا على اسمه منهم فى هذا القرن، هو عيسى الخشين، ودونك ما عرفناه فى هذا الموضوع .

نائب القاضـي محمد بن محمد يعقـوب عام 1012

وقفت في نوازل الحجر من نوازل الزياتي المسمـاة بالجواهـر المختارة على رسم مؤرخ بأواسط ذي الحجة عام 1012، وفيه أن الفقيه الاجل محمد بن محمد بن يعقوب كان في ذلك التاريخ نائب القاضي بالثغر التطواني الخ.

ووقفت أيضا على أصل رسم مؤرخ بثالث عشر رمضان سنة 1025 وفيه أن محمد بن محمد يعقوب كان نائبا عن قاضي تطوان في ذلك التاريخ أيضا، الا أنه ذكر في هذا الرسم باسم يعقوب، لا ابن يعقوب أي بدون لفظة ابن ولعله هـو الصواب والله أعلم .

القاضـي عيسى الخشيـن عام 1032

أخبرني بعض الثقات أنه وقف على رسم كتب عام 1032 وفيه أن قاضي تطوان ونواحيها في ذلك التاريخ، هو عيسى الخشين.

ولا أعرف عن هذا القاضي أكثر من ذلك.

القاضي محمد بن سعيد بن قريش عـام 1037

ذكر شيخنا الرهوني أن الشخص الذى كان قاضيا بتطـوان في شهـر ذى الحجة من سنة 1037. هو القاضي محمد بن سعيد بن قريش .

«قلت» ولعـل هذا هـو أول من تولى القضاء بتطوان من عائلة بن قريش. وقد تولى مرة أخرى عام 1040 كما سيأتي. وهذا القاضي هو محمد بن سعيد ابن أحمد، وسيأتي لنا اسم قاض آخـر يشبهـه في الاسم والنسـب ولكنـه غيره اذ هو محمد بن سعيد بن قاسم...

القاضي موسى الخطيـب عـام 1038

ذكر أستاذنا الرهوني أن الفقيه السيد موسى الخطيـب، كـان قاضيا بتطوان عام 1038 ولم نعرف عنه أكثر من ذلك .

القاضي محمد بن سعيد بن قريـش عام 1040

ذكر أستاذنا الرهوني أن محمد بن سعيد بن قريش كان قاضيا بتطـوان في ربيع الثاني سنة 1040 وهو الذى سبق أنه كان قاضيا بها عام 1037 .

القاضــى أحمد بــن محمد طانية عام 1040

ذكر أستاذنا الرهوني أن الفقيه أحمد طانية كان قاضيا بتطوان سنة 1040 «قلت» وفى كتاب «الاعلام بمن غبر، فــى أهــل القرن الحادى عشر» (1) أنه «فى سنة 1063 توفى الفقيه القاضى أبو العباس أحمد طانية وكان فقيها فاضلا أخذ عن جماعة من أهل عصره كالشيخ أبى عبد الله محمد العربــى بــن يوسف الفاسي وغيره وكان قاضيا ببلده تطاون».

وفي ابتهاج القلوب، أن القاضي أحمد طانية هذا كان مــن تلاميــذ سيدى العربي الفاسى وأنه توفى عــام 1063

وذكــر أستاذنا الرهوني أنــه كان قاضيا بتطوان سنة 1041 وما بعدها.

القاضى عبد المجيد بن طريقة عــام 1053

ذكر أستاذنا الرهوني أن الفقيــه عبد المجيد بــن طريقة «بالتصغير» هو الذى كان قاضيا بتطوان سنة 1053. وسيأتى لنا أنه كان متوليا لقضائهــا أيضا عــام 1073 .

القاضــى محمد بــن طريقــة عام 1063

وجدت فى آخر نسخة عدة رسوم ما نصه : وأشهــد الفقيه الاجل العالــم العلامة البركة الافضل قاضى مدينة تطوان ونواحيها وخطيب جامعها الاعظم وهو محمد بن طريقة وفقه الله بمنه الخ. وتاريخ هذه النسخة هو 26 شعبان عام 1063.

القاضى عبــد القادر بن احمد طانيــة عام 1071

ذكر أستاذنا الرهونى أن الفقيه عبد القادر بن أحمد طانيــة كان قاضيا بتطوان سنة 1071، ولم نعرف عنه اكثر من ذلك فى فى هذا العهد. وسيأتى انــه كان متوليا أيضا عام 1080 .

القاضي عبد المجيد بن طريقة عــام 1073

فى لائحة أستاذنا الرهوني أن الفقيه عبد المجيــد بن طريقة كان أيضــا. قاضيا بتطوان سنة 1073. وهو الذى سبق أنه كان متوليا عام 1053 .

---

1) مؤلف كتاب «الاعلام بمن غبر» هو الفقيه أبــو محمــد عبــد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفي سنة 1131. وتوجد من كتابه هــذا نسخة غير كاملة في الخزانة السودية بفاس، وقد وقفت عليها عام 1369.

القاضى عبد الوهاب الفاسي عام 1075

ذكر أستاذنا الرهونى أن الفقيه أبا محمد عبد الوهاب الفاسي، تولى قضاء تطوان فى حدود سنة 1075 وأنه رجع الى فاس وتوفي بها سنة 1078 .

«قلت» وعبد الوهاب هذا هو الفقيه العلامة المشارك عبد الوهاب ابن الشيخ الامام سيدى العربى بن يوسف الفاسي، وقد ترجم لـه اليفرانـى فـى الصفوة (1)، وذكر أنه ولي القضاء بتطوان مدة ولم يذكر في أى سنـة كانـت تلك الولاية، كما ترجم له أيضا سيدى محمد بن جعفر الكتاني في السلـوة (2) وذكر أنه تولى القضاء بتطوان وتوفـى بفـاس في محرم سنة 1079. ودفن في ضريح جده الشيخ أبي المحاسن. وترجم له أيضا الشيخ ابن عجيبة فـي أزهار الـبـسـتـان .

القـاضى عبد القـادر طانية عـام 1080

ذكر لي بعض الثقات، أن الفقيه عبد القادر طانية هو الـذى كـان متوليا قضاء تطوان عام 1080 وذكر أبو محمد سكيرج أنه تولى قضاء تطوان، الا أنه لم يذكر تاريخ ولايته، ولم أقف على أى رسم مسجل أو مؤدى على هذا القاضي.

القاضي محمد بن سعيد بن قريش عام 1079 ـ 1093

ذكر أستاذنـا الرهونـي أن الذى كـان متوليا قضاء تطوان عام 1080 و 1095 و 1100، هو الفقيه محمد بن سعيد بن قريش (3) ولـم يذكـر أن غيـره تولى قضاءها أثناء تلك المدة.

«قلـت» كان القاضى المذكـور متوليا قضـاء تطوان عام 1078 أيضا وقد وقفت على رسم كتب في 22 شوال سنة 1078. وقد جاء فيه ما نصه : «لما استقل وثبت لدى الفقيه الاجل الافضل الاكمل القاضي بمدينة تطاون وعمالتها وهـو محمد بن سعيد بن قريش ... الخ.

فان ثبـت أن القاضي طانية كـان متوليا قضاء تطـوان عام 1080 فان ابن قريش هذا يكون قد أخر عن القضاء مدة ثم أعيد اليه، والله أعلم.

---

(1) الصفوة ص 169 طبعة فاس.

(2) سلوة الانفاس م 2 ص 324 طبع فاس .

(3) ان شئت فانظر ترجمته فى الفصل الثالـث مـن الباب الرابع من هذا الكتاب .

وقد وقفت أيضا على رسم مسجل عليه عام 1093 ووقفت على رسمين كتب هذا القاضي تحت أحدهما ما نصه : الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أعلم بثبوت الرسمين أعلاه وبمحوله عبد الله تعلى سبحانه محمد بن سعيد بن قريش وفقه الله بمنه.

ومحمد بن سعيد هذا هو غير محمد بن سعيد الذى كان قاضيا عام 1037 وعام 1040. بل هو حفيد اخيه، لان ذاك هو محمد بن سعيد بن احمد ، وهذا محمد بن سعيد بن قاسم بن سعيد بن احمد. وذكر أستاذنا الرهونى أن هذا هو الذى نقل الشريف العلمي كثيرا من أجوبته وفتاويه فى نوازله المشهورة وقد نقل الرهونى محشى الزرقاني بعض ذلك في حاشيته. (1)

تتمة

القاضي علي الزياتي ؟

ذكر لي صديقنا الفقيه المطلع السيد محمد العابد بن عبد الله الفاسي «بفاس» أن الفقيه أبا الحسن عليا الزياتى كان من تلاميذ الشيخ سيدى العربى ابن يوسف الفاسى، وأنه تولى قضاء تطوان ...

ولا أدرى في أى تاريخ كانت ولايته. وسيأتى لنا أن الفقيه الزياتي المذكور كان من العدول بتطوان فى أواسط هذا القرن ـ أعني الحادى عشر والله أعلم .

«تلخيص» فملخص هذا الفصل، أننا عرفنا من أسماء الولاة الشرعيين بتطوان فى القرن الحادى عشر، أحد عشر شخصا، هم :

1 ـ محمد يعقوب .
2 ـ عيسى الخشين .
3 ـ محمد بن سعيد بن احمد بن قريش .
4 ـ موسى الخطيب .
5 ـ احمد طانية
6 ـ عبد المجيد بن طريقة .
7 ـ محمد بن طريقة .
8 ـ عبد القادر طانية .
9 ـ عبد الوهاب الفاسى .
10 ـ محمد بن سعيد بن قاسم بن قريش .
11 ـ علي الزياتي .

---

1) حاشية الرهونى على الزرقاني ج 7 ص 108 .

من عدول تطوان فى القرن الحادى عشر

أما عدول تطوان فى هذا القرن ـ الحادى عشر ـ فلم أعرف منهم الا عددا قليلا، ودونك من عرفت أسماءهم مع دعائهم والسنوات التي كتبت فيها شهاداتهم التى وقفت بنفسي على أصولها أو على نسخ صحيحة منها :

محمد بن موسى المصيمدى 1019 .

عيسى بن يوسف الخشين 1019 .

محمد بن مسعود الكتامى وفقه الله 1020 ـ 1025 ـ 1036 ـ 1042 .

علي بن محمد الزياتى وفقه الله 1020، 26، 33، 36، 41، 42، 50، 58، 1055

محمد بن يوسف بن طريقة 1026 .

علي بن محمد العاقل 1028 .

علي العربى وفقه الله 1028 .

أحمد طانية 1037 .

أحمد اغزان 1037 .

محمد بن احمد بوسجادة 1037 ـ 1040 .

محمد الدغمومى 1040 .

أحمد البزى 1046 .

أبو القاسم جويد وفقه الله 1048 .

يوسف بن محمد الرثوث وفقه الله 1050 ، 1078 ، 1079 .

محمد العاقل وفقه الله 1050 ، 1055 .

بلقاسم الجعباق وفقه الله 1052 .

محمد الفتوح وفقه الله 1052 .

احمد الشارب 1055 .

قاسم الشيبو 1055 .

محمد بن علي عاذل وفقه الله 1055 .

محمد البطوئى (قبل) 1055 .

محمد البكرى لطف الله به 1058 .

مسعود أجانه وفقه الله 1068 .

علي بن محمد الشودرى (قبل) 1073 .

أحمد بن على حامو (قبل) 1073 .

عبد الله بن أحمد الخطيب وفقه الله 1078 ، 79 ، 89 .

محمد بن احمد الديمانى وفقه الله بمنه 1080 ، 89 ، 93 .

محمد بن عبد الله الخطيب وفقه الله 1080 ، 1089

محمد بن عبد السلام بوسجادة وفقه الله بمنه 1080 ، 1093 .
أحمد بن محمد بركة وفقه الله ولطف به 1088 ، 89 ، 92 .
موسى دغداغ (1) وفقه الله تعلى بمنه 1088 ، 89 ، 91 .
محمد بن عبد القادر الحدادى وفقه الله تعلى بمنــه 1088 ، 1089 ، 1091 .
احمد المنصــورى 1089 .
محمد بن عبد المجيد بوسجادة وفقه الله بمنه 1089 .
عيسى بن علي بريطل وفقه الله بمنه 1091 .
علي بن محمد القر 1092 .
موسى بن محمد الريفى 1097 .
علي حماد 1100 .
بلقاسم بن على ابريطل وفقه الله بمنه 1100 .

نماذج من وثائق تطوان ونوازلها فى القرن الحادى عشر

نثبت فيما يلى بعض الوثائق الشرعية، والنــوازل الفقهيــة كنمــاذج لما كان يجرى بتطوان فى ذلك العهد من نوازل، ويكتب فيها من وثائق، ولا يخفى على اللبيب ما فى ذلك من مختلف الفوائد التاريخيــة وغيرهــا. فمثــلا نعرف كيف كان أسلوب الكتابة فى ذلك العهد، كما نعــرف أسماء عائلات وأشخاص وأماكن وعوائد واصطلاحات وأثمان أشياء وتواريخها الخ.

وسأذيل بعض هذه الوثائق بملاحظات تبين ما فيها من مبهــم او مجهــول وقد تفيد الذين لا يعرفون بعض الاسماء أو المسميــات والعوائــد والاصطلاحات ودونك نصوص تلك الوثائق :

1 وثيقــة قبــض وابــراء سنــة 1019

فمن ذلك وثيقة قبض وابراء كتبت عام تسعة عشر والف ونصها :

الحمد لله بمعاينة شاهديه قبض المرابط الحسن الحايك من يد المشتــرى فى غير هذا عبد الله طلوق من واجب المحجورتين عائشة وحليمــة المذكــورتيــن فى غير هذا أربعة وأربعين أوقية غيــر ربع الاوقيــة ليصيره لهما فى طرازهما بالعيون المتهدم سقفه وإصلاحه تطوع بذلك لله وفيه وبرئت ذمة الدافع المذكور من هذا المدفوع المذكور كون إصلاح ما ذكر صلاحــا بهما ولهمــا شهد به عليهما بحال كمال الاشهاد وعرفهما وفى أواخر جمدى الاخيرة عام تسعة عشر والف.

محمد بن موسى المصيمدى

---

1) بعضهم يكتب اسمه ضغضاغ بضادين بدل دالين.

وهذا الرسم يمكننا أن نستفيد منه أن قسما من حومة العيون وما اتصل بها، كان مبنيا قبل القرن الحادى عشر بكثير، حتى إن سقوف بعض أماكنه قد تهدمت، لان الشأن أن انهدام الاماكن لا يكون الا بعد بنائها بمدة طويلة .

2 وثيقة وكالة سنة 1032

ومن ذلك وثيقة وكالة كتبت عام 1032 وهذا نصها :

الحمد لله عن إذن الفقيه الاجل قاضى تطاوين ونواحيها وهو عيسى الخشين أعزه الله تعلى وحرسها وكلت المصونة عائشة بنت رحال محمد وأختها حليمة أحمد ابن الطالب خليفة لينوب عنهما فى المحاكمة والمخاصمة والانكار دون الاقرار وعلى سائر فصول الخصام كلها وعلى قبض ما يجب لهما قبضه من المال واليمين وعلى الابراء بعد القبض توكيلا عرفا قدره شهد على إشهاد من ذكر وفقه الله بما فيه عنه وهو حفظه الله بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر من أشهدته الموكلتان المذكورتان بما فيه عنهما وهما بحال الصحة والطوع والجواز وعرف بهما وفى وائل رجب عام اثنين وثلاثين وألف .

3 وثيقة شراء طراز ومصرية بحومة العيون سنة 1032

ومن ذلك وثيقة شراء طراز ومصرية بحومة العيون عام 1032 ونصها :

الحمد لله اشترى المكرم الحسن بن سعيد الجطاطى به دعي التطوانى من البائع له المكرم احمد ابن الفقيه خليفة السعيدى البائع عن عائشة وحليمة ابنتى الحاج محمد رحال المذكورتين أعلاه عن إذن من يجب جميع الطراز الكائن بالعيون من تطاوين المتصل من القبلة بدار الحسين المنصور ومن الشرق بالزنقة ومن الجوف الزقاق الخارج للطرنكات ومن الغرب بدار رحال مع جميع المصرية التي عليه بمنافع ذلك ومرافقه وكافة حرمه وبحق لذلك معلوم واليه منسوب اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لهما ثلاثمائة أوقية سكة تاريخه قبضه البائع المذكور معاينة في ذهب ودراهم وصار بيده الى أن يبرأ منه بالموجب وأبرأه منه إبراء تاما وتملك المشترى المذكور مشتراه المذكور تملكا تاما وحل فيه محل ذى المال فى ماله على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب ثم طولع بذلك الفقيه الاجل المدرس . . . . (1) بتطاوين وهو عيسى الخشين أعزه الله وحرسها فوافق عليه . . . . . (1) على المحجورتين المذكورتين لما رءا لهما

---

1) هنا كلمات انمحت بالرطوبة.

فيه من الصلاح والسداد . . . . . (I) ثبت لديه وفقه الله بأنهما بحال حاجة وفاقة وأن المبيع . . . . (I) يخاف عليه السقوط ولا مال لهما ينبني به وأنه أولى ما يباع عليهما . . . . . (I) وتسويقه والنداء عليه بباب الجامع الاعظم من تطاوين مدة طويلة نحو شهر الى أن وقف على آخر زائد فيه وهو مشتريه المذكور ولم يلف زائد عليه وأن أقصى ما يساويه الثمن المذكور وانه وجب لهما بالارث من أبيهما شهد على من ذكر دامت كرامته بما ذكر عنه فيه وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر من أشهده من عداه بذلك وهما بحال كمال وعرفهما في الثالث عشر من شهر الله رجب عام اثنين وثلاثين وألف فلان ... وفلان ... (2).

يلاحظ على هذا الرسم أن كاتبه يسمي جهة الجنوب بالقبلة، وجهة الشمال بالجوف، وذلك اصطلاح قديم، اذ كانوا يسمون الجهات الاربع، بالشرق والغرب والجوف والقبلة، ويقصدون بالجوف الشمال، وبالقبلة الجنوب، ومن المعلوم أن قبلة تطوان بل جل بلاد المغرب تقع فى جهة الجنوب بل الجنوب الشرقى .

أما جهة الشمال بالنسبة للمغرب فتقع فيها بلاد الافرنج (أوربا) التى كانت أراضيها مجهولة لدى جل أهل المغرب، فلعلهم سموها بالجوف تشبيها لها بما هو مجهول مما وراء الجوف مما في باطن الانسان .

4 وثيقة بيع الملكين المذكورين سنة 1037

ومن ذلك وثيقة بيع الملكين المذكورين عام 1037 ونصها :

الحمد لله اشترى التاجر محمد بن محمد قمر به دعى الاندلسى من البائع له المكرم الحسن بن سعيد الجطاطى المذكور اعلاه جميع الطراز المذكور والمحدود أعلاه مع جميع المصرية المحتملة على الطراز المذكور بجميع منافعهما معا ومرافقهما وكافة حرمهما اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لهما معا مائتا اوقية ثنتان وعشرون اوقية دراهم، سكة تاريخه قبضه البائع المذكور من المشترى المذكور معاينة في دراهم وأبرأ من ذلك كله المشترى فبرىء وتملك المشترى المذكور مشتراه المذكور تملكا صحيحا تاما على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى كما يجب عرفا قدره شهد به عليهما بحال كماله وعرفهما فى رمضان المعظم عام سبعة وثلاثين والف . . . احمد طانية

I) هنا كلمات انمحت بالرطوبة .

2) هنا علامتا العدليـن .

مما يلاحظ فى هذا الرسم أن العملة التى وقع البيع بها هى الاوقية. ومن المعلوم أن المعاملة فى ذلك العهد وما بعده الى أوائل قرننا هذا، كانت على أساس المثقال. فالمثقال كان هو الوحدة الاصلية، ويحتوى على عشر أواق، والاوقية فيها أربع موزونات، والموزونة فيها أربعة وعشرون فلسا.

5 وثيقة شراء حانوت بسوق البقالين سنة 1033

ومن ذلك رسم شراء حانوت بسوق البقالين كتب عام 1033 وهذا نصه :

«الحمد لله اشترى الطالب ابراهيم بن الفقيه سعيد الردام به دعي التطاونى نائبا فى الشراء ودفع الثمن عن جانب حبس جامع سيدى على الجعيدى من قبل الوصية التى أوصى بها المرحوم بكرم الله تعالى محمد بن احمد الردام للجانب المذكور من البائعة له المصونة فاطمة بنت علي الطنان به دعي جميع الحانوت المعروفة لها بسوق البقالين داخل تطاوين المخرجة من دارها عن يمين الخارج من الدار المذكورة وتتصل بحانوت الزعيم بمنافعها ومرافقها وكافة حرمها اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لها ثلاثمائة اوقية وخمس وستون اوقية سكة تاريخه قبضته البائعة المذكورة بعضه معاينة وبعضه بالاعتراف وأبرأت منه ذمة المشترى إبراء تاما وتملك المشترى المذكور للجانب المذكور مشتراه المذكور تملكا تاما وحل فيه محل ذى المال فى ماله على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب وبأن أشهد المشترى المذكور أن سبعة وعشرين مثقالا من الثمن المذكور دفعها من ثمن الغرسة التى ابتاعها المعلم أحمد بن عمر من ورثة المعلم أحمد زيتون. شهد عليهما بذلك وهما بحال كماله وعرفهما فى أواخر جمدى الاولى عام ثلاثة وثلاثين والف سنة ألحق فيه مثقالا صح به علي بن محمد الزياتى وفقه الله ومحمد الكتامى وفقه الله بمنه .

ورد فى هذا الرسم ذكر سوق البقالين، ولا يوجد الآن بتطوان سوق بهذا الاسم، ولا نعرف أين كان محله.

ويلاحظ أن الكاتب سمى البستان السقوى بالغرسة ـ بكسر الغين المعجمة وسكون الراء وفتح السين، وهو اصطلاح قديم كان وما زال مستعملا بتطوان ونواحيها. أما فى فاس ومراكش وغيرهما من بلاد الجنوب المغربى فيقولون ـ العرصة ـ بفتح العين المهملة وفتح الصاد. وفي سلا ونواحيها يسمون ـ الغرسة ـ او ـ العرصة ـ بالسانية. فهو اصطلاح، ولا مشاحاة فى الاصطلاح كما يقول العلماء .

6 تحبيس طـراز بحومـة العيـون سنة 1042

ومن ذلـك رسم تحبيس طـراز بحومة العيون على جامع الحومة المذكورة سنة 1042 وهذا نصه :

الحمد لله أوصى المعلم ابراهيم بن الفقيه محمد الطنجي به دعى الحساني أنه متى حدث به الموت الذى لابد منه ولا محيد لمخلوق حي عنه فانه يخرج بعد وفاته الثلث الواحد من جميع متخلفه من قليل الاشيـاء وكثيرها جليلها وحقيرها أصلا كان أو غيره ويوقف في الطراز المخرج من دار سكناه بالعيون من تطاوين ويجعل حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا على جامع سيدى على الجعيدى بالعيون المذكورة بحيث إن نصف الطراز المذكور يوقف على من يقـرأ الرسالـة والنصف الآخر على السوية بين إمامه والزيت وإذا فضل شيء من الثلث المذكور عن الطراز المذكور فانه يوقف في أصل ويصرف خراجه على الحكاية المذكورة قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الاخرة ومـن بـدل أو غيـر في ذلك فالله حسيبه وسائله يوم القيامـة ايصـاء صحيحـا شهد عليه بذلك وهو بحال كماله وعرفه أوائل ربيع بل جمدى الاولى عام اثنين واربعين والف سنة، علي الزياتي وفقـه الله ومحمد الكتامي وفقه الله .

مما يستفاد من هذا الرسم، أن جامع العيون كان يعـرف بجامع سيـدى الجعيدى وهذا الجعيدى هو المعروف الآن بسيدى على بن مسعود، وهو الـذى بنى المسجد المذكور من ماله الخاص رحمه الله وجزاه خيرا .

ويلاحظ أن أهل الخير والدين كانوا بالرغم من فقرهم، يتركون الاوقاف على إضاءة بيوت الله، وعلى القائمين فيها بالامامة والاذان وتدريس كتب الديـن، كما يلاحظ أن كتاب رسالة ابن أبى زيد القيرواني كان يدرس بتطوان فى ذلك العـهـد .

7 وثيقة بالتزام عدم الرجوع فى وصية سنة 1055

وبمحول الرسم المذكور ما نصه : «الحمد لله أشهد الموصى المذكور بمحوله على نفسه شهيديه أنه لا رجوع له في الثلث الذى أوصى به بمحوله ملتزم ذلك وأنه إن ظهر ما يخالف ذلك فلا عمل عليه وإنما العمل على ما قيد بمحوله إشهادا صحيحا عرف قدره شهد عليه بذلك وهو بحال كماله وعرفه أواسط ذى الحجة عام خمسة وخمسين وألف سنة علي الزياتى وفقه الله ومحمـد العاقل وفقـه الله.
وتحت ذلك ما نصه : الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه. أعلم بثبوت الرسمين أعلاه وبمحوله عبيد الله تعلى محمد بن سعيد وفقه الله بمنه .

محمد بن سعيد المذكـور فى هـذا الرسم، هـو القاضى محمد بن قريش المشهور، وقد تولى قضاء تطوان بعد تاريخ هذا الرسم بما يزيد علـى عشريـن سنة. ويلاحظ أنه كان يبدأ الاعلام على الرسوم بالحمدلة والتصلية، ويظهر أنها عادة لم يستمر عليها عمل جميع القضاة بتطـوان .

8 وثيقـة شراء فـدان خـارج تطوان سنة 1051

ومن ذلك رسم شراء فدان بمرج حسين خارج تطوان عام 1051 وهذا نصه:

«الحمد لله اشترى الفقيه التاجر المكـرم السيـد محمد بن محمـد حمزة المدعو أيضا قبريرة الاندلسى من البائع له المكرم محمد بن الفقيه محمد الكراسى جميع الفدان المعروف له بمرج حسين خارج تطاوين يتصل بملك المشترى وبملك عبد الرحمن بوعلي وبالخندق بمنافعه ومرافقه وكافة حرمه اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره له ثلاثمائة اوقية بالسكة الجارية بتطاوين فى تاريخه اعترف البائع المذكور بقبضه فى ريال وأبرأ المشترى المذكور منـه ابراء تاما وتملك المشترى المذكور مشتراه المذكور تملكا صحيحا، وحل فيه محل ذى المال فى ماله وذى الملك الصحيح فى ملكه على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب وبمحضر عبد الرحمـن ابي علي المذكور وموافقته على ذلك شهد عليهم بذلك وهم بحال كماله وعرفهم فى أواسط رمضان المبارك إحدى وخمسين والف الحق فيه فى ريال صح به . . . وفقه الله و . . . . وفقه الله .

يلاحظ على هذا الرسم أن العـدل يستعمـل اسم تطاويـن بـواو مكسورة بعدها ياء فنون، وكذلك كان عمل جل عدول تطوان فى ذلك العهد .

كما يلاحظ ذكر لفظة الريال ـ الاسبانيـة ـ ممـا يـدل علـى أنها كانت مستعملة بتطوان فى ذلك التاريخ . وذكرت فيه لفظة الفدان ـ وينطق بها فـى تطوان بفتح الفاء وتشديد الدال، وهى كلمة عربية تطلق على المزرعة .

وفى تطوان تطلـق على كـل قطعة أرضية تزرع فيها الحبوب أو الخضر، سواء كان فيه أقل من هكتار من الارض أو كانت فيه عشـرات الهكتـارات، فهو اصطلاح مخالف لاصطلاح الشرقيين الذين يطلقون اسم الفدان على عدد محدود من القصبات أو الامتار.

9 وثيقـة شـراء مصريـة عـام 1054

ومن ذلك رسم شراء مصرية بحومة العيون سنـة 1054 وهذا نصه :

«الحمد لله اشترى المكرم قاسم بن الحسن بن سليمان بـه دعـي اليجمى نائبا فى الشراء ودفع الثمن عن جانب حبس جامع سيدى على الجعيدى وصومعته من وصية رحمة بنت السيد احمد السلباح من البائع له التاجر عبد العزيـز بن على بن عبد الحق به عرف جميع المصرية الكائنة بالعيون من تطاويـن المتصلـة بدار البائع وبدار سباطه بمنافعها ومرافقهـا وكافـة حرمها اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لها سبعمائة أوقية وعشرون اوقية سكـة تاريخه اعترف البائع المذكور بقبضه وأبرأ المشترى المذكور منه إبراء تاما وتملك المشترى المذكور للجانب المذكور مشتراه المذكور تملكا صحيحا وحل فيه محل ذى المال فى ماله على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب وبمحضر شقيق البائـع محمد وموافقتـه على ذلـك شهد عليهم بذلك وهم بحال كماله وعرفهم وتقدم الاشهاد بذلـك عـن تاريخه بنحو أربعة أشهر وقيد فى مفتتح ربيع النبوى عام أربعة وخمسين وألف الحق فيه جامع صح به علي بن محمد الزياتى وفقه الله ومحمد العاقل وفقه الله .

ورد فى هذا الـرسم اسم المصرية، وبـلاد مصـر أشهر من أن تعرف، ونسبة المذكر اليها مصرى والانثى مصرية، وفي هذه الوثيقة أن مصرية بيعت بحومة العيون، فما هي هذه المصرية، هذا سؤال قد يلقيه من لا يعرف اصطلاح تطوان فى أسماء الاماكن والمساكن. والجواب أن المصرية هى مكان صغير يصعد اليه بدرج، وقد يكون ملحقا بدار السكنى وبابه بين بابي الدار، وقد تكون بابه مستقلة عن الدار .

وفى بعض الاحيان يستعمل لفظ المصريـة فيمـا يستعمل فيه لفظ الدراز ـ الطراز ـ أى مكان الحياكة أو المأوى الخلوى لبعض العزاب ....

ولا نعرف أصل هذه التسمية على سبيـل التحقيق، ومن الممكن أن تكون تلك النسبة ءاتية من كون جل تلك المصريات كانت مثوى للمتصابين وأصحـاب الملذات الذين يقضون الليالي في الطرب والغناء والشراب والتأوهات وما يتبـع ذلك مما اشتهرت به مصر قديما وسارت بذكره الركبان. وجاءت فى الوثيقة أيضا كلمة ـ اليجمي ـ نسبة الى بنى يجم ـ بفتح الياء والجيم ـ وهى القبيلة التى تسمى الآن بنى حزمر ـ بضم الحاء وسكـون الـزاى وفتـح الميم. وهي متصلة بتطوان، واقعة في جهة الجنوب الشرقى منها .

10 وثيقة شــراء غرســة بالسويــر سنــة 1059

ومن ذلك رسم شراء غرسة بالسوير خارج تطوان سنة 1059 وهذا نصه:
الحمد لله اشتــرى الناظــر فى أحباس مسجد المرحوم بكرم الله تعلــى سيدى علي بن مسعود الجعيدى الكائن بحومة العيون من مدينة تطاوين حرسها الله وهو الفقيه الارضى السيد المرتضى أبو محمد عبد الله بن قاسم عرف بغلايب من أعيان الحومــة المذكورة من غلة أحباس المسجــد المذكــور جميــع الغرســة المعروفة للسيد احمد ابن السيد علي بن عجيبة بالسوير خارج تطاوين المذكورة المشتملة على ما فيها من العود على اختلاف أنواعه مثمرا أو غير مثمر يحدهــا الحبس من جهتيها وملك الخروف والوادى من البائع له مالكها المذكور بثمــن قدره خمسون أوقية خفيفة الصرف دراهم تاريخه اعترف البائع المذكور بقبض الثمن المذكور على التمام والكمال فأبرأ منه ذمــة المشتــرى فبرئــت وقبــض المشترى الناظر المذكور جميع الغرصة المذكورة لتكون من جملة اوقاف المسجد المذكور وأحباسه لينتفع بغلتها فى وقــود الزيت به واقامته من حصور وغيرها قبضا تاما على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك بعد التقليب والرضى كما يجب عرفا قدره ولم يجهلاه ولا شيئا منه شهد به عليهما بحال كمالــه وبحــال صحة إسناد النظر للناظر المذكور فيما ذكر وفى أوائل محــرم الحــرام فاتح تسع وخمسين والف سنة الحــق المذكور، معا صــح به محمد البكرى وفقه الله بمنه ومحمد . . . . . وفقه الله .

ورد فى هذا الرسم اسم «السوير» بسكون السين وكسر الواو وفتــح الياء المشددة. وهو اسم مكان به أراض فلاحية قرب تطوان، ويقع فى الجنوب الغربي منها، ويمر به النهر الذى يصب فى البحر الابيض المتوسط ويسمــى فى ذلك المكان بواد السويــر، وقد أطلق العدل لفظ العود، ومــراده الاشجــار. والغرصة محرف عن الغرسة.

11 وثيقة بيــع دار بعــد اثبــات ملكيتهــا سنــة 1062

ومن ذلك رسم بيع دار بعــد اثبــات ملكيتهــا سنــة 1062 وهذا نصــه «الحمد لله كان على ملك الصائر الى عفو الله تعلى المكرم المعلــم سليمان ابن محمد العربي به عرف الاندلسي اللواجرى جميع داره المعروفة له الكائنة بالمطمر من تطاوين حرسها الله المجاورة لسور البلد ولــدار محمد عياد ولدار طاطة شرقية وهي المذكورة والمحدودة بمحوله، واستمرت ملكيته لها الــى أن توفي عفى الله عنا وعنه فورثه زوجــه المصونــة ءامنــة بنــت عبد الله الاندلسي

وأولاده منها وهم محمد وعائشة وفاطمة ثم توفيت الام الزوجة المذكورة فورثها
اولادها المذكورون لا وارث لهما سوى من ذكر وكانت عائشة المذكورة باعت
لشقيقها المذكور واجبها فى الدار المذكورة وهو الربع كما ذكر بمحوله بالثمن
المذكور بمحوله وصار له ثلاثة أرباعها ولمن ناب عنه كما قيد بمحوله الى الآن
فى تاريخه. حضر محمد المذكور نائبا عن نفسه وعن شقيقته فاطمة عن إذن من
يجب والتاجر المكرم احمد فرج نائبا عن ابنته مريم المذكورة وعرضا
الدار المذكورة للبيع وجعلاها بيد سمسار ونودى عليها بالاشادة فى مظان
الزيادة ليتوصل كل واحد منهم بواجبه أو واجب من ناب عنه ولترتفع عنهم
مضرة الشركة وبقي النداء عليها أسواقا عديدة الى أن وقفت على آخر زائد
فيها وهو المكرم الارضى الفاضل الاحظى الشريف الحسني التاجر السيد
يحيى بن السيد محمد بن ابى بكر الشريف به عرف بثمن قدره ألف أوقية
واحد وخمسمائة أوقية وعشرون أوقية سكة تاريخه خفيف ولم يلف زائد
عليه فعند ذلك اشترى السيد الشريف المذكور ممن ذكر جميع الدار المذكورة
على حسب حدودها المذكورة بالشراء الصحيح الناجز الصريح الذى لا شرط
فيه ولا ثنيا ولا خيار بالثمن الذى وقفت به أحضر المشترى المذكور ثلاثة
أرباع العدة المذكورة المختص بمحمد وزوجه المذكورين فقبض منها الحسين بن
عيسى بن يعط ثلاثمائة أوقية وستة وسبعين أوقية غير ربع الاوقية والتاجر
علي ملضناد سبعة وسبعين اوقية والتاجر محمد السكيرج مائة أوقية واحدة
واثنين وعشرين اوقية. وما بقى لكمال الثلاثة أرباع قبضه البائع محمد
المذكور وصهره التاجر احمد فرج المذكور وأبرىء المشترى من درك القبض
فبرىء والربع الواحد المختص بالبنت فاطمة المذكورة وقدره ثلاثمائة أوقية
وثمانون أوقية خفيفة وقفت تحت يد المشترى المذكور عن إذن من يجب الى أن
توقف لها فيما هو أنفع وأغبط من الجزء المبيع المذكور ويبرأ منه بالموجب
وتملك المشترى المذكور جميع مشتراه تملكا صحيحا تاما وحل فيه محل ذى
المال فى ماله وذى الملك الصحيح فى ملكه على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك
بعد النظر والتقليب والرضى كما يجب، ووقوف أرباب البصر على عينها
بعد وقوفها على من ذكر واشهادهما بان ذلك أكثر ما تساويه وموافقة زوج
البائع محمد المذكور مريم بنت أحمد فرج على البيع والقبض ثم طولع بذلك
الفقيه الاجل المدرس القاضى بتطاوين وهو . . . . . (1) اعزه الله وحرسها

(1) هنا علامة القاضى وهى غير واضحة فلم نستطع معرفة اسمه ولقبه منها .

فوافق على البيع المذكور وأمضاه على المحجورة المذكورة لعدم تأتي قسمة الدار المذكورة وعدم ما تضم به صفقة المبيع المذكور لكونها لا مال لها وهى قديمة البناء يخاف سقوطها وقلة واجبها وما ثبت أيضا لديه حفظه الله بشهادة من ذكر بأن القيمة المذكورة فيها غبطة ومنفعة للمحجورة المذكورة للوجوه المذكورة ولان البيع وقع صفقة وللصلاح والسداد شهد على اشهاد من ذكر دامت كرامته بالمذكور عنه فيه وبايقاف واجب البنت تحت يد المشترى الى أن يبرأ منه بالواجب وهو بالحالة الموصوفة من أشهده من عداه بما ذكر عنهم فيه وهم بحال كماله وعرف الرجال وعرف بالمرأة تعريفا كافيا فى أوائل جمدى الثانية عام اثنين وستين والف الحق فيه . . . . وفقه الله. و . . . . وفقه الله (1) .

اللواجرى ـ يعنى صانع اللاجور ـ الآجر ـ أى الطين المشوى الذى تبنى به الجذران، وفي تطوان عائلة اسمها اللواجرى .

12 وثيقة تحبيس ثلث فدان سنة 1064

ومن ذلك رسم تحبيس ثلث فدان سنة 1064 وهذا نصه :

الحمد لله أشهد المكرم أحمد بن أحمد المؤذن به عرف الاندلسى على نفسه شهيديه أنه تصدق بجميع الثلث الواحد من كافة الفدان المعروف له بالالوان يحد بالوادى والعفاق وأولاد الغازى على المسجد الجامع المنسوب للولى الصالح سيدى علي الجعيدى بحومة العيون من تطاوين صدقة بتة بتلة لا رجعة له فيها بعد قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة والله لا يضيع أجر من أحسن عملا فمن سعى فى تبديل ذلك أو تغييره فالله حسيبه وسائله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون اشهادا صحيحا عرف قدره شهد به عليه وهو بحال كماله وعرفه أواسط ذى الحجة الحرام سنة اربع وستين والف . . . .

هكذا كان الرجل من السلف الصالح يخرج عما يملكه ويتصدق به لوجه الله، ابتغاء مرضاة الله سبحانه، لتقام شعائر الدين فى بيوت الله على أكمل الوجوه فرضي الله عن رجال السلف الصالح أهل الخير والدين وجزاهم على حسن نيتهم وجميل قصدهم وجليل عملهم أفضل الجزاء .

---

1) هنا علامتا العدلين الشاهدين وهما غير واضحتين فلم نستطع أن نقرأ منهما غير الدعاء وهو وفقه الله فيهما .

13 رسم شراء غرسة بعين الجمارى سنة 1073

وهذا رسم شراء غرسة بعين الجمارى سنة 1073 ونصه :

الحمد لله اشترى التاجر الارضى المكرم محمد بن موسى مذيـرة المدعو النيار من البائع له المكرم قاسم بن على صويلح به عرف جميع الغرسة الكائنة بعين الجمارى تحد بملك بوردان من جهتين والحبس وبملك النشار بجميع المنافع والمرافق وكافة الحرم اشتراء صحيحا لا شـرط فيـه ولا ثنيـا ولا خيار بثمن قدره سبعة وثلاثون مثقالا اشقوبية تنقص عشر موزونات قبضها البائع المذكور على الوفاء والتمام بالمعاينة وأبرأ المشترى من درك القبض فبرىء وتملك المشترى المذكور مشتـراه المذكـور تملكـا صحيحا تامـا وحـل فيه محـل ذى المال في ماله وذى الملك الصحيح فى ملكه على السنة فى ذلـك والمرجـع بالدرك بعـد النظر والتقليب والرضى كما يجب حضرت أم البائع المذكـور وهـى عائشـة بنت محمد مومن واخته ءامنة ووافقتا على البيـع المذكـور موافقة تامـة عرفوا قدره شهد به عليهم وهم بحال كماله وعرف الرجلين وعرف بمن عداهما غرة رجب الفرد عام ثلاثة وسبعين والف أصلح مديـرة صح به . . . . . وفقـه الله ومحمد . . . . . وفقه الله تعلى بمنه .

ورد فى هذا الرسم اسم ـ عيـن الجمـارى ـ وما زال حتـى الآن قرب تطوان مكان يعرف بعين الجمارين، وهو فى جنوبها الغربى، وفيـه عدة غراسى وفدادين تسقى بالعين المذكورة التي هي من أشهر العيون الموجودة فى ضواحى هـذه المدينـة .

ويلاحظ أن هذا الـرسم لم تذكـر فيـه القيمـة التى بيعت بها الغرسة المذكورة بالاواقى كما رأيت فى الوثائـق السابقـة، بـل ذكـرت هنا بالمثاقيل ووصفت بالاشقوبية نسبة الى شيقوبية SEGOVIA التى هى مقاطعة اسبانيـة متصلة بمقاطعة مدريد، فيظهر أن الدفع كان بالعملـة الاسبانية، ومعلـوم أن المعاملات التجارية فى ذلك العهد، كانـت بالعملـة الذهبية والفضية والنحاسية على اختلاف اجناسها وأشكالها، ولكـل عملـة سعر خاص على أساس المثقال والاواقى ، ويختلف ذلك السعر فـى السوق باختـلاف صنف العملة وجودتها وعرضها وطلبها وقلتها وكثرتها الخ .

ولنا في تكملة هذا الكتاب بحث مفصل لا بأس به حول هـذا الموضوع .

14 وثيقة إرث ومفاصلة بين الورثة سنة 1076

وهذا رسم إرث ومفاصلة تاريخه سنة 1076 ونصه :

الحمد لله كان على ملك الصائر الى عفو الله تعلى الفارس المكرم محمد ابن محمد رحال به عرف التطاونى جميع دار سكناه الكائنة خارج باب الحديد من تطاوين أمنها الله المتصلة بدار ابى كلو والزنقة مع جميع الفرن المتصل بها مع جميع الدار المعروفة للمصمدى فى القديم مع جميع الفدان الكائن بزيانة المتصل بالخطيب مع جميع الفدان الكائن بالمنجرة بقرب الفدان المذكور مجاورة الطريق الفاصلة بينه وبين الحاج البرزينى مع جميع الفدان المعروف للرباحى فى القديم بقرب الفدان المذكور المتصل بالطريق وشويخ مع جميع الفدان الكائن بقاع الحافة المتصل بالقلين والتبين وفرتله مع جميع الفدان الكائن بالدردارة المتصل بالحبس والصبان مع جميع الغرسة الكائنة بكيتان المتصلة بملول مع الغرسة الكائنة بالعدوة المتصلة باللبادى مع جميع الجنان الكائن بابى سافو المتصل بالوادى والطريق مع جميع الفدان الكائن باللوية المتصل بمعزوز والزمورى مع جميع الفدان الكائن بشبريط يعرف بمرنة الدريج المتصل بفريخ ومفضل مع جميع الفدان الكائن بقرار أبى على المتصل بالعناية والرحمونى وزروق مع جميع الفدان الكائن بالغروس المتصل بالتاجر والتازى مع جميع الجنان الكائن بالرميلات المتصل بالطريق وحيون مع جميع الغرسة الكائنة بالموضع المذكور وتعرف بغرسة محيس المتصلة بالخياط وديداى مع جميع الفديدن الكائن بشبريط المتصل بالحسانى مع أثاث وأسباب وعبيد وحيوان واستمرت ملكيته لذلك الى أن توفى عفا الله عنا وعنه فورثه زوجه المصونة فاطمة بنت التاجر سليمان الحساني وأولاده منها عبد السلام وعالية ورحمة لا وارث له سوى من ذكر فى علم من علمه الى الآن في تاريخه حضر المكرم المعلم محمد غزيل بعل البنت العالية المذكورة نائب الزوجة المذكورة وبنتيها المذكورتين اذ هى الوصي عليهما من قبل والدهما المذكور بمضمن شهادة شهيديه فيهما معا والولد عبد السلام المذكور نائب عن نفسه ووافقا على الموت والاراثة وصحة المتخلف المذكور وذهبا الى عقد مفاصلة ومخارجة فى الاصول المذكورة ليتوصل كل واحد منهما بواجبه أو واجب من ناب عنه ولترتفع عنهما مضرة الشركة فقدما اذ ذاك من رضيا دينه وأمانته لتقويم ما قوم من الاصول المذكورة والمقاسمة والمخارجة فيما بقى منها فقومت الدار المتصلة ببوكلو بأربعة ءالاف وخمسمائة أوقية وعن الدار الاخرى المتصلة بها ثلاثة ءالاف أوقية وخمسمائة أوقية وعن فدان زيانة ستمائة أوقية وأربعون أوقية وعن فدان المنجرة ثلاثمائة أوقية وعن فدان الرباحى ألف اوقية واحد ومائة واربعون أوقية وكل

القيم المذكورة بالسكة الصحيحة الاشقوبية فخرج عبد السلام المذكور بالدار الكبرى المتصلة ببوكلو بما قومت به وبفدانى زيانة والمنجرة بما قوما به وبواجبه من فدان قاع الحافة وقدره مرجعان وثمن لناحية القلين وبواجبه من فدان الدردارة وقدره ستة مراجع وثمن لناحية مدارة والحبس وبواجبه من غرسة كيتان وقدره مرجعان لناحية الجهة المقابلة للول وبواجبه من غرسة العدوة وقدره مرجعان وخمسة أثمان المرجع وبواجبه من جنان أبى سافو وقدره ستة وعشرون قصبة لناحية الوادى وبواجبه من فدان اللوية لناحية معزوز وبواجبه من مرينة الدريج بشبريط لناحية فريخ وبواجبه من فدان قرار أبى علي لناحية الرحموني وبقي لكمال واجبه ثمنان وبواجبه من فدان الغروس مع ما بقي لكمال واجبه المذكور لناحية التاجر وبواجبه من جنان الرميلات وقدره ستة عشر قصبة ونصف لناحية ليون وبواجبه من غرسة محيس المذكورة وقدره اربعة عشر قصبة لناحية البيت وخرج نائب الزوجة المذكورة لها ولبنتيها المذكورتين بتلك الاصول المذكورة مخارجة صحيحة تملك بها كل واحد ما خرج به له او لمن ناب عنه تملكا صحيحا تاما على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك وتحاسبا فى ذلك وفيما عدا الاصول المذكورة مما ذكر فبقي بذمة عبد السلام المذكور لمن عداه ألف أوقية واحد وثلاثون أوقية من السكة الموصوفة دفع فيها واجبه من غرسة كيتان فى خمسمائة أوقية وما بقي لكمال ما بقي بذمته يؤديه حلولا لا يبريه الا الواجب وتبارأوا فيما بينهم بالإبراء التام بحيث لا قيام بعد ولا دعوى ولا حجة ولا تباعة ولا علقة يمين بوجه ولا بحال عرفا قدره شهد به عليهما وهما بحال كماله وعرفهما وعرف صحة نيابة من ذكر وتفويض ذلك اليه بمضمن شهيديه وفى أواسط ربيع النبوى المفضل عام ستة وسبعين والف الحق فيه خمسمائة اوقية . . . . .

ذكر فى هذا الرسم اسم باب الحديد، ولا يعرف الآن بتطوان باب اسمه باب الحديد، بل لا يعرف حتى مكانه، فقد زال الاسم واندرس المسمى والبقاء والدوام لله. ونظن أن هذا الباب كان موجودا قبل بناء الاسوار التى أحاطت بتطوان القديمة وأرباضها، وربما كان محله فى الربض السفلى بين ساحة السويقة والسور المشرف على الجناح الاخضر فى الطريق الذاهبة من السويقة الى المصلى القديمة وباب الرموز .

وذكر في الرسم اسم «المنجرة» وهي قسم من حومة السويقة بينها وبين المصلى القديمة، وما يزال هذا الاسم ومسماه معروفين الى الآن في حومة الربض الاسفل .

ويظهر أن تلك الجهة كانت في ذلك التاريخ ما تزال بها فدادين، الا أنها بنيت بعد ذلك ولم يبق بها أى مكان فارغ.

وقاع الحافة، مكان ما يزال معروفا بهذا الاسم الى الآن قرب السويقة أيضا، وكذلك جل الاسماء الواردة فى هذا الرسم .

وذكر فيه اسم الجنان، وهو فى اللغة جمع جنة بفتح الجيم، أى حديقة فيها أشجار وزهور، أما فى اصطلاح تطوان، فالجنان هو البستان الذى لا يسقى الا بالمطر، والغرسة هى التى تسقى كلما احتاجت للسقى بالماء الجارى من النهر أو العين .

وذكر فيه عند كيل الارض لفظ المرجع بفتح الميم والجيم وهو عبارة عن مساحة خاصة ـ تمسح ـ أى تقاس وتقسم ـ بها الاراضي فى تطوان، فيقال ان الفدان الفلاني أو الارض الفلانية بها مرجع أو مرجعان أو خمسون مرجعا مثلا، فهو كالفدان فى اصطلاح المصريين .

وكانت مساحة المرجع فى عرف تطوان، تحتوى على نحو سبعمائة متر مربع، وكان المرجع ينقسم الى أربع وستين قصبة، كل قصبة بها ستة أذرع الخ .

وقد فصلت ذلك تفصيلا مع مقارنته بالمقاييس المترية في أحد فصول كتاب «التكملة» الذى هو ذيل هذا التاريخ .

15 رسم شراء فدان بزيانة سنة 1088

وهذا رسم شراء فدان بزيانة، وتاريخه سنة 1088 وله علاقة بالرسم الذى قبله ونصه :

«الحمد لله اشترى الفقيه الاجل الخير الافضل الاعدل الاكمل أبو محمد سيدى عبد الله بن المقدم المرحوم بكرم الله سبحانه أبي العباس سيدى أحمد الخطيب به عرف التطاوني من البائع له المكرم عبد السلام بن محمد رحال المذكور بمحوله جميع فدان زيانة المذكور بمحوله المتصل بملك المشترى المذكور والشريف والخشين والحبس والطريق بمنافعه ومرافقه وكافة حرمه وشربه من حيث عهد اشتراء صحيحا لا شرط فيه يفسده ولا علة توهنه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره ثمانمائة أوقية وعشرون أوقية سلطانية اسماعيلية قبض جميعه البائع المذكور على الوفاء والكمال معاينة وأبرأ المشترى من درك القبض فبرىء وتملك المشترى مشتراه المذكور تملكا صحيحا تاما وحل فيه محل ذى المال في ماله وذى الملك الصحيح في ملكه على السنة والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب شهد به عليهما وهما بحال كماله وعرفهما وفى اوائل ربيع النبوى المفضل عام ثمانية وثمانين والف احمد بن محمد بركة وفقه الله ولطف به .

زيانة ـ اسم كان وما زال يطلق على الارض الواقعة خارج باب السعيدة وكانت بها فدادين كلها تسقى من الماء النابع هناك أو الخارج من المدينة ما بين نظيف وغيره .

وقد عبر الكاتب بكلمة شربه، ومقصوده سقيه، لان الارض الزراعية التي هناك، كانت تباع مع الماء الذى تسقى به، فيكون صاحب الارض مالكا لها ولمائها .

16 رسم اسقاط نزاع وامضاء بيع وابراء سنة 1090

وهذا رسم اسقاط النزاع وإمضاء البيع والابراء، وتاريخه سنة 1090 وله ارتباط بالرسمين قبله ونصه :

«الحمد لله أشهد الفقيه الاجل الناظر فى المواريث السعيدة فى حينه وهو السيد محمد بن سليمان على نفسه أنه أسقط النزاع عن المشترى المذكور أعلاه فى الفدان المشترى وابرأه فيه الابراء التام وأبرأه بل وأمضى المبيع المذكور لمشتريه المذكور بحيث الا قيام عليه بعد فى ذلك بحكم ما استظهر به الفقيه المذكور من استغراق ذمة والد عبد السلام رحال المذكور كون الفدان شمله الصلح الذى أبرمه مع عبد السلام رحال فى جميع متخلف والده إشهادا صحيحا تاما عرف قدره شهد به عليه وهو بحال كماله وعرفه وانتصابه لما ذكر وفى أواخر شوال عام تسعين والف ...

مما يفهم من هذا الرسم، أن وظيف ناظر المواريث، أى أبى المواريث، كان موجودا بتطوان فى اواخر القرن الحادى عشر، وأن استغراق الذمم كان شيئا معهودا لدى رجال ذلك العهد، وما أنفعه من عقاب رادع، ولكن يجب أن لا يكون الا لخصوص الظالمين الذين يختلسون أموال الدولة والشعب بغير حق ولا عدل، والا كان ظلما مآله الخراب .

17 رسم شراء فدان بقاع التوت سنة 1088

ومن ذلك رسم شراء فدان بقاع التوت خارج تطوان وهو مؤرخ بعام 1088 وهذا نصه نقلا عن أصله المحفوظ بخزانتي «الداودية» :

الحمد لله اشترى التاجر الارضى السيد الحاج قاسم بن المرابط الخير السيد محمد بن عدي التطاوني من البائعين له المكرمين الحاج قاسم ابن التاجر علي الرميرس الاندلسى وشقيقه عبد السلام جميع فدانهما المعروف لهما بقاع التوت خارج الثغر التطاوني المتصل بملك المشترى وملك القصيرى وملك جنينو وملك بيسة بمنافعه ومرافقه وكافة حرمه وشربه

من حيث علم اشتراء صحيحا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره مائتا أوقية ثنتان وستون أوقية سكة مولانا اسماعيل قبضه البائعان المذكوران من المشترى المذكور معاينة وأبرىء المشترى المذكور من درك القبض فبرىء وتملك المشترى المذكور مشتراه المذكور تملكا تاما على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب حضرت بعد أم البائعين المذكورين عائشة ووافقت على البيع وقبض الثمن الموافقة التامة وشهد على جميعهم بما ذكر والكل بحال كماله وعرف الرجال الثلاثة وعرف بالمرأة تعريفا كافيا وثق به أوائل ذى حجة سنة ثمان وثمانين وألف الحق فيه سكة مولانا اسماعيل صح به . . . . . وفقه الله، ومحمد . . . . . وفقه الله .

قاع التوت، يظهر أنه اسم محل خارج باب التوت الواقع فى الجهة الغربية من المدينة .

ويلاحظ ان العدول كانوا يصفون من أصله من الاندلس بالاندلسي، وغيره بالتطاوني أو غير ذلك .

وبيسة ـ اسم لعائلة اندلسية يوجد منها الآن بتطوان مسلمون مغربيون واسبانيون مسيحيون، وبعض العدول يكتب اسمها هكذا بيصة بالصاد، وبعضهم بايسة ويكتبها الاسبانيون هكذا BAEZA

وعائلة «الرميرس» الاندلسية التطوانية المسلمة المذكورة فى هذا الرسم ، قد انقرضت من تطوان الآن ولم تبق بها الا سميتها عائلة RAMIRES الاسبانية المسيحية الطارئة عليها فى عهد الحماية المنتهية والدوام لله .

وقد عبر العدل فى هذا الرسم أيضا بشرب الفدان، ومراده سقيه ..

18 رسم مناقلة مع حبس جامع المصيمدى سنة 1088

ومن ذلك رسم مناقلة مع حبس جامع المصيمدى التى بحومة الطرنكات بتاريخ سنة 1088 ونصه :

«الحمد لله تناقل المكرم التاجر الارضى السيد سعيد ابن الفقيه المرحوم البركة سيدى ج. محمد الدريج به عرف التطاونى نائبا عن نفسه مع شقيقه المكرم محمد الموذن بمنار جامع المصيمدى الذى بحومة اطرنكات من الثغر التطاوني حماه الله نائبا فيه عن احباس المنار المذكور عن اذن من يجب على أن خرج السيد سعيد المذكور بجميع البيت الواحد من داره التى بالحومة المذكورة المخرج من دار الحبس المتصلة بدار الطيفورى ويجاور بملك السيد سعيد المذكور وهو المحبس على المنار المذكور وخرج شقيقه محمد المذكور نائبا عن جانب الحبس المذكور فى مقابلة البيت المذكور، بجميع الحانوت المعروفة للسيد سعيد المذكور

بالحومة المذكورة المخرجة مـن دار المعلـم محمد المراكشى السرايرى وتجاور بحانوت المراكشي المذكور وبالممر، مناقلة صحيحة تامـة لا شرط فيها ولا ثنيا ولا خيار، وبالمنافع والمرافق وكافة الحـرم، تملـك بها كل واحد منهما ما خرج به له أو لمن ناب عنه عوضـا عما خـرج عنه تملكا صحيحا تاما على السنة فى ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القـدر كما يجـب ووقوف الامينين المعلم أحمد بن سعيد شنديز البنـاء والطالـب أحمد بن محمد اللقنتى البناء على عين البيت والحانوت المذكورين وأدائهما لدى من يجـب أن فى ذلك غبطة لجانب الحبس المذكور لكون الحانوت المذكور تساوى الآن فـى تاريخه مائة أوقية واحدة وثمانين أوقية اسماعيلية والبيت يساوى فى تاريخـه مائة أوقية واحدة وعشرين اوقية مـن السكة وان كـراء البيـت اوقية واحدة الا ربـع الاوقـيـة عـن كـل شـهـر ، وكـراء الحـانـوت اوقـيـة واحـدة وربع الاوقية تقويما تاما ووقوفا عاما عرفوا قدره ثم طولع بذلك الفقيه الاجل المدرس الخير الافضل نائب قاضى الثغر التطاونى وحوزه وهو احمد . . . . . اعزه الله تعلى وحرسه فوافق على المناقلة المذكورة وأمضاها فى حـق الجانـب المذكور لما رأى له أسماه الله فى ذلـك من الصلاح والسداد الموافقة التامة شهد على إشهاد من ذكر دامت كرامته بما فيه عنه وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر من أشهده من عداه بالمذكور عنهم فيه وهم بحـال كمالـه وعرفهم وعرف انتصاب من ذكر لما ذكر وفى أواسط جمدى الاخيرة من عـام ثمانية وثمانين والف الحق فيه عن كل شهر صح به محمد بن عبد . . . . . . وفقه الله تعلى بمنه. ومحمد . . . . وفقه الله بمنه .

نستفيد من هذا الرسم أن اسم اطرنكات، هكذا بالطـاء، كان مستعمـلا فى أواخر القرن الحادى عشر، وهو اسم للحومة الكبيرة المشهورة فى الجانب الغربى من تطوان، وما زالت الى الآن تعـرف بالطرنكـات ـ بسكـون الطاء والنون وفتح الراء ... وان كان بعض المتفصحين من العدول وغيرهـم يكتبهـا الاترنكات أو الترنكات، ونستفيد منه ـ كما عرفنـا من غيره أيضا ـ أن منار بعض المساجد قد يكون له وقف خاص به، فمنار جامع الصيمدى كان له ـ كما ترى فى هذا الرسم. بيت خاص محبس عليه بالخصوص، ومن المعلوم أن البيت كان وما زال يطلق بتطوان على الحجرة المستطيلة الواقعة بالطبقة السفلى من الدار، أما اذا كانت في الطبقة العليا فتسمى الغرفة الخ .

ويلاحظ ان القاضى الشرعى ـ ولم يكن بتطوان قاض غير شرعي ـ كان هو الذى يحافظ على حقوق بيوت الله والقائمين بها، فلم يكن يسمح بأية معاملة مع جانب الحبس الا اذا كانت فيها مصلحة ظاهرة له ، وذلك مـا كـان معروفا بالغبطة . فهو لم يسمح بالتسليم فى البيت المحبس الذى قيمته مائة وعشرون

أوقية ، وكراؤه الشهرى ثلاثة أرباع الا وقيــة، الا فــى مقابل تملــك الحبــس لحانوت قيمتها مائة وثمانون أوقية ، وكراؤها الشهرى أوقية وربع .
ويلاحظ ان القاضى كان يسمح للمؤذن بان يتصرف ـ تحت اشرافه ـ فيما هو وقف على المنار الذى يؤذن به ، وكانت العادة ـ فى ذلك العهــد ـ دون الان ـ أن كلا من الامام والمؤذن يتصرف مباشرة فيما هو محبس عليه بالخصوص ثم مزجت مداخيل الاوقاف كلها وصار الناظر هو الذى يدفع من مجموع المدخول ما يحتاج اليه المسجد من حصر واضاءة وتبييض وتنظيف، كما يدفع منه الاجور المحددة للامام والمؤذن والحزابة الخ. تلك كانت عادة ، ولكــل عصــر عوائده ، ومصائبه وفوائــده .

19 رسم شراء دار بحومة الطرنكات سنة 1089

ومن ذلك رسم شراء دار بحومة الطرنكات سنة 1089 وهذا نصه :
«الحمد لله اشترت المصونة فاطمة بنت علي بايسة به عرف الاندلسى مــن البائعين لها الاشقاء المكرمين محمد وعبــد الرحمــن وقــاسم أولاد المعلــم على الجندى جميع الــدار الكبرى المعروفة لوالدهم بحومة الاطرنكات المتصلة بدار القبرى وطــراز مفضل بجميع منافعها ومرافقها وكافة حرمها اشتراها صحيحــا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره لها ثلاثة ءالاف أوقية وخمسمائة أوقية اسماعيلية تؤدى لهم العدة المذكورة عند انقضاء أربعة أشهر تأتي من تاريخه لا يبريها الا الواجب وتملكت المشترية المذكورة مشتراها المذكور تملكا تاما وحلت فيه محل ذى المال فى ماله وذى الملك الصحيح فى ملكــه على السنــة فى ذلـــك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب، حضرت أمهم المصونة مريم بنت محمد الزرهونى ووافقت على ما فعله أولادها المذكورون من بيع الدار المذكورة موافقة تامة شهد به عليهم وهم بحال كماله وعرف الرجال وعرف بالمرأتين تعريفا كافيا وثق به وفى أوائل رجب الفرد عام تسعة وثمانين وألف محمد بن عبد القادر الحدادى وفقه الله تعلى بمنه وموسى دغداغ وفقه الله تعلى بمنه.
مما يلاحظ فى هذا الرسم، ان كاتبه لم يذكر اسم الزنقــة التــى تقع بها الدار المبيعة ، واقتصر علــى ذكر حومــة الطرنكــات الكبيرة التى بها زنقات عديدة. وعادة المتأخرين من العدول، أنهم يذكرون اسم الزنقــة التــى يقع بهــا الملك المبيع مع ذكر المالكين للاماكن التى تحده ...
ويلاحظ فيه أيضا أن امرأة اسمها مريم ، وذلك نادر الوجــود فــى تاريخ تطوان، اللهم الا ان تكون تلك المرأة من الاماء .

20 رسم بيع الدار المذكورة فى نفس السنــة

ومن ذلك رسم بيع الدار المذكورة قبل انقضاء الاجل المحدد لدفع ثمنهــا. ونصــه :

الحمد لله اشترى الفاضل الابر الماجد الاغر السيد الحاج قاسم بن المرحوم بكرم الحى القيوم السيد محمد بن عدى به عرف التطاونى نائبا فى الشراء ودفع الثمن عن نفسه وعن الثلث الموصى به لاولاده من زوجه بل لاولاد أولاده من زوجة المرحومة كانت صفية بنت التاجر علي الرميرس به دعى الانــدلسى التطاونــى حسبما فى غيره على حسب الثلثين الاثنين للمشترى المذكور والثلــث الواحــد للموصى لهم ولا حق له معهم فى الثلث الواحد الذى ناب فيه عمن ذكر لا فى ثمن ولا فى مثمون ويده فى ذلك يد عارية ونيابة ، من البائعة له المصونة فاطمة بنت على بيسة المذكورة مشترية بمحوله جميع الدار المذكورة المحدودة بمحوله على حسب حدودها المذكورة حيث أشير بمنافعهــا ومرافقهــا وكافة حرمها اشتراء صحيحا لا شرط فيه يفسده ولا علة توهنه ولا ثنيا ولا خيار بثمــن قدره للدار المذكورة حيث اشير ثلاثة ءالاف أوقية وخمسمائة أوقية بسكة مولانا اسماعيل نصره الله أذنــت البائعــة المشترى أن يدفع الثمن المذكور لها ولمن شاركها فيه من ورثة المعلم علي الجندى المذكورين بمحوله فدفعه لها ولهم معاينة على الوفاء والتمام. واقتسموه على فرائض الله تعلى سبحانه وتوصــل كل ذى حق بحقه وأبرئت ذمة المشترى المذكور من درك القبــض ابــراء تاما فبرىء وتملك بذلك مشتراه المذكور له ولمن ناب عنهم على الحكاية المذكورة تملكا صحيحا تاما وحل فيه محل ذى المال في ماله وذى الملك الصحيح في ملكه علــى السنــة فــى ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى ومعرفة القدر كما يجب شهد به عليهم وهم بحال كماله وعرف الرجال وعرف بمــن عداهم تعريفــا كافيا وثق به وفى منتصف رمضان المعظم سنة تسع وثمانين والف محمد بن عبــد المجيد بوسجادة وفقه الله بمنه ومحمد الديمانى وفقه الله بمنه.

ومن وثائــق تطــوان ونوازلهــا فى القرن الحادى عشر، ما أثبته الشيخ عبد العزيز مهدى الزياتي (1) فى أول باب الحجر من نوازله، ونصه :

«سئل الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد محمد المقرى (2) رحمه الله عــن مضمن ثلاثة رسوم نص الاول منها، «الحمــد لله كان على مــلك الفقيه القاضي

---

1) الشيخ عبد العزيز الزياتي المذكور توفي ودفــن بتطوان عام 1055 وان شئت فانظر ترجمته فى الفصل الرابع من الباب الرابع من هذا الكتاب.

2) المقرى المذكور هو العلامة المؤرخ الاديب مؤلف كتابي «نفح الطيب، وأزهار الرياض» وقد توفي بمصر سنة 1041 هـ.

المرحوم بكرم الله السيد قاسم بـن عبد الرحمـن الكراصي جميع الدار الكائنة بحومة الجامع الاعظم من الثغر التطاونى كلأه الله تجاور دار السيـد الشريف أبى العيش ومصرية السكيرج ودار النويـدر والمحجـة ودار الذميـين بجميع منافعها ومرافقها وكافة حرمها الى أن توفـى عفا الله عنـا وعنه وتركها لاهل الاحاطة بارثه وهم زوجتاه فاطمة زريقـة المذكـورة بطرتـه وفاطمة بنت أحمد برول وأولاده مـن غيرهمـا محمد وأم العز وأحمد شقيقته عائشة المذكورتـان بمحوله ومن زريقة المذكورة رقية ثم توفيت رقية المذكورة فورثها أمها المذكورة وأخوها للام محمد بن السيـد محمد الفضيلـي وعصبها اخوانهـا المذكورون ثم توفي الولد محمد المذكور فورثه والده وامه المذكوران لا وارث لمن ذكـر سوى من ذكر فى علم شهيديه فحضر الآن السيـد محمد الفضيلي نائبا عـن نفسه فى واجبه فى ولده المذكور وعن زوجه فى واجبها وعن محجورتيهما المذكورتيـن بمحوله بتوكيلهما اياه كما قيد بمحوله كما حضـر الولـد محمد المذكور نائبا عن نفسه لكون التقديم بقي من والده المذكور من غير تجديد حجر عليه لموتـه بعد طول أمد بلوغه، والزوجة المذكـورة نائبة عن نفسهـا أعني برولة والسيد عبد القادر بن عبد الملك نائبا عن زوجه أم العـز من قبـل من يجب لكونها الى نظـره بمضمـن أول شهيديه وذهبوا الى بيع الدار المذكورة فى صفقة واحدة وعقد واحد لترتفـع عنهم مضرة شركتها وليتوصل كل وارث الى واجبه منها فعرضوها للبيع والتسويق والاشادة فى مظان الزيادة وغيرها من أسواق الثغر المذكور بسماط العدول منه وفى علم شهيديه أياما عديدة نحو سنة وقفت على آخر زائد فيها وهو التاجر عبد الرحمن بن محمد بن عمر البادسى بثمن مبلغه لها ستمائة أوقية وأربعين أوقية دراهم سكة تاريخه اشتراها منهم بالثمن المذكور ودفع منه للفضيلي المذكور احدى وستين أوقية قبضها باعترافه والسيد محمد ابن صالح اثنتى عشرة أوقية كذلك دفعها لام العز المذكورة وباقى الثمن المذكور قبض منه جميع الورثة المذكورين معاينة خمسمائة أوقية وأربعا وثلاثين أوقية ونصف الاوقية فى ريال وباقي الثمن المذكور اعترفوا بقبضه وأبرأوا المشترى المذكور من جميع ثمن الدار المذكـورة فبـرىء وملكـوه مشتراه المذكور تملكا صحيحا تاما دون شرط ولا ثنيا ولا خيار على السنة فى ذلك والمرجع بالـدرك وبعد النظـر والتقليب والرضـى كما يجـب ثم طولع بذلك الفقيه الاجل نائب القاضي بالثغر التطواني وهـو محمد بن محمـد بن يعقوب أعزه الله وحرسها وسئل منه إمضـاء البيع المذكـور بموجـب الصفقة المذكورة في حق المحجورة المذكورة وتسويقه بعد أن ثبت لديه كونها الى نظره وأن لا مال لها يضم لهـا

به صفقة البيع المذكور فاقتضى نظره السديد ورأيه الموفق الرشيد أن سوغ ذلك البيع وأمضاه بالموجب المذكور لما ظهر له فى ذلك من الصلاح والسداد شهد على اشهاده أعزه الله وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر من أشهده من عداه بما ذكر وهم بحال كمال الاشهاد وعرف الجميع وفى أواسط ذى الحجة من عام اثنى عشر والف .

ونص الثاني الحمد لله أشهد الفقيه القاضي سيدى بلقاسم بن عبد الرحمن الكراصي به دعي التطاوني أنه جدد الحجر على ولده السيد محمد ومنعه من التصرف فى ماله وألزمه حكم الولاية والحجر واليتمة التى لزمه وذلك ليلة بناء ولده المذكور بزوجه فى السالف عن تاريخه بما ينيف على سنة إشهادا صحيحا عرف قدره شهد به عليه وهو بحال كمال الاشهاد وعرفه وعرف الولد المذكور فى فور بلوغه وقيد أواسط رمضان عام كذا (I) .

ونص الثالث الحمد لله يعرف شهوده الفقيه الاجل القاضى المرحوم بكرم الله سبحانه سيدى بلقاسم ابن الفارس المجاهد المعترك أبى زيد عبد الرحمن الكراسى وجميع ورثته وهم زوجتاه فاطمة بنت احمد برول وفاطمة بنت أحمد زريق وابنته منها رقية ومن غيرها الفقيه محمد وأحمد وعائشة وأم العز محاجير فالفقيه محمد المذكور الى نظر الفارس أبى عبد الله السيد محمد بن صالح وأحمد وعائشة ورقية الى نظر زوجه زريقة وأم العز المذكورة الى نظر من يجب المعرفة الصحيحة التامة وبمثل المعرفة المذكورة يعرفون التاجر عبد الرحمن بن محمد بن عمر البادسي ويشهدون مع ذلك بأن التاجر المذكور اشترى جميع دار السيد القاضي المذكور الكائنة بحومة الجامع الكبير داخل الثغر التطاوني كلأه الله المجاورة لدار الشريف أبي العيش والمحجة ودار الفقيه من أعلاها بيعت له فى دين يزعم مدعيه وأن جميع من انعقد عليه البيع من الورثة فى الدار المذكورة باع ضغطا واكراها لعدم ثبوت الدين عندهم ولعدم تمكينهم من الاعذار والدفع والمقال ويمين القضاء وغيره وكما يعلمون أيضا أن لهم أصولا وأثاثا وحيوانات مما يجب بيعه ويضم كل واحد منهم صفقة البيع لو ثبت الدين ما هو أولى من الدار المذكورة وكما يعلمون شهوده أن السيد محمد بن صالح لم يوافق على ما أبرمه محجوره المذكور من البيع ولم يزل الفقيه محمد المذكور منذ تبين ترشيده منازعا ومعارضا ومدعيا ومطالبا لمشترى الدار المذكورة لم يرفع نزاعه عنه من الوقت المذكور الى الآن

I) هكذا فى الاصل أعنى أصل الكتاب، بدون تاريخ .

كل ذلك فى علمهم وقيدوا به شهادتهم مسئولة منهم ويحوزون الدار المذكورة وما عداها من الاملاك بالوقوف عليها متى دعوا الى ذلك وفى أوائل رمضان المبارك عام كذا ...

ونص السؤال المركب على هذه الرسوم، الحمد لله. سيدى رضي الله عنكم وأرضاكم جوابكم المبارك بعد تأملكم رسم البيع أعلاه ورسم الحجر ورسم الاسترعاء بعده والنازلة أعزكم الله أنه بيعت عليهم الدار المذكورة أعلاه على ما نصه رسم الاسترعاء والولد محمد المذكور البائع على نفسه كان محجورا مولى عليه لم يبع وصيه المذكور الا أنه كان حاضرا ولم تكن بيده وصيه ولا تحجير وباع الولد على نفسه كما ذكر ثم بعد ذلك عثر على رسم الوصية ورسم الحجر المفيد ورشد المحجور ورام نقض البيع وفسخه هل له ذلك أم لا والبنت التي باع عليها القاضي كان لها أصول وأثاث وحيوانات هل يصح بيع الحاكم عليها مع ثبوت ما ذكر أم لا، فان قلتم بصحته فلا إشكال، وإن قلتم بفساده فانها ماتت قبل أن ترشد هل لورثتها القيام بعدها أم لا، فأجاب ان محمدا المذكور اذا ثبت حجره حين البيع كما ذكر فلوليه نقض ذلك البيع وله هو حين يملك أمره نقض ذلك اذا لم يعلم به وليه والله أعلم. وأما المحجورة أم العز فبيع الحاكم عليها ينقض اذا ثبت أن لها ما لا تضم به صفقة البيع فى الدار المغتبطة لان الحاكم انما استند في البيع عنها الى أنه لا مال لها تضم به بحيث اذا ثبت أن لها مالا، رد ذلك البيع وينتقل لورثتها من الحق ما كان لها، وانما قلنا ببطلان البيع على الوجه الموصوف لان الشهود الذين شهدوا لدى الحاكم أن أم العز لا مال لها تضم به قد ثبت كذبهم بوجود المال لها ان ثبت، والقاعدة أن الشهود اذا ثبت كذبهم ينقض الحكم المستند لشهادتهم والله أعلم . هـ من خطه (انتهى كلام الزياتى فى نوازله) .

الفصل الثالث

من الباب الرابع

عن الشيوخ والزوايا بتطوان في القرن الحادى عشر

نخص ما يتعلق بالشيوخ والطرق والزوايا والحياة الصوفية على العموم بعناية خاصة، لان ظهور التصوف والجماعات الصوفية ومظاهرها، كان حدثا جديدا في حياة المغرب عموما، وتطوان بالخصوص فيما نرى .

فالسكان الاولون لتطوان الحديثة ، كان جلهم ـ كما علمت ـ من المهاجرين الاندلسيين، والغالب على الظن أن أولئك المهاجرين لم يصحبوا معهم من الاندلس الى تطوان شيئا من حياة الطرق الصوفية وعوائدها، كما أن الغالب على الظن أيضا أن من انضموا اليهم من الاهالى المغربيين لم يكونوا يعرفون شيئا عن أحوال الزوايا وشيوخها، وإنما الذى كان الناس يعرفونه فى ذلك العهد، هو أنهم مسلمون أولا ومجاهدون ثانيا، اذ كان قوم منهم هاجروا من وطنهم الذى سيطر عليه الكفار، ففروا بدينهم ليعيشوا فى البلاد الاسلامية التي لا سيطرة فيها لغير المسلمين، وكان منهم قوم آخرون يتركون أهلهم وديارهم ومصالحهم للرباط في سبيل الله، والجهاد لاعلاء كلمة الله، والدفاع عن بلاد المسلمين ، فكانت الرابطة الاولى التى تجتمع عليها قلوب سكان تطوان أجمعين في ذلك العهد، هى رابطة الاسلام الكبرى، وإن كانت هناك روابط أخرى ثانوية من عصبية لبعض الاقطار أو المدن أو القبائل أو اللهجات، فانها كانت روابط محدودة بين أفراد معدودين.

فلما جاءت الطرق الصوفية فى هذا العهد وفيما وليه من عهود، واتخذت الصوفية لها زوايا وعوائد ومظاهر خاصة، كان ذلك ـ كما قلنا ـ حدثا جديدا فى الوسط الاسلامي، وبدعا هاما في الحياة الاجتماعية بتطوان .

وقد تضاربت ءاراء أهل العلم والفكر فى ذلك الحدث ونتائجه، فنظر اليه بعضهم بعين الريبة والاحتراس، والوقوف مع ظواهر الاسباب والمسببات فلم يروا فى ذلك الا تفريقا للكلمة، وخلقا لخلافات وتعصبات وتحزبات كان الناس فى غنى عنها بالوقوف مع الكتاب والسنة، ورأوا فيها من ناحية أخرى نبذا للكثير من وسائل العمل والجد والاجتهاد، وسلوكا لطريق التوكل والزهد والكسل وترك الشؤون الدنيوية، مما يضعف شأن الامة وقوتها وثروتها.

ونظر اليه فريق آخر بعين الرضى والقبول والاطمئنان، فرأوا فيه من المصالح والمنافع ما لا يعادله الا ما جاء به الاسلام من جمع للكلمة ونبذ لسائر التعصبات الجنسية واللغوية، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وحض على العلم والعمل والعبادة، وعلى الجهاد في سبيل الله، والرباط في الحدود للمحافظة على ارض الاسلام من انتهاك الكفار لحرمتها والاعتداء على قداستها ، وحث على التعاون على البر والتقوى، ومد يد المساعدة من الاغنياء للفقراء، ومن الاقوياء للضعفاء، إلى آخر المبادىء العليا والاخلاق الفاضلة، والاعمال الصالحة التي جاء بها الاسلام ودعا اليها وحث عليها، فكانت هذه الطرق واجتماع المسلمين في زواياها ومعابدها ـ في نظر المرحبين بها ـ كتجديد للدعوة الاسلامية التي شغل الناس عنها، وكجمعيات تبشير لنشر الفضائل الاسلامية والمبادىء السامية، وللرباط للعبادة والاستعداد للجهاد، والتقدم لميدان الاستشهاد في سبيل الفوز برضى الله. زيادة على المحافظة التامة على قواعد الاسلام وخصوصا أداء الصلوات في أوقاتها، ودفع الزكوات لمستحقيها، وذكر الله الذى يطهر القلوب ويملأها نورا .

موقف سكان تطوان من الصوفية والتصوف

وقد مر على تطوان عهد كان فيه جل أهل العلم فيها من المقاومين لفكرة التصوف ورجاله وأعمالهم، فكانت منهم معاكسات ومقاومات حتى أدى الحال ببعضهم للسجون والمحاكمات كما ستعلمه مما يأتي في محله بحول الله، ثم كان رد فعل كبير، فاندفع العوام ووراءهم أهل العلم على خلاف العادة، الى الاكباب على الطرق وما فى معناها، حتى لم يكد يبقى بتطوان مبتعد عن ذلك السبيل ، اما عن عقيدة واخلاص، واما عن انقياد وانسياق او استسلام. وهكذا هي الحياة مد وجزر، وإقبال وإدبار .

فظهور التصوف وانتشار الطرق، وخصوصا في أوساط العوام الذين كانوا هم الاغلبية الساحقة في الامة، كان له ولا شك أثر كبير في الحياة العامة وخصوصا من الناحية الاجتماعية. وهذا موضوع يجدر بالمؤرخين أن يصوروا

حوادثـه وأطواره،، كما يجـدر بالباحثيـن فى شؤون الامـة وتطوراتها الدينية والاجتماعية، أن يحللوا مواقفه، ويتتبعوا نتائجه بنزاهة واخلاص، واذا سنحت لنا الفرصة فاننا سنعود للموضوع فى المواضع المناسبة له فى مختلف القرون بحول الله، وربما أفضنا القول حيث يجب ذلك، ونكتفى هنـا بعرض موجز لما يتعلق بذلك فى القرن الذى نتحدث عنه الآن وهو القرن الحادى عشر للهجرة

الزاويـة الفاسيـة ورجالهـا بتطـوان

ولعل أول زاوية صوفية أسست ـ فيما اطلعنا عليه والله أعلم، هى زاوية الشيخ أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى الفهرى من جدود معاصرنا الاستاذ علال الفاسي أحد حاملى راية السلفية وزعيم حـزب الاستقلال الآن. وهذه الزاوية موجودة الى الآن بحومة العيـون أمام القنا الكبير، وتاريخ بنائها هو عام ثلاثة والف كما يفهم ذلـك من كـلام العلامة سيدى العربي الفاسى في كتابه «مرآة المحاسن» فانه بعد أن ذكر ان والده الشيخ أبا المحاسن بنى مسجده بفاس سنة 1004، قال عن زاوية تطوان ما نصه : (1) «وقبـل بناء المسجد بنحو عام، أمر الشيخ أصحابه الذين بتطاون ببناء رابطة هنالك لاورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير، فبنوها في العيون منها وقـام الرسم بهـا أحسن قيام، ولم تزل الصلوات راتبة بها، ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرهما ثابتة فيها ، واسم الزاوية جاريا عليها، ووقـف الناس عليها أوقافا منهـا دار مجـاورة لها كنا بها الى ان ارتحلنا عن تطاون».

ولعـل أصحـاب الشيـخ سيدى يوسف الفاسي هم أول من ظهر بمظهر التصوف فى تطـوان، وكـان مقدمـهم ورئيسهم هو الشيخ أبو عبـد الله محمد أنوار (2) . ويظهر أن أولئك الاصحاب لم يكن عددهـم كثيـرا بتطوان، وأنهم لم يقوموا بالدعاية الواسعة لجلب الناس الـى طريقتهـم وزاويتهـم، بل كانـوا يعكفون على الذكر والتذكير والعبادة داخل تلك الزاوية، فلذلك بقيت الطريقة الفاسية ـ ان كانت هناك طريقة فاسية ـ في دائرة محدودة، ولعل انتماء تلك الجماعة القليلة نفسها الى الزاوية المذكـورة، كان ناشئـا عـن تأثرها باخلاق

---

1) مرآة المحاسن ص 43 .

2) الشيخ محمد انوار ستاتي ترجمته في الفصل الذى بعد هذا.

الشيخ محمد أنوار وعبادته وفضله، اكثر من تأثرها بالدعاية للمبادىء الصوفية بشرح أصولها وتبيين طرقها الخ (I).

الا أن الذى يظهر، أن تلك الجماعة بالرغم من قلة عددها، كانت ممتازة فى ديانتها وأخلاقها، وصاحب ابتهاج القلوب، وهو العلامة الكبير أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسى، قد ذكر هذه الجماعة مرارا؛ تارة باسم الجماعة التطاونية، وتارة باسم الحزب التطاوني، وقد عرفنا بأسماء مشاهير تلك الجماعة وهم : إمامها ومقدمها الشيخ محمد أنوار، وعالمها الشيخ أحمد بن يوسف الزياتى، والسادات محمد السمعانى، وأحمد البريبرى ويوسف بن يامون التليدى التيال، وعلي البجاني، والحسن الحايك. الخ وهؤلاء كلهم مترجمون فى الابتهاج. وقد نقلنا كلامه عنهم فيما يأتي من تراجمهم، ومن تلك التراجم بالرغم من اختصارها تعرف أحوال تلك الجماعة وأخلاقها التى من أبرزها الديانة المتينة، والصدق الكامل، وعلو الهمة والاخلاص، ويكفيك فى بيان منزلتها، أن تعرف أن الشيخ العلامة أبا زيد الفاسي (العارف)، كان يتصل بأفرادها ويطلب منهم صالح الدعاء، وأن العلامة سيدى العربي الفاسي والعلامة سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي يشرحان كلام بعضهم ويختلفان فى مراده رحم الله الجميع .

ثم ان الذى يظهر أيضا، أن نشاط تلك الجماعة إنما كان فى الربع الاول من هذا القرن، أعنى الحادى عشر ـ اذ هو الذى وقع فيه بناء زاويتهم المذكورة ، أى الزاوية الفاسية التى بحومة العيون، وفيه حبست عليها الاحباس الخ. وأفرادها المذكورون في كتب التراجم هم الذين كانوا موجودين بها في ذلك العهد فقط، فيظهر أنهم لم تخلفهم جماعة أخرى من أمثالهم، اذ لم نقف حتى على أسماء فقراء فاسيين عمروا الزاوية المذكورة من بعدهم، ولم يصلنا من

I) كانت الصوفية المغربية على طريقة السلف فى العبادة والعلم ، ومثال صوفية العهد القديم، الشيخ عبد السلام بن مشيش. وجاءت الشراقة بآفاتها وبأخذها بنظريات الحاتمى أخذا مشوها، فوقع البطش بها. وفى أيام جهاد البرتغال تكونت الزوايا على أساس الاوراد والاذكار والاخذ بظاهر الشرع ومن نماذج ذلك، الطريقة الناصرية والوزانية. اما الذكر فى الاسواق والرقص والسماع، فلا يعرف فيما قبل مولاى العربي الدرقاوى الذى من أشياخه السادة الفاسيون. وهذه الطريقة وقع فيها تقليد المشارقة، كما أن اصحاب الشيخ سيدى محمد بن عيسى أخذوا الشطح وتعذيب النفس والتعرض للنيران والسموم عن الرفاعية المصرية، وعنها أخذت البيارق والاعلام والطبول والمزامير وبحث الطرق طريف لا يزال بكرا ت. و.

الاخبار المتعلقة بهذا الموضوع فى الربع الثاني من هذا القرن الا ما كان من وفود الشيخ سيدى العربى ابن الشيخ أبى المحاسـن الفاسـى على تطوان واقامته بها فى الدار المتصلة بالزاوية والمحبسة عليها الى ان توفى بها ودفن أولا بالزاوية المذكورة ثم نقل منها الى فاس رحمه الله.

الشيخ علي بـن مسعود وبنـاؤه لجامع العيون

ومن أخبار الشيوخ ومتعلقاتهم بتطوان في هذا القرن الحادى عشر، وفادة الشيخ علي بن مسعود على هذه المدينة ، وهو الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدى (I) دفيـن زاويته المشهـورة بحومة العيون جنب جامعها الكبير الذى هو من بنائه رحمه الله

وقد ذكر أبو محمد سكيرج ان الشيخ المذكور لما وفد على تطوان وجد بناحية العيون مساحة كبيرة فارغة من البناء ، وكلها فدادين، فاشترى فدانا مبدأه مـن الوطية ومنتهاه باب النوادر، وحبسه على جامعه الكبير الذى بناه هناك فى البقعة التى كانت مجزرة لاهل البلد (2).

وكان الشيخ المذكور معدودا من كبار الشيوخ، وكانت له زاويته الخاصـة وأصحاب ومريدون ، وستعلم من ترجمته الآتية وخصوصـا من تصريحاتـه فى منظومتـه التائيـة ، انه كان مـن أصحاب المقامات العاليـة المعروفة فى اصطلاح المتصوفـيـن .

بين الشيخ علي بن مسعود وأصحاب الشيخ يوسف الفاسي

وذكر أبو محمد سكيرج فى تاريخـه عن بناء جامع العيون حكاية مضمنها أن الشيخ الجعيدى اتصل أولا بأصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، وبقي معهم الى ان وقع بينه وبينهم خلاف فكان هو يرى ان المكان الذى يبنونـه، يجـب أن يكون مسجدا عاما تقام فيـه الصلـوات الخمس والجمعـة ويكـون مباحا لجميع المسلمين ، وكانوا هم يرون ان يكون زاوية خاصة بهم ، واستحكم الخلاف بيـن الطرفين فكتب التلاميذ الى شيخهم بفاس، فأمرهم بالتخلى عن المكـان المذكـور للشيخ الجعيدى، وذكر لهم انه سيرسل اليه الابواب وخشب السقف حينما يتم

I) الشيخ أبو الحسن الجعيدى له ترجمة فى الصفوة ص 78 وفى نشر المثانـــى ج I ص 148.

2) وانتقلت المجازر حتى تحولت للفدان حيث قصر المقيمية ومنها لباب التوت ثم الى محلها الحالي من المرة قرب نيابة الثقافة .ت .و

البناء الخ. وذكر السكيرج ان الشيخ ابا المحاسن رضى الله عنه قد نفذ ما وعد به وأرسل اليه ما ذكر .

ثم ان الشيخ ابا المحاسن امر اصحابه بالبحث عن مكان آخر يبنون به زاوية خاصة بهم ، فامتثلوا أمر الشيخ وبنوا زاويتهم التى تقدم الكلام عليها ، والتي ما زالت معروفة ومنسوبة للفاسيين الى الآن ، واستقل الشيخ الجعيدى بمسجده الكبير الجامع الى ان اتم بناءه سنة 1030 وهو قائم الوجود وعامر الى الان.

وقد تكلم أبو زيد الفاسى في ابتهاج القلوب على الشيخ علي بن مسعود رحمه الله وعلى ما وقع له مع اصحاب الشيخ ابى المحاسن وعلى قضية هذا المسجد الى آخره وهذا نص كلامه :

« ومنهم الشيخ الولي الصالح أبو الحسن علي الجعيدى ، شيخ كبير السن فوق المائة . كان قد صحب الشيخ سيدى يوسف التليدى تلميذ سيدى منصور ابن عبد المنعم، ثم انتسب الى الشيخ ابى المحاسن وانضاف لاصحابه بتطاون ودخل في حزبهم الى ان أخذوا فى بناء المسجد الذى ينسب اليه بالعيون، وكان الشيخ أبو المحاسن بعث مادته من خشب وغيره من فاس ، فلما استقل البناء وكمل المسجد وهو معهم في ذلك كله ، انقبض عنهم ونفر وصار يقول انما كنت أحدثكم عن سيدى يوسف التليدى لا عن سيدى يوسف الفاسى ، فلما بلغ ذلك الشيخ أبا المحاسن ، بعث الى أصحابه أن يتنحوا عنه ويتركوا له المسجد . فبنوا زاوية أخرى بالعيون صغيرة هى شهيرة الى الآن، ونسبت الاولى للجعيدى ثم صارت للجمعة والخطبة. أخبرنى بالحكاية والدنا حفظه الله . وكان عاقبة المسجد المذكور بعد ذلك، أن ظهرت به صورة امرأة جنية (1) كانوا يزعمون انها تصيح كل يوم ببابه قتلت أولادى ياجعيدى ، أحرقتنا ياجعيدى مدة ، لان اصل المسجد كان موضع الذبائح قبل ، فبقى ذلك مدة حتى فزع منه الناس وصاروا يفرون من المسجد المذكور ولم يرتاحوا منه الا بعد حين »

رسالة من الشيخ يوسف الفاسى عن الشيخ الجعيدى

ويظهر ان العلاقات بين الشيخ على بن مسعود واصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، ظلت متوترة مدة ، ويتضح ذلك من الرسالة التى كتبها الشيخ أبو المحاسن لتلميذه السيد محمد أنوار رئيس زاويته بتطوان وهذا نصها(2)

« ولدنا الاحب الاقرب سيدى محمد نوار نور الله سريرتكم واصلح علانيتكم وجمع شملكم به وعن سواه اغناكم وزاد فى معناكم، يسلم عليكم عبيد الله وخديم

---

1) مثل هذه الفقرات ننقلها على علاتها والكمال لله.

2) بعض هذه الرسالة من ممتع الاسماع ص 182. وبعضها من مرآة المحاسن ص 93 .

أهل الله يوسف بن محمد الفاسى لطف الله به فى الـداريـن . . . .
وصلنا كتابكم معربا عما نزل بكم وحل بساحتكـم. اعلـم ان الهـدى هدى الله ، وأحسن الهدى هدى سيدنـا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الصراط المستقيم وما عدى ذلك أمور مختلفة وسبل منحرفة نعوذ بالله من الضلال، ونسأله العصمة فى القول والفعل والحال، وما ذكروا عن ذلك الرجل (1) لا يخفى على ذى بصيرة، لكن غضها واجب كالبصر، قل للمومنين يغضوا من أبصارهم الآية. والتغافل عن العورات من أجل القربات وأعظم الطاعات، واعتبر قوله تعلى. ومنهم الذين يوذون النبىء الآية. ومن حكم التابع ان يكون على قدم المتبوع، والآن لما برح الخفاء، وبدل الود بالجفاء، ارجع الى ربك، وقف عند حدك، واصبر على ضرهم واهجرهم هجرا جميلا، مع إفشاء السلام ان تعيـن، وما خف من الكلام، واعلم أنه لو كان الناس على القدم الاولـى وما كان عليه السلف الصالـح من سلامة الدين والرسوخ فى اليقين، لم تر للقوم أورادا موظفة، وأحزابا مكلفة، وهـو الذى كان فى الاصل (كذا) فلما قصرت المقاصد، وذهبـت المشارب والموارد ، جعل الائمة رضى الله عنهم تلـك الوظائـف للمبتدئيـن، ومنارا للطالبين، حتى قيل انها من روائح الدين ومنساة له، وأما من قوى يقينه، وانشـرح صـدره فهو فى غنى عن ذلك كله .

واعلم أن العبد من شأنه إن وفقه الله، أن لا يتقيد بمكان ولا زمان، إلا ما قيده الشرع، فحيث كان من يزاحمكم فى موضعكم، فانظروا لانفسكـم موضعـا ءاخر مخصوصا بكم، وهو دأب المنقطعين، وشأن الطالبين، فاعملـوا علـى ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين، ولا تكونوا كالذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا. واعلم أنك مخاطب بهذا كله، والوصية لك وصية لاصحابك، على حد قوله تعلى، فلا تكونن من الجاهلين، والذى نوصيك بـه، التنـازل لاخوانـك وستر بسير ضعيفهم، وكن كالمؤذن بالمنار ويصلي بالارض مع سائر البشر» اه إلا أن الذى يظهر، أن ذلك الخلاف قد زال أثره بعد ذلك، فقد وجدنا العلامة أبا حامد العربى الفاسي ـ وهو ابن الشيخ أبى المحاسن نفسه، يرثى الشيخ الجعيدى المذكور بقصيدة رائعة استهلها بقوله :

أمـا الـدمـوع فـانـهـن غـزار (2) . . . . . .

وكانت وفاة الشيخ علي بن مسعود رحمه الله عام 1032 كما سيأتي تحقيقه فـي ترجمتـه قريبـا بحـول الله.

---

1) يعنى به الشيخ علي بن مسعود الجعيدى رحمه الله
2) ان شئت فانظر نص هذه القصيدة كاملة فى ابتهاج القلوب لابـى زيد الفاسي، وقد نقلناها فى ترجمة الشيخ الجعيدى فى الفصل الذى بعد هذا.

الطريقة الناصرية وزاويتها بتطوان

والطريقة الناصرية دخلت تطوان فى هذا القرن أيضا ـ وأسست بها زاوية كبيرة بهذه المدينة ، وهذه الطريقة من المعلوم أنها منسوبة لمؤسسها الشيخ الجليل العالم العامل ناصر السنة النبوية سيدى محمد (بالفتح) بن ناصر الدرعى تلميذ الشيخ سيدى عبد الله بن حسين، وهى والله أعلم، ثالثة طريقة صوفية دخلت تطوان. ولعل زاويتها هى ايضا الزاوية الثالثة التى بنيت بهذه المدينة بعد الزاويتين ، الفاسية والجعيدية.

ومن المعلوم أيضا أن مؤسس هذه الطريقة ـ الشيخ سيدى محمد بن ناصر، ولد سنة 1011 وتوفى سنة 1085.

والظاهر أن طريقته وصلت تطوان وكان له مريدون بها فى حياته رحمه الله.

وقد علمنا أن عالم تطوان وشيخها سيدى الحاج على بركة كان فى مقدمة المتلقين للطريقة الناصرية، وأنه أخذها عن مؤسسها نفسه كما فى نشر المثانى (1) كما علمنا أن الشيخ أبا علي اليوسى أخذ هذه الطريقة عن سيدى محمد بن ناصر نفسه أيضا ، وقد قال فيه ما نصه : « وهذا الشيخ رضى الله عنه، هو الذى أخذت عنه العهد والورد ، واليه ننتسب ، وكل من نذكره سواه فانه على طريق انتفاع ما الخ .»

وعلمنا أن هذا الشيخ العالم ـ نعني أبا على اليوسى ـ كان رحمه الله يزور تطوان من حين لآخر، ويلقن الناس بها الاوراد الناصرية .

وقد حكى الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن علي الرافعى التطوانى في رحلته الشرقية الحجازية ، (2) أنه اجتمع فى مصر بالشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر أثناء رحلتهما الى الحجاز عام 1096، وانه عرف الشيخ المذكور بالورد الذى لقنه لهم بتطوان العلامة أبو على اليوسى وتلاه عليه فأقره على ذلك واجازه الخ .

وذكر اليفرانى فى صفوة من انتشر(3) أن الشيخ ابن ناصر أذن للشيخ أبى على اليوسى في تلقين الاوراد نيابة عنه ، فكان يلقنها في حياته ، فهرع الناس اليه وأقبلوا اليه يزفون ، ووقع له من اقبال الخلق عليه ما لم يعهد مثله ...

---

1) نشر المثانى ج 2 ص. 104.
2) هذه الرحلة لم تطبع ، وفى خزانتى «الداودية» بتطوان، نسخة منها.
3) الصفوة ص 209.

ثم لا ندرى ما فعل الله برجال الطريقة الناصرية بعد ذلك العهد . أما الزاوية الناصرية نفسها ، فهي ما تزل حتى الآن قائمة محفوظة مصونة تؤدى بها الصلوات ، ويقرأ بها القرءان وبعده الدعاء الناصرى المنظوم الذى أوله :

يا من الى رحمته المفر ومن اليه يلجأ المضطر

ولكنها لا تقرأ بها أوراد، ولا تقع بها اجتماعات اذ لا يوجد الآن بتطوان فقراء ناصريون ظاهرون . فالزاوية الناصرية فى وقتنا هذا كبقية المساجد العامة التي يصلي فيها عموم الناس .

وفى عصرنا هذا أضيف للزاوية المذكورة فندق كبير كان مجاورا لها من الناحية الشرقية الجنوبية ، أى من ناحية القبلة ، وهو الفندق الذى كان معروفا بفندق النجار ، وقد اشترى الفندق المذكور من ملاكه ودفع ثمنه من مال الاحباس الغنية التي للزاوية المذكورة ، وهدم ذلك الفندق كله وبني من جديد على شكل مسجد وجعلت فوق مدخله صومعة عالية وأضيف الجميع الى الزاوية المذكورة فصارت مسجدا جامعا عاما تقام به الصلوات والجمعة، وكانت أولى صلاة جمعة أقيمت فيه بتاريخ 27 جمدى الآخرة عام 1375 (10 ـ 2 ـ 1956).

الفصل الرابع

من الباب الرابع

من رجال تطوان في القرن الحادى عشر

تكلمنا فيما سبق على بعض رجال تطوان في هذا القرن، أعني الحادى عشر مثل أولاد النقسيس الحكام السياسيين والقادة المجاهدين، وخصوصا منهم المجاهد المشهور المقدم أبا العباس أحمد بن عيسى النقسيس المتوفى سنة 1031 .

وذكرنا القضاة ورجال الشرع الاسلامى واشهرهم القاضى محمد بن قريش، وأشرنا الى الشيخ علي بن مسعود المتوفى سنة 1032، والشيخ محمد أنوار وغيرهما من رجال الخير والصلاح والتصوف، ونرجع الآن لتراجم الاشخاص الذين قضوا بتطوان حياتهم كلها أو بعضها، أو توفوا بها في هذا القرن، وقد سجل المؤرخون أسماءهم وحفظوا تراجمهم، وهؤلاء الاشخاص منهم من كان مشتهرا بالعلم والعمل، ومنهم من عرف بالولاية والصلاح، والهداية والارشاد، ونحن سننقل ما عثرنا عليه في هذا الموضوع وان كان قليلا، وسنرتب التراجم في الغالب على حسب تاريخ الوفاة .

أبو العباس أحمد بن يوسف الزياتي 1003

كان هذا السيد من شيوخ تطوان وعلمائها، وقد ترجم له العلامة سيدى العربى الفاسي في مرآة المحاسن بقوله (1) .

«الخامس عشر الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف بن مهدى العبد الوادى الاصل ثم الزياتي، هو أخو شيخنا أبي الطيب، وقد تقدم ذكره في ترجمته، وكان من أئمة النحاة، حافظا للفقه، قائما عليه، مشاركا في كثير من العلوم، قرأ بفاس وأوطن تطاون وخطب ببعض جوامعها، ودرس العلم بها وكان

1) مرآة المحاسن ص 227.

عالمها حقيقة الى ان توفى بها سنة ثلاث والف ودفن خارج باب العيون (I) منها قريبا من روضة سيدى طلحة، وكان قد صحب الشيخ أبا العباس الفلالى، ثم بعد موته صحب الشيخ أبا المحاسن، وفتح له على يديه فتحا استنارت به عوالمه، واتحدت به وجهته، وأقبل على الله بكليته، وأعرض عما سواه، ولم يبق له اعتبار لصورة ولا هيئة، ولا تخيير لجلوس ولا غيره، حتى قبضه الله اليه»

والذى تقدم له فى ترجمة أخيه المذكور (2) هو أنه يعرف فى بلاده بابن مهدى (3) ويعرف فى غيرها بالزياتى (4) وان أبا العباس، أى المترجم، رحل الى فاس لطلب العلم، فقرأ على مشيخة ذلك العصر فنجب وفاق غيره من اقرانه ودرس بفاس فكان من تلامذته أخوه سيدى الحسن الزياتي شيخ سيدى العربي الفاسي وشارح المشيشية والجمل وغيرهما الخ.

وترجم له أيضا أبو زيد الفاسي فى ابتهاج القلوب بقوله : «ومنهم الشيخ الفقيه المخصص بصفات الاسرار، من وصف الاغيار، والزهد في الدنيا وحسن الوقار، أبو العباس احمد بن يوسف الزياتي شيخ قائم بالكتاب والسنة، جليل العلم والعمل، عليه من الشهود أنوار حاضرة، ونعم ظاهرة، ليس له هم الا ابتغاء وجه الله، ولا شعار ولا دثار الا ذكر الله، ..... ثم بعد أن ذكر أنه صحب الشيخ أبا المحاسن الفاسي، ذكر انه كان من اصحابه الذين بتطاون وله قدم جليل الخ. ثم ذكر عن الشيخ أبى فارس عبد العزيز الزياتى أن صاحب الترجمة توفي عند صلاة العصر يوم الجمعة الموفي خمسة وعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث والف. ودفن من غده لصلاة الظهر من يوم السبت بالمرة (5) من تطاون جوف روضة سيدى طلحة. الخ. وترجم له ايضا القادرى فى نشر المثانى (6) ووصفه بالفقيه الزاهد ونقل عن المطمح، أنه شارك فى علوم شتى واشتهر في النحو وبرع فيه، وأنه ولد يوم الاثنين عند الفجر في نصف ربيع الاول عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة ثم قال ما نصه : «ومما هو صريح لصاحب الترجمة فى علو

I) باب العيون هى المعروفة الآن بباب النوادر.

2) مرآة المحاسن ص 165.

3) اولاد مهدى موجودون بكثرة في قبيلة بني زيات من قبائل غمارة، وهم يدعون النسب وبعض الناس ينسبهم الى فارح بن مهدى الظالم المشهور . ت. و.

4) «الزياتي» نسبة الى قبيلة بنى زيات التى أصل هذه العائلة منها وليس علما على العائلة المذكورة التي ما زال أفرادها يدعون الى الآن بأولاد مهدى .

5) المرة، اسم مكان خارج باب النوادر

6) نشر المثانى. ج I ص 25.

مكانته وعزة جلالته، ما خاطبه به الامام الشهير، العارف الكبيــر، سيدى يوسف الفاسى حسبما نقله عنه ولد حفيده الامام سيدى المهدى بن احمد فى كتابه المؤلف فيه المسمى روضة المحاسن، اذ قال الشيخ أبو المحاسن مخاطبا لصاحب الترجمة بما نصه : «فاعلم أن الحال ناداكم، والوقت أجابكم، فان تنبهت فشاهده منكم ، أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه الآية. انصت لما قيل لك واجر على مقتضاه، فالله يعينك، واجعل الحــق دليلك لانــه يقضي ولا يقضى عليه، وارفع همتك الى الله، واقطع إياسك مما سوى الله بصدق التوجه اليه، ولا تكن بنفسك أو بشيء من عوالمك تكن مع غيره فيفوتك عذب مؤانسته ولذيذ مناجاته، ومن فقد الله لم يجد شيئا، والا فراقبه في سائر أحوالك وسرك وعلانيتك، وأجر على قلبك وإن لم تحرك به لسانــك، قولــه تعلى، وما تكون فى شأن وما تتلو منــه من قرءان ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهـودا... الى مبين، تجــد بركــة ذلك ان شاء الله تعلى. ومن وجد الله وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد كــل شيء، فالله يعينك على حسب اجتهادك، ويمدك على حسب نيتك وحسن اعتقادك، فان تمت تم عفو الله لك. جعلك الله من خواص عباده، وأخذك عن مرادك واقفا عند مراده، ولا تزال تخبرنا بما يرد عليكم، فمواصلة الاقلام، تغنى عن زيارة الاقدام ان صح ارتباط الارواح، فلا عبرة بالاشباح، وفى هذا العلم تتحد الامكنة والازمنة فاعلم ذلك كما قيل «شواهد أهل الصدق فى الحب تعرف» اهـ. قال الشيخ أبو الطيب وهو سيدى الحسن أخو صاحب الترجمة، «وصية يفضــى بها المريــد إن وفق في أقرب زمان الى ربه» اهـ.

وذكره أيضا صاحب كتاب «التقاط الدرر» (1) ووصفه بأنه من أوعية العلم ومن كبار الصالحين الخ.

الشيــخ محــمــد أنــوار 1006

كان الشيخ محمد أنوار من عباد الله الصالحين فى تطــوان، وقد ترجم له أبو زيد الفاسى فى ابتهاج القلوب بقوله : «ومنهــم السيد العــارف الناظر الى حسن تدبير الله له وشدة رحمته به في جميع تنقلاته، المتخذ رفض العلل شعاره في كل حالاته، أبو عبد الله محمد بن الحــاج محمــد نــوار الاندلسي البسطي ثم التطاوني أحــد العارفيــن بالله الغائــب عن قلوبهم كل مــا سوى الله، لا يرى فى

1) مؤلف كتاب «التقاط الدرر» هو صاحب نشر المثانى وهــو الفقيــه العلامة المؤرخ سيدى محمد بن الطيب بن عبد السلام القــادرى، واسمــه الكامل هو «التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيــان المائــة الحاديــة والثانية عشر» وقد ذكر فيه انه جعله ذيلا للقــط الفرائــد لابن القاضى، وهو الذى ذيل به «شرف الطالب» لابن الخطيب القسنطيني

الوجود الا الله، ولا يخطر له التفات الى غير الله، غائبا عن الافعال والصفات، في شهود عظمة الذات، دؤوبا على القيام بوظائف الخدمة، رافضا للعلل رفيع الهمة، متلذذا بما يصدر من حضرة محبوبه لا في الصادر، والى ذلك يشير فى الابيات التائية التي له بقوله :

فحسب المحب مشاهدة   يقينا لما يبدو من حضرة

وقد جرى في شرحها الشيخ أبو عبد الله محمد العربي على أن المراد مشاهدة الصادر صادرا من المحبوب، والمناسب للمقام ما ذكرناه.

وكان صاحب الترجمة من اصحاب الشيخ أبى المحاسن الذين كانوا بتطاون وكان الشيخ يقول فيه، هو نور. أو قال انوار على الحقيقة. الى ان قال... وله بركات شهيرة وءاثار مذكورة، رءاه الشيخ أبو محمد عبد الرحمن أخو شيخه ابي المحاسن جالسا بحانوت يتجر فقال له، كيف التجارة مع حالك فقال له، الجسم فى الحانوت، والقلب في الملكوت، ويشير الى انه فى تسببه ممتثل لامر الله تعلى، معتمد عليه في رزقه لا على البيع والشراء ، ومن جلس بهذا الوصف لم يمنعه من الحضور مع الله تعلى، ثم قال، والابيات المشار اليها من نظمه هى هذه:

فلاحظ أعظم من خيبة   لمدع حب على صحة
ومن كان قصده فى نيل ما   يروم فما قام بالحجة
ومن كان حظه في الوصل ما   خلا حظه فيه من علة
وأصل طريقنا رفض العلل   مع الصبر والرفع للهمة
فحسب المحب مشاهدة   يقينا لما يبدو من حضرة
وفهمك عنه جدير بأن   يعوضك المنع بالمنحة
وليس بشأن لمن ادعى   محبة مولاه فى خلوة
بل الفخر للمرء فى همة   تخلت عن الحور والجنة
وعد المراتب لا تقتصر   على دون أعلاه من رتبة
وأن الى ربك المنتهى   يبين ما يخفى من قولة

ذكر شارحها الشيخ أبو عبد الله محمد العربي في تأويل البيت المذكور أن المحب الصادق في محبته يكفيه طريقة ومذهبا وحالا عن غيرها من الطرق والمذاهب والاحوال، أن يشاهد بقلبه مشاهدة يقين لا يعرض لها شك ولا تزلزل، أن جميع ما يبدو في الوجود ويظهر في الكون، صادر عن حضرة محبوبه فيشاهد ذلك كذلك ويقف عند حد تلك المشاهدة، فلا يكون منه اضطراب ولا اعتراض بقلب ولا لسان، أى يكفيه ان يشاهد ذلك ببصيرته ويسكت بلسانه وقلبه. وهذا الوصف الذى ذكره يشير الى الصبر الذى فى المجاهدة وان كان لم يقتصر عليه فى شرح الصبر المتقدم في الابيات. وعلى ما ذكره

فلمقام العامة نصيب من تلك المحبة والصبر بمشاهدة فعل الله، وللخاصة نصيب من رؤية الايجاد من الموجد، وهم الذين أظهر الله فيهم زيادة علم على من سواهم فترقوا الى رؤية الصنع عن رؤية المصنوعات، ومثالهم في الشاهد كصاحب اليرقان لا يلحظ شيئا الا مصفرا، وكذلك هذا لا يرى شيئا الا رأى فعل الله سبحانه ساريا فيه، ولكنه مع ذلك محجوب عن الفاعل لوقوفه مع رؤية الفعل وأهل هذه الرتبة هم الذين يقولون، ما رأيت شيئا الا رايت الله معه، فقدموا رؤية الصنعة على الصانع، وفوقهم مقام اهل الجمع الذين جمع الله هممهم فشاهدوا الملك كله فعلا واحدا قام به الواحد، ورأوا الحادثات كلها بالله فلم يستدلوا به عليها، ونظروا به اليها، وهم الذين يقولون ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله، ونصيب هؤلاء مما ذكره الشارح ظاهر، وفوق هذه المرتبة شهود أوصاف الله القائمة به حقيقة، كمن نزل به عارض المرض وسلب القدرة الكسبية، فانه لا يستطيع الجلوس والقيام، ولو حاول ذلك لم يقدر، فيعرف أنه لا ارادة له ولا قدرة البتة، وانما هو كالآلة بيد الصانع لا تحرك لها الا بتحركه فيما يريد، وفي أي وقت يريد، وهذا وان كان توحيده ضروريا لا نظريا عن كشف وعيان، لا عن دليل وبرهان، فاطلاق اسم الشهود عليه مجاز، لانه فى غاية الشعور بنفسه، والشهود الحقيقى هو الذى يقع معه الفناء، وفناء الفناء، ولصاحب هذا المقام ايضا قسمة وحظ مما ذكره الشارح، وفوقه مقام فناء الفناء لمن غيبه الحق سبحانه عن الافعال والصفات، في شهود عظمة الذات، وهذا أقرب أن يريده الناظم كما ترشد اليه اشارة الابيات الاخيرة، وان كان فوقه مقام الفناء الاكبر وهو فناء الفناء بأن يفنى عن الشهود، وتقريبه بالمثال، القمر مع الشمس، يظهر نورها فيه لصقالته، فاذا قرب منها غاب فيها وامتحي بقربها، وكذلك العبد لا يزال يتقرب الى الحق حتى يحبه، فاذا حصلت المحبة أحرقت نارها جميع أوصاف العبد وخيالات نفسه وأوهامها الحاجبة له شيئا فشيئا حتى يستولي عليه ويصير محوا في وجود المحبوب، فلا عين ولا اثر.

وقد ذكر عن الشيخ أبي المحاسن في مثال هذا من الشاهد، النار الحسية، فان الخشب مباين لها كل المباينة، فلا تزال تاخذ فيه وتسلب أوصافه، وما فيه من المائية وغيرها يصعد ويذهب حتى تستولي عليه ويصير نارا لا وصف له سواها. وفى ضمن ذلك الحب تجلى الوجود المطلق، فيظهر فى مرآة حقيقة العبد ويغلب على تعين وجوده ويقهره ويفني الاضافة المجازية عنه فيظهر كل شيء هالك الا وجهه، يعنى التقيدات والتعينات والنسب العارضية والاضافات المجازية، الا وجهه، يعنى عين الوجود المطلق الذى هو وجه كل شيء لا يواجه شيئا الا هو ، فيفنى حكم ذلك التجلى حقيقة المحب وجميع قواه فيصير سمعه الذى

يسمع به وبصره الذى يبصر به وعقله الذى يعقل به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها كما ورد فى الحديث فاذا تبين لك ما ذكر، فهمت أن الناظم انما يشير الى شيء من هذا المقام والذى قبله ، اذ كل من المقامات المتقدمة يؤذن بثبوت الفعل مع ثبوت فاعله ، وهو الله ما عدا مقام خاصة الخاصة، ممن غاب في شهود وصف الله عن شهود فعله وقد تقدم أنه شهود مجازى. واذا تبين مراد الناظم، صح تأويل ما يبدو من الحضرة على ان من بيانية، أى باطلاق الحضرة على الذات الكريمة أو على الابتدائية بمعنى ما يبدو من الله اليه أى ما يمنحه من المعارف اللدنية والامدادات الربانية والشهودات العيانية ، وتارة ما يمنعه مما كان يرد عليه من ذلك ، وهو حال العارف كما يرشد اليه البيت بعده.

وقد جرى الشارح فى سائر الابيات على ما يؤول بكل مقام ، ويصح أن أن يجرى في أحوال العوام ، ومقتضى حال الناظم ان يشير الى حال واحدة حصلت فيه أو هو قاصدها، كما يفهم من سياقه، ولولا الاطالة لبسطنا القول في ذلـــك .

ومن تأمل كلامه مع ما أشرنا اليه، ربما اهتدى الى فهم مراده الجليل وبلوغه ما أومأ اليه من ذلك القبيل .

ذكر الشارح رحمه الله أنه توفى بتطاون في الوباء العام يوم الاربعاء ثالث محرم عام ستة والف ، ودفن بشرقي المصلى القديم خارج باب المقابر أحد ابواب تطاون حرسها الله ، وقبره هناك مشهور يزار ويتبرك به رضي الله عنه وأرضاه، اه كلام ابتهاج القلوب .

«قلت» ويكفى فى بيان مكانة المترجم رحمه الله أن يتصدى لشرح كلامه وحل اشاراته وتبيين مراده ، مثل الامامين الجليلين ، العلامة سيدى العربي الفاسي، والعلامة سيدى عبد الرحمن الفاسى الذى كان يلقب بأسيوطى زمانه .

أما قبر المترجم رحمه الله فغير معروف الآن والدوام لله.

وترجم له أيضا سيدى المهدى الفاسى فى كتابه «ممتع الاسماع» (1) ووصفه بالاندلسي البسطي (2) التطواني وذكر أنه كان من أكابر أصحاب سيدى يوسف الفاسى، وانه كان عارفا بالله ربانيا، وكان اتخذ زاوية بتطوان باذن شيخه للذكر

---

1) ممتع الاسماع ص 181

2) البسطى ، نسبة الى بسطة ، وهي احدى المدن الاندلسية الواقعة فى اقليم غرناطة وتقع فى الشمال الشرقى منها وتبعد عنها بنحو تسعين كيلومترا، والاسبانيون يسمونها BAZA

والذكرى فانتفع به ناس كثيرون ، ونشأ على يديه رجال ظهـرت خصوصيتهـم وكانت لهم أحـوال وأسرار ربانيـة، وكـان يأتى هو واياهم لزيـارة الشيـخ بفـاس الـخ.

وترجم له القادرى فى نشر المثانـى(1) ووصفـه بالشيخ الفقيـه الولي الرباني المحقق الواصـل العـارف، وذكـر انه وقف على شرح سيدى العربى الفاسي لابياته السابقة الذكر، وأنه في غاية الاتقان والاطلاع على عبارات القوم وترجم له اليفراني في الصفوة (2) وذكـر أنه مـن الاولـيـاء المشاهيـر، وأن كراماته كبيرة، ومناقبه خطيرة الخ.

أبـو عبـد الله محمـد السمعانـى 1019

كان الشيخ ابو عبد الله السمعانى من سكـان تطوان فى هذا القرن، وقد ترجم له ابو زيد الفاسى فى ابتهاج القلوب بقوله: «ومنهم السيد الفاضل السالم الديـن الحسن النيـة، القاطـع للطمع فـي المخلوقيـن، الحاج الابر أبو عبد الله محمد السمعانى التطاونى من فقرائه أهل الحزب هنالك، ومن المشهود لهم بالفضيلة المشهورين بالخير والصلاح، توفي سنة تسع عشرة والف .

وذكره القادرى فـى نشر المثانى (3) وفى التقـاط الدرر، ووصفه فيهما بالتطواني وذكر أنه من أصحاب الشيخ أبى المحاسن سيدى يوسف الفـاسى ، وأنه من المشهود لهم بالخيـر (4)

أبـو العبـاس أحمـد البـريبـرى 1020

هذا السيد ترجم له أبو زيد الفاسي فى ابتهاج القلوب بقولـه : «ومنهـم السيد الجليل المشهور السر بواردات الفوائد، الفارغ القلب من شواغل العوائد أبو العباس أحمد البريبرى من أهل الاحـوال العجيبـة، والكشوفات الغريبـة، والبصيرة النافذة، والهمة العالية الخ. وترجم له أيضا صاحب ممتع الاسماع (5) وذكر أنه من أعيان أصحاب سيدى يوسف الفاسي وذوى القـدم الـراسخ فـى الطريق، وكان صاحب كشف وفراسة نافذة الخ .

---

1) نشر المثانى ج 1 ص 45.

2) صفوة من انتشر ص 78

3) نشر المثانـي ج 1 ص 108.

4) سبق للقادرى نفسه أنه ذكر فى نشر المثاني ص 100 وفى التقاط الدرر أيضا أن وفاته كانت سنة 1015 والله أعلم بالحقيقة

5) ممتع الاسماع. طبع فاس سنة 1313 ص 182

وترجم له صاحب الصفوة أيضا بما نصه : (1) «ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد البريبري التطاوني ممن له قدم راسخ في الطريق، أخذ عن أبي المحاسن الفاسي وقال فيه سيدى نوار، هو شعلة من شعل نار المحبة وكان ربما كاشف السارق بسرقته فيخرجها من عنده الخ. توفى رحمه الله عام 1020

الشيخ قاسم الحاج

الشيخ قاسم الحاج ذكره الفقيه البركة الشريف سيدى الحسن ابن الشيخ سيدى محمد بن على بن ريسون (2) في تأليفه المسمى «فتح التأييد» ووصفه بالولى الصالح العابد سيدى قاسم الحاج التطاونى الدار، الاندلسي الاصل وذكر أنه كان معظما عند الخاصة والعامة من مدينة تطاون، وأن ولاة الامر كانوا لا يردون شفاعته الخ. وقد توفي رحمه الله بتطوان ودفن فى قبة سيدى السعيدى ولم نقف على تاريخ وفاته بالتدقيق ، وقد قدر شيخنا الرهونى أنها كانت سنة 1020 وأظن أنها كانت قبل ذلك والله أعلم.

سيدى السعيدى

يقول العوام فى تطوان وفى كثير من أنحاء المغرب، إن سيدى السعيدى هو مولى تطوان وسلطانها أى إنه هو صالحها ووليها وحاميها وضامنها كما يقولون فى مولاى ادريس إنه مولى فاس وفى سيدى علي بن راشد انه مولى شفشاون الخ

وسيدى السعيدى هذا بخلاف أولئك الاشخاص، وبخلاف جميع الذين ترجمت لهم في هذا الكتاب، فان أولئك كلهم معروفة أسماؤهم وألقابهم وأنسابهم وتواريخ وجودهم، ولهم ذكر في الكتب الصحيحة، فوجودهم محقق لا شك فيه ولا خلاف فى أسمائهم وأنسابهم وتواريخهم، أما سيدى السعيدى هذا فتاريخه الحقيقى مجهول لدينا تماما، اذ وقع اضطراب فى اسمه ونسبه وأصله وكل شيء يتعلق به، بل لا أعرف أحدا من المؤرخين الموثوق بهم ذكر عنه أى شيء صحيح في أى كتاب ما عدا ما هو شائع على ألسنة العوام، مع أن المؤرخين تكلموا على من عداه من الرجال القدماء بتطوان كما يعلم ذلك من تراجمهم فهذا القائد أبو الحسن المنظرى مؤسس تطوان الحديثة، معروف الاسم والنسب

---

(1) الصفوة ص 80 .

(2) هو الفقيه البركة النسابة الشريف الجليل سيدى الحسن ابن الشيخ الكبير سيدى محمد بن علي بن ريسون دفين تازروت. توفى سيدى الحسن المذكور عام 1055 ودفن داخل باب الفتوح من مدينة فاس.

والتاريخ، وكذلك الشيخ عبد القادر التبين، والشيخ أبو عبد الله الفخار، والشيخ أبو يعلى طلحة الدريج، والشيخ على الفحل، والقاضي الكراسي، والعلماء من أولاد ابن قريش، والمجاهدون من أولاد النقسيس، كلهم عاشوا وماتوا بتطوان ودفنو بها قبل مآت السنين، وتكلم عليهم المؤرخون، بل نجد فى كتب التاريخ والتراجم حتى ذكر عدد من المجاذيب الذين كانوا بتطوان، فلماذا لا نجد لسيدى السعيدى ذكرا فى أى كتاب أو تقييد أو أى مؤلف من المؤلفات التي تكلمت على غيره من أولئك العلماء والصالحين والمجاهدين ؟ فان قال قائل، وهذه الزاوية الكبيرة، وهذا الضريح المشهور، وهذه الشهرة العظيمة وتبرك الناس بمقامه ؟ فانا نقول، اما الضريح وزاويته فان الذى بناهما شخص معروف الاسم واللقب والتاريخ، وهو الشيخ قاسم الحاج جد أولاد الحاج الموجودين الى الآن بتطوان والشيخ قاسم المذكور عاش بتطوان فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر، وتوفي ودفن في نفس الزاوية المذكورة، وقبره جنب القبر الذى يقال انه لسيدى السعيدى تحت الدربوز الكبير الذى في وسط القبة أمام المحراب .

وأما هذه الشهرة العامية وقصد الناس وخصوصا النساء لضريحه والتبرك به الخ. فان ذلك لا يكفى لاثبات وجود الشخص، فضلا عن خصوصيته. لاننا نجد لبعض الجمادات من أحجار وعيون وأشجار وغيرها من الشهرة ما يجعل العوام يقصدونها ويتبركون بها وقد يتوسلون الى الله بجاهها وحرمتها، بل يتقربون الى الله بخدمتها ... والامر لله.

كيف عرف الناس سيدى السعيدى

قلنا إن سيدى السعيدى لا يعرف على سبيل التحقيق لا اسمه ولا نسبه ولا بلده ولا تاريخه ولا ولا... ولنا اذن أن نسأل من أين عرف الناس أن هناك وليا يقال له سيدى السعيدى ـ أو ـ سيدى الصعيدى واشتهر اسمه وقد تواتر خبره حتى نسبت له تطوان وقيل انها بلد سيدى السعيدى وأنه هو مولاها ووليها وصالحها وضامنها وحاميها الخ. وقد أجاب المؤرخ سكيرج بما يعتبر جوابا عن هذا السؤال، فذكر أن أصل الحكاية أن المحل الذى به الآن ضريح سيدى السعيدى كان خلاء وقد نبت فيه عليق، وهو شوك متكتل، وذات يوم دخل كلب الى وسط ذلك الشوك وبال عليه فلم يغادر مكانه الا وهو أعمى فاقد البصر فقال الناس اذ ذاك إنه لابد أن يكون ذلك كرامة لصاحب قبر هناك، ولابد أن يكون صاحب ذلك القبر من الصالحين، وكان قرب ذلك المكان مراح به دواب ومواشي لاحد أولاد الحاج فرأى صاحب ذلك المراح في المنام رجلا قال له انني

أنا هو الصعيدى فأظهر قبرى واشهره، فبنى عليـه وأشهر قبـره ودفن هو الى جانبه وجعل هناك دربوز كبير كدربوز مولاى ادريس بفاس... الخ وزاد شيخنا الرهونى أن الذى وقف على الحاج فى المنام قال له. أنا الصعيدى علم على قبرى ليلا يوذى أحد. فقطع تلك الشجرة التي كانت عليه وأشهره الخ. وما زال كذلك الـى الآن .

وكانت الزاوية التى بنيت على ضريح سيدى السعيدى هى المسجد الوحيد فى تلك الناحية من مدينة تطوان وهي قريبة من سور البلد، فصار أهل تلك الحومة يصلون بها ويدفنون بها موتاهم ويجتمعون بها فى أوقات الصلاة وفى المـواسم الدينية، وصار الضريح مزارة كبيرة وأشهرت لسيدى السعيدى كرامات فجعلت له أحباس وصار الناس وخصوصا النساء والمرضى وأصحاب الحاجات يقصدون ذلك الضريح بالهدايا والنذور، وصار ذلك موردا ماليا للعائلـة الحاجية البانية للزاوية والقائمة بشؤونها والتعهدة لصالحها واحباسها والمتمتعـة بفتوحاتهـا ، ونظرا لان سيدى السعيدى قـد اشتهـر بأنـه هـو مولى البلد صار الآفاقيون يتقدمون الى ضريحه بالزيارة والهدايا ليتقبلهم ضيوفا فى بلده، وصار من يـرد على تطوان من حج بيت الله الحرام يزور ضريحه أولا ثم يقصد داره بالطبـول والغيطات، وربما صحبته الطوائف بأعلامها واذكارها... ثم صار ذلك الضريـح ملاذا لمن يقع منه اجرام، أو يخشى على نفسه من سطوة الحكام... وهكذا سدلت على الزاوية وضريحها قداسة نماها الخيال حتى كان لها من الشهرة ما كان.

المتـرجمـون لسيـدى السعيـدى

لم أقف «كما قلت» على ترجمة صحيحة لسيدى السعيدى، وانما ذكر عنه مؤرخا تطوان أبو محمد سكيرج وأبـو العبـاس الرهونـي ما يتناقله العوام من أوصافه وكراماته، وسأنقل هنا ما قالاه عنه بالرغم مما فيه من خلاف واضطراب.

اما اسمه فقد ذكر السكيرج أنه محمد، وتبعه الرهونى في ذلك، ولا ادرى من أين أخذ السكيرج ذلك، وأما نسبه فقد وقع فيه اضطراب، فبعضهم يقول فيه انه السعيدى ـ بالسين ـ نسبة الى بنى سعيد القبيلة الجبلية المشهورة فى الجنوب الشرقى لتطوان، وهذه النسبة ـ أى السعيدى ـ بالسين، هى الشائعة على ألسنة الناس بتطوان ونواحيها، وهكذا ذكره أستاذنا الرهونى، اما السكيرج فذكره باسم الصعيدى ـ بالصاد، وذكر أنه وجد بخط العارف بالله سيدى الحاج علي بركة أنه رجل من أهل الصعيد ـ يعنى صعيد مصر، وبهذه الصيغة يذكره الاديب الرافعى التطوانى فى ديوانه .

ونقل الرهوني عن السيد على الخطيب عن خاله الحاج عبد الوهاب لوقش عن الشيخ عبد القادر بن عجيبة أن هذا الرجل لم يكن من أهل الصعيد بل هو من أولاد فزاكة من قبيلة بنى سعيد، كما نقل ايضا عن الخطيب المذكور عن جده الفقيه السيد محمد لوقش أن سيدى السعيدى كان من أهل سبتة، وأنه كان يتعبد بجبل رأس الطرف، وهو جبل على شاطىء البحر الابيض المتوسط فى الشمال الشرقي لتطوان.

ووصف السكيرج سيدى السعيدى بكلام مضطرب هذا نصه : «الولي الصالح المحمود المسير والسيرة العظيم الجاه والقدر الكامل الارادات من زاره حصل مراده له حالة عالية وهمة مرضية وكمال الاحوال صاحب وصال واتصال سيدى محمد الصعيدى رحمه الله بمنه وغفر لنا وله ورحمنا من بعده ءامين له رضي الله عنه كرامات ظاهرة وحجج باهرة منها أنه يجيء بالاسارى من ذلك البر النصارى دمرهم الله سبحانه لبلاد المسلمين.. حكى أن رجلا الخ. ثم حكى حكايات فيها كرامات من النوع الذى يلفت نظر العوام. ثم قال فى آخر كلامه ما نصه : «ولم أقف على حكاية من أين منزله وأين مقره».

وله كرامات

والعوام لا يستطيعون أن يتصوروا الولي الا اذا كانت له كرامات، فسيدى السعيدى ـ وهو في نظرهم مولى البلد ـ لابد أن تكون له كرامات، وكراماته لابد أن تكون كبرى. والكرامات أنواع، وأقربها الى اذهان العوام وعقولهم، ما كان له اتصال بحياتهم ومشاكلهم، وكانت تطوان ـ في العهد الذى اكتشف فيه قبر هذا السيد وبني ضريحه، وهو أوائل القرن الحادى عشر للهجرة ـ ما تزال بلدا للرباط والجهاد والقرصنة، وكان عدد من المغامرين من سكانها يقع في أسر الكفار، إما فى البر وإما فى البحر، فكان فك أولئك الاسارى من أسرهم وردهم الى أهلهم وبلادهم، من أهم ما تظهر به الكرامات، وهكذا كانت الكرامات التي تنسب لسيدى السعيدى كلها أو جلها من هذا القبيل، والسكيرج بعد أن وصفه بأوصاف أطلق مثلها على غيره من الناس، لم يزد على ذكر كرامات له من هذا النوع، وشيخنا الرهونى قال فيه من منظومته التائية في رجال تطوان :

له المكرمات الغر والعز دأبه ❊ فكم أنقذ الاسرى بلطف ومنة

ونقل الرهوني عن السكيرج ما ينسب له من كرامات انقاذ الاسارى من بلاد الكفار وزاد عليه كرامة أخرى نقلها عن كتاب فتح التأييد الذى عاش مؤلفه في عهد اكتشاف السيد المذكور، وهي أيضا مبنية على رؤيا منامية وهمية.

مبالغات

وهذا الشخص الذى قلنا ان كل شيء عنه مجهول حتى اسمه ونسبه والقرن الذى عاش فيه، بالغ بعض العوام فى شأنه حتى قالوا انه أخ للنبي عليه الصلاة والسلام، وقد نقل ذلك شيخنا الرهوني في تاريخه ورده وأبطله، وان كان مثل ذلك الهراء لا يحتاج للرد والابطال. وقال آخرون انه أموى النسب من ذرية سيدنا عثمان بن عفان الصحابي الجليل الخ. وكل ذلك فيما نرى من مبالغات العوام وتلفيقاتهم وخرافات الجهال والمضللين.

شخص غير معروف

وبالجملة فان سيدى السعيدى ـ أو الصعيدى ـ رجل غير معروف، أو على الاقل غير معروف عندنا، وقد رأيت فى كلام السكيرج المتوفى سنة 1250 أنه لم يقف على معرفة أصله وموطنه، وقال شيخنا الرهوني في ذلك أيضا ما نصه : وعلى كل حال فهذا السيد الجليل على شهرته وعظيم كراماته لم نجد الى الآن من نص على تاريخ وجوده ولا على نسبه، بل ولا على اسمه علي وجه التحقيق، وبودنا لو ظفرنا بذلك ـ ثم قال الرهوني، ويظهر بحسب القرائن انه لم يكن في زمن التبين ولا قبله وأنه وجد فيما بعد ذلك بين عمارة البلد في وقت التبين الى عمارتها في أيام المنظرى والله اعلم .

والنتيجة في نظرنا أنه من المكن أن يكون هناك شخص اسمه سيدى السعيدى ـ أو ـ الصعيدى، وأن يكون هذا الشخص من عباد الله الصالحين أو من أكابر الرجال المغمورين، الا أنني متوقف في شأنه، لانني لم اقف على من ذكر انه عرف شخصه أو تاريخه أو اجتمع به، ولم يترجم له ترجمة صحيحة أى واحد من رجال العلم او التأليف أو التراجم ما عدا السكيرج والرهوني اللذين تكلما عليه كلاما مبنيا على اشاعات عامية وكرامات خيالية ومرائى منامية وهما نفسهما كما رأيت قد صرحا بأنهما لم يقفا على مصدر صحيح يعرف منه على سبيل التحقيق اسمه أو وصفه أو نسبه أو بلده او تاريخه... واني اتمنى ان اقف فيما بعد على ما يزيل هذا التوقف ويحصل به اليقين، والعلم لله العلي الكبير .

أبو الحسن علي البجاني الانـدلسي التطواني

كان هذا السيد من أصحاب الشيخ أبى المحاسن الفاسى فى تطوان، وقد ترجم له صاحب ابتهاج القلوب بقوله : «ومنهم السيد الفاضل الصالح أبو الحسن علي البجانى الاندلسى ثم التطاونى من فقرائه اهل الحزب بتطاون والجادين فى خدمته وشدة الانتساب اليه والتعلق به وأهل المحبة الصادقة، توفي هنالك فى حدود العشرين والالـف»

أبو علـي الحسن الحـايـك

كان هذا السيد أيضا من أصحاب الشيخ أبـي المحـاسن الفـاسي بتطوان وقد ترجم له ابو زيد الفاسي فى ابتهاج القلوب بقولـه «ومنهـم السيد الناسك الصالح أبو علي الحسن الحايك من أهل الحزب التطاوني ومن أهل الجد والاجتهاد وصدق الخدمة والمحبة وخلوص النية، وقفت على كتاب منه الى جماعـة أصحابه أهل الحزب التطاوني رضى الله عنهم ونفعنا ببركتهـم بخط الشيخ أبى محمـد عبد الرحمن (I) ونصـه :

«السيدان الفاضـلان الفقيـه الصوفى سيدى احمد بن يـوسف الزياتـى والعارف بالله سيـدى محمد نـوار نفعكم الله ونفـع بكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذا وموجبه اليكم حفظكم الله، إعلامكم بما اتفق لنا بعد الانفصال عنكم بقصد زيارة الشيخ الكامل سيدى يوسف الفـاسى رضي الله عنه ونفع به ومن على الجميع برضاه، فاعلموا علمكم الله بأنـا يـوم الانفصال عنكم صلينا المغرب بفج الفرس فى رأس العقبة وكان القصد المبيت فى منتهى العقبة عند الـدردارة بالوادى الذى هنالكم، ثم انه مـن بركة الشيخ رمـى الله علينا ستـة مـن الناس معروفين لنا فذهبنا معهم وجدنا المسير الـى أن وقـع المبيت في الماء الحائل حيث صلينا العصر السفرة الاخرى فى نعمة شاملـة لنا ولدوابنـا والحمد لله ، وبعد أن صلينا الصبح ثمة ذهبنا الى الثلاثاء لنلتمس خبر الشيخ رضى الله عنه، فوجدنا من الخبر آنه كان عند سيدى أبي مدين، وبعد ذلـك خرجنا الى طرف السوق فلقي سيدى الحسن الحايك رجلا فريدا فى وقت الضحى فسألـه عـن الشيخ فقال له سيدى يوسف نزل فى اخفشا وخرج القصريـون يتلقونه وكان نزول الشيخ فى أخفشا وخروج القصريين للقائه في ذلك الوقت نفسه من ذلك

I) يعني الشيخ أبا زيد عبد الرحمن العارف الفـاسي أخـا الشيخ ابي المحـاسن الفـاسى .

اليوم، ثم إنا ذهبنا من هنالكم وكان المبيت بالخيمة فى نعمة كما تعلمون، ثم من الغد رحلنا غدوة قاصدين القصر فوصلناه قبل الظهر وبعثنا سيدى محمد السمعانى بعد نزولنا بالسانية ليشترى لنا ما نحتاج اليه من الشعير ويلتمس لنا الصحة في خبر الشيخ، فاذا به راجع في الحين هو والمعلم احمد ابن عمته مستبشرين بأن الشيخ في القصر، فقرب الله البعد والحمد لله، وصلينا الظهر وسرنا اليه الى الدار حتى اذا صلينا العصر معه وجلس للميعاد والناس متوافرون فقصصنا عليه خبر الرجل الفريد الذى كان لقينا بطرف السوق على ما أسلفنا من القصة فقال الشيخ صدق الرجل، وإن هذا لمن خرق العادة والمعتاد، وتساوى القرب في المكان والزمان مع البعاد، وهذا يعرفه أهله، ولا يتعدى لغيرهم علمه. ثم أخبرناه خبركم وألقينا اليه العذر فى تخلفكم، فصرح بقبول المعذرة، ثم إنا ذكرنا له ما أشار به علينا سيدى على الجعيدى من أن اللائق أن نكون نحن الذين تسببنا فى خروجه الينا، بأن نذهب اليه فى موضعه بهذا القصد، وأن لا نأخذه من يد غيرنا أو كلاما يقرب من هذا، فذكر رضى الله عنه أن نحوا من هذا كان من . . . . وأن يكون لما اردتم وقت غير هذا صالح به وبكم يخصكم ولا يتجاوزكم على أنه قد كان رضى الله عنه وصى حيث كان عند سيدى ابى مدين لرجل كان هنالك مسافرا الى بدكم أن يسكنكم عن القدوم فى هذا الوقت ويهدن روعتكم شفقة منه عليكم .

ومما اتفق أيضا أن رجلا من أصحابنا القصريين توفي ليلة البارحة من يوم قدوم الشيخ للقصر، وكان دفنه يوم قدوم الشيخ فكان من صدق نيته فيه أن حضر الشيخ لدفنه ووقف على قبره ساعة حلوله برمسه، وهذا ما حضرنا إعلامكم به بتقريب، وإنما يقع الشفاء عند اللقاء ان شاء الله وكتب محبكم في الله ولاجل الله عبد الرحمن بن محمد الفاسي منصتا فيما أخبرتكم به لسيدى الحسن الحايك ومسعفا لمراده بعد استيذانه للشيخ في ذلك. سلامنا على الولي الصالح سيدى علي الجعيدى رضي الله عنه ونفعنا به وعلى أخينا سيدى أحمد البريبرى، وعلى أخينا سيدى علي البجاني وعلى كافة الاصحاب والاحباب، ونحن مفتقرون الى التصدق علينا بدعوة خير منكم، فلله الا ما أتحفتمونا بذلك والسلام عليكم والرحمة والبركة .

اذا الاحباب فاتهم التلاقي — فما صلة بأفضل من كتاب
لي سادة من عزهم — أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي — فى ذكرهم عز وجاه

والسلام والتحيات والاكرام. انتهى من خطه. هـ.

ولم يذكر تاريخ وفاة المترجم رحمه الله .

أبـو الحجـاج يـوسف بـن يـامون التيـال 1024

هذا الشيخ كان بتطوان أيضا في هذا القرن وقد توفي ودفن بها وقبـره معروف وقد ترجم له أبو زيد الفاسي فى ابتهاج القلوب بقولـه «ومنهـم السيد الجليل المنور المستعمل فى مرضاة ربه باتباع المامـورات، واجتنـاب المنهيات، واتباع نوافل الخيرات، أبو الحجاج يوسف بن يامون التليدى المعروف بالتيال من أهل الاحوال والتصريف والفقه والمعرفة وصون السر عن الاستيناس بجنسه حج وصحب الشيخ ـ يعني الشيخ أبا المحاسن الفاسي ـ وكان صاحب حال، ثم ذكر له كرامة وقال عقب ذلك، توفي رحمه الله بتطاون يوم الخميس سابع ربيع الاول سنة أربع وعشرين والف ودفن يوم الجمعة بجوار سيدى السعيدى رحمهم الله. كذا قيده صاحب المرآة بخطه .

وترجم له أيضا صاحب الصفوة (1) ووصفه بالشيخ العابد وذكر أنه ممن شارك في العلم، وله جد واجتهاد في العبادات، وذكر له كرامات الخ. وترجم له أيضا صاحب نشر المثانى (2) وقـال فيه : «لـه حـال صحيح وقدم فى العبـادة والدين الخ. وذكره أيضا صاحب التقاط الـدرر ووصفـه بالفقيه الصالح الخ. وذكر شيخنا الرهونى أن قبره في بيت صغير عن يسار الداخل لصحن المسجد الذى به زاوية سيدى السعيـدى وهـو الـواقع تحت الصومعة وأنه يعرف عند الناس بسيدى ميمون رحمه الله .

ومن المعلوم أن هذا الشيخ هو غير الشيخ سيدى يوسف التليدى المشهور دفين قبيلة الاخماس عن غير عقب عام 948 . وبمناسبة ذكر هذا الشيـخ، يجمـل بي أن أنبه الى خطأ وقع فيه أستاذنا الرهوني اذ أنه ذكر في نسبه انه يوسف بن الحسن بن عبد الله بن عبد العزيز الى سيدنـا علي بن ابي طالب، والصواب ان السلسلة المذكورة، أولها لشيوخه فى الطريق الصوفية، فعبد الله هو الغزواني، وعبد العزيز هو التباع الخ. وآخرها لاجداد الشيـخ محمد بن سليمان الجزولى صاحب كتاب «دلائل الخيرات»، وقد نبه على ذلك الشيخ المهدى الفـاسى فى كتابه ممتع الاسماع (3) .

---

1) الصفـوة ص 16

2) نشر المثاني ج 1 ص 127 .

3) ممتع الاسمـاع ص 77

الشيخ أبو الحسن علي المصيمدى 1031

الشيخ سيدى علي المصيمدى ـ والعوام بتطوان يقولون المسيندى ـ وصفه شيخنا الرهوني بقوله، هو الولي الصالح النور الواضح أبو الحسن سيدى على المصيمدى كان رحمه الله من أهل الخير والصلاح، والولاية والفلاح، أخذ عن الجعيدى وتلمذ له وعلى يديه تخرج الخ. وذكر اليفراني فى الصفوة (1) أنه أخذ عن الشيخ أبي الحسن الجعيدى وأنه توفي قبل سنة 1031. وترجم له القادرى فى التقاط الدرر وفي نشر المثانى (2) ووصفه بالولى الصالح، وذكر أن وفاته كانت فى العام المذكور . وهذا الشيخ هو الذى بنى الجامع المشهور باسمه في شارع النياريـن من حومة الطرنكات، وكانت وفاته ومدفنه بتطوان، وفي أعلى مقابرها قبة تعرف بقبة سيدى المصيمدى ولعل قبره بها والله أعلم.

الشيخ أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدى 1032

الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدى، هو صاحب الضريح المشهور بحومة العيون، وقد قال فيه الشيخ أبو العباس بن عجيبة رحمه الله ما نصه : «الشيخ الصالح الكامل الورع الزاهد القطب الربانى، مربى السالكين ، وقدوة المحققين سيدى على بن مسعود الجعيدى. كان رضي الله عنه ورعا زاهدا عارفا سالكا للطريقة، جامعا بين الشريعة والحقيقة، حاملا لواء الولاية في زمانه، وحائزا لرتبة القطبانية فى أوانه... الى أن قال: «له رضي الله عنه مناقب عديدة ومآثر شهيدة، وشهرته أعظم من أن تذكر، وأشهر من أن تشهر، وقيام نظام زاويته، وازدحام الناس على ضريحه، وتوقير من لاذ بجنابه ، شاهد بصحة مقامه، مع ما يلحقه من الثواب العظيم الدائم بعد موته، بسبب مسجده الجامع الذى أسسه وبناه، وقد تكفل الله تعلى بحفظه، فمنذ بناه وهو يزداد عمارة وتنويرا؛ فما يذهب عالم حتى يأتى الله بآخر مكانه، فكم درس فيه من العلوم، وكم قرىء فيه من القرآن، وكم وقعت فيه من أنواع العبادات، وكم اوى اليه من الغرباء والمساكين، وكل ذلك في صحيفة الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به...... الى أن قال، ومناقب هذا الشيخ لم تدون، فلذلك اضمحل أكثرها، وإنما بقيت تذكر على ألسنة الناس» .

---

1) الصفوة ص 78

2) نشر المثاني ج 1 ص 140 .

وقال فيه أستاذنا الرهوني رحمه الله «هـو الولي الكبير، صاحب الصيت الشهير، والخيـر الكثيـر، والكـرامـات الظاهرة، والخوارق الباهرة، شيخ المريدين، ومنار السالكين، سيـدى علي بن مسعود ... وقد ذكر له عدة كرامات ينظرها فيه من يهمه ذلك. ثم قال، ولا زلنا نسمع أن هذا السيد الجليـل أدرك مقام القطبانية، وتائيته الآتية ان شاء الله تدل على ذلك».

ثم ذكر ابن عجيبة أن طريقة الشيخ الجعيدى شاذلية، وأنه أخذ عن شيخه سيدى منصور بن عبد المنعم الصنهاجي عـن الشيـخ يوسف التليدى عن الشيخ عبد الله الغزوانـي عن الشيخ عبد العزيـز التباع عـن الجزولى صاحـب دلائل الخيرات، بسنده الصوفي المعلوم المتصل بالشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله.

والتائيـة التـي أشار اليها أستاذنـا الرهونى رحمـه الله، هى قصيدة بل منظومـة تائية على نمط كـلام الشيوخ الكبار الذين يتحدثون عن مقاماتهم ومـا يشعرون به من نعم لله عليهم، وهي على وتيرة تائية الشيخ عبد القادر الجيلانى والشيخ أبى العباس أحمد زروق وأمثالهمـا، الا أن فى تائية الشيـخ الجعيدى رحمه الله اخلالا بالوزن وبعض مخالفة لقواعد الفصحـى، وهـى على العموم أقل مقاما من ناحية البلاغة وغيرها والكمال لله. وعدد أبياتها خمسـون، وهذا نصها الكامل حسبما في شرحها (I) الذى ألفه الشيخ الصوفـي الكبيـر أبو العباس أحمد ابن عجيبة رحمه الله، وقد قال فى أول هذا الشرح ما نصه : «وقد تعاطاها (أى التائية) الجهال فصحفوا فيها كثيرا من الابيات، فلذلـك تجد فيهـا بعض الابيات لا يستقيم وزنه لاجل التحريف الذى وقع فيها الخ .

تـائيـة الشيـخ الجعيـدى

بـدأت ببسم الله مـن بعـد حـمـده — علـى نعم لا تحصـى جلـت ودقـت

وثـم صـلاة الله تـتـرى مـؤبـدا — على مـن به الامـلاك والرسل طافت

فـان إلـه الـعـرش جـل جـلالـه — أمـدنـا بالاسـرار من كـل جيـهـة

فمـن حضـرة التقريـب كان مدادنا — وجـمـع طـرق السالكين فى قبضتى

وكـل علـوم الله طـرا سلـكـتـهـا — وهمتـنـا تـعـلـو علـى كـل همـة

وسـرت الى أعلـى مقام أولي النهى — وأظفـرت تحقيقـا بأسنـى الـولايـة

ونـادتنـى الاقطاب من كـل جانـب — عليـك سـلام الله يـا خـيـر أمـة

وأوتـاد كـل الارض من تحت حكمنا — ولى الملك والتصريف فى كـل ساعة

I) قد اصلح شيخنا الرهونى عددا من ألفاظ هذه التائية في تاريخه ، ولكنا آثرنا على ذلك الاصلاح، إثباتها كما هى في نسخة ابن عجيبة، والمظنون أنها كذلك صدرت من ناظمها والله أعلم .

والاقطاب والابدال لاذوا ببابنا ... والاجراس والافراد تحت حمايتى
وكل ولي خاضع لمقامنا ... وأهل بساط الله عند إمارتى
أقروا بأن الملك فى سر غيبنا ... وأولاد كل الحى هم لي فتيتي
أناخوا لنا الارواح عزا لملكنا ... وكل الانام خاضعين لسطوتى
وخدمتهم لكى ينالوا بحبنا ... شرفا وتنعيما وعيشا بعزة
ومن بحرنا تسقى الانام بجمعهم ... وكل محب اخذ فى مودتى
ولى سطوة في الارض جوفا وقبلة ... على كل مخلوق تلوح عنايتى
ونارت لي الاقطار شرقا ومغربا ... ومن وجدنا في الكون ياتى بخيرتي
ولو أننى أفشيت من بعض سرنا ... لاهل وداد الله ذاقوا المنية
وأبصرت غيب الغيب عينا بعيننا ... وكل الذى في الكائنات في لحظة
وما كان قبل القبل هو في علمنا ... بنور جلال الله نارت بصيرتى
وأمرى به الاشياء ان قلت كن يكن ... وفى نظرة منا بلا قول كانت
فلى الحكم فى الاشياء والحكم حكمنا ... وسرت الى الاسرار سرا بحجتي
مريدى لا تخشى فأنت فى حفظنا ... عليك أمان الله من كل فتنة
فأنت فى حفظى يا مريدى لا تخف ... نجوت من الاهوال فزت برحمة
وحصنا حصينا دائما متأبدا ... وسترا جميلا لا تخف من عقوبة
لقد مدنى المولى بأفضل نعمة ... وسخر لى الاشياء في كل نظرة
ومن علي الله أعظم منة ... وأمرى بها الاحكام تجرى بسرعة
كذا العرش والكرسى واللوح والعلا ... وما فى تخوم التحت عند اشارتى
وقال لي المولى تقدم ولا تخشى ... مقامك محمود تنعم بحضرتي
اليك اجتبينا والانام بمعزل ... ودعوتكم تسمو على كل دعوة
أعطيناك أحببناك خطة مرسل ... صفي نجي للانام ذخيرة
مكين لدينا أنت فى بحر حبنا ... تقدم وكل الخلق حلوا بساحة
ومن خاض بحر الحب كان له يد ... وأمر وتصريف فى جمع الخليقة
عنايتك العليا على كل من له ... بحضرتنا قرب من أهل المحبة
لكم عندنا أعلى المقام حقيقة ... دنوت الينا بالتقرب قربتى
محب ومحبوب تقدم ولا تخف ... وفى حضرة التقديس قدست صفوتى
الى سدرة مقام غيرك في الورى ... وفى قاب قوسين تنعم بنظرة
تقدم ولا تخشى فأنت في حفظنا ... أمناك لا تجزع بعين وقايتي
علي لدينا فى العلا تطلب العلا ... رفعتك قدرا ثم هبتك خلتي
أبا حسن حزت المحاسن كلها ... بلا شركة فيها وغير ازدحامة
وحسنتك الاخلاق بالحسن والبها ... ونلت لدينا بالتقرب شربتي

فنعم المريد والمراد صفينا — عليك سلام الله من لدن عزتي
شفاعتك عمت جميع أهل عصرك — ومن جاء بعد البعد فاز برحمة
وفى يوم عرض الخلق تعطى شفاعة — وجاهك هو الجاه عند المساقة
وعند ازدحام الخلق فى يوم حشرنا — تفوز لدينا بعظيم الشفاعة
وكل مريد فى حماك اعتصامه — له عندنا البشرى ولم يخش قهرتي
ولو أن أهل الارض فى علم علمنا — تحبك صدقا لم يخافوا المعرة
وكل جليس أو محب بنظرة — بحبك أحببناه من كل فرقة
ولو كان فى البيداء شرقا ومغربا — وجوفا وقبلة ينال السعادة
ومن لاذ بك فى الانام حفظته — وأمنته أمنا من كل مصيبة
ومن جاءنا يشفع بجاهك عندنا — فمن حينه يظفر بكل إرادة
ونسبتنا لابن النعيم وسيلة — والشيخ التليدى هو نعم الوسيلة
والغزوانى والحرار نلت به المنا — وشيخهم الارفع هم لى عدتي
وشيخ الشيوخ والذى جاء بعده — من أسلافهم والتابعين الاراثة
وعلم علي والذى كان قبله — محمد المختار خير البرية
عليه سلام الله يترى مؤبدا — وءاله والاصحاب نعم الاحبة
وثم الرضى عن كل من جاء بعده — وتابعيهم بالخير أهل الهداية

وهذه التائية ــ كما قلنا ــ قد شرحها الشيخ العلامة العارف بالله أبو العباس أحمد بن عجيبة شرحا وقفت عليه مخطوطا وفى خزانتي «الداودية» نسخة منه، وقد نقل منه أستاذنا الرهوني فوائد أثبتها فى ترجمة هذا الشيخ رحم الله الجميع .

ثم إن الذى لا يعرف مصطلحات الصوفية ولم يتعود سماع كلامهم، يتعجب من تصريحات هذا الشيخ وأضرابه وما ينسبونه لانفسهم من مقامات وتصرفات ويتوقف عند سماع كل كلام ينافى ظاهره التوحيد الخالص وانفراد الله تعلى بخلق الخلق وتدبير شؤونهم وإثابة المطيعين وعقاب العصاة الخ. وللناس فى مثل هذه المواقف، أنظار ومذاهب، فبعضهم يسلم ذلك تسليما تاما، مطلقا عاما ويؤولون كل ما كان من هذا القبيل بما لا ينافى الشريعة والتوحيد، ولا يصطدم بكتاب الله وسنة رسول الله، ومن هؤلاء الشيخ ابن عجيبة الذى قال فى شرح التائية المذكورة ما نصه : «اعلم أن كلام الشيخ فى هذه الابيات هو مترجم فيه عن لسان الحقيقة، ولم يقله بمجرد الهوى والنفس، فالعارف ليس له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار، فان أخبر عن نفسه بشيء من مدح أو غيره فليس هو المخبر ولا المترجم، وانما الحق سبحانه يجرى ذلك عليه إظهارا للنعمة وشكرا للمنة، والله ذو الفضل العظيم» .

وهناك طبقة أخرى تنتمي للعلم والبحث وترى أنها هي الحامية للشريعة المطهرة، فتنكر كل كلام من هذا القبيل، ولا تقبل من أى مسلم الا الكلام الصريح الذى لا ينافى الكتاب والسنة، لا ظاهرا ولا باطنا، وهو كلام معقول وغيرة محمودة على الشريعة المحمدية، الا أن بعضهم لا يقف عند هذا الحد، بل يصف أصحاب تلك التصريحات إما بالشرك واما بالكذب والتدجيل، لا يفرق فى ذلك بين الصادق والكاذب، ولا بين المخلص والمخادع، وقد تجد من بين هذه الطبقة من يهرف بما لا يعرف، ويبالغ مبالغات لا يقرها شرع ولا علم ولا إخلاص ولا انصاف، كما تجد من بين المدعين للتصوف أشخاصا لا علم لهم ولا معرفة، وكل أمرهم أنهم يتمشدقون بعبارات غامضة لا معنى لها، ويدعون دعاوى طويلة عريضة لا حظ لهم فى مدلولها، وأعمالهم وأقوالهم كلها تمويه وتدجيل واستغلال لاصحاب النية الحسنة، وللمغفلين المغرورين، كل هذا كان فى الماضى وربما كان موجودا فى الحاضر أيضا. وهناك طبقة أخرى تقف موقفا وسطا (وخير الامور أوسطها)، ويقول الناطق بلسانها : ما دامت للقوم اصطلاحات واشارات خاصة، وما دمت لا أفهم هذه الاصطلاحات والاشارات ولا أتذوقها، وعلمى وثقافتى ومعرفتى لا تسمح لى بقبول هذه العبارات والمبالغات ولا تستسيغها، فانى لا أستطيع تسليم ذلك لكل من يدعيه، لان فى الناس كذابين ودجالين، وفى الحين نفسه لا أنكره إنكارا مطلقا، لان فى الناس أيضا صادقين مخلصين ولانا نجد رجالا من عظماء الاسلام وشيوخا من أهل العلم الصحيح، والدين المتين، والعقيدة السالمة، والمشاركة الكاملة والنباهة الخارقة، يقبلون مثل تلك الاقوال ويقولون بها ويسلمونها للمخلصين الصادقين من أهلها، ولا أظن حقائق الاشخاص تخفي على الباحثين المنصفين، فمن كان من الشيوخ مومنا بالله، ممتثلا لاوامره، مجتنبا لنواهيه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرشد الخلق للدين القويم، وينتشل العصاة من بحار الآثام، ويدفع بهم الى ميادين الحسنات وفضائل الاعمال، ويقف فى أعماله وأحواله مع الكتاب والسنة، فهذا هو ولى الله «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين ءامنوا وكانوا يتقون» ومن كان هذا حاله فالشأن فيه أنه لا يكذب ولا يقول عن نفسه او غيره الا ما يعتقده حقا، أو يحس به صدقا، خصوصا اذا عرفنا ان لكل فئة اصطلاحات وعبارات واشارات لا يفهمها الا أربابها، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها.

اما من كان همه هو الاستغلال، وخدمة المصالح الخاصة وجمع الاموال والتمتع بأنواع الملذات الحسية والمعنوية، فكلامه هراء، وادعاءاته هباء، «فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض» صدق الله العظيم.

والله سبحانه يلهمنا الصواب في أقوالنا وأفعالنا ومواقفنا.

ولنرجع الى الشيخ أبى الحسن الجعيدى رحمه الله فنقول، انه قد ترجم له أيضا أبو زيد الفاسي فى ابتهاج القلوب، ووصفه بالشيخ الولى الصالح الخ. وذكره أيضا اليفرانى فى الصفوة ولكنه لم يصفه بالاوصاف التى يحلي بها الاولياء والصالحين ونص كلامه، (I) «ومنهم الشيخ أبو الحسن على الجعيدى بصيغة التصغير دفين تطوان وقبره بها شهير، أخذ عن سيدى يوسف التليدى ثم انتسب بعده الى أبي المحاسن الفاسي وانضاف لاصحابه فلما بنى أبو المحاسن مسجده المعروف بالعيون، انقبض أبو الحسن عن مخالطة ابى المحاسن، وقد أشار سيدى يوسف الفاسى لضلاله فى كتابه لسيدى محمد نوار وأنه لم يخف عليه أمره، وقد وقفت على قصيدة رثاه بها سيدى العربى الفاسى بعد وفاته تدل على فضيلته وأن له قدما فى الطريق الخ.

«قلت» القصيدة التي ذكرها صاحب الصفوة، قد أثبتها أبو زيد الفاسى فى ابتهاج القلوب بعد أن ذكر أنه لما توفي أبو الحسن الجعيدى رثاه الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الفاسى بأبيات الخ ونصها :

أما الدموع فانهن غزار ... أبدا وجنات القلوب نار
والافق معترك الظلام كأنما ... قد صار ليلا فى ضحاه نهار
أودى به الشيخ الجعيدى الذى ... قد نال بدر الفقر منه سرار
أودى فأية مقلة لم تبكه ... أو أى قلب ليس فيه أوار
شيخ المريدين الذى بسلوكه ... قد هدي السلاك والسيار
وروى الطريقة مسندا عن جلة ... سطعت لهم فى أفقها الانوار
وله المئاثر والمكارم والعلا ... شهدت بصحة نقلها الآثار
يمضى الزمان وما تقضى ماله ... فى الصالحات وذكره المعطار
عمر بالطاعات عمرا ماله ... فى غيرها ايراد او اصدار
زاد على المائة السنين واذ دعا ... ه الموت جاء له اليه بدار
وسما الى أجل مسمى هكذا ... تسمو الى آجالها الاعمار
ومضى كمن من قبله أيضا مضوا ... حتى استقرت بالجميع الدار
هذى هى الدنيا فلا يغررك أن ... طال المقام بها والاستقرار
نفس الاقامة ان تدبرت هنا ... هو الرحيل الحث والتسيار
واها لايام مضت واها وما ... يجديك واها والاحبة ساروا
تزكو القلوب مع العيون كأنها ... هذى بها نار وذى أمطار
هذا ولو رد فقيدا قبله ... جزع له لابيضت الابصار
لكن الى الصبر الرجوع فانه ... حصن منيع حبذا الصبار

I) الصفوة ص 78.

وأحق حال للعبيد هو الرضى — فيما قضاه الواحد القهار
أوليس ذى هى طريق الشيخ فذ — تسلك ففيها للسلوك منار
والله يتحفه الرضى من فضله — فى جنة طاب بها استقرار
حيث المشائخ قبله وإمامهم — دنيا وأخرى المصطفى المختار
صلى عليه مسلما رب العلى — ما أنشدت في فاضل أشعار

وهذه القصيدة أنشدها ناظمها بتطوان لما حضر جنازة هذا الشيخ بها وقد وقفت على نسخة أصلح فيها ناظمها بخطه، قوله، أودى به الشيخ الجعيدى الخ فجعل مكانه قوله، أودى بها الشيخ الرضى العلم الذى الخ. ثم ضرب على قوله: زاد على المائة السنين البيت .

وذكر أبو محمد السكيرج أن المترجم رحمه الله عاش مائة وعشرين سنة وتوفى بعد إكمال جامعه بعامين وكان تمام بناء الجامع المذكور سنة ثلاثين والف. وفي ابتهاج القلوب لابى زيد الفاسي، والتقاط الدرر للقادرى، والصفوة لليفرانى أن وفاته كانت سنة ثلاث وثلاثين وألف، والذى وجدته بكناش الفقيه الشريف سيدى التهامى بن رحمون أنه توفي ليلة الجمعة 12 ربيع الاول سنة 1032 ومثله فى شرح الشيخ ابن عجيبة لمنظومته التائية السالفة. وقد دفن رحمه الله ورضى عنه بزاويته الخاصة قرب جامعه الكبير بحومة العيون. وقد ذكر شيخنا الرهونى في كتابه «عمدة الراوين» أنه وقف على قصيدة فى مدح المترجم والتوسل به الى الله تعلى ومطلعها :

تلظى الحشا من لوعة الحب والهجر — وفاضت دموع العين كالسيل والقطر

ومنها عند التخلص لمدحه :

فما زالت الاحزان تغدو بمهجتي — الى أن رأيت النور يبدو من القبر
ضريح إمام الصالحين حقيقة — أبا حسن حاوى المفاخر والسر
يميل ولكن للسيادة والهدى — يراعى حقوق الله في السر والجهر
غزير الندى شمس الديانة والعلى — سليل كرام الناس حقا بلا نكر
جليل كريم سيد متواضع — حليم حيي معدن الفضل والبشر
يبيت الى الرحمن فى الليل راكعا — زكي رضي لا يمل من الذكر
هو السيد المعروف بالنسك والرضى — هو السيد الممدوح بالنظم والنثر

الى آخرها وهى قصيدة طويلة

ووقفـت فى ديوان الفقيه أبى عبد الله محمد بـنَ علي الرافعى التطـوانى المتوفي في أوائل القرن الثانى عشر ، علي قصيدة أخرى فى التوسـل الـى الله بالمترجم ايضا ومطلعها :

إلاهـى إلاهـى أنلنـى المنـى وكـن لى مجيـرا بهـذا الولي

وأبياتها اثنى عشر

والمترجم رحمه الله لم يسلم من خصوم سياسيين معاصرين ينسبون اليه أشياء لا تتفق مع ما يصفه به المعتقدون لصلاحه وخصوصيته، ففى الكتاب الذى اسمه «تاريخ الدولة السعدية (1) عند الكـلام على دولة الشيخ السعدى الذى بويع عام 1012 ما نصه : «لما انهزم مولاى زيدان وتخلى عن المغرب، ارتحل مولاى الشيخ من جبال الريف وسار الى أن نـزل على مدينة تطاون ولقيه أهل الفحص على يدى الجعيدى كان اهل الفحص يثقـون به ويعتقدون صلاحه، فبعث اليه مـولاى الشيخ فاتاه وأعطاه الاموال الجزيلة ، والذخائر الجليلة ، وأرسله الى أهل الفحص فاذن لهم الجعيدى أن يدخلوا بيده ويطيعوه وقال لهم لا بد ان ينشر أعلامه بمصر ويبقى في الملك أربعين سنة وكان رجلا كذابا فدخلوا بيـده وأطاعـوه وخدموه وأعطاهم أموالا كثيرة ونادى بالصلح مع النصارى أربعين سنة» وقد كتب شيخنا الرهوني بخطه في نسختي من الكتاب المذكور تعليقا على قوله ، وكان رجلا كذابا، ما نصه : «حاشاه رضى الله عنه، فانـه ولـى كبيـر بلـغ القطبانية ، ولعل هذا مدسوس عليه على عادة أهل الله »

«قلت» وضريح الشيخ سيدى على بن مسعود رحمه الله ما زال قائما محفوظا تقام بزاويته الصلوات، ويقرأ فيه القرءان ويزوره الناس ويتبركون به ،ومسجده الجامع القريب منه من أعظم مساجد تطوان، تقام به الصلوات الخمس والجمعة، وتدرس به العلوم، وقد لبثت أدرس به مختلف العلـوم كتلميـذ على شيخنا أبي العباس الرهونى رحمه الله ثمانية أعوام متصلة بدون انقطاع من سنة 1331، الى أواخر سنة 1338. وعائلة الشيخ الجعيدى في حكم المنقرضة بتطوان، اذ لم يبق منها في تاريخنا هذا الذى هو عام 1374. الا فرد واحد مصـاب فى عقلـه وهـو الحسن الجعيدى (2) ولا زوجة له ولا أولاد والبقاء والدوام لله سبحانه .

---

1) تاريخ الدولة السعدية ص 94 طبعة الرباط سنة 1353

2) ثم توفي الحسن المذكور بتطوان عن غير عقب يوم الثلاثاء 21 رجب 1376 هـ. 21 فبراير 1957 م. وبموته انقرضت هذه العائلة من هذه المدينة، وهى موجودة بسلا والرباط، وعهدي بها فى فاس أيضا.

ابو الحسن علي ابن الزبير السجلماسي 1035

هذا الشيخ ترجم له القادرى فى نشر المثانى بقوله (1) : «ومنهم الفقيه سيدى علي بن الزبير السجلماسي ، فقيه مشارك علامة فهامة امام النحاة ، سمع عن جماعة من أهل وقته، وعن أبى زيد اعراب المكناسى، وسمع التفسير والحديث والاحياء للغزالى من العارف ابى محمد عبد الرحمن الفاسى ولازمه سنين ، واخذ عنه جماعات من اهل وقته، منهم الشيخ ابو محمد عبد القادر الفاسى »

وذكر غير القادرى ان المترجم هو عمدة شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسى فى علم النحو .

وقد كان هذا السيد مقيما بتطوان ومدرسا بها ، ووجدت بخط بعض معاصريه ما نصه (2) : «ومن خط أبى الحسن علي ابن الزبير ونظمه حيث وقع ما وقع بكرسي اقرائه بتطوان:

لما رءا الكرسي ما ناله ... من فاسق ينمى الى عافية
استنجد الابطال كي يغسلوا ... أدرانه بالماء في الساقية
فعند ذا شمر أثوابه ... ليسهل التطهير في الجابية
عاقبه المولى بمن أمه ... تدعي بفاس ... الزانية
لكنه يشكو الى ربه ... يرفعه عنه الى الهاوية
ذاك الخبث النذل ذاك الذى ... قد أنكر الاحسان من طانية (3)
تعسا له والويل يعتاده ... في كل يوم لا يرى عافية

وله أيضا (غفر الله) في مليح بتطوان :

ملك القلوب وهدها بلحاظه ... ظبي يكاد من اللطافة يعقد
ءالت على العشاق ان هم يشتكوا ... لا أغمدت وعلى البسيطة مكمد
من قاسه بالبدر فانبذ وصفه ... هيهات ما في البدر وصف يحمد
البدر لا تلفيه الا ليلة ... ولانت طول الدهر بدرا توجد
اين اللما فى البدر والثغر الذى ... عذبت مراشفه وأين المقعد
يا قاسما أغمض جفونك مالها ... تسبى الحشا من عاشق لا يرقد

---

1) نشر المثانى ج 1 ص 149

2) من مجموع قديم فى الخزانة الكتانية بفاس .

3) طانية هو الفقيه قاضى تطوان أبو العباس احمد بن محمد طانية وكان من أصحاب أبى حامد الفاسي وناظم هذه الابيات .

وارفـع لـواء الحسـن فى تطواننـا ومـلاحهـا أضحـت لوجهـك تسجـد
قسمـا بما تحـوى الخدود مـن البها ما انـت فـى الخشفيـن الا أوحـد
وكذا بما تحـت القميـص مخبـأ مـا أنـت للعـشـاق الا مـعـبـد

ولم أقف علـى تاريـخ قدومه لتطوان وارتحاله عنهـا ولا على مدة اقامته بها. أما وفاته فكانت سنة 1035 كما ذكره القادرى في نشر المثاني.

أبـو عبـد الله محمد مخشان 1042

هذا السيد ترجم له صاحب الصفوة بقوله : (1)
«ومنهم الفقيه الصوفى أبو عبـد الله محمد بـن محمد مخشان كان خيرا دينا، له معرفة بالنحو والبيان والمنطق، أصله من شفشاون، ثم استوطن تطوان ودرس بها، وكان يدرس التفسير وادركتـه المنيـة فى قولـه تعلى: وءاخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا. توفي رحمه الله فجـأة وهـو ساجد فى صلاة الفجر عام اثنين واربعين والف»

العلامة سيدى العربي بـن يوسف الفاسي 1052

هو العلامة المحقق المشارك سيدى العربى ابن الشيخ الكبير ابى المحاسن سيدى يوسف الفاسى، وهو مؤلف كتاب «مـرآة المحـاسن» وغيـره من الكتـب المفيدة. وقـد ترجم له صـاحـب الصفوة (2) ووصفه بأنه آخر علماء المغرب فى تحرير المسائل الغامضة، وايضاح الابحاث المشكلة، وذكر انه لما ورد تأليفـه المسمى «سهم الاصابة، فى حكم طابة» على فـاس وهو اذ ذاك بتطوان، تصفحه الامام ابن عاشر فقال سبحان الله، الناس يدورون على العلم، والعلم يدور على سيدى العربى الفاسى. وترجم له أيضا الكتانى فى سلوة الانفاس (3) ووصفـه بأوصاف عالية منها بحر العلم الزاخر، درة الزمان حفظا وفهما واتقانا، وحيد الدهر ذكاء وفطنة وايقانا، شيخ الاسلام وعالم الاعلام الخ.

وترجم له صاحب عناية أولي المجد (4) وصاحب نشر المثانى (5) والتقـاط الدرر، وبالجملة فان سيدى العربى الفاسى كان رحمه الله من اكابـر علمـاء المغرب فى عصره رحمه الله. وكانت ولادته بفاس سنة 988 وبها نشأ ودرس العلوم

1) صفوة من انتشر ص 152
2) صفوة من انتشر ص 71
3) سلوة الانفاس ج 2 ص 313.
4) عناية أولـي المجـد ص 29 .
5) نشر المثاني ج 1 ص 180.

وأقام بها مدة ثم تركها بسبب ما كان بها من الفتن والاهوال، وجال فى المغرب الى أن استقر بتطوان، والذى يظهر أنه كان اولا يتردد على مدينة تطوان من حين لآخر، وقد تقدم لنا أنه حضر جنازة الشيخ أبى الحسن الجعيدى المتوفي سنة 1032 وأنه رثاه فى تطوان بقصيدته التى أثبتنا نصها فيما سبق، ثم وجد بهذه المدينة ما يرضيه وما كان يبحث عنه من الامان والاطمئنان، فاختار الاقامة بها والاشتغال بالعلم والتأليف فيها. والذى يطالع نوازل الشيخ ابى فارس الزياتي التطواني وهو من أصهاره، يجد فيها من فتاوى المترجم وأنظاره وابحاثه الشيء الكثير .

وقد وجدت بخط العلامة الاديب الشيخ علي ابن الزبير (1) السجلماسى ان سيدى العربى الفاسي لما قرب من تطوان ولاحت له ديارها، أنشد قوله

انظر الى تطوان كالقرطاس بيضاء صافية (2) من الادناس

فذيله الفقيه أبو القاسم الفشتالى (3) بقوله

شرفت بساكنها الامام محمد نجل أبى الحجاج أعنى الفاسى

قال ابن الزبير، فكمل ذلك كاتبه ابن الزبير بقوله

بث العلوم بها فصارت عند ما أضحى بها، أضوى من النبراس
وتعطرت بنزوله وتتوجت كالغيث لما جاد غب إياس
يا طالبين علومه قد جاءكم حبر تقى طيب الانفاس
فعليكم بالاخذ عنه إنه اس يداوى علة الوسواس

ومما أنشده المترجم رحمه الله وهو بتطوان يحن الى مسقط رأسه مدينة فاس قوله (4)

وظمئان حران الجوانح من أسى يساق الى الورد الزلال فيأبى
ينكب عن عذب الفرات لانه يرى كل ما دون الرضاب سرابا
وأى بلاد غير فاس تروقه وقد شب فى أحضان فاس وشابا
يرى كل ترب غير تربتها قذى ويحسب ما فوق التراب ترابا

---

1) سبقت ترجمته قريبا وهو المتوفى سنة 1035
2) فى نسخة «سالمة» بدل صافية
3) هو الملقب بالغول وقد ترجم له القادرى في نشر المثاني (ج 1 ص 195. ووصفه بالعلامة القاضى وذكر انه تولى قضاء بلده وأخذ عنه جماعة من الائمة وتوفي سنة 1059 .
4) هذه الابيات موجودة في ابتهاج القلوب .

وقد ذكر المترجم رحمه الله في كتابه مرآة المحاسن (1) أن سكناه بمدينة تطوان كانت فى الدار المجاورة للزاوية الفاسية المشهورة بحومة العيون، ثم إنه ارتحل من تطوان كما ذكره فى كتابه المذكور، الا أنه عاد إليها وبقي مقيما بها الى أن توفي بها ضحوة يوم السبت رابع عشر ربيع الثاني سنة 1052 ودفن بها ثم بعد عامين نقل الى فاس ودفن بروضة أبيه خارج باب الفتوح رحم الله الجميع.

الفقيه أبو فارس عبد العزيز الزياتي 1055

كان الفقيه ابو فارس عبد العزيز بن الحسن الزياتي من سكان تطوان وعلمائها وبها توفى عام 1055. وقد ترجم له صاحب الصفوة بقوله (2) «ومنهم الفقيه الخير أبو فارس، عبد العزيز ابن ابى الطيب الزياتي. أخذ عن سيدى العربي الفاسي خاله والعارف ابى زيد ورحل لمراكش فأخذ بها عن ابى يوسف التملى وقرأ عليه القراءات العشر، ثم رحل للمشرق فأخذ في القراءات عن الشيخ سلطان المزاح وغيره كالاجهورى، وله تآليف فى القراءات، وشرح نظم الذكاة لخاله المذكور. وكان عظيم الزهد والورع، ومما يوجد بخطه من العزائم والدعوات واستخدام الجن فقد كان ذلك بسبب في اول أمره، وذلك أنه كان له مال حلال ببعض البلاد وانقطع عنه واعوزه الوصول اليه، فدل على ذلك فجربه اياما فرأى طائفة من الجن فقالوا له يا هذا أحرقتنا ولولا ان رجلا يقف على رأسك كلما أتينا من نعته كذا وكذا ـ يذكرون صفة الشيخ المجذوب ـ لاهلكناك بما أحرقتنا فرجع عن ذلك وزهد فيه وحسنت حاله جدا وتأبد على الدين المتين والمحجة البيضاء الى ان توفي رحمه الله بتطوان عام خمس وخمسين وألف.

وقبره بتطوان شهير يزار اهـ» ونقل ذلك ابن عجيبة فى كتابه «أزهار البستان» وزاد قوله «قلت» وهو «يعنى قبره» قريب من ضريح الولى الشهير سيدى طلحة نفعنا الله به امين. «قلت» وهذا القبر ما زال معروفا يزار حتى الآن

وترجم له القادرى فى نشر المثانى بقوله (3) ومنهم الفقيه الاستاذ العالم المشارك أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ سيدى الحسن الزياتى. كان صاحب الترجمة أستاذا مجودا مقرئا عالما محصلا نبيلا، وله كتاب فى النوازل والاحكام جمع فيه أنقالا جليلة من كلام العلماء وقفت على سفر منه بخطه، وكان سبطا

---

1) مرآة المحاسن ص 44
2) صفوة من انتشر ص 81
3) نشر المثانى ج 1 ص 185

للشيخ أبي المحاسن الفاسى ولد بنته توفي عام المترجمة (1055) بمدينـة تطوان ودفن خارج باب المقابر (1) وبنيت عليه قبة فله سلف وخؤوله فى العلم والصلاح رضي الله عنهم» .

وترجم له شيخنا الرهونى وذكر انـه كان إماما بجامع القصبة، وان له كتابا في النوازل والاحكام.

«قلت» كتاب النوازل هذا هو الذى ذكره القادرى فـى نشر المثاني وهـو مخطوط، وفي خزانتي «الداودية» بتطوان نسخة منه فى مجلد واحد يحتوى على نحو اربعمائة صفحة من الحجم الكبير، وقد ذكر فى أوله أن اسمه عبد العزيز ابن الحسن مهدى الزياتى، وأن اسم كتابه المذكور، هو «الجواهر المختارة، مما وقفت عليه من النوازل بجبل غمارة».

وقد وقفت فى بعض المجامع المخطوطة على رسالة كتبها المترجم لاخيه أبي عبد الله محمد الزياتي وهذا نصها :

«أخونا الارضى الاحب الاعز الاثير سيدى محمد حفظكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته، هذا والله يخير لكم ويختار لكـم ويفتح عليكـم من خزائنه الواسعة. والذى نوصيكم به، أن لا يكثر خوفكم واهتمامكم بالرزق ، فان ذلك من ضعف الايمان وسوء الظن بـالله تعلـى، لان الله تعلـى تكفل لجميع عباده ءادميين وغيرهم بالرزق فقال تعلى، وما مـن دابة فـي الارض الا على الله رزقها، وقال تعلى، وكأين من دابـة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكـم، وشأن العبد أن يكون بكلام سيده ومولاه واثقا. فان رأيتم الحال قد اشتد عليكم فأبشروا واعلموا أن الفرج قد قرب، فان الله تعلى قال فى كتابه العزيز، سيجعل الله بعد عسر يسرا، فما بعد الشدة الا الرخـاء ولا بعـد الضيق الا الفرج، هذه عادة الله سبحانه، وحاشاه ان يغير عادته، وأن يرجع فى ضمانه وكفالته. وها أنا أقيد لكم أدعية مختصرة قريبة للحفظ سهلة العمل، بعضها مروى عـن النبـي صلى الله عليه وسلم، وبعضها عن الصالحين، وهى تنفـع للخوف مـن الفقر، ومنها ما يصلح للامـان، ومنها ما به الخصلتان معا، لكن بشرط التزامها، وأن لا تتركها حضرا ولا سفرا. وها أنا أريك الاوقات التى تقرأ فيها هذه الادعيـة. فأول ما أوصيك به ان تلزم صلاة الفجر بألم نشرح في الركعة الاولى بعـد الفاتحـة . وفى الثانية بألم تر كيف فعل ربك بعد الفاتحة ايضا، ففيها أمان كثير من الاعداء قال الامام الغزالي رحمه الله مجرب لا شك فيـه. والتـزم أن تصلى على النبي

---

1) مقتضى مـا ذكـره الشيخ ابن عجيبة من أن قبره قريب من ضريح سيدى طلحة، أن مدفنه خارج باب النوادر، لا باب المقابر.

صلى الله عليه وسلم كل يوم في أى وقت تيسر لـك خمسمائة مرة، روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال، من صلى علي كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا، وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه، ودام سروره، واستجيب دعاؤه، وأعطى أملـه ، وأعين على عدوه، وعلى أسباب الخيـر، وكـان يرافق نبيه في الجنان الاعلى، واللفظ الذى تصلون به على النبي صلى الله عليه وسلم هو أن تقول «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على ابراهيـم، وبارك علـى محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

فان هذه الرواية هي التي صحح ابن العربي فـي أحكامـه رضي الله عنه. وقل بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب كل يوم ثلاث مرات، سبحان الله مـلء الارض والميزان ومنة العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش. فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم أن من قالها وسع الله له في رزقه، ونصـره على عـدوه، ووقاه ميتة السوء، ونسأله فى أجله، فشد يدك على هذا وثق بكـلام نبينا صلـى الله عليه وسلم تربح وتنل مرغوبك ان شاء الله. وقل بعد صلاة الصبـح والمغـرب أيضا ثلاث مرات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله، مـا شاء الله لا يصـرف السوء الا الله، ما شاء الله كل نعمة من الله، ما شاء الله لا حول ولا قـوة الا بالله، وعن بعض الصالحين أن من قالها كما قلنا أمن من الغرق والحـرق واللصـوص وسائر المؤذيات بحول الله وقوته. وقل دبر كل صلاة، سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قالها أطال الله عمره وأغناه عن خلقه. وهنا ءايات من القرآن العزيـز فيها فضل كثير تقرأها اذا حفظتها بعد الصبح وبعد المغرب أيضا، فقد جاء عن أنس بـن مالك رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ان مـن قالها فى ليل او نهار أمن فى تلك الليلة وفي ذلك اليوم من كل شيطان مارد، وحاسد مضر، وسلطان ظلوم، ومن كل لص وسبع ضار. وهي ءاية الكرسي، الله لا إله الا هو، الحي القيوم، الى قوله تعلى وهو العلى العظيم. وقولـه تعلى فـي سورة الاعراف، إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام الى المحسنين. وقوله تعلى والصافات صفا الى قوله من طين لازب. وقوله تعلى في سورة الرحمن سنفرغ لكم أيها الثقلان، الى قوله، فلا تنتصران. والتزم ان تقول فى كل يوم جمعة عند ما يقول المؤذن الاول من المؤذنين الذين يؤذنون والامـام على المنبـر، الله اكبر اللهم يا غني يا كريم، أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، سبعيـن مرة، وحـاول أن تكمل العدد بيـن أول الاذان وآخره، فاذا فرغت من الصلاة، اذكر المعقبات ثم قل هذا العدد ايضا سبعين مرة وأنت مستقبل القبلـة لا تكلم أحدا حتى تفرغ منه. قال الامام السنوسي رضي الله عنه إنه من الفوائد

المجربة لتوسيع الرزق الحلال. واقرأ قوله تعلى لقد جاءكم رسـول من انفسكم الى ءاخرها سبع مرات فى كل يوم بعد الصبح والمغرب، ففيها فضل كثير. جاء فى بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قالها لم يمت ذلك اليوم، وفى رواية لا يقتل ولا يضرب بحديدة، وإن من قالها ليلا فكذلك، وجاء عن بعض الصالحين أنه كان يقرأها وهو ابن سبعين سنة فبقي كذلك الى ان وصـل مائة وثلاثين سنة، ثم بعد ذلك رءا النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه فقال له الـى كم تهرب منا فترك قراءة الآية فمات رحمة الله عليه، والحاصل ان فضلها كثيـر لا يمكنني ان ارتكبه لضيق الوقت وضيق البطاقة، وأؤكد عليكم إن اردتم الاتصال بالكبريت الاحمـر، والاكسير الاشهر ان تقرأ الفاتحة كـل يوم مائة مرة وذلـك ان تقرأها بعد الصبح ثلاثين مرة، وبعد الظهـر خمسا وعشرين مـرة، وبعـد العصر عشرين مرة، وبعد المغرب خمس عشرة مرة، وبعد العشاء عشر مرات، فيحصل لك فى هذا العدد مائة، وقل بسم الله الرحمن الرحيم فى اول كل عودة وءامين في آخرها، فان من التزم ذلك نصره الله علـى أعدائـه، ووسـع له فى رزقه، وذكر الغزالي رحمه الله فضلا كثيرا لا يسعني كتبه، وحافظ على صـلاة الصبح والعشاء فى الجماعة، ولو اجتهدت لحفظت دعوة الواقعة وسورتها واتخذتها وردا لانتفعت ان شاء الله تعلى، وبالجملة حاول أن تعمل ما ذكرت لك والسلام اهـ.

ومن هذه الرسالة نعرف الاتجاه الفكـرى لهـذا الشيخ ومـن فى طبقته.

فلقد كانـت تلك الطبقـة تعيش محلقـة فى جو من التفكير في الدين والعبادة ونسبة الامور كلها الى رب الارباب، فهو سبحانه المعطي وهو المانع، وهو النافع الضار، وهو المرجع لكل طالب، والغاية لكل راغب، والملجأ لكل مضطر، يدعونه معتقدين أنه يجيب المضطر اذا دعاه، ويجتنبون نواهيه عالمين أنه عزيز ذو انتقام لا يفتر لسانهم عن ذكر الله ، ولا تغيب عن قلوبهم عظمته وجلاله، ومن كان كذلك قلما تصدر عنه معاص أو مخالفات ، وذلك هو الصراط المستقيم الذى لو سلكه الناس لقلت الخصومات ، والمصائب والويلات ، ولكن هل الناس كلهم يحبون العدل والانصاف . اللهم لا... وان التاريخ الحقيقـى هو الذى يسجل لنا حوادث الناس وأخبارهم، ويصور لنا معارف الاشخاص وأفكارهم، وكل حزب بما لديهم فرحون.

الاديب أبو عبد الله محمد المؤذن 1073

ذكر القادرى فى التقاط الدرر، أنه فى سنة 1073 مات بتطوان الاديب سيدى محمد المؤذن ، ولا أعرف من هو هذا الاديب ، ولم اقف على شيء من انتاجه الادبي رحمـــه الله .

الفقيه عبد الله الرثوث 1087

هذا السيد لم اقف على ترجمة كاملة له وانما ورد ذكره فى كتاب «الاعلام بمن غبر ، فى اهل القرن الحادى عشر» (1) وقد جاء فيه ما نصه : « وفي سنة 1087 توفى بالطاعون ، الفقيه الحاج أبو محمد عبد الله بن يوسف الرثوث التطاونى من تلامذة الشيخ أبى محمد عبد القادر الفاسى سمع عليه فى التفسير والحديث وغير ذلك » .

الفقيه محمد بن يحيى المذبوحى 1094

كان هذا السيد من العلماء المدرسين وقد أقام بتطوان مدة، وجاء عنه في كتاب «الاعلام بمن غبر، فى أهل القرن الحادى عشر» ما نصه: «وفى هذه السنة (يعنى سنة 1094) توفى الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد بن يحيى الشريف المذبوحى الجزائرى وكان يكره لقب مذبوحى ويلقبه أصحابه العالم، ولد بالجزائر وقرأ بها ثم استوطن تطاون مدة وكان يكاتب الشيخ عبد القادر (يعنى الفاسي) السنين ويسائله ثم لقيه فاستفاد منه وانتفع وسمع منه وتبرك به، وكان يعده ذخرا وكتابه حرزا على ما أخبر به فى مكاتبته وكان اذا قدم فاسا ينزل عند الشيخ عبد القادر، وكان يعظمه ويكرمه، وكان فقيها عالما أصوليا، وله معرفة بعلم الكلام ، وهو أول من قدم بالجوهرة وشرحها ، وقرأ بمصر ولقى كثيرا من المشرق، ثم رجع الى بلده الجزائر فتوفى بها رحمه الله .

الفقيه الاديب السيد علي الشودرى

كان الفقيه الاديب أبو الحسن علي بن محمد الشودرى من الفقهاء العدول بتطوان فى العقدين، الثامن ولتاسع من القرن الحادى عشر، وقد وقفت له على رجز فكاهى يشكو فيه حالة عدول عصره الى قاضيهم الفقيه ابي عبد الله محمد بن قريش وهذا نصه :

من مبلغ عنى الفقيه المرتضى	من قد غدا مقلدا أمر القضا
أميننا ذا العدل فى الاحكام	والرفق بالمسكين والايتام
أخبركم أن الشهود الكتبة	قد أصبحوا وكلهم ذو مسغبة
قد انتهى دهر المعاش وانقضى	وكل ما كان من خصب قد مضى

---

1) لمؤلفه أبى محمد عبد الله بن محمد الفاسي ، وهو مخطوط وقفت عليه في الخزانة السودية بفاس..

لا نستفيـــد درهـــا للنفقـــة — الا اذا نكتب بعـض الاصدقـة
أما رسوم الحكم والآجـال — والنسـخ والتوكيل والمقـال
فـان ذلـك جميعا قـد غبـر — ولـم يصر يصلنا سوى الخبر
فلو لنا مال تعاطينا السبب — ولا نبالي من قضي أو من كتب
وما لنا من حرفة فنحتـرف — ونقتفي سبيلها ولا نقف
فبعضنـا قد صار يفتل العزف — ويصنع الجراب منها والقفف
وبعضنا لما اعتراه من غبن — قد رام أن يبيع للناس اللبن
وآخر من العدول قد عزم — أن يحطب العود ويأتي بالحزم
وبعضهم قد رام بيع الجبن — وبعضهم قد رام بيع التبن
أما الذى له القوى والهمة — فانه بالفاس رام الخدمة
كذلك الاعوان قالوا كلهم — لم يجدوا فلسا وضاع أهلهم
فهذه حالتنا كما ترى — فكن بعينك الينا ناظرا
فأنت تدرى أن خالق العباد — سائلكم عن حالنا يوم التناد

وله أيضا يمدح الفقيه أبا العباس احمد الفاسى(I) وقد ورد من فاس على تطوان .

هنيئا حبا الرحمن من سكن الثغرا — بحبر يضاهي فى تفيضه البحرا
أتى به حظ من قرى فاس نحونا — فجاء الى تطوان يستعمل السيرا
فحق على من يعرف الحق منصفا — يواصل لله المحامد والشكرا
نجيب له وسم السيادة سيمة — وأورثه المجد المكانة والفخرا
ينظم من در البيان قلائدا — فقرط منها الاذن بل قلد النحرا
غدت نيرات العلم طوع يمينه — متى يدعها تقبل وتمتثل الامرا
يجود باملاء الغوامض مرشدا — فتحسبه الآذان قد نفث السحرا
لديك أبا العباس حطت ركابها — رفاق أتت تبغي الفوائد والاجرا
بنفسي سريا زانه العلم والتقى — اذا قال لم يسمعك فحشا ولا هجرا
فسبحان من أولاك منه مكارما — شرفت بها قدرا وفزت بها ذخرا
فما ان تزل فى حوطة الله دائما — عليك رداء مسبل يقتضى السترا
وبوئت من أعلى الفراديس جنة — تلقاك أنباء المهيمن بالبشرى

I) لعل أبا العباس هذا هو أحمد بن يوسف الفاسى المتوفى سنة 1145 وهو والد الفقيه أبي مدين الفاسي المتوفي سنة 1151 وكل من الوالد والولد توفي ودفن بتطوان.

وله أيضا في فتى جميل، وللادبـاء أمام الجمال الحسي والمعنوى مواقف يغفرها الله لهم .

ذهـب الـظـبـي الـذى تيمـنـى | فمـضـى القـلـب بـاثـر ظعـنـه
بـان عـنـي النـوم والصبـر مـعـا | واقتـفـى العقـل سبـيـل سنـنـه
ءاه مـن وجـدى وكـم بـى بـعـده | فـالـحشا غـاض بـهـوى محـنـه
ليـت شعـرى هـل أرى طلـعـتـه | فهـي عنـد الـروح أشهـى مننـه
ثـغـــر تـطـوان أراه مـقـفـرا | واعتـرتـه وحـشـة مـن حـزنـه
كـل مـــن كـان بـه مـن عـاشـق | ليـس يـدرى سـره مـن علـنـه
كـلـهم يـبـكـى بـدمـع هـاطـل | كـاد يمـضـى لبـه مـن شـجـنـه
إن تـطـل يـاظبـي عنـهـم غيـبـة | كـل شخـص ذاهـب عـن سكـنـه

وله فى ذلك ايضا غفر الله له :

يـــا أهـــل تطـــوان هنيئـا لكـــم | بمقـدم الخشـف الكحيـل العيـــون
مـــا أبهـــج الثـغـــر وأحـــوازه | اذ قيـل حـط رحـلـه بالعـيـــون
حـق لاهـل العشـق أن يبـذلـوا | بشـارة مـا عندهـم مـن مصـــون
اهتـز غصـن الـروض شوقـا لـه | وغـرد القمـرى فـوق الغصـــون
فلـو رأيـت الشمـس اذ أثـــرت | بخـده خشيـــت ريـــب المنـــون
ولسهـرت الليــــل فـى فكـــرة | تخـوض فـي النظـم جميـع الفنون

ولم أقف على تاريخ وفاة هذا الاديب، الا أني علمت أنه كان ما يزال على قيد الحياة عام 1078 رحمه الله.

العلامة الصالح سيدى الحاج علي بركة 1120

الشيخ سيدى الحاج علي بركة من أكابر الرجال الذين عاشوا بتطوان فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر. وقد تأخـرت وفاته الى الربع الاول من القرن الثانى عشر. وكان الشأن ـ على عادتنا ـ ان نؤخر ترجمته للفصل الذى عقدناه لتراجم رجال القرن الثانى عشر، الا أننا ءاثرنا اثبات ترجمته فى خاتمـة تراجم رجال القرن الحادى عشر، لان الربع الاخير من هذا القرن، هو الذى كان زمن قوته ونشاطه واكبابه على التحصيل والتعليم والارشاد والكتابة والتأليف، أما ما بعد ذلك، فقد صودم فيه بطغيان نال من كرامته، وغدر حد من نشاطه وهد من قوته ، ولعله انقطع اذ ذاك لعبادة ربه الـى ان انتقل الى رحمـة مولاه ورضوانه عليه رحمة الله .

والشيخ المترجم رحمه الله ، هو العالم المشارك، العامل الناصح، الولي الصالح، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بركة الاندلسى التطوانى، عالم تطوان وأديبها، وشيخها وصالحها رحمه الله .

أوصافه

وقد وصفه تلميذه شيخ المشائخ ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى (1) الفاسى بانه هو العلامة الناسك، العابد المنقطع الزاهد ، المنفرد بكثرة العبادة ، المتصف بصفات الورع والزهادة، الشيخ العظيم البركة ، الحاج الابر الاتقى أبو الحسن الخ (2) .

ووصفه تلميذه العالم الاديب ابو عبد الله محمد بن زاكور الفاسى، بالعلامة الفقيه الفاضل الوجيه المصقع المدره، الذى انار شمس الادب وبدره الخ (3) .

ووصفه أيضا بأنه فى الحقيقة زين تلك البلاد (يعنى تطوان) الذى أولاها من المحاسن الطارف والتلاد، حتى فاخرت مصانع بغداد (4)

ووصفه القادرى فى نشر المثانى (5) بالعالم العلامة الصالح البركة المشارك الدراكة ، وبانه كان من العلماء العاملين والصلحاء الكاملين الخ.

ومثل ذلك فى التقاط الدرر.

ووصفه القادرى أيضا فى مكان آخر (6) بالشيخ الشهير، العلامة الكبير ، الصوفى الخطير عالم تطوان الخ.

---

1) العلامة محمد بن عبد السلام بنانى، وصفه تلميذه الشيخ محمد بن الحسن بنانى محشى الزرقانى بقوله فيه انه : « شيخ الاسلام ، وعلامة الاعلام ، امام المحققين، ورئيس النظار المدققين، حائز قصبات السبق فى الفنون كلها ، متضلعا من فروع العلوم واصلها، مشتهرا بها شهرة نار على علم ، مرجوعا اليه فى حل المشكلات الحوالك الظلم، متصرفا تصرف افصح البلغاء باللسان والقلم الخ. ومن شيوخه الشيخ ابو على اليوسى وابو الحسن على بركة «المترجم» والشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى وغيرهم من علماء المشرق والمغرب. ومن تلاميذه المحشى بنانى والشيخ التاودى بن سودة والحافظ العراقى وابو العباس الهلالى والشيخ جسوس. وقد اقام بتطوان عدة سنوات ودرس فيها علوما وختم فيها كتبا عديدة، وله عدة تآليف منها شرح الاكتفا فى ستة أسفار، وكانت وفاته بفاس عام 1163 وبها دفن رحمه الله.

2) من فهرس العلامة محمد بن على الورزازى التطوانى

3) نشر ازاهر البستان ص 35

4) » » » ص 40

5) نشر المثانى ج 2 ص 104 .

6) » » ج 2 ص 84

ووصفه صاحب عناية أولى المجد (I) بالشيخ العلامة الصالح الحجة ابـى الحسن الخ ،

ووصفه تلميذه الاديب محمد بن الطيب العلمى فى كتابه الانيس المطرب (2) بعالم تطوان وامامها وبركتها، قطب رحاها ، وشمس ضحاهـا ، الشيـخ الامام ، العلامة الصالح الخ .

ووصفه فى محل آخر (3) بعالم تطوان الامام العلامة الاكبر، الورع الناسك البركـــة الـخ .

ووصفه ابن عجيبة فى(أزهار البستان) بالشيخ الصالح الولـى الناسـك الصوفى الصفى ، الفقيه العلامة الخ .

شيـوخـه

أما شيوخه فجماعـة، منهم بتطوان والده الشيخ محمد بن محمد بركـة كما فى الصفوة (4) .

ومنهم بفاس شيخ الاسلام سيدى عبد القادر الفاسى، وقد أجازه اجازة عامة.

ومنهم الشيخ العلامة أبو علي اليوسى .

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بـن عبد القادر الفاسى، وقـد أجازه ايضـا اجازة عامة .

وقرأ ايضا على الشيخ ابى سالم العياشى صاحب الرحلة العياشية المشهورة وقد اجازه ايضا بأسانيده المذكورة فى رسالته التى سماها «اقتفاء الاثر»

وقرأ بفاس ايضا على قاضى الجماعة بها سيدى العربى بردلة، وعلى الشيخ العلامة سيدى حمدون المزوار، وعلى الشيخ الصالح سيدى احمد ابن الحاج الخ.

وذكر القادرى فى نشر المثانى (5) ان المترجم رحمه الله صحب الشيخ العارف بالله سيدى احمد بن عبد الله معن، وانه اخذ الطريقة الناصرية عن مؤسسها الشيخ سيدى محمد بن ناصر، وانه بعد ان فرغ من الدراسـة بفاس، رجـع الى بلـده تطوان فدرس العلم بها واجاد وافاد، وانتفع به فيها الحاضر والباد، وكان له فيها صيت كبير ، وذكر شهير .

I) عناية أولى المجد ص 39
2) الانيـس المطـرب ص 293 .
3) » » ص 28
4) صفوة من انتشر ص 221
5) نشر المثانى ج 2 ص 104

تلاميــذه وعلـومـه

وقد قرأ عليه رحمه الله جماعة تخرج منهم علماء وادباء عرفنا منهم العلامة شيخ الشيوخ أبا عبد الله محمد بن عبد السلام بنانــى شارح الاكتفا، والزقاقية والشفا وغيرها، وقد ذكر رحمه الله فى فهرسته انه قرأ عليه الاربعين النوويــة، وبعــض صحيحى البخارى ومسلم والموطأ والشمائل، وزاد انه سمع منه الحديث المسلسل بالاولية، وأنه أجازه بسائر مروياته عن سائر أشياخه شرقا وغربا، وأنــه كتــب له بخطه مرتين، وأسمعه من انشاءاته وانشاداته ما يطول.

ومنهم العلامة الاديب ابو عبــد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسى مؤلف شرح ديوان الحماسة، ولامية العرب، وقلائد العقيان، والخزرجية، ونشر أزاهر البستان ، فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان ، وغير ذلــك . وقد قــرأ عليه صحيح البخارى ، ومختصر خليل ، وتحفة ابن عاصم، وجمع الجوامع بشــرح المحلــى ، وألفية ابن مالك وغير ذلك، ومما قرأه عليه هذان العالمان، تعرف العلوم التى كان سيدى بركة يحسنها، والكتب التى كان يدرسها رحمه الله.

ومنهم الاديــب أبو الحسن علي مندوصة الاندلسى الاديب التطوانى المترجم له فى الانيس المطرب، الذى ستأتى لنا ترجمته قريبا بحول الله .

ومنهم الاديب الشهير محمد بن الطيب العلمى مؤلف كتاب الانيس المطرب(1)

ومنهم الاديب أبو عبد الله محمد بن علي الرافعى الاندلسى التطوانى صاحب الديوان الشعرى، ومؤلف الرحلة الحجازية المسماة «المعارج المرقية» وغير ذلك .

ومن تلاميذه الذين أجازهم، الشيخ محمــد بــن محمد بن حمــدون بنانــى الفاسى شيخ أبى عبد الله محمد المنور التلمسانى.

شهرتــه واجازتــه للعالم الاديــب ابن زاكور الفاسى

اشتهر الشيخ سيدى الحاج على بركة رحمه الله بالعلم والعمل والصلاح ، وتعدت شهرته مدينة تطوان ونواحيها ــ كما رايت فى اوصافه رحمه الله حتى ان العالم الاديب الكبير صاحب التآليف الكثيرة المفيدة ، أبا عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسى قصد تطوان ، وقرأ عليه بها واستجازه بالرغــم مــن كـــون الشيوخ الذين قرأ عليهم الشيخ سيدى بركة بفاس كانوا لايزالون أحياء يرزقون(2)

---

1) الانيس المطرب ص 293

2) كانت وفاة شيخه ابى علي اليوسى سنة 1102. وشيخه ابى العباس ابن الحاج سنة 1109 . وشيخه محمد بن عبد القادر الفاسى سنة 1116. أما تاريخ هذه الاجازة فهو كما سترى عام 1094 .

مما يدل على ان شهرة المترجم رحمه الله بالعلم والصلاح كانت عظيمة، وقد قرأ عليه الاديب ابن زاكور علوما مختلفة واستجازه ـ كما قلنا ـ فاجازه رحمه الله اجازة تاريخية مطولة جليلة القدر، عظيمة الفائدة ، ذكر فيها سيدى بركة رحمه الله شيوخه ومقروءاته، ونحن نرى من الواجب هنا اثبات تلك الاجازة بنصها الكامل، لانها زيادة على ما ذكرنا تعطينا صورة من الانشاء الادبى العالى لسيدى بركة رحمه الله .

قال ابن زاكور فى كتابه نشر أزاهر البستان ، فيمن اجازنى بالجزائر وتطوان ما نصه (I) :

وقد أجازنى رضى الله عنه عندما نشقت أنفاس فاس . وعزمت على الرحيل من ذلك الكناس، بما لا يذكر معه الطباق ولا الجناس، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما .

أحمد الله الذى من أسند اليه أمره أعانه واجازه، ومن صمد اليه دهره نال منه مرامه وحازه، ومن استمسك بعروته الوثقى. سمك رباع مجده ورقى ، ومن انتسب الى علي جنابه، اكتسب شرفا وحظى بكريم مثابه ، ومن تخذه فى المهمات سندا، وجده فى جميع الملمات كافيا ابدا، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله، ونبيه وخليله ، المنزل عليه أحسن الحديث ، والمبجل بين الورى فى القديم والحديث ، الموصول بصلات موصولة ، والمعلول بهبات لا مقطوعة ولا مفصولة ، المرفوع قدره ونصابه ، والمشروع شرعه الفائض عبابه ، ثم على ءاله وأصحابه الذين ءانسوا أحواله وءاثاره، واقتبسوا أضواءه ، وأنواره ، واقتفوا سننه، وأنهوا الى من بعدهم سننه ، وورثوا من تراث علومه بالفرض والتعصيب ، وحدثوا بمشاهدهم معه من لم يظفر بحظ منها ولا نصيب ، ثم على التابعين لهم المهتدين ، الذين أصلوا لنا اصول الدين، ووصلوا الينا ما وضحت به المعالم للمسترشدين، صلاة وسلاما مترادفين الى يوم الدين .

وبعد فانه مذ من الله سبحانه علي بالانخراط فى سلك طلاب العلم، والارتباط بأسباب أرباب الادراك والفهم، لم نزل نتطفل على المولم منهم والآدب، وندخل عليهم فى محافل الموائد والمئادب، ونستبق الى التشبث بأذيال من حاز منهم قصب السبق فى الفنون أصنافا وجملا، ونرافق رفاق المجيبين الى دعوتهم غير مفرقين فى ذلك بين النقرى والجفلى. ونتشبه بهم معتقدين ان ليس فى ذلك جناح ومستندين الى قول من قال، التشبه بالكرام فلاح، حتى اتسمنا من سماتهم

I) نشر أزاهر البستان ص 54 طبع الجزائر سنة 1319

الرائقة بسمة، وتوسم فينا أنا منهم وان لم نحصل مما عندهم عند التأمل الصادق الا على مثل سمسمة، فصار من أظهر الله له سبحانه منا الجميل، وستر عنه ما وراء ذلك مما هو أخص أوصاف هذا العبد الحقير الذليل ، يأنس منا باللقاء والاجتماع، ويلتمس المقام معنا برسم الانتفاع والاستماع، فكان ممن جمع الله بيننا وبينه شمل الوصال، ونقع لنا به الاوام الحاصل بالفطام والفصال، من شب به زمان الادب بعد الهرم، وهب به أوان المجد والحسب وقد أشفى على العدم، الذى ركض فى مضامير البلاغة صافنات جياده، وعقد شذور البراعة على لبات هذا العصر وأجياده الجهبذ الاريب، المصقع الاديب، الثقف اللقن ، المتفنن المشارك المتقن ، الفقيه النبيه ، الزكى الوجيه ، ذو الفضل المعروف غير المنكور ، ابو عبد الله سيدى محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور، الفاسى منشئا ودارا، الادريسى محلة وجوارا ، اصلح الله مقاصده ، وانجح مساعيه ومراشده، فتذاكرنا معه بعض الفنون العبيقة النسيم، وادرنا صحبته كؤوس شرابها الممزوج بالرحيق والتسنيم، وتجارينا فى ميادين من العلوم، وتبارينا فى قراءة دواوين أرباب الفهوم، فمن أجلها الذى من أحرزه كان فى حلبات الفنون هو المجلى ، شرح جمع الجوامع للامام جلال الدين المحلى ، فأتينا على جملة من أوائله يقتنع بها ذو الجيد المعطال بما يحصل له بها من التحلى ، وحضر معنا جملة جميلة المسالك، من ألفية الامام أبى عبد الله جمال الدين بن مالك، وورد لدينا موارد يتنفع بها ذو الغلة والغليل ، من مختصر الامام ابى المودة الشيخ خليل، وشهد عندنا أماكن سنية سمية ، من التحفة العاصمية ، وجلس بحضرتنا مجالس يرتاح لها المستمع والقارى، لما تضمنته من قراءة الجامع الصحيح للامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، الى غير ذلك مما اصطحبه معنا واغتبق، واغتنمه من حرائرنا واعتنق، مما نسأل الله سبحانه ان ينفعنا به جميعا نفعا يفضى بنا الى السعادة ، ويؤدينا الى الفوز بالحسنى وزيادة، ثم انه لما شام على معاطفنا بريقا، وشم من مطارفنا عبيقا، حجا ان ذلك مطلعه ، وجعل ان ما بدا منه هو منبغه ومنبعه، فلما لوحنا له ان ذلك مقتبس من مطالعه الاصلية، وملتمس من مبازغه السنية العلية، مطالع شيوخنا منائر الاعصار، ومبازغ أعلامنا معاصر الامصار، وأشرنا له الى أنهم وشحوا جيدنا المعطل بحلى اجازاتهم، واباحوا لنا الرواية بما أخذنا عنهم وبغيره مما ينسب اليهم من حقائقهم ومجازاتهم، اشرأب حينئذ الى ان نوشحه بمثل ما وشحونا به من الاجازة،واستحب ان نبيح له ما اباحوا لنا من ان نروى عن كل واحد منهم حقيقته ومجازه، فاكبرت أنا هذا الامر الذى اقترحه منى غاية، وعددته اشد استحالة من الجمع بين الفراغ وعدم النهاية، علما منى بانى عن ذلك المرام بمعزل، وكونى فى الحضيض السافل ذا منزل، وجزما عندى بانى والله لم اصل الى ان أكون المجاز، فكيف بان أكون

مجيزا لغيرى ولو على سبيل المجاز ، وانما المناسب لحالى ان أكون ممن يعمر عجز مجلس طلبة العلم لا صدره، وان لا أزال مستحضرا قول القائل، عاش من عـرف قدره، وهو مع هذا كله لم ينثن عن وجهة الاقتراح، ولم يستبن منى وجه الابانة عن ذلك المطلب والانتزاح ، بل اخفى على كل ذلك مرط رغبتـه المنسوج على منـوال التأميل ، وأوفى لاجل تحصيل طلبته على شرف حسن الاعتقاد والظـن الجميـل ، فلما حصحص ان ليس لى عن تلبيته مندوحة، زورت فى نفسى ان آتى بالمعارض حسبما هى فى ذلك طريقة غير مرجوحة، ثم خشيت ان يكون ذلك غير مقنع لمن رامه، ولا منتفع به من طلبه وسامه، فازمعت ان أسلك فى ذلك بحول الله تعالـى طريقة مثلى، وامسك فى الابابة عما هنالك بعروة لا تنفصم ولا تبلى، وذلك بأن أذكر من قرأت عليه من أجلاء جلة الشيوخ. مع ما أخذت عنهم او سمعت عليهم على سبيل الثبوت والرسوخ، ثم انتقى ذكر لفظ بعضهم فى اجازتـه، ثم اطلـق ذلك على مفصل ذى الطلب منى على وجه يحصل منه ان شاء الله على بغيته وارادته ، وعسى ان يكون هذا الوجه لا يرهقنى من امرى عسرا، ولا يلحقنى فى الدين والدنيا مساءة ولا ضيرا، فأقول والله سبحانه المستعان، وعليه التكلان، ان اجمل من امتلات لنا منه العينان، واخذت بحجرته منا اليدان، من الافصاح بترجمته مغن عن الاطناب فى تحليته، اذ كان شمس ضحى هذه الاعصار، وقطب رحى المكـــارم بالمدائـــن والامصار، الشيخ الامام، علم الاعلام، المحيى من امر دين الله ما كان فى حيز الاهمال والشاسى، شيخنا وسيدنا وسندنا عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسى، قدس الله روحه ، وانس مهجته وضريحه ،فاخذنا عليه فى علم الكلام، المقدمـات للشيخ السنوسى وصغراه وشرحها له كل ذلك على التمام، وفى الفقه جملة يشفى بها الغليل، من مختصر الشيخ خليل، وفى الحديث المضاف الى من فضلـه البـارى ، شمائل الترمذى كلها واماكن من صحيح البخارى، وسمعنا عليه مواضع من تفسير الكتاب المبين، ومحال من كتاب حجة الاسلام احياء علوم الدين، وقرأت عليه بنفسى مع من حضر من ابناء جنسى، الاربعين حديثا للامام محيى الدين النواوى، الـى غير ذلك مما كنت آرز لاجله الى حضرته العلية وءاوى.

ثم أجازلى بعد ذلك فى كل مقروء له ومسموع، ومنسوب اليه ومجموع، وهو رضى الله عنه ورحمه يروى كل ذلك باسانيده المتصلة الى ارباب تلك المؤلفات ، ورواياته الموصولة باصحاب تلك المصنفات، عمن لا يحصـى مـن مشائـخ الاسـلام، ومصابيح الانام ، حسبما رسم ذلك فى اجابة الاستدعاء الذى ورد عليه مـن علمـاء المشرق ووسم كلا منهم بما يبهر العقول من وصفهم المستنير المشرق ، جعلنـــا الله سبحانه من المعقودين فى سماطهم، غير المفقودين من محلهم وبساطهم.

ثم ان ممن اكمل الله سبحانه به علينا المرام، واجمل لنا به بحضرته المقام، نبراس الايناس، ومنار اهل المغرب خصوصا أهل فاس، المتبحر فى حقائق العلوم، والمستأثر بدقائق الفهوم، العالم المحقق النحرير، الماهر المدقق ذا البحث والتحرير، نجل الشيخ المذكور أولا ملاذ الوارد والصادر، شيخنا ومفيدنا ابا عبد الله سيدى محمد بن عبد القادر، ابقاه الله سبحانه للافادة، ورقاه فى أوج الكرامة والمجادة، فلقد لازمته جملة صالحة من السنين، وشددت على الاجتماع به يد الضنين، وجمعت من مجامعه جوامع العلوم، واستطلعت من قواميس بحوره نفائس الفهوم، فاخذت عنه فى علوم العربية السامية السنام، ألفية ابن مالك مرارا ولاميته مرتين، وتوضيح العلامة ابن هشام، وفى المنطق السلم وشرحه لمؤلفه مع البيان والايضاح، وفى علم البيان جملة من تلخيص المفتاح، وفى فن الاصول ذى القواعد القواطع، طرفا من متن جمع الجوامع، وشرحه للجلال المحلى مع الابانة عما فيه من الموارد والمنازع، وفى التوحيد صغرى الشيخ ابى عبد الله السنوسى، وفى الفقه قطعة من رسالة ابن ابى زيد القيروانى.

وسمعت عليه صحيح البخارى مرتين، وكتاب الشفا للقاضى عياض بلا ريب ولا مين، الى غير ذلك مما كنت اختلف اليه فيه من المسائل، وافادنيه مكاتبة ومشافهة مما يتعلق بالمقاصد والوسائل، مما لست الآن بمحصيه، ولا مستحضره فاستقصيه، نفعنى الله واياه بجميع ذلك، ونهج بنا جميعا أقوم المسالك، ثم منحنى بعد ذلك اجازته العامة المطلقة، وأباح لى الرواية عنه بالامور البينة المحققة، جازاه الله سبحانه على ذلك احسن الجزاء، وكان له فى الدارين وحقق له البغية والرجاء.

ثم انه لما اراد سبحانه ان يتوجنا بتاج المعالم العلمية، ويروجنا برواج المكارم البهية السنية، ألقينا الى من ألقت اليه العلوم القياد، وانجابت عنه سحب شموسها بما خرج عن محل الاعتياد، البحر الزاخر، والحبر الذى يفخر به هذا العصر الآخر، مالك ملاك العلوم، وسامك سماه ذى المنثور والمنظوم، محط رحال ارباب المنقول والمعقول، ومناط همم اصحاب الادراكات والعقول، الذى اذا قال فيه القائل ان الزمان بمثله لبخيل، يحق ان يقال له ما اصدقه من قيل، الهمام الذى لا يدع من جمعه الله به ان يقول، الحمد لله الذى أذهب عنى بهذا السيد عناى وبوسى، الشيخ الامام ابو على سيدنا الحسن بن مسعود اليوسى، اسمى الله سبحانه مكانته وادام كرامته، فانى قد استمسكت بغرزه مدة مديدة، وانبطت من ينابع علومه عيونا سليلة الجرية حديدة، وتمتعت به فى الحضر والسفر، ورجعت من عنده بفضل الله تعلى بتمام الفلاح والظفر، فاخذت عنه رضى الله عنه وكان له وبلغه من خير الدارين أمله، فى الفقه مختصر الشيخ خليل، مرتين بقراءة متوسطة بين التقصير والتطويل، وفي الاصول، جمع الجوامع مرتين على وجه محرر الفصول

وفى علم المنطق والميزان، مختصر الشيخ السنوسى والجمل للخونجى بتحرير وتبيان ، وفى علم الكلام والتوحيد، صغرى الشيخ السنوسى وكبراه عمدة أهل التوفيق والتسديد، وفى علم العربية جملة صالحة من التسهيل، وشيئا من ألفية ابن مالك ولكنه قليل، وفى علم البيان والمعانى، الشرح المختصر على التلخيص لسعد الدين التفتزانى.

وقرأت عليه بنفسى قراءة اتقان وايضاح، متن تلخيص المفتاح، وسمعت عليه أيضا فى فن الاصول المهذب المذاهب، نحو النصف من مختصر ابن الحاجب، وسمعت عليه فى الحديث النبوى اماكن من صحيح البخارى ، وجميع شمائل الترمذى.

وسمعت عليه فى بعض ايام المولد الذى يزرى نسيمه بنسيم الرياض، كتاب الشفا للقاضى ابى الفضل عياض.

واخذت عليه فى السير المعرفة باحوال المصطفى ، كتاب الامام الكلاعى المسمى بالاكتفا، الى غير ذلك مما لم يحضرنى الآن مما كنا استفدناه فى ذلك الزمان، الذى كان والله مورق الاغصان، مونق الافنان، مؤتلق اللمعان :

زمن مضى وكانه برق تألق بالحمى
يا ليته لو دام لى فأعد ذلك موسما

نسأل الله سبحانه ان يجمعنا جمعا لا يعقبه عنا، وان ينفعنا بما علمناه نفعا نكتسب به من خزائن الله تعالى الدائمة غاية الغنى .

ثم انه ممن حصل لنا بالاجتماع به اتصال باهل الدرجة العليا، ومنال ممن لهم همم منوطة بالثريا، الامام الهمام، المرحوم برحمة الله الملك العلام، المحدث الراوية العلامة ، المشارك المتفنن الفهامة ، صاحب التآليف المفيدة، والتصانيف المستقيمة السديدة، أوحد أهل زمانه أدبا ودراية، وأجدهم سببا ورواية، الذى استنار بانوار اهل المشرق ، واستأثر بخواص اهل المغرب فنال من غربهم المغدق، شيخنا الجابر لما كان من ءاثار السلف من قبيل المتروك والمتلاشى، أبو سالم سيدى عبد الله بن ابى عبد الله سيدى محمد بن ابى بكر العياشى، أسبل الله عليه شئابيب الرحمة والغفران، وارسل عليه يعابيب الرأفة والرضوان، فاخذت عنه الاربعين النووية، والوظيفة الزروقية، ثم اجاز لى على الاطلاق، واباح لى الراوية والتحدث عنه مع رعى حسن الاتساق، قائلا رحمه الله بعد كلام هو فيما كتبه لى مسطر، وكل ذلك باسانيدى المذكورة فى رسالتنا اقتفاء الاثر.

ثم ذكر لى سند المأخوذين المذكورين المتقدمين فقال ، اما الوظيفة فأرويها عن والدى رحمه الله عن سيدى احمد اذفال عن الشيخ بركات بن محمد الحطاب عن

والده عن الشيخ زروق رضى الله عنه، وارويها ايضا عن سيدى ابى العباس خديم ضريح الشيخ زروق عن سيدى محمد بن غلبون عن سيدى ابى زعامة خديم الشيخ رضى الله عنه.

واما الاربعون فعن الشيخ ابراهيم الخيارى عن والده الشيخ عبد الرحمن عن الرملى عن زكرياء عن ابن حجر بسنده ا هـ ومن خطه رحمه الله نقلت وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادى الى سواء الطريق.

وممن كنا قرأنا عليه جملا من الفنون، واستمطرنا معه ودقها الصيب الهتون، الفقيه النظار العلامة، النبيه الدراكة الفهامة، قاضى الجماعة بحضرة فاس حرسها الله ونواحيها . ومتولى ما يرد من الاحكام الشرعية بقاصيها ودانيها، ذو الاخلاق الحسنة ، والاعراق الطيبة المستحسنة ، الحائز من سيب العلوم كثره وقله شيخنا ابو عبد الله سيدى العربى بردلة ، سدده الله وأيده، وأمده بعونه وأدام عليه مدده، فقرأنا مختصر الشيخ خليل مرتين او ثلاث مرات، وغير ذلك من فنون مختلفات، وروايته عن شيوخ اهل فاس، المستطير نورهم بين الناس، وخصوصا شيخنا السابق الذكر، سيدى عبد القادر الجليل القدر، ومن شيوخه الاعلام، شيخ الاسلام، الذى طار به طائر الاشتهار فى الفقه وانار ءاثاره، الامام ابو عبد الله سيدى محمد ميارة، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه رأفته ووالى.

وقرأنا أيضا بتلكم الحضرة العلية، النيرة الفاسية على شيخ المعقول فى زمانه، ومصباح العلوم العقلية فى وقته وأوانه، العلامة المحصل، المشارك المتأصل الصيب المدرار، شيخنا سيدى حمدون المزوار، رحمه الله تعالى ما توالى الاصيل والابكار، مختصر السعد التفتزانى، وجملة من متن التخليص فى علم المعانى، وسمعنا عليه شيئا يسيرا من مختصر الشيخ خليل، والله سبحانه ينفعنا بالكثير من ذلك والقليل .

وممن قرأنا عليه ايضا قراءة يسيرة، ذو الشمائل الرائقة العطيرة، احد البصراء والنقاد، ذو الذهن الوقاد، الفقيه اللوذعى، النبيه الالمعى، المحرز قصب السبق فى جميع الفنون، والفائز بالحظ الوافر من سائر المتون، الحائز لدرجة الظهور لدى المناظرة والتحاج ، شيخنا ابو العباس سيدى احمد بن الحاج ، اصلح الله احواله، وانجح مقاصده وآماله، فسمعت عليه جملة من رسالة ابن ابى زيد القيروانى، واشياء يسيرة من الالفية الصحيحة المبانى، وسنده فى ذلك كله كسند قاضى الجماعة المتقدم الذكر، وروايتهما معا عن الشيوخ الفاسيين ليس فيها مدفع ولا نكر، والله سبحانه يتولى هدانا اجمعين، ويجعلنا من السالكين المنهج الاقوم المتبعين .

هذا وانه حيث تم ما أردت ايراده فى هذا المكتوب، واتيت فيه على ما فيه بحول الله الكفاية لطالبه والمطلوب، أوفى بانجاز ما وعدت به فيما مضى، وأتحف من كان له الاقتضاء لذلك بحسن القضا، فاقول له كما قال لى شيخى وسندى، ومعتمدى ومستندى، موئل الاكابر والاصاغر، سيدى محمد بن عبد القادر، وها أنا قد ساعفته على ما طلب من الاجازة، واذنت له أن يحدث عنى ويروى ويملى، وأجزته فيما قرأه وفى غيره مما أرويه قراءة او اجازة ان صحت الرواية عن مثلى

ثم اختم بما ختم لى اجازته، وتمم لى به منحته وجائزته، وانشد ائتساء به اذ قال ومن خطه نقلت فلا تكن متشككا، وانشد ما أنشده غير واحد من المشائخ متبركا :

أجزتكم مروينا مطلقا وما لنا ، سائلا ان تتحفوا بدعاء

وكتب العبد الفقير الى رحمة ربه، عبد الله سبحانه علي بن محمد بركة الاندلسى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ءامين.

فى الرابع عشر من شعبان المبارك من سنة اربع وتسعين والف عرفنا الله خيرها وخير ما بعدها ءامين ، انتهت.

ويظهر لنا والله اعلم، ان سيدى بركة رحمه الله لم يستوعب فى هذه الاجازة ذكر جميع شيوخه، وانما اقتصر على مشاهير اشياخه بفاس وخصوصا من لهم رواية منهم، لانهم كانوا عمدته فى العلوم، اذ يبعد كل البعد أن يكون قد ارتحل لطلب العلم بفاس دون ان يدرس على شيوخ بلدة تطوان ولو مبادىء العلوم والضروريات منها، ولعل اشياخه التطوانيين كانوا من صنف العلماء الذين يصرفون عنايتهم الكبرى لناحية الدراية فقط، ولم يكونوا من الذين يعتنون بالرواية والاسناد فتذكر اسانيدهم ورواياتهم فى الاجازات والله اعلم.

وايضا قد تقدم لنا ان تلميذه العلامة ابا عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى ذكر انه اجازه عن اشياخه شرقا وغربا، مما يفهم منه انه كان له رحمه الله اشياخ من المشرق والمغرب، لا من خصوص مدينة فاس، وقد رأيت ان اجازته لابن زاكور لم يذكر فيها احدا من الشرقيين.

ومن عرف حرص سيدى بركة رحمه الله على العلم والمعرفة والاتصال بالعلماء والادباء والشيوخ للافادة والاستفادة، يستبعد جدا ان لا يكون له أشياخ بالمشرق وقد رحل اليه لحج بيت الله الحرام والله أعلم .

تـآلـيـفــه

ذكر صاحب الصفـوة (I) ان للشيخ بركة رحمه الله حاشية علي المكودى ، وشرحا على الاجرومية، وغير ذلك، أما حاشيته على المكودى فليست حاشية بالمعنى الكامل وانما هى مجموعة طرر وحواشى كتبها على مواضع متفرقة من شرح الشيخ المكودى لالفية ابن مالك وقد جمعها احد تلاميذه (2) كما جاء فى مقدمتها وقد ذكر جامعها ان سيدى بركة رحمه الله كتبها بهوامش الشرح المذكور فجمعها هو لينتفع بها هو وينتفع بها غيره الخ. وفى خزانتى «الداودية» بتطوان من هذه الحاشيــة نسخة مخطوطة فيما يقرب من خمسين صفحة متوسطة الحجم .

وأما شرحه للاجرومية فهو مطول وفى الخزانة المذكورة منه نسخة مخطوطة فى نحو أربعمائة صفحة .

وزاد أبو العباس ابن عجيبة فى كتابه أزهــار البستان، ان لــه حاشيــة على شرح أبى الحسن على الرسالة ، ومنظومــة فى الفقه وكتابا كبيرا ألفــه فى الفقه وجلــه احــاديــث .

وله أيضا تويلف فى مناسك الحج، وفى الخزانة المذكورة منه أيضا نسخة خطية فى نحو خمس عشرة صفحة.

وقال القادرى فى نشر المثانى(3) انه يذكر انه شرح تأليف الشيخ ابن ناصر فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الخزانة المذكورة ايضا مجموع كبير بخط قاضــى تطــوان فــى القــرن الماضى الشريف العلامــة سيدى المامون بن النادى افيلال وفيه اسئلــة واجوبــة وتقاييد علمية كثيرة فى مسائل مختلفة ، وجل ذلك منقول من خط الشيخ بركة، والكثير منه له رحمه الله.

وقد وقفت له رحمه الله بتطوان على كتابه المسمى «الدرر الخطب، فيما يخاطب به الانسان، من الاسلام والايمان والاحسان»(4)وهو تأليف قيم فى نحو مائة وخمسين صفحة أثبت فى أوله الحديث المشهور المروى عن سيدنا عمر فى الاسلام والايمان والاحسان ، وجعله مدار التكليف والطلب ، ثم تكلم على الايمان وحصــل عقيــدة التوحيد وعلم الكلام.

I) صفوة من انتشر ص 22I

2) تلميــذه المذكــور هو الفقيه ابو العباس احمد السرايرى التطوانى المتوفى سنة 1156 وله ترجمة فى نشر المثانى للقادرى (ج 2 ص 168) .

3) نشر المثانى ج 2 ص 104

4) ثم أطلعنى صديقنا العلامة المحقق الاستاذ محمد المنونى على نسخة جيدة منه نسخت عام 1132 هـ.

ثم تكلم على الاسلام فبين العبادات ، من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وكل ذلك بتفصيل وتحصيل.

ثم تكلم بالاجمال على الذكاة والجهاد والنكاح الخ .

ثم تكلم على التوبة وانواع المحرمات واصول الحلال الخ .

ثم تكلم على الاحسان ، وبه ختم الكتاب ، وقد ذكر فى آخره انه فرغ من تأليفه فى اواخر ذى القعدة الحرام سنة 1112 ـ اى قبل وفاته بنحو ثمان سنين ـ

وهذا الكتاب من أحسن ما ألف فى الموضوع، عباراته واضحة مفهومة، وفصوله جامعة، ومسائله محققة، وحبذا لو طبع ونشر فينتفع به الناس انتفاعا عظيما. وقد أثبت رحمه الله فى آخر هذا الكتاب نصيحة تعرف منها عقيدته ومذهبه واتجاهه ، ونرى من الفائدة اثبات هذه النصيحة هنا لما فيها من روح الاخلاص.

قال رحمه الله وجزاه خير الجزاء ما نصه :

« واعلم ان اصل كل خير وفضيلة، اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الافعال والاقوال، والاخلاق والاحوال، فالخير كله فى الاتباع، والشر كله فى الابتداع، ويقال ، ثلاث كلمات لو كتبت فى ظفر لوسعهن وقد جمعت الخير كله، وهي اتضع ولا ترتفع، واتبع ولا تبتدع، ومن ورع لم يتسع. وروح الاعمال كلها بوجود سر الاخلاص فيها، فمن أخلص فى عمله تخلص، وكل ما أريد به وجه الله تعلى فهو المقبول المرضى ، وما أريد به ما سواه فهو المردود الردى ، فانما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، والنية الصحيحة المعتبرة شرعا تتضمن الاخلاص ، قال الله تعلى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، وهى إكسير الاعمال وكيمياؤها فبحسبها تزكو وتنمو ، وبتصحيحها وتخليصها تطيب وتسمو، ومن وحد الله سبحانه حق التوحيد، لم يلتفت الى المخلوقات والعبيد، فاحب ايها العبد مولاك، وفر من حب ما سواه ، فليس للعبد سوى مولاه ، الذى خلقه وسواه ، وعلم متقلبه ومثواه وانما هلاك العبد بحب العاجلة، وايثارها على الآجلة فمن غلبه هواه على ذلك، فسبيله صدق اللجا والاضطرار الى الالاه المالك، واليأس من منافع هذا العرض الزائل الهالك. ولا يتم للعبد حب الله سبحانه الا بحب رسوله، وسلوك نهجه وسبيله ثم حب ءاله واصحابه، وأشياعه وأحزابه، واعتقاد فضيلتهم واحترامهم وتوليتهم والثبوت على عقيدة اهل السنة والجماعة المرضية، المعولين على الامام ابى الحسن الاشعرى ذى العقائد السنية ، والعمل على مذهب امام دار الهجرة السنية. مالك ابن أنس رضى الله عنه صاحب الطرائق السمية، والسلوك على طريقة السادات الصوفية، السالكين على منهاج الامام ابى القاسم الجنيد ذى الاحوال الزكية ، مع مراعاة تعظيم غير هؤلاء من أئمة الدين، واعلام المسلمين، واعتقاد امامة من صفا مذهبه من كدر المبتدعين، واتصف بكونه لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من المتبعين، ويعينه

على ذلك صحبة العلماء العاملين، والاولياء والعارفين، والنصحاء الصالحين، الدالين على الله ، والذين اذا رأوا ذكر الله ، من الله سبحانه علينا بالاتصال بهم، وعمر قلوبنا بحبهم، وجعلنا من اهل بساطهم وحزبهم ووفقنا لما يحبه ويرضاه، ورزقنا المعونة على سلوك طريق هداه، وختم لنا بالحسنى ، واكرمنا بالثواء الابدى فى المقام الاسنى، بجاه نبيه ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وصحبه وازواجه وكل من والاه، صلاة وسلاما دائمين بدوام ملك الله والحمد لله رب العالمين» .

حرصه على نشر العلم والفضيلة

كان الشيخ سيدى على بركة رحمه الله بالرغم من غزارة علمه ومشاركته فى أصول العلوم وفروعها ، رجلا متواضعا كثير الكتابة للشيوخ والعلماء والسؤال لهم تارة عما يشكل عليه من المسائل العلمية ، وتارة عما يريد تحريره من الفوائد لينشر ويستفيد منه الناس، وقد وقفت على اسئلة منه لشيخه سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى مع اجوبتها، واسئلة اخرى منه لرفيقه فى طلب العلم الفقيه العدل ابى عبد الله محمد الحريشى الفاسى مع اجوبته عنها وتعليقات عليها لشيخه سيدى محمد الفاسى .

ووقفت لدى صديقنا العلامة سيدى العابد الفاسى (1) على كتاب اسمه «التماس البركة، فى اجوبة العالم الحبر سيدى الحاج على بركة» لمؤلفه الشريف العلامة سيدى عبد السلام بن الطيب القادرى المتوفى سنة 1110 وأوله، الحمد لله حمدا محفوفا بكل بركة، الى ان قال ، وبعد فقد ورد علينا من أخينا المرافق لنا فى القراءة العلمية ، ذى الاخلاق الطيبة والشيم المرضية، الفقيه العلامة، المدرس الفهامة الحافظ الارضى ، المشارك الادرى، فاضل عصره، وواحد مصره، ابى الحسن سيدى الحاج على بن محمد بركة ، عمنا الله واياه بكل خير وبركة، سؤال يتضمن خمس مسائل .

الاولى عن قوله صلى الله عليه وسلم، وضع ربى يده بين كتفى فوجدت برد أنامل يده ما بين ثديى، هل ثبت وعليه فما تأويله .

الثانية قوله صلى الله عليه وسلم، حجوا هذا البيت قبل ان تنبت فى البادية شجرة فلا تأكل منها دابة الا نافقت. هل هذا لفظه وما المراد به.

---

1) فى احدى زياراتى العلمية لفاس أوائل سنة 1368

الثالثة قيل أنه ثبت عن سيدى عبد الكريم المراكشى أنه قرىء بين يديه خبر حب الدنيا رأس كل خطيئة، فقال لاصحابه، وانا اقول لكم، حب الآخرة رأس كل خطيئة فبلغ ذلك شيخ المشائخ سيدى عبد الله الغزوانى فقال وأنا اقول لكم حب الله رأس كل خطيئة ما محمل هذا الكلام على ثبوته، سيما الاخير من مثل ذلك الشيخ، وما وجه زيادة الشيخين المذكورين على ما فى الخبر .

الرابعة قول ابى زيد البسطامى رضى الله عنه، كنت من الزاهدين فى الله، ما معنى هذا الزهد الذى اشار اليه .

الخامسة قول بعض العارفين، منذ عرفت ما دخل قلبى حق ولا باطل ، ما معناه اه.

وهو يطلب الجواب ... الخ. ثم ساق القادرى أجوبته عن تلك الاسئلة فى نحو الكراسة ونصف رحم الله الجميع (1) .

وذكر ابو عبد الله الرافعى التطوانى فى رحلته الشرقية، انه لما كان بمصر، اطلع فيها على أسئلة بعثها الشيخ سيدى بركة الى علمائها، وقد اجاب عنها الشيخ الزرقانى ، وحكى الرافعى المذكور ان الشيخ ابراهيم الشاوى لم يرتض ذلك من الشيخ سيدى بركة لانه كان يرى ان ذلك العمل يوهم ان العلم قد فقد من المغرب .

ونحن نرى ان لكل من النظرين وجهة، الا ان عمل الشيخ سيدى بركة الرجل العالم المتواضع الذى يريد تعميم العلم ويعمل لشغل الناس به دون غيره يبرر بان المراد به الدلالة على ان بالمغرب رجالا يبحثون عن العلم حيث كان ويريدون ان يعرفوا اراء العلماء المعاصرين فى جميع الاقطار الاسلامية . وقد يستحسن عمل الشيخ سيدى بركة رحمه الله اذا لوحظ فيه انه، أولا يجعل بين علماء الاسلام اتصالا فكريا وعلميا لا شك انه يكون له اثر نافع من الناحيتين العلمية والاجتماعية، وثانيا يجعل للمسائل العلمية سوقا رائجة فى مختلف الاقطار والاوساط، بدلا من بقائها منزوية فى مجالس العلماء، منكمشة فى الحلقات المدرسية .

---

(1) ان شئت فانظر فيما يأتى قريبا الرسالة التى كتبها المترجم الى نفس العلامة الشريف سيدى عبد السلام بن الطيب القادرى، فهى نموذج من رسائله العلمية رحمه الله .

وقد كان الشيخ بركة رحمه الله زيادة على دروسه العلمية العالية لخـواص الطلبة ، كثير الافادة للعوام، يعلمهم الواجبات الدينية والاجتماعية، ويفتى لهم فيما يعرض لهم من مسائل العبادات ، ويرشدهم على منبر جامعه ومن فـوق كرسـى وعظه، ويربى الخواص والعوام معا باخلاقه واعماله وتواضعه وعزة نفسه رحمه الله

وكان رحمه ـ خلافا لما شاع وذاع اخيرا فى مختلف أوساطنا وطبقاتنـا ـ كثير التعظيم للصالحين والزيارة لهم. وقد ذكـر العلامة الاديـب سيدى سليمان الحوات فى تأليف له فى أولاد الدريج التطوانيين والفاسيين، ان سيدى بركة رحمه الله كان ملتزما فى كل يوم خميس زيارة ضريح جدهم الولى الصالح سيدى طلحة الدريج المدفون خارج باب النوادر من تطوان، وانه كان يخرج الى ضريحه فى كل مهم ويستسقي به الخ.

وذكر صاحب الصفوة (I) ان سيدى بركة رحمه الله كان رجلا صالحا كثير المحاسبة لنفسه ، لا يملك عينه اذا قرأ القرآن، وربمـا تساقط من فوق المنبـر يـوم الجمعـة .

جـامعـه

وكان للشيخ بركة رحمه الله مسجد جامع يؤم فيه بالناس ويدرس فيه العلم ويخطب على منبره ويعظ على كرسيـه. وهذا المسجد هـو المعروف اليوم بجامع السوق الفوقى، وكان اسمه قديما مسجد سيدى بركة كما وقفت عليه فـى عدد من الرسوم الشرعية التى بالحوالة القديمة للمسجد المذكور.

اعتناؤه بالامداح النبوية

ومن خط الفقيه ابى عبد الله محمد الهاشمى بن محمد اسكلنط الرباطـى نقلا عن خط العلامة ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكى الفاسى ما نصه :

« الحمد لله الذى جعل مدح المومن لرسوله الاعظم، ونشره لمحاسن جنابه الافخم، من اقوى الاسباب لتنمية محبته فى قلـوب المادح وقلوب سامعيه، منشئا كان المادح أو حاكيا، وألحـق الحاكـى بالمنشيء حيـث كان لما يقوله مستحسنا وبمضمونه راضيا، فيدخل بذلك فى عداد اهل خدمته، ويحسب من جملة المعرفين يعلى قدره وعظيم حرمته، وينخرط فى سلك المهيجيـن للاشـواق الـى حضرته

I) صفوة من انتشر ص 22I

والجالبين وحشي القلوب الى التأنس بلذيذ معرفته... الى أن قال : ومن كان بهذا الوصف فانه يحق على كل محب للنبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه واكرامه، ويجب عليه بمقتضى المحبة توقيره واحترامه ، فان من اعظم محبته صلى الله عليه وسلم، محبة من يحبب فيه ويجذب القلوب اليه ، وقد أدركنا من قام بهذا الوظيف وادى ما عليه منه الشيخ الامام القدوة الهمام ، ذا العلم المتين والمعرفة سيدى الحاج على بركة رضى الله تعلى عنه وارضاه ، وجعل الجنة قراره ومأواه، فلقد أحيى سنة أكيدة، وصرف الى اظهارها اعتناءه وتأكيده ، حتى انتفع بذلك عدد وافر من المسلمين ، واستنارت بسببه بصائر طوائف كثيرة من المومنين ، فجزاه الله على ذلك خيرا ، وجعله له يوم لقائه نورا وذخرا، ونحن مقتفون فى ذلك بحسب الطاقة اثره، ومقتدون فيما اسسه من ذلك وقرره.. الى أن قال فى آخره وكتب عبد ربه واحوج عبيده الى عفوه، محمد بن عبد الرحمن بن زكرى .

أشعاره ومنظوماتـه وبعض آثـاره

قال فيه تلميذه الاديب ابن زاكور الفاسى ما نصه (1): « ولـه أبقاه الله قصائد طوال ، حلى بها من خرائد المحاسن كل معطال الخ. الا اننا لم نقف الا على النزر اليسير من تلك القصائد ، مع مقطوعات ودعوات وتوسلات ، وسنثبت هنا ما عثرنا عليه من ذلك ، لما فيه من الفائدة وحفظا له من الضياع، فمن ذلك أبيات ذكر ابن زاكور انه كتب بها الى تلميذه الاديب ابى الحسن الحاج على مندوصة وكان قد سأله كتاب قلائد العقيان، فبعث به اليه وكتب له ما نصه (2).

أبشر أبا حسن بوصل دان ... واهنأ بنقعك غلة الظمئان
وازفف خرائد طالما قد أهملت ... من فقدها لقلائد العقيان
فالآن حل نحورها كى تجتلى ... أقمارها، فى السر والاعلان
لا تختشى صرما لما قد نلته ... والثم وعانق دائم السلوان
لا زال مجدك صاعدا فى أوجه ... وتحيتى تترى مدى الازمان

ومما نظمه رحمه الله فى التوسل والدعاء هذه الارجوزة : (3)

يا ربنا يا خالق العباد ... حل بيننا وبين ذى فساد
ومن يروم الفتك فى البلاد ... وهتك عرض الناس بالافساد
يا ربنا بذاتك السنية ... وبصفاتك العلى القدسية
وبأسمائك العظيمة التى ... تنزهت عن الحدوث المثبت

---

1) نشر أزاهر البستان ص 43

2) » » » » »

3) هذه الارجوزة نقلتها من خط جدى للأم المرحوم الحاج محمد ابن الحاج عبد السلام داود رحمه الله .

وبالرسول حائز الكمال ۞ صلى عليه الله كل حال
وبالنبيئين ورسل الله ۞ وبالملائكة أهل الجاه
صلى عليهم ربنا الكريم ۞ وعمنا فضلهم العميم
وبالهداة الراشدين الخلفا ۞ القانتين المجتبين الحنفا
ثم بباقى العشر أهل الفخر ۞ وكل حاضر بيوم بدر
ثم بأهل بيعة الرضوان ۞ الصادقين وذوى الايقان
وبالحماة السادة الانصار ۞ أولي النباهة والاستبصار
وببنات المصطفى الرسول ۞ وببنيه الحائزى التفضيل
وبالتى قد سادت النساء ۞ فى جنة فيا له سناء
فاطمة ذات المقام الارفع ۞ من حظيت بكل أمر أنفع
ثم بولدها الكرام الغر ۞ ذكورهم وبالاناث الزهر
لا سيما ريحانتا النبى ۞ ومن هما بشبهه البهي
ثم بنسوة النبى جمعا ۞ من كل من بنى بها واجتمعا
لا سيما خديجة المبشرة ۞ وصل بها عائشة المطهرة
ثم بحزب التابعين المحسنين ۞ الخاشعين الصالحين الموقنين
لا سيما سيدهم أويس ۞ القرنى اليمنى الاس
كذاك يونس الامام الخاشع ۞ ابن عبيد يا له من خاضع
ثم بمن فى حلية الامام ۞ أبى نعيم صاحب الاعلام
لا سيما زهادها الثمان ۞ ذوى النهى والكاملى الايمان
ثم بكل من حوى العرفانا ۞ وأحرز التوفيق والرضوانا
من عالم ومن صفى وولى ۞ وكل قطب ذى سناء معتل
كالشيخ عبد القادر الجيلانى ۞ وابن مشيش موئل اللهفان
والشاذلى العارف الكبير ۞ ومن غدا من حزبه الخطير
وبالامام حجة الاسلام ۞ أكرم به من عالم همام
وابن ابى جمرة والمرجانى ۞ وكل ذى قدر عظيم الشان
بمشرق او مغرب او بلد ۞ وكل قطر دون حصر عدد
امنن علينا بالامان السرمدى ۞ ونجنا من فاتن ومعتد
وفرج الغمة والكروبا ۞ وبلغ المقصود والمطلوبا
واكشف عن الامة ما عراها ۞ وباعدن كل ما دهاها
ولا تسلطن علينا يا رحيم ۞ بسبب الذنب الغشوم والاثيم

واجعل على ذا الثغر(I) ظلا وارفا — وساترا من كل خزى صارفا
واحفظه يا رب من البلايا — ومن مصائب ومن رزايا
ومده بمدد العطايا — وبالفوائد وبالهدايا
وانصر حماته على الاعداء — وحفهم بغامر الآلاء
بجاه سيد الورى الشفيع — ذى المنزل المقرب الرفيع
أهمى عليه بارىء الانام — أزكى صلاته مع السلام
وءاله وصحبه ومن تلا — سبيلهم على الدوام مسجلا

ولا نعرف ـ بالتحقيق ـ ما هى المناسبة التى نظم فيها سيدى بركة دعاءه هذا ، والغالب على الظن ان لذلك علاقة بالنكبات التى نزلت بأولاد النقسيس وأصحابهم من اهل تطوان، اما فى سنة 1078 عند إلقاء القبض على المقدم احمد ورجاله ، واما سنة 1098 عند ما قتل عدد منهم بتطوان وفاس ، وقد عرفنا ان سيدى بركة رحمه الله قد تأثر بذلك كثيرا، اذ اخفرت فى ذلك الحادث ذمته فعظمت مصيبته ، وانهمرت عبرته، وطالت لوعته، واعتلت صحته رحمه الله.

ولما كان الوباء العظيم بتطوان سنة 1088. نظم سيدى بركة رحمه الله قصيدة دعاء وتوسل الى الله تعلى لدفع ذلك الوباء وهذا نصها : «من الكامل»

يا ربنا يا كاشف البلواء — يا رافع الغماء واللئواء
يا دافع الضراء والبأساء — يا مانع الانكاد والاسواء
يا من يجيب السائلين اذا دعوا — ويمدهم بمنائح الاعطاء
يا من ينيل الآملين مرامهم — ويجيزهم من دون ما ابطاء
يا من اذا مد الضريع له يدا — أضحى قرير العين بالآلاء
يا من يمن على العباد تفضلا — يا من يؤم لدفع كل بلاء
فبذاتك العليا التى قد قدست — وتنزهت عن ربقة الشركاء

I) المراد بالثغر مدينة تطوان. وسيدى بركة رحمه الله لم ينفرد من بين علماء المغرب بالغيرة على بلدته والدعاء لها ولاهلها فى توسلاته ، فقد وقفت للعالم الرباطى الشيخ ابى الحسن علي دنية على منظومة قال فى آخرها بعد ان توسل الى الله تعلى بالنبى وبآله واصحابه والتابعين والاولياء والصالحين ورجال الرباط ما نصه :

أمن رباط الفتح من كل الفتن — ونجه يارب من كل المحن
اسبل عليه سترك الجميلا — وكن بفضلك له كفيلا
وحطه واحفظه من البلاء — ولتنف عنه زمرة الاعداء
واكلأه يا رب من الآفات — والطف به رب من الازمات
وشد فيه أزر قوم قاطنين — به وفرق جمع كل الظالمين

وجلالك الاحمى الرفيع المستمى — وصفاتك الحسنى وبالاسماء
وكلامك القرءان مع كتب السما — وبما حوته من هدى وسناء
وبما حواه العرش من ملك ومن — وكلته منهم على الاشياء
وبقطب دائرة الوجود بأسره — خير البرايا الصادق الانباء
فهو الوسيلة فى الامور كلها — وهو الملاذ لدى نزول الداء
من رامه متلوذا متعوذا — حمد المعاد وعاد بالسراء
فعليه من رب العلا صلواته — تغشاه بالآصال والآناء
وبسائر الارسال أنوار الدجا — وبكل من خصصت بالانباء
وبصحب خير الخلق أعلام الهدى — المرهفين أباهر الاعداء
والتابعين وتابعيهم بالرضى — الحائزين مراتب السعداء
وبسائر الاقطاب أرباب النهى — والمحرزين سوابق العلياء
وبمن بفاس من تقى صالح — أو عالم يسمو على الجوزاء
وبمن غدت مكناسة الزيتون فى — أكنافه محمية الارجاء
وبمن شددنا الرحل نحو ضريحه — نطوى الفلا من وافر الاملاء
كم فدفد عسفت رواحلنا وكم — من سبسب ضمته للافلاء
نعنى أبا يعزى الذى تعزى له — غر المناقب ذات الاستعلاء
كم ورد وردت تصل من الصدى — فاذا الصدور تنم بالارواء
كم من لبانات تقضاها الذى — وافى ضريحكم بلا استيناء
يا ربنا ، يا ربنا ، يا ربنا — حاشا تخيبنا فى ذى الرغباء
جنب منازلنا الوباء وشره — وامنن الاهى برفع ذاك الداء
وادفعه يا جبار انك قادر — واغسل مساكننا من الادواء
واحفظ بلاد المسلمين جميعها — وانقله يا ذا القهر للاعداء
وأعد عوائدك الجميلة والطفن — ببلادنا تطاون الغراء
وارفع مصائب اثقلت أكنافهم — وأتت على الآباء والابناء
واعمر معاهدهم وهذب عيشهم — وأتح لهم أمنا من الاسواء
منْ كادهم بالسوء فاجعل كيده — فى نحره يصلاه وفق جزاء
وانصر حماة الدين فيه ومن غدا — يسطو بصارمه لدى الهيجاء
لله ثغر قد محا رسم العدا — وحمى حمى الاسلام فى الانحاء
فاستره يا ذا الستر ما دام المدا — واصبب عليه شآبيب الاسداء
واجعل على الحسنى الختام وكن لنا — فى الحال يا رحمن والانهاء
وسواكب الصلوات تترى دائما — بضريح خير الخلق ذى الاضواء
وصحابه مع ءاله أهل الندى — ما أينعت ثمر على الاقناء

ووجدت فى مجموع الفقيه الرافعى التطوانى نسخة من رسالة منظومة أرسلها سيدى بركة رحمه الله من مكناسة الزيتون الى أخيه السيد احمد بتطوان وهذا نصها :

من الراجى عفو الرب من كل ما وزر ... علي الى الاسنى أخيه الرضى البر
سلام عليكم رائق متأرج ... ورحمة مولانا تسح كما القطر
وبعد فانا قد حططنا رحالنا ... بمكناسة الزيتون باليمن واليسر
بيوم الخميس من أوائل شهرنا ... ونحن بحمد الله طرا على خير
كما نرتجى من ربنا طول عمرنا ... يمن بذاك فى المقام وفى السير
وإن أمير القوم قد هش للقا ... وأبدى من الاقبال ما ليس فى الفكر
وقابل بالاجلال والوصل والرضى ... وبالغ فى الترحيب والعطف والبشر
أدام الاله نصره وعلاءه ... وسنى له الاسعاد فى كل ما عصر
ونحن على إزماع رحلتنا الى ... ازديار إمام الغرب فى أول الامر
وبعد الى فاس بتيسير ربنا ... ونسأله سبحانه الفوز بالخير
وتسهيل ما رمناه فى كل حاجة ... على نمط يرضيه من غير ما عسر
بجاه رسول الله صفوة ربنا ... عليه صلاة الله تترى بلا حصر
وأصحابنا يحبونكم بسلامهم ... خصوصا عليا ذا المئاثر والبر
ومن نحن فى مأواه فى خير مكرم ... أبو حسن مأوى المفاخر والقدر
وبث سلاما منا فى الاهل كلهم ... وفى كل خل أو صديق أخى بر
ونحمد مولانا على كل نعمة ... ونلهج دوما بالثناء وبالشكر
ونثنى على خير الورى بصلاتنا ... عليه كما التسليم فى كل ما دهر
وءاله والاصحاب والزوج جملة ... ومن كان فى نهج هداهم على إثر

ووقفت له أيضا على تقريظ لديوان تلميذه الفقيه أبى عبد الله محمد بن علي الرافعى التطوانى الذى سيأتى الكلام عليه قريبا، وهو تقريظ نثرى شعرى نرى من الفائدة إثباته هنا أيضا ونصه من خط منشئه رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما. أما بعد حمد الله مجرى الالسن بقوالب المبانى، ومشعر الانفس لاساليب المعانى، منطق مناطيق الحكماء بما يغنى عن نغمات الغوانى، ومذلق مقاويل الشعراء بما يغنى به أرباب المغانى، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المتحف بآيات المثانى، وعلى ءاله وأصحابه المستغنين بما أنزل اليهم عن رنات المثانى، فانى لما وقفت على المقطعات الشعرية، والمرصعات الدرية، والقصائد الكوثرية، والفرائد العبقرية، مما عني بجمعه وإثباته المصقع الاديب، السميدع الاريب أبو عبد الله سيدى الحاج محمد الرافعى كان الله له، وبلغه من خير الدارين

أمله، ألفيتها تبهر المتصفح لها بهرا، وتنهر المتزحزح عنها نهرا، وتسحر الالباب، وتدحر ذوى الزيغ والارتياب، قد نزع بمعظمها منازع غير عقيفة، وشرع لها مشارع متألقة الرواء رفيفة، وأتحف بها الرائين وأطرف، وشنف أسماع الاذنين لها وأترف، واصطنع لها صنائع لا يبتريها نحول، وأطلع بها طوالع لا يعتريها أفول، ومت بها الى المصطفى صلى الله عليه وسلم بوسائل مبرمة العرى، وبث فيها من شمائله صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن أن ينبذ بالعرا، وأحي بها فى هذا الصقع من جناب الامتداح مواتا، وزين فيه تراجيع المنشدين لها مناطق وأصواتا، ونفق أسواق الادب بعد كسادها، ووسق أندية الحسب بعد انتثار سلوكها وفسادها، فلا جرم ان القريحة اذ ذاك انتعشت بعد دوى عودها، والعزيمة احتشمت لها مع خبو وقودها، فنفثت بهذه الابيات، وإن كانت كاسفة الآيات :

هذى خرائد طوقت بلئال — هذى فرائد خطرها متعال
هذى خمائل قد تضوع عرفها — يزرى بمسك أذفر وغوال
هذى عرائس جليت إذ جليت — أسنى منصتها بمجلى عال
هذى نفائش لا تباع فتشترى — إلا بأنفس كل علق غال
كلا فلا يلفى لها من معدل — أنى تفيد نفائس الاموال
لم لا وقد برقت بوارقها بما — وسع البلاد ببهجة وجمال
حوت الطريف من المديح وتالدا — وأتنت عليه مقسما بتوال
وكفت كمثل الودق فى توكافه — وكفت بورد سائغ السلسال
أنى تضاهيها الرياض ولو غدت — فينانة محفوفة بظلال
أقنت معانيها متاجر تقتنى — ما إن تبور وربحها متوال
بخلاف ما أجلى زهير من حلى — يجنى أزاهر مالها من بال
عانى فما أغنى لديه من عنا — بثنائه عن ربقة الاضلال
أيقاس ذاك بمن تغنى واعتنى — بمديح خير الخلق ذى الافضال
وغدا به متبحبحا مترنحا — يمسى ويصبح منه فى إقبال
كلا فذا يحظى بما لا ينقضى — عند الالاه الواحد المتعال
إذ قد ثنى بأغنة لثنائه — ونوى الخليق بما أتى من قال
كهف الخلائق عند كل مأرب — ضخم الخلائق عادم الامثال
من الالاه على الجميع بوصله — وأنالنا ختما بحسن الحال
أثنى عليه دائما صلواته — وسلامه مع صحبه والآل

وكتب عبد الله سبحانه علي بن محمد بركة وفقه الله وكان له بمنه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العلمين .

وله رحمه الله هذه الابيات فى تفضيل الجهاد على غيره من العبادات :

يا من غدا بعبادة يتقرب ويرى لدى الحرمين دأبا يدأب
تالله لو ابصرت أقواما لهم بجهاد أعداء الاله تقرب
لعلمت فى جنب الذى عاينته أن الذى عاينته لا يحسب
ولئن أسح الدمع فى وجناته متعبد يخشى الاله ويرهب
فدما أولئك غاديات دائما بنحورهم وهى الطلا والمخضب
أو كان ينصب خيله فى سمهى فخيولهم عند اللطيمة تنصب
وغدوا بعثير السنابك قشعا والنقع عندهم العبير الاطيب
وحديث خير الخلق أضحى مفصحا بمقاله وهو المقال الاعذب
ما اغبرت القدمان قط لامرىء بسبيل رب الخلق اذ يتقلب
فتمسه نار الجحيم بأسرها بل فى النعيم قراره لا ينكب
ولقد أتى أن ليس يجمع كافر مع قاتل فى النار حيث يعذب
وشهادة القرءان فى الشهداء إذ باتت حياتهم ورزق طيب
لم تبق قولة قائل فى فضله هيهات يغنى مطنب اذ يطنب

وله رحمه الله هذه الابيات وقد نظمها عند ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه (I) :

أيها القطب اننى مستغيث بجنابكم ذى النصاب السنى
نرتجى بازدياركم نيل سؤل نقتضيه من الاله العلى
وخصوصا حسن الختام لنحظى بالمفاز العظيم يوم اللقى
ونحوز الرضا بدار خلود فى جوار الرسول خير نبى
ونرجى من الاله دواما فتح اغلاق كل علم سنى
وحياة بطيب عيش لكل الـ أهل والاخ والخليل الوفى

وقال تلميذه ورفيقه أبو الحسن علي مندوصة فى نفس المعنى والمقام :

شوقى وشوق المطايا لابن مشيش شديد
من ركن مجده عالى فاق السماك مجيد
ما مثل عبد السلام أس المعالى عميد

I) هذه الابيات والتى بعدها فى معناها، قد أطلعنى عليها صديقنا الاستاذ محمد المنونى عند زيارتى له ببلده مكناسة الزيتون فى أوائل سنة 1368

ونظم الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي في نفس المعنى والمقام أيضا هذه الابيات :

بحر المفاخر طام ... بقبر عبد السلام
شمس الهدى ابن مشيش ... من جل عن كل دام
من قد قطعنا اليه ... شم الربى والأكام
لكي ننال جوارا ... معه بدار السلام

ولعل هذه الابيات كلها قيلت في إحدى الرحلات التي كان المترجم رحمه الله يقوم بها مع أصحابه وتلاميذه لزيارة الاولياء الذين كان يعظمهم ويحترمهم مع الوقوف التام مع الشريعة وحدودها والسنة النبوية المطهرة، رحم الله الجميع.

ثم إن اشتغال سيدي بركة رحمه الله بالعلم والعمل والتدريس والعبادة كان اكثر من اشتغاله بالادب والشعر، وقد علمت أنه كان له مسجد جامع يؤم به في الصلوات الخمس ويدرس ويخطب ويعظ، فكان رحمه الله يدرس العلم مع الطلبة، وكان لشدة حرصه على إفادتهم ينظم لهم المسائل العلمية في أراجيز يسهل حفظها، وقد عثرت على بعض تلك المنظومات، وسأثبت هنا بعضها، أولا حفظا لها من الضياع، وثانيا لعل طلبتنا يستفيدون منها أيضا فيعم النفع بها ويرحم الله بذلك ناظمها.. فمن ذلك هذه الابيات التي عدد فيها المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير (I)

أحمد ربي وأصلي دون عد ... على محمد ومن له استند
قاعدة الضمير أن يتصلا ... في الاختيار والتأتي أصلا
وان تعذر اتصاله انفصل ... وذاك في اثنين وعشرة حصل
في حصره بانما أو إلا ... أو سبقه لعامل تجلى
ومثله الفصل بعائد بدا ... وحذف عامل له قد وردا
كذاك حرف النفي ان فيه عمل ... أو واو صحبة كذا أيضا جعل
ورفعه بصفة قد اسندت ... لغير من في نفس الامر وجدت
فمطلقا يفصله البصري ... ومع لبس يفصل الكوفي
ورفعه بمصدر أضفته ... الى الذي محله نصبته
وفصله مستوجب باما ... ولام فرق بعد ان قد أما
كذاك إن ينصب بعامل عمل ... في مضمر من قبل فالنصب وصل
لكن مع اتحاد رتبة يتم ... به انفصاله وذاك قد حتم
وزاد في التصريح أعني الازهري ... عكس الذي قبل مضى في المصدر
وذاك إن يضف لمرفوع وقد ... أكمل بالمنصوب مضمرا فقد

I) من نشر أزاهر البستان لابن زاكور ص 43

وزاد أيضا ان يكون فـى الندا كمثل يا إياك أو أنـت أقعـدا
لـكـن يـقـال هـذه مـرادة فى حـذف عامـل فـلا زيـادة
هـذا وأهـدى للالـه حـمـده علـى تـمـام مـا أردت عـده
ثم الصـلاة والسلام كل حيـن على الرسول والصحاب أجمعين

ومن ذلك هذه الابيات التى نظم فيها مسوغات الابتدا بالنكرة وقد حصرها فى عشرة تبعا لابن هشام فى المغنى فقال (1) .

مسوغـات الابتـدا بـالنـكـرة حـرر منهـا ابـن هشـام عشرة
أولهـا الـوصف لهـا اذ يعنـى فى اللفظ والتقرير أو فى المغنـى
والثان أن تعمـل مطلـق العمـل من رفع أو نصـب ومن جر حصل
والثالـث العطف عليهـا ان عرف مـسـوغ بـأول أو مـا ردف
والـرابع الاخبـار بالظـرف كـذا بالجـار والمجـرور إن خصا خذا
والخـامس العمـوم فيهـا مطلقـا بالـذات أو بالغيـر فيمـا حققـا
والسادس المقـصـودة الحقيقـة كـرجـل خيـر مـن ذى الخليقـة
والسابـع المقصـود منهـا الفعل معنـى وذا الـى الـثـلاث يجلـو
دعـاء أو تـعـجـب قـد مـيـزا وقـائـم هـذان ان ذا جـوزا
والشـامـن الاخبـار عمن قد خرق عادتنـا عنهـا كذيـب قـد نطـق
وتـاسـع وقـوعـهـا بـعـد إذا ذات الفـجـاءة بـذاك يـحتـذا
وعـاشر وقـوعهـا فـى صـدر جـمـلـة حـال فـاحفظـن وادر

ومن ذلك هذه الابيات التى نظم فيها ما ينوب عن المصدر المنصوب على المفعوليـة المطلقـة بقولـه (2)

لـربـى الحمـد مثنـى بالصلاة وبـالسلام للنبـى ذى الصـلات
وبـعد فالمفعـول أعنـى المطلقا مـؤكـدا مـبـيـنـا قد حـققـا
والاصـل فيه أن يكـون مصدرا وقـد ينـوب عـنـه دالٌ قـررا
فنـاب عـن مبـيـن فيـمـا أثـر ثلاثـة عشـر فحصـل مـا ذكـر
كـليـة لـه كـجـد كـل جـد كـذاك بعضـيـتـه فيمـا قصـد
ونـوعـه مثـل رجعـت القهقـرا وهيـئـة كـمـات ميتـة تـرى
وصفـة كسـرت أحسـن المسير كـذا إشـارة اليه يـا خـبـيـر
نحـو عملـت فيـه ذاك الـعـمـلا كـذا المـرادف كقـول من خـلا
يعجـبـه الـسـخـون والـبـرود والتمـر حـبـا مـا لـه مـزيـد

---

1) من حواشى المترجم على المكـودى
2) من نفس المصدر أيضا.

كـذا ضـميـره كـلا أعـذبـه — فـى محكم التنزيـل حل منصبـه
ووقـتـه كـنـمـت ليلـة الـذى — قد رمـدت عيناه طـرا فاحتـذى
ومـا فـى الاستفهام نابت نحو ما — تضـرب زيـدا فاعلمـن مـا رسما
وذات شرط نحـو ما شئـت فقم — وعـدد فـى ذى النيـابـة قـد أم
نحـو اجلـدوهـم ثمـانيـن كـذا — ءالـة فعـل فاعـرفـن المأخـذا
نحـو ضربـت العبد أسوطـا علم — بـئـالـة مـعتـادة كـمـا رسـم
وفـى اسم مصـدر يكـون علمـا — نـحـو بـررت برة قد حكـمـا
بعـض بـذاك فيـه وابن مـالك — صـرح بالنـفـى لـه فـى ذلـك
وإن يـكـن مـؤكـدا فقـد ذكـر — ثـلاثـة تـنـوب عنـه فاعتـبـر
مـرادف نـحـو فـرحـت جـذلا — ومـا يلاقـى فـى اشتقاق حمـلا
نـحـو تبتلـت لـه تبـتـيـلا — فاحفـظ وقيـت السـوء والتبديلا
ثـم كـذا اسـم مصدر غيـر علم — نحـو تـوضـأ وضـوءا مستـتـم
والحـمـد لله الـذى قـد تـمـمـه — وصـلـواتـه تـسـح مـبـرمـة
مـع سـلامـه عـلـى مـحـمـد — وءالـه وكـل مـن بـه هـدى

أبيات له فـى بيـان سمـت القبلة

قال العلامة سيدى محمد بن احمد العلمى الفاسى فى حاشيته على شرح الفشتالى لرسالة الماردينى ما نصه (1) : «ان بعض الفقهاء كان طلب منى قبل هذا بنحو خمسة أعوام شرح نظم للفقيه العلامة أبى الحسن علي بن أحمد (2) بركة التطوانى فى هذا الموضوع (يعنى القبلة) ولم نجد قبل وقتا لتلبية طلبه، ولنورد نص النظم المذكور متخللا ببعض ما يوضحه .

حـمـد الالاه والصـلاة والسـلام — علـى محمد لـدى الـبـدء تـرام
اعـلـم وقـاك الله كـل فـتـنـة — أن الـتـوجـه يـرى للـقـبـلـة
بمـصـر مـع أنـدلس ومـغـرب — ونـحـو ذاك مـن بـلاد العـرب

أى من كل بلد كان غربيا عن مكـة فى الربع المعمور الشمالى كالبلاد التى ذكرها فان قبلتها الى جهة المشرق، وقد بين كيفية التوجه اليها بقوله :

بجعلـك القـطـب الشمالـى على — أذنـك اليسرى دوامـا مسـجـلا
وجعـل مشرق المصـيـف الاول — بعينـك اليسـرى وذا أمـر جلـى
ومـغـرب لـه وراء ظـهـرك — ومشـرق للاعـتـدال نـحـوك

---

1) حاشية العلمى على شرح الفشتالى ص 166 طبع فاس سنة 1358 .

2) والد سيدى علي بركة اسمه محمد لا احمد .

قبالـة الـوجـه وصيـر مغـربه　　مـن خلـف أذن لليمـين مصحبه
وجـعـل مـشـرق الشتـاء الاول　　بعينـك اليـمـنـى بـلا تمـحـل
وقـيـل للـوجـه وامـا مغـربـه　　فكتـف يمنـى لـديـه تصحبـه

وحاصـل هـذه الابيات أن من بأرض مصر والاندلس والمغرب ومن كان مثلهم، قبلته لجهة أقصى مشرقى الشمس فى الصيف والشتـاء ومـا بينهما، وذلـك بأن تجعـل القطب الشمالى على أذنك اليسرى فتكون مستقبلا لمشرق الاعتدال، أو بأن تجعل القطب الشمالـى على اذنـك اليسرى فتكون مستقبلا لمشرق الاعتدال، أو بأن تجعل مشرق الصيف الاول أى أقصى مشارقه على عينك اليسرى فتكون مستقبلا لمشرق الاعتدال، لانه يكون بين عينيك، أو بأن تجعل مغربا له أى للمصيف وراء ظهرك فتكون مستقبلا لمشرق الشتاء، أو بأن تجعل مشرق الاعتدال نحوك قبالة وجهك، او بأن تصير مغرب الاعتدال من خلف الاذن اليمنى فتكون مستقبلا لمشرق الشتـاء أيضا، أو بأن تجعل مشرق الشتاء الاول أى أقصى مشارقه بعينك اليمنى فتكون مائلا لجهة الجنوب قليـلا، وقيل تجعل مشرق الشتاء الاقصى قبالة وجهك فيكون ميلك للجنوب أكثر، أو بـأن تجعل مغرب الشتاء على كتفك الايمن فتكون مستقبلا لمشارق الصيـف أو مائلا عنهـا الى مشرق الاعتدال، كل ذلك يفيدك التوجه الى الجهة. ثم قال :

ريـح الصبـا اجعلن بطرف أيسر　　وول ظـهـرك الـدبـور يـا درى
مـع بعض ميل لليميـن والشمال　　بكتفـك اليسـرى عليها الاعتدال
وأذن اليمـنـى تقـابـل الجنوب　　. . . . .

ريح الصبا هى الريح الشرقية، والدبور هى الريح الغربيـة، ومضمـون هذا الوجه، التوجه لوسط المشرق، وهو مشرق الاعتدال أو الميل عنه قليلا لجهة الجنوب ثم قال :

. . . .　　ثم بنات النعش تأتى فى الغروب
بكتـف اليسرى وحيـن المطلـع　　تقابـل الايسـر مـن ضـد قـع

المراد ببنات نعش هنا، الكبـرى، لا الصغـرى لانها لا تغيب، أما الكبرى فانها تغيب بقرب مغرب الاعتدال فى ناحية الشمال، فاذا جعلتهـا حينئـذ على كتفك اليسرى واستدبرتها قليلا تكون مستقبلا لوسط المشرق أو مائـلا عنـه قليلا الى الجنوب، وأما عند طلـوع بنات نعش الكبـرى فى جهـة المشرق مائلة الى جهة الشمال فانك تجعلها مقابل الايسر من أمام الكتف الايسر الـذى هـو ضد المقابلة من خلفه، فتكون مستقبلا للمشرق مائلا الى الجنوب قليـلا، ولمـا نقل التاجورى قول ابن سراقة المغفرى أن أهل السوس الاقصى ومن مال منهم

الى بحر الظلمات من جعل منهم الاحمر اذا طلع بين عينيه أو بنات نعش أى اذا طلعت على أذنه اليسرى، فقد استقبل القبلة، قال أظن الكبرى لا الصغرى لانها لا تغيب، والمراد بالاحمر هو السماك لانه يطلع قريبا من الاعتدال الخريفى ثم قال

وقال بعض العلماء من قرن ... مغربه بالظهر فى أى زمن
أو جعل المشرق من أمام ... صحت صلاته لدى الامام
أى مالك لانه قد يغتفر ... ميلا يسيرا ان عرا فيما ذكر

هذا أيضا خاص بمن كان غربيا عن مكة لان استدبار مغارب الشمس فى أى زمن من صيف أو شتاء يلزم منه استقبال مشارقها كذلك وهو قوله، أو جعل المشرق أى جهته على سمتها التسعينية الآخذة من الجنوب والشمال لانه لا يخرج عن جهة السمت حينئذ بل يصادف السمت أو يميل عنه قليلا ما لم يخرج عن الجهة فانه لا يغتفر كما تقدم ثم قال :

وقال بعض ناظما فى القطب ... فى غالب الاقطار دون ريب
قطب السماء اجعل حذو أذن يسرى ... بمصر، والعراق حذو الاخرى
والشام خلفا وأماما باليمن ... مواجها تكن به مستقبلن
هذا ولم يذكر هناك المغربا ... وهو كمصر فى الذى قد رتبا
ضمن هذا شرحه الاجهورى ... والحمد لله مدى الدهور
وبالصلاة والسلام ختم ذا ... على النبى ومن طريقه احتذى

والمراد بالعراق ما يشمل العربى والعجمى والله اعلم» اهـ.

رسالة منه الى الشيخ عبد السلام القادرى

وقد وقفت فى الخزانة الكتانية بفاس، على أصل رسالة كتبها المترجم رحمه الله الى الفقيه العلامة الشريف أبى محمد عبد السلام بن الطيب القادرى رحمه الله، وهذا نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما. لسيدنا ومولانا الفاضل السرى العالم الدين الحبر الامام البحر الهمام الحسن الاخلاق، الطيب الاصول والاعراق، ذى الضئضىء الطاهر السنى، سيدى عبد السلام بن الطيب القادرى الحسنى، أصلح الله سبحانه أحواله، وأنجح مقاصده وءاماله، من عبد الله سبحانه علي بن محمد بركة كان الله له، وبلغه من خير الدارين أمله، سلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته، فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ذو القوة والحول، والمنة والطول، هذا وإنا لم نزل نتوكف قدومكم للزيارة، وورودكم الى ضريح مولانا عبد السلام الذى استطار

نوره وأنار إنارة، حتى أخبرنا أنكم تأخرتم عن الورود، وحصل فى الوقت ما أوجب لكم المقام والقعود، فتحسرنا لما فاتنا من مطالعتكم السنية، ومحاضرتكم البهية، لا سيما وقد كان ورودكم صحبة من يغتبط بصحبته، وتنفق الانفاس والاعلاق فى مجرد رؤيته، الامام الخاشع الاواه، أبى العباس سيدى احمد بن عبد الله، أبقى الله سبحانه بركته، وأدام على صالح الاحوال بهجته، مع من كان يرافقه من السادات الاجلاء، والقادات الفضلاء، الذين تشد الرحال لملاقاتهم، وتشد اليد على الظفر بمواصلتهم ومصافاتهم، وفر الله سبحانه عددهم، وكثر مددهم، وربما حدثنا أن سيدى احمد بن عبد الله كان به مرض، فلعله المانع الذى له عرض، الا أنا قد سمعنا بعد ذلك أن الله سبحانه شفاه وعافاه، ووالى عليه أياديه ونعماه، أدام الله سبحانه له ولنا ذلك، وسلك بجميعنا أحسن المسالك ونؤكد عليكم سيدنا أن تسلموا منا عليه أتم السلام، وعلى جميع أهل تلكم الحضرة الرفيعة السنام، خصوصا الناسك الابر، العالم الاشهر، سيدنا ومولانا أخاكم سيدى العربى، ومحبنا وصفينا وخليلنا، وناقع غلتنا وغليلنا، مولانا سيدى أحمد القادرى، وأخبروه أنا لمحادثته بالاشواق، وللاجتماع به خصوصا فى هذا الوقت على غاية الاشتياق، وسلموا منا على بركة الوقت سيدى احمد اليمنى، والفقيه النبيه صاحب التصانيف المفيدة، والتاليف العديدة، سيدى المهدى، والاصيل الاريب، الخير اللبيب، سيدى أحمد الوزير، والمحب الصادق سيدى الحاج مسعود المنقوشى، والفاضل الماجد سيدى محمد الدريج، وسائر أصحابكم وخلانكم، ومن انتمى اليكم من جماعتكم وإخوانكم، كان الله لنا ولهم بما كان لاوليائه، وجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه .

هذا وانه سيدنا قد وقع عندنا فى هذه الايام بين بعض الناس اختلاف ومنازعة فى مسألة عذاب القبر الثابت بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق، فقال بعضهم ان العذاب الحاصل فى القبر، انما هو بمجرد رؤية صاحبه لمقعده الذى يصير اليه لا أنه يحصل له العذاب والاحتراق بالنار بالفعل، لان ذلك انما يكون فى الدار الآخرة بعد البعث، واستدل هذا القائل بحديث الصحيحين، اذا مات الرجل عرض عليه مقعده الحديث، ومثله قوله تعلى، النار يعرضون عليها الآية وقال البعض الآخر بل ان العذاب حاصل بالفعل فيحرق صاحب القبر بالنار، ولا مانع من ذلك، والذى يكون فى الدار الآخرة هو الدخول لدركاتها على ما هى عليه، وأى مانع من أن ينقل الله سبحانه النار من محلها لمن يريد تعذيبه، أليس قد جعل فى : . . . . (I) ومن فيحها حسبما جاء فى الحديث، اشتكت النار الى ربها الخ. فكيف بالقبر الذى هو من عالم

I) هنا بضع كلمات انمحت بالرطوبة

الآخرة واستدل هذا القائل أيضا بظواهر كثيرة كقوله تعلى، أغرقوا فادخلوا نارا، وبحديث القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار الى غير ذلك

وأما محبكم فالذى مال اليه أن أحوال المعذبين مختلفة، فمنهم من يعذب برؤيته لمقعده كما فى الحديث، ومنهم من يعذب بالفعل، ومنهم من يعذب بما يدخل عليه من لهيبها ونسيمها، ففى حديث ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى من جملة أحاديث السؤال قال فيه بعد أن ذكر حال من لا يجيب الملكين ولا يدرى ما يقول، فينادى مناد من السماء، أفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا الى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، فهل هذا الا اصابته بالنار حقيقة، وما ورد أيضا من سماع أصوات المعذبين كحديث مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما يعذبان الخ. وحديث ان أهل القبور يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم، فالظاهر من هذا أنه بأمر زائد على مجرد رؤيتهم لمقاعدهم، وقد يكون العذاب حاصلا بغير ما ذكر من الاصابة بالنار، بل بالضرب والتضييق ونحو ذلك من العذاب المجانس لفعل صاحبه الذى عذب لاجله، كما يدل على ذلك حديث الرؤيا الطويل فى طوفان الملكين برسول الله صلى الله عليه وسلم على أقوام . . . . . . (I) صاحب الكلوب وصاحب الحجر الذى يشدخ به رأسه، الحديث بطوله. على أن الكيفية فى كل ذلك غير معلومة على ما هى، اذ أمور الآخرة خارجة عن نمط هذه الدار، ولذلك أنكر جماعة من العلماء البحث فى ذلك بعد الايمان بأصل ذلك والاقتصار على ما ورد فى الكتاب والسنة، الا أن حرف النزاع بين هذين الفريقين الذين أشرنا اليهم، هل يعذب احد بالنار ويحرق قبل يوم القيامة ام لا على ما مر قبل، مع اتفاقهما على عدم الدخول على ابواب النار على حسب ما يكون بعد الحشر والنشر، وعلى مقتضى هذا يكون ما ورد فى الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم، رأيت عمر بن .... يجر قصبه فى النار، واطلعت فى النار، فرأيت أكثر اهلها النساء الى غير ذلك مما لا يحويه ديوان، محمولا على المجاز والتعبير عما سيقع بلفظ ما وقع تحقيقا لوقوعه واشارة لتيقنه وقرب وقوعه حسبما هو مهيع معروف فى الكلام . ثم ان مثل ما ذكر فى هذا كله يجرى بـ . . . . فى المنعمين فى قبورهم وفيمن رءاهم عليه الصلاة والسلام فى الجنة كما جاء فى غير ما حديث بعد الاتفاق على الشهداء انهم يرزقون حقيقة، وقيل مثل ذلك فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الاطفال .

ثم حبب الينا بعد تزوير هذا كله أن أضمن المسألة فى أبيات من البسيط، واهديها الى سيادتكم هدية الخريدة فى الغبيط، لما فى النظم من استمالة

I) هنا بضع كلمات انمحت بالرطوبة

النفوس، وازاحة الكد والاراحة من البوس، فاذا ورد عليكم ذلك كله ان شاء الله تعلى فاتحفونا بالجواب عليه نظما ونثرا، وأحضروا لنا من كلام الائمة والاحاديث النبوية ما لا يبقى فى الصدور غما ولا نكرا، فانا فى هذه البلاد كما لا يخفى عليكم، لا يتيسر لنا من كتب الحديث ولا شروحها ما يتيسر فى تلكم البلاد، مع قلة المساعد وعدم المفيد والمفاد، وها نحن الآن سيدى لم نلف من نتعاطى معه من العلم قلامة ظفر، ولا من نخوض معه فيما أشكل علينا منها فى القل والكثر، نسأل الله سبحانه لنا ولكم الهداية والتوفيق، والسير دائما على أقوم طريق .

ثم انا أيها السيد نريد نسخ متن ألفية الامام العراقى التى فى السير ، فانا قد ظفرنا بشرحها ولم نلف نسخة وعسر علينا استخراجها من الشرح لتصحيف وتحريف بها، وها نحن نبعث كراسين من الكاغد الرقيق لصاحبنا الحاج أحمد الصبان التطاونى ونأمره أن يأتيكم بهما فاذا أتاكم . . . . الله فانظروا لنا نسخة عتيقة ومن ينسخ لنا، والاجرة يدفعها له الحاج المذكور فان لم يتيسر الناسخ فانظروا له نسخة . . . . والله سبحانه المستعان، وعليه التكلان .

ثم انا جعلنا الابيات التى ذكرنا فى ورقة على حدتها حسبما يصلكم كل ذلك ان شاء الله . والله سبحانه ولى التوفيق .

ويسلم عليكم الوالد والاخ والاخوان ملتمسين صالح دعائكم، ونحن كذلك والسلام. فى اوائل ذى القعدة سنة 1106. عرفنا الله خيرها وخير ما بعدها» (انتهت من خطه رحمه الله) .

وفاته وضريحه

ذكر صاحب الصفوة أن سيدى بركة رحمه الله توفى فى حدود العشرين ومائة وألف .

ووجدت فى حوالة جامع السوق الفوقى أن وفاته كانت فى شوال سنة 1120. وذكر القادرى فى نشر المثانى والتقاط الدرر، أن وفاته كانت فى 29 شوال 1120. وفى مجموع الفقيه العدل سيدى عبد الله شطير التطوانى أنه توفي يوم الاربعاء 29 شوال 1120 .

أما تاريخ ولادته فانى لم أقف عليه ولا أدرى كم كان عمره حين توفى عليه رحمة الله .

وأما ضريحه فهو مشهور فى زاويته التى بالسوق الفوقى من تطوان ، وهى زاوية مفتوحة الابواب لجميع المسلمين تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة وتقرأ بها أحزاب القرءان صباحا ومساء ، ويقرأ فيها كتاب دلائل الخيرات

جماعة فى كل يوم، وبها كرسى للوعظ، وتلقى بها الدروس العلمية، وقد قرأت فيها مدة على شيخنا العلامة سيدى محمد المرير حفظه الله، ثم بعد انهاء دراستى فى جامعة القرويين بفاس حرسها الله، توليت التدريس بها بضع عشرة سنة درست فيها علوم الفقه والنحو والبيان والمنطق والحساب والجغرافية وغير ذلك، وقد دفن بهذه الزاوية المباركة جماعة من العلماء والاشراف والاعيان رحم الله الجميع .

مدحه ورثاؤه

العلم الغزير، والعمل الكثير، والعبادة المتواصلة، والادب واللطف والتواضع والحلم، والنزاهة وعلو الهمة، والزهد فيما فى أيدى الناس، والغنى والكرم، والجود والاحسان، هذه الاوصاف هى التى كانت فى سيدى الحاج علي بركة، وهى التى جعلته بحق عالم تطوان وأديبها وصالحها، فكان كل من اتصل به يحبه، وكل من عرفه يمدحه، ولم نجد من بين رجال تطوان فى ذلك العهد من اشتهر شهرته، أو مدح بمثل ما مدح هو به رحمه الله .

فالعلماء والادباء يتلمذون له، والناس على اختلاف طبقاتهم يحبونه ويخدمونه والحكام يعظمونه ويحترمونه، واسمع ما وصفه به تلميذه العالم الاديب أبو عبد الله ابن زاكور الفاسى، فانه بعد أن ذكر صاحبه أبا الحسن الحاج علي مندوصة، قال فى شيخه سيدى الحاج علي بركة، ما نصه: (1) «والذى أولاه هذه المنقبة، وأرقاه هذه المرقبة، شيخنا العلامة، ذو اليمن والبركة، أبو الحسن سيدى علي بن محمد بركة، لانه فى الحقيقة زين تلك البلاد، الذى أولاها من المحاسن الطارف والتلاد، حتى فاخرت مصانع بغداد، وطاولت زاهر ابن عباد، اذ هو الذى أصار تربها تبرا، لما طلع فى سماء معارفها بدرا، وأعاد حصباءها درا، لما فاض فى أرجائها بحرا، ولولا ما أولاها من المحاسن، ما عذب ماؤها الآسن، فبجما له تذكر، وبروائه تحمد وتشكر، أبقاه الله يبدى جمالها، ويظهر كمالها، ومن مدحى فيه، هذا القصيد الذى ألم بفضله ولم يستوفه، وهو (2)

الى م فؤادى يذوب زفيرا	لقد كدت أقضى معنى حسيرا
عرانى من الوجد ما قد نفى	كراى وأذكى حشاى سعيرا
فمن رقة قد حكيت نسيما	ومن دنف قد حكيت نضيرا
وشيبنى والشباب نضير	صدود الالى أودعونى زفيرا
ومن لسعته أفاعى الصدود	فأجدر به أن يشيب صغيرا

---

(1) نشر أزاهر البستان ص 40.
(2) ذكر ابن ازكور رحمه الله فى ديوانه ان نظمه لهذه القصيدة كان فى شوال سنة 1093 .

فماذا على ودهم لودنا … وما ضر لو نعشونى يسيرا
وماذا على عاذلى لو غدا … عذيرا لمن كان مثلى أسيرا
فيا عاذلى لا تكن عاذرى … ولست أؤمل منك عذيرا
ويا هاجرى لا تكن واصلى … الى أن توازى الحصاة ثبيرا
فمذ شمت برق العلا والهدى … لدى بركات العلا مستطيرا
سلوتك فانجاب ليل الاسى … وأسفر صبح السرور بشيرا
فلا مقلتى تستهل دما … ولا كبدى تتداعى فطورا
ومن شام برق العلا مستطيرا … فلا يعد من ددا وحبورا
وهان علي الذى قد لقيـ … ـت لما سقانى نداه نميرا
وأنقذنى من ظلام الهوى … وكان لقلبى المعنى مجيرا
إمام تسربل بالمكرمات … وأرخى إزار العفاف كبيرا
وطاول بدر السماء منيرا … وساجل قطر الغمام غزيرا
وأضحى لكأس المعالى مديرا … وأمسى لروض العلوم سميرا
تواضع حلما فزاد ارتقاء … ورام خفاء فزاد ظهورا
ومن رام إخفاء بدر الدياجى … بجنح دجا زاد نورا كثيرا
تناهت مذاهبه فى العلا … فليس يرى لسواها ظهيرا
فطورا تراه لقوم بشيرا … وطورا تراه لقوم نذيرا
وكاين تراه يفك المعمى … ويوضح ما كان صعبا عسيرا
الى رقة لو حواها النسيم … لما قصف الدهر غصنا نضيرا
ونظم ينسيك شعر جرير … إذا أنت عاينت منه سطورا
ووجه جلا البشر عنه الوجوم … فليس يرى ابدا قمطريرا
تضىء الدياجير غرته … فتحسبها قبسا مستنيرا
ألا هل أتى معشري أننى … علقت بتطوان علقا خطيرا
وءاويت منها الى جنة … فلا شمس فيها ولا زمهريرا
لدى عالم قد حوى عالما … وحبر تضمن خلقا كثيرا
وألحفها من محاسنه … برودا حكت سندسا وحريرا
وأسرجها بسراج الهدى … وكم مكثت قبل تحكى قبورا
فلا نجد الا استطار سنى … ولا غور الا تلاْلاْ نورا
ولا غصن الا تثنى ارتياحا … ولا طير الا تغنى سرورا
أضاء سناها وضاع شذاها … فشمت سنا وشممت عبيرا
إمام الورى بشفيع الورى … أصخ لنظامى وكن لى عذيرا
وأسبل عليه برود القبول … فلست حبيبا ولست جريرا
وهبنى كذاك فمن لى بما … أحلى به مجدك المستنيرا

ومن أرهفته خطوب الدنا فكيف يحوك القريض النضيرا
فعذرا لمن خانه دهره وأخنى عليه الزمان مغيرا
ودونك منى سلاما كريما يفاوح عرفه روضا مطيرا (1)

ومما مدح به مترجمنا رحمه الله هذه الابيات (2)

لذ اذا ينصب خطب شركه بعلي القدر عين البركة
هو هو الحبر بحر العلم اذ ليس علم ثم الا ملكه
والتقط ان فاه منه دررا فعلى التعبير حاز الملكة
حبذا النحرير لولا أنه كلما قرر صعبا سبكه
سيدى كل المعالى جمعت فيك لم ترم عليها شبكه
دونك الوافد قربه ألم تر أن البعد منكم هلكه
فقد الحيلة فى باب اللقا لم يذر منهاجا الا سلكه
عطفة منكم فان الوجد قد شرد النوم وسهدى تركه
وسلام طيب تصحبه رحمات وأتم البركة

وكتب رحمه الله الى تلميذه ابن زاكور معاتبا له على عدم المكاتبة، فأجابه رحمه الله بهذه القصيدة البديعة :

ربع المودة بالحشا مانوس يهوى الاحبة ما عراه دروس
ولدي للاحباب ذكر معاهد روض الفؤاد بحبها مغروس
ولئن كبا طرف القريحة عنهم لحوادث منها الحشا مخلوس
فهواى صب فيهم ومودتى إن المودة للهوى تأسيس
سندى أبا حسن أمثلك وهو من أرسى لديه العلم والتقديس
وتشعشعت أنواره اذ أشرقت منه بذور معارف وشموس
وبه على تطوان صابت أسعد ولقد هما من قبل فيها البوس
ينمى الى مثلى غدرا وهو من ما زال أفراس الوفاء يسوس
ويذم من نبذ العهود وحاد عن سنن العلا انى إذن لخسيس
غيرى قتيل الود مرموس الهوى تثنيه عن سنن الكرام عروس
أيصدنى عن نشوتى بخطابهم وهو المنى رود زهت ولبوس
لا والذى أعلاك اذ سمت العلا عرشا عنت لجلاله بلقيس

---

1) وقد وقفت على هذه القصيدة أيضا بفاس بخط ناظمها رحمه الله.

2) هذه الابيات لم اعرف ناظمها، وقد نقلتها من كناش الفقيه الرافعى التطوانى الذى نسبها لبعض أدباء الوقت ولم يذكر اسمه، وأظن أنها لبعض أدباء فاس، لما فيها من عاطر الانفاس .

وكسا بلادك من سناك ملاءة ... ولقد كساها قبلك الحنديس
ما حدت عن سنن الكتابة عن رضى ... لكن لواء عزائمي منكوس
ورويتي مشغولة وقريحتي ... أودى بها الاقراء والتدريس
وإذا أردت حقيقتي فأنا الذي ... ما حد طيب هواي جالينوس
ولرب محروق الجوى بلظى الهوى ... يثنيه عن بث الغرام رسيس
فمن المعاني خرد دلهنني ... عقلي بسحر جمالها مالوس
ومن البيان مدامة وكؤوس ... ومن البديع حدائق وغروس
إن كنت أخرت الكتابة لاهيا ... لا خامرتني بالسرور كؤوس
وتبرأت مني السراة وخانني ... أدبي ولا اشتملت يدي طروس(1)

وكتب الفقيه العلامة قاضي تطوان أبو زيد عبد الرحمن بن علي الزلال مادحا لصاحب الترجمة رحمه الله هذه الابيات :

يهنيك أن حزت المفاخر كلها ... لما رقيت منابر التوفيق
فطلعت بدرا في سماء العلم اذ ... حدثت بالاسناد عن تحقيق
شرف الحديث اليه ينمى اصله ... فاهنأ وطب نفسا بخير طريق
أبقاك ربي للعلوم ذخيرة ... تبدي النفيس لطالب التدقيق

فأجابه المترجم رحمه الله بقوله :

يهنيك هذا الثغر أن بسمت لكم ... أثغار حبر ماجد صديق
واسحب ذيول الفخر اذ حلت بكم ... أعلام ذي علم على التحقيق
ناهيك من حكم بدت أحكامه ... مصحوبة باليمن والتوفيق
أبقى الالاه رواءه متبهجا ... وهداه محياه لخير طريق

ومما رثي به المترجم رحمه الله هذه القصيدة، وقد نظمها تلميذه الاديب محمد بن الطيب العلمي صاحب الانيس المطرب ونصها :

مني عليك السلام والبركة ... يا واحد العصر يا علي بركه
قد كنت ذا ورع وذا أدب ... وذا مدارسة وذا ملكه
علمت علما وكنت مالكه ... وحزت حلما سواك ما ملكه
لم يبق علم الا وتعلمه ... فهل رميت عليه من شبكه
سبكت صعب الكلام حتى بدا ... وما رأينا سواك من سبكه
وكان نجم العلوم في فلك ... حتى أدرت على الورى فلكه
سلكت بالناس نهج مصلحة ... لولاك ما كان واحد سلكه

---

(1) من الانيس المطرب لابن الطيب العلمي ص 313 .

وكنت فــى النحو غير مشترك والناس كم ناصب له شركـه
صيــرت تـطـوان كلها عربـا فمـا تـرى اللحن ثم فى حركة
واليوم ماتوا إذ مت من أسف وما لهـم اذ سكنـت من حركه
لـذاك عينـى تقـوم بعدك فى بحـر الـدمـوع كأنهـا سمكه
هتكت يا موت فيه عرض فتى لـولاك مـا رىء قـط من هتكه
يـا قـوم مـا أسرع الحمام له ما ضـره فى الوجود لو تركه
إنـا احتسبنـاه يـوم صادفـه مـوت تحـمـل وحـده دركـه
يـا رب بارك للخلق فى خلف كى لا يعيش الـورى بلا بركة

وهذه قصيدة أخرى فى رثائه أيضا لابن الطيب المذكور (1)

مـات صبـرى بيـن أحياء الكرام يـوم لف القـوم منشور الخيـام
وأقـام الـحـزن لـمـا ارتحلـوا وكـذا الدنيـا ارتـحـال ومقـام
أيـن أهـل العـز مـلاك الـورى نزلـوا للمـوت مـن أعلـى مقام
أيـن أهـل العلـم اعـلام الهـدى رحـلـوا عـنـا الـى دار السلام
إن تـك الـدنيـا كـذا حـالتهـا فعـلـى زهـرتهـا منـا السـلام
كـم أضعنـا العمـر فـى إسعافها بـيـن دن وكـؤوس ومـدام
وسهرنـا الليـل فـى حسو الطلا فعصينـا الله والـنـاس نـيـام
وأمـنـا نـعـمـة الله عـلـى خلـقـه وهـو عزيـز ذو انتقـام
وشمـوس الرشد عنـا احتجبـت تحـت غيم الغـى لا تحـت الغمام
والـدنـا تشغلـنـا عـن ديـنـنـا وتغـطـى النـور عنـا بالـظـلام
ثـم لم تقـنـع بـمـا حـل بنـا مـن معـاص واجتـراء واجـتـرام
دون أن تـفـنـى لنـا أخيـارنـا ثـم لا تبـقـى لـنـا الا اللئـام
مـا تـرى عـالم تـطـوان الـذى كان روح العصر قد ذاق الحمـام
فلـتـنـح يـا كـل انسان علـى فقـده اليـوم كما نـاح الحمـام
كيـف لا يبكى على الحبر الـذى كـان فـى المغرب والعصر الامام
مـنـطـق نـحـو بـيـان لـغـة سـيـرفـقـه تفـاسـيـر كـلام
جـاءه المـوت فـفـى أحشـائنـا مـنـه شـجـو وهـيـام وكـلام
أيها الناس اصبـروا واحتسبـوا فلنـا الاسـوة فـى خيـر الانـام
كـل حـى لابـث فـى قـومـه ميـت لو عـاش فيهم ألـف عـام
غـيـر أن الله يحـيـى علـم مـن مـات للناس كمـا يحيى العظام
يـجـعـل الابـنـاء وراثـا لـه فيـوفـى سهمهم بيـن السـهام
ثـم يبـقـى العلم فـى أخـلافهـم يتـلـقـاه هـمـام عـن هـمـام

---

1) الانيس المطرب ص 314

وكـذا الاخيـار يـبقـى فضلهـم   يتسـاوى البدء فيـه والـتـمـام
والـذى طـيـب ربـى بـدءه   لا تشـكـو أنـه طـيـب الختـام

قال ابن الطيب المذكور أيضا مخاطبا لاهل تطوان ، ومسليا لمن بهـا من الاصحاب والاخوان (1) .

يا أهـل تطـوان سلامى لكم   ورحـمـة الله مـع الـبـركـة
مـن مـات فالبركـة فى نجله   فلستـم الـيـوم بـلا بـركـة

ونختم هـذه الترجمة بما جاء عن سيدى بركة رحمه الله فى كتاب «الدر المنتخب» للعلامة الاديب أبى العباس أحمد بن الحاج الفاسى. ونصه : (2)
«ومنهم العالم العلامة، ذو التحقيقات الباهرة، والمئاثر العديدة الشهيرة الولى الصالح، القطب الواضح، المشارك البركـة، المتبرك به فـى السكـون والحركة، أبـو الحسن سيدى علـي ابن سيدى محمد الملقب ببركة، التطاونى الاندلسى، صحـب سيـدى أحمد بـن عبد الله وسيدى عبد القادر الفـاسى، وغيرهما من المشائخ المشهورين، وله شرح حسن علـى الجرومية، انتفـع به أهل الاقطار القريبة والنائية، وتوفى فى التـاسع والعشريـن من شوال عام الترجمة (يعنى عام 1120) ودفن بتطوان، وبنى عليه مشهد من المشاهد الكبيرة العظيمة الشأن، ممن يقصد لقضاء الحوائج من سائر البلدان» اهـ.
والعبارة الاخيرة من كلام ابن الحاج، تشير ـ كما رأيت ـ الى أن سيدى بركة رحمه الله، كان بعض الناس : يقصـدون ضريحـه كما يقصدون ضرائح الاولياء لقضاء الحاجات، وهو رحمه الله انما كان ـ كما علمت ـ رجلا من رجال العلم والعمل، والاستفادة والافـادة، والعبـادة والتقوى، وذلـك وإن كان فى الحقيقة هو حال الاولياء والصالحين، لان الله تعلى يقـول، ألا إن أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين ءامنوا وكانوا يتقون، إلا أن من الناس من لا يستطيعون معرفة الله ولا يرجون منه خيرا الا بوسائط، ولا يتصورون الولي الا بكرامات، وخوارق عادات، فنسبوا لسيدى بركة كرامات أيضا وذكروا أنه كان صاحب أحوال، بل زعم بعضهم أنه كان يتطور على غير صورته فيتطـور على صورة سبع، وقد نقل أستاذنا الرهونى رحمه الله عن بعضهم حكاية بهذا المعنى والكمال لله .

---

1) الانيس المطـرب ص 315
2) من المجلد السابع من كتاب «الدر المنتخب» المخطـوط بالخزانـة الزيدانية بمكناسة الزيتون، وقد وقفت عليه بها فى زيارتى لها سنة 1368 صحبة صديقنا المؤرخ المحقق فتى مكناس الاستاذ محمد المنونى، وقد أعارنى ذلك المجلد مع بقية المجلدات، الشريف النبيل مولاى مصطفى بن زيدان حفظه الله .

الاديب الحاج علي مندوصة

أبو الحسن علي مندوصة الاندلسى التطوانى، من أدباء تطوان فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر، وقد أثبتنا ترجمته هنا كشيخه أبى الحسن علي بركة «السابق الذكر» ورفيقه أبى عبد الله الرافعى «الآتى بعده» لان الربع الاخير من هذا القرن كان هو عهد نشاطه وشبابه، ومساجلاته مع أصدقائه وأحبابه وقد قال فيه صديقه أبو عبد الله ابن زاكور فى كتابه «نشر أزاهر البستان» ما نصه : (1) صاحبنا الاديب، الذى حاك من برود الادب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن رطيب، أبو الحسن السيد الحاج علي الاندلسى عرف بمندوصة، أبقاه الله وأبنية مجده مرصوصة الخ.

وقال فيه أيضا ما نصه : (2) «وهذا الفاضل رعاه الله، وأعانه على ما نواه، ناظم درر تلك المغانى، ومزينها بأنصع الالفاظ وأبدع المعانى، فهو شاعرها المصقع، وبحر أدبها الذى أربى على كل منقع، لم يزل طائفا بكعبة القريض، وقاطعا ما راق من نور روضة الاريض، حتى جاء منه بما هو أسحر من الطرف الاحور والجفن المريض، له قصائد، اانق من فرائد القلائد، ومقطعات، بيواقيت الابداع مرصعات مع رقة، من نسمات السحر مشتقة، وطلاقة، تسلى كل ذى علاقة، فكلما وردت الى مغانيه، أبهجنى برائق معانيه، وطرب الي وهش، وقابلنى من تأنيسه برذاذ ورش، وحملنى الى ضياعه، وشنف سمعى بأجناس أدبه وأنواعه الخ.

وقال فيه ابن الطيب العلمى فى الانيس المطرب (3) «شاعر مفلق، فقير من التوقف مملق، يقيد ما شاء من القوافى ويطلق، ويفتح أبواب المعميات آونة وتارة يغلق، رحل الى البلاد المشرقية، فحل المشكلات النحوية، والاشكال المنطقية، ومال الى المذهب، وأذهب فيه من عمره ما أذهب ودخل الجامع الازهر، فناهيك من علم أشهر، وخفي علم فيها أظهر، ثم كر راجعا الى المغرب، وخلد علومه بأم القرى ويثرب، فتصدر للاقرا، وملأ من الفوائد لطالبه وقرا، وأرسل على شوارد المعانى من إصابته صقرا، وقد أثبت من كلامه ما يغار منه امرؤ القيس، ويحن اليه جميل بثينة وقيس، فمن ذلك قوله يمدح شيخه الامام العالم العلامة الحاج الابر أبا حسن سيدى علي بركة يوم ختمه مختصر خليل :

---

1) نشر أزاهر البستان ص 36 .
2) نشر أزاهر البستان ص 40 .
3) الانيس المطرب ص 343

بليت بهجر الالف ان طمحت عينـى وهجر الالى قد خيموا فى الحشا صعب
عفـا الله عنـك لم تلـوم أخا هـوى وتتعـب صبـا مدنفـا مسه الـكـرب
تراه اذا جـر الدجـا سجف مرطـه ونام الخلـي ذا أسى هكـذا الصب
رويـدك انـى مـذ ثـلاث بـاربـع لفـى ولـه قد شـب نيرانـه الحب
فلـم فى الهوى العـذرى أولا فديدنى الى زخرف العذال ما عشت لا أصبو
نعـم لسنى سلمى مسلسلـة اللما أحـن لهـا لمـا أبـت نـارها تخبو
محـا حبهـا حـب الالـى كن قبلها فـأصبـح مأواهـا ومنـزلها القلب
فأصبحـت ملكـا للهـوى مغنمـا له ولا غـرو أن الملـك يملكه القلـب
الى كم فدتك النفس ترمـى فؤادنا بسهم نضـي اللحـظ أرياشه هدب
فكفى أكـف الهجـر عنا وأسجحـى وشحـى بهجرى إنـه كالرضا عذب
ورقـى لـرق فـى هـواك مـتـيـم فـلا ريبة فـى وصلنـا لا ولا ريب

ومـنـهـا :

فلـم ذا صرمـت الود عنـا أوصمـة أعاب بها لا بل لان خطنى الشيـب
فما الشيب عيبسل أخا العلم والتقى وصدر الالـى مجنـى معانيهم رطب
شـهـاب أغـر ثـاقـب مـتـوقـد اليـه المثـاب إن نبا أو عرى خطب

ومـنـهـا :

اذا غـامـض أدجـى ونـد لمعشـر نحـاريـر ليس فـى تقاريرهم شوب
أزاحـه نجـل البـركات الذى لـه شفوف على ذى اللب حسب الفتى اللب
أبـو حسن مـن حـاز كـل محـاسن علـى كـل ذى فخـر مفاخره تربـو
اذا المشكلات استعجمـت حل قفلها وأبـدى دجاهـا ذهنه مرهف غرب

ومـنـهـا :

فـدونـكـم ربـات قـرط خـريـدة مفـوفـة هيفـاء هـام بهـا الـحـب
مـبـرقعـة لمـيـاء غـضـة بـضـة سـوى أنهـا عـذراء نـاهـدة عـرب

ومـنـهـا :

سلام كنشر المسك من جيب خودة فيـا حبذا هـى ويا حـبـذا الجيـب
أو الـروض ان صبـت عليـه ربابـة فـأصبـح يهتـز فيـا حبـذا الصـب
أو الـروح من سربى أتـى ليزورنى فهيجنـى الـروح فيا حبـذا السرب
رضوا بعد ما حلوا بهجـر حشاشتى وهجر الالى قد خيموا فى الحشا صعب

وقوله يمدح الفقيه الاديب الماهر أبا عبد الله سيدى محمد بن زاكور رحمه الله تعالـى .

سـر البيـان وزبـده ورواؤه ... ونهـاية التهـذيب فـى التقريـر
ونـفـيس كـل مـدون ألـفـتـه ... كـدلائـل الاعـجـاز فـى التحريـر
وخلاصـة التلخيـص والنكـت التى ... تـزرى اذا حققـتـهـا بـالـحـور
مـا الـحـور ان جـا سائل متحيـر ... فـأزحـت عـنـه غـمـة التحيـر
فـغـدا يـجـر رداءه طـربـا بـمـا ... قـد نـال لا كـالشـارب الخميـر
عـنـد الامـام الالمـعـى مـحـمـد ... نـجـل الاغـر المـرتضـى زاكـور
بـحـر طمـا علمـا فـكـل مـدرس ... مـنـه تضلـع وارتـوى نـحـريـر
كشف الغطاء عن الغوامض فانجلـت ... فلـه بـذلـك رتـبـة التـصـديـر
أعـجـزت كـل مـفـوه أمـحـمـد ... فـى رائـق المنظـوم والـمـنـثـور
وبـديـع تـأليـف تخـال نـظـامـه ... وحـيـا اذا أنصـفـت بـالتبـشيـر
خلصـت معـانيـه فـراقـت وارتقت ... وصفـت مـن التغييـر والتـكـديـر
مـن ذا يـجـارى او يبـارى مصنفا ... فـى كـل عـلـم ثـابـت مـشـهـور
ألقـى لـه المعقـول أزكـى قـيـاده ... لـمـا رءاه كـامـل التـعـبـيـر
يـدنـى ويقصـى مـا يـريد لوسعه ... ولـجـودة التمثيـل والـتـصـويـر
ان كان رهطـك حيـث سدت جميعهم ... ودوا خـفـاء ظـهـورك الـمـأثـور
حسدا ففضلـك قد حدا الحادى به ... فـى كـل قـطـر بالـمـلا معمـور
مـن رام إخفـاء البـدور فقد غـوى ... والـجـو غـيـر مغـيـم ممـطـور
أنـت المقـدم والـرضـى فى قومـه ... وسوى الرضـى فى رتبـة التأخيـر

ومـنـهـا :

فاليـك تهـدى يابـن قـاسم غـادة ... حسنـاء لا تـحـتـاج للـتـحـبـيـر
هـدبـا تناهـى حسنهـا وجمالهـا ... قـد ضمخـت بـالمسك لا بعبيـر

وهنا جاء فى النسخة المطبوعة من الانيس المطرب ما يأتى (1)

ومنها : اشكر لمندوصة خير الاخايير الخ أبيات ثمانيـة. والاتيـان بهـذه الابيات على هذه الصفة غلط «لعله من الناسخ» لانها من قصيدة أخرى أجاب بها ابن زاكور صديقه مندوصة المذكور، وهى موجـودة بتمامها فـى ديوانـه المسمى «الروض الاريض، فى بديع التوشيح ومنتقى القريض» واتماما للفائدة نثبت هنا

---

1) الانيـس المطـرب ص 345

نصها الكامل، لانها زيادة على ما فيها من مدح للمترجم، تبين لنا ما كان بين أدباء فاس وتطوان فى ذلك العهد من جميل العواطف وحفظ الوداد ونشر الفضائل ـ والكرام يعرفون الفضل لذويه ـ قال الاديب محمد بن زاكور رحمه الله .

اشكر لمندوصة خير الاخايير ... من كل فارس منظوم ومنثور
وصفوة الصيد من أعيان أندلس ... وبلغائهم اللسن المشاهير
قد نزعت به أعراق السراة على ... مر الزمان وتجديد الاعاصير
وكونه فى ذرى تطوان مطلعه ... بدر علاه حباها خير تنوير
فجاء أشعر من يجرى على سنن ... من القريض قويم غير مهجور
فجاره فى سبيل الله متئدا ... شعرا بشعر وتحبيرا بتحبير
وجازه عن قريض كان منه سنى ... لوالج نفقا فى جنح ديجور
وصلة من حبيب ليس يرقبها ... محبه المصطلى نيران مدحور
اذاك أجلى مثال لمديحك أم ... أبرد ... العذب يشفى قلب محرور
ومحسب اليسر بعد العسر يدركه ... أبو بنات ضعيفات مكاسير
فالله يجزيك يا شعرى وتزويرى ... على جميل ثناء غير مكفور
ليهنك الدهر أهدى الدر منتثرا ... فى سلك منتظم الى ابن زاكور
زاكر عيبات أفعال له قبحت ... بالعيب بالغيب ذا جد وتشمير
وقد يجاهر بالفحشاء منتهجا ... نهج المهاجر دار الله والحور
لم يجده العلم نفعا حين حصله ... بالدرس للنفس لا لله بالنور
فما نضارة أقوال مزخرفة ... بخاطر مخطر لكل محظور
الا كنضرة جسم لا حياة له ... بين الجسوم وسور غير ما دور
إليه أهديت بدر الشعر أنفس ما ... يهدى الى عالم بالشعر نحرير
لقد أنلت بذاك القوس باريها ... والطرف مجريه بين الجماهير
والعضب من يعتلى هام الكماة به ... والتبر دهقان نقاد الدنانير
والمسك من ليس مزكوما وقد سطعت ... منه الفواغم تشفى كل مغمور
لا غرو أنا وقد قلدتنا مننا ... ندلى الى شكرها قصرا بتقصير
فأنت مصقع أهل العصر قاطبة ... تقضى عليهم بتقديم وتأخير
فهم لديك وأنت الليث يذعرهم ... زئير شعرك أشباه السنانير
يمعون يبغون شقا من غبارك فى ... شأو العلا ما معاء الهر من زير
أعاذك الله من عين الحسود فنل ... عين الحسود بأشباه المسامير
من فعلك المرتدى بكل صالحة ... تغرى الجليل بتعزيز وتوقير
فأنت رب جميل غير مكفور ... وأنت حلف صنيع جد مشكور
فالله يكفيك كف الضيم من حرد ... لم يترقب رقيبا للمقادير

والله يـرقيـك أو يبقيـك مرتقيـا ... علـى العـدا فهـم شـر الاشاريـر
والله يـرعاك فـى مسعـاك مرتديـا ... بالصـون عن كـل محظور ومحذور
والله يصحبـك التـأييـد معتصمـا ... بعـزة الله عـن دهـر الـدهـاريـر

ومما مدح به المترجم رحمه الله، قول ابن زاكور أيضا :

قسمـا بمـن بالصـد قد أضنـانـى ... وسقـان كـاسـات مـن الهـجـران
وغـدا يـمـزق مهجتـى بلـحـاظـه ... وكـسـان ثـوبـى ذلـة وهـوان
مـا أنـت الا حـائـز خصـل العـلا ... متضلـع (I) بلئـالـىء الـتـبـيـان
يـابـن الالى همعـت سحـاب أكفهم ... وتـوشحـوا بمـشـقـف الـمـران
وعـدوا علـى الابطـال فى صهواتهم ... ونمـوا الـى عـدنـان أو قحـطـان
مـن كـل قـرم بـاسل يـوم الوغى ... بـادى الشـرور اذا التقى الجمعان
همنا بشعـرك بـل بسحرك فانثنـت ... ألـبابـنـا سـكـرى بخمـر بـيـان
مـا شئت مـن لفظ أرق مـن الهوى ... وألـذ فـى الاسمـاع مـن عيـدان
وبـديـع معنـى كالنسيـج لطـافـة ... أحلـى مـن الـرشفـات من غـزلان
مـا البحتـرى وأبـو فـراس والبهـا ... بـأرق منـك ولا الفتـى الهمدانـى
حـزت البـراعـة واليـراعـة والعـلا ... وسبقـت فـى مضمار هـذا الشأن
واليـكـهـا تسـدى اليـك تحـيـة ... أذكـى شـذى مـن نفحـة البستان
مـا اهتـاج قمـرى بأفنـان الربـى ... وتمـايسـت هيفـا غصـون البـان

وهذه القطعة جواب من ابن زاكور لمندوصة عن قطعة شعريـة مـن نفس البحر والقافية .

ومما خوطب به المترجم رحمه الله قول صديقه ابن زاكور المذكـور ايضا :

يـا سلس الالفـاظ عـذب المـذاق ... وابن الالى الصيد المذاكـى العتـاق
ومـن بـه تطـوان حسـب اغتـدت ... فـى رونـق تـزرى بشعـب العراق
لله مـا أطـلـعـت مـن أنـجـم ... أدرك بـدر الافـق منـهـا المحـاق
دعـوتنـى لـلانـس فـى حـضـرة ... طـاب نسيـم الانـس فيـهـا وراق
لبـيـك يـا بـدر العلـى والـنـدا ... فـلا دهـاك الدهـر وشـك الفراق

وقدم المترجم الى صديقه ابن زاكور المذكور هدية مصحوبة بشعر فأجابه عن ذلك بهذه الابيات :

هديتـك العظمـى أصـار قبـولهـا ... قريض لكـم كالعقد ما عنـه من بد
ومـا كـان ردى ان يكن وهو لم يكن ... لشىء سوى رفقى بمستخلصى ودى
وانـي غنـى عـن غـرامة صاحبـى ... والا فمالـى مـن سبيـل الـى الرد
وهـذى مجاراة القريض استطعتهـا ... وشكـر الـذى أوليتـم فـاقد الحد

I) فى نسخة «متقلد»

وبعد أن أثبت الاديب ابن زاكور فى كتابه «نشر أزاهر البستان» أشعارا بديعة له فى مدح تطوان وأهلها ومتنزهها كيتان، قال ما نصه : (I)

«وقد ذكر هذا المعنى الحسن، صاحبنا الاديب أبو الحسن، (يعنى المترجم) بلغه الله ما أمله، وأسعده فى حجه الذى أم له، فى قصيد، له فريد، أوله :

ان الصبا لما سرا سحرا — نسماته بروضنا الاشجر
أذكاه حتى خلت نسمته — سحيق مسك ضاع فى المجمر
لا بل كورد أصبح الطل فى — أوراقه كالدر والجوهر
فاستنشقن عرف الرياض التى — تزرى بريا المسك والعنبر

ومنه :

تحكى ضياء الشهب ان طوقت — جيد التى تزهو على المشترى
ترى الشقيق شق أجيابه — مخافة من ورده الاحمر
والنرجس الغض همى جفنه — فوق بساط سندس أخضر
والارض تهتز بأنوارها — كم أزرق فيها وكم أصفر
والآس يشبه الدلال على — خدود ظبى أهيف أحور
سقى الشمال روض كيتانها — بنافع وعارض ممطر
يا حبذا ريح الشمال التى — قد قال فيها صاحب المغفر
صلى عليه الله ما كتبت — يد الربيع رائق الاسطر
نصرت بالصبا وأهلك عـ — ـاد بالدبور ان قولى حرى
لولاه ما نلنا الذى نرتجى — ولا كرعنا حوض ما الكوثر

ومما وقفت عليه من نظم المترجم رحمه الله، أبيات قالها فى مدح الشيخ الصالح سيدى محمد بن علي بن ريسون دفين مدشر تازروت من قبيلة بنى عروس المتوفى سنة 1018 رحمه الله وهى هذه .

زر تازروت مناخ القرم عمدتنا — محمد بن علي ابن الرضى عيسى
المرتدى برداء المجد من ملا — قد قدسوا - اذ هم الاشراف - تقديسا
من لم يقل ذو الحجا فى فعله ابدا — وقوله حبذا أفعاله بيسا
فرع الاجلة أصل الفضل مالي لا — أثنى على من عصى اللعين إبليسا
فصار يرفل فى ثوب المهابة قد — حاز وفاز بقصده الفراديسا

هذا ولم نقف على تاريخ وفاة المترجم رحمه الله، الا أن المعروف أنه كان حيا وفى عنفوان نشاطه فى تاريخ زيارة الاديب ابن زاكور لتطوان وتأليفه لكتاب «نشر أزاهر البستان» وهو عام 1094 ومقتضى ترجمة ابن الطيب العلمى فى «الانيس المطرب» أن وفاته تأخرت الى الربع الاول من القرن الثانى عشر والله أعلم

I) نشر أزاهر البستان ص 39 .

أبو عبد الله محمد بن علي الرافعي

هو الفقيه الاديب الشاعر الناظم الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن علي الرافعى الاندلسى التطوانى من رفقاء الشيخ سيدى الحاج علي بركة وتلاميذه رحمه الله .

وهو من رجال تطوان الذين عاشوا فى القرن الحادى عشر وتأخرت وفاتهم الى القرن الثانى عشر، وقد ترجمت له هنا لانه قضى من عمره فى القرن الحادى عشر نحو ستين سنة وجل انتاجه كان فى ذلك القرن.

وهذا السيد لم نكن نعرف عنه شيئا قبل بضع سنوات «فلم نقرأ اسمه فى كتاب، ولم نسمع به أو بأى شىء عنه من أفواه الشيوخ، الى أن وقع العثور أخيرا على مجموع خطي كبير له (I) فكان هو الذى عرفنا به وبآثاره، وكأن هذا المجموع هو الذى أخرجه من العدم الى الوجود .

والمجموع المذكور يحتوى على ما يقرب من خمسمائة صفحة، وجله من انشاء وتأليف صاحبه الفقيه الرافعى صاحب الترجمة، وهو مكتوب بخط غير خط مؤلفه الا أن فيه طررا وإصلاحات وإلحاقات بخط المؤلف نفسه، كما أن به تقاريظ بخطوط أصحابها وكلهم من مشاهير العلماء والادباء فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر، وفى هذا المجموع أربعة كتب كاملة وهى :

الاول، رحلته الشرقية.

الثانى، ديوانه الشعرى.

الثالث، تأليف له فى الرسائل .

الرابع، تأليف له فى الادعية والاوراد والاذكار .

وفيه زيادة على ذلك، قصائد مختارة لبعض الشيوخ والادباء المعاصرين له، مع قطع نظمها بعد فراغه من جمع ديوانه .

ثم ان الذى يرغب فى الاطلاع على ما خلفه رجال تطوان من آثار علمية أو أدبية، لا يجد ما يشفى غليله من ذلك، اولا، لقلة تلك الآثار وثانيا لضياع جل ما صدر منها والواقع ان عدد المؤلفين من علماء تطوان قليل ومن يقول الشعر من رجالها أقل، وهذا هو الذى دعانى لان أتبسط قليلا فى الكلام على ما خلفه الفقيه الرافعى من أثر مكتوب، ما بين منظوم ومنثور، وربما أثبت نص بعض ما كتبه على ما فيه من أسلوب قد يغيظ بعض الادباء، لا استحسانا له، لانى لا أستسيغه ولكن حفظا للتاريخ، وتصويرا لصنف من كتابة ذلك العهد على ما فيها من تكلف وحشو واضطراب، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

ودونك عرضا لما وقفت عليه من تآليف الفقيه الرافعى رحمه الله وغفر له .

(I) هذا المجموع ما يزال حتى الآن محفوظا بتطوان .

رحلتـه المشـرقيـة الحجازيـة

أما رحلته الحجازية فقد استهلها بقوله : «الحمد لله الذى يسر لنا أسباب الخيرات، وكان لنا خير معين ونصير، وأذهب عنا كل ضر وعناء وأمـر عسير ، وخولنا ءالاءه العميمة فى الحركات والسكنـات، والمقام والمسير...» الى أن ذكر أنه سمى رحلته «المعارج المرقية، فى الرحلة المشرقية» وقال «ثم انى لما عزمت على المسير من حضرتنا الرائقة ومدينتنا الفاتحة الفائقة تطاوين الباهيـة الغـرا ، السامية على البهجة والخضرا الخ. وذكر انه ابتدأ رحلته مع رفقائـه من بلـده تطاوين عقب صلاة الجمعة من يوم ثامن جمدى الاولى عام ستة وتسعيـن وألـف (1096) وأنهم لبثوا ستة أيام كاملة فى حلق الوادى (يعنى به وادى مرتيل) على شاطىء البحر الابيض المتوسط، ثم من الله عليهم بريـح طيبـة فركبـوا سفينة شراعية سارت باسم الله مجراها ومرساها .

وهنا يجمل بنا أن ننقل عن الفقيه الرافعى بعض ما لقيه فى رحلته هـذه لنعرف ما كان حجاج ذلك العهد يقضونه من وقت ويلاقونه من أتعاب وأخطـار، ليقارن من تهمه المقارنة بين حج ذلك العهد وحج عهدنـا هـذا الـذى طويت فيه المسافات، وزالت المشقات، وأصبح فى امكان الواحد منا أن يقطع المسافـة التـى بين المغرب ومكة المكرمة، فى بضع عشرة ساعة، فيحج الشخص ويزور المدينـة المنورة ومصر والشام ويعود لداره فى أقل من اسبوع واحد ...

ثم ذكـر الرافعى انهم لما قربوا من وهـران، (بالقطر الجزائرى) قصدهـم مركبان للاعداء للايقاع بهم، فاستعدوا للقتـال والمبـارزة، ولكن الله نجاهم من أولئك الاعداء بهبوب الريح ونزول الظلام ثم التجائهم الى مدينة مستغانم التـى نزلوا بها ففرح بهم أهلها وأكرموهم. ثم سافروا الى مرسى شرشال فحلوا بهـا فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور، ووجدوا بها مركبا قاصدا مينـاء تطـوان .

ثم سافروا لمدينة الجزائر التى اجتمع المؤلف فيها بقاضيها الشيـخ محمد ابن عبد المومن ودفع له نسخة من رحلة ابن زاكور للجزائر وتطوان، وقـد كـان مؤلفها طلب من شيخه سيدى بركة أن يبعث بها اليه. وذكر أنهم لبثوا فى الجزائر عشرة أيام عرفوا فيها علماء أجلـة محققيـن يـدرسون مختلف العلوم والفنون، ووصف المؤلف فيها فى عدة صفحات، مدينة الجزائر ومناعتها وقصورها وأسواقها ومساجدها وأبراجها وأسوارها وأبطالها وغير ذلك. وعند ما قرب مـوعد السفر جهزه أصهاره أحسن تجهيز، وقدموا له مختلف الهدايا .

ثم ذكر أنهم فى رابـع عشر جمدى الاخيـرة، غـادرت الجزائر عشر سفن بحرية ركب المؤلف ـ فيما ذكر ـ أحسنها مركبا، وأجلها منصبا، وهـو مركـب الـرئيس محمد عروج فوصلوا جزيرة رودس التركية الواقعة فى جنوب بـلاد الاناضول يوم السبت ثالـث عشر رجـب بعد أن مرت عليهم مصائب وأهوال، وتعرضوا للاصطدام بمراكـب للكفـار، ولكن الله نجاهم منهم مرة أخرى بالريح ثم بالظـلام.

ونزل المؤلف بالجزيرة ووصفها وذكر أن مما شاهده فيها ثلاثين سفينـة منها واحدة فيها خمس طبقات وخمسة وسبعون مدفعا من النحـاس، وان تلـك السفن صنعها السلطان محمد خان بالقسطنطينية.

وطال المقام بهم هناك، لان سفن الاعداء كانت محاصرة للبلاد، وقد انقطـع ورود المراكب عليها فلم يبق للمؤلف الا اللجوء الى الله تعلـى وطلب الفـرج منه سبحانه، قال المؤلف، فأنشأت أرجوزة أطلب فيها مـن الله تعلـى أن يمن علينـا برياح من النصر ينشرها وقلت :

يا ربنـا يا ربنـا يـا ذا الجـلال	امنـن علينـا بانفـراج مـا نـزل
وأبـدل العسر سريعـا يا مجيـب	أجـب دعائى يـا سميع يا قريب
هـون علينا أمـرنـا لـدى السفر	ونفس الخطـب لنقضـى الـوطـر
ويـسـر الامـر بـأمـر شـامـل	ونجنـا مـن كـل خطـب هائـل
وكـن لنا خيـر مغيـث نـاصـر	يـا خير منقـذ وخيـر نـاصـر
وعـمـنـا بـحـفـظـك المنيـع	بجـاه سيد الورى الشفيـع. الخ.

قال المؤلف، فما كان من عمـارات الاعداء المحاصريـن لهم، الا أنها أقلعت عنهم وجاءت سفينتان كبيرتان فركب المؤلف احداهما مع نحو عشرين من الحجاج المغاربة، وأراد بقية الحجاج الركوب معهم فمنعهم أصحاب السفينة وأغلظوا عليهم ـ وكانوا من الاتراك ـ وأقلعت بهم السفينة فى الحين وافترق المؤلف عن ولده الحاج احمد الذى تخلف مع بقية الحجاج برودس، فتخلف معه كل متـاع المؤلف وماله فبقي ـ كما قال ـ كئيبا وحيدا، فقيرا فريدا، وهناك أنشد :

ناء عن الاهـل صفر الكـف منفـردا	كالسيـف عـري متنـاه عـن الخلـل

وكان خروجهم من رودس فى صباح يوم 26 رجب، وبعد ثلاثة ايام نزلـوا بأبى قير فى القطر المصرى ثم منها الى رشيد، ومنها فى نهر النيل الى القاهرة وهناك حط المؤلف رحاله بوكالة القبرصى قرب الغورية فى ثالث عشر شعبان.

وجال المؤلف بالقاهرة فانطلق لسانه ووصف مصر وأهلها ومدحهـم نظما ونثرا، وزار الازهر ورواق المغاربة، وحضر بعض المجالس العلمية للعلامة الشيخ عبد الباقى الزرقانى ـ شارح مختصر خليل ـ فى درس المواهب اللدنية، وحضر

عدة مجالس للشيخ محمد الخرشى فى صحيح البخارى، ومجالس للشيخ الشبرخيتى فى درس الاربعين النووية، وذكر أن أولئك العلماء كانت عادتهم أن يخصصوا الاشهر الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان، لعلم الحديث، وباقى الاشهر لبقية العلوم من فقه ولغة وغير ذلك .

وذكر أنه بقي يتردد على الازهر ومجالس علمائه مدة، وأن بعض الاشراف أطلعه فى رواق المغاربة على كتاب بعثه شيخ تطوان سيدى الحاج علي بركة ، الى مصر سائلا فيه علماء الازهر عن خمس مسائل، فأجاب عنها الشيخ الزرقانى، الا أن الشيخ يحيى الشاوى (المغربى) لم يرتض ذلك، وظن أنه يوهم علماء مصر أنه لا يوجد بالمغرب من يحسن الجواب عن المسائل العلمية .

ثم وصف المؤلف مساجد مصر وءاثارها واسواقها وما فيها من كنوز وذخائر ... فبهذا السوق تباع الجوار، الثيبات والابكار، كأنهن فى الحسن أقمار ، كواعب وأتراب علاهن البها والوقار، أكثرهن من نسل الاعلاج، ذوات بياض مشوب بحمرة وابتهاج .....

وطاف المؤلف بضرائح الاولياء والصالحين، ووصف كيف يحتفل المصريون بهلال رمضان وبعيد الفطر .

وفاخره بعض المصريين بما لديهم من بساتين وأجنة ، فأجابه المؤلف بما فى المغرب من رياض وجنان، وخاصة ببلدة تطوان، وعلى الاخص بأدواح كيتان، وأنشده قصيدته التى مطلعها :

تناثر زهر فى الرياض فأعبقا وحيا محياه حياء فأورقا

ثم أثبت الرافعى نص رسالة بعث بها الى شيخه سيدى بركة بتطوان يصف له فيها ما لقيه وما شاهده منذ خروجهم من الجزائر الى مقامهم بمصر، وذكر أنه فى تاسع شوال أخرجت كسوة الكعبة من القلعة ووقع الطواف بها فى أنحاء المدينة، ووصف الاحتفال العظيم بذلك، كما وصف خروج المحمل المصرى قاصدا الحجاز فى اليوم الثامن عشر من نفس الشهر، وفى منتصف هذا الشهر حل الركب المغربى بمصر، وفى مقدمة رجاله، الشيخ الصالح أبو العباس احمد بن ناصر الدرعى شيخ الطريقة الناصرية، وكان نزوله فى القاهرة بمنزل الشيخ عبد السلام اللقانى .

ثم ذكر الرافعى أنه فى سابع وعشرى شوال، ركب مطيته وغادر القاهرة صحبة الوفد المغربى الذى جمع الطريق بينه وبين الوفد المصرى، وذكر أنهم كانوا يقرأون مناسك الحج للشيخ علي بركة .

ثم صار المؤلف يذكر أسماء المنازل التى كانوا يبيتون أو ينزلون بها، ويثبت ما قيل فيها من أشعار، ويصف ما يلحق المسافرين فى طريق الحج من أتعاب، وما يتعرضون له من امتحان لاخلاقهم وصبرهم وثباتهم، او هلعهم وطيشهم

وأنهم فى ذلك كالماء، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج. وأن أزمة الناس فى ذلك الطريق، هى قلة المياه والازدحام عليها، ولكن تلك الاتعاب كلها تهون عند ما يستحضر الحاج أنه فى عبادة الله، وأنه سيحظى بالطواف حول بيت الله الحرام. ثم يقف أمام ضريح خير الانام، فاذ ذاك يفيض الشعور، وترق القلوب وتنهمر العبرات ويغفر الله بفضله الذنوب .

ووصل الركب المغربى مكة المكرمة فى رابع ذى الحجة بعد أن قطع من المراحل أربعا وثلاثين سردها المؤلف فى منظومة استهلها بقوله :

خرجنا بركب الغرب من مصر ضحوة   نؤم الحجاز والدليل بنا يحدو
ركبنا مطايا العيس نبغى مراحلا   تناهى لدينا العز والفخر والمجد

وقد وصف المؤلف مدينة مكة وما فيها من معاهد وأماكن وآثار، وأثبت نصوص الدعوات التى تقال فى مختلف المناسبات والمواقف، وكل ذلك بشعور فياض وعواطف متأججة .

وهرع الناس كالعادة الى منى وعرفة، فكان المؤلف فى ركاب الشيخ احمد ابن ناصر، وقد قرأوا كتاب دلائل الخيرات، والمؤلف فى كل موقف يعبر عن عواطفه وخواطره نظما ونثرا، لقد تضرع وبكى، وتوسل ودعا، وطلب من الله لنفسه ولكل من له به علاقة، وكان الرافعى فى تلك المواقف برا بأهله وأقاربه وأصدقائه وبكل من طلب منه الدعاء الصالح فى تلك المواقف والمعاهد .

وذكر المؤلف أن عمره بلغ فى تلك السنة (1096) ستة وخمسين عاما وانتهى الوقوف بعرفة، وعاد الرافعى الى منى ووصف ما فيه وصفا، وذكر أنه شاهد به الركب الشامى والمصرى والبغدادى والبصرى واليمنى والمغربى، ورأى احتفالات الناس وفرحهم وابتهاجهم، وعاد الركب الى مكة وأتم الحجاج مناسكهم وأخيرا اكترى المؤلف مع رفقائه من بعض أهالى الصعيد جمالا للسفر فقبضوا منهم مالا ثم اختفوا ولم يقفوا لهم من بعد على أثر .

وغادر الحجاج مكة المكرمة قاصدين المدينة المنورة فى الحادى والعشرين من ذى الحجة، وقطعوا عدة مراحل نظم المؤلف أسماء منازلها فى أبيات ذيل بها ما نظمه فى المنازل الاخرى من قبل .

ودخلوا مدينة الرسول عليه السلام فى فاتح محرم الحرام سنة 1097 هـ. وفاضت قريحة المؤلف وتدفقت عواطفه نحو نبى الرحمة وامام الهدى وسيد العالمين، وسجل ارتساماته عن المسجد النبوى والمدينة المنورة وروضات البقيع، وصور ما شعر به هنالك من عواطف وما اعتراه من أحوال .

وغادر المؤلف مع رفقائه مدينة الرسول فى اليوم الرابع من المحرم، وذكر أنه كان يختم كتاب دلائل الخيرات كل يوم فى حالتى السفر والاقامة، بل انه جعل ذلك وردا له منذ سنين .

ووصل الوفد الى مصر فى تاسع صفر وقضى الحجاج بها مدة شاهدوا خلالها معاهد القاهرة وءاثارها وزاروا قبور العلماء والصالحين، وحضر المؤلف الاحتفالات الكبرى بالمولد النبوى، ثم ودع العلماء وشيخه ابن ناصر وقد هاجت أشواقه الى تطوان، وأنشد فى ذلك من الشعر ما أنشد، ثم غادر مصر فى ثانى ربيع الثانى راكبا متن سفينة نهرية الى رشيد ثم الى الاسكندرية التى زار فيها ـ على عادته ـ ضرائح العلماء والاولياء، ووصف المدينة وءاثارها .

وطال بهم المقام فى الاسكندرية انتظارا لسفينة يعود عليها الى بلده، فكتب فى ذلك ما كتب، ونظم ما نظم، فى التوسل والتضرع ومدح الصالحين والتشوق الى تطوان .

وفى تاسع وعشرى جمدى الاولى، أقلعت بالمؤلف مع ولده، سفينة بحرية قطعت بهم ما بين الاسكندرية وجزيرة مالطة، فى خمسة وعشرين يوما لم يروا فيها برا، ومرت بهم أهوال كادوا معها ييأسون من الحياة، فكانوا يرجون الله ويتوسلون اليه بالاولياء والصالحين، والمؤلف فى جميع تلك الاحوال يكتب وينظم ويتضرع، وأخيرا أرست بهم السفينة فى ميناء الجزائر، فى تاسع وعشرى جمدى الاخيرة. ثم فى رابع رجب، استأنف المؤلف سفره فى البحر، وبعد ستة أيام ... تنسم نسيم الصبا بعطره العبيق، وبانت لنا تطوان وظهرت، وبشذا عرفها تعطرت، وتجلت فى حلي المفاخر، ولاح نورها الزاهر، وفى عاشر رجب 1097 نزل الحاج محمد الرافعى الاندلسى التطوانى بميناء وادى مرتيل ـ شاطىء بحر تطوان، ويسميه هو ـ حلق الوادى ـ حيث استقبله الاولاد والاقارب والاصدقاء، فكانت المدة التى استغرقتها رحلته، عاما كاملا وشهرين، وقد وصف المؤلف فى هذه الرحلة كما رأيت، كيفية سفره وتنقلاته والبلاد والاماكن التى مر بها أو زارها، والاشخاص الذين اجتمع بهم، واستطرد مع ذلك فوائد ونوادر، وأثبت عدة قصائد، وخلل ذلك كله بملاحظات، ما بين استحسانات وانتقادات.

والرحلة على العموم مفيدة، ولا اعرف لها مثيلا لغير الرافعى من رجال تطوان وهى لطيفة لولا ما فيها من السجع المتكلف الذى كان شائعا فى ذلك العهد، وهو سجع كثيرا ما صدع به الرافعى قواعد النحو والصرف، وقلب به أوضاع البلاغة والبيان .

وقد فرغ مؤلفها من كتابتها فى ثانى رمضان من نفس العام، أى بعد عودته من الشرق بشهرين اثنين، والنسخة التى أنقل عنها هى نسخة المؤلف نفسه ،

ولعلها كانت هي الوحيدة، وهي مكتوبة بخط الفقيه العدل بتطوان السيد محمد ابن محمد الرفاس الحسني، وكان فراغه من نسخها في رمضان سنة تسع ومائة وألف. وهي في نحو مائتي صفحة متوسطة الحجم (1)

ديـوان شـعـره

وأما ديوان شعره ـ او نظمه ـ فهو مجموعة كبيرة من قصائده ومقطعاته، وعدد أبياته نحو ثلاثة آلاف، وقد جاء في آخره أنه فرغ من جمعـه فـي أواسط جمدى الاخيـرة سنة ثمان ومائة وألف وعمره اذ ذاك ثمانية وستون سنـة، وقد استهله بقوله: الحمد لله حمد مؤمل يحمده بجميع المحامد، ويشكره على ما أنعم به عليه من الآلاء العميمة التي جلت أن يحصيهـا شاكر وحامد .... الى أن قال، وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه، المقر بذنوبه الغزيرة وعيبه، المبتغي عفو مولاه، المعترف بأياديه الجليلة فيما خوله وأولاه، محمد بن علي بن محمد بن احمد ابن علي الرافعي، الراجي من الله أن يجعل ما سعيت فيه من الخير لدى الدارين نافعي، وأنه مما من الله به علي، وأسبغ من نعمه لدي، أن ألهمني لمآثر حميـدة، وخصال جامعة للخير مفيدة، بتطفلـي على ساحـة رحمتـه، وتذللي بباب عزه ألتمس مزيد نعمته، بنظم ركيك غير محرر ولا حسن، خامد الذكـر بليد القـول ليس فيه مستحسن، الخ. وذكر أنه كان في عهد الشباب والكهولة، ينظم قصائد في المدح والهجاء، ثم لما كبر سنه ووهن عظمه، واشتعل رأسه شيبا وعظم جرمه، علم أنه كان على غير صواب، فلوى عنان قلمه لمدح الرسول الخ وأن بعض الافاضل أشار عليه بجمع ما نظمه من ذلك في ديوان، ..... وقد وصف نظمه بأنه قصائد خالية عن فنون الاعراب والبيان، وقال فيه أيضا، لا شك أن نظمي غيـر حسن لكن الحمد لمن احسن الخ .

ثم رتب هذا الديوان على حروف الهجاء، الهمزة فالباء فالتاء الخ. واني وان كنت أقر الفقيه الرافعي على ما صرح به من أن نظمه غيـر حسن، أزيـد أننـي تصفحت ديوانه هذا من ألفه الى يائه، فما وجدت فيه قصيدة واحدة ترضي ذوق الاديب الشاعر، اللهم الا أن يكون من الفقهاء الاخيار، أو بعض المؤرخين الذين لا يفرقون بين عقود النحور ووقود النار. فقصائده ـ غفر الله له ـ بالرغم من كونها أقرب الىالنظم منها الى الشعر. فيها ـ كما قلت ـ مخالفات كثيرة للقواعد المقررة في علوم اللغة، ولكني مع ذلك القي على هذا الديوان نظرة ولو سريعة، وقد انقل منه أبياتا قالها في مختلف المناسبات، لا على أنها منتخبات مستحسنة تحفظ وينسج

---

(1) قد نقلت من هذه النسخة نسخة أخرى كتبت على الآلة الكاتبـة، وهي محفوظة بخزانتي «الداودية» بتطوان .

على منوالها، بل كنماذج لنظم طبقة من المترامين على الشعر، أو المشتغلين بالنظم ولعل المناسب فى تعريف الشاعر بالنسبة لهذا الصنف من الناس، هو أنه شخص يحس بشعور فى نفسه، فينظمه فى أبيات تشبه الشعر وان كانت مختلة الوزن مبعثرة المعنى متفككة الاسلوب، ويلاحظ أننى سأراعى أن تكون القطع التى أنقلها من هذا الديوان، مما له علاقة بالناحية التاريخية، أكثر من الناحية الادبية، ودونك عرضا لما فى الديوان :

نجد فى أوله قصيدة همزية عدد أبياتها عشرون وقد قالها عند ما ختم الشيخ علي بركة تدريسه لمختصر الشيخ خليل، وأولها :

تلألأ نور فى العلا وتألقا ولاحت شموس بالهدى وضياء

ويقول فيها مخاطبا الشيخ المذكور :

أيا بركات الخير حزت مراتبا تقاصر عن ادراكها النجباء

وعند ما يطرق الرافعى باب التضرع والتوسل، يطول نفسه، ونجد له قصيدة مطلعها .

أيا رب يا رحمان أنت وسيلتى أنلنى منائى يا رحيم وبغيتى
لقد ضاع عمرى فى البطالة سيدى وأورثنى ذلا فيا طول حسرتى

وعدد أبياتها تسعون .

وفى تطوان ضريح صالح يعرف بسيدى بوحاجة فيتوسل الرافعى به الى ربه ليقضى حاجته وينظم أربعة وعشرين بيتا أولها :

يا رب هون ويسر واقض لنا كل حاجة

ونجد من هذا القبيل سبع قطع قالها الرافعى فى التوسل الى الله بسيدى السعيدى الذى يلقب بصالح تطوان وحاميها :

هذا ضريح ولي الله هذا حما من ثغرنا يحتمى به من الخطل. الخ
أيا قاصدا بحر جود طما ويا لائذا بحماه السعيد. الخ
يا أهيل الحما عبيد أتاكم نازلا بابكم بكم مستعينا. الخ

وله فى هذا الموضوع قطع مختلفة الوزن والقافية، ولكنها موحدة المعنى فى صلحاء تطوان، الشيخ الجعيدى، والشيخ علي الفحل، والشيخ طلحة الدريج والشيخ علي المصيمدى الخ. ولكنا مع ذلك نجد الفقيه الرافعى وطنيا متحمسا حينما يجد الجد ويكون الموضوع موضوع جهاد وكفاح، ومسلمين وكفار، فعند ما استرجع المسلمون مدينة طنجة من يد الانجليز، فى مهل ربيع النبوى عام

1095 هـ. 17 فبراير 1684 م. وكانت تطوان ـ مدينة الفقيه الرافعي ـ هي مركز المقاومة وتجييش الجيوش لاسترجاع البلاد المغتصبة، أنشد في ذلك قصيدة في نيف وسبعين بيتاً مطلعها :

هنيئا وبشرى يا سراة بأنعم — علت في ذرى الافلاك بالخير والصلاح
ولاحت بتطوان شموس وأشرقت — وضاءت ونارت بالشعاب وبالبطاح
وشادت على الاغصان ورق ورنمت — وفاح لها عطر النسيم لدى الصباح

الى أن يقول :

سمت ملة الاسلام لما تضعضعت — معاقل كفر بالصواعق والصفاح
وجاشت جيوش في أباطح طنجة — ونادى منادى الجيش حي على الفلاح
هلموا هلموا يا غزاة وبادروا — لجنة عدن ما عليكم من جناح
فخطر الجهاد في الاناقة شامخ — على كل فعل من فرائض او مباح
فيا أهل غرب أبشروا وتنسموا — نسيما له عرف تعطر بالفواح
نمت ملة الاسلام والكفر قد غدا — وهينا قليلا حيث طنجة في افتتاح
كذاك الرجاء في المعاقل كلها — يكون لها فتح قريب فنجم لاح
لقد اصبح الاسلام باليمن مسفرا — بقوم حماة بل كفاة لدى الكفاح
لهم همة في الضرب والطعن بالقنا — لهم رغبة في الحرب ان قعقع السلاح
لهم رهبة في الحرب والحزم دأبهم — ليوث لهم فخر سراة وهم صباح

الى أن قال :

تضوع ريح النصر في عام خمسة — وتسعين مع ألف تناهى لنا الفلاح
وسار لنا الفتح السعيد لطنجة — فيا له من فتح ويا له من نجاح
فنسأل مولانا الجزيرة مسكنا — وفتحا يكون للعباد به صلاح

وأبيات هذه القصيدة ـ كما قلنا ـ تزيد على السبعين ...

ولا تشفى هذه القصيدة الطويلة غلة الفقيه الرافعي فينشد في نفس الموضوع قصيدة أخرى تزيد أبياتها على الثلاثين .

هنيئا وبشرى بنيل المنى — وفتح سعيد أزاح العنا
أنارت بشائره جهرة — ونصر من الله لاح لنا
سعدنا جميعا بجيش سرى — وبحر خميس بهيج السنا. الخ

وخرج غزاة تطوان ونواحيها قاصدين فتح مدينة العرائش واسترجاعها من يد الاسبانيين، فأنشأ الرافعي قصيدة طويلة منها قوله :

يا ربنا امنن وجد وعمنا كرما — يا ذا الجلال وذا الافضال والكرم
يا ربنا افتح علينا فتحا تجعله — على الدوام وفوزا بالهدى العمم
يا ربنا امنح لنا فتح العرائش يا — رب العباد ومسدي الخير والنعم

وافتح بلادا غدت بالشرك جاحدة — لديننا وغدا التوحيد فى انخرم
أمست من الذكر والقرآن خالية — أما النواقيس والصلبان لا ترم
يسر لدى المسلمين فتحها عاجلا — واحفظ غزاتك من سوء ومن نقم
أخسىء إلاهى حماة الشرك قاطبة — واجعلهم نكلا لحما على وضم
وفل جمع العدا وعمهم نكدا — وامنح رقابهم لكل شهم كم
وأنزل الرعب ربى فى قلوبهم — وزلزل الارض واخز كل مجترم
ولا تذر منهم بغربنا أحدا — بحق خير الورى وسيد الامم

وتتدفق جموع الغزاة المجاهدين من أهالى تطوان ونواحيها على ثغر العرائش، فينتصرون على من كان به من الاجانب، ويحتلون المدينة ويأسرون جنودها ويستولون على مدافعها (سنة ١١٠١ هـ) فيقول الرافعى فى ذلك قصيدة طويلة أولها :

هنيئا هنيئا وبشرى لنا — بنصر سعيد وفتح مبين

ومنها متحدثا عن الغزاة المجاهدين الهاجمين على الاجانب المحتلين للعرائش:

وداروا عليهم بجيشهم — كمثل السوارى لهم منذرين
وأنفاضهم شبروا جملة — لهدم البلاد وقتل البنين
بدار العرائش قد أحدقوا — وخدوا خدود بها معلنين
وشبوا لها النار فى قعرها — فكانت وبالا على المجرمين
ومالت عليهم أسود الوغا — فغاروا وحلوا بها مسرعين
وإن النصارى لفى حيرة — وخزى عراهم وهم داهشين
فلم تغن عنهم معاقلهم — من الامر شيئا لدى المسلمين
وأعطوا نفوسهم كلهم — أسارى لحزب الهدى المفلحين
وأمسى الغزاة ببلدتهم — فنعم العرائش للمومنين
أفال به الشرك واندرست — كنائس كانت الى المشركين
فنحمد ربى ونشكره — فدين الاله علا كل دين. الخ

ويتجه الرافعى ببصره نحو أقصى الشمال المغربى فيرى أمامه مدينة سبتة المغربية المسلمة وقد سيطر عليها الاجانب وأجلوا منها سكانها وهدموا مساجدها وطمسوا معالمها الاسلامية، فيثور شعوره وينشد فى ذلك قصيدة :

يا رب سلم ونج كل منتدب — الى الجهاد وحث فيه واجتهدا
وصار بالحزم يبغى نصر ملته — وعزمه فى الجهاد دائما أبدا
داروا بسبتة أهل الصدق وابتدروا — شقوا أخاديد لاستيصال من جحدا
يرجون وعد الاله الحق ربهم — من كونهم فى الجنان يحشرون غدا

فكم وقائع فى الحرب لهم شهدت — بأنهم فى رهان السبق خير هدى
وكم مدافع فى البيداء قد وضعوا — ترمى البلاد فينسى صعقها الرعدا
فأرددهم بسلام بعد فتحهم — ما أملوا من بلاد الشرك دار عدا
مرادهم سبتة البيضا ومينتها — سهل لهم فتحها يا خير من قصدا
نور إلاهى بلادا قد أضل بها — شرك وظلمته عم بها وعدا
فلا صلاة تقام فى مساجدها — ولا قرآن بها يتلى كما عهدا
فأبدل الكفر بالاسلام رب بها — واجعلها فيئا ولا تبقى بها أحدا
واخز إلاهى حماة الشرك واعطهم — رجسا وخطبا كذاك عمهم نكدا
بدد لهم شملهم وفل حدهم — وزلزل الارض يا رب بهم كمدا
وارجف خواطرهم وارعب قلوبهم — وامنح رقابهم الاغلال والصفدا..الخ

وتمضى الايام والسنون ولا يتم فيها فتح جيوش المسلمين لسبتة، فيعيد الفقيه الرافعى الكرة وينظم قطعة أخرى فى نحو أربعين بيتا يقول فيها :

إلاهى إلاهى أنلنا المنى — وسهل لنا كل أمر عسيرا
ومن علينا بفتح وكن — معينا يا رب لنا ونصيرا
وسلم ونج جيوش الهدى — وصاحبهم كل وقت حبورا
وأيد غزاتك بالنصر يا — لطيفا بكل الورى وخبيرا
هم الاسد فى الحرب ما لهم — اذا هاجت الحرب دأبا نظيرا
هم القوم ان دهمتهم عدا — وهاجت حروب وشبت سعيرا
ولا عيب فيهم سوى أنهم — ليوث الوغى قد أبادوا الكفورا
ولا مثلهم فى الوغى مشبه — فسل عنهم من يكون خبيرا
وسل عنهم أهل معمورة — وسل عنهم طنجة يا بصيرا
وحصن العرائش سل عنهم — يفدك مقالا صريحا لا زورا
والآن الى سبتة سارعوا — لهم رغبة فيها منذ دهورا
وألقوا كمائن فى خفية — وجاشت جيوش وخطوا حفيرا
فامنح لهم فتحها ربنا — وأنف خطوبا وأجل شرورا
وأنجز لهم وعدك المرتضى — وبلغ مناهم وسهل عسيرا
ونور بلادا بها ظلمة — وحندسه أسدى فيها ستورا
وعاد بها الكفر واندرست — معاقل كانت لدى الدين نورا
فأذلل بها الكفر يا ربنا — بدين حنيف بدا مستنيرا
فديننا يعلو على كل دين — بحق وكان عليه ظهيرا
وأخسىء إلاهى جفاة بها — وأكبتهم وأذقهم سعيرا
وشتت لهم أبدا شملهم — وزلزل لهم أرضهم والقصورا
وخذهم بأخذك يا ذا العلا — فأخذك أخذ عزيز قهورا... الخ

ويقارن الرافعي بين الحالة التى كانت عليها بلاد المغرب فى عهدى شبابه ومشيبه، فيجد أن المسلمين قد استرجعوا من أيدى الاجانب الكفار بلاد طنجة، وأصيلا، والعرائش، والمعمورة الخ. وأن السلطان الذى دفع النـاس لذلك وأعز الله به الاسلام، هو المولى اسماعيل العظيم، فيقول على لسانه قصيدة منها قوله :

أنـا الغيـث حقا والملوك جداول — أنا البحـر فيضا والكرام عناصـر
أنـا قمـر بالغـرب قطـب سمائه — أنـا سيـد الامـلاك عرفـى عاطر
أنـا تـاج أبناء الملـوك وفخرهم — كمـي شجـاع فى الحروب وظافر
أنا الليـث اسماعيل راية مجدهم — وسيفي ماض فى العداة وقاهـر
أنا فاتـح الامصـار للكفـر دامغ — فسل عن ثغور الشرك ينبئك خابر
لنا المجد يعـزى والسيـادة حظنا — فناهيـك فضـلا أن حوتهـا منابر
لنا ذلـت الاعـداء بالسيف والقنا — وكـل رئيس عند ذكـرى صاغـر
فمـن منكـر فضلى وجدى محمد — نبـى رسول هـاشمى وطـاهـر
فمـا الفضـل الا هكـذا متأصـل — فروع وأغصان أصول عناصر.. الخ

والفقيه الرافعي لم يعدم من بين أدباء فاس ــ وحيا الله فاسا وأدباء فاس ــ من يجيبه عن أبيات ثمانية قالها فى الترحيب بذلك الاديب عند ما وفد علـى تطوان، وقد استهلها بقوله :

بشرى لنـا عـم السرور جميعنـا — لما غدا أفق البـلاد منيرا... الخ

بأبيات عشرة قال فيها الاديب الفاسي ولافض فوه :

أمحبـرا زهـر الـربـى تحبيـرا — ومهاصـرا غصن الرياض نضيـرا
ومهاديـا كـأسا بصـرف مدامـة — أهـدت لقلـب المستهـام سرورا
لمـا رأيـت رقيق نظمـك زارنـا — تحكـى بـرائقـه البديع جريـرا
أيقنـت أن الشعـر تحكـم صنعه — يـا حـبـذاه جـنـة وحـريـرا
لـم لا وأنـت الـرافعـى فما بهـ — ذا الشـغـر مثلكـم يعـد نظيـرا
تطـوان حق لها الفخـار بكم فما — فيهـا سواكـم للقريـض مديـرا
بعـلاكم زهـر النجـوم تـرفعـت — وبكـم غدا بـدر السمـاء منيـرا
مـن ذا يوافـى حـق مـا أهديتـه — ممـا يزيـن الغـانيـات الحـورا
هذا وانـت مريض جسم كيـف لو — كنت الصحيح فكن بذاك فخورا
دم والـزمـان لكـم مطيع خـادم — فيمـا تـؤمـل أولا وأخـيـرا

والرافعي شأنه شأن جل أدباء المغرب فيما يظهر، اذ نـراه يستحسن ما يستحسنه أمثاله من مظاهر الجمال ــ وبيـن ذوى الاحساس الرقيـق من أدباء فاس وتطوان محاورات فى هذا الباب قديما وحديثا ــ وها هو الرافعي يقـول مخاطبا أهل تطوان :

يا أهلَ هذا الثغر بشراكم بمقدم الظبى الكحيل الشفار
من أشرقت تطوان من حسنه لما تراءى وجهه واستنار
فاهتز بالروضة أغصانها وغرد القمرى وغنى الهزار
وقال تيهوا فهنيئا لكم لقد تجلى البدر بعد ازورار
وكان مغمى حين سار الى حضرة فاس دمتم فى انتظار
تيهوا وجروا ذيل مرطكم هذا زمان تجلى فيه الغيار
ألم تر الشمس لدى وجهه قد أثرت فيه وبان احمرار
فكيف لا وحسنه فائق فى وصفه الاذهان حقا تحار
مهدى كؤوس الراح من ثغره ولحظه الفتان فيه احورار

ويلوم الرافعى الزمان على عدم مساعدته، فيجيبه الزمان بما يذعن له :

لمت الزمان على كدى فقلت له أنت الذى بقبيح الفعل مجبول
لو شئت ما نالنى هم ولا كدر وكنت بالخير والاسعار مشمول
فقال أخطأت ما لى فيك من حيلة فالعسر واليسر والاكراه والسول
حكم الالاه وتقدير به سبقت للخلق من ملك بالخلق موكول
وقد تيقنت أن الحق ما قاله والحق حتى من الاعداء مقبول

ويرى الرافعى حديثى العهد بالثراء يتكبرون ويتبخترون فيقول فيهم

قوم لئام لهم فى الدهر إقبال تمولوا وهم فى الناس أرذال
تمسكوا بنقود أصلها سحت جزاء جامعها ويل وأهوال
لم يقصدوا لاكتساب المال مكتسبا من الحلال وفى الخبيث قد جالوا
يمشون مشى ذوي كبر وأعطفهم تهتز منهم كأن القوم بغال
يا لهف نفسى على دهر يصول على أجاود فيه إدبار وإهمال

والمشكلة التى يغتاظ منها الرافعى النبيل، هى مشكلة العائلات الماجدة التى افتقرت بعد غنى، وذلت بعد عز، أمام الاشخاص النكرات الذين اغتنوا بعد املاق، وعزوا بعد اهمال، هى مشكلة نري ونسمع ونلمس حتى فى عصرنا هذا آثارها وننتظر عواقبها، هى مشكلة الطبقات التى قسمت العالم شطرين ونرجو الله أن تكون عاقبتها خيرا، وأن يتحول عسرها يسرا، وأن يكون لا ضرر ولا ضرار.

وختم الشيخ علي بركة تفسير القرآن الكريم فقال التلميذ الرافعى فى ذلك قصيدة مطلعها :

تلألأ ثغر بالعلوم فأصبحت طلال المعالى ثغرها لبسيم

وكان هذا الختم سنة 1103 كما أشار لذلك الرافعى فى نفس القصيدة وسعى السلطان المولى اسماعيل فى استرجاع الاسارى المسلمين من بلاد الكفار، فعاد منهم الى مدينة تطوان ألف أسير فى مقابل مائة من أسرى الاجانب، فقال الرافعى فى ذلك قصيدة منها قوله يخاطب ملك المغرب :

هنيئا أمير المومنين بأنعم ... تناهت وجلت فى العلا بتمام
فبلدتنا نارت بنور ضيائكم ... أمولاى اسماعيل فخر الانام
حباك إلاه العرش عزا ورفعة ... أيا تاج أبناء الملوك العظام
ودام لك الملك السعيد ونصره ... ولا زلت ترقى فى المعارج سام

ويقول عن الكفار :

وغامرهم رعب لذلك قد أتوا ... بألف أسير ماجد وهمام
فدوا مائة منهم بألف ولم تزل ... عيونهم مهجورة لمنام ... الخ

وينحبس المطر عن اقليم تطوان فينظم الرافعى قصيدة فى نحو عشرين بيتا يقول فى أولها :

إلاهى أغثنا بقطر الغمام ... ومن بغيث يسح انسجام... الخ

ويقف الرافعى على ضريح الشيخ مولاى عبد السلام بن مشيش، فينشد قصيدة فى نحو أربعين بيتا مطلعها :

إلاهى إلاهى أمحيى العظام ... أغثنى أغثنى بهذا الامام
إمام له رتبة قد علت ... على كل قطب وكل مقام
همام زكي حوى رفعة ... فيا له من ماجد وهمام . الخ

ويحل شهر ربيع النبوى فيقول الرافعى فى مدح الجناب النبوى الشريف قصيدة فى نحو ستين بيتا :

هنيئا أيا معشر المسلمين ... وبشرى بطول المدى والسنين
أيا أمة الهادى بشرى لنا ... بشهر السرور وفرح مكين. الخ

ولقد كان الرافعى بارا بأصدقائه فى حياتهم وبعد مماتهم ـ وعند ما يموت المرء يظهر من بين أصدقائه من كان مخلصا ومن كان مستغلا انتفاعيا ـ ولقد وجدنا الرافعى يرثى عددا من أصدقائه ويتوجع لفقدهم توجعا، ويبكى عليهم بكاء مرا .

فهذا صديقه أبو القاسم ابريل يرثيه بقصيدة فى نيف وعشرين بيتا مطلعها :

رثينت وحق الرثا والبكا ... وحق الزفير وحق الانين

وله في صديقه محمد قرضناش مرثية في نيف وعشرين بيتا مطلعها :

رثيت ولي وجد لدى القلب نازل   وجسمي نحيل والدموع رواسل

ثم يموت صديقه وصهره العربي مدينة فيقول فيه مرثية اولها :

رثيت ولي دمع على الخد هامع   وقلبي يذوب بالاسى وهو جازع

ولعل خير ما نختم به عرضنا هذا هو قول الرافعي رحمه الله :

يا رب بالمصطفى الهادي وعترته   أهل الصفا والوفا والجود والكرم
اغفر لناظمه ما كان من زلل   وارحمه والطف به يا بارىء النسم

فعلى الفقيه الرافعي من الله الكريم سحائب الرحمة والمغفرة والرضوان .

وبعد هذا الديوان عدة تقاريظ لبعض شيوخ ذلك العهد وأدبائه، فمنها تقريظ بخط الشيخ العلامة سيدي علي بركة وهو تقريظ لطيف ابتدأه بنثر فني بديع ثم ختمه بقطعة شعرية مطلعها :

هذي خرائد طوقت بلئال   هذي فرائد خطرها متعال

وقد وصف صاحب الديوان بالمصقع الاريب، السميدع الاديب الخ (1) ثم يتلوه تقريظ آخر نثري أيضا بخط صاحبه ابراهيم بن ابي بكر الزدوتي (2) وهو مؤرخ بخامس عشر شوال سنة 1108. وقد ختمه بقطعة شعرية لطيفة مطلعها .

بشراك يا من سالمته الليال   قلدت جيد الدهر سمط اللئال

ثم يتلو ذلك تقريظ آخر للاديب المشهور الشيخ احمد بن عبد الحي الحلبي الاصل الفاسي السكنى والمدفن، صاحب المدائح النبوية المشهورة، وهو بخطه الشرقي الواضح، ويحتوي أيضا على نثر ونظم، وقد وصف فيه صاحب الديوان بالسيد الخير الحسيب، النجيب الاريب الخ. ومطلع قطعته الشعرية .

هذي قصائد في المديح عوالي   عند المهيمن والحبيب غوالي

---

1) قد أثبت النص الكامل لهذا التقريظ نثرا ونظما في ترجمة صاحبه سيدي الحاج علي بركة رحمه الله .

2) لم نعرف ترجمة هذا السيد وان كان تقريظه جيدا وشعره لطيفا، وقد ورد ذكره في مكان آخر بأسم ابراهيم بن أبي بكر زد السوسي، ويظهر أن نسبته الى «إداوزدوت» وهي قبيلة سوسية واقعة في الجنوب الشرقي لمدينة «تارودانت» من اقليم سوس الواقع في الجنوب المغربي .

وتاريخ هذا التقريظ خامس ذى الحجة الحرام عام ١١٠٩. ثم يتلوه تقريظ اخر نثرا ونظما بخط صاحبه الكاتب الاديب سفير السلطان المولى اسماعيل الى دولة اسبانيا، أبى عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى صاحب «رحلة الوزير، في افتكاك الاسير» وقد وصف فيه صاحب الديوان بالحبر الاريب، الالمعى الاديب، المرتضى الحسيب، الفقيه النجيب، الخير الناسك، السالك بفنه العجيب وحبه أحسن المسالك، الحاج الابر أبى عبد الله محمد بن علي الرافعى منسبا، الاندلسى نسبا، اللخمى نجارا، التطاونى دارا الخ. وختمه بقطعة شعرية هذا مطلعها :

هذى قصائد بل قلا ئد بل فرائد من درر
قد صاغها الحبر المجيـ ـد المرتضى الارضى الابر

وتاريخ هذا التقريظ أوائل جمدى الاولى سنة ١١١٠ . ثم يليه تقريظ مختصر بخط صاحبه العلامة الاديب أبى عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسى، وقد ختمه بقوله .

كلام معجب للعارفينا بديوان يروق الناظرينا
أدام الله قائله هلالا يلوح بأفق تطوان مبينا

ومما مدح به الفقيه الرافعى، قول الاديب الشيخ احمد بن عبد الحى الحلبى :

فما حاز أصل المجد والفخر والرفع بأفق العلا غير الرضى الماجد الرفعى
فماذا أقول الدهر فى شرح فضله وقد حف قدما بالسيادة والرفع

وقال فيه أيضا :

لله در مجيد قدره ارتفعا الرافعى سما فى أرفع الرتب
فريد عصره فى فخر وفى كرم أكرم به ءاية فى الدهر بالعجب

كتابه «غرر المقاصد والمطالب»

واما كتابه الثالث فاسمه «غرر المقاصد والمطالب، ودرر الرسائل لكل طالب» وهو مجموع رسائل انشائية مسجعة فى موضوعات مختلفة، وقد قال فى مقدمته ما نصه :

تأمل رعاك الله فيما جمعت من رسائل فى طرس تشابهها الدرر
فقدمتها لذى القريحة عله يميل اليها بالتأمل والنظر

الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه، وأجزل لديه إنعامه وأكرمه، وخصه بالعقل فضلا منه تعلى، وندبه الى معرفة ما أوجب عليه حالا ومئالا، ووهب له جل وعلا لسانا، ينطق به حكما وبيانا، الخ .

ثم ذكر انه جمع كتابه هذا من كلامه وكلام غيره، ثم أثبت نصوص نيف وخمسين رسالة وابتدأ برسالة أولى فى فضل الجهاد، ومما جاء فيها خطابا للمجاهدين قول مؤلفها :

«هذا وإنه قد أعلنت الافواه بصنائعكم الجميلة، وفاهت الالسنة بأفعالكم الجليلة، وجل عن الحصر مدحكم وثناكم، وعبق الكون بشذا مجدكم وعرف نداكم، فاثبتوا على هذا المنهاج قائمين، ولاقامة أود الدين ملازمين، عسى الله أن يفتح على أيديكم بعض المعاقل والثغور، ويقلع عنا غيهب الشرك والفجور، وينتظم سلك الاسلام ويعلو على كل كفور، ويعود الدين فى غاية العلو والظهور، سامى المنار مشيد الاركان شامخ العز، له فى ذرى المفاخر ارتقاء بمن للاسلام يعز، وتضعضعون من الكفر أركانه، وتستأصلون بالحتف أبطاله وشجعانه . وتنتهبون من أيديهم معاقل وديارا، وحصونا شيدت للكفر منارا، فيعود للاسلام بديع الحسن والابتهاج، وبيضة الاسلام سامية المنهاج، قد ظنوا ويحهم فى معاقلهم التى شيدوا، وبنوا فى فحص الاسلام ومهدوا، أنها تمنعهم وتنجيهم ، ومن غوائل المنون تصدهم وتحميهم، كلا، بل انعكس الامر لديهم، وجملت الدائرة عليهم، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا... فعليكم بالحزم فى الرباط، وجدوا بالعزم والجزم والارتباط ... الخ.

ثم رسالة ثانية فى الجهاد أيضا، وفيها أن جماعة من الغزاة قصدوا مدينة سبتة، وعددهم خمسمائة وستة متدرعين بدروع الصبر، جازمين بالظفر والنصر .

جيوش وأبطال تسارع للعدا	أسود لهم فى الحرب أشهى مرام
يصولون بالسيف المهند والقنا	وطعن سنان وامتشاق حسام
وحيث أغاروا فى أباطح سبتة	كساهم قتاما من خيول سوام
تراهم والبشرى تعم جميعهم	تخالهم نشوى بشرب مدام... الخ

وختم هذه الرسالة بقوله متحدثا عن نصارى سبتة بعد قتال الغزاة المسلمين لهم : «فولوا الادبار، وركنوا إلى الفرار، وعلوا الاسوار، ذاهلين لما اعتراهم من البؤس والدمار .

فولوا خزايا يهرعون ومكنت	سيوف الاله من رقاب لئام

وقد أثخن جلهم بالجراحات، ومن قتل منهم مكث ملقى بالفلوات، وعاد الغزاة بالاجر والغنيمة، وأيادى الله لديهم وافرة عميمة، الخ .

ثم رسالة ثالثة حول الجهاد أيضا وفيها وصف ما وقع بتطوان ونواحيها وشواطئها عند ما رسا بها أسطول فرنسى سنة 1085 وأرى من المناسب أن أثبت هنا نص جلها، لانها تعرفنا بالحالة التى كان عليها سكان تطوان فى ذلك العهد ، ونصها بعد المقدمة : «هذا وانه وجب البعث لسيادتكم حسب المودة والاستبشار، أن المشركين أعقبهم الله بالذل والخزى والدمار، حلوا بساحتنا أواسط صفر ، مضمرين لنا الخديعة والبؤس والضرر، سنة ألف وخمس وثمانين، صبحتنا زهاء ستين مركبا للنصارى، فمكثنا عند مشاهدتها ذاهلين حيارى، الكل من جنس الفرنصيص، كأنهم فى تصافهم حصون ثابتة الترصيص، أحاطوا بالمرسى وكل منهم أناخ ورسى، أحدقوا من حلق الوادى الى رأس الطرف وقد شحنوها بالابطال، مستعدين للحرب والقتال ... الى أن قال : «ومكثت يوما لم ينحدر منها زورق، وهجس بالخاطر ما راع وأطرق، فتضايق الحال عن الفرج، وأظلم الخطب وأدلج، وجاء الليل وعسعس، وما كاد الكرب يتنفس، فأضرمت النيران فى كل الابراج، وأسرع النذير الى كل النواحى والافواج، فتلاحقت الاسود والابطال، متبادرين الى الحرب والقتال، وأقبلت وفود من القبائل، من كل قرم بطل جائل، فلما عاين الروم أهبة الناس واستعداداتهم، وعزمهم على الجهاد وصدق نياتهم، والاحزاب يتلو بعضها بعضا وقد ملأوا الارض طولا وعرضا ، يمرحون فى آكام الارض ورباها، وأباطحها وذراها، راعهم ما عاينوا من الحزم، وأفجعهم ما رأوا من النجدة والعزم، وأظهروا خلاف ما كانوا أتوا اليه، حين رأوا ما لا طاقة لهم عليه، وأذعنوا بالرغبة والخضوع، لظما أعوزهم وهلوع، عسى أن يسد رمقهم، ويرتوى ظمأهم، فتشاور فى ذلك أعيان البلاد، فرأوا ان استسقاءهم إن كان بمصلحة ليس بفساد، فأجابوهم لما طلبوا، واشترطوا عليهم شروطا وأوجبوا، فمن ذلك قناطير من البارود عديدة، وكراع وأسلحة فاخرة عتيدة، فملأوا من الماء ما سد به رمقهم، وخدام الامير من اذاية الناس تحرسهم، ثم أقلعوا عنا وساروا مدبرين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين اهـ. بخ.

ثم رسالة رابعة فى نفس الموضوع، وهى مرسلة الى العصبة التى أيد الله بها الملة الاسلامية، فشيدوا أساس الدين واثبتو مبانيه الخ. وهى رسالة طويلة فى نحو خمس صفحات عن حصار المسلمين لطنجة وهد حصونها سنة 1091. ويفهم منها أن المؤلف رحمه الله كان من المحاصرين لها .

ثم رسالة خامسة فى نفس الموضوع وأولها، الحمد الله الذى أعلى كلمة الاسلام، وعجل بالفتح والنصر والانعام... الخ. وقد أنشأها المؤلف بمناسبة استرجاع المسلمين للمهدية «المعمورة» فى ضحوة يوم الاربعاء حادى عشر ربيع الاول سنة 1092 هـ.

ثم رسالة سادسة فى الحج ثم أخرى فى فضل الحج، وأخرى الى شيخ طريق، وأخرى من شيخ طريق، وأخرى من أب لابنه وأخرى من ولد لوالده ، ثم رسائل ملوكية وأخرى ودية، وأخرى فى الوباء وأربع رسائل فى العزاء ، والرسالة الرابعة والخمسون ـ وهى الاخيرة ـ فى شكوى الزمان، على عادة الادباء فى القديم، والله اعلم بحالة أدباء العصر الحديث ؟ وبهذه الرسالة التى ضاع آخرها تنتهى هذه الرسائل التى صاحب التوفيق صاحبها فى الكثير من فقراتها عكس حظه فيما نظمه من الكلام .

كتابه فى الادعية والاذكار

أما الكتاب الرابع للرافعى فقد استهله بقوله، الحمد لله رب العالمين، والشكر له جل وعلا الى يوم الدين، وذكر أن مما من الله به عليه من النعم، أنه مواظب على أدعية وأوراد وأذكار، بالعشي والابكار، مما صح سنده وتواترت به الاخبار، ورواه عن العلماء العارفين والسادة الاخيار الخ. وانه جمع ذلك فى هذا الكتاب، طالبا بذلك العصمة فى الدنيا والآخرة والعفو من رب الارباب، فهو سبحانه المؤمل لما يرجوه من الاجر والثواب ... الخ.

ثم أثبت نصوص تلك الاوراد والادعية، مبتدئا بما يقال بعد صلاة الصبح وما يدعى به فى الركوع والسجود، وقبل الصلاة وبعدها، الى أن قال ما نصه : «ثم الورد الذى لقننا شيخنا سيدى الحسن اليوسى عن شيخنا العارف بالله سيدى محمد بن ناصر الدرعى أفاض الله علينا من بركاتهما ءامين، أمرنى أن أقول، استغفر الله (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ءال سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامي وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما. (مائة مرة) لا اله الا الله (ثلاثة آلاف مرة) .

ثم ذكر أن من جملة أذكاره اليومية، ختم كتاب دلائل الخيرات، وبين أوراد الصباح والمساء وعند سماع الاذان، وعند الاضطجاع فى الفراش للنوم، وفى يوم الجمعة، ومختلف اوقاته، وفى أول يوم من المحرم، وفى شهر رمضان الخ

ومن تلك الاوراد ءايات وأحاديث، وأحزاب كبار الصوفية، ومنهـا توسل الشيخ أبى على اليوسى الذى أوله .

يا رب باسمك العظيم الاعظم وبـجـلالـك الكبـيـر الافخـم

وقد ذيل الرافعى كتابه هذا بعهد منه يشهد فيه الله وملائكته وحملة عرشه وأنبياءه ورسله وجميع خلقه، أنه يشهد أن لا الاه الا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق، الى آخر عقيدة أهل السنة والجماعة، وختم بالدعاء له ولجميع المسلمين .

ونحن وان كنا لم نقف على تاريخ ولادة الفقيه الرافعى بالتدقيق، الا أنه قد ذكر فى رحلته الشرقية ـ كما رأيت ـ أن حجه كان سنة 1096 . وان عمره كان اذ ذاك ستة وخمسين عاما، فعلى ذلك يكون مولده عام 1040، وقـد علمت من تقاريظ ديوانه انه كان حيا عام 1110، فكان عمره اذ ذاك سبعين عاما وأظن أنه عمر أكثر من ثمانين عاما والله أعلم .

هذا وإن الفقيه الرافعى بالرغم من ضعف أسلوبه ومخالفته لبعض القواعد فى بعض الاحيان، لم يتقدم فى تطـوان كثير مـن أمثالـه، فالاقـدام على نظم الشعر بكثـرة، وجمع ديوان يحتوى على العدد الكثير من القصائد والمنظومات، وتأليف رحلة شرقية تاريخية ادبية، وملاقاة كبار العلماء والادباء ومساجلتهم ، كل ذلك لم نقف على كثير من المزاحمين فيه للفقيه الرافعى، وكـل ذلك يـدل على أنه كان ممتازا بروح وثابة، وجرأة فائقة يستحق بهما أن يسجل اسمـه بين نبغاء هذه المدينة الفقيرة التى كانت قليلة النوابـغ فى العلـم والادب عليـه رحمـة الله .

الفصل الخامس

من الباب الرابع

من رحلات المشاهير الى تطوان في القرن الحادى عشر

زيارات الشيخ أبى علي اليوسى لتطوان ومدحه لاهلها .

كان الشيخ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسى (1) من أكابر علماء المغرب وشيوخه الراسخين فى العلم والعمل، وكان يتردد على تطوان من حين لآخر

وقد ذكر فى رسالته المشهورة التى بعثها الى السلطان مولاى اسماعيل العلوى أنه زار تطوان فى عهد السلطان المولى الرشيد (المتوفى سنة 1082)

---

1) الشيخ أبو علي اليوسى ترجم له اليفرانى فى الصفوة (ص 206 طبع فاس) ووصفه بالشيخ الامام، علم الاعلام، شيخ الاسلام، آخر علماء المغرب على الاطلاق، ومن وقع على علمه وصلاحه الاجماع والاتفاق، أبو علي الحسن بن مسعود بن علي اليوسى الخ. واليوسى نسبة الى قبيلة آيت يوسى البربرية ، قرأ رحمه الله القرآن ثم اشتغل بقراءة العلم وجال ببلاد المغرب وقرأ على مشائخه بسجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ثم ألقى عصا التسيار بالزاوية الدلائية وتصدى للتدريس بها واستمر كذلك الى أن استولى عليها السلطان الرشيد ابن الشريف العلوى عام 1079 فنقله الى فاس فأقام بها مدة درس فيها العلم بجامع القرويين ووقع له من الاقبال ما لم يعهد لغيره ثم ترك فاسا واستوطن البادية، ولما دخل مراكش تصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الاشراف فمكث فى تفسير الفاتحة قريبا من ثلاثة اشهر وهو يبدى كل يوم من التحقيق أسلوبا ويلقى من التحريرات صنوفا فعجب الناس بحسن إلقائه وغزارة مادته مع أنه ربما يبيت فى ضريح بعض الاولياء والناس معه فلا يطالع كتابا ولا يراجع مؤلفا فاذا أصبح قعد على كرسيه وأطلق لسانه بما يبهر العقول ويحير الاذهان وبالجملة فهو آخر العلماء بل خاتمة الفحول من الرجال، وقد قال فيه الشيخ أبو سالم العياشى رحمه الله .

من فاته الحسن البصرى يصحبه ... فليصحب الحسن اليوسى يكفيه

ثم زارها فى عهد السلطان المولى اسماعيل، وقد جاء فى ديوانه أنه عند مروره بتطوان سنة 1083 طلب منه أن ينظم قصيدة ترغب فى الجهاد فقال :

طوبى لعبد خاشع يتقلب — فى طاعة المولى وفيها يدأب
يترصد الصلوات فى ميقاتها — وعن المئاثم كلها يتجنب
ويجاهد الكفار لا مستجليا — فخرا بذاك ولا المطامع يطلب
بل يبتغى إعزاز دين محمد — خير الورى الهادى الشفيع الاقرب
صلى عليه الله ما هب الصبا — فى الروض يمطره الغمام الصيب
ويقوم ممتثلا لامر الله فى — أمر الجهاد وفى رضاه يرغب
وثوابه يرجو ونيل شهادة — يعلو بها يوم الحساب ويقرب
فيكون أغضب ما يكون اذا لقي — وأشد ما يلقى اذا ما يغضب
وتراه كالاسد الهصور اذا التظت — حرب يصول على العداة ويحدب
يغدو بها طورا جواد سابح — فى الخيل كالسرحان حين يقرب
وتراه طورا فى الرماة كأنه — من دون أشبال هزبر محرب
وتراه أحيانا بأعلى مرقب — للمومنين يحوطهم أو يرقب
ان الجهاد لخصلة محمودة — فى الدين منصبها لعمرى منصب
أجر عظيم للعباد مدخر — وغنيمة فى عاجل تترقب
كم ءاية فيها تبين فضله — وحديث صدق فى الجهاد يرغب
قد قال فيه المصطفى ومقاله — صدق لخير الناس فيما يحسب
رجلان معتزل وءاخر ممسك — بعنانه مترصد مترقب
فاذا تسمع هيعة يدعى لها — يوما يطير الى الصريخ فيضرب
ولكم نبى مرسل أوصى به — ولكم صحابى به يتقرب
ولرب ذى نسك تيقن أنه — اولى به فيما يروم ويعجب
كم شاط ما بين الصوارم والقنا — فيه نفوس طهرت لا تذنب
فهو الجدير بأن يرام سبيله — وأجل ما يدعى اليه ويندب
وأجل ما بذلت نفوس ذوى العلا — فيه وأولى ما اليه تتعب

وقد تلمذ رحمه الله للشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى فأذن له فى تلقين أوراد طريقته الناصرية، فكان يلقنها فى حياته، وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين، وقد ألف رحمه الله تآليف جليلة، وكان شاعرا أديبا راوية للشعر، يستحضر دواوين أكابر شعراء العرب، وكان يقول لو شئت أن لا أتكلم الا بالشعر لفعلت، وجل شعره حكم وأمثال كشعر العرب القدماء .

وتوجه رحمه الله للمشرق سنة 1101 فزار مصر وحج بيت الله الحرام ، ولما رجع للمغرب توفي به سنة 1102 . رحمه الله، وانظر ان شئت :

صفوة من انتشر ص 206 ـ النبوغ المغربى ج 1 ص 216 ـ الاستقصا ج 4 ص 51 .

يـا أمة المختـار أحمد شمـروا لقتـال مـن هـو بالنبى مكـذب
لقـتـال عبـاد الصليـب وعصبة عـن كـل خيرهم قديمـا غيـب
واجـروا كما جرت الاوائل منكم أهـل البصائـر والليوث الغيب
صحب النبى الاكرمون ذوو العلا والتابعـون ومـن اليهـم ينسب
كـم دوخوا من مشركين ودمـروا قومـا وكم مـن قرية قد خربـو
ولـرب طاغ قد لقـوه فعاد عنـ ـهم وهـو مفلول الشبـاة مخيب
كـم قللـوا أو ذللـوا او قتلـوا وتغلبـوا أو سلبـوا أو صلبـوا
ان الشجـاعـة زينـة لا سيـمـا فى الحق حيث رضى المهيمن يكسب
يا أهل هذا الفحص كيف معاشكم وحوالكـم تلك النواقص تضرب
بـل لـم يزالـوا يغتدون بغارة شعـواء تقتـل فيكـم أو تسلـب
مـا بينكـم بحـر ولا بعد المدا والخيل تعلف فى الارى وتشرب
يا أهـل أنـدلس ألم تستخرجـوا مـن أرضكـم وديارکـم وتنكبوا
هلا انتصرتم مثلما انتصر العدا هـلا تحـزبتـم غـداة تـحـزبـوا
هـلا جعلتم فـى نحورهـم القنا ودعـوتـم رب العبـاد لتغلـبـوا
أيـن الشجاعـة والحفـاظ وأنتم عرب وللعرب الحفائظ تنسب (1)

وجاء فى الديوان المذكور أيضا أنه زار تطوان مرة أخرى سنة 1085 ومدح هذه المدينة وأهلها بقصيدة بديعة هذا نصها (2) :

تطـاون شفـت الفـؤاد المسقما وجلـت مـن الاحزان ليلا مظلما
وأطـار منظرهـا المرونق بهجـة عن قلبـى المضنـى هموما جثما
بلـد تقاسمـت البهـاء جهاتـه فتناصفـت حسنا وفاقت ميسما
فترفعـا فـى مرقـب يطرى بـه أنسا ويطـرب مـن رءاه توسمـا
فحكـى عـروسا جليت اذ جليت أعلـى منصتهـا الرفيعـة مسنما
ما شئت مـن عين يكسرها الحيا بحـذاء ثغـر تشتفـى فيه الظما
لـولا الجبـال الراسيـات بجوها لحسبت منظرها الثريا فى السما
فلقد غدت عدنـا ألم تر تحتها الا نهـار تجـرى فـى بساط أدهمـا
وزرت علـى عدن ألم تـر فوقها غرفا زهت حسنا على تلك الدما
لله در أحـبـة غـادرتـهـم فيهـا يعـدون الصداقـة مغنمـا
أرزوا الـى الخيرات ظمئا شرعا ورأوا سبيـل البـر دينـا قيما

1) هنا ينتهى ما فى الديوان المطبوع ـ وكذلك المخطوط ـ من هذه القصيدة . وقد ذكر فى المطبوع أنها لم تكمل .
2) ديوان اليوسى ـ طبع فاس فى الملزمة 14 ص 5 .

وأود لـو كانـت مجـالس بينهم يضحين فى سبل الهداية معلمـا
وشجا الحشا أن لم أجد من عالم يهـدى الـورى فيهـا ولا متعلما
إلا يسيـر صبابـة مـن ذى حجا لصبابة بالعلم أضحى مغرما.. الخ

وكان الشيخ اليوسى رحمه الله فى زياراته لتطوان يتفقد الاحوال ويرغب الناس فى الجهاد كما رأيت فى قصيدته السابقة، وكان مـع ذلك يلقـن الاوراد الناصرية التى تلقاها من مؤسس تلك الطريقة الشيخ سيدى محمد بـن ناصر كما ذكرنا سابقا، وكان له بتطوان تلاميـذ ومريـدون، ومـن أكبر تلاميذه بها الشيخ العالم الصالح سيدى الحاج علي بركة رحم الله الجميع .

رسالة الشيخ أبى علي اليوسى للسلطان، وفيها وصف حالة تطوان

وعلى عـادة العلمـاء العامليـن، الصالحين المصلحين، من رجال السلف الصالح، الذين لم تكن تأخذهم فى الله لومة لائم، من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتفكير فى المصالح العامة للامة، والعمل لجلب أنواع الخير لها، ودفع أنواع المضـار عنهـا، والتقدم بالوعظ والنصيحة والتنبيه لاولى الامر وأربـاب السلطة والنفوذ، وجـه الشيخ أبو على اليـوسى رضى الله عنه الى السلطـان العظيم المولى اسماعيل رحمه الله، رسالة طويلة (1) كلهـا نصائـح وتنبيهات لنواحى النقص فى المملكة المغربية، وقد جاء فى أول هذه الرسالة قوله : «فليعلم سيدنا أن الارض وما فيها ملك لله تعلى لا شريك له، والناس عبيد لله سبحانـه وإماء له، وسيدنا واحد من العبيد (2) وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا، فـان قام عليهم بالعدل والرحمة والانصاف والاصلاح، فهو خليفة الله فى أرضه، وظل الله على عبيده، وله الدرجة العالية عنـد الله تعلـى، وإن قـام بالجور والعنف والكبرياء والطغيـان والافساد، فهـو متجاسر على مولاه فى مملكـته، ومتسلط ومتكبر فى الارض بغير الحق، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديـدة وسخطه، ... الى أن قال : «ان على السلطان حقوقا كثيرة لا تفى بها البطاقة، ولنقتصر منها على ثلاثة هى أمهاتها .

1) الاستقصا ج 4 ص 39 . والجيش ج 1 ص 78

2) لله در الشيخ أبى علي. وما أشد ايمان العلماء والشيـوخ الذين لا يداهنون الولاة ولا يطمعون فى وظائفهم وهباتهم، لقد مضى المولى اسماعيـل والشيخ اليوسى وسنمضى نحن وجميع معاصرينا، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكـرام .

الاول جمع المال من حق وتفريقه فى حق.

الثانى إقامة الجهاد لاعلاء كلمة الله، وفى معناه تعمير الثغور بما تحتاج اليه من عدد وعدة .

الثالث الانتصاف من الظالم للمظلوم، وفى معناه كف اليد العادية عليهم منهم ومن غيرهم .

وهذه الثلاثة كلها قد اختلت فى دولة سيدنا، فوجب علينا تنبيهه ليلا يعتذر بعدم الاطلاع أو الغفلة، فان تنبه وفعل فقد فاز، وفى ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله، وسبوغ النعمة وشمول الرحمة، والا فقد أدينا الذى علينا الخ .

ثم بعد أن تكلم على الامر الاول الذى هو المال، تعرض للامر الثانى الذى هو الجهاد وتعمير الثغور الاسلامية، وهنا ذكر مدينة تطوان وقارن بين قوتها الحربية واستعدادها للجهاد فى عهد السلطان المولى الرشيد، وعهد خلفه السلطان المولى اسماعيل، ونبه الى وجوب الاعتناء بهذه المدينة التى كانت من أهم الثغور الاسلامية بالمغرب، وبرجالها الذين طالما وقفوا فى وجه الغارات الافرنجية، وبذلوا أموالهم ودماءهم وأنفسهم فى سبيل الدين والوطن، وهذا نص كلامه

«وأما الامر الثانى فقد ضاع أيضا، وذلك أنه لم يتأت فى الوقت الا عمارة الثغور، وسيدنا قد غفل عنها، فقد ضعفت اليوم غاية، وقد حضرت بمدينة تطاوين أيام مولانا رشيد رحمه الله تعلى، فكانوا اذا سمعوا الصريخ تهتز الارض خيلا ورماة، وقد بلغنى اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم، فخرجوا يسعون على أرجلهم بيدهم العصى والمقاليع، وهذا وهن فى الدين وغرر على المسلمين، وانما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة، وتكليفهم الحركات، واعطاء العدة كسائر الناس فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من قلعية الى ماسة، ويحرضهم على الجهاد والحراسة، بعد أن يحسن اليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم، ويترك لهم خيلهم وعدتهم، ويزيدهم ما يحتاجون اليه فهم حماة بيضة الاسلام، ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحى أن يكون أشد الناس رغبة فى الجهاد ونجدة فى المضائق وغيرة على الاسلام، ولا يولى فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته والله الموفق»

رحلـة الاديب ابن زاكـور الفاسى الى تطـوان

من أحسن ما كتب عن تطوان وبعض رجالها فى أواخر القرن الحادى عشر ما أثبته العالم الاديب أبـو عبد الله محمد بـن قاسم بن زاكـور (1) الفاسى فى كتابه المسمى «نشر أزاهر البستان، فيمن أجازنى بالجزائر وتطـوان» (2) وهو كتاب أدبى تاريخى ذكر مؤلفه فى أوله أن الرحلة، منة مـن الله ونحلـة تكسب الغليظ الطباع، غاية الرقة والانطباع، وتعقب من كابد لها نصبـا، علما غزيرا وأدبا الخ. ثم ذكر أنه قام برحلة الى بلاد الجزائر وتطوان، واتصل ببعض من فيهما من العلماء والادباء ، ووصف بعض معالم البلدين ورجالهما وصفا أدبيا وضمن رحلته من الفوائد المختلفة ما أعطانا صورة عن الحالة العلميـة والادبيـة بالبلدين المذكورين فى ذلك العهد، أى فى سنة رحلته وهـى سنـة 1094، وما دمنا نتحدث عن أخبار تطوان وأحوالها فى القرن الحادى عشر، فانه يجمل بنا أن ننقل هنا ما كتبه هذا العالم الاديب عن هذه المدينة ومن اتصل بهم من رجالها قال رحمه الله بعد أن حكى عن خروجهم من الجزائر بحرا قاصدين تطوان ما نصه:

«فوصلنا الى محل ابتداء سفرنا ونهاية صدرنا، مدينة تطـوان، ومغنـى الاحباب والاخوان، سلمها الله من طرائق البغى والعدوان، الى أن قـال «ولمـا حللت بتطوان حرسها الله وساعدنى جدى، وزرت ضريح جدى (3) وشمت غـرر أهل ودى، انقشعت سحائب وجدى، وانفقت فيها من الشعر على قدر وجـدى فمن ذلك ما قلته وقد أحلنا شيخنا العلامة الفقيه الفاضل الوجيه الـذى جعـل

---

1) الاديـب ابن زاكـور ترجم له تلميذه ابن الطيب العلمى فى كتابه الانيس المطرب (ص 19) ووصفه بوحيد البلاغة، وفريد الصياغة، الخ وأثبت له عدة قصائد، كلها فرائد، وترجم له الكتانى فى سلوة الانفاس (ج 3 ص 180) وذكر أنه كان من أجل الفقهاء وأفاضل النبهاء خيرا دينا متقشفا ناسكا عابدا متصوفا زوارا للصالحين متواضعا اماما فى علم البيان والبديع واللغة والعربية والعروض والشعر، مشاركا فى الفقه والحديث والاصول والتاريخ، ولـه نظم كثيـر على أنواع، ومؤلفات مرصعات، مفوقات جزلة العبارة، لا يشق احد فيهـا غباره الخ. وترجم له أيضا القادرى فى نشر المثانى (ج 2 ص 106) وتوفي رحمه الله بفاس سنة 1120 .

2) طبع هذا الكتـاب بالجزائـر عام 1319 = 1902 م وعـدد صفحاتـه نحو السبعين وهو نادر الوجود، وفى خزانتى الداودية نسخة منه .

3) نفهم من كلام ابن زاكـور هنا أن جده كـان مدفونا بمدينة تطوان فهل كان أصل الاديب ابن زاكور من تطـوان ومنهـا انتقـل والـده الى فاس ؟ أم إن أصله من فاس وانما انتقل جده منها لسبب من الاسباب فتوفي ودفن بها؟ الله أعلم. على أن من الممكـن أن المدفـون بتطوان هـو جـده من جهة الام فتكون والدته او جدته من تطوان والله أعلم.

لمطارف محاسنها الموشية، علامة وشية، المصقع المدره، الذى أنار شمس الادب وبدره، ذو اليمن والبركة، أبو الحسن سيدى الحاج علي بن محمد بركة، احدى جناته، قد خلع عليها بعض صفاته، وأعارها بعض سماته، فاعتل نسيمها، واخضل أديمها ورق نعيمها، وراق شميمها، وأينع زهرها، وأنضج ثمرها، وفاح شذاها، ولاح سناها، بالمنزه المسمى بالكيتان، المطاول لغوطة دمشق وشعب بوان ومعنا صاحبنا الاديب الاريب، الذى حاك من برود الادب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن رطيب، أبو الحسن السيد الحاج علي الاندلسى عرف بمندوصة، أبقاه الله وأبنية مجده مرصوصة، فقلت :

تطوان ما أدراك ما تطوان	سالت بها الانهار والخلجان
قل إن لحاك مكابر فى حبها	هى جنة فردوسها الكيتان

وقلت أيضا

تطوان تطوان لا شىء يضاهيها	غنت بلابلها اذ سال واديها
والفجر والليل لولا بعض من فيها	(1) لما نويت رحيلا عن مغانيها

وهذا الكيتان من أجمل المواضع، وأفضل المتنزهات والمصانع، تطرد خلال رياضه أنهار، تجرى فى الصباح بذائب اللجين وفى الاصيل برائق النضار، وتسجع بأدواحه أطيار، لا تدانيها نغمات الاوتار، قد اعتدل هواؤه، واشتمل بالابتهاج بهاؤه، تغص الزهراء بطلاوة مرءاه، وتود الزوراء لو ترتدى بملاءة حلاه، وتحسد جماله النضير، وطرازه المرونق، محاسن السدير، وبدائع الخورنق، ترتاح النفوس فى بساتينه، وتحيى الارواح بشم رياحينه، ان حل من أنحله الوجد برباه، صاح من حينه واطرباه، وأسلاه تسلسل غدرانه، وتغريد ورشانه، عمن قطف لبه بأجفانه، ومزق قلبه بهجرانه، فيه راق شعرى، وانقدح زناد فكرى، سمرت ليالى بجناته، مقتبسا من نور شياته، ومتمتعا بنغمات أطياره، ونسمات أزهاره، فما شمت أبدع من سناها، ولا شممت أضوع من شذاها.

---

1) ليت شعرى من هو هذا البعض الجانى الذى كان سببا فى حرمان تطوان من سكنى هذا العالم الاديب المتفنن الذى كان يرى فيها مغنى الاحباب والاخوان، وفى رياضها جنة من الجنان، فهل هو حاكمها وقائدها، وقد كان فى ذلك العهد أميا لا صلة له بالعلم والعلماء ، ولا عطف له لا على الادب ولا على الادباء ، ولم يشر اليه المؤلف فى كتابه ببنت شفة ؟ أم ان ذلك البعض هو بعض الحسدة القاصرين الذين كانوا يغارون من أدب ابن زاكور وتواضعه ورقة حاشيته بالرغم من غزارة علمه وطول باعه ؟ الله اعلم أى ذلك قد كان، وأيا كان فالله حسيبه .

واها لها من ليال هل تعود كما ... كانت وأى ليال عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عنى ببهجتها ... وأى أنس من الايام ينسيها

فلا أعرج أيام حلولي بتلك المغانى الا عليه، ولا أحن أزمان بعدى عنها الا اليه، فمن شعرى فيه وقد بعدت عن مغانيه، قولى من قصيدة أولها :

قفا حدثانى عن مغان وأربع ... بجزع النقابين الهضاب فأنقع
فبانة جرعاء الحما فظبائه ... فآرامه اللاتى رتعن بأضلعى
وعن ذى حباب بالرياض مسلسل ... يسيع كما أنساب الحباب بأجرع
فشبه به والشمس راق أصيلها ... جمانا على سيف بتبر ملفع
سقى مرتع الاحباب ديمة واكف ... وهل غير أوطان الاحبة مرتعى
وإنى وإن أمسيت فى فاس ثاويا ... لتطوان ءامالى وفيها تولعى
ديار أناخ الحسن فى عرصاتها ... وأرخى على أرجائها كل برقع

ومنها :

رعى الله أحبابا بتطوان كلما ... ذكرتهم اهتاجت شعائل أضلعى
أأحبابنا فيها هل الدهر سامح ... بلقياكم قبل الحلول بشرجعى
وهل لى فى الكيتان نزهة وامق ... عسى اشتفى من لوعتى وتفجعى
فيا نهر الكيتان جادتك ديمة ... من الوابل الهتان غير مصدع
ويا منزل الاحباب لا زلت ءاهلا ... بأهل العلا تزهو بكل سميدع
ويا جملة الاحباب منى عليكم ... سلام كأنفاس العبير المشعشع

«قلت»

بقية هذه القصيدة موجودة بديوان شعره وهى قوله :

لئن فرق البين المشت انتظامنا ... ببين فما وجدى عليكم بصعصع
شكعت بليل الهم حتى تقرحت ... مآقى وأجفانى لطول توجعى
وضعضاع جسمى ضعضعته بلابلى ... وشوقى اليكم ثابت لم يضعضع
سأبكى لشعشاع الغرام الذى هوت ... مطالعه أو ينزف الوجد أدمعى
وأصبو الى أهل الصفا كلما هفا ... نسيم الربا فى نفحة وتضوع
الى حيث ماء المكرمات مسلسل ... ونهر الندى فى جرية وتصيع
وروض المنى فى عطفة وتهدل ... الى حيث در النظم غير مضيع
وحيث أبو يعقوب بحر بلاغة ... له لجج يشتاقها كل منقع
همام به تطوان زادت محاسنا ... ولم لا وقد أربى على كل مصطع
فلا زال فى أفق البلاغة كوكبا ... يصيب بشهب الشعر كل هملع
عليه سلام الله ما قال نازح ... قفا حدثانى عن مغان وأربع

وأبو يعقوب المذكور فى هذه الابيات، هو الاديب أبو يعقوب الشودرى ، وقد وصفه ابن زاكور ـ كما رأيت ـ بأنه «يصيب بشهب الشعر كل هملع» فهو اذن شاعر مقتدر، ولكن أين يوجد شعره، وأين ترجمته، اننا بكل أسف لم نقف على شىء من ذلك، والامر لله .

ثم قال ابن زاكور فى رحلته عقب ما مر عنه ما نصه :

ويشبه هذا المعنى، وان لم يكن فيه تصريح بذلك المغنى قولى أيضا :

يا دار من أهوى رعاك الله ... وتفجرت برياضك الامواه
وغدوت فى حلل النضارة تزدهى ... وهفا عليك من الصبا أنداه
ما كان آنق نزهة سلفت لنا ... برباك اذ برق المنى شمناه
والدهر سالمنا وفل شباته ... عن حربنا وأحبتى ما تاهو
والانس ينظم شملنا فى سلكه ... والوصل صافح يمننا يمناه
فى جنة ما كان ألطف نشرها ... حسدت عليه أنوفنا الافواه
ماست لدان غصونها لما شدا ... شحرورها النشوان واطرباه
وتبسمت أزهارها لما بكى ... فيها الحيا همالة عيناه
أفشت نواسمها سرائر نورها ... لله سر النور ما أفشاه
والروض مبتهج الاصائل والضحى ... سقيا لذاك العصر ما أحلاه
ما كان الا ريثما انتعشت به ... أرواحنا حتى استرد سناه
واغتالنا صرف الحوادث بالنوى ... عجبا لهذا الدهر ما أجفاه
اه لما ألقاه من وجدى على ... ما قد مضى لو كان ينفع اه
يا ليت شعرى والمنى عين العنا ... والمرء قد يحظى ببعض مناه
أيروض خصب الوصل بستان المنى ... فلطالما محل النوى أذواه
لو ما الذى أرجوه من جمع على ... دعة قضيت كآبة لوماه
ما إن تزال سحائب كمدامعى ... تسقى منازل أنسنا ورباه
وتحيتى موصولة كمودتى ... تترى الى من فى الحشا سكناه
كنواسم العهد الذى من طيبه ... تذكى سعير أضالعى ذكراه
فبلابلى من بعده موقودة ... والشوق لا يدريه الا الله

ثم أثبت ابن زاكور أبياتا فى ذلك المعنى لصاحبه الاديب أبى الحسن الحاج علي مندوصة التطوانى وقد وصفه وصفا لطيفا أثبتناه فى ترجمته، ثم وصف شيخه الكبير سيدى الحاج علي بركة ببعض ما فيه من الاوصاف الحسان وأثبت القصيدة الشهيرة التى مدحه بها، وقد أثبتنا ذلك كله فى ترجمة الشيخ المذكور رحمه الله. ثم قال ابن زاكور .

«ولـه (أى لسيدى علي بركـة) أبقـاه الله قصائـد طـوال، حلـى بهـا مـن خرائـد المحـاسـن كـل معـطـال (1) لـكـن الاليـق بهـذا المـقـام، أن يذكـر من شعـره الرائـق النظام ، ما اشتمـل علـى الفـوائد العلميـة، والابحاث الرقيقة السنية، الخ. ثم أتى ببعض ذلـك (2) ثم أثبـت نص الاجازة التى كتبها له سيدى بركـة وقد أثبتنا نصها الكامل فى ترجمتـه رحمـه الله.

وبذلك انتهى ما ذكره عن تطوان ورجالها، ومن ذلك عرفنا أن الاديب ابن زاكور قد اتصل فى تطوان بالشيخ العالم الصالح سيدى الحاج علي بركة، وأنه قـرأ عليه ومدحه واستجازه فكتب له اجازته التاريخية، كما أنه اتصل برفقاء الشيخ المذكور وتلاميذه من رجال العلم والادب والفضل والحسب، ومنهم صديقه الاديب أبو الحسن علي مندوصة الاندلسى التطوانـى، وقد تبـادل معه المدح والثناء، وعرفنا أيضا أنه كان يزور متنزهات تطوان وخصوصا كيتان الذى وصفه أبدع وصـف، وأنه كان يزور ضياع صديقه مندوصة، كما كان يزور بساتين شيخه سيدى بركة، ويظهر أن زيارات ابن زاكور لتطوان كانت تتكرر من حيـن لآخر فقد كان بها سنة 1092 ـ 1093 و 1094 . وقـد أثبتنا فى ترجمة الاديـب محمد ابن علي الرافعى الاندلسى التطوانى أنه كتـب له بخطـه تقريظا على ديوانه سنة 1110. ثم ان مما قاله الاديب ابن زكور فى كيتان ولم يثبته فى رحلته وهو موجود فى ديوانه، هذين البيتين :

ان روض الكيتـان روض أريـض ⁂ ومـدا اللهـو فـى ذراه عريـض
يكتسـى نضـرة بـه وسـرورا ⁂ مـن حشـاه مـن الهمـوم مريض

ومما ارتجله ابن زاكور وهو بتطوان، هذا الموشح اللطيف

يـا ذوى ودى ويـا أهـل الـعـلا ⁂ فى ذرا تطـوان
اسمعونـى كـل معشـوق الحلـى ⁂ طيب الالـحـان
بمـديـح المصطفـى خيـر الورى ⁂ سيد الاكـوان
أسمعـونـى مـن نقـاوات المديح ⁂ رائق الاشعـار
بلحـون تلبـس القلـب القـريـح ⁂ حلـل الانـوار
فيطـيـر القلـب منهـا فـى مـلا ⁂ تخلق الاحـزان
يعتـلـى مـن زهـوه أى اعـتـلا ⁂ فى سما السلوان
يجتـلـى مـن بشـره أى اجـتـلا ⁂ غايـة الاحسان

---

1) ليت شعرى أين توجد هذه القصائد الطوال ؟
2) قد أثبتنا بعض ذلك فى ترجمته رحمـه الله

يجتلى من سره فى جهره   مورث البقيا
ويرى من طيه فى نشره   مالىء الدنيا
فهو لا يجنح الا للعلا   شأن أهل الشان
قائلا مهما عراه ما عرى   من حلا النشوان
صل يا رب الورى دأبا على   سيد الاكوان

ومما خاطب به ابن زاكور أبا الحسن مندوصة بتطوان قوله :

رد صفواها يا أخى مندوصة   مناهلا بالعلا مخصوصة
واحلل بها وخلاك ذم   مبانيا للهدى مرصوصة
أنت ولا زعمات نذل   شجى ذوى فطر منقوصة
وتاج حمد برأس مجد   أجاد صوغ الندا تخليصة
تقذى به أعين الاعادى   قد لا عينها المبحوصة
لو حملته جبال رضوى   لظلت أعناقها موقوصة

وزار المحل المعروف برأس الطرف وهو واقع على شاطىء البحر قرب مصيف تطوان فقال فيه هذه الابيات وفيها أدب ووطنية :

راقت عشية رأس الطرف رأس فتى   لم يثن رأس الجوى عن قلبه طرفه
حالفنا الانس فيه والمسرة اذ   عن لنا المتمنى مسرجا طرفه
والبحر مما صفا أبدى ضمائره   والبرج مما علا يكشف ما خلفه
ولاحت الشم من أطواد أندلس   تشكو ذراها النصارى وهى فى لهفة
وقد بدت سبتة منه منادية   يا أهل دين الهدى هل عندكم عطفة
هل عزمة تذر الصليب منكسرا   حتى يظل الرشاد لامحا عطفه
هل غيرة تقتضى طهرى من نجس الـ   ـشرك بمطلق دين الملة الصرفة
هناك أنشد والآمال دانية   والكفر عمت ذوى شوكته الرجفة
الحمد لله أهل الحمد ملهمه   مخزى النصارى ومولى من هدى لطفه

ومما قاله بتطوان أيضا يستنجز من صديقه الاديب أبى يعقوب الشودرى الاندلسى التطوانى اعارة كتاب زهر البستان عام 1092، هذه الابيات :

يا من به شرفت على البلدان   تطاون الغرا بلا بهتان
وتأرجت أرجاؤها من نشره   وغدا لطرس النبل كالعنوان
أنجز أبا يعقوب فى ارسال ما   همنا به من زهرة البستان
فلقد دجت أفكارنا كلفا به   فعسى يضوع شذاه بالسلوان
لا زلت ترفل فى برود مسرة   بادى البشائر ضاحك الانسان
ومن ابن زاكور سلام عاطر   كالياسمين يضوع فى بستان
أذكى من النسرين بلله الندا   وألذ من وصل على هجران
ياتيك ما غنت حمائم أيكة   وتمايست عذبات قضب البان

وقال فى جواب يظهر أنه بعثه الى صديقه ابى الحسن علي مندوصة بتطوان :

أتانا النظم يبهج كاللآلى — تروق بجيد ربات الحجال
تحدانا بمعجزة خبير — بأسرار البلاغة والكمال
فما أحلى العتاب به ولكن — مضمنه يعد من المحال
معاذ الله أبخس حق خل — يمت الي بالسحر الحلال
وبالمولى أبى الحسن المعلى — علي ذى المناقب والخصال
فكونك من ذر الاحباب قاض — علينا فى الاخاء بالاتصال
ألست من بنى تطوان من قد — عنيت بحبهم منذ الفصال
عليهم ما هفا ريح الشمال — سلام تستمد به الغوالى
خصوصا شيخنا رب المعانى — أبا حسن عليا ذا المعالى
فشد يد الضنين على ودادى — فقلبى من ودادك غير سال
ولكن لم تساعدنى الليالى — لما يرضى الاخاء من الوصال
وسامح ما تضمنه قريضى — من المعنى السخيف بالارتجال
فشعرى من بديع القول خال — وفكرى بالبلاغة غير حال

ولما ترجم الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه سلوة الانفاس، للاديب ابن زاكور، وصفه بأنه كان زوارا للصالحين مادحا لهم الخ. ويظهر ذلك من الاشعار التى مدح بها صلحاء تطوان، ومن ذلك قوله مخاطبا الشيخ ابا يعلى طلحة الدريج صاحب الضريح الشهير خارج باب النوادر :

يا وليا أمد بالمكرمات — وامتطى متن باذخ الدرجات
عجل الامن لى وعالج فؤادى — بسميكم طلحة الطلحات

وقال عند وقوفه على ضريح القائد المجاهد المهاجر بدينه وسيفه أبى الحسن علي المنظرى الاندلسى دفين باب المقابر :

أعفر وجهى فى ثراك المعطر — لتنظر من لاوى فؤادى المفطر
وأشدو وفرط الوجد غير منظرى — ألا فاجبرن صدعى أمولاى منظرى

وقال عند زيارته لضريح سيدى الصعيدى ـ او السعيدى ـ فى رمضان سنة 1093

بقبر الصعيدى فاستشفعن — الى الله ينفض عنك الحزن
ولذ بحماه فان حماه — أمان لما قد برته المحن
ولا تعد عن قصده ساعة — فان نداه مبيد الشجن
فكم من هموم غدا فاصما — عرى خطبها ندمنه الوسن

أمـولاى قـد جـئـت منتجعـا — ندى بحـر كفـك طلق الـرسن
وأجـدر بـمـن أم مثـواك أن — ينـال منـاه ولـم يـغـتـبـن
فعجـل منـاى وسكـن حشاى — فقـد قـرطستـه سهـام الزمـن
وكـن لـى مجيـرا من الغمرات — فسقمـى طـويـل وداءى عفن
وفلـك افتقارى ببحر اعتبارى — .... ونسيـم اصطبـارى سكن
أقـول وقـد هـالنـى مكثـه — ألا أزجـه بـنسـيـج حسـن
بخـيـر الخـلائـق أفضـل من — حبـاه الالـه بـأهـدى سنـن
محمـد المصطفـى المقتـفـى — رسـول الالـه سنـي السنـن
علـى رمسه مـا همـت ديمـة — صـلاة مـن الله مولـى المنن
وءالـه والصحـب ما صدحـت — حمـام ومـا ظبـي ريـم شـأن

وقال أيضا فى سيدى بوحاجة أحد صلحاء تطوان :

بحـر النـدا والهدى أبا حاجة — ارحـم فقيـرا أتـاك ذا حاجـه
يرجـو مواهبـك التى بهـرت — فافصم عرى خطبه الذى هاجـه

وقال فيه أيضا ولعله بعد ان قضيت حاجته .

هـلـمـوا يـا ذوى الـحـاج — الـى مـثـوى أبـى حـاج
أبـى الحـاجـات معطـيـهـا — لـمـعـتـر ومـحـتـاج
ومـلـهـوف ومـوصـوف — بـاحـراج وإزعـاج
وإقـلاق لاخـفـاق — وإنـتـاج لارتـاج
ضـمـنـت الفـلج بالمـرجـ — ـو منـهـا للشجـى الراجى
ولـيـس الخبـر كـالاخـبـ — ـار فـاخبـر فيـض عـجـاج

وهكذا نجد فى الرحلات التى كان رجال العلم والادب يقومون بها ويزورون فيها مدينة تطوان، صورا رائعة عن الحياة بهذه المدينـة، وتصويرا أدبيا لمعاهدها ومغانيها، ولرجالها وأصدقائهم الزائرين لهـم، وتعريفـا بعوائدهـم وروحهـم وأفكارهم، وتسجيلا لفرائد علمهم ودرر أدبهم، وخصوصا منهم من يترددون عليها من مدينة فاس، وما أدراك ما مدينة فاس مدينة، العلوم والآداب، ومغنى الذكريات العذاب فرج الله كربتها وأزاح اتراحها وفتح فى وجوهنـا أبوابهـا (I) وسقـى بغيث الالطاف أدواحها .

I) تركت هذه الفقرات كما كتبتها أولا عند ما كان الاستعمار الفرنسى مسيطرا على جل بلاد المغرب، وكانت نخبة شباب فاس فـى المنافـى وأعمـاق السجون، وقد ظللت بضع عشرة سنة ممنوعا رسميا من دخول فاس وبقية البلاد التى كانت تحت السيطرة الفرنسية لا اعادها الله .

الفصل السادس

من الباب الرابع

ملخص عن حالة تطوان فى القرن الحادى عشر

من الناحية السياسية

دخل القرن الحادى عشر والمغرب تحت حكم السلطان أحمد المنصور السعدى بطل وقعة وادى المخازن التى أوقفت الاستعمار البرتغالى عند حده، بل التى كانت القاضية على عظمة البرتغاليين، اذ لم تقم لهم بعد ذلك قائمة الى اليوم وهو السلطان الذى فتح السودان وبنى قصر البديع الذى لم يكن له مثيل، وقد توفى احمد المنصور بالوباء سنة 1012 فانتهى بموته عهد النظام والاصلاح ودخل عهد الفوضى والفساد، وتولى الملك أولاده وبعض أحفاده، وكان بعضهم ضعيف الارادة، وبعضهم فاسد الاخلاق، قبيح المعاملة، ضعيف الايمان، فضاعت هيبة الحكومة وضعفت سلطتها، وخصوصا فى الاماكن البعيدة عن مركزها.

وفى هذا العهد تولى المجاهد المقدم احمد بن عيسى النقسيس حكم تطوان، واستقل فيها بالحكم وحافظ على كيانها، واستمر على القيام بواجب الجهاد وحراسة البلاد من استيلاء الاجانب عليها .

وتوفى أبو العباس النقسيس فتولى الامر من بعده بنوه ثم أحفاده وأقاربه، ومضى جل هذا القرن على تطوان وهى تحت حكم اولاد النقسيس، كما مضى على سائر المغرب وكل ناحية منه تحت نفوذ رئيس محلى أو زعيم او ثائر.

وقد علمت أن أولاد النقسيس زيادة على استقلالهم الداخلى بتطوان ونواحيها، كانت لهم مع بعض الدول الاجنبية علاقات ومعاملات ومعاهدات، وقد تقدم لنا بيان ذلك كله .

وقد خرجت تطوان عن حكم أولاد النقسيس فى بعض الفترات، ولكن سرعان ما كان حكمهم يعود اليها، الى أن وقع القضاء النهائى على نفوذهم عام 1084 هـ (1673 م) بدخول تطوان فى حظيرة الدولة العلوية الشريفة خلد الله مجدها وجزى أبطالها الذين طهروا الوطن من رجس الاحتلال الاجنبى خير الجزاء.
والخلاصة ان تطوان قد قضت جل القرن الحادى عشر تحت حكم المقدمين المجاهدين أولاد النقسيس، مستقلة عن حكم السلاطين وغيرهم من الحكام الذين بكل أسف لم يكن لاحد منهم اذ ذاك من النفوذ والقوة ما يكفى لتوحيد سلطة المغرب وجمع شمله .

من الناحية العلمية والادبية

يظهر أن الناحية العلمية بتطوان فى هذا القرن كانت عادية ان لم تكن ضعيفة، فقد وجدنا الاشخاص الذين تولوا منصب القضاء بها فى هذا القرن ، كلهم كانوا من أهلها ما عدا القاضى السيد عبد الوهاب بن العربى الفاسى ، وذلك يدل على ان تطوان كان بها علم وكان بها علماء فى ذلك العهد، وقرأنا فى ترجمة مولاى عبد الله الشريف (1) جد جميع الشرفاء الوزانيين بالمغرب، أن شيخه سيدى علي بن احمد بعثه الى تطوان ليقرأ العلم بها، وأنه وصل اليها واستوطنها طالبا للعلم بها، وكانت وفاة الشيخ المذكور عام 1089 وكان عمره حين توفي نيفا وثمانين عاما، فطلبه للعلم بتطوان كان فى الربع الاول من هذا القرن وذلك يدل على أن العلم كان يدرس بتطوان فى ذلك العهد، وكان الناس يفدون عليها لقراءته بها، الا أننا اذا استثنينا من بين سكانها العلامة سيدى العربى بن يوسف الفاسى، فاننا نجد أن هذه المدينة لم يكن بها علماء كبار أو أدباء مشهورون فى النصف الاول من هذا القرن، أو على الاقل لم يكن لعلمائها اعتناء بالادب، وبعلم الرواية والاسناد، وانما كان اتجاههم لعلوم اللغة والفقه والنوازل والتفسير والحديث وغير ذلك من طريق الدراية لا على سبيل الرواية، ويؤكد هذا أن شيخ تطوان وعالمها وأديبها سيدى الحاج علي بركة، لم يذكر من بين الاشياخ الذين اجازوه فى العلوم، أى واحد من علماء تطوان، وانما اقتصر على شيوخ فاس وعلمائها، وذلك يدل على أن العلماء الذين كانوا بتطوان فى ذلك العهد، لم تكن لهم روايات يجيزون بها، أو انهم كانوا مقتصرين على ناحية من نواحى العلم الواسعة، وقد وجدت فى المخطوط التطوانى القديم أن تطوان لم تكن دار علم، وأن أول من ظهر علمه بها هو الفقيه البركة، سيدى الحاج علي بركة، وأنه كان بها قبله عالم آخر ولكن فى الفقهيات فقط، وهذا العالم هو

---

1) تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان ص 39 .

الفقيه القاضى السيد محمد (بالفتح) بن سعيد بن قريش. وعلى هذا فان الحالة العلمية بتطوان كانت فى أوائل هذا القرن وأواسطه عادية الى الضعف، اذ لم ينبغ فيها عالم كبير، أو مؤلف شهير، أو ذو ادب غزير .

أما الربع الاخير من هذا القرن فقد تبدلت فيه الحال، وذلك حينما رجع الشيخ العالم العامل سيدى الحاج علي بركة من مدينة فاس، مملوء الوطاب علما وأدبا، فتصدى لنشر العلوم، وارشاد الخصوص والعموم، بالتدريس والتأليف والوعظ والخطابة، وكان كالبدر المنير فى سماء تطوان فانتفعت به كل الطبقات بها رحمه الله ورضى عنه .

أما الناحية الادبية فى أوائل هذا القرن واواسطه، فلم نعرف عنها شيئا مهما، وأما فى اواخره فيظهر انها بقيت ضعيفة فى الجملة، ويظهر ذلك من عدد الادباء وإنتاجهم الذى أثبتناه فى تراجمهم من بين رجال تطوان فى هذا القرن ، واذا استثنينا العالم الاديب سيدى الحاج علي بركة والادباء مندوصة والرافعى والشودرى، فاننا لا نكاد نجد لغيرهم فى ميدان الادب أثرا يذكر .

نعم وقفت فى كناش الرافعى على قصيدة مدح بها بعض شعراء ذلك العصر قاضى تطوان أبا عبد الله بن قريش، وهى قصيدة ان لم يكن ناظمها هو الرافعى نفسه، فان شعرها ليس أجود من شعر الرافعى .

وبالجملة فان الناحية العلمية هى التى انتعشت بتطوان حقيقة فى الربع الاخير من القرن الحادى عشر، ورجل تطوان فى ذلك العهد هو سيدى ج. علي بركة ذلك الرجل العالم العامل الذى انقطع لتعليم الناس وهدايتهم وارشادهم الى ما ينفعهم فى دنياهم ودينهم، فانتفعت به جميع الطبقات، فالعوام كان يعلمهم ويفتى لهم فى مسائل عبادتهم ومعاملاتهم، ويخرجهم من ربقة الجهل بالعقائد الدينية ، والواجبات الضرورية، بمواعظه النهارية، ودروسه الليلية، وخواص التلاميذ ، كان يقرأ معهم العلوم العالية كما يعلم ذلك من إجازته للعالم الاديب ابن زاكور الفاسى، وبذلك كان الشيخ علي بركة هو عالم تطوان وشيخها وأديبها فى أواخر هذا القرن غير منازع .

ولعل هذا المعنى هو الذى لاحظه العلامة أبو على اليوسى حينما زار تطوان سنة 1085، فلما مدحها باحدى قصائده الغراء ، أبدى تأسفه لعدم وجود ما يملأ العين من العلماء العاملين والتلاميذ النشيطين بتطوان، ما عدا الشيخ سيدى علي بركة وذلك فى قوله كما تقدم :

لله دار أحــبـة غـادرتـهـم فيهـا يعـدون الصداقـة مغنما
أزروا الى الخيرات ظمئا شرعا ورأوا سبيـل البر دينـا قيمـا
وأود لو كانـت مجالس بينهم يضحين فى سبل الهداية معلما
وشجا الحشا أن لم اجد من عالم يهـدى الورى فيهـا ولا متعلما
إلا يسيـر صبابـة من ذى حجا لصـابـة بالعلـم أضحى مغرما

الا أن سيدى بركة رحمه الله قد عاش بعد ذلك التاريـخ خمسة وثلاثيـن عاما كانت كلها عامرة بالتعليم والتهذيب، والهداية والارشاد .

فالناحية الادبية وان كانت قد انتعشت قليلا فى الربع الاخيـر مـن هذا القرن، الا أنها «فيما بلغ اليه علمنا» بقيت فى دائرة محدودة، وفى درجة عاديـة لم تبلغ حد التفوق فضلا عن النبوغ، كما يعلم ذلك من التراجم التـى قدمنـا، والآثار التى أثبتنا، وان كان ما ضاع من آثار ذلك العهد ـ فيما يظهر ـ أكثـر مما حفظ والامر لله .

مـن النـاحيـة الاجتماعيـة

كانت الحياة بتطوان فى القرن الحادى عشر عادية، فطبقـة من سكانهـا كانت منقطعة للجهاد والرباط والحراسة، وطبقات أخرى كانت تشتغل بالصناعة أو الفلاحة أو التجارة، ولعل جل من كان يقدر على حمل السلاح بتطوان، كـان يجمع بين الفضيلتين، فضيلة الجد فى ميدان العمل لكسب الرزق الحلال الطيب، وفضيلة الجهاد كلما دعا داعى الغزو فى سبيـل الله، أو الدفـاع عن حرمات الله وشرف الوطن .

وكانت لتجار تطـوان معاملات مع تجار أوربا التى لا تبعد عن هذه المدينة الا بأميال معدودة، فكانوا يصدرون اليهم ويستوردون منهم، وكان النـاس على العموم يعيشون داخل تطـوان فى أمـن وأمـان، لان العدل المحمـى بنفسه لدى المومنين المنصفين، والمدعم بالسيف لمواجهة الباغين وردع المعتدين، كفيل بحفظ حقوق جميع المتساكنين، وكان ولاة الامر فى جل هذا القرن، وهم أولاد النقسيس ذوى حزم وعزم، وكان الناس معهم على أصناف، صنف لا يهمه الا حفظ الامن ، ولا عليه فيما عدا ذلك، وصنف كان من أنصارهم ومؤيديهم ـ ولا بد لمن كـان فى مثل مركزهم من مؤيدين وأنصار، وأتباع وخـدام. وصنف آخر كان ضدهم أو على الاقل كان ضـد المنحرفين عـن الجـادة منهم، ولا شـك أن هذا الصنف الاخير كان من الطبقة الارستوقراطية التى لا ترضى بالتحكم فى مصالحها، وهى

طبقة الوجهاء والاعيان وكبار العائلات، وخصوصا الاندلسية النبيلة منها، وهؤلاء هم الذين أحكموا المؤامرة مع أصحاب أبى عبد الله العياشى ضد أولاد النقسيس، فزال الحكم من يدهم وفر رئيسهم من تطوان الى غيرها .

ومن أهم ما طرأ على تطوان فى هذا القرن من الحوادث التى أثرت فى حياتها الاجتماعية، وفود آخر المهاجرين الاندلسيين عليها، وقد علمنا أن فليب الثالث الاسبانى، أمر باخراج مسلمى الاندلس، من اسبانيا سنة 1610 م. فاستمرت الهجرة الاخيرة من سنة 1017 الى سنة 1019 هـ. وتفرق جل من بقى من مسلمى الاندلس فى أطراف بلاد الاسلام، فكان حظ تطوان من ذلك وافرا، أولا لقربها من البلاد الاندلسية التى ترى جبالها وأرضها من ضواحيها بالعين المجردة فى أيام الصحو، وثانيا لوجود عدد كبير من الاندلسيين بها وهم السابقون الاولون من المهاجرين بدينهم ولغتهم وحضارتهم .

وانضم هؤلاء المهاجرون أخيرا الى اخوانهم السابقين الاولين، وكانت هذه الهجرة هى آخر الهجرات الاسلامية من الاندلس. وقد نقلنا عن المؤرخ أبى محمد سكيرج التطوانى أن هؤلاء المهاجرين الاخيرين هم الذين بنوا الناحية المعروفة الآن فى تطوان بالسانية ـ من حومة العيون. وكان من الطبيعى أن يزداد عدد سكان تطوان بعد هذه الهجرة، وأن تتسع دائرة عمارتها، وتتقوى صناعتها وزراعتها، بمن وفد عليها من أولئك المهاجرين، ما بين حضريين وبدويين، ولعل جل العائلات الاندلسية المسلمة الموجودة الآن بتطوان، هى من هذا الصنف من مهاجرى الاندلس، لان ألقابها افرنجية تسمى بها حتى الآن عائلات أخرى اسبانية مسيحية .

ومن أهم الحوادث التى كان لها تأثير على الحالة الاجتماعية بتطوان فى هذا القرن أيضا، وقوع الوباء بها سنة 1088 ـ 1089 هـ. وقد علمت أنه كان وباء عظيما بالنسبة لهذه المدينة، اذ بلغ عدد ضحاياه بها خمسين ميتا فى اليوم، ومعلوم أن مدينة صغيرة كتطوان تتأثر الحالة الاجتماعية فيها بموت عشرة أشخاص فى اليوم، فأحرى خمسين شخصا يموتون بها كل يوم، ولا شك أن هذا الوباء قد ترك أثرا عظيما فى عدد سكانها وفى مبانيها وفى حياتها الاجتماعية على العموم .

ومما يلاحظ من المظاهر الاجتماعية بتطوان فى هذا القرن، أن الخواص من أهلها والواردين عليها، فضلا عن العوام، كانوا كثيرى التعلق بالاولياء والصالحين فكانوا يمدحونهم بالقصائد، ويقدمون لضرائحهم النذور والعوائد، ويتوسلون بهم لقضاء أغراضهم وحاجاتهم، وقد سبقت لنا أبيات نظمها العالم ابن زاكور الاديب الفاسى فى التعلق بالشيوخ، سيدى طلحة، وسيدى المنظرى، وسيدى السعيدى، وسيدى بوحاجة الخ. وقرأنا فى ديوان الفقيه الرافعى التطوانى

قصائد كثيرة فى مدح صلحاء تطوان والتعلق بهم، ومنها قصائد عديدة فى مدح سيدى الصعيدى والتوسل به، وأخرى فى التعلق بسيدى بوحاجة، وسيدى علي الجعيدى، وسيدى علي المصيمدى، وسيدى علي الفحل، وكلهم من صلحاء تطوان وأوليائها، بل قرأنا له قصائد أخرى فى التوسل بصلحاء آخرين من غير تطوان مثل مولاى ادريس ومولاى عبد السلام بن مشيش وسيدى أبى يعزى وغيرهم .

ووجدنا فى ترجمة الشيخ سيدى علي بركة أنه كان كثير التعظيم للصالحين والزيارة لهم الخ. واذا كـان هذا هو حال العلماء والادباء فما بالك بغيرهم من مطلق الناس وخصوصا العوام ؟

وهذه الظاهرة ـ فيما نرى ـ غريبة بالنسبة لاهالى تطوان، واذا كان من المعلوم المقرر لدينا أن الركون الى الخضوع والاستسلام وطلب قضاء الاغـراض والحاجات، من الاحياء أو من الاموات، انما هو من شأن المتكاسليـن المتواكليـن، فبأى سبب نعلل هذه الظاهرة الغريبة فى الحيـاة الاجتماعية بتطوان ؟ وأهلهـا فيما نعلم كانوا كلهم أو جلهم يحملـون السلاح، ويتـرددون على ميادين الجهاد والكفاح، ويهدون الحصون والمعاقل، ويسترجعون البلاد المحتلة من الاجانـب ، ويعودون الى تطوان بالاسارى والغنائم، انه لشىء عجيب حقا.

اننا اذا بحثنـا فى مصدر هذه الظاهرة وأسبابها، نجدها انما تبرز غالبا فى أوساط الشعوب المقهورة التى تسيطر عليها قوات غاشمـة لا يجد الشعـب المخنوق لدفعها حيلة ولا يهتدئ لردها سبيلا، فيركن الى الروحيـات مـا دام عاجزا عن التغلب بالماديات، وقد تبرز فى أشخاص يعرض لهم مرض جسمانى أو ضعف نفسانى، وتتسلـط عليهم خواطـر وأوهـام قد يستعصى علاجها على الاطباء العاديين، فتدفع الضرورة أصحابها للبحث عن شفائهم بالطرق الروحانية فلا يجدون أمامهم أسهل ولا أقرب ولا أنجى من طرق أبواب الصالحيـن الذيـن يعتقدون فيهم أنهم عاشوا عابدين زاهدين، وذهبوا الى ربهم راضين مرضيين ، كما يعتقدون أن أرواحهم لا تفنى، فيتعلقون بهم عسى أن يكونوا من الذين قيل فيهم ان لله عبادا لو أقسموا على الله لابرهم والغريق يتعلق بـأى شىء يظـن أو يتوهم أنه ينجيه وينقذه... ربما كان شىء من هذا هو الواقع فى أصحـاب تلك التعلقات والمدائح والتوسلات .

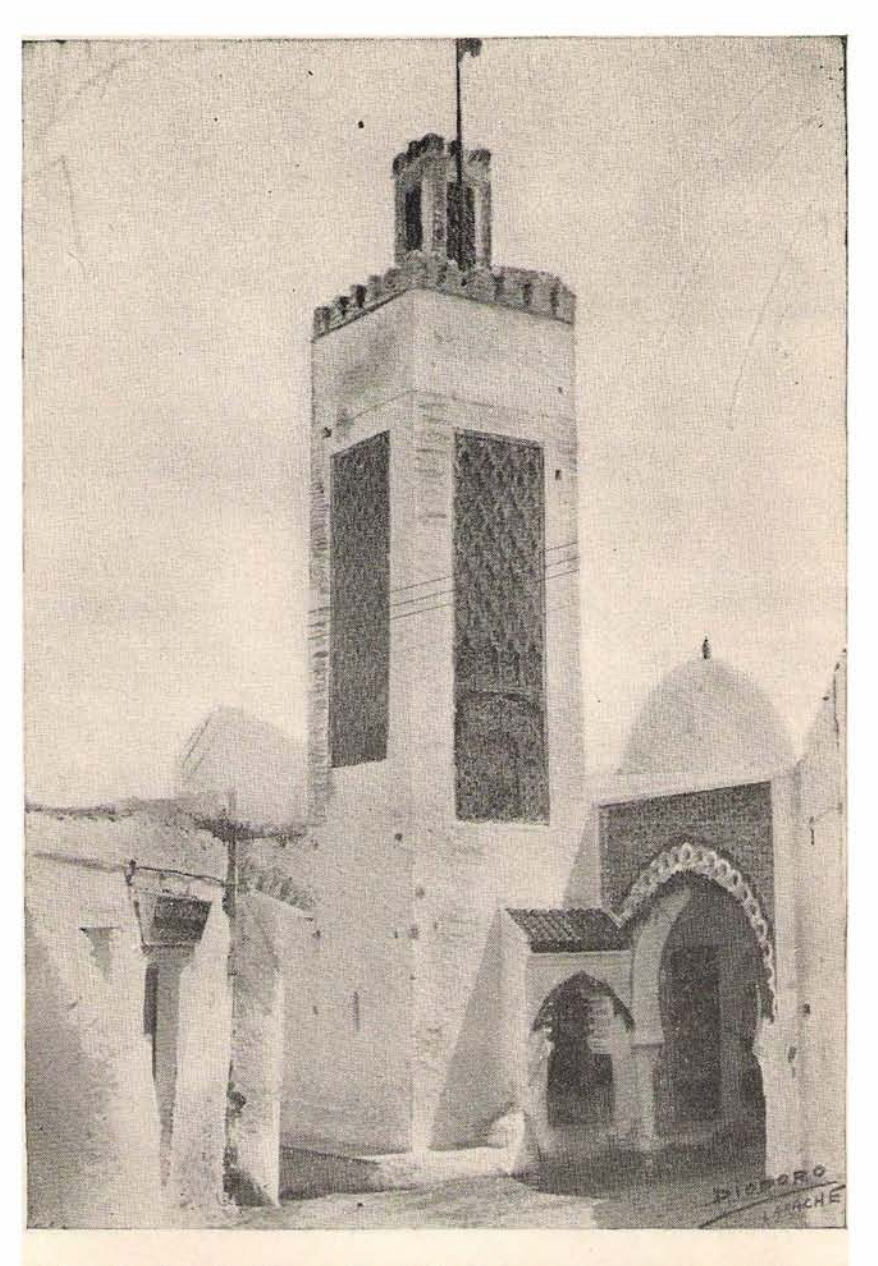
على أننا من ناحية أخرى حينما نعود قليلا الى الوراء خصوصا حينما نستحضر ما كانت عليه تطوان وأهلها من بأس وشدة، وقوة ونجدة، لا نستغرب أن تكون هذه البضاعة طارئـة على تطوان، حديثة الورود على أهلها، ولا نستطيع أن نتشدد فى الانكار على من يزعم أن ورودها كان من مدينة فاس ـ التى كانت تطـوان كثيرا ما تقلدهـا فى كثير من المواقف والمظاهـر حتى قـال القائلون، ان تطوان بنت فاس ولعل ورودها من تلك المدينة المقدسة ـ ان صح ذلك ـ كان هو المبرر

لقبولها بـل ولتبنيها . ولعـل تظاهر بعض كبـار العلماء بها وانسيـاق بعض أهل الخير والصلاح فى تيارهـا، جعلهـا فى نظـر الخواص فضلا عن العوام ، بضاعة مقبولة وطريقة مشروعة، والناس على دين ملوكهم ورؤسائهم فى كـل زمان ومكان، ولقد كنت أشاهد ـ آثناء السنتين اللتين قضيتهما بفاس للدراسة فى كلية القرويين ـ من تعلـق أهالى تلـك المدينـة بضرائح بعـض الاوليـاء والصالحين، ما كنت استغربه واقضى منه العجب العجاب، وامثال هذه المظاهر كالتيارات تندفع حينا وتهدأ احيانا، وقد يتنكر لها أناس فيحاربونها ويقضون عليها او تقضى عليهم

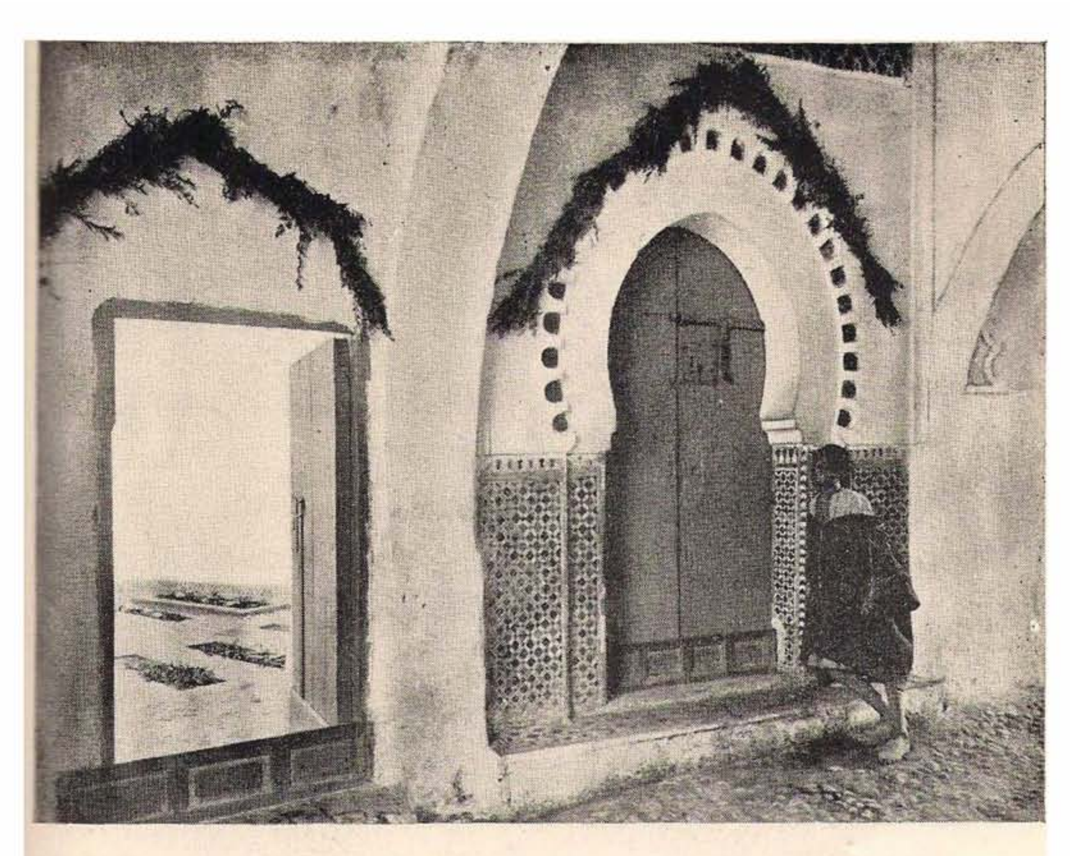
الا ان مما يلفت النظر، ان اهالـى تطوان على سبيل العموم، لم يكونـوا يقتصرون على التعلق بأذيال الاوليـاء والاعتماد عليهـم فى قضـاء الاغـراض والحاجات، بل كانوا الى جانب ذلك يجاهدون بسيوفهم ورماحهم، ويسترجعون الشواطىء المغربية ومدنها من يد اعدائهم، ويرجعون ـ كما قلنا ـ بالغنائم الى بلادهم. وهكذا كانوا رحمهم الله يدعمون الروحيات بالماديات، وما احسن الجمع بين المادة والروح، وما اجمل التوفيق بين المبادىء العالية، والارشادات الدينية والمصالـح الدنيويـة .

وقبل ان اختم ملاحظاتى بل خطراتى عن الحياة الاجتماعية بتطوان فى هذا القرن، يجمل بى ان انبه مرة اخرى الى ان حالة هذه المدينة عند تجديد بنائها اولا ثم عند توسيع عمارتها، ثم بعد أن استقر آخر المهاجرين الاندلسيين بها، كانت نسخة من أخريات المدن الاسلامية العربية فى بلاد الاندلس، الفردوس الاسلامى المفقود، واذا ذكرنا ان جل الوافدين عليها من الاندلس كانـوا من غرناطـة التى كانت آخر معقل للاسلام والعروبة وحضارتهما فى اسبانيا، عرفنا مبلغ سكان تطوان من المدنية والرقى فى اساليب الحياة ومظاهرها من مسكن وملبس، ومطعم ومشرب، ومتجر ومصنع، فلقد كان للحياة الاجتماعية بتطوان طابع خاص امتاز بالرقة واللطف وحسن الذوق فى الترتيب والتنميق، والمرونة فى حل المشاكـل والازمات والتوفيق بين الواجب والواقـع .

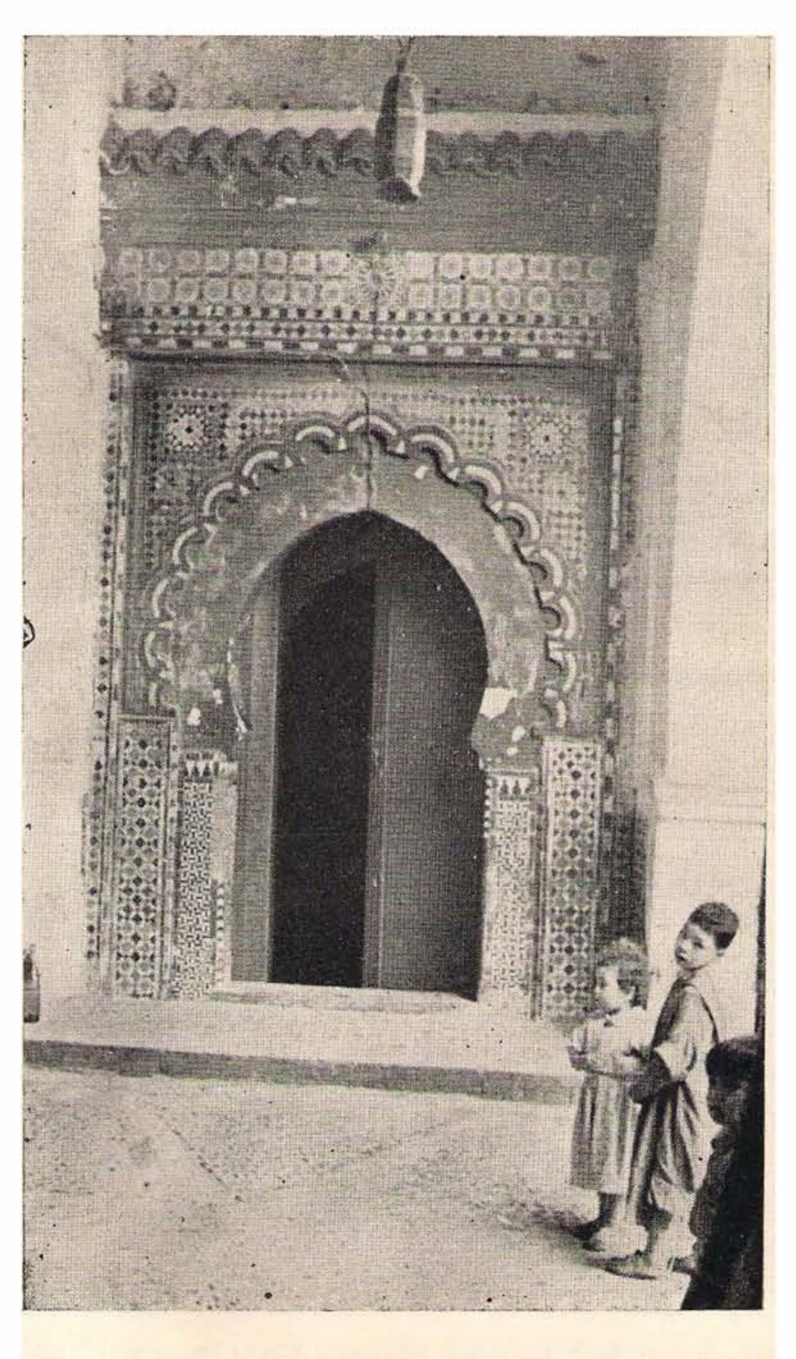
نعم ان تطوان لم تكن غنية، ولم تفكر قط فـى ان تـزاحم كبريـات مدن المغرب فى الثروة والكبر والضخامة والكثرة، ولكنها عرفت دائما كيف تعيـش عزيزة الجانب، موفورة الكرامة حسنة السمعة بالرغم من ضعف اقتصاديـاتها، وفقر القبائل المحيطة بها، فكان القليل فيها مقنعا كافيا، والضعيف لطيفا ظريفا والصغير نقيا نظيفا، والغنى مقتصدا مدبرا، والحياة وديعة يسيـرة، والاعمـال متقنة منظمة، لذلك كله كان سكانها ءامنين مطمئنين، راضين مرضيين، وتلـك هى السعادة لدى العقلاء الموفقين، والحمد لله رب العالمين .



(رقم 47) صورة الزاوية التى بناها الشيخ قاسم الحاج بتطوان قرب باب السعيدة فى اوائل القرن الحادى عشر للهجرة ويقال لها زاوية سيدى السعيدى وتظهر فيها القبة التى دفن تحتها الشيخ قاسم المذكور، ويقال ان سيدى السعيدى مدفون بها ايضاً والله اعلم، انظر ص 322 فما بعد.



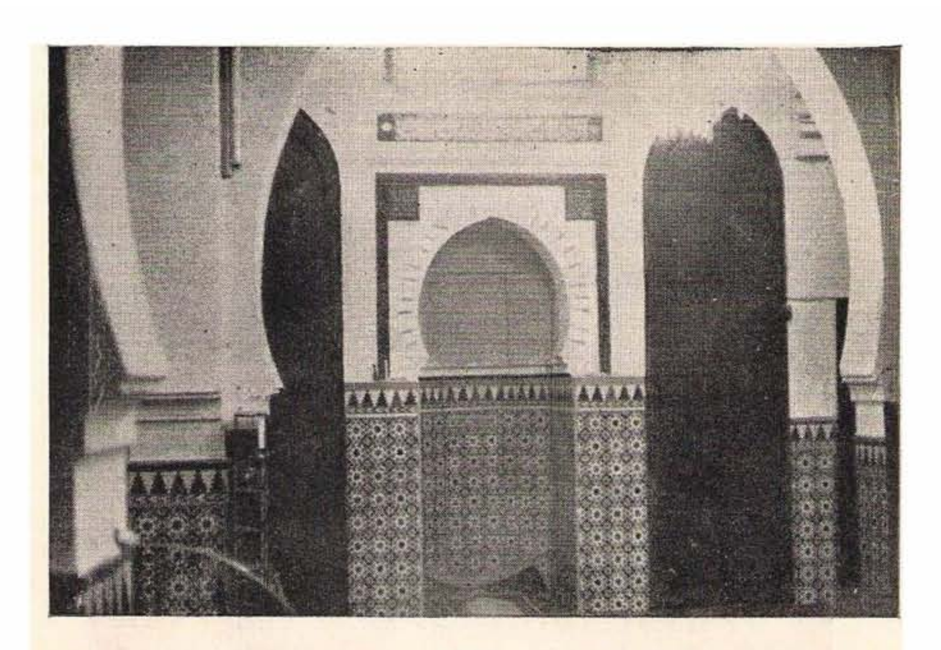
(رقم 48) باب الزاوية النسوبة لسيدى السعيدى قرب باب السعيدة من تطوان، وجنبها الباب المؤدى للصومعة والصحن الذى تبدو فيه بعض القبور، كما تظهر على البابين اكاليل الريحان على عادة قدماء الاخيار من اهل تطوان



(رقم 49) باب الزاوية التى بها ضريح الشيخ على بن مسعود الجعيدى فى حومة العيون بتطوان، وقد بنيت فى النصف الاول من القرن الحادى عشر، انظر ص 330 و 337



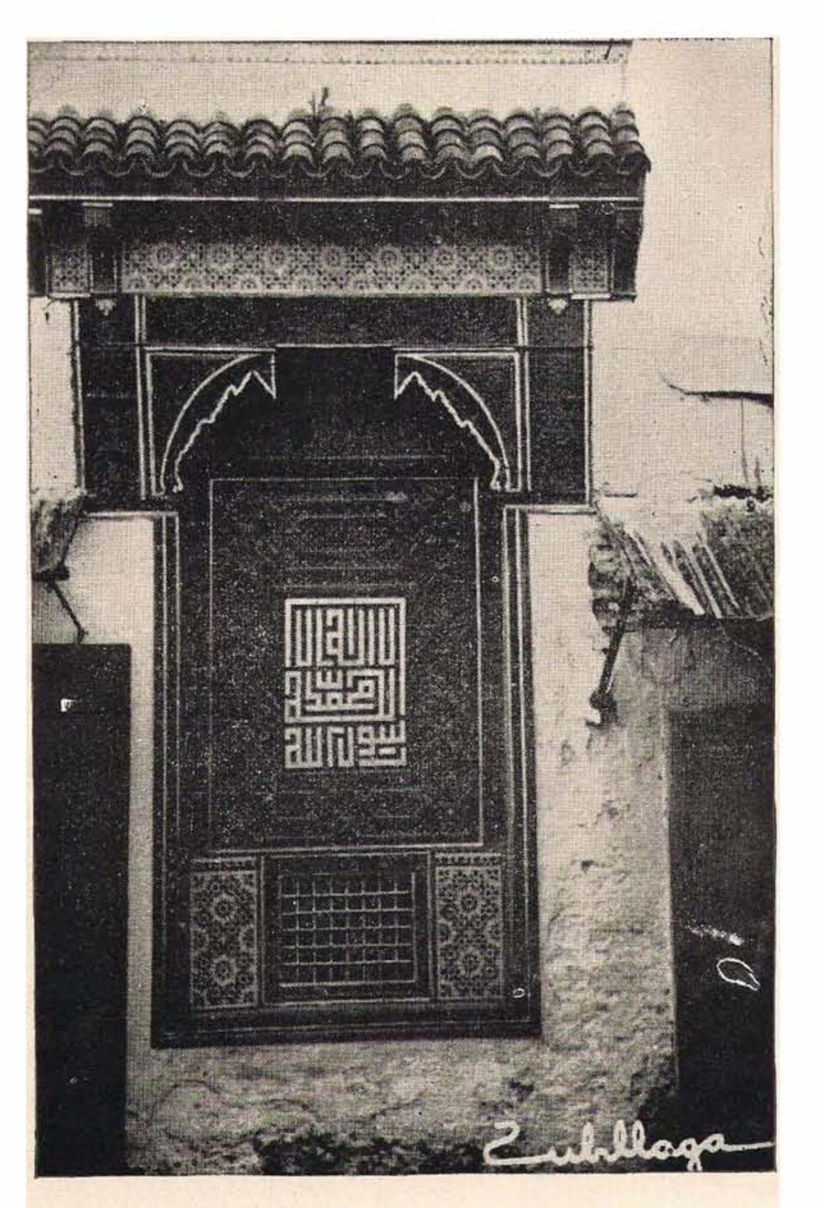
(رقم 50) باب زاوية الشيخ العلامة الصالح سيدى الحاج على بركة عالم تطوان وشيخها وهى واقعة جنب المسجد الكبير الجامع بالسوق الفوقى من الربض الاعلى من هذه المدينة، وقد دفن بها ايضا بعض العلماء والقضاة والاعيان ومنذ بضع سنين ادخلت عليها اصلاحات، وبنيت لها صومعة جيدة عالية، وصارت كالمساجد الجامعة العامة تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة ويقرأ فيها القرءان صباحا ومساء ، كما يقرأ فيها كتاب دلائل الخيرات كل ليلة، وتقام فيها الحفلات الدينية بقراءة القرءان والامداح النبوية وتوزع فيها الصدقات فى المواسم والليالى الفاضلة، وفيها ايضا مياه عين جارية دفاقة لوضوء المصلين، ويظهر فى الصورة ايضا «قنا» سقاية يتفجر ماؤها عذبا سلسبيلا وكان وما زال ينتفع منه خلق كثير ، انظر ص 377 و 378



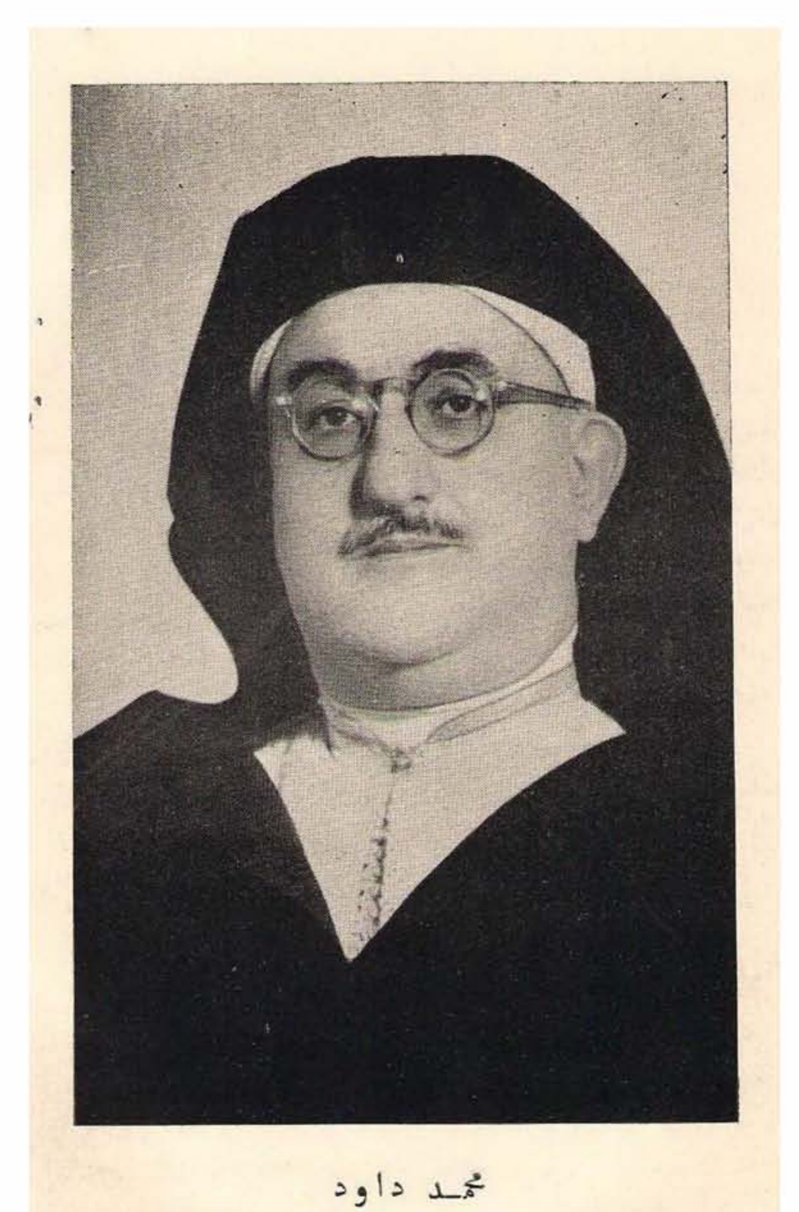
(رقم 51) محراب زاوية الشيخ على بركة الاندلسى التطوانى وقد كتب فوقه بسم الله الرحمن الرحيم، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين



(رقم 52) ضريح الشيخ على بركة داخل زاويته التى فى السوق الفوقى بتطوان وقد نقش عليه فى الخشب الجيد ما نصه : «الحمد لله هذا ضريح عالم تطوان العابد الناسك الزاهد الولى، الصالح البركة ابى الحسن سيدى الحاج على بن محمد بركة الاندلسى التطوانى، توفى رحمه الله بتطوان ودفن هنا فى تاسع وعشرى شوال سنة الف ومائة وعشرين رضى الله عنه



(رقم 53) مزارة الشيخ ابى الحسن على بن محمد بركة، وتقع فى شارع السوق الفوقى عن يسار الذاهب الى باب المقابر، وهى شبيهة ببعض مزارات فاس، الا ان عوام تطوان، كانوا لا يجارون عوام فاس فى كثرة التمسح بالمزارات، وطلب «العطفات والاغارات ..



محمد داود

(رقم 54) بعد الفراغ من تأليف كتابه «تاريخ تطوان» وطبع هذا المجلد منه سنة 1379 هـ 1959 م

من حياة المؤلف

لقد خطر بالبال، انه قد يأتى يوم يفكـر فيه بعض الافاضل فى كتابـة كلمات عن الذين كتبـوا حول التاريخ المغربى فى عصرنا هـذا، وقد يتساءل بعض اخواننا فى الشرقين، الادنى والاقصى ، كيف يقضى المنتسبون للعلـم والثقافة بالمغرب العربى حياتهم ؟ ثم قد يخطر ببال بعض المتخرجين من المدارس الافرنجيـة، ان يسألوا، كيف يعيش، وكيف يفكر، وكيف يعمل المتخرجون من «جامعة القرويين» مفخرة المغرب، وحافظة اللغة العربيـة وآدابهـا، والشريعـة الاسلامية واحكامهـا ؟ فلهؤلاء جميعا ولغيرهم ايضا من الذين يهمهم ان يعرفوا كل ما تمكن معرفته، كتبت هذه الكلمـات عن حياة مؤلف هذا الكتـاب، انصافا للتاريخ، وحفظا للحقيقة والواقع من الضياع :

ولد محمد داود «مؤلف تاريخ تطوان» بدار والده فى زنقة المقدم المجاهد احمد بن عيسى النقسيس بمدينة تطـوان، ليلة يوم الاثنين 12 حجـة 1318 هـ فاتح ابريل سنة 1901 م.

والده، هو الفقيه الحاج احمد بن محمد داود الاندلسى التطوانى.

والدته، هى السيدة عالية ابنة الوجيه الحاج محمد بن عبد السلام داود الانـدلسى التطوانـى

حفظ القرآن كلـه عن ظهر قلب مع مجموع المتون اللغوية والعلمية وهـو دون سن البلوغ، وشرع فى قراءة العلوم العربية والادبية والشرعية على علماء تطوان من سنة 1330 هـ 1912 م، وفى سنة 1338 ـ 1920 بعثه والده الى فاس عاصمة العلم والادب والدين، وقضى فى جامعة القرويين سنتين اتم فيهما دراسته على كبـار علماء فاس .

وفى آخر سنة 1340 ـ 1922 عاد الى تطوان واشتغـل فيها بالتـدريس والعدالة والكتابة فى صحف الشرق والمغرب العربى، وكان هو المراسل الخاص لجريدة الاهرام المصرية فى عهد الحـرب ضد الاحتـلال الاجنبى بزعامة بطـل المغرب الخالد محمد بن عبد الكريم الخطابـى ... وفـى سنـة 1342 ـ 1923 .

نال جائزة التاريخ فى الاسواق الادبية التى اقيمت فى سبتة لادباء اللغتين العربية والاسبانية .

وفى سنة 1343 ـ 1925 أسس المدرسة الاهلية صحبة رفقائه ـ وتولى ادارتها والتدريس بها نحو 12 سنة، وهى اول مدرسة عربية اسلامية حرة اسست بشمال المغرب فى عهد الحماية، فكانت هى النواة الاولى للحركة العلمية الحديثة، وللوطنية الاستقلالية بهذه البلاد، وتلاميذها هم مؤسسو حزب الاصلاح الوطنى وقادته وزعماؤه، وما تزال هذه المدرسة قائمة حتى الآن

وفى سنة 1347 ـ 1928 اسس شركة «المطبعة المهدية» وانتخب رئيسا لمجلس ادارتها، وكانت أول مطبعة عربية كبرى فى شمال المغرب، وبها كانت تطبع الصحف الوطنية الحرة، والمؤلفات العربية فى الشمال المغربى، وبها طبع كتابه «مختصر تاريخ تطوان» وما تزال هذه المطبعة تقوم بواجبها الوطنى والاقتصادى الى الآن .

وفى نفس السنة 1347 ـ 1928 نال الجائزة الاولى فى الاسواق الادبية بسبتة ايضا مع الزهرتين الطبيعية والذهبية

وفى سنة 1349 ـ 1930 عين عضوا فى لجنة اصلاح التعليم الاسلامى بشمال المغرب، وكان هو الواضع لمشروع الاصلاح، والمقرر لهذه اللجنة التى كان من بين اعضائها، وزير العدل والقاضى وكبار علماء تطوان من اشياخه ورفقائه

وفى نفس السنة، كان يعقد اجتماعات سرية فى دار التازى بفاس، مع صديقيه الزعيمين الكبيرين، والوطنيين المخلصين، الاستاذ علال الفاسى والاستاذ محمد بن الحسن الوزانى (حفظهما الله) لتحرير القانون الاساسى للحزب الوطنى، والنسخة الاصلية لهذا القانون محفوظة فى الخزانة الداودية بخط الاستاذ الوزانى وعليها تعديلات بخط الاستاذ الفاسى

وقد اسس ـ مع رفقائه بتطوان ـ كتلة العمل الوطنى وكان هو امينها، وكان أحد اعضاء الكتلة الوطنية بالمغرب قبل ان تؤسس الاحزاب، يوم كانت الوطنية المغربية موحدة لم يتسرب اليها داء التحزب والتعصب، وفى نفس السنة كان عضوا عاملا فى لجنة المطالب الوطنية التى قدمها شمال المغرب للجمهورية الاسبانية، وكانت أول مطالب وطنية قدمت من الشعب لدولة الحماية(2)

وفى سنة 1350 ـ 1931 انتخب عضوا فى المجلس البلدى بتطوان عند اجراء الانتخابات الحرة فى عهد الجمهورية الاسبانية، وصدر بذلك قرار وزيرى مؤرخ بـ 22 جمدى الاولى عام 1350 ـ 5 اكتوبر 1931

(2) هذه المطالب قام بتقديمها الى رئيس الجمهورية الاسبانية اذ ذاك "الكلا [illegible]" وفد من وجهاء تطوان يتكون من السادة: محمد بن الحاج الطيب بوهلال. والحاج عبد السلام بن الحاج حسن بنونة؟ [illegible] واحمد بن محمد غيلان واحمد بن عبد الكريم اللبادى. سافر الوفد المذكور الى مدريد حيث قدم المطالب [illegible]

وفى سنة 1352 ـ 1933 انشأ مجلة «السلام» وكان هو مديرهـا ورئيس تحريرها، وقد جعل شعارا لها، العروبة، الاسلام، المغرب. وهـى اول صحيفـة وطنية حرة استقلالية فى عهد الحمايتين وقد منعت السلطة الفرنسية هذه المجلة من دخول منطقة حمايتها بأمر صـادر من الجنـرال القائـد الاعلـى للجيوش الفرنسية، ونشر ذلك فى الجريدة الرسمية عدد 1125، الصـادر فى 18 مايو سنة 1934 .

وفى سنة 1352 ـ 1934 تألفت بتطوان، لجنة علمية لدرس قانون تنظيم محاكم العدلية المخزنية، فانتخب عضوا بها ومقررا لها، وكان من بين اعضائها وزير العدلية وشيخ الجماعة وغيرهما من كبار علماء تطوان

وفى سنة 1353 ـ 1934 اصدر مندوب طنجة وحاكمها، قرارا رسميا بنفيه من طنجة ومنطقتها بتاريخ 26 ربيع الاول 1353، 9 يوليه 1934 وقد صرح فى هذا القرار بأن وجود محمد داود بطنجة خطر على الامـن العـام ؟ وصدر ذلك فـى الجريدة الرسمية لمنطقة طنجة الدولية، ص 461 من العدد 10 وقد ظل ممنوعـا رسميا وعمليا من دخول هذه المنطقة بضع عشرة سنة

وفى نفس السنة اخرجته السلطة الفرنسية من الرباط، واصـدرت امرا بمنعه من دخول المنطقة التي كانت رازحة تحت نير الحمايـة الفرنسية وظل هذا المنع ساريا بضع عشرة سنة ايضا

وفى نفس السنة ايضا، كـان هو الممثـل الرسمـى لجمعية طلبة شمال افريقيا بفرنسا فى عهد رئاسة الاستاذ محمد الفاسى لها

وفى نفس السنة، عين عضوا فى المجلس الاعلى للتعليم الاسلامى بشمال المغرب، بقرار وزيرى مؤرخ بـ 17 شعبان 1353 ـ 26 نوفمبر 1934 بعد ترشيحه وانتخابه من علماء الشبـاب

وفى سنة 1353 ـ 1935 حج بيت الله الحرام، وقام برحلة استغرقت ستة اشهر زار فيها من بلاد الشرق، مصر والحجاز ونجدا والعراق وشرق الاردن وفلسطين ومنعته السلطات الفرنسية من زيارة سوريا ولبنان، وكانتا اذ ذاك تحت انتدابها

وفى سنة 1354 ـ 1936 اصدر جريدة الاخبار، وكانت أول جريدة وطنية حرة استقلالية صدرت بالمغرب، وقد اصدرت السلطة الفرنسية امرا صارما بمنع بيعها وقراءتها فى جميع منطقة حمايتها

وفى سنة 1355 ـ 1937 عين مفتشا عاما للتعليم الاسلامى بشمال المغرب بظهير خليفى مؤرخ بـ 23 شوال 1355 ـ 7 يناير 1937 وهو اول وظيف حكومى

تولاه فى حياته، وفى هذا العهد أسس سبعة من المعاهد الدينية وجل المدارس العصرية التى ما تزال قائمة عامرة حتى الان بشمال المغرب، مدنه وقبائله، وقد وضع - لاول مرة - مناهج الدراسة لتلك المعاهد، وللمدارس القرآنية والعصرية للبنين والبنات، بالطرق الحديثة على اساس العروبة والاسلام

وفى نفس السنة عين نائبا لرئيس المجلس الاعلى للتعليم الاسلامى بظهير خليفى مؤرخ بـ 24 شـوال 1355 - 8 يناير 1937

وفى سنة 1358 - 1939 عين عضوا فى المجلس الاعلى للاوقاف الاسلامية بشمال المغرب، بقرار وزيرى مؤرخ بـ 5 محرم 1358 - 25 فبراير 1939

وفى سنة 1361 - 1942 عين مديرا للمعارف - مقام وزير المعارف - فى شمال المغرب، بظهير خليفى مـؤرخ بـ 15 محـرم 1361 - 2 فبراير 1942، وقد استمر قائما بوظيفه الى ان استعفى منه محافظة على كرامته الوطنية والشخصية بتاريخ 29 جمدى الاولى عام 1367 - 9 ابريل سنة 1948 وبذلـك انقطع للبحث والكتابة والتأليف، مع التدريس بالمعهد العالى ومدرسة المعلمات .

وفى مدة ابعاد جلالة الملك الشرعى للبلاد، كان بعيدا عن الوظائف الادارية منقطعا للتدريس ولكتابة المقالات السياسية والاجتماعية فى مختلف الصحف الوطنية - وخاصة جريدة الامة - اما بدون امضـاء، واما بامضاءات مستعارة، منها : ابو الحسن ، المجاهد ، الوطنـى ، فتى المغـرب ، الخ .

وفى سنـة 1375 - 1956 اى فـى عهد الاستقـلال، بعد الغـاء الحمايـة واسترجاع المغرب لحريته وتوحيد ترابه، وتأليف أول حكومة وطنية به، عينه جلالة الملك أيده الله عضوا رسميا فى الوفد الحجازى الذى يمثل الجلالة الشريفة أعزها الله، فحج للمرة الثانية ثم عاد لمقره بتطوان .

وفى سنة 1376 - 1956 عين عضوا - من بين اربعة اعضاء يمثلون علمـاء المغرب - فى المجلس الوطنـى الاستشـارى، بظهيـر سلطانـى شريف مؤرخ بـ 15 ربيع الاول 1376 - 20 اكتوبر 1956 ثم انتخب من بين اعضائـه مستشارا للمجلس المذكور، وعضوا فـى مكتبه الرئيسى

وفى نفس السنة عينه جلالة الملك أعزه الله عضوا فى الوفد المصاحب لجنابه الشريف فى رحلته الرسمية الى تونس، فركب مع جلالته فى طائرته ذهابا وايابا

وفى نفس السنة، عين عضوا فى اللجنة الملكية لاصلاح التعليم بالمغرب

وفى سنة 1376 - 1957 مثل المجلس الوطنى الاستشارى فى حفلات عيد الاستقلال بتونس، باختيار من صاحب الجلالة حفظـه الله

وفى نفس السنة، عين عضوا فى لجنة امتحان القسم النهائى لمنح شهادة العالمية بجامعة القرويين بفاس

وعند ما اصدر جلالة الملك ايده الله ظهيرا مؤرخا بـ 10 صفر 1377 ـ 6 سبتمبر 1957 باحداث لجنة لوضع مدونة لاحكام الفقه الاسلامى، كان من بين الاعضاء العشرة بل الثمانية الذين تكونت منهم اللجنة المذكورة، وفعلا شارك مشاركة عملية فى تحرير مدونة الاحوال الشخصية

وعند ما اصدر جلالة ملك المغرب ايده الله ظهيره الشريف المؤرخ بـ 24 ذى القعدة عام 1378 الموافق لفاتح يونيه سنة 1959 باحداث المجلس الاعلى للتربية الوطنية، وقع تعيينه عضوا فى المجلس المذكور

وللمؤلف من الكتب ـ زيادة على هذا التاريخ المكون من ثمان مجلدات

1 ـ كتاب «مختصر تاريخ تطوان» فى مجلد واحد، وقد طبع سنة 1375 هـ 1955 م

2 ـ كتاب «التكملة» وهو ذيل لهذا التاريخ

3 ـ كتاب «عائلات تطوان» وقد كتب منه حتى الآن مجلدين

4 ـ كتاب «على رأس الاربعين» وهو مذكراته ودراساته ورحلاته منذ عهد الطفولة .

والمؤلف متزوج بابنة الوجيه الوزير المرحوم الحاج عبد السلام بنونة، وله من الابناء خمسة هم :

حسن، المتخرج بدرجة بكالوريوس فى الاقتصاد من جامعة القاهرة .

احسان، المتخرجة بدرجة استاذة من مدرسة المعلمات بتطوان .

لسان الدين، الذى يدرس الهندسة فى جامعة ريدلاندس بكاليفورنيا فى الولايات المتحدة الامريكية UNIVERSITY OF REDLANDS CALIFORNIA-U.S.A.

مصطفى وحسناء فى المعهد الثانوى بتطوان.

وبعد فان لك يا سيدى ان تعتبر هذه المعلومات، صفحة اخرى من تاريخ تطوان، التى ألف فيها وفى رجالها هذا الكتاب، وهل التاريخ كله غير صفحات تنشر بيضاء ثم تملأ اما بالبياض واما بالسواد، ثم تطوى وتحفظ مدة ثم تنشر من جديد ليعتبر بحوادثها المعتبرون وهل الحياة ـ بجميع مظاهرها ـ الا افلام يعرضها الدهر على أنظار المتفرجين الذين جلهم من المغترين او الغافلين ، تلك سنة الله فى خلقه، ولكن اكثر الناس لا يعلمون

استدراكات

وملاحظات على هذا المجلد

إني أحمد الله تعالى وأشكره على أن لي اصدقاء مخلصين احبهم واجلهم، ولي من حسن الظن فيهم والثقة بعلمهم واطلاعهم وسديد رأيهم، اكثر مما لي فى نفسي، وفى مقدمتهم رفيقى وحبيبى تحفة تطوان الاستاذ الحاج محمد بنونة ، ورجل العلم والنبل والفضل الاستاذ الحاج عبد الله كنون، ونابغة سوس وعالمها واديبها الاستاذ الحاج المختار السوسى .... وقد أطلعت بعض المولعين منهم بالمطالعة، على هذا المجلد عقب الفراغ من طبعه، لا للتقريظ كما هى عادة بعض الناس، بل لاصلاح الاخطاء وابداء ما عسى ان يكون لديهم من الملاحظات، فكان مما لوحظ عليه ما يلى :

مناهل الصفا ـ من الخزانة الكنونية

ص. 43 ـ ورد فى صفحات 43 ـ 130 ـ 131 ـ 133 ـ 177، من هذا المجلد، ذكر كتاب مناهل الصفا، للكاتب الاديب عبد العزيز الفشتالى، وهو كتاب نادر الوجود، ولم أقف على نسخة كاملة منه فى أية خزانة من خزائن المغرب، والنصوص التى نقلتها منه واثبتها فى هذا الكتاب، موجودة فى جزء مختصر منه أطلعنى عليه صديقنا الاستاذ احمد بن تاويت عندما كان كاتبا فى المعهد الدينى العالى بتطون، وقد ذكر لى انه من الخزانة الكنونية لصهره صديقنا بل اخينا العلامة الاستاذ عبد الله كنون حفظه الله، وقد غفلت عن التنبيه على ذلك فى احدى طرر الكتاب .

عن الفقيه الرهونى التطوانى

ص. 50 ـ جاء فى ص 50 وصف شيخنا الفقيه الرهونى بانه قاضى القضاة ووزير العدلية سابقا الخ. ويلاحظ ان ولايته لوزارة العدل انما كانت فى الحكومة الخليفية التى كانت فى شمال المغرب الذى كان مشمولا بالحماية الاسبانية ، اما جنوب المغرب الذى كان تحت الحماية الفرنسية فكان فيه وزير آخر للعدل، حفظ الله استقلال المغرب، ولا اراه استعمارا ولا حماية بعد الآن.

بناء عادى

ص. 94 ـ جاءت فى ص 94 هذه العبارة ـ وان يكون البعض الآخر بناء عاديا ـ والمقصود بذلك انه بناء من النوع العادى، أى الذى جرت به العادة واعتاده الناس وليس المراد به، البناء القديم الذى يقاوم الدهر كالآثار التى تنسب لقبيلة عاد البائدة ...

عــدد الابـــواب

ص. 104 ـ وطغت أنامل الكاتب أو عامل المطبعة، فأقحم كلمة ـ الجنة ـ فى السطر الثالث من ص 104، اذ عز عليــه ـ وهو من ابناء تطوان ـ ان يكــون عدد ابواب مدينته كعدد ابواب النار لا الجنة، فالمرجو من القارىء ان يصلح حرف الواو من (والنار) ويحوله الى ـ بل ـ فتصير العبارة هكذا ـ كعدد ابواب الجنة، بل النار ـ اذ من المعــروف ان عدد ابواب الجنــة ثمانية لا سبعــة، ونرجو الله أن تكون تطوان كالجنة للصالحين، وكالنار للظالمين .

عـن القائديـن لـوقـش وعـاشر

ص. 104 ـ جاء فى ص 104 ـ ان اسوار تطـوان جددت فى الربع الاخيـر من القرن الثانى عشــر، على يد القائد محمد عاشر، ثـم القائد محمد بن عمـر لوقش... وذلك سبق قلم، وصواب العبارة هكذا :

على يد القائد محمد بن عمر لوقش ثم القائد محمد عاشر .

ص. 105 ـ جاء فيها بسطر 6 ما يلى : وهذا الفصل الذى هو الثانى من الباب الاول ... والصــواب من الباب الثانــى .

ص. 145 ـ سطــر 2 ـ و ـ 21 . يظـن الاستــاذ بنونــة ان الصواب هــو الجغدالة، بالغين والدل. لان عائلــة الجغدالة كانــت موجــودة بتطــوان الى هــذا القــرن .

بستــان بـريشــة ، بنــونــة

ص. 162 ـ جاء فى ص 162. ان البستان الذى ذكــر فى النفحة المسكيــة صار ملكا لبريشة، ثم بنونة، والصواب انه صار بعد بريشة، ملكا لابنته التى كانت زوجا لبنونة، ثم لنجلها الحاج عبد السلام رحم الله الجميع .

منظومــة قاضى تطـوان فى تاريـخ الدولة الوطاسيــة

ص. 147 ـ قد أثبت فى ص 147 وما وليها من الصفحات، نص ما وقفــت عليه بفــاس من منظومة قاضى تطوان الفقيــه ابى عبد الله الكراسى فــى تاريخ دولة بنىوطاس بالمغرب، وبعد طبع ذلك زارنا بتطوان صديقنا الفقيه الاديب المطلع المؤرخ الاستاذ عبد الله الجرارى من نوابغ اساتذة الرباط، أفاض الله عليها ينابيع السرور والانبساط، واعلمنى بان لديه نسخة من المنظومة المذكورة، فما كان منى الا ان شددت الرحلــة الى رباط الفتــح، وزرت بيت الاستــاذ الجرارى صحبــة صديقى العلامة نابغة سوس الاستاذ المختار السوسى، فأتحفنى حفظه الله وجزاه

خيرا بنسخة من هذه المنظومة كاملة غير منقوصة وقد نقلها بخطه الحسن عام 1360 هـ. 1941 م. من نسخة الفقيه المؤرخ السيد محمد بن على الدكالى نزيل سلا ودفينها رحمه الله، وقد أكملت منها نسختي اللبتورة، ورأيت من الواجب الادبى علي للتاريخ، أن أستدرك هنا ما فاتنى فى ترجمة الفقيه الكراسى، فاكمل النقص الذى هناك، واتحف ـ انا ايضا ـ من يستحق الاتحاف من رجال العلم والادب والتاريخ، وفر الله عددهم، وجمع شملهم، واكثر انتاجهم، وهيأ لهم من يطبع اثارهم ـ ودونك ذلك (1) .

ص. 149 ـ سطر 28 .

وبلغ السلطان فى محلته   ساق ابنه رهنا وطبل رحلته

ص. 150 ـ

سطر 3 ....   عما جناه فى الخلاف النائى
« 5 ....   جا طبله بعلم جديد
« 8 ....   من بعد تسعمائة مكرم
« 9 ....   من آل وطاس فنعم القادة

س.29ـ وكان ذا سنة خمس جازت   ....
س.30ـ ولم يزل ذاك شعار المسلمين   ....

س.31ـ سقط هذا البيت فى النسخة الجرارية .

ص. 151

سطر 14 ....   لو انه ارضاه فيما قد سلف
« 15 ....   ما السر الا فى ابتغاء الرضاء
« 16 ....   كل ميسر لسابق الفعال
س.18ـ ثمت اذ ولى وجاء سالما   وجد طاغى الكفر جاء عازما
« 19 ....   أرسى بوادي سبوكى يصول
« 20 ....   مدورا من بعد اربعينا

ص. 152 ـ من س. 8 ـ الى 16 ـ هذه الابيات والتى قبلها وقع فيها شىء من التقديم والتأخير فى النسخة الجرارية، وتصلح الابيات المطبوعة فى نسختنا كما يلى :

س. 8 ـ ومنع الرماة منها الاجفان   ....
س. 9 ـ حلت بهم جيوش أهل الله   ....

(1) يلاحظ ان احدى النسختين تختلف عن الاخرى بتقديم أبيات معدودة وتأخير أخرى .

س. 10ـ غرقت الاجفان فى الرمـال ....
س. 11ـ الا قليـلا من نجا مما شفا ....
س. 12ـ تسعـة ءالاف من الشرورة ....
س. 13ـ فجاء ذا المولى الهزبر الناصر ....
س.14ـ فحرض الناس على جمع الرؤوس ....
س.15ـ لما انتهى قال احملوا هذا لفاس ....
س.16ـ وصفت الرؤوس فوق سـور ....
س. 29ـ وبعد ذاك حركة البسبباس الى الشريف بين من جا من فاس
س. 30 ـ .... سـتـر فيـه الله ذاك الـقـومـا
س. 31 ـ .... وقـال خـلـوه لـدى الاوطـان

ص. 153 ـ

س. 1 ـ .... رأى لـه فـى ذهـنـه الحنـانـا
س. 2 ـ .... فـى قطـر مراكـش لا التبـاس
س. 3 ـ ثم عفـا الله وجـاء بالخيـر وجاء للغـرب الجيـوش بالسيـر
س. 4 ـ .... جـاء لـفـحـص ءازلا عـطـاس
س. 5 ـ .... وبـقـيـت دروبـهـا خـلاء
س. 6 ـ .... وكـل مـن لاقـى بـهـا أبـادا
س.7ـ سبحان من يملك خاطر الامير بيده التوفيـق فى كـل سطيـر
س. 20 ـ وظن ان المال قد ينجيه ....
س. 21 ـ فخلعـوه بعـد بالاشهـاد ....
س.22ـ ومات فى السجن على العادات ....
س. 23 ـ فمات محتاجا وخلى المالا ....
س. 24 ـ وبقى الاثم على المؤلـف ....
س. 25 ـ ما ياخذ الانسان الا ما عطاه ....

وفى هذه الابيات تقديم وتأخير

س. 28 ـ وولي الملك أبـو العباس ابن محمـد الرضـى الوطاسـى
س. 29 ـ فجـاء تابع الملـوك الامـرا ....

والبتر الكبير الذى اشرنا اليه فى آخر هذه الصفحة، يـزيد عدد أبياتـه علـى مائتين ودونـك نصه :

وهـو امـام طـالـب للـعـلـم والاخـذ بالثـأر رئيس القـوم
الخط كابـن مقلة فـى وقته والعلم والحلم يرى من سمتـه
أبرع من ركب سرج فـرس ومـن بأبدع الحلـى يكتسـى
وسـعـدت بـسـعـده الايـام ونـصـرت بـمـلـكـه الانـام

ذكر حركته لمراكش ونزوله على ابوابها

وكان حاركا على ضرورة لمن بمراكش كن ضميره
مع ابن عمه الامير مسعود كذا علي محفوظ الجنود
وكانت الاجناد والقواد ولم يقصر معه الاجواد
كان قتالهم على البيبان بالحضرة العليا بلا توانى
وكان يوما رائبا عبوسا ولم يزل بنصره ملبوسا
ثم تولوا راجعين فى نفر بعصب ممن تولى وصبر
يا عجبا من فعله العجيب يبعد كل مخلص غريب
لما دعا لنفسه مسعودا وثار فى مكناس والحقودا
أتاه حاركا بكل الناس من البرابر وأهل فاس
صالحه على يد الوزير مع المواثيق من الامير
فعندما دخل فى فاس معه سجنه وبعد ذاك صرعه
بالشرع كان وبغير قيل أمر مدبر له فى الليل
وعادة الملوك فيمن ادعى لنفسه فيغفروا ما صنعا
وخلص الملك له بفاس مع نواحيه ومع مكناس
ما بين ملوية مع أم الربيع والملك لله يعز ويضيع
ثم أعاد حركات أخرى لدار مراكش يبغى الفخرا

ذكر حركة الصلح بوادى الزات

وكانت ايضا حركات الصلح أعظم بنجح حازه ونجح
من بعدما وقعت العين بها بوادى الزات واعيت المنتهى
اذ أعتق الله دماء المسلمين والحمد للالاه رب العالمين

ذكر ولاية الوزير ابى سالم ابراهيم بن راشد الوزارة

واستوزر الراشد ابراهيما ابن على صهره قديما
ذاك الشريف واصل الجاه العلي مولاى ابراهيم ذاك أبو علي
أحبه الناس على محبته وكلهم لم ينثن عن خدمته
وقام بالوزارة الحفيلة شاد بها لكل ما قبيلة
وبسط الكفين بالنوال ولم يقصر فى ابتغا الآمال
وحيثما أقبل ولى راشدا لسعده بسعده قد أيدا

وما تولى فعله أتمه ... وما أهم المسلمين أهمه

وبعد أن وجهه لتادلا ... لاقى بها حمدا على ما عملا

ابن ابى زيد الصفي القائد ... من جيش مراكش جاء عامد

لطاعة السلطان جاء قاصد ... غابت له الاطماع والمقاصد

ستة أطبال ومن أعلام ... وست قياد على التمام

صبح قوما تحت غار السبع ... ما مات الا جسمه فى المربع

وانتهبت خيوله والاسلحة ... وصار نهبا بالعوالى الرامحة

وخانه صاحبه ادريس ... عند اللقا وظهر التدليس

كافح ذا وفر ذاك وغبر ... وفى دجا الليل غيا هربا وفر

ظن بان الارض لم تعتمر ... فارجفت خيوله بالخبر

فجاء ابراهيم الشريف ... بمرصد بجيشه المخيف

وذاك فى درنا وفى تامسنا ... يا ليته اذ جاء كان رهنا

لكن جرى عليه حكم المولى ... اذ لم يكن فى قوله لا حولا

كان بها العطار ثم العادل ... كذاك عزوز ونعم الباسل

دخلت الجيشان فى الاعادى ... مثل دخول واديا فى واد

فانتهت الفرسان للفرسان ... وأسرع الرامح فى الانسان

ومات فى ذا الوادى أى أم ربيع ... خلق كثير وجرى فعل شنيع

وسيقت الاطبال والبنود ... وتركت أسلابها الجنود

وكان من فعل الوزير الاعظم ... العفو عمن جاء من منهزم

أقام فى درنا ثلاثا أشهرا ... نعم الوزير نعم من قد ذكرا

ثم تولى بعدما قضى الوطر ... الى ديار فاس من بعد السفر

يا ليته من بعد ذاك قعدا ... ولم يكن بحارك ولا اعتدا

سبحان من لا ينقضى دوامه ... تجرى على عباده أحكامه

ذكر حركة وادى العبيد

من بعد ذا صال امام فاس ... وكان حاركا بكل الناس

ولم يرد فى الغرب من ملجوم ... وادى العبيد الحد المحتوم

وجد فى العدوة جندا شرفا ... وجيشهم ورءاهم قد صففا

يشبه فى عدده النجوما ... والبحر فى أمواجه قدوما

وكان اول اللقاء الاربعا ... فوق أبى عقبة مروعا

لاقى بها القواد يوما لم ير ... من هذه الحرب ورأس الامرا

ومر والليل الجموع والت ... تخبر عن أسد فاس مارات

وزاد ايضا رحلة الخميس ... أن رحلت فى طالع نحيس
واوقعوا القتال يوم الجمعة ... والناس فى قلوبها مروعة
تاريخه فى تاسع من صفر ... سنة جلغ قله للمفكر
وقصد الجيش الى المحلة ... وكان قطع الوادى رأى جله
وذاك من بعد مجىء الفقراء ... والصالحين من شريف الامراء
قال لهم حوزوا الى المرينى ... واعتقوا دماءها فى الحين
حتى اذا عافية الله أبى ... كان مراد الله فيما كتبا
فلم يكن لوم له علينا ... بعد ولا ملامة لدينا
وكان قبل ذلك السلطان ... أعني المرينى له حنان
والسيد الشريف فى كل لقا ... يحل عقدها بجمع مفرقا
يرجع للصلح وللعوافى ... وبعد ذا يعقب بالخلاف
وكانت الصولة للامير ... ملك وطاس بلا تدبير
فيقطع الوادى اليه صائلا ... وكان بالنصر عليه مائلا
فلما ان وقعت العين بها ... عاد مقهقرا الرأى مادها
من جملة الانفاض والمدافع ... ولم يجد فى الناس من مدافع
فخانه الاعراب والخلوط ... والوادى وحده له قنوط
وفرت الاجناد والبرابر ... فلم يكن فى الناس من يصابر
غير ثلاثين على ابن راشد ... وخمسة على المليك الوارد
فقاتل السلطان فيها بيده ... وكان يحمل لحملة أبيه
فعارض الامام عبد القادر ... بخمس اعلام وجيش حاضر
بين الفريقين يؤم الحربا ... اذا مطعم الموت من قد حاربا
حتى اذا سقطت الاعلام ... فر جميع الجيش لاسلام
فى تاسع من صفر بعد ثلاث ... مع ثلاثين مرت بلا اكتراث
فقد فيها ولد السلطان ... بمربع ومزق الفرسان
مات على عزته حمية ... على أميره صحيح النية
لما رءا الامر يؤول للهلاك ... ان وصل الامر الى من قد ملك
ورجع السلطان فى الحرب أسد ... يلقى بنفسه جنودا لا تعد
وعمل الجند له كل أحد ... وجاء شاهرا وما به جلد
وبقى العار الى الاقارب ... ولذوى الدولة والاجانب
ومن أراد الله فيها موته ... مات وأفلت الجميع فلته
وانتهب الناس ومرت الكسا ... ولم تر شخصا سوى بلا كسا
والمسلمون رحمة للمسلمين ... وذاك أمر جار بين المومنين
ورأفة بالملة الحنيفة ... اذ غلبت ولا به مخيفة

واحتوش الجيوش حال الجيش ... مع المحلات وكل فرش
وعدة الحرب مع البارود ... كذاك الانفاض مع البنود
ولم يرح خروفنا بصوف ... الا على مسائق موصوف
وكان ستر ربنا علينا ... ان وقف الجيش بحيث كنا
ولو أراد الله باتباعنا ... وجاءت الاعلام من ورائنا
لانبهم الامر على وطاس ... وبقى الخيل وكل الناس
لكن قضاء ربنا والقدر ... أنجم ذا وجيش ذاك صدروا
وفاس جئناها على رويدا ... وقيل للعيان عمدا عمدا
لابد ما يجرى على الانسان ... من غفلة تجرى على اللسان
ينسب فعله اليه ويرى ... افعال من ذاك عليه قدرا
حتى يقول لا حول لى لا حول ... كذاك لا قوة لى يا مولى
ويبصر الصنع وافعال الجميل ... من عند ربنا الذى بنا كفيل
واقرأ قل اللهم مالك الملوك ... الى قدير ..... ذاك سلوك
واحمد لمولاك أمولانا وقل ... يا رب لا أحصى الثنا ولا تفل
وكل من أدبه مولاه ... فقد هداه كلما أولاه
من بعدما شد الامور حلها ... وأخلف الله بدار حلها
ثم عفا الله وجاء اليسر ... واليسر بعده ومن العسر
وليس ذا عار على من قد ملك ... والدهر دائر على دور الفلك
فساعة يسر وعسر ساعة ... والدأب هذا لقيام الساعة
فالحمد لله على ما أولى ... من سدة السلطان هذا المولى
وامتنع السبل لكل طالب ... وعاد ليثا غالبا بغالب
والله يحميه بنصر دائم ... ويجعل الستر له ملازم
فرجع السلطان دار فاس ... مرقعا لما جرى بالناس
وخاف من عداوة النصارة ... وان يمد الغرب فى الخسارة
فعمل الصالح بما قد يصلح ... ولامور المسلمين ينجح
فاستعمل العدة بالاعداد ... وقوة ينكى بها الاعادى
وداره اتخذ دار صنعة ... والنفط والبارود فيها صنعه
كذلك الاقواس والنبال ... وعملوا النحس والعمال
كذا المدافع مع المنار ... والصيف كل صانع يدارى
أقام فيها كل ما قد أملا ... وكثرت من كل نوع حملا
وكل ما يطلب صار واجدا ... فى مخزن السلطان منه عددا
واكثر البارود والا نفاطا ... وذاك منه للورى احتياطا
وامر الناس بالاستعداد ... وبالتهيىء الى الاعادى

وعمرت مخازن الطعام   بصحفه اعانه الامام
وجعلوا على الرجال عملا   قووا به السلطان فيما أملا
وقبضوا من النصارى اموال   مما اشتروا واستاجروافى الاعمال
وبعد ذاك انتقلو لذلكا   اذ كان ذاك منهم شبائكا
لان ينالوا الغرب بالاضعاف   وذا محقق بلا اختلاف
وانتبه السلطان للخديعة   وافسد الصلح على شريعة
فكادت العرب بها تنصر   وجاء للسلطان امر يبصر
وامر القياد بالافساد   للصلح حيث كان فى البلاد
وارتدع الاعداء بالقتال   والحرب انما يرى سجال
فمرة لنا ومرة لهم   نحن نفوز بالجنان دونهم
وعاد فرض المسلمين فى الجهاد   ليرهب الاعداء فى كل البلاد
من لم يروع كافرا فى داره   روعه الكافر فى قراره
شاهده ما كان فى تلمسان   اذ كانوا يعطوا ما لهم بوهران
وانتصروا بهم على عروج   وكشفوا العورة للعلوج
فدبر الكفار بعد انهم   فيض لدى فيض تمنوه لهم
وحركوا اذ وجدوا الجو فراغ   من الاعارب ومن جيش تلاع
ودخلوا بعد هروب اهلها   دار تلمسان بكل ما لها
ولحقوا باهلها الهراب   فى الثلج ردوهم الى العذاب
وحملوا من لا يطيق الحملا   ما فاتهم من كل مال خملا
وبيع من من قتله قد نجما   وصار فى وهران عبدا ملجما
فعز أمرهم على السلطان   من بعد ان جاء مليك ثان
قواه بالمدفع والدروع   والقوس والعدة من مصنوع
قال له عمدا فانت ولدى   وداركم دارى بوسط بلدى
وانني اليكم بالناصر   فلا تخف ان تك بعد حاصر
والغرب هذا وانا امامك   وابنى اخوك ان ترد قدامك
وزهرت آسادها وطاس   وهربت ذيابها الاكناس
قطع طمع الكافرين والعرب   وفى تلمسان ولم يبق أرب
فاجعل أمولانا اليهم نظرك   والله يعلى فى الملوك خبرك
نرجو من المولى صلاح الباطن   على يدى مولانا والمواطن
فانظر بعينك وحقق واعتبر   واعمل لما يبقى ودع ما يندثر

ذكر حركة السلطان ابى العباس احمد لامانة

ما زال يرفع ويوقف الجنود   ويجمع الناس ويحشد الحشود
حتى أتته من تلمسان عرب   ومن جميع الغرب عرب تقترب

وجمع الجيش وعاث في البلاد — الى أمانة ولم يلق جلد
ثم اتى الله بشيخ الركب — يعلمه من بركات الرب
يحمله الرقاص للنبي — اعظم به من سيد سني
يعرف بالرتبي عبد الرحمن — شيخ الركائب بهذى الازمان
قصد قصدا أبلغ الله له — نيته ونال ما أمله
ورجع الناس بشبه صلح — بين الفريقين بكل ربح
والحمد لله على السلامة — ونصر الله بها أعلامه

ذكر حركة السلطان الى بني مسارة

أتى بني مسارة ابن سنه — كانت له فيما ادعاه محنه
أتاهم السلطان بالاتراك — فلم تر شخصا سوى بالباكي
وجاءت الاجناد والقواد — ثم القبائل العثا الاجواد
اباحت الاجناد في جبالهم — ما جمعوه فيها من أموالهم
وهرب القائم في الجبال — من خوف ان يحصل في الحبال
وتركوا مخالف الامام — ورجعوا من جملة الانام
وربحوا ودخلوا في الطاعة — وزال خوفهم من الجماعة
ثم أتى ابن سنة السلطانا — وتاب عن جملة ما قد كانا
جازاه بالعفو وبالصفح الجميل — وهذه عادته في كل جيل

ذكر ولاية المولى الاسعد ابى عبد الله محمد الوزارة لابيه ايده الله

وعصب الدولة بالوزير — محمد ولده الامير
رمى به الناس لحكم البلد — ومن لبيب تابع للاصل
رمى به الناس لحكم البلد — والشبل في المحتد مثل الاسد
وثار في باديس ذو المجون — القائم المولى أبو حسون
دعا لنفسه والف الجنود — وعور الطرق وأوقف البنود
ورد بطوية طوع رأيه — وبقتال بنبال رميه
وجاءهم بالنبل والطعاية — وبالنصارى عصبة الغواية
ظن بأن الارض لا يدخلها — جيش سواه من خلاف أهلها

فجاء ذا المولى الوزير الماجد … وبجيوش الغرب والمحامد
وبالقبائل من البرابر … شرقا وغربا مثل بحر زاخر
فرجعت بطوية لطاعته … كذا بلاده انزوت عن خدمته
وجاءه جيش على تيزيران … كم اوقدوا فى قلبه من نيران
ما زال مولانا يهد ويثور … حتى الى ورائه دك النكور
وهو يعد منعة فى بادس … حتى اتى مولانا ناس بادس
كان يظن ان يموتوا بالعطش … لقلة الماء بها مما عطش
ادرها الله لمولاى كثير … والناس كلها روت حتى البعير
فانقطع الرجاء منها والطمع … بعد التضيق وبعد المنقطع
فطلب الامان منه مامن … وجاء بابنه اليه مرتهن
عاهده على دخول فاس … يحلق مولانا ابا العباس
فجاءه على يد ابن بكار … شيخ الزمان ما له من انكار
اعظم فيها خطبه وخاتنه … باخته السيدة المعينه
اسكنه جواره بداره … ولم يكن فى فعله بكاره
وانقلبت عداوة الامام … محبة فى حرمة الاسلام
قابل بالاغضاء افعال الجميع … اذ جاء دار الملك خاضعا مطيع
عادة مولانا الامام احمد … الاخذ بالعفو وذا مسرمد
هذا مراد الله امر سابق … من قلد الملك فلا يسابق
من سخر البلاد والعبادا … ساق له مراده انقيادا
انظر لما كان من امر تادلا … جاءت على رغم لامر حملا
اصيب ذا السعيد ذا فى داره … ورجع الامر الى قراره
فالحمد لله على ما اولى … للمسلمين ولهذا المولى
فالله يجزيه بحسن نيته … وما له اضمر فى طويته
هنا انتهى نظمى وما اردت … من المحاسن التى اوردت
فى ذكر من تأخرت مدته … من ملك فى فاس دامت عزته
فلنثن من قولى جامح العنان … فالنظم رد امرهم مثل العيان
نرجوك يا مولاى ترحم من سلف … وان تبارك الاهى فى الخلف
فالله يبقيهم على مر الزمان … فى نيل ءامال وامن وامان
خذها اليك مالها صداق … الا الرضاء منك والاشفاق
سميتها عروسة المسائل … فيما لوطاس من الوسائل

عن الفقيه الزياتي قاضي تطوان

ص. 281 ـ وكتب لي صديقنا العلامة أبو عبد الله العابد الفاسي بأن ما ذكره لي (ص 281) من أن الفقيه أبا الحسن الزياتي تولى قضاء تطوان الخ مستنده في ذلك، هو ما جاء في نسخ خاصة من كتاب ابتهاج القلوب للعلامة ابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ففي الباب الثالث منه ذكر أبناء الشيخ أبي المحاسن وأحفاده وغيرهم ممن لم يذكرهم في النسخ المتعارفة للابتهاج، وقال عند ذكر جماعة من تلاميذ أبي حامد الفاسي المتوفى بتطوان ما نصه: «ومنهم الفقيه ابو الحسن علي الزياتي قاضي تطاون»

ابو القاسم البادسي قاضي تطوان في القرن العاشر

قلت في ص 139 ما نصه : «فقاضيان اثنان فقط هما اللذان استطعت ان أعرف اسميهما من بين اسماء القضاة الذين تولوا الحكم بتطوان في القرن العاشر، وهما القاضي محمد الرزيني والقاضي محمد الكراسي إلخ» وقد أطلعني الاستاذ العابد الفاسي ايضا على ورقة ذكر لي ان كاتبها هو قاضي فاس ابو عبد الله محمد بن احمد التماق وقد جاء فيها ما نصه : «الحمد لله سيدي ابو القاسم ابن عبد الكبير البادسي والد سيدي عبد المجيد الخير المرابط صاحب الجمع المتبع عند عامة فقرائنا على طريقة الششتري ومنحاه بالالحان العجيبة، كان رحمه الله بزاوية سيدي ابي زيد الهزميري وكان رجلا من اهل الخير، فقيه صوفي له شرحان على تحفة ابن عاصم تولى قضاء الثغر التطاوني زمانا وله شرح على الشريشية في احوال الصوفية ومقاماتهم هـ. من خط سيدي علي البطوئي بواسطة من يوثق به»

والمعروف ان أبا الحسن البطوئي الذي نقل القاضي التماق من خطه توفي سنة 1039 كما في الصفوة (1) كما ان من المعروف ان سيدي عبد المجيد ابن أبي القاسم المذكور، وهو الذي ينسب له فندق سيدي عبد المجيد الذي بازاء فندق التطاونيين قرب جامع القرويين بفاس، توفي سنة 1004 كما في الصفوة ايضا (2) وعليه فالفقيه ابو القاسم بن عبد الكبير البادسي قد تولى قضاء تطوان، وكانت ولايته في القرن العاشر، وشكرا للاخ الفاسي على افادته حفظه الله .

---

1) الصفوة ص 95 من طبعة فاس

2) الصفوة ص 31

وتتميما للفائدة اذكر هنا ان «البادسى» نسبة الى بادس فى شمال المغرب وفى قسم «تكيديت» من قبيلة بقوية، من قبائل الريف الوسطى نجد مدشر «بادس» وهناك نهر بادس، وعلى شاطىء البحر الابيض المتوسط نجد جزيرة بادس ـ او ـ حجرة بادس، وهى جزيرة صغيرة تنفصل عن البر حينا، وتصلها الرمال به حينا آخر، وهى الآن بيد الاسبان .

وذكر صاحب الصفوة (ص 3I) ان اصل سيدى عبد المجيد المذكور من مدشر بنى يطفت الخ. والمعروف لدينا ان بنى يطفت قبيلة لا مدشر، وتحد بقبيلة بقوية وبها اربعة اقسام تحتوى على نحو ثلاثين مدشرا

وبكل أسف نرى ان المعلومات عن القبائل الريفية والجبلية التى بشمال المغرب، ضئيلة جدا لدى جل علماء المغرب وادبائه، فضلا عن غيرهم ولعلنا نتدارك هذا النقص فى كتاب «التكملة» الذى هو ذيل هذا الكتاب بحول الله .

فهـرس مجمل

لمـا فى هـذا المجلـد من الابـواب والفصـول والموضوعـات

37 **البـاب الاول** ــ وفيـه فصـلان

37 الفصل الاول : اسم تطوان وضبطـه

61 الفصل الثانى : تطـوان القديمـة

85 **الباب الثانى** ــ وفيـه فصـلان

85 الفصل الاول : بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة

105 الفصل الثانى : ولاة تطوان وحوادثها فى اواخر القـرن التاسع

111 **الباب الثالث** ــ تطوان فى القرن العاشر، وفيه خمسة فصول

113 الفصل الاول : ولاة تطوان وحوادثها فى القرن العاشـر

137 الفصل الثانى : قضاة تطوان وعدولها فى القرن العاشر

143 الفصل الثالث : من رجال تطوان فى القرن العاشر

159 الفصل الرابع : من زوار تطوان فى القرن العاشر

165 الفصل الخامس : ملخص عن حالة تطوان فى القرن العاشر

171 **الباب الرابع** ــ تطوان فى القرن الحادى عشر، وفيه ستة فصول

173 الفصل الاول : فى ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الحادى عشر

277 الفصل الثانى : من قضاة تطوان وعدولها ووثائقها فى القرن الحادى عشر

305 الفصل الثالث : عن الشيوخ والزوايا بتطوان فى القرن الحادى عشر

315 الفصل الرابع : من رجال تطوان فى القرن الحادى عشر

411 الفصل الخامس : مـن رحـلات المشاهيـر الـى تطـوان فـى القـرن الحادى عشـر

425 الفصل السادس : ملخص عن حالة تطوان فى القرن الحادى عشر

الفهارس السبعة المفصلة لهذا المجلد

تقدم لنا فهرس مجمل لما فى هذا المجلد من الابواب والفصول والموضوعات، ودونك سبعة فهارس مفصلة لما فيه :

الاول، للابواب والفصول والموضوعات
الثانى، لاسماء الاشخاص
الثالث، لاسماء البلدان والامكنة الجغرافية
الرابع، لاسماء الامم والشعوب والجماعات
الخامس، لاسماء الكتب المذكورة فيه
السادس، للصور
السابع لمراجعه من الكتب والمستندات

وفى الصفحات التالية نجد هذه الفهارس على هذا الترتيب ويلاحظ ما يلى :

1 ـ ترتيب هذه الفهارس كلها، على الحروف الهجائية بالطريقة المغربية وهى كما يلى :

ا. ب. ت. ث. ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. ط. ظ. ك. ل. م. ن. ص. ض. ع. غ. ف. ق. س. ش. ه. و. ى.

2 ـ أل ـ الواقعة فى اول الكلمات، لا تعتبر فى الترتيب، وانما يعتبر الحرف الذى بعدها .

3 ـ الكلمات المبدوءة بابن ـ او ـ بن كلها جعلناها فى حرف الالف، ابن

4 ـ هذه الفهارس غير مستوعبة لجميع ما فى الكتاب

الفهرس الاول

الابواب والفصول والموضوعات

صفحة

7 – تقدمة أولى بقلم الاستاذ محمد بنونة

19 – تقدمة ثانية بقلم الاستاذ التهامى الوزانى

23 – مقدمة الكتاب

27 – منهاج الكتاب

30 – كيف ينبغى أن يكتب التاريخ

31 – عن بعض مؤرخى المغرب فى عصرنا

32 – التعريف بكتاب الاستقصا ومؤلفه الناصرى

32 – التعريف بكتاب عمدة الراوين ومؤلفه الرهونى

33 – التعريف بكتاب الاتحاف ومؤلفه ابن زيدان

33 – التعريف بكتاب الاعلام ومؤلفه ابن ابراهيم

37 – **الباب الاول**

37 – **الفصل الاول** ـ اسم تطوان وضبطه

43 – هل توجد مدن أخرى تسمى بتطوان

44 – موقع تطوان من بلاد المغرب.

46 – وضعية تطوان.

47 – هل ألفت كتب فى تاريخ تطوان .

صفحة

48 – «نزهة الاخوان» لسكيرج .
50 – «عمدة الراوين» للرهونى .
58 – تقاييد مختلفة .
59 – هذا التاريخ .

61 – **الفصل الثانى** – تطوان القديمة .
62 – تطوان ونواحيها قبل الاسلام .
64 – تطوان فى القرن الثالث للهجرة .
64 – تطوان تحت حكم الادارسة .
64 – التعريف بكتاب القرطاس ومؤلفه ابن ابى زرع .
65 – التعريف بابن خلدون وتاريخه .
66 – تطوان فى القرن الرابع .
66 – تهديم الادارسة لتطوان .
66 – معارضة أهل سبتة فى اعادة بناء تطوان .
66 – التعريف بأبى عبيد البكرى الاندلسى .
67 – التعريف بابن عذارى المراكشى .
68 – تطوان فى القرن الخامس .
68 – وصف البكرى الاندلسى لتطوان .
68 – تطوان قاعدة بنى سكين .
69 – تطوان فى القرن السادس .
69 – تطوان فى كتاب الادريسى .
69 – التعريف بالشريف الادريسى وكتابه الجغرافى .
70 – تطوان فى كتاب «الاستبصار» .
70 – التعريف بكتاب «الاستبصار».
71 – غزو الموحدين لنواحى تطوان .
71 – التعريف بالشيخ البيدق وتاريخه .
71 – قتل الموحدين لثمانمائة شخص فى تطوان .
72 – انتقال الشيخ التبين من غرناطة الى تطوان .
73 – من رجال تطوان فى القرن السادس .

صفحة

73 ـ الشيخ عبد القادر التبين الاندلسى التطوانى .
75 ـ الشيخ ابو عبد الله الفخار السبتى التطوانى .
76 ـ تطوان فى القرن السابع .
76 ـ بنـاء قصبـة تطـوان .
77 ـ من رجال تطوان قبل القرن الثامن .
77 ـ الشيخ سيدى طلحة الدريج .
79 ـ تطوان فى القرن الثامن .
79 ـ بناء تطوان فى اوائل القرن الثامن .
81 ـ التعريف بابن الخطيب وكلمة عن ضريحه .
82 ـ تطوان فى جل القرن التاسع .
82 ـ التعريف بكتاب «معيار الاختيار» لابن الخطيب .
82 ـ التعريف بمنويل المؤرخ الاسبانى .
83 ـ تواريخ احتلال الاجانب لجل شواطىء المغرب.

85 ـ **البـاب الـثـانـى**

85 ـ **الفصل الاول** ـ بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة
85 ـ حالة تطوان واهلها فى اواخر القرن التاسع .
86 ـ عدد الاندلسيين الذين بنوا تطوان .
87 ـ التعريف بليون الافريقى وكتابه الجغرافى .
89 ـ الاجراءات التى اتخذها الاندلسيون لبناء تطوان .
90 ـ رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطـوان .
90 ـ التعريف بالشيخ على بن راشد بانى شفشاون .
91 ـ صفة تطوان الحديثة فى أول أمرها .
93 ـ أقدم ما بني من تطوان الحديثة .
95 ـ تاريخ بناء تطوان الحديثة بالتدقيق.
97 ـ موقف سكان القبائل من المجددين لبناء تطوان .
98 ـ ماذا عمل أهل تطوان بعد بناء مدينتهم ؟
100 ـ أقسام تطوان الاولى وأرباضها .

صفحة

105 ـ **الفصل الثانى** ـ ولاة تطوان وحوادثها فى أواخـر القـرن التاسع .
105 ـ الباشا ـ القائد ـ العامل ـ
107 ـ تطوان فى عهد الدولة الوطاسية .
107 ـ القائد أبو الحسن المنظرى .
108 ـ من أخبار تطوان فى عهد المنظرى .

111 ـ **الـبـاب الثـالـث** ـ تطوان فـى القـرن العـاشر .
113 ـ **الفصـل الاول** ـ ولاة تطـوان وحوادثهـا فى القرن العـاشر .
113 ـ القائد المنظرى الحفيد .
114 ـ الافرنج يفتدون الاسارى من تطوان .
116 ـ وفاة القائد المنظـرى الحفيـد .
116 ـ القائد المنظرى الثالـث .
117 ـ الست الحرة حـاكمـة تطـوان .
121 ـ زواج سلطان فاس بحاكمة تطوان .
122 ـ القائد المنظرى الرابع والقضاء على حكم الست الحرة .
123 ـ أهمية عمل المنظرى وأبطال تطوان .
124 ـ القائد الحاج على الذيب .
124 ـ الوباء بتطـوان عـام 964 هـ.
125 ـ تطوان فى عهد الدولة السعدية .
125 ـ من حوادث تطوان عـام 972 هـ.
125 ـ على ماذا كانت ترتكز قوة تطوان .
125 ـ مراكب تطوان والجزائر تهاجم سواحل اسبانيا .
125 ـ التطوانيون يحركون الثورة فى اسبانيا .
125 ـ اغلاق الاسبانيين لمصب واد مرتيل .
127 ـ من حوادث تطوان عام 974 هـ.
127 ـ انقسام سكان تطوان وقيام الفتنة بينهم .
127 ـ السلطان يرسل جيشا لقمع الفتنة فى تطوان .
128 ـ القائد علـى الـوسخ .

صفحة

129 ـ القائد محمد الصبان .
129 ـ القائد محمد بوردان .
129 ـ القائد عبد الرحمن العلج .
129 ـ انقاذ المؤرخ ابن القاضى وارجاعه الى تطوان .
132 ـ ايقاع مجاهدى تطوان بأهالى سبتة .

137 ـ **الفصل الثانى** ـ قضاة تطوان وعدولها فى القرن العاشر .
137 ـ حول الحكام وانظمة الحكم فى مدن المغرب .
140 ـ القاضى محمد الـرزينـى .
140 ـ القـاضى محمـد الكـراسى .

143 ـ **الفصل الثالث** ـ من رجال تطوان فى القرن العاشر .
144 ـ الشيـخ علـى الفحـل .
144 ـ الفقيه القاضى محمد الكراسى .
146 ـ منظومة لقاضى تطوان فى تاريخ الوطاسيين .
155 ـ الشيخ احمد الشاعر اليجمـى .
156 ـ الشيخ الجاسوس .
157 ـ الفقيه أبو القاسم بن سلطان .

159 ـ **الفصل الرابع** ـ من زوار تطوان فى القرن العاشر .
159 ـ الاديب التمجروتى مؤلف «النفحة المسكيـة» .
165 ـ **الفصـل الخـامس** ـ ملخص عن حالة تطـوان فى القرن العـاشر .
165 ـ من الناحية السياسيـة .
167 ـ من الناحية العلميـة والادبية .
168 ـ من الناحيـة الاجتماعيـة .

171 ـ **الباب الرابع** ـ تطـوان فى القـرن الحـادى عشر

173 ـ **الفصل الاول** ـ ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الحادى عشر
173 ـ أولاد النقسيس
175 ـ المقـدم عيسى الاول

صفحة

175 — المقدم محمد النقسيس
175 — التعريف بالمستعرب سرديرة الاسبانى
176 — المقدم احمد بن عيسى النقسيس
178 — من أخبار تطوان ونواحيها فى عهد المقدم احمد النقسيس
178 — فذلكة تاريخية عن الشيخ المامون السعدى
179 — استيلاء الشيخ السعدى على تطوان
180 — خروج المقدم احمد النقسيس من تطوان
180 — ولاية القائد حمو بودبيرة على تطوان
181 — من أعمال الشيخ السعدى فى تطوان ونواحيها
181 — اخراج بقية المسلمين من الاندلس عام 1018 هـ.
182 — تسليم العرائش للاسبانيين عام 1019
184 — قتل الشيخ السعدى وقائده فى ناحية تطوان
185 — السلطان عبد الله بن الشيخ يحاصر تطوان
186 — بين الانجليز وتطوان ـ قراصنة وأسارى ، علاقات ومراسلات ، تقارير ومساعى وتعليقات
194 — تصريح المقدم احمد النقسيس
201 — وفاة المقدم احمد النقسيس عام 1031
202 — ابناء المقدم احمد النقسيس
212 — رسالة من المجاهد العياشى الى ملك انجلترا عام 1036
213 — تقرير انجليزى عن احوال المغرب وتطون عام 1036 هـ 1627 م
218 — قتل ثلاثة من أولاد النقسيس
220 — سبب قتل أولاد النقسيس
221 — رسالة من ملك انجلترا الى المجاهد العياشى بسلا عام 1037
222 — منشور من ملك انجلترا عن سلا وتطوان الخ عام 1038
223 — المقدم عبد الله بن أحمد النقسيس عام 1038 هـ 1629 م
223 — بين عبد الله النقسيس وملك انجلترا
224 — من أخبار تطوان فى هذا العهد
226 — من المساعى الانجليزية بالمغرب فى هذا العهد

صفحة

229 ـ استيلاء أصحاب المجاهد العياشى على تطوان عام 1040 هـ
229 ـ التعريف بالمجاهد ابى عبد الله العياشى
229 ـ فرار عبد الله النقسيس الى غمارة
230 ـ النقسيس ملتجىء عند اسبان سبتة
230 ـ رسالة من ملك اسبانيا فى شأن النقسيس
231 ـ بين حاكم تطوان وملك انجلترا عام 1041
232 ـ المقدم محمد بن عيسى النقسيس عام 1050
233 ـ المقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس
234 ـ تطوان تحت حكم الغزوانى صاحب الخضر غيلان
234 ـ احمد بن عبد الكريم النقسيس عام 1071
235 ـ المقدم الخضر غيلان واولاد النقسيس
236 ـ المقدم احمد الثانى بن عيسى النقسيس عام 1071
237 ـ تطوان فى عهد الدولة العلوية
238 ـ المولى الرشيد يقبض على المقدم احمد النقسيس عام 1078
238 ـ استغراق ذمة اولاد النقسيس وبيع املاكهم عام 1078
242 ـ ولاية احمد بن يعقوب على تطوان عام 1078
242 ـ ولاية قاسم فرشيش على تطوان عام 1081
242 ـ مفضل النقسيس يحكم بتطوان ويساعد الخضر غيلان عام 1083
243 ـ قتل الخضر غيلان وفرار اولاد النقسيس الى سبتة عام 1084
245 ـ مهمة أولاد النقسيس وعلاقاتهم الخارجية

246 ـ **الطور الاول** ـ فى عهد المقدم احمد بن عيسى النقسيس
246 ـ مع اسبانيا
247 ـ مع انجلترا
247 ـ مع هولندا

248 ـ **الطور الثانى** ـ فى عهد المقدم عبد الله النقسيس
248 ـ مع انجلترا
249 ـ مع اسبانيا ـ ضد أبى عبد الله العياشى

صفحة

249 — **الطور الثالث** — فى عهدى محمد وعبد الكريم النقسيس

251 — **الطور الرابع** — فى عهد المقدم احمد (الثانى) بن عيسى النقسيس

253 — تطوان بعد أولاد النقسيس

253 — ولاية القائد احمد بن حدو على تطوان عام 1084

254 — من أخبار القائد أحمد

254 — التعريف بالمهدية «المعمورة»

255 — ابا حدو وغمارة

257 — السلطان يقطع رؤوس مساجين تطوان بفاس عام 1088

257 — الوبـاء بتطـوان عام 1088

258 — ولاية القائد علي بن عبد الله عام 1090

258 — من سياسة السلطان المولى اسماعيل

259 — مقاتلة المسلمين للانجليز بطنجـة سنـة 1090 هـ .

261 — سفير من تطوان الى ملك فرنسا عام 1092

265 — رسائل رسمية من سلطان المغرب وولاته الى ملك فرنسا

267 — ملخص المعاهدة المغربية الفرنسية سنة 1093 هـ 1682 م

270 — فتح المسلمين لمدينة طنجة سنة 1095

271 — رسالة من قائد تطوان الى ملك فرنسا عام 1098

273 — نهاية اولاد النقسيس عام 1098

275 — رسالة من القائد علي بن عبد الله الى قنصل فرنسا عام 1099

277 — **الفصل الثانى** (من الباب الرابع) — من قضـاة تطوان وعدولها فى القرن الحادى عشر

278 — نائب القاضى محمد بن يعقوب

278 — القاضى عيسى بن مـوسى الخشين

278 — القاضى محمد بن سعيد بـن قريش

278 — القاضى موسى الخطيـب

278 — القاضى محمد بن سعيد بن قريش

279 — القاضى احمد طانية

صفحة

279 ـ القاضى عبد المجيد بن طريقة
279 ـ القاضى محمد بن طريقة
279 ـ القاضى عبد القادر بن احمد طانية
279 ـ القاضى عبد المجيد بن طريقة
280 ـ القاضى عبد الوهاب الفاسى
280 ـ القاضى عبد القادر طانية
280 ـ القاضى محمد بن سعيد بن قريش
281 ـ تتمة ـ القاضى على الزياتى
282 ـ من عدول تطوان فى القرن الحادى عشر
283 ـ نماذج من وثائق تطوان ونوازلها فى القرن الحادى عشر
283 ـ 1) وثيقة قبض وابراء سنة 1019
284 ـ 2) وثيقة وكالة سنة 1032
284 ـ 3) وثيقة شراء طراز ومصرية بحومة العيون سنة 1032
285 ـ 4) وثيقة بيع الملكين المذكورين سنة 1037
286 ـ 5) وثيقة شراء حانوت بسوق البقالين سنة 1033
287 ـ 6) تحبيس طراز بحومة العيون سنة 1042
287 ـ 7) وثيقة بالتزام عدم الرجوع فى وصية سنة 1055
288 ـ 8) وثيقة شراء فدان خارج تطوان سنة 1051
289 ـ 9) وثيقة شراء مصرية عام 1054
290 ـ 10) وثيقة شراء غرسة بالصوير سنة 1059
290 ـ 11) وثيقة بيع دار بعد اثبات ملكيتها سنة 1062
292 ـ 12) وثيقة تحبيس ثلث فدان سنة 1064
293 ـ 13) رسم شراء غرسة بعين الجمارى سنة 1073
294 ـ 14) وثيقة إرث ومفاصلة بين الورثة سنة 1076
296 ـ 15) رسم شراء فدان بزيانة سنة 1088
297 ـ 16) رسم إسقاط نزاع وامضاء بيع وإبراء سنة 1090
297 ـ 17) رسم شراء فدان بقاع التوت سنة 1088
298 ـ 18) رسم مناقلة مع حبس جامع المصميدى سنة 1088

صفحة

300 — 19) رسم شراء دار بحومة الطرنكات سنة 1089
301 — 20) رسم بيع الدار المذكورة فى نفس السنة
301 — رسم بوفاة القاضى الكراسى وورثته وبيع داره عام 1012
303 — رسم بتجديد حجر ولد قاضى ليلة زواجه
383 — رسم استرعاء يتعلق بورثة القاضى الكراسى
304 — سؤال للعلامة المقرى وفتواه عن الرسوم الثلاثة المذكورة

305 — **الفصل الثالث** (من الباب الرابع) عن الشيوخ والزوايا بتطوان فى القرن الحادى عشر
306 — موقف سكان تطوان من الصوفية والتصوف
307 — الزاوية الفاسية ورجالها بتطوان
309 — الشيخ على بن مسعود وبناؤه لجامع العيون
309 — بين الشيخ على بن مسعود وأصحاب الشيخ يوسف الفاسى
310 — رسالة من الشيخ يوسف الفاسى عن الشيخ الجعيدى
312 — الطريقة الناصرية وزاويتها بتطوان

315 — **الفصل الرابع** (من الباب الرابع) . من رجال تطوان فى القرن الحادى عشر .
315 — أبو العباس احمد بن يوسف الزياتى.
317 — الشيخ محمد أنوار .
321 — أبو عبد الله محمد السمعانى .
321 — أبو العباس احمد البريبرى .
322 — الشيخ قاسم الحاج .
322 — سيدى السعيدى .
323 — كيف عرف الناس سيدى السعيدى .
324 — المترجمون لسيدى السعيدى .
325 — ولـه كرامات .
326 — مبالغات ـ شخص غير معروف .
327 — أبو الحسن علي البجانى .

صفحة

327 — أبو علي الحسن الحايك .
327 — رسالة من العارف الفاسى الى بعض الفقراء الفاسيين بتطوان .
329 — أبو الحجاج يوسف بن يامون التيال .
330 — أبو الحسن علي المصيمدى .
330 — أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدى .
331 — تائية الشيخ الجعيدى .
335 — رثاء الشيخ أبى حامد الفاسى للشيخ الجعيدى .
338 — أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسى .
339 — أبو عبد الله محمد مخشان .
339 — أبو حامد العربى الفاسى .
341 — أبو فارس عبد العزيز الزياتى .
344 — أبو عبد الله محمد المؤذن .
345 — الفقيه عبد الله الرثوث .
345 — الفقيه محمد بن يحيى المذبوحى .
345 — الاديب علي الشودرى .
347 — العلامة الصالح سيدى علي بركة .
348 — أوصافه
349 — شيوخه
350 — تلاميذه وعلومه
350 — شهرته وإجازته للاديب ابن زاكور الفاسى .
358 — تآليفه
359 — خاتمة كتاب له. وهى نصيحة عامة .
360 — حرصه على نشر العلم والفضيلة .
362 — جامعه
362 — اعتناؤه بالامداح النبوية .
363 — أشعاره ومنظوماته وبعض آثاره .
372 — أبيات له فى بيان سمت القبلة .
374 — رسالة منه الى الشيخ عبد السلام القادرى بفاس .

صفحة

377 — وفاتـه وضريحـه .
378 — مدحـه ورثـاؤه .
384 — الاديب الحاج علي مندوصة .
390 — الاديب محمد بن علي الرافعـى .
391 — رحلته المشرقية الحجازية .
396 — ديـوان شعره .
406 — كتابه غرر المقاصد والمطالـب.
408 — كتابـه فـى الادعية والاذكار .

411 — **الفصل الخامس** (من البـاب الرابـع).
411 — من رحلات المشاهير الى تطوان فى القرن الحادى عشر .
411 — زيارات الشيخ أبى علي اليوسى لتطوان ومدحه لاهلها .
411 — ترجمـة الشيـخ اليـوسى .
412 — قصيدة للشيخ اليوسى فى مـدح الجهاد والحض عليه .
414 — رسالة الشيخ اليوسى الى السلطان، وفيهـا وصف حالة تطـوان .
416 — رحلة الاديب ابن زاكور الفاسى لتطوان .
416 — ترجمة الاديب ابن زاكور

425 — **الفصـل السـادس** (مـن البـاب الـرابـع) .
ملخص عن حالة تطوان فى القرن الحادى عشر . .
425 — مـن الناحيـة السياسيـة .
426 — مـن الناحيـة العلمية والادبية .
428 — مـن الناحيـة الاجتمـاعيـة .

الفهرس الثاني

اسماء الاشخاص ـ الاعـلام الشخصية ، فردية وعائلية

حـرف الالـف

ابا حدو، صاحب غمارة ـ 255 ـ 256 ـ 257

ابو بكر ابن سحنون، 71

ابو ثابت ـ عامر، السلطان المرينى ـ 79 ـ 80

ابو حاجة، سيدى ـ من صلحاء تطوان ـ 423 ـ 429 ـ 430

ابو الربيـع، السلطان المرينى ـ 80

ابو الربيـع، سليمان الشريـف من زعماء فاس ـ 185

ابو زعامة، خديم الشيخ زروق ـ 356

ابو الليف، المقدم محمد ـ 173 ـ 184

ابو العباس السبتى، الشيخ الكبير ـ دفين مراكش ـ 55 ـ 75 ـ 76

ابو عبد الله القرشى العثمانـى ـ 73

ابو على، احمد ـ من زعماء اندلسيي تطوان ـ 115 ـ 218 ـ 219 ـ 223 ـ 229 ـ 231 ـ 236

ابو على، عبد الرحمن ـ 288

ابو عنان المرينى، السلطان ـ 65

ابو يعزى، الشيخ ـ 430

ابن ابـى بكـر، يحيـى بن محمـد الشريف ـ 291

ابن ابى زرع، عبد الحليم المؤرخ ـ 64 ـ 65 ـ 66 ـ 79 ـ 80

ابن ابى زرع، على بن محمد ـ 64

ابن ابى الصبر، الفقيه ابو يحيى ـ 79

ابن ابراهيم، العباس المراكشى مؤلف كتاب «الاعلام» ـ 32 ـ 33 ـ 76

ابن الاحمر، ملك غرناطة ـ 79 ـ 108

ابن تاويت، محمد الاستاذ بتطوان ـ 188 ـ 212 ـ 213

ابن تاشفين، يوسف سلطان المغرب والاندلس ـ 45 ـ 81

ابن ثابت، ابو بكر ـ 146

ابن جزى، ابو بكر ـ 145

ابن جلون، عبد السلام ـ 51

ابن الجغوالة ـ 145

ابن الجيلانـى، احمـد ـ من علمـاء فاس ـ 55

ابن الحاج، احمد ـ مؤلف الدر المنتخب ـ 273 ـ 283

ابن الحاج، العربى ـ الفقيه الفاسى ـ 349 ـ 350 ـ 356

ابن حساين، مولاى عبد الله الشيخ الصوفى ـ 312

ابن حيون، عيسى ـ قاضى شقورة من اعمال سبتة ـ 77 ـ 79
ابـن الخطيـب، لسان الدين مفخرة الاندلس ـ 14 ـ 80 ـ 81 ـ 82 ـ 147 ـ 167
ابن خلدون، عبد الرحمن ـ المؤرخ الكبيـر ـ 34 ـ 42 ـ 46 ـ 64 ـ 65 ـ 80
ابن الخيـاط، احمد ـ شيخ علمـاء القرويين بفاس ـ 55
ابن الدقون، الفقيه ـ 145
ابن راشد، مولاى على بانى شفشاون وحاكمهـا وصالحها ـ 90 ـ 97 ـ 98 ـ 113 ـ 114 ـ 116 ـ 118 ـ 121 ـ 149 ـ 150 ـ 154 ـ 322
ابن راشد، مولاى ابراهيم بن على ـ 113 ـ 115 ـ 118 ـ 122
ابن رحمـون، محمد التهامـى الفقيه النسابة ـ 59 ـ 95 ـ 204 ـ 230 ـ 232 ـ 233 ـ 236 ـ 237 ـ 336
ابن رحمون، الطيب قاضى تطوان ـ 49
ابن رشد، ابو الوليد ـ 74
ابن ريسون، الشيخ الصالح سيدى محمد بن على ـ 55 ـ 389
ابن ريسون، الشيخ سيدى على بن محمد بن على ـ 49 ـ 200
ابن ريسـون، الحسن بـن محمد بن على ـ 322
ابن ريسـون، الشيـخ سيدى عبد السلام بن على ـ 55
ابن ريسون، محمد بن المكى ـ 59
ابن زاكـور، محمد بن قاسم الاديـب الفـاسى ـ 348 ـ 250 ـ 351 ـ 352 ـ 357 ـ 363 ـ 370 ـ 378 ـ 380 ـ 384 ـ 386 ـ 387 ـ 388 ـ 389 ـ 405 ـ 416 ـ 417 ـ 419 ـ 420 ـ 422 ـ 429
ابن زاكور، عبد الوهاب بن محمد ـ 239
ابن الزبير، ابو جعفر ـ 146
ابن الزبير، على السلجماسى ـ 338 ـ 340
ابن زكرى، محمد بن عبد الرحمن ـ العالم الفاسى ـ 362 ـ 363
ابن الزقاق، على ـ 145
ابن زيـدان، عبد الرحمن ـ مؤلف «الاتحاف» 20 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 144
ابن زيدان، مصطفى ابن الكبير ـ 383
ابن طريقة، محمد ـ قاضى تطوان ـ 279 ـ 281
ابن طريقـة، عبد المجيد ـ قاضـى تطوان ـ 279 ـ 281
ابن طريقة، سعيد بن عبد الكريم ـ 239
ابن طريقة، محمد بن يوسف ـ عدل ـ 282
ابن ظنو، قاسم بن على ـ 239
ابن محـرز، احمد العلـوى ـ 242 ـ 243 ـ 273
ابن مـرزوق، عبد القادر ـ الفقيـه الصالح ـ 49
ابن مسعود، على ـ انظر الجعيدى
ابن مهدى، فارح ـ القائد ـ 316
ابن ناصر، الشيـخ محمد مؤسـس الطريقة الناصرية ـ 55 ـ 312 ـ 349 ـ 408 ـ 412 ـ 414
ابن ناصـر، الشيخ احمـد ـ 312 ـ 393 ـ 394 ـ 395
ابن نصير، موسى ـ فاتح الاندلس ـ 64
ابن صالح، الفارس محمد ـ 302 ـ 303
ابن عاشـر، عبد الواحد ـ العـالم الفاسى ـ 339
ابن عباد، المعتمد ـ الملك الاديب ـ 81

ابن عبد الله، الشيخ الصالح احمد معن الاندلسى الفاسى — 79 — 349 — 375 — 383
ابن عبد الملك، عبد القادر — 302
ابن عبد الحق، عبد العزيز بن على 289
ابن عبد المومن الغماري، الشيخ الصوفى — 55
ابن عبد المومن، محمد — قاضى الجزائر — 391
ابن عبد المنعم، منصور — الشيخ الصوفى — 310
ابن عجيبة، احمد — العلامة الصوفى دفين انجرة — 49 — 280 — 325 — 330 — 331 — 341 — 342 — 349 — 358
ابن عجيبة، احمد بن على — 290
ابن عدى — الحاج قاسم — 297 — 301
ابن عذارى المراكشى، 43 — 65 — 67
ابن العربى، القاضى ابو بكر–صاحب الاحكام — 74 — 343
ابن العريف، ابو العباس — 146
ابن عزوز، محمد — وزير الخليفة السلطانى بتطوان — 54
ابن عطية، المفسر — 74
ابن عمر، احمد — 286
ابن عمر، احمد بن عبد الرحمن–239
ابن عسكر، محمد — مؤلف دوحة الناشر — 41 — 117 — 118 — 120 — 124 — 140 — 144 — 155 — 156 — 167
ابن عسكر، القائد محمد — سفير المغرب بلندن — 249
ابن العياشى، محمد مؤلف «زهر البستان» 259 — 271
ابن عيسى، الشيخ محمد — صاحب الطريقة العيساوية — 55 — 308
ابن غازى، ابو عبد الله — العلامة–145
ابن غلبون، محمد — 356
ابن فرشيش، قاسم — والى تطوان — 253
ابن الفقيه، محمد–الشيخ الصالح–55
ابن القاضى، احمد — مؤلف درة الحجال... 41 — 43 — 128 — 129 — 130 — 131 — 132 — 133 — 140 — 157
ابن القاضى، محمد شقرون — 130
ابن قريش، محمد بن سعيد بن احمد قاضى تطوان — 278 — 281 — 427
ابن قريش، محمد بن سعيد بن قاسم قاضى تطوان — 240 — 280 — 281 — 288 — 345
ابن سلطان، الفقيه ابو القاسم — 157 — 168
ابن سليمان، محمد — ناظر المواريث 297
ابن سليمان قاسم بن الحسين — 289
ابن سودة، محمد بن على ناظر المواريث 240 ؟
ابن سودة، الشيخ التاودى — 49 — 348
ابن سودة، عبد السلام — مؤلف «دليل مؤرخ المغرب» — 140 — 146
ابن هرون، على الفقيه — 145
ابن يعط، الحسين بن عيسى — 291
ابن يعلى، احمد — القائد الاندلسى — 66 — 67
ابن يعقوب، احمد — والى تطوان — 242 — 253 ،
ابن يعقوب، محمد — نائب قاضى تطوان — 302
ابريل، ابو القاسم، (بلقاسم) بن على — عدل — 283 — 403
الابرتير، قائد الافرنج المرتزقة بالمغرب — 71

اجانة، مسعود بن احمد ـ عدل ـ 239 ـ 282
احمد بن حدو القائد، والى تطوان ـ 253 ـ 254 ـ 255 ـ 258 ـ 259
احمد بن على بن عبد الله، باشا تطوان 76 ـ 104 ـ 106 ـ 261
ادريس بن ادريس، بانى فاس وحاكمها وصالحها ـ 65 ـ 322 ـ 430
الادريسى، محمد ـ الشريف ـ الجغرافى ـ 41 ـ 69 ـ 70 ـ 76
اذفال، احمد ـ 355
اكنسوس، محمد ـ مؤلف «الجيش» فى تاريخ المغرب ـ 144
اليزابيت، ملكة انجلترا ـ 194
ألفاو، الخنرال الاسبانى ـ 54
الفارو دى باثان، الاسبانى ـ 126
الونسو بيمنتيل، الاسبانى ـ 115
امبراطور المغرب ـ 268 ـ 269
امبراطور فرنسا ـ 268 ـ 269
امسنو، على بن الحاج ـ 239
الاندلسى، الفقيه ـ رئيس الطائفة الاندلسية بمراكش 157
الاندلسى، عبد الله 290
انريكى (هنرى) الثالث، ملك اسبانيا 82
انطوان طروفان، المصور ـ 264 ـ
انوار، الشيخ محمد ـ 307 ـ 308 ـ 310 ـ 315 ـ 317 ـ 322 ـ 327 ـ 335
اعراب، ابو زيد ـ المكناسى ـ 338
اعراص، القائد محمد بن يحيى ـ 179
اغزان، احمد ـ عدل ـ 282
الافريقى، انظر ـ ليون ـ
افيلال، المامون بن النادى ـ قاضى تطوان ـ 358
افيلال، محمد بن الهاشمى ـ عدل ـ 254
افيلال، مفضل ـ الفقيه الاديب ـ 133
ايسبورو، المقيم العام الاسبانى ـ 54
اسكلنط، محمد الهاشمى الرباطى ـ 362
اسماعيل بن الشريف، سلطان المغرب العظيم ـ 106 ـ 232 ـ 242 ـ 243 ـ 244 ـ 253 ـ 254 ـ 255 ـ 258 ـ 259 ـ 261 ـ 262 ـ 263 ـ 265 ـ 266 ـ 267 ـ 268 ـ 270 ـ 271 ـ 272 ـ 274 ـ 298 ـ 401 ـ 403 ـ 405 ـ 411 ـ 412 ـ 414 ـ 415 ـ
اشعاش، القائد محمد بن عبد الرحمن عامل تطوان ـ 49
الاشعرى، ابو الحسن ـ امام اهل السنة ـ 359
ايستون، 187

حرف الباء

الباحى، ابو الوليد ـ 146
باديلى، 251
البادسى، عبد الرحمن ـ 302 ـ 303
الباشا احمد، انظر ـ احمد بن على
باور، اكناثيو الاسبانى ـ 126
البجانى، على الاندلسى التطوانى ـ 308 ـ 327 ـ 328
بدرو دى طوليدو الاسبانى ـ 115
البرجي، احمد ـ 241
بردلة، العربى ـ قاضى فاس ـ 349 ـ 356
بركة، الحاج على بن محمد الاندلسى التطوانى ـ عالم تطوان وشيخها ـ 79 ـ 257 ـ 274 ـ 275 ـ 312 ـ 324 ـ 347 ـ 350 ـ 351 ـ 357 ـ 358 ـ 360 ـ 362 ـ 365 ـ 368 ـ 372 ـ 374 ـ 378 ـ 383 ـ 390 ـ 391 ـ 397 ـ 402 ـ 404 ـ 414 ـ

417 — 419 — 420 — 426 — 427 —
428 — 430
بركة، احمد ـ اخو الشيخ على ـ 367
بركة، احمد بن محمد ـ عدل ـ 283
بركة، محمد بن محمد ـ 349
برنگير، الخنرال الاسبانى المقيم العام لاسبانيا ـ 54
بروفنسال، ا. لافى ـ 71
بروحو، عبد الرحمن بن محمد ـ 51
برول، احمد ـ 302
البريبرى، احمد ـ 308 ـ 320 ـ 322
328
بريطل، عيسى بن على ـ عدل ـ 283
بريمو دى ريفيرا، المقيم العام الاسبانى ـ 54
بريشة، الحاج عبد الكريم ـ 162
البزى، احمد ـ عدل ـ 282
البطوئى، محمد ـ عدل ـ 282
بطولومى، الجغرافى اليونانى ـ 63
البكرى، ابو عبيد ـ 42 ـ 65 ـ
68 ـ 69
البكرى، محمد ـ عدل ـ 282 ـ 290
البكرى الصديقى، ابو الحسن ـ 157
البكرى الكريسى، محمد ـ 99
بلاك، الاميرال الانجليزى ـ 250 ـ 251
بليلة .., 265 ـ 266
بلين، الجغرافى الرومانى ـ 62
بلكين بن زيرى الصنهاجى ـ 67
بلسل، 246
پن، وليام القبطان الانجليزى ـ 250
بنانى، العلامة محمد بن عبد السلام
348 ـ 350 ـ 357
بنانى، محمد بن الحسن ـ محشى الزرقانى ـ 49 ـ 348
بنانى، محمد بن محمد بن حمدون
350
بنونة، الحاج العربى بن المهدى
162
بنونة، الحاج عبد السلام ـ رجل تطوان ـ 162
بنونة، الحاج محمد بن العربى ـ تحفة تطوان ـ 187
البصرى، الحسن ـ الشيخ الجليل ـ
411
البسطامى، ابو زيد الصوفى ـ 361
بودبيرة، القائد حمو ـ 180 ـ 184
بوردان، محمد ـ قائد تطوان ـ 129
بوركيطى، المقيم العام الاسبانى ـ 54
بوسداجة، محمد بن عبد السلام ـ عدل ـ
239 ـ 283
بوسجادة، محمد بن عبد المجيد ـ عدل ـ
283 ـ 301
بوسجادة، محمد بن احمد ـ 282
البياضى، ابو الحسن ـ 145
بيارى، الفرنسى ـ 62
البيدق، ابو بكر بن على الصنهاجى مؤلف كتاب اخبار الموحدين ـ 71
بيلايو كنطيرو، العالم الاثرى الاسبانى ـ 63
بينابيديس، فرنثيسكو الاسبانى ـ
126
بيسة، على ـ 300 ـ 301
بيشوب، 187

حرف التاء

التاجورى، ابو زيد ـ 157
التادلى، صاحب التشوف ـ 76
تاشفين بن على اللمتونى، سلطان المغرب ـ 71
التباع، الشيخ عبد العزيز ـ 329
331
التبين، الشيخ عبد القادر من صلحاء تطوان ـ 72 ـ 73 ـ 74 ـ 75 ـ
167 ـ 323

التبيـن، محمد ـ والد الشيخ عبد القادر ـ 73

التجانى، ابو العباس ـ الشيخ الجليل 55

التطوانى، محمد بن ابى بكر ـ الفقيه الفاضل ـ 81

التليدى، الشيخ يوسف ـ 310 ـ 329 ـ 331 ـ 335

التمجروتـى، ابو الحســن ـ علـى الدرعى الجزولى ـ 159 ـ 160 ـ 161

تميـم، الحاج محمد «الاول» ـ والى تـطـوان ـ 261 ـ 262 ـ 263 ـ 264 ـ 265 ـ 266 ـ 267 ـ 272

تميـم، الحاج محمد «الثانى» ـ 261 262

تميـم، الحاج عاشور بن محمد ـ 239

التملى، الشيخ ابو يوسف ـ 341

توشينج، القبطان الانجليزى ـ 187 190 ـ 191 ـ 194 ـ 195

التيـال، يوسف بن يامون التليـدى التطوانى ـ 308 ـ 329

تيســو، المؤرخ الفرنسى ـ 62

حرف الجيـم

الجاسوس، الشيخ المجذوب بتطوان ـ 41 ـ 117 ـ 156

جان ليون العاشر، البابا ـ 87

جان الثالث، ملك البرتغال ـ 120

الجرجانى، عبد الله الحافظ، 46

الجرنى، القائد الخائن ـ 182 ـ 183

الجزولـى، الشيخ محمد بن سليمان صاحب دلائل الخيرات ـ 329 ـ 331

الجطاطى، الحسن بن سعيد ـ 284 ـ 285

الجنان، ابو عبد الله ـ 183

الجندى، محمد وعبد الرحمن وقاسم اولاد على ـ 300 ـ 301

الجنوى محمد ـ 49

الجنيد، امام الصوفية ـ 359

الجعباق، بلقاسم ـ عدل ـ 282

جعفر بن على، القائد ـ 67

الجعيدى، الشيخ على بن مسعود ـ 102 ـ 287 ـ 309 ـ 310 ـ 315 328 ـ 330 ـ 335 ـ 337 ـ 340 397 ـ 430

الجعيدى، الحاج محمد التطوانى ـ 99

الجعيدى، الحسن آخر رجل من عائلته بتطوان 337

جسوس، 348

جوان برلى، 275

جـورج فريزويل الانجليزى، 117 ـ 190 ـ 191 ـ 195

جورج كالفيرط، 189

الجوطى، الشريف ادريس بن احمد 185

جون دوبا، ترجمان الاسطول الانجليزى ـ 188 ـ 189 ـ 190 ـ 191 ـ 192 ـ 196 ـ 197

جـون هاريسون الانجليزى، 202 ـ 203 ـ 210 ـ 211 ـ 212 ـ 213 ـ 220 ـ 221 ـ 224 ـ 226 ـ 227

جوهر، القائد ـ 67

جويـد، ابو القاسم ـ عدل ـ 282

الجيلانى، الشيخ عبد القادر ـ امام الطريقة القادرية ـ 55 ـ 331

جيلس پـن، الانجليزى ـ 197 ـ 223 ـ 224 ـ 226

حرف الحـاء

الحاتمى، الامام ابن عربى ـ الصوفى 308

الحـاج، الشيخ قاسم ـ 322 ـ 323 224

الحاج، احمد بن محمد ـ 239
حاكم القصر الكبير، 320
حاكم العرائش الاسبانى، 320
حاكم طنجة الاسبانى، 230
حاكم سبتة الاسبانى، 210 ـ 230 ـ 233 ـ 244 ـ 245 ـ 247
حاكم البلاد الهبطية، 273
حاكم صيدونيا، شذوتة بالاندلس ـ 231
حاميم المفترى، 68
الحايك، عبد الرحمن ـ قاضى تطوان 49 ـ 58
الحايك، الحسن ـ 283 ـ 308 ـ 327 ـ 328
حبيب بن يوسف الفهرى، 68
الحدادى، محمد ـ عدل ـ 283 ـ 300
الحران بن الشريف العلوى، 273
الحراق، عبد الله بن ادريس ـ 51
الحريشى، الفقيه محمد ـ 360
الحطاب، الشيخ بركات بن محمد ـ 355
الحلبى، احمد بن عبد الحى ـ 258 ـ 404 ـ 405
حماد، على ـ عدل ـ 283
حمزة، محمد بن ممد، 288
حمامو، احمد بن على ـ 282
الحمامى، القائد احمد ـ والى تطوان 49
حميد بن يعلى، والى تجيسات ـ 66 67
الحسانى، سليمان ـ 294
الحسن بن كنون الادريسى، 67
حسين، قائد تطوان ـ 128 ـ 129
الحوات، سليمان ـ الاديب النقيب ـ 78 ـ 79 ـ 362

حرف الخاء

خالد بن الوليد، 201
خديم، محمد بن الحسن، 239
الخرشى، محمد شارح المختصر ـ 393
الخطيب، موسى ـ قاضى تطوان ـ 278 ـ 281
الخطيب، عبد الله بن احمد ـ عدل ـ 239 ـ 240 ـ 241 ـ 282
الخطيب، محمد بن عبد الله ـ عدل ـ 282
الخطيب، على بن محمد ـ الوجيه ـ 76 ـ 325
الخنشوف، قاسم بن سعيد ـ 239
الخشين، عيسى ـ عدل وقاضى بتطوان ـ 277 ـ 278 ـ 281 ـ 282 ـ 284
خوان دى كورونا، حاكم سبتة ـ 115
خوان اورطيس دى كويار، 115
خوان دى اورطياكا، 115
خوان دى يوكانيرا، 115
خوردانا، الخنرال المقيم الاسبانى ـ 54
خوسى دى ايساكى، 230
الخيارى، الشيخ ابراهيم ـ 356
الخيارى، عبد الرحمن ـ 356
الخيزران، والدة الشيخ المامون السعدى ـ 184

حرف الدال

داود، الحاج محمد بن الحاج عبد السلام جد المؤلف ـ 363
داود، محمد بن احمد ـ مؤلف هذا الكتاب ـ 9 ـ 10 ـ 16 ـ 17 ـ 18 ـ 19 ـ 20
الدراج، ابو عبد الله الانصارى قاضى سبتة ـ 77
الدرقاوى، مولاى العربى ـ الشيخ الجليل ـ 308
الدريج، الشيخ ابو يعلى ـ طلحة من صلحاء تطوان ـ 77 ـ 78 ـ 79 ـ 167 ـ 316 ـ 323 ـ 362 ـ 397 ـ 422 ـ 429

الدريج، سعيد بن محمد ـ 298
الدريج، محمد بن محمد ـ الموذن ـ 298
الدريج، محمد ـ بفاس ـ 375
الدلائى، محمد بن ابى بكر ـ 251
الدليرو، محمد بن عبد السلام ـ 51
موسى دغداغ، عدل ـ 283 ـ 300
الدغمومى، محمد ـ عدل ـ 282
الدودار، احمد بن سعيد ـ 239
الدودار، قاسم بن سعيد ـ 339
دوق اوف بوشنگام الانجليزى ـ 210 ـ 227
دوريموندى، الضابط البحرى ـ 226 ـ 264
دى كاسترى، هنرى ـ البحاثة الفرنسى ـ 120 ـ 178 ـ 188 ـ 229
دييگو دى ميراندا الاسبانى ـ 115
الديمانى، محمد بن احمد ـ عدل ـ 282 ـ 301
الديمانى، محمد ـ 239
دينية، على ـ 365

حرف الذال

الذيب، الحاج على ـ قائد تطوان ـ 101 ـ 124 ـ 128
الذيب، الحاج عمر بن الرايس على ـ 241

حرف الراء

الرافعى، محمد بن على التطواتى ـ 271 ـ 312 ـ 324 ـ 350 ـ 367 384 ـ 390 ـ 393 ـ 395 ـ 396 397 ـ 400 ـ 401 ـ 402 ـ 405 409 ـ 420 ـ 429
الرافعى، الحاج احمد ـ 392
الرثوث، الفقيه عبد الله ـ 345
الرثوث، يوسف بن محمد ـ عدل ـ 239 ـ 240 ـ 241 ـ 282
رحال، الفارس محمد بن محمد ـ 286
رحال، الحاج محمد ـ 284
الردام، ابراهيم بن سعيد ـ 286
الردام، محمد بن احمد ـ 286
الرزينى، محمد ـ قاضى تطوان ـ 41 ـ 139 ـ 140
الرميرس، عبد السلام ـ 297
الرميرس، الحاج قاسم بن على ـ 297 ـ 301
الرضنضو، احمد بن الحسن ـ 241
الرفاس، محمد ـ عدل ـ 396
الرفعى، محمد التاجر ـ 241
الرشاى، احمد بن عبد الرحمن ـ العالم ـ 49
الرشيد بن الشريف سلطان المغرب ـ 235 ـ 237 ـ 238 ـ 239 ـ 240 242 ـ 253 ـ 257 ـ 274 ـ 411 415
الرهونى، محمد ـ محشى الزرقانى وبنانى ـ 281
الرهونى، احمد بن محمد العالم المؤرخ بتطوان ـ 31 ـ 32 ـ 37 ـ 39 42 ـ 47 ـ 48 ـ 49 ـ 50 ـ 52 55 ـ 56 ـ 60 ـ 73 ـ 75 ـ 76 107 ـ 128 ـ 129 ـ 176 ـ 277 278 ـ 279 ـ 280 ـ 322 ـ 324 325 ـ 326 ـ 329 ـ 330 ـ 331 333 ـ 336 ـ 337 ـ 342 ـ 383
الرهونى، الحاج محمد، 58
روبرت مانزيل ـ مانسيل ـ الاميرال الانجليزى ـ 187 ـ 188 ـ 189 190 ـ 191 ـ 192 ـ 193 ـ 197 198 ـ 199
روجر الثانى، صاحب صقلية ـ 69
ريكار، روبرت البحاثة الفرنسى ـ 113 ـ 118
الريفى، موسى بن محمد ـ عدل ـ 283

الريفي، موسى بن احمد ـ 239
الريفي، الحاج علي ـ 239
الريفي، الحاج عبد الرحمن ـ 239

حرف الزاي

المزدوتي، ابراهيم ابن ابي بكر السوسي ـ 404
الزركلي، خير الدين العلامة الاديب المؤرخ 69
الزرقاني، عبد الباقي ـ العلامة المصري ـ 361 ـ 392 ـ 393
الزرهوني، محمد ـ 300
رزوق، احمد الشيخ الصوفي ـ 145 ـ 331 ـ 356
الزروري، القائد عبد العزيز ـ 215
زريق، احمد ـ 303
الزكيك، محمد بن علي ـ 239
الزلال، عبد الرحمن ـ قاضي تطوان 381
الزهرة، زوج الشيخ علي بن راشد ـ 118
الزياتي، علي بن محمد ـ عدل قاضي بتطوان ـ 281 ـ 282 ـ 286 ـ 287 ـ 289
الزياتي، احمد بن يوسف ـ 308 ـ 315 ـ 316 ـ 327
الزياتي، الحسن ـ 183 ـ 315 ـ 317
الزياتي، عبد العزيز مهدي ـ صاحب النوازل ـ 141 ـ 301 ـ 304 ـ 316 ـ 340 ـ 341
الزياتي، محمد ـ 342
زيتون، احمد ـ 286
زيدان بن احمد المنصور ، انظر السعدي

حرف الطاء

طانية، احمد بن محمد ـ عدل وقاضي بتطوان ـ 279 ـ 281 ـ 282 ـ 285 ـ 338
طانية، عبد القادر بن احمد ـ 239 ـ 279 ـ 281
طانية، عبد الكريم بن احمد ـ 239
طاغية قشتالة، 130
الطريس، عبد الخالق ـ 51
طلوق، عبد الله ـ 283
الطنان، علي ـ 286
الطنجي، ابراهيم بن محمد ـ 287
طوماس اسطون الانجليزي، 193ـ198

حرف الظاء

الظاهر برقوق، ملك مصر ـ 65

حرف الكاف والكاف

كالفين ... 206
كاسطيانوس، منويل الاسباني ـ مؤلف كتاب «تاريخ المغرب» بالاسبانية ـ انظر منويل
الكتاني، جعفر بن ادريس من علماء فاس ـ 55
الكتاني، محمد بن جعفر ـ العالم الصالح ـ 52 ـ 55 ـ 280 ـ 416 422
الكتاني، الشيخ محمد بن عبد الكبير امام الطريقة الكتانية ـ 55
الكتامي، محمد بن مسعود ـ عدل ـ 282 ـ 286 ـ 287
الكحيلي، احمد بن محمد ـ 239
كحلين، قاسم ـ 241
الكراسي، ابو القاسم ـ بلقاسم ـ محمد بن عبد الرحمن قاضي تطوان 41 ـ 124 ـ 139 ـ 140 ـ 141 144 ـ 145 ـ 146 ـ 154 ـ 155 168 ـ 274 ـ 277 ـ 302 ـ 303 323

الكراسى، الفارس عبد الرحمن ـ 303
الكراسى، محمد بن الفقيه، 288 ـ 303
كرازو، محمد ـ قاضى تطوان ـ 49
كروموبل، الحاكم الانجليزى ـ 249 ـ 250
كريمر، فون ـ البارون المستشرق النمساوى ـ 70
كمون التونسى، محمد ـ مؤلف جغرافية تونس ـ 43
كنزة، والدة المولى ادريس بانى فاس ـ 64 ـ 65
كولان، جورج المستعرب الفرنسى ـ 41
كولبير دى كرواسى، 262 ـ 267
كينو، 262
كنون، الحاج محمد (كنيون) العالم الفاسى ـ 55
كنون، التهامى ـ احد كبار علماء فاس، 55
كنون، عبد الله ـ العلامة الاديب ـ 8 ـ 9
كرناز بن منصور، 71

حرف اللام

اللبادى، عبد الكريم بن احمد ـ باشا تطوان ـ 53
لبارش، محمد بن موسى ـ 241
اللقانى، عبد السلام العلامة المصرى 397
اللقنتى، محمد بن على ـ 239
اللقنتى، احمد بن محمد ـ 299
لوك ناثانيل، القنصل الانجليزى بتطوان ـ 251
لولى ... 262
لوقش، الحاج عمر ـ العالم الزعيم التطوانى ـ 49
لوقش، الحاج محمد بن عمر ـ والى تطوان ـ 104
لوقش، عبد الوهاب ـ 325
لوقش، محمد بن عبد الوهاب، 325
لويس الرابع عشر ملك فرنسا، 262 ـ 263 ـ 264 ـ 265 ـ 266 ـ 267 ـ 272
لويس دى نورنها، 191
ليون الافريقى، الحسن بن محمد الوزان الاندلسى المغربى ـ 37 ـ 63 ـ 87 ـ 95 ـ 108 ـ 110 ـ 113 ـ 114 ـ 116

حرف الميم

مارتين فرنانديس الاسبانى ـ 118
ماركيس دى طريس فدراس، 243
مارمول كاربخال، الاسبانى ـ المؤرخ ـ 64 ـ 83 ـ 109 ـ 113 ـ 114 ـ 116 ـ 125 ـ 126 ـ 127 ـ 128
مارينا، المقيم العام الاسبانى ـ 54
مالك بن انس، امام المذهب المالكى 139 ـ 359
محمد بن المولى ادريس، صاحب فاس ـ 64 ـ 65
محمد بن يوسف، ملك غرناطة ـ 65 ـ 99
محمد بن الشريف العلوى، السلطان 233 ـ 237
محمد بن مولاى اسماعيل، السلطان 273
محمد بن عبد الله العلوى، سلطان المغرب ـ 53
محمد خان السلطان العثمانى ـ 392
محمد بن ابى على ـ عامل فاس ـ 67
محمد بن عامر المكناسى، 67
محمد بن الخير الخزرى، 76
مخشان، محمد ـ الفقيه ـ 339
مديرة، محمد بن محمد ـ 293
مدينة، الحاج على ـ 49

مدينة، العربى ـ 404
مدينة، محمد بن احمد ـ 220
المذبوحى، محمد بن يحيى الشريف ـ 239 ـ 345
مراد برتقيش التركى ـ 181
المراكشى، المعلم محمد ـ 299
المراكشى، الشيخ عبد الكريم ـ 361
المربوع، الفقيه ـ من زعماء فاس ـ 185
مرشك، على بن احمد ـ 239
المرير، محمد بن محمد ـ الفقيه التطوانى ـ 94 ـ 378
مرين، على ـ 239
المرينى، ابو عنان سلطان المغرب ـ 65
المرينى، ابو فارس ـ عبد العزيز سلطان المغرب ـ 65
المرينى، السلطان ابو سعيد ـ 64
المرينى، يوسف بن يعقوب سلطان المغرب ـ 76 ـ 80
المرينى، السلطان احمد بن محمد الوطاسى ـ 120
المرينى، محمد بن احمد ـ الثائر ـ 150
المزاح، الشيخ سلطان ـ 341
المزوار، الفقيه حمدون ـ 349 ـ 356
ملك الترك، 159
ملك قشتالة باسبانيا، 15
ملك اراغون باسبانيا، 15
ملك اسبانيا، 230 ـ 233 ـ 246
ملك فرنسا، 261 ـ 269 ـ 272
ملك انجلترا، (بريطانيا) 190 191 ـ 194 ـ 195 ـ 196 ـ 199 202 ـ 204 ـ 295 ـ 207 ـ 208 ـ 209 ـ 210 ـ 211 ـ 212 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 224 ـ 227 ـ 228 229 ـ 231
ملك الدانمارك، 228
ملضنادو، على ـ 291
المنتورى، 145
المنجور، احمد ـ العلامة ـ 157
منطورو، قاسم ـ 239
المنظرى، ابو الحسن ـ على ـ القائد المجاهد بانى تطوان وحاكمها وصالحها، 53 ـ 83 ـ 87 ـ 90 91 ـ 92 ـ 93 ـ 94 ـ 95 ـ 96 97 ـ 98 ـ 99 ـ 107 ـ 108 ـ 109 110 ـ 113 ـ 114 ـ 116 ـ 117 121 ـ 123 ـ 124 ـ 144 ـ 165 245 ـ 322 ـ 422 ـ 429
المنظرى، الثانى ـ الحفيد ـ حاكم تطوان ـ 110 ـ 113 ـ 114 ـ 115 116 ـ 117 ـ 119 ـ 122 ـ 123
المنظرى، الثالث ـ حاكم تطوان ـ 116 117
المنظرى، الرابع ـ محمد الحسن ـ حاكم تطوان ـ 122 ـ 123
المنصور ابن ابى عامر، 67
المنصور، ابو العباس ـ احمد السعدى انظر «السعدى» ـ
منصور بن عبد المنعم الصنهاجى ـ 331
المنصور، الحسين ـ 284
المنصورى، احمد ـ عدل ـ 283
المنصورى، احمد بن عبد القادر ـ 239
منضوصة، على ـ الاديب التطوانى ـ 350 ـ 363 ـ 369 ـ 378 ـ 384 386 ـ 389 ـ 417 ـ 419 ـ 420 422 ـ 427
منضوصة، الحاج محمد ـ 239
المنقوشى، الحاج مسعود ـ 375
المنور، محمد التلمسانى ـ 350

المنونــى، محمد بن عبد الهــادى ـ البحاثة المحقق ـ 99 ـ 358 ـ 369 383
منويل كاسطيانوس-المؤرخ الاسبانى 80 ـ 82 ـ 89 ـ 109 ـ 183
مصباح، سيدى ـ من صلحاء تطوان 49
المصيمدى، محمد بن موسى ـ عدل ـ 282 ـ 283
المصيمدى، الشيخ على ـ 330 ـ 397 430
المصيمدى، على بن محمد ـ 239
المفضــل، احمــد ـ اميــن السلطان بتطوان ـ 130 ـ 161 ـ 244
مقدم قبيلة انجرة ـ 214 ـ 228
مقدم الخروب، 229
المقرى، ابو العبــاس ـ مؤلف نفــح الطيب 42 ـ 182 ـ 183 ـ 301
المهدى الشيعى، 254
المهدى بن اسماعيل العلوى، الخليفة السلطانى بتطوان ـ 53
مهدى، انظر «الزياتى»
المــواق، ابو عبد الله الغرناطى ـ 145
الموذن، محمد ـ الاديب ـ 544
الموذن، احمد بن احمد الاندلسى ـ 292
مورتــون، البرطوس ـ الانجليــزى 203 ـ 213 ـ 227 ـ 228
مومــن، محمد ـ 293
ميــارة، محمد ـ 356
ميلر الألمانى، 69

حرف النــون

ناظر القرويين بفاس، 89
ناصح، محمد بن محمد ـ 239
الناصرى، احمد بن خالد ـ مؤرخ المغــرب ـ 32 ـ 37 ـ 39 ـ 42 82 ـ 83 ـ 89 ـ 121 ـ 174 ـ 179 ـ 182 ـ 184 ـ 235 ـ 238 243 ـ 253 ـ 257
نترسول الانجليزى ـ فرنسيس 188
النعاس القيسى، ابو عبد الله محمد 99
النقسيس، عيسى الاول ـ 174 ـ 175 207
النقسيس، القائد محمد ـ 174 ـ 175 176 ـ 177 ـ 178 ـ 237
النقسيس، المقدم احمد الاول المجاهد الكبير ـ 49 ـ 132 ـ 133 ـ 166 173 ـ 174 ـ 175 ـ 176 ـ 177 178 ـ 179 ـ 180 ـ 184 ـ 185 186 ـ 187 ـ 188 ـ 189 ـ 190 192 ـ 193 ـ 194 ـ 196 ـ 197 199 ـ 201 ـ 202 ـ 204 ـ 223 233 ـ 266 ـ 242 ـ 246 ـ 247 248 ـ 315 ـ 425
النقسيس، عيسى بن احمد ـ 174 ـ 202 ـ 219 ـ 220 ـ 223
النقسيس، عبد الله بن احمد ـ 174 ـ 202 ـ 219 ـ 223 ـ 224 ـ 225 226 ـ 229 ـ 248 ـ 249
النقسيس، محمد بن عيسى ـ 174 ـ 232 ـ 233 ـ 248 ـ 249 ـ 250
النقسيس، عبد الكريم بن عيسى ـ 174 ـ 233 ـ 234 ـ 236 ـ 237 249 ـ 250 ـ 251
النقسيس، احمد بن عبد الكريم ـ 174 ـ 234 ـ 236 ـ 237
النقسيس، احمد الثانى بن عيسى ـ 174 ـ 236 ـ 237 ـ 238 ـ 251 252 ـ 253 ـ 257

النقسيس، مفضل ـ 174 ـ 242 ـ 244
النقسيس، عيسى بن عبد الله ـ 273
نوار، انظر ـ انوار
النيار، محمد بن موسى ـ 293

حرف الصاد

الصبان، محمد ـ قائد تطوان ـ 129
الصبان، الحاج احمد ـ 377
الصحاف، محمد ـ 241
الصدفي، ابو علي ـ المحدث ـ 146 173
صطيلة، قنصل فرنسا بالمغرب ـ 272
الصنهاجي، محمد (ماني) ـ 55
الصعيدي، سيدي السعيدي ـ انظر السعيدي
صويلح، قاسم بن علي ـ 293

حرف الضاد

الضيعف، المؤرخ الرباطي ـ 58

حرف العين

عائشة ابنة الشيخ علي ابن راشد «الست الحرة» حاكمة تطوان ـ 113 ـ 116 ـ 117 ـ 119 ـ 120 ـ 121 ـ 122 ـ 123 ـ 154 ـ 165
عائشة ابنة احمد والدة المؤرخ ابن عسكر 120
عاذل، محمد بن علي ـ عدل ـ 282
العاقل، محمد ـ عدل ـ 282 ـ 287 ـ 289
العاقل، علي بن محمد ـ عدل ـ 282
عاشر، قاسم ـ 239
عاشر، محمد ـ قائد تطوان ـ 104
عبادة بن الصامت، الصحابي ـ 78
عبد السلام بن مشيش، شيخ الشمال المغربي ـ 55 ـ 79 ـ 90 ـ 305 369 ـ 430
عبد الكريم بن ثعلبة، عامل فاس ـ 67
عبد الرحمن الناصر، ملك الاندلس ـ 66 ـ 67
عبد المومن بن علي، سلطان المغرب ـ 71
عبد الرحمن بن هشام، سلطان المغرب ـ 49
عبد الله بن سليمان، القائد ـ 71
عبيس، عبد الله ـ 241
عثمان بن عفان، خليفة رسول الله 73 ـ 326
العراقي، الحافظ ـ 348
العربي، سليمان بن محمد الاندلسي 290
العربي، علي ـ عدل ـ 282
عروج، الرئيس البحري ـ 292
العزفي، ابو القاسم ـ امير سبتة ـ 77
عزوز، محمد ـ 51
عزيمان، محمد بن علال ـ 51
العطار، الفقيه محمد بن محمد ـ 58 59
عظيم الروم، 267
العلج، عبد الرحمن ـ قائد تطوان ـ 129 ـ 174
العلمي، محمد بن الطيب الاديب الفاسي ـ 349 ـ 350 ـ 381 ـ 382 ـ 383 ـ 384 ـ 389 ـ 416
العلمي، الشريف صاحب النوازل ـ 281
العلمي، محمد بن احمد ـ الفقيه الفلكي، 372
العلوي، مولاي الطيب ـ 51 ـ 52
علي بن معاذ، القائد ـ 66
علي بن احمد الصرصري، الشيخ الصوفي ـ 426

على بن عبد الله، والى تطوان وشمال المغرب ـ 254 ـ 255 ـ 258 ـ 259
261 ـ 266 ـ 270 ـ 271 ـ 273
275
على بن موسى السوسى، 204
عمر المرتضى، من ملوك الموحدين ـ 77
عمر بن حدو الريفى، قائد المجاهدين
254 ـ 255 ـ 259 ـ 260 ـ 261
271
عمير، محمد بن الحسين ـ 241
عسيران، الاستاذ حسن اللبنانى ـ 188
عياد، محمد ـ 290
عياض، القاضى ابو الفضل ـ 74 ـ
159
العياشى، محمد ـ الشيخ المجاهد بسلا ـ 173 ـ 212 ـ 213 ـ 214
215 ـ 217 ـ 220 ـ 221 ـ 225
229 ـ 231 ـ 233 ـ 235 ـ 237
247 ـ 248 ـ 249 ـ 250
العياشى، ابو سالم ـ صاحب الرحلة العياشية ـ 349 ـ 355 ـ 411
عيسى ابن ابى الانصار، ملك برغواطة بالمغرب ـ 67

حرف الغين

الغازى، محمد بن محمد الفاسى ـ
239
الغافقى، ابو الحسن ـ 146
غرسون (كارسون) ادموند القنصل الانجليزى ـ 191 ـ 192 ـ 193
196
غرسيا دى طوليدو، 126
الغزالى، الامام ابو حامد ـ 74
الغزال، الرايس ـ 115
الغزوانى، مولاى عبد الله ـ 251 ـ 329
331 ـ 361
الغزوانى، صاحب الخضر غيلان ـ
234 ـ 236 ـ 237
غزيل، المعلم محمد ـ 294
غلايب (غليب) عبد الله بن قاسم ـ 290
غليوم الثانى، امبراطور المانيا ـ 53
غيلان، المقدم الخضر ـ 173 ـ 229
234 ـ 235 ـ 236 ـ 237 ـ 242
243 ـ 244 ـ 247 ـ 250 ـ 251
252 ـ 260 ـ 273 ـ 274 ـ 275

حرف الفاء

الفاسى، ابو المحاسن ـ الشيخ الكبير
55 ـ 78 ـ 143 ـ 280 ـ 307
309 ـ 310 ـ 311 ـ 316 ـ 317
318 ـ 319 ـ 320 ـ 322 ـ 327
328 ـ 329 ـ 335 ـ 339
الفاسى، ابو زيد العارف ـ عبد الرحمن بن محمد ـ 78 ـ 308 ـ
318 ـ 328 ـ 338 ـ 341
الفاسى، ابو حامد ـ العربى بن يوسف ـ العلامة ـ 38 ـ 41 ـ
59 ـ 78 ـ 86 ـ 90 ـ 91 ـ 92 ـ 95
96 ـ 97 ـ 109 ـ 113 ـ 116
121 ـ 143 ـ 279 ـ 281 ـ 307
308 ـ 309 ـ 311 ـ 315 ـ 316
318 ـ 320 ـ 321 ـ 329 ـ 335
338 ـ 339 ـ 340 ـ 341 ـ 346
الفاسى، الحافظ ـ احمد بن يوسف
183
الفاسى، عبد القادر ـ علامة فاس
308 ـ 338
الفاسى، محمد بن عبد القادر ـ العلامة
59 ـ 78 ـ 116 ـ 348 ـ 349
350 ـ 354 ـ 357 ـ 360
الفاسى، عبد الرحمن بن عبد القادر ـ العلامة ـ 145 ـ 308 ـ 310 ـ 311
316 ـ 317 ـ 320 ـ 321 ـ 327
329 ـ 335 ـ 336

الفاسى، المهدى بن احمد ـ مؤلف «ممتع الاسماع» ـ 317 ـ 320 ـ 329
الفاسى، ابو مدين التطوانى ـ 346
الفاسى، عبد الوهاب بن العربى قاضى تطوان ـ 280 ـ 281 ـ 426
الفاسى، عبد الله بن محمد ـ 279
الفاسى، عبد العزيز بن على ـ 239
الفاسى، احمد بن يوسف التطوانى ـ 346
الفاسى، عبد الحفيظ الفقيه القاضى 59
الفاسى، علال بن عبد الواحد ـ 307
الفاسى، محمد العابد بن عبد الله ـ 147 ـ 281
الفتوح، محمد ـ عدل ـ 282
الفحل، الشيخ على ـ من صلحاء تطوان ـ 124 ـ 144 ـ 146 ـ 323 ـ 397 ـ 430
الفخار، ابو عبد الله من صلحاء تطوان 73 ـ 74 ـ 75 ـ 76 ـ 167 ـ 323
فراى سيباستيان، 115
فرج، احمد ـ 291
الفردال، ابراهيم بن قاسم ـ 241
فرشيش، قاسم ـ والى تطوان ـ 242
فرناندو، على ـ 115 ـ 118
فرناندو، الكاثوليكى ملك اسبانيا ـ 95
الفضيلى، محمد ـ 302
الفلوسى، الحاج ـ 130 ـ 131
فليب الثانى، ملك اسبانيا ـ 125 ـ 126 ـ 129 ـ 270 ـ 429
فليب الثالث، ملك اسبانيا ـ 179 ـ 181 ـ 246 ـ 249
الفقاى، عبد العزيز ـ 262
الفشتالى، عبد العزيز ـ الاديب مؤلف «مناهل الصفا» ـ 43 ـ 130 ـ 131 ـ 133 ـ 144
الفشتالى، الاديب محمد بن على ـ 132 ـ 134 ـ 135 ـ 160 ـ 161
الفشتالى، ابو القاسم ـ الغول ـ 340
الفونسو البرتغالى، حاكم سبتة ـ 120
الفونسو الثالث عشر، آخر ملوك اسبانيا ـ 52
الفيلالى، الشيخ احمد دفين غمارة ـ 180 ـ 316

حرف القاف

قائد سبتة العام، 127
القادرى، محمد بن الطيب ـ مؤلف «نشر المثانى» ـ 159 ـ 182 ـ 238 ـ 258 ـ 261 ـ 316 ـ 317 ـ 321 ـ 348
القادرى، عبد السلام بن الطيب ـ 361 ـ 374 ـ
القادرى، احمد ـ 375
القادرى، العربى ـ 375
القادرى، محمد ـ 55
قاضى انجرة، 244
القاسم بن المولى ادريس ـ 64 ـ 65 66
قبريرة، محمد الاندلسى ـ 241 ـ 288
قبطان الجزائر، 160
القبطان جون الالمانى ـ 215 ـ 216
القر، علي بن محمد ـ عدل ـ 239 283
قرضناش، محمد ـ 404
قرضناش، احمد بن قاسم ـ 239
القطان، محمد ـ 220
القطان، عبد الرحمن ـ 51
قلينة، محمد ـ 241
قمر، محمد بن محمد الاندلسى ـ 285
القناوى، محمد ـ 94
قنصل فرنسا بتطوان ـ 275

القسنطينى، ابو القاسم 41
قشطلى، الحاج محمد بن على ـ 239
قشطلى، احمد بن محمد ـ 239
قومندان الاسطول البريطانى ـ 203

حرف السين

السبتى، انظر ـ ابو العباس
الست الحرة، انظر ـ عائشة ابنة على بن راشد ـ
السرايرى، الفقيه احمد التطوانى ـ 358
سرديرة، كليمنطى ـ المترجم الاسبانى 175 ـ 176 ـ 177 ـ 185 ـ 233 ـ 234 ـ 236 ـ 237 ـ 242 ـ 243 ـ 274
سركيس، يوسف ـ 70
سكيرج، عبد السلام ـ مؤلف «نزهة الاخوان فى تاريخ تطوان» ـ 37 ـ 39 ـ 40 ـ 47 ـ 48 ـ 49 ـ 58 ـ 60 ـ 86 ـ 89 ـ 93 ـ 94 ـ 95 ـ 96 ـ 97 ـ 101 ـ 114 ـ 124 ـ 128 ـ 129 ـ 174 ـ 175 ـ 176 ـ 182 ـ 232 ـ 233 ـ 234 ـ 243 ـ 253 ـ 274 ـ 280 ـ 309 ـ 310 ـ 323 ـ 324 ـ 325 ـ 326 ـ 336 ـ 429
سكيرج، محمد بن العياشى ـ الفقيه الاديب ـ 43 ـ 48
السكيرج، محمد التاجر ـ 291
السلباح، احمد ـ 289
سليمان بن يوسف، مقدم الخروب ووالى تطوان ـ 229 ـ 231
السماوى، المختار التونسى ـ 43
السمعانى، محمد ـ 308 ـ 321 ـ 328
السنوسى، الامام ... 342
سنيبلى، الوزير الفرنسى ـ 265 ـ 267
السعدى، محمد القائم بأمر الله ـ 125
السعدى، احمد الاعرج سلطان المغرب 125
السعدى، محمد الشيخ المامون سلطان المغرب ـ 125 ـ 178 ـ 179 ـ 180 ـ 181 ـ 182 ـ 183 ـ 184 ـ 246 ـ 247 ـ 249 ـ 337
السعدى، محمد الغالب بن محمد الشيخ سلطان المغرب ـ 126 ـ 128
السعدى، عبد الله بن الشيخ المامون ـ 178 ـ 179 ـ 185 ـ 192 ـ 194 ـ 199 ـ 200 ـ 202
السعدى، احمد المنصور ـ سلطان المغرب وبطل وقعة وادى المخازن ـ 129 ـ 130 ـ 131 ـ 132 ـ 134 ـ 159 ـ 161 ـ 162 ـ 174 ـ 176 ـ 178 ـ 186 ـ 425
السعدى، السلطان زيدان بن احمد المنصور ـ 178 ـ 179 ـ 200 ـ 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 208 ـ 209 ـ 210 ـ 211 ـ 213 ـ 214 ـ 215 ـ 217 ـ 246 ـ 247 ـ 337
السعدى، محمد زغودة بن محمد الشيخ 200
السعدى، ابو فارس ـ 178
السعدى، عبد الملك ـ 204
السعيدى، سيدى ـ صالح تطوان ـ 91 ـ 102 ـ 222 ـ 223 ـ 224 ـ 225 ـ 226 ـ 229 ـ 297 ـ 429 ـ 430
سفير انجلترا، 247
السوسى، المختار ـ العلامة الاديب نابغة سوس ـ 9 ـ 70 ـ 167
سيباستيان دى بركاش ـ 120 ـ 121

حرف الشين

الشاذلى، ابو الحسن ـ شيخ الصوفية 331

الشارب، احمد ـ عدل ـ 282
شارل الاول، ملك انجلترا ـ 211 ـ 212 ـ 213 ـ 218 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 225 ـ 231 ـ 248
شارل بنز الفرنسي ـ مؤلف كتاب «ملوك فرنسا والمغرب» 261ـ262
الشاط، المقدم الحاج على ـ 239
الشاعر، الشيخ احمد اليجمى ـ 155
الشاوى، يحيى ـ 393
الشاوى، ابراهيم ـ 361
الشبرخيتى، العالم المصرى ـ 393
شرلكان، 15
الشرقى، محمد بن عبد الرحمن ـ 239
الشريف بن على جد العائلة العلوية الشريفة بالمغرب ـ 237 ـ 239
شندير، احمد بن سعيد ـ 299
شطير، الاديب عبد الله ـ 377
الشودرى، ابو يعقوب التطوانى ـ 419 ـ 421
الشودرى، يوسف بن محمد ـ 239
الشودرى، الاديب على بن محمد عدل ـ 239 ـ 282 ـ 345
الشودرى، محمد بن محمد ـ 239
الشويطى، محمد بن محمد ـ 239
الشيبو، قاسم ـ عدل ـ 282 ـ 329

حرف الهاء

الهادى، الحسين ـ عدل ـ 251
هاريسون، انظر ـ جون ...
الهلالى، ابو العباس ـ 348
هنرى ماينوارينج ـ 187
الهوارى، عبد السلام ـ من علماء فاس ـ 55

حرف الواو

والتر اسطون الانجليزى ـ سفير انجلترا بمدريد ـ 188 ـ 189 ـ 190 ـ 192 ـ 197
ودنسكر، البحار الانجليزى ـ 187
الورزازى، محمد بن على ـ 348
الوزان، الحسن بن محمد ـ انظر ليون الافريقى
الوزانى، الشيخ محمد ـ 55
الوزانى، الشيخ المهدى ـ 55
الوزانى، التهامى بن عبد الله ـ رجل العلم والفضل ـ 9 ـ 19 ـ 21 ـ 43 ـ 148 ـ 151 ـ 156 ـ 160 ـ 169 ـ 230 ـ 232 ـ 235 ـ 270
الوزير، محمد (حم) بن عبد الوهاب مؤلف «رحلة الوزير» ـ 405
الوزير، احمد ـ 375
الوطاسى، السلطان محمد الشيخ ـ 15 ـ 89 ـ 90 ـ 107 ـ 109 ـ 110 ـ 147 ـ 148 ـ 178
الوطاسى، محمد بن الشيخ ـ 151
الوطاسى، الامير يحيى بن محمد الشيخ ـ 149
الوطاسى، السلطان احمد بن محمد بن محمد الشيخ ـ 117 ـ 118 ـ 119 ـ 120 ـ 121 ـ 122 ـ 125 ـ 153 ـ 154 ـ 155 ـ 165
الوطاسى، السلطان ابو حسون على بن محمد ـ 153
الوطاسى، الامير زيان بن محمد الحلو ـ 150
الونشريشى، القاضى عبد الواحد 121
الونشريشى، ابو العباس صاحب المعيار ـ 145
الوسخ، قائد تطوان ـ 128 ـ 129

حرف الياء

يحيى بن توكرورين، القائد ـ 71
يحيى بن عبد المنعم الحاحى ـ 247
يحيى بن عبد الله السوسى ـ 204

يزيد بن معاوية الاموى ـ 257
اليزيد بن محمد بن عبد الله ـ سلطان المغرب ـ 75
اليمنى، الشيخ احمد نزيل فاس ـ 375
يعقوب المنصور الموحدى ـ 254
يعقوب، محمد ـ نائب قاضى تطوان 277 ـ 278 ـ 281
اليفرانى، محمد الصغير بن محمد ـ مؤلف «الصفوة» ـ 159 ـ 182 ـ 183 ـ 280 ـ 312 ـ 321 ـ 330 ـ 335 ـ 411
اليوسفى، الشيخ على ـ 49
اليوسى، ابو على ـ علامة المغرب ـ 37 ـ 38 ـ 39 ـ 40 ـ 42 ـ 43 ـ 312 ـ 348 ـ 349 ـ 350 ـ 354 ـ 408 ـ 409 ـ 411 ـ 414 ـ 427

الفهرس الثالث

لاسماء البلدان والامكنة الجغرافية

مدن ـ قبائل ـ معاهد

حرف الالف

اسفى، مدينة مغربية على المحيط الاطلسى ـ 212 ـ 216

ابو قير، فى القطر المصرى ـ 392

اداوزدوت، فى سوس ـ 404

ارلندا، 223

ارض البربر، اراضى ـ 186 ـ 187 ـ 207 ـ 213 ـ 226 ـ 228

ارض طرابلس، 145

الازهر، الكلية الدينية بمصر ـ 384 ـ 392 ـ 393

اكادير، ميناء مغربى على المحيط ـ 83

اليكانطى، بلد بالاندلس ـ 188 ـ 190 ـ 191

امسا، بقبيلة بنى سعيد الجبلية ـ 242

الاناضول، فى بلاد تركيا ـ 392

انجلترا، ارض ـ دولة ـ شعب ـ 190 ـ 191 ـ 192 ـ 197 ـ 198 ـ 199 ـ 202 ـ 203 ـ 206 ـ 207 ـ 212 ـ 214 ـ 215 ـ 216 ـ 218 ـ 223 ـ 237 ـ 246 ـ 247 ـ 248 ـ 249 ـ 250 ـ 251 ـ 258 ـ 260

انجرة، قبيلة جبلية بين سبتة ـ طنجة تطوان ـ 214

الاندلس، الفردوس الاسلامى المفقود باسبانيا 15 ـ 49 ـ 60 ـ 65 ـ 66 ـ 73 ـ 75 ـ 78 ـ 81 ـ 83 ـ 85 ـ 86 ـ 87 ـ 88 ـ 90 ـ 95 ـ 100 ـ 108 ـ 109 ـ 118 ـ 135 ـ 140 ـ 146 ـ 151 ـ 166 ـ 181 ـ 227 ـ 260 ـ 305 ـ 429 ـ 431

اندراوش، بالاندلس ـ 88

انفا، الدار البيضاء بالمغرب ـ 83

اصيلا، ميناء مغربى على المحيط ـ 46 ـ 82 ـ 83 ـ 99 ـ 113 ـ 114 ـ 123 ـ 153 ـ 187 ـ 225 ـ 235 ـ 245 ـ 255 ـ 258 ـ 401

اصطانبول، 45 ـ 160

اعمال (أحواز) سبتة ـ 78 ـ 79

اغطاس، مكان بتطوان ـ 104

اغمات، مكان قرب مراكش ـ 82

افريقيا، 46

افينيون، بلد بفرنسا ـ 264

الاقامة العامة لاسبانيا بتطوان ـ 175

اقليم غرناطة، 320

اقليم سوس، 404

الاقواس الاثرية بتطوان ـ 94

اسبانيا، دولة ـ شعب ـ قطر ـ 44 ـ 53 ـ 83 ـ 89 ـ 125 ـ 175 ـ 179 ـ 181 ـ 188 ـ 190 ـ 192 ـ 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 206 ـ 208 ـ 209 ـ 213 ـ 214 ـ 220 ـ 226 ـ 227 ـ 228 ـ 246 ـ 247 ـ 248 ـ 249 ـ 250 ـ 251 ـ 258 ـ 270 ـ 429 ـ 431
الاسكندرية، 395
اشبيلية، 15 ـ 65 ـ 66 ـ 115 ـ 126
اوربا، 159
ايطاليا، 87

حرف الباء

باب اغمات بمراكش ـ 134
باب التوت بتطوان ـ 102 ـ 103 ـ 104 ـ 298 ـ 309
باب الجياف بتطوان ـ 91 ـ 102 ـ 104
باب الحديد بتطوان ـ 294
باب الرموز بتطوان ـ 73 ـ 75 ـ 101 ـ 104 ـ 295
باب محروق بفاس ـ 81 ـ 104
باب المقابر، باب الربض بتطوان ـ 90 ـ 92 ـ 102 ـ 104 ـ 108 ـ 124 ـ 144 ـ 145 ـ 146 ـ 274 ـ 330 ـ 342
باب النوادر بتطوان، آخر شارع العيون ـ 77 ـ 78 ـ 93 ـ 102 ـ 103 ـ 104 ـ 309 ـ 316 ـ 342 ـ 362 ـ 422
باب العقلة بتطوان ـ 73 ـ 101 ـ 104
باب الفتوح بفاس ـ 322
باب القاعة بتطوان ـ 274
باب السعيدة بتطوان ـ 102 ـ 140 ـ 297
الباب السفلى بتطوان ـ 92 ـ 104
باب الشريعة بفاس ـ 154
بابيلون ـ 206 ـ 209
بادية سبتة ـ 78
باديس، من بلاد الريف الوسطى ـ 166 ـ 179
باريس، عاصمة فرنسا ـ 42 ـ 80 ـ 87 ـ 108 ـ 175 ـ 217 ـ 262 ـ 263 ـ 264
بالرما، فى جزيرة صقلية التابعة لايطاليا ـ 69
البحر الابيض المتوسط ـ 44 ـ 46 ـ 63 ـ 89 ـ 104 ـ 126 ـ 210 ـ 249 ـ 251 ـ 268 ـ 290
البحر الشمالى ـ 70
بحر الزقاق ـ 130
البحر الغربى ـ 68
بربرة، بالاندلس ـ 88
البرتغال، ارض ـ بلاد ـ شعب ـ دولة ـ 247 ـ 270
برج امسا، فى قبيلة بنى سعيد ـ 242
برج البحر، بطنجة ـ 271
برج الحراسة بتطوان ـ 94
برج راس الطرف ـ 242
برج الصفيحة بطنجة ـ 271
برج القصبة بتطوان ـ 92
برجه بالاندلس ـ 88
البريجة، هى الجديدة بالمغرب ـ 245
بلاد البربر ـ 187 ـ 191 ـ 199 ـ 200 ـ 208 ـ 209 ـ 216 ـ 226 ـ 227
بلاد الريف ـ 179
بلاد مصمودة ـ 64
بلاد المغرب ـ 37 ـ 71 ـ 186 ـ 204 ـ 229 ـ 238
البلاد المشرقية ـ 130

بلاد العروبة، البلاد العربية ـ 27 ـ 44 ـ 105
بلاد الغرب ـ 235
بلاد غمارة، ارض غمارة ـ 68 ـ 229 230
بلاد السودان ـ 44
بلاد الهبط، البلاد الهبطية ـ فى شمال المغـرب ـ 109 ـ 149 ـ 235 ـ 237 ـ 244 ـ 258
بلوازن، مدشر فى حوز تطوان ـ 68
بولونيا ـ 87
بنى بوزرة، قبيلة غمارية بشمال المغرب ـ 180
بنى حزمر، قبيلة جبلية قرب تطوان 155 ـ 289
بنى رزين، احدى قبائل غمارة ـ 140
بنى زيات، احدى قبائل غمارة ـ 180 ـ 257 ـ 316
بنى گرفط، قبيلـة جبلية بشمـال المغـرب ـ 235
بنى عروس، قبيلة جبلية ـ 160
بنى سناد، قبيلة قديمة بشمال المغرب ـ 71
بنى سعيد، قبيلة جبلية ـ 71 ـ 88 ـ 160 ـ 180 ـ 242
بنى يجم، هى قبيلة بنى حزمر ـ 155 289
البنيون، انظر حجرة باديس
البصرة، مدينة قديمة كانت بشمال المغرب وقد اضمحلت ـ 65 ـ 67
بقيوة، بقوية ـ قبيلة بالريف ـ 146
بساتين، ابراج ـ طنجة ـ 260
بسطة، بالاندلس ـ 88 ـ 320
بوخـلاد، مدشر فى قبيلة بنى حزمر 155 ـ 156
بولـه، بالاندلس ـ 88
بوغاز جبل طارق ـ 46 ـ 63 ـ 126 ـ 250 ـ 270
بوسافو، بضواحى تطوان ـ 294
بيروت، عاصمة لبنان ـ 80 ـ 175

حـرف التاء

تادلا، من بلاد المغرب ـ 134 ـ 178
تارغـة، مدشر فى غمارة ـ 113 ـ 114 ـ 180 ـ 229 ـ 230
تارودانت، من بلاد سوس ـ 273 ـ 404
تازروت، فى قبيلة بنى عروس ـ 322 389
تـازة، من بلاد المغرب الشرقى ـ 82 243
تامغـريت، فى شمـال المغرب ـ 71
تامسنا، من بلاد المغرب ـ 67 ـ 148
تافيلالت، من بلاد المغرب ـ 237
تجيسات، 66 ـ 67 ـ 180
تركيـا، بلاد التـرك ـ 45 ـ 105 ـ 106 ـ 159
تطوان دى لاس فكتورياس باسبانيا 44
تلمسان، من بلاد الجزائر ـ 65 ـ 168 ـ 178 ـ 182
تمسمان، من قبائل الريف ـ 253
تمودة، مكان اثرى قرب تطوان ـ 62 63
تفزة، مدشر بغمارة ـ 180
تونـس ـ 15 ـ 26 ـ 43 ـ 44 ـ 45 ـ 65 ـ 182 ـ 186 ـ 222 ـ 223 ـ 268
تيـط، من بلاد المغرب ـ 82

حرف الجيم

الجامع الكبير، المسجد الاعظم بتطوان 92 ـ 93 ـ 201

جامع السوق الفوقى بتطوان ـ
جامع سيدى بركة ـ 362 ـ 377
جامع العيون، مسجد ـ جامع سيدى الجعيدى بتطوان ـ 102 ـ 286
287 ـ 289 ـ 290 ـ 292 ـ 309
310 ـ 330 ـ 336 ـ 337
جامع المصيمدى، المسيندى بتطوان ـ 298 ـ 299 ـ 330
جامع القرويين بفاس ـ 185 ـ 387
411
جامع الاشراف بمراكش ـ 411
جبال بنى حزمر، امام تطوان ـ 100
جبال تطوان ـ 67
جبال الريف ـ 179 ـ 337
جبال غمارة ـ 68
جبانه (مقبرة) باب الربض بتطوان ـ 145
جبل اشقار، قرب تطوان ـ 68
جبل حاميم ـ 68
جبل حبيب بن يوسف الفهرى بشمال المغرب ـ 68
جبل الدرقة بشمال المغرب ـ 68
جبل درسة، جنب تطوان ـ 91 ـ 94
101 ـ 103
جبل راس الطرف، بين سبتة وتطوان 325
جبل راس الثور، بشمال المغرب ـ 68
جبل طارق، على البوغاز بين المحيط الاطلسى والبحر الابيض المتوسط
126 ـ 127 ـ 131 ـ 188 ـ 189
191 ـ 197 ـ 198 ـ 203 ـ 208 ـ
209 ـ 226 ـ 228 ـ 250 ـ 258 ـ
270
جبل عرفة ـ 394
جبل العلم، فى قبيلة بنى عروس بشمال المغرب ـ 160
جبل علودان، بشمال المغرب ـ 79
جبل القصبة بتطوان ـ 92 ـ 93 ـ 94
103
جبل الشوك، بشمال المغرب ـ 68
جبل يكاتل بشمال المغرب ـ 71
الجديدة، ميناء مغربى على المحيط ـ 83 ـ 99 ـ 123 ـ 187
الجزائر، عاصمة القطر الجزائرى على البحر الابيض المتوسط ـ 16
26 ـ 42 ـ 44 ـ 45 ـ 65 ـ 66
125 ـ 126 ـ 160 ـ 186 ـ 189
193 ـ 194 ـ 222 ـ 223 ـ 235
242 ـ 243 ـ 244 ـ 268 ـ 345
351 ـ 391 ـ 393 ـ 395 ـ 416
الجزيرة الخضراء بالاندلس ـ 53 ـ 67 ـ 73 ـ 118
جزيرة الخزامى، بالريف ـ الحسيمة 250
جزيرة مليحة بالمغرب ؟ 148

حرف الحاء

حاحة، قبائل مغربية فى الجنوب الغربى ـ 151
الحجاز، فى بلاد العرب ـ 393
حجر النسر فى شمال المغرب ـ 64
65
حجرة بادس، جزيرة فى البحر الابيض المتوسط ـ 130 ـ 245
حدود تطوان سبتة ـ 244
حلق الوادى، شاطىء تطوان على البحر الابيض المتوسط ـ 391 ـ 395
حمام سيدى المنظرى، الحمام السطيطو ـ 93
حمراء غرناطة بالاندلس ـ 15
حصن تطاون ـ 70
حصن طنجة ـ 260 ـ 271
حصن مرتيل بالاندلس ـ 88
حصن موجر بالاندلس ـ 88

حوز تطوان ــ 155
حومة البلد، الجامع الكبير ــ الجامع الاعظم المسجد الاعظم ــ 91 ــ 92 ــ 93 ــ 103 ــ 104 ــ 302
حومة جامع القصبة ــ 76 ــ 91 ــ 93
حومة الجنوى بتطوان ــ 91 ــ 92 ــ 101
حومة الربض الاسفل، الرباط السفلى بتطوان ــ 91 ــ 100 ــ 104
حومة الطالعة بتطوان ــ 101 ــ 124 ــ 128
حومة الطرنكات بتطوان ــ 101 ــ 102 ــ 103 ــ 104 ــ 298 ــ 330
حومة الملاح بتطوان ــ 104
حومة المصلى القديمة بتطوان ــ 101 I 102
حومة الصياغين بتطوان ــ 103
حومة العيون بتطوان ــ 58 ــ 101 ــ 102 ــ 103 ــ 140 ــ 182 ــ 307 ــ 308 ــ 309 ــ 310 ــ 336
حومة السانية بتطوان ــ 182
حومة سانية الرمل ــ 104
حومة السويقة ــ 72 ــ 73 ــ 102
حومة سيدى عبيس ــ 101
حومة سيدى طلحة ــ 104

حــرف الخاء

الخزانة الاحمدية (السودية) بفاس ــ 59 ــ 140 ــ 279 ــ 345
الخزانة الاسكوريالية باسبانيا ــ 71
الخزانة التطوانية بسلا ــ 59 ــ 145
الخزانة الداودية بتطوان ــ 52 ــ 59 ــ 77 ــ 82 ــ 141 ــ 259 ــ 333 ــ 342 ــ 358 ــ 396 ــ 416
الخزانة الزبيدية بالرباط ــ 59
الخزانة الزيدانية بمكناس ــ 59 ــ 383
الخزانة الكتانية بفاس ــ 59 ــ 338
الخزانة المنونية (مكتبة ابن غازى) بمكناس ــ 59 ــ 99
الخزانة الفاسية بفاس ــ 59 ــ 147
خندق الفرجة، مدشر حول تطوان 78

حــرف الدال

دار بن قريش ــ مدشر قرب تطوان ــ 155
دار البارود بطنجة ــ 260
الــدار البيضــاء ــ ميناء المغرب على المحيط الاطلسى ــ 7! ــ 32 ــ 46 ــ 82 ــ 83 ــ 99 ــ 123
دار المخزن ــ مقــر حكومة المغرب ــ 103 ــ 104
دار موث ــ ميناء بانجلترا ــ 224
دار القائد المنظرى بتطوان ــ 94
دار القيطون بفاس ــ 185
دار السكة بتطوان ــ 94
الدباغين بتطوان ــ 101
دبدو ــ مدينة مغربية شرقى تازة ــ 150 ــ 243
درب صمعان بتطوان ــ 94
الدردارة ــ بضواحى تطوان ــ 294
درعة فى الجنوب المغربى ــ 125 ــ 411
درسة ــ جبل جنب تطوان ــ 15
دمشق ــ قاعدة بلاد الشام ــ 417
دنكــرك DONKERQUE ميناء بشمال فرنسا ــ 216
دقم الواد ــ شاطىء تطوان ــ 126
دونس DOWNS من بلاد انجلترا 228
دوفــر DOVER ميناء انجليزى ــ 213
الديار الفرنسية ــ 263

حرف الراء

رأس الطرف ــ قرب شاطىء تطوان ــ 63 ــ 242 ــ 420

رأس ورغـة ـ من بلاد المغرب ـ 258
الرباط ـ رباط الفتح ـ عاصمة المغرب الآن ـ 16 ـ 17 ـ 33 ـ 41 ـ 46 123 ـ 179 ـ 213 ـ 337 ـ 365
رباط الاندلس بتطوان ـ 102 ـ 182
الربض الاعلى بتطوان ـ 101 ـ 102 ـ 103
الربض الاسفل ـ السفلى ـ الرباط السفلـى بتطوان ـ 100 ـ 103 ـ 295
رندة ـ من بلاد الاندلس ـ 16 ـ 88
رشيد ـ من بلاد مصر ـ 392 ـ 395
رواق المغاربة ـ فى القاهرة ـ 392 ـ 393
رودس ـ جزيرة قرب الاناضول من بلاد تركيا 392
روما ـ عاصمة ايطاليا ـ 87
روضة البقيع ـ مقبـرة المدينة المنورة ـ 394
روضة القاضى عياض بمراكش ـ 159
روضة سيدى طلحـة بتطوان ـ 316
الـريف ـ 146

حرف الزاى

الزاوية الناصرية بتطوان ـ 91 ـ 92 312 ـ 313
الزاوية الفاسية بتطوان ـ 307 ـ 308 309 ـ 310
الزاوية الريسونية بتطوان ـ 93
الزاوية العيساوية بتطوان ـ 58
زاوية سيدى على بن مسعود الجعيدى 309 ـ 336
زاوية سيدى السعيدى 324 ـ 329
زاوية سيدى ابن الفقيه بتطوان ـ 91
الزاوية الدلائية ـ 411
زاوية سيدى احمـد الفيلالى بغمارة 180
زنقـة المقـدم بتطوان 101 ـ 103 ـ 104 ـ 133
زنقة القائد احمد بتطـوان ـ 253
زنقة حمام امحلى ـ 94
زيانة ـ من ضواحى تطوان ـ 294 ـ 297

حرف الطـاء

الطالعة، بتطوان ـ 101 ـ 103
طرابلس ـ 44
طريف (طريفة) بالاندلس ـ 127
الطرنكـات ـ حومة بتطوان ـ 254 ـ 284 ـ 299 ـ 300
طنجة، ميناء مغربى فى شمال المغرب ـ 16 ـ 17 ـ 46 ـ 53 ـ 64 ـ 65 ـ 66 ـ 79 ـ 80 ـ 82 ـ 83 ـ 89 ـ 99 ـ 106 ـ 107 ـ 108 ـ 109 ـ 123 ـ 182 ـ 183 ـ 184 ـ 186 ـ 194 ـ 195 ـ 198 ـ 199 ـ 200 ـ 204 ـ 214 ـ 219 ـ 228 ـ 230 ـ 235 ـ 236 ـ 245 ـ 247 ـ 251 ـ 252 ـ 258 ـ 259 ـ 260 ـ 261 ـ 270 ـ 397 ـ 401 ـ 407 ـ
الطوابل من بساتين تطوان ـ 58
طولون، ميناء بجنوب فرنسا ـ 272

حـرف الظاء

ظاهر سبتة ـ ضواحيها 133

حرف الكـاف

كلية القرويين ـ 431
كيتان ـ من بساتين تطوان ـ 241 ـ 289 ـ 293 ـ 417 ـ 420

حرف الـلام

لكوس ـ نهر فى شمال المغرب ـ 148
لندن ـ عاصمة بريطانيا ـ 249
لوشة ـ مدينة بالاندلس ـ 81

ليدن ـ مدينة بهولندا ـ 43 ـ 65 ـ 67 ـ 69
ليون ـ مدينة بفرنسا ـ 264

حرف الميم

الماء الحايل ـ فى شمال المغرب ـ 327
مالطة، جزيرة فى البحر الابيض المتوسط ـ 395
مالقة، ميناء اندلسى على البحر الابيض المتوسط ـ 16 ـ 189 ـ 191 ـ 194 ـ 197 ـ 210
ماس الكبير، مرفأ فى شمال افريقيا ـ 186
متحف تطوان ـ 62
مجكسة، قبيلة بربرية كانت حول تطوان ـ 68 ـ 70
مجلس الشورى (البرلمان) الانجليزى ـ 222 ـ 225 ـ 226
المحكمة الشرعية بتطوان ـ 94
المحيط الاطلسى ـ 44 ـ 46 ـ 254 ـ 270
المدرسة الاهلية بتطوان ـ 9 ـ 19 ـ 51
مدريد، عاصمة اسبانيا ـ 44 ـ 188 ـ 189 ـ 196 ـ 230 ـ 231 ـ 293
مدنين، قرية فى الجنوب التونسى ـ 44
المدينة المنورة، 391 ـ 394 ـ 395
مراكش، عاصمة المغرب فى القديم ـ 17 ـ 32 ـ 33 ـ 44 ـ 45 ـ 46 ـ 47 ـ 70 ـ 76 ـ 81 ـ 82 ـ 106 ـ 134 ـ 151 ـ 152 ـ 153 ـ 160 ـ 176 ـ 178 ـ 179 ـ 200 ـ 202 ـ 246 ـ 286 ـ 411 ـ
المرة، من ضواحى تطوان ـ 309 ـ 316
مرج حسين، خارج تطوان ـ 288
مرنة الدريج، خارج تطوان ـ 294
مرسيليا، ميناء فرنسا على البحر الابيض ـ 264
مرسى موسى ـ بشمال المغرب ـ 68
مرشان، بطنجة ـ 260
مطامير الاسارى الاجانب بتطوان ـ 109
المطبعة المهدية بتطوان ـ 9 ـ 19
المطمر بتطوان ـ 92 ـ 103 ـ 290
مكة المكرمة ـ 391 ـ 394
المكتبة الملكية بباريس ـ 263
مكناس، عاصمة المغرب فى القديم ـ 17 ـ 20 ـ 33 ـ 46 ـ 82 ـ 99 ـ 106 ـ 131 ـ 134 ـ 140 ـ 178 ـ 271 ـ 367 ـ 369
الملاح البالى، حومة بتطوان ـ 102 ـ 103
الملاح، حارة اليهود بتطوان ـ 101 ـ 102 ـ 103 ـ 104
ملوية، نهر فى الشمال الشرقى بالمغرب ـ 243
مليلية، ميناء فى الشمال الشرقى بالمغرب ـ 46 ـ 89 ـ 186 ـ 245 ـ 258
منى، موضع قرب مكة ـ 394
المنجرة، حومة بتطوان ـ 73 ـ 101 ـ 294 ـ 295
المنطقة السلطانية ـ 47
المنطقة الخليفية ـ 47 ـ 258
منطقة الحماية الاسبانية (المنطقة الاسبانية) المغرب الاسبانى ـ 47
منطقة الحماية الفرنسية (المنطقة الفرنساوية) المغرب الفرنسى ـ 47
المنظر، حصن بالاندلس ـ 107
مصب واد مرتيل، نهر تطوان ـ 125 ـ 126 ـ 127
المصدع، موضع بتطوان، 101
مصر، بلاد فى الشمال الشرقى للقارة الافريقية ـ 32 ـ 42 ـ 52 ـ 65 ـ 106 ـ 182 ـ 301 ـ 345 ـ 361 ـ 391 ـ 393 ـ 395 ـ 412
المصلى القديمة، حومة بتطوان ـ 101 ـ 295

مصلى بـاب المقابر بتطوان ـ 58
مصمودة، فى شمال المغرب ـ 214
مصيف تطوان، 421
مضيق جبل طارق «فم المضيق» قرب سبتة ـ 207 ـ 209 ـ 213 ـ 217 ـ 222 ـ 224 ـ 226 ـ 228
مضيق سبتة ـ 67
المعمـورة (المهدية) ميناء مغربى على المحيط الاطلسى ـ 123 ـ 151 ـ 152 ـ 186 ـ 203 ـ 208 ـ 209 ـ 214 ـ 215 ـ 217 ـ 220 ـ 226 ـ 245 ـ 254 ـ 255 ـ 258 ـ 401 ـ 408
معسكر سلا ـ 212
المعهد العالى بتطوان ـ 9
المعهد الدينى بتطوان ـ 188
معهد مولاى الحسن بتطوان ـ 6
معهد فرانكو بتطوان ـ 87
معهد السوربون بباريس ـ 264
المغرب الادنى ـ 44
المغرب الاوسط ـ 44
المغرب الاقصى ـ 44 ـ 67
مقابـر تطوان ـ 201
مساجـد مصر ـ 393
المسجد النبوى بالمدينة المنورة ـ 394
المسجد الاعظـم بتطوان ـ 91 ـ 102
المسجد الاعظم بطنجة ـ 271
مسجد القصبة بطنجة ـ 271
مسجد حومة السويقة بتطوان ـ 72
مسجد سيدى بركة ـ السوق الفوقى ـ 362
مسجد بوخـلاد فى قبيلة بنى حزمر ـ 156
مسجد الشيخ يوسف الفاسى بفاس ـ 307
مستغانم، مدينة جزائرية شرق مدينة وهران ـ 391
مسرح سان جرمان بفرنسا ـ 262
المشرق ـ 73 ـ 145
المهدية ـ انظر المعمورة
الموانىء الانجليزية ـ 216
مونطى سانطو ـ قرب غرناطة 228
مينـاء تطوان ـ 120 ـ 125 ـ 187 ـ 188 ـ 189 ـ 223 ـ 248 ـ 250 ـ 251
ميناء قادس باسبانيا ـ 188
ميناء طولون بفرنسا ـ 264
ميناء برست بفرنسا ـ 262 ـ 264

حرف النون

نابولى، ميناء بايطاليا ـ 87
ناحية ـ نواحى ـ تطوان ـ 71 ـ 78 ـ 177 ـ 184 ـ 233
ناحية الريف ـ 126
الناحية الغمارية ـ 40
ناحية سبتة ـ 194
ناحية الهبط ـ 243
النجـف، مدينة فى غرب العراق ـ 257
النقاسسة، مدشر فى قبيلة بنى يدر الجبلية ـ 176
نهر لكوس ـ فى شمال المغرب ـ 62
نهر مجكسة، فى شمال المغرب ـ 15
نهر سبـو بالمغرب يصب فى المحيط ـ 62
نهر هليلة فى شمال المغرب ـ 15
نهر ورغة، ينبع من شمال المغرب ـ 62
نيابة الثقافة بتطوان ـ 309
النيارين ، شارع بتطوان ـ 330
النيل، نهر مصر العظيم ـ 392

حرف الصـاد

الصباغين بتطوان ـ 93
الصحراء الكبرى فى الجنوب المغربى ـ 44 ـ 243

صدينة، قرية بحوز تطوان ـ 68
الصعيد، صعيد مصر ـ 324
صقليــة، جزيـرة فى البحر الابيض المتوسط ـ 69
الصوير ـ السوير قرب تطوان ـ 162
الصويـرة، ميناء مغربى على المحيط 59

حرف الضاد

ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش ـ 160 ـ 200 ـ 369 ـ 374 ـ 403
ضريح الشيــخ على بركة 377
ضريح الشيخ على بن مسعود ـ 337
ضريح سيدى السعيـدى 397 ـ 422
ضريح سيدى بوحاجة ـ 397
ضريح سيــدى احمد الفيلالى بغمارة ـ 180
ضريح سيدى احمد الغزال بغمارة ـ 180
ضريح سيدى محمد البوزيدى بغمارة ـ 180
ضواحى تطوان ـ 58

حرف العيـن

العالم العربى ـ 41
العدوة، بساتين بتطوان ـ 294
عدوة الاندلس ـ 260
عـدوة القرويين بفاس ـ 67
العرائش، ميناء مغربى على المحيط ـ 46 ـ 83 ـ 88 ـ 99 ـ 123 ـ 126 ـ 148 ـ 151 ـ 179 ـ 180 ـ 182 ـ 183 ـ 185 ـ 214 ـ 228 ـ 230 ـ 235 ـ 245 ـ 246 ـ 255 ـ 258 ـ 398 ـ 399 ـ 401
العراق ـ 52 ـ 257
عين الجمارى، خارج تطوان ـ 293
العيون، حومة بتطوان ـ 283 ـ 284 ـ 287 ـ 289 ـ 290

حرف الغيـن

الغرب، اراضى بشمال المغرب، 67 ـ 178
غرناطـة، آخـر عاصمـة لاخر دولـة اسلاميــة عربية بالاندلس ـ 15 ـ 16 ـ 61 ـ 65 ـ 72 ـ 73 ـ 78 ـ 81 ـ 83 ـ 85 ـ 87 ـ 88 ـ 89 ـ 95 ـ 96 ـ 98 ـ 99 ـ 107 ـ 108 ـ 109 ـ 119 ـ 125 ـ 145 ـ 146 ـ 167 ـ 168 ـ 228 ـ 320 ـ 321 ـ 431
الغرسة الكبيرة بتطوان ـ 19 ـ 91 ـ 93 ـ 274
غرسة العدوة، خارج تطوان ـ 162
غمارة عدة قبائل جبلية بشمال المغرب 71 ـ 88 ـ 229
الغورية بمصر ـ 392
غوطة دمشق ـ 417

حـرف الفـاء

فالموث، ميـنـاء فى الجنوب الغربى لانجلترا ـ 216
فـاس ـ عـاصمـة العلـم والعمـل بالمغـرب ـ 15 ـ 16 ـ 17 ـ 33 ـ 38 ـ 41 ـ 42 ـ 46 ـ 48 ـ 49 ـ 50 ـ 53 ـ 55 ـ 65 ـ 67 ـ 69 ـ 71 ـ 77 ـ 79 ـ 81 ـ 82 ـ 87 ـ 90 ـ 95 ـ 97 ـ 106 ـ 120 ـ 121 ـ 122 ـ 127 ـ 128 ـ 129 ـ 130 ـ 132 ـ 134 ـ 144 ـ 145 ـ 147 ـ 148 ـ 149 ـ 150 ـ 151 ـ 152 ـ 154 ـ 166 ـ 167 ـ 168 ـ 176 ـ 178 ـ 179 ـ 180 ـ 182 ـ 185 ـ 191 ـ 192 ـ 195 ـ 200 ـ 202 ـ 204 ـ 205 ـ 208 ـ 214 ـ 229 ـ 235 ـ 237 ـ 238 ـ 242 ـ 243 ـ 253 ـ 257 ـ 258 ـ 259

ـ 260 ـ 268 ـ 273 ـ 274 ـ 279
ـ 280 ـ 281 ـ 286 ـ 307 ـ 309
ـ 316 ـ 321 ـ 322 ـ 324 ـ 337
ـ 339 ـ 340 ـ 348 ـ 349 ـ 356
ـ 357 ـ 360 ـ 380 ـ 386 ـ 401
ـ 411 ـ 412 ـ 423 ـ 427 ـ 430
ـ 431
فاس الجديد ـ 184 ـ 274 ـ 275
فج الفرس، موضع بشمال المغرب ـ 182 ـ 184 ـ 327
فحص سبتة، 133 ـ 232
الفحص، بلاد الفحص ـ بشمال المغرب ـ 180 ـ 184 ـ 235
فخير دى لا فرونطيرا باسبانيا ـ 118
الفدان، ساحة عمومية بتطوان ـ 104
309
الفردوس الاسلامى المفقود ، 83 ـ 88
فرنسا ـ 53 ـ 89
فم تطاوين، قرية بالجنوب التونسى 43 ـ 44
فندق النجار ـ 92 ـ 313
فيينا ـ عاصمة النمسا باوربا ـ 70

حرف القاف

قادس، ميناء اندلسى ـ 190 ـ 191
ـ 193 ـ 196 ـ 197 ـ 198 ـ 199
101 ـ 207 ـ 210 ـ 213 ـ 227 ـ
247 ـ 250
القاعة، سوق بتطوان ـ 274
قاع الحافة ـ حومة بتطوان ـ 101
ـ 294
قاع التوت، مكان بتطوان ـ 297 ـ
298
قاعدة بنى مرزوق بالجبل ـ 68
قاعدة بنى سكين بشمال المغرب 68 ـ 69
القاهرة بمصر ـ 65 ـ 392 ـ 395
قبائل تطوان، القبائل الجبلية ـ 40
53 ـ 176 ـ 255
القبائل الريفية، قبائل الريف بشمال المغرب ـ 40 ـ 42 ـ 146 ـ 255
قبائل غمارة بشمال المغرب ـ 140 ـ
180 ـ 255 ـ 271 ـ 316
قبيلة الاخماس بشمال المغرب ـ 329
قبيلة آيت يوسى بالبربر ـ 411
قبيلة بنى عروس بالجبل ـ 389
قبيلة بنى سعيد الجبلية ـ 256 ـ 324
ـ 325 ـ
قبيلة جبل حبيب بشمال المغرب ـ 68
قبيلة الحوز جنب تطوان، 68
قبة سيدى السعيدى ـ 322
قبة سيدى الجعيدى ـ 330
قبة سيدى بوكوارع ـ 201
قبة السلاطين بطنجة ـ 260
قرطبة، العاصمة الاندلسية 15 ـ 66 ـ
67 ـ 69 ـ 73
قرى الجبل بشمال المغرب ـ 90
قرية مردوش بالاندلس ـ 88
القطر الجزائرى ـ 391
القطر التونسى، 43
القطر الليبى ـ 44
القطر المصرى ـ 392
قلعة حجر النسر ـ 65
قلعة الكرار ـ 134
القلعة ـ قلعة محمد على بمصر ـ 393
القنا الكبير بتطوان ـ 307
قصبة تطوان ـ 76 ـ 93 ـ 94 ـ 157
ـ 242
قصبة الذيب بتطوان ـ 101 ـ 124
قصبة مرشان بطنجة ـ 271
قصبة الودايا بالرباط ـ 217
القصر الكبير ـ قصر كتامة ـ 46 ـ
ـ 82 ـ 99 ـ 120 ـ 182 ـ 200
ـ 204 ـ 214 ـ 235 ـ 236 ـ 328
القصر الصغير ـ قصر المجاز بشمال المغرب على بوغاز جبل طارق ـ 83
99 ـ 108 ـ 109
قصر المقيمية العامة بتطوان ـ 309

قصر فرساى بفرنسا ـ 262
قسنطينة، بالقطر الجزائرى، 45
القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية بالشرق ـ 159 ـ 161 ـ 162 ـ 392
قشتالة، اقليم اسبانى ـ 83
قوس السفاجين بتطوان ـ 91 ـ 92

حرف السين

ساحة الوسعة بتطوان ـ 93
ساحة الفدان بتطوان ـ 102 ـ 104 ـ 254
سان لوكار بالاندلس ـ 126
السانية، حومة بتطوان ـ 102 ـ 103 ـ 429
الساقية الفوقية بتطوان ـ 91 ـ 101
سبتة 16 ـ 38 ـ 46 ـ 63 ـ 64 ـ 65 ـ 66 ـ 67 ـ 69 ـ 70 ـ 72 ـ 73 ـ 74 ـ 75 ـ 78 ـ 79 ـ 80 ـ 82 ـ 83 ـ 89 ـ 98 ـ 99 ـ 107 ـ 108 ـ 109 ـ 115 ـ 117 ـ 120 ـ 123 ـ 126 ـ 130 ـ 131 ـ 132 ـ 133 ـ 134 ـ 135 ـ 149 ـ 160 ـ 161 ـ 167 ـ 175 ـ 176 ـ 177 ـ 186 ـ 189 ـ 190 ـ 191 ـ 195 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 206 ـ 207 ـ 209 ـ 210 ـ 214 ـ 219 ـ 226 ـ 228 ـ 230 ـ 233 ـ 236 ـ 242 ـ 243 ـ 244 ـ 271 ـ 273 ـ 274 ـ 275 ـ 325 ـ 399 ـ 400 ـ 406
سجلماسة، فى جنوب المغرب ـ 67 ـ 82 ـ 237 ـ 411
سجن تطوان ـ 274
سجن فاس ـ 81 ـ 274
سلا، مدينة مغربية على شاطىء المحيط ـ 17 ـ 32 ـ 46 ـ 82 ـ 123 ـ 145 ـ 151 ـ 182 ـ 208 ـ 210 ـ 211 ـ 212 ـ 214 ـ 215 ـ 216 ـ 217 ـ 218 ـ 219 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 225 ـ 226 ـ 228 ـ 229 ـ 231 ـ 254 ـ 261 ـ 262 ـ 275 ـ 286 ـ 337
سلوفية سيدى السعيدى بتطوان ـ 91 ـ 92
سمسة، مدشر بضواحى تطوان ـ 77
سواحل المغرب ـ 250
سواحل سوس ـ 83 ـ 123
سواحل اسبانيا ـ 82 ـ 125
سواحل الافرنج ـ 181
السودان 44 ـ 425
السوق الفوقى بتطوان ـ 101 ـ 102 ـ 103
سوق الحوت القديم بتطوان ـ 91 ـ 93 ـ 94
سوق البقالين بتطوان ـ 286
سوس ـ 99 ـ 151 ـ 152 ـ 204 ـ 268 ـ 411
السويقة، حومة بتطوان ـ 73 ـ 101 ـ 295
السوير (الصوير) اراضى زراعية قرب تطوان 290

حرف الشين

شاطىء البحر الابيض المتوسط ـ 325 ـ 391
شاطىء مرتيل ـ 16 ـ 89 ـ 90 ـ 100
شارع الخرازين بتطوان ـ 92 ـ 101
شارع المطامر ـ 94
شارع النيارين بتطوان ـ 103
شارع الصياغين ـ 92
الشام ـ 65 ـ 182 ـ 391
شانتى بتطوان ـ 104
شبريط، موضع قرب تطوان ـ 294
شرق الاندلس ـ 15
الشرق ـ 105 ـ 157
شرشال، بالقطر الجزائرى ـ 391
شمال المغرب، الشمال المغربى ـ 47 ـ 53 ـ 71 ـ 111 ـ 122 ـ 167 ـ 182 ـ 258 ـ 261 ـ 266 ـ 277

شمال افريقيا ـ 37
الشميس، موضع بشمال المغرب ـ 148
شفشاون ، مدينة جبلية بشمال المغرب ـ 46 ـ 62 ـ 90 ـ 114 ـ 118 ـ 119 ـ 122 ـ 128 ـ 149 ـ 156 ـ 160 ـ 166 ـ 322 ـ 339
شغوبيا، اقليم فى وسط اسبانيا ـ 293
شواطىء المغرب، الشواطىء المغربية ـ 166 ـ 186
شواطىء البربر بالمغرب ـ 214 ـ 216 ـ 224
شواطىء سلا ـ 216
شواطىء الافرنج ـ 166
الشواطىء الاسبانية، شواطىء اسبانيا 109 ـ 127 ـ 213

حرف الهـاء

الهند ـ 127
هولندا ـ 216 ـ 246 ـ 247

حرف الـواو

واد بوصفيحة، قرب تطوان فى طريق طنجة ـ 62
واد بهت، نهر فى وسط المغرب ـ 200
واد تطوان ـ 189
وادراس، قبيلة جبلية بين طنجة وتطوان ـ 68 ـ 176
واد كيتان، فى بساتين تطوان ـ 62
واد لو بقبيلة بنى سعيد الجبلية ـ 63 ـ 71 ـ 160 ـ 166
واد مجاز الحجر، فى بساتين تطوان ـ 62
واد مجـاز الحمارة ـ فى نهر تطوان ـ 62
واد مجاز الشطبة فى نهر تطوان ـ 62
واد مجكسة ـ اسم قديم بشمال المغرب ـ 68
واد المحنش فى نهر تطوان ـ 62
واد المخازن فى شمال المغرب ـ 83 ـ 130 ـ 425
واد مرتيل فى شواطىء تطوان ـ 62 ـ 82 ـ 395
واد المطيربة، فى نهر تطوان ـ 62
واد الصوير ـ السوير ـ فى نهر تطوان ـ 62 ـ 290
واد العدوة ـ بنهر تطوان 62
واد سبو، من اكبر انهار المغرب، يصب فى المحيط ـ 151 ـ 152
واد السد، فى نواحى مراكش ـ 134
وزان، مدينة جبلية فى شمال المغرب ـ 46
الوطية ـ حومة بتطوان ـ 102 ـ 309
وهران، ميناء جزائرى على البحر الابيض ـ 15 ـ 186 ـ 391

الفهرس الرابع

اسماء الامم والشعوب والجماعات

أجناس ـ دول ـ حكومات ـ عائلات

حرف الالف

آل افـرج ـ 16
آل بركـاش ـ 16
آل التازى ـ 16
آل الـزبيـدى ـ 16
آل المنظرى ـ 119
آل النقسيس ـ 16
آل غنام ـ 16
آل السويسى ـ 16
آل والزهراء ـ 16
ابناء المنصور السعدى ـ 186
الاتراك ـ 186 ـ 188 ـ 193 ـ 206 ـ 212 ـ 219 ـ 221 ـ 392
الاجانب ـ 245 ـ 401
الاجانب المحاربين ـ 107
احرار المغرب ـ 189
الادارسة ـ 66
ادباء المغرب ـ 401
ادباء فاس ـ 401
ادباء سوس وعلماؤها ـ 167
الامة المغربية ـ 89
الامراء العزفيين ـ 77
امراء المسيحية ـ 209
الانجليز، الشعب الانجليزى ـ 15 ـ 16 ـ 186 ـ 190 ـ 192 ـ 194 ـ 195 ـ 205 ـ 206 ـ 210 ـ 213 ـ 214 ـ 215 ـ 217 ـ 233 ـ 235 ـ 236 ـ 247 ـ 248 ـ 249 ـ 250 ـ 251 ـ 252 ـ 259 ـ 260 ـ 270 ـ 397
اندلسيو المغرب ـ 226 ـ 227
أندلسيو سلا ـ 227
أندلسيو تطـوان ـ 99 ـ 119 ـ 166 ـ 168 ـ 191 ـ 203 ـ 204 ـ 213 ـ 218 ـ 223 ـ 225 ـ 228
انصار الخضر غيلان ـ 244
اصحـاب المجاهد العياشى ـ 229 ـ 230 ـ 233 ـ 249 ـ 429
اصحاب افلمنك ـ 247
اصحاب الخضر غيلان ـ 235
اصحاب الشيخ بن عيسى ـ 308
اصحـاب الشيخ يـوسف الفاسى ـ 307 ـ 308 ـ 309 ـ 310 ـ 318 ـ 320 ـ 321 ـ 327
الافرنج ـ 83 ـ 85 ـ 87 ـ 97 ـ 100 ـ 123 ـ 146 ـ 160 ـ 166 ـ 174 ـ 180 ـ 181 ـ 182 ـ 186 ـ 202 ـ 253 ـ 254 ـ 258 ـ 261 ـ

الافريقيــون القدماء ـ 38
الاسبان (الاسبانيين) ـ 15 ـ 16 ـ
ـ 54 ـ 83 ـ 85 ـ 95 ـ 104 ـ 109
ـ 114 ـ 127 ـ 182 ـ 183 ـ 186
ـ 187 ـ 203 ـ 206 ـ 207 ـ 209
ـ 210 ـ 214 ـ 215 ـ 217 ـ 218
ـ 219 ـ 222 ـ 227 ـ 228 ـ 230
ـ 343 ـ 247 ـ 249 ـ 252 ـ 254
ـ 258 ـ 260 ـ 398
اسبان طنجة ـ 230 ـ 232 ـ 244
الاسارى المسلمين ـ 109 ـ 181 ـ 261
ـ 403
الاســارى الاندلسيين ـ 190 ـ 191
الاسارى التطوانيين ـ 188 ـ 190 ـ
192 ـ 193 ـ 194 ـ 195 ـ 196
الاسارى الانجليز ـ 187 ـ 188 ـ 190
ـ 191 ـ 192 ـ 193 ـ 194 ـ 197
ـ 204 ـ 206 ـ 208 ـ 209 ـ 250
اسارى الافرنج بتطوان 170
اسـرى الاجانـب «الافرنج» بالمغرب
ـ 92 ـ 108 ـ 109 ـ 114 ـ 115
ـ 119 ـ 131 ـ 403
الاسرائيليين ـ 88
اسود الريف ـ 99
اشياخ الفحص ـ 184
اشراف شفشاون ـ 156
اهل الاندلس (الاندلسيين) ـ 15 ـ
ـ 49 ـ 67 ـ 86 ـ 89 ـ 93 ـ 94
ـ 96 ـ 97 ـ 98 ـ 128 ـ 145 ـ 187
ـ 189 ـ 190 ـ 205 ـ 207 ـ 210
ـ 212 ـ 213 ـ 217 ـ 219 ـ 220
اهل بادية سبتة ـ 77
اهل بطوية ـ 150
اهل تارودانت ـ 273
اهـل تطوان ـ اهالى ـ سكان ـ
ـ 43 ـ 75 ـ 85 ـ 98 ـ 116 ـ 119
ـ 133 ـ 135 ـ 156 ـ 169 ـ 184
ـ 203 ـ 220 ـ 221 ـ 222 ـ 223
ـ 226 ـ 227 ـ 229 ـ 234 ـ 238
ـ 244 ـ 246 ـ 248 ـ 252 ـ 257
ـ 272
اهل تونس ـ 222
اهل جبـل علودان ـ 79
اهل الجزائر ـ 222
اهل الدلاء ـ 229
اهل الرباط، رباط الفتح ـ الرباطيين
17 ـ 227
اهل الـريف ـ 89 ـ 90 ـ 97 ـ 103
143 ـ 260
اهل طنجة ـ 270
اهل مراكش ـ 81
اهل مكناس ـ 150 ـ 151
اهل مصر ـ 392
اهل (اهالى) الصعيد 325 ـ 394
اهل غمارة 150 ـ 255 ـ 256 ـ 257
اهل الغرب ـ 148
اهل غرناطة، ـ 85
اهـل فـاس (الفاسيين) ـ 15 ـ 38
ـ 81 ـ 85 ـ 89 ـ 98 ـ 100 ـ
103 ـ 134 ـ 150 ـ 151 ـ 154 ـ
168 ـ 178 ـ 242 ـ 260 ـ 271 ـ
273 ـ 356
أهل الفحص 179 ـ 254 ـ 259 ـ 337
أهل القصر الكبير ـ 327
اهل سبتة ـ أهالى ـ 66 ـ 67 ـ 132
133 ـ 134 ـ 166 ـ 177 ـ 271 ـ
325
اهل السوس الاقصى ـ 373
اهل سلا ـ 222
اهل السنة والجماعة ـ 168
الاوربيين ـ 87 ـ 186
اولاد بن قريش ـ 323
اولاد بولليف ـ 181 ـ 185 ـ 253
اولاد بوردان ـ 129
اولاد الحاج بتطوان ـ 323
اولاد حسينو ـ 181

اولاد الدريج بتطوان وفاس ـ 362
اولاد الريفى ـ 259
اولاد الرموز ـ 234
اولاد مفضل ـ 244
اولاد مهدى ـ 316
اولاد النقسيس (المقدمين) ـ 173 ـ 174 ـ 175 ـ 177 ـ 187 ـ 190 ـ 191 ـ 194 ـ 195 ـ 201 ـ 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 214 ـ 218 ـ 220 ـ 221 ـ 222 ـ 223 ـ 226 ـ 228 ـ 231 ـ 232 ـ 233 ـ 235 ـ 236 ـ 237 ـ 238 ـ 240 ـ 242 ـ 243 ـ 244 ـ 245 ـ 246 ـ 247 ـ 248 ـ 249 ـ 250 ـ 252 ـ 259 ـ 273 ـ 274 ـ 275 ـ 315 ـ 323 ـ 365 ـ 425 ـ 426 ـ 428 ـ 429
اولاد الغازى ـ 292
اولاد فزاكة ـ 325

حرف البـاء

البحارة الانجليز ـ 248 ـ 250 ـ 251
بنى الاحمر ـ 90 ـ 99
بنى امية ـ 67
بنى حزمر ـ 97 ـ 176
بنى حسين بن نصر ـ 68
بنى خزر المغراويين ـ 67
بنى راشد ـ 90 ـ 119 ـ 122 ـ 128 ـ 149
بنى رزين ـ 140
بنى محمد بن القاسم ـ 66 ـ 67
بنى محمد بن صالح اليفرانيين ـ 67
بنى مرزوق بن عون ـ 68
بنى نصر بغرناطة ـ 88
بنى صالح ـ 97
بنى القاضى ـ 130
بنى سالم ـ 97
بنى وطاس ـ انظر ـ الوطاسيين
بنى سكين ـ 68
بنى وجفال ـ رهط حاميم المتنبى 68
بنى وطاس ـ آل وطاس ـ الوطاسيين ـ 146 ـ 147 ـ 149 ـ 150 ـ 151 ـ 152 ـ 154 ـ 165 ـ 168
بنى يدر ـ 176
برابرة الريف ـ 40
البربر ـ 42
البرتغال ـ البرتغاليين ـ البرطقيز ـ 15 ـ 16 ـ 99 ـ 108 ـ 109 ـ 113 ـ 114 ـ 119 ـ 120 ـ 123 ـ 125 ـ 156 ـ 170 ـ 181 ـ 207 ـ 209 ـ 247 ـ 251 ـ 252 ـ 254 ـ 308 ـ 425
برتغال سبتة ـ 109
برتغال الجديدة ـ 109
برتغال طنجة ـ 181 ـ 184 ـ 200 ـ
برغواطة ـ 67

حـرف التاء

التجار الانجليز بتطوان ـ 187 ـ 193
التجار الانجليز ـ 249 ـ 250 ـ 251
تجار لندن ـ 231
تجار بريسطول بانجلترا ـ 231
التجار الالمان بتطوان ـ 187
التجار الفرنسيين بالمغرب ـ 268
التجار الهولنديين ـ 247
التراجمة الاسبانيين بتطـوان ـ 175
الترك ـ 159

حرف الجيم

الجبليين ـ سكـان القبائل الجبلية قـرب تطوان ـ 40 ـ 55 ـ 93 ـ 98 ـ 109
الجلالقـة ـ 114
الجمعية الخيرية بتطوان ـ 58
جند ابن الاحمر ـ 108

الجغرافيين القدماء ـ 46
جيش المجاهدين ـ 270

حرف الحاء

الحجاج المغاربة ـ 392
حزب الاستقلال ـ 307
حكام تطوان ـ 222 ـ 224 ـ 226 ـ 228
حكومة المغرب ـ 165
الحكومة الانجليزية ـ 231 ـ 251
حكومة الجمهورية الاسبانية ـ 175
حكومة لاهاى ـ 248
حفدة الشيخ التبين ـ 73

حرف الخاء

الخلفاء العثمانيين ـ 105

حرف الدال

الدلائيين ـ 231 ـ 250
دولة آل عثمان ـ الدولة العثمانية ـ 52 ـ 159
الدولة الادريسية بالمغرب ـ 52 ـ 64
الدولة الاموية بالاندلس ـ 52
الدولة الاسلامية العربية بالاندلس ـ 167 ـ 168
دولة اسبانيا ـ 251
دولة بنى مرين ـ 107
الدولة العبيدية ـ 52
الدولة العلوية الشريفة بالمغرب ـ 237
الدولة السعدية ـ 125 ـ 127 ـ 188
الدولة الوطاسية ـ 107 ـ 123 ـ 125 ـ 165 ـ 166 ـ 270

حرف الذال

ذرية سيدنا عثمان بن عفان ـ 326

حرف الراء

رؤساء الاندلسيين فى مراكش ـ 217
رجال تطوان ـ 143
رجال القبائل الجبلية ـ 168
الركب البصرى بالحجاز ـ 394
الركب البغدادى بالحجاز ـ 394
الركب المصرى بالحجاز ـ 394
الركب المغربى بالحجاز ـ 394
الركب الشامى بالحجاز ـ 394
الركب اليمنى بالحجاز ـ 394
الرعايا الانجليز بتطوان ـ 190 ـ 231
الرعايا الفرنسيين بالمغرب ـ 269
الرهبان المبشرين بالمسيحية ـ 203
الروم ـ 52 ـ 148
الرومان ـ 64
الريفيين ـ اهل الريف ـ 98 ـ 146 ـ 148

حرف الكاف

الكنعانيين ـ 52

حرف الميم

مؤرخو الافرنج ـ 122
المجاهدين الريفيين ـ 253 ـ 254 ـ 255 ـ 258 ـ 259
مجلس امسطردام (بهولندا) ـ 248
مجاهدو تطوان ـ 123 ـ 132 ـ 166 ـ 173 ـ 176
المدجنين ـ انظر الموريسكوس
المرابطين ـ 45
ملوك اسبانيا ـ 52
ملوك الدانمارك ـ 226
ملوك الدولة الاموية ـ 52
ملوك الدولة العباسية ـ 52
ملوك الدولة العلوية ـ 233
ملوك زناتة ـ 67
ملوك الطوائف بالاندلس ـ 154 ـ 166

ملوك المغرب ـ 52
ملوك فارس ـ 52 ـ 166
الملوك السعديين ـ 125
ملوك اليونان ـ 52
مقدمو القبائل الجبلية ـ 232
مقدمو انجرة ـ 219
مساجين تطوان بفاس ـ 257
مسلمو الاندلس ـ 83 ـ 85 ـ 88 ـ 181 ـ 429
مشائخ فاس ـ 145
مشائخ غرناطة ـ 145
مهاجرو الاندلس الى المغرب ـ 61 ـ 85 ـ 87 ـ 90 ـ 93 ـ 96 ـ 97 ـ 98 ـ 99 ـ 100 ـ 102 ـ 103 ـ 133 ـ 168 ـ 182 ـ 227 ـ 232 ـ 305 ـ 429 ـ 431 ـ
مهاجرو غرناطة ـ 98
الموحدين ـ 45 ـ 71 ـ 72
الموريسكوس ـ المدجنين ـ 125 ـ 198 ـ 199 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 206 ـ 208 ـ 210 ـ 213 ـ 214 ـ 215 ـ 217 ـ 226 ـ 227 ـ 228

حرف النون

النصارى 52 ـ 64 ـ 88 ـ 97 ـ 117 ـ 132 ـ 148 ـ 149 ـ 160 ـ 161 ـ 162 ـ 179 ـ 183 ـ 185
نصارى طنجة ـ 259 ـ 260 ـ 270
نصارى سبتة ـ 132 ـ 133 ـ 177 ـ 184 ـ 406
النصارى الانجليز ـ 270
النصارى الفرنسيين ـ 272

حرف الصاد

صلحاء تطوان ـ 340
الصينيين ـ 52

حرف العين

عائلة ابن قريش ـ 278
عائلة بيسة الاندلسية ـ 298
عائلة تميم ـ 261
عائلة الجعيدى ـ 337
عائلة الدريج ـ 77 ـ 79
عائلة الرميرس الاندلسية ـ 298
العائلة العلوية الشريفة ـ 232
عائلة المنظرى ـ 101 ـ 122
عائلة مفضل ـ 244
عائلة النقسيس ـ 244
العالم الاسلامى ـ 27
العبيديون ـ 67
عبيد انجليزيين ـ 190
العثمانيين ـ 159
العرب ـ 64
العرب قبل الاسلام ـ 52
علماء الآثار ـ 62
علماء الازهر ـ 393
العلماء الاسبانيين ـ 62
علماء تطوان ـ 54
علماء مصر ـ 293
علماء العرب ـ 69
علماء فاس ـ 183
علماء الشرق ـ 83
العلوج ـ 148
عصبة اولاد النقسيس ـ 234
العساكر الاسبانيين ـ 83

حرف الفاء

فتيان فاس ـ 99
فراعنة مصر ـ 52
الفرنسيين ـ 222
فرسان غرناطة ـ 87 ـ 108
فقهاء فاس ـ 145

حرف القاف

القبائل الجبلية ـ 119 ـ 122 ـ 143
القبائل الريفية ـ 98

قضاة تطوان ـ 54 ـ 137 ـ 140
قراصنة البحر الابيض المتوسط ـ 268
القراصنة الاسبان ـ 215 ـ 216
القرصان ـ القراصنة ـ 186 ـ 187 ـ 189 ـ 195
القرصان الجزائريين ـ 125
القرصان الترك ـ 127
القرصان الانجليز ـ 224
القوط ـ 64

حرف السين

سبي سبتة ـ 134
سكان جبل طارق ـ 181
سكان المغرب ـ 45
سكان ناحية تطوان ـ 89
سكان القبائل الجبلية ـ 40 ـ 83 ـ 93 ـ 197
سكان القبائل الريفية ـ 40 ـ 42
سكان سبتة ـ 181 ـ 244
السعديين ـ 90 ـ 135 ـ 165 ـ 166 232 ـ 235

حرف الشين

شجعان الجبل ـ 99
الشرفاء الريسونيين ـ 55
الشرفاء البقاليين ـ 55
الشرقيين ـ 44 ـ 45
الشعب المغربى ـ 88
الشعب الانجليزى ـ 218
الشعب الاسبانى ـ 88
شيوخ الاندلس ـ 74
شيوخ تطوان ـ 104 ـ 156
شيوخ الطرق الصوفية ـ 55
شيوخ فاس ـ 50 ـ 426
شيوخ القرويين ـ 48

حرف الهاء

الهنود ـ 52

حرف الواو

الوطاسيين ـ 135

حرف الياء

اليهود ـ 52 ـ 203 ـ 204 ـ 206 ـ 207 ـ 208 ـ 209 ـ 214 ـ 219

الفهرس الخامس

أسماء الكتب المذكورة فى هذا المجلد

مؤلفات ـ دواوين ـ صحف ـ وثائق

حرف الالف

ابتهاج القلوب لابـى زيد الفاسى ـ 279 ـ 308 ـ 310 ـ 311 ـ 316
ـ 317 ـ 320 ـ 321 ـ 327 ـ 329
ـ 335 ـ 336 ـ 340
الاتحاف لابن زيدان ـ 20 ـ 31 ـ 33
الاحكام لابن العربى ـ 343
الاحياء للغزالى ـ 338 ـ 353
اختصار صحيحى البخـارى ومسلـم للتبيـن ـ 74
الاربعين النووية للامام النووى ـ 350
ـ 353 ـ 356
الارشيـف ماروكان ـ 52 ـ 62 ـ 64
ـ 83 ـ 88 ـ 99
ازهـار البستان لابن عجيبة ـ 280
ـ 341 ـ 349 ـ 358
ازهار الرياض للمقرى ـ 301
الاكتفاء للكـلاعى ـ 355
التماس البركة للقادرى ـ 360
التقاط الدرر للقادرى ـ 184 ـ 238 ـ
ـ 243 ـ 317 ـ 321 ـ 329 ـ 330
ـ 336 ـ 339 ـ 344 ـ 348 ـ 377
ألفيـة ابن مالك فى النحو ـ 350 ـ
352 ـ 354
ألفية العراقى فى الحديث ـ 377
الانجيل الاسبانى ـ 206
الانيس المطرب لابن الطيب العلمـى
ـ 349 ـ 350 ـ 381 ـ 382 ـ 383
384 ـ 386 ـ 389 ـ 416
الانيس المطرب القرطاس ـ لابن ابى زرع ـ انظر القرطاس
الاعلام لابن ابراهيم المراكشى ـ 32
33 ـ 75 ـ 76
الاعلام للزركلى ـ 69
الاعلام بمن غبر للفاسى ـ 279 ـ 345
اقتفـاء الاثـر ـ فهـرس ابـى سالم العياشى ـ 349 ـ 355
الاستبصار ـ 42 ـ 70 ـ 76
استنزال السكينة لابى زيد الفاسى
145
الاستقصا لابى العباس احمد بن خالد الناصرى ـ 32 ـ 37 ـ 39 ـ 42
ـ 64 ـ 67 ـ 71 ـ 76 ـ 80 ـ 82
ـ 89 ـ 109 ـ 121 ـ 123 ـ 124
ـ 132 ـ 174 ـ 177 ـ 179 ـ 170
ـ 182 ـ 184 ـ 185 ـ 227 ـ 235
ـ 236 ـ 238 ـ 242 ـ 243 ـ 253
254 ـ 257 ـ 259 ـ 270 ـ 271
ـ 273 ـ 412 ـ 414

حرف البـاء

بحث سرديرة فى اولاد النقسيس ـ البستان ـ 270
البيان المغرب ـ 43 ـ 65 ـ 67 175 ـ 236 ـ 237 ـ 242

حرف التـاء

تائية الشيخ الجعيدى ـ 331
التاج والاكليل للمواق ـ 145
تاريخ أبى الفدا ـ 52
تاريخ انريكى (هنرى) الثالث ـ 83
تاريخ تطـوان لابى محمد سكيرج ـ انظر نزهة الاخوان
تاريخ تطوان لابى العباس الرهونـي ـ انظر عمدة الراوين
تاريخ الدولة السعدية ـ 179 ـ 180 ـ 181 ـ 182 ـ 183 ـ 184 ـ 337
تاريخ الدولة الوطاسية ـ 146
تاريخ طنجة ـ 235
تاريخ محمد بن الطيب القادرى ـ 77
تاريخ المغرب لكاسطيانوس ـ 80 ـ 82 183
تاريخ عيسى بن حيون ـ 78
تآليف الاستاذ المختار السوسى فى سوس ورجالها ـ 167
تأليـف فـى الادعية والاذكار للفقيه الرافعـى التطوانى 390 ـ 408
تأليف فى القـراءات للفقيه الزياتى التطوانى ـ 341
تأليف فى أولاد الدريج بفاس وتطوان لابى الربيع الحوات 77 ـ 362
تأليف فى مناسك الحج للشيخ على بركة ـ 358
تأليف فى الرسائل للرافعى التطوانى ـ انظر ـ غرر المقاصد
تحفة الاخوان ـ 426
تحفة ابن عاصم ـ 350 ـ 352
«التكملة» ذيل لتاريخ تطوان لمحمد داود 29
تلخيص المفتاح ـ 354 ـ 356
تفسير القرآن ـ 402
تقريـر جون هاريسون الانجليزى ـ 218 ـ 224 ـ 226 ـ 227
تقرير جون سميت الانجليزى ـ 186 213
تقييد فى تاريـخ تطوان لابى حامد الفاسى ـ 59 ـ 97 ـ 109 ـ 191
تقييد قديم بتطوان ـ 274
التسهيل لابن مالك ـ 355
التوضيح لابن هشام ـ 344

حرف الجيم

جذوة الاقتباس لابن القاضى ـ 129
جريدة الاخبار لمحمد داود ـ 9
الجمل للمجراد ـ 316
جمع الجوامع لابن السبكى ـ 350 ـ 354
الجغرافية التونسية ـ 43
الجواهـر المختـارة ـ انظـر نوازل الزياتى
جوهـرة التوحيد ـ 345
الجيش العرمـرم ـ لابـى عبد الله أكنسوس ـ 235 ـ 238 ـ 242 ـ 254 ـ 273

حرف الحـاء

حاشية الشيخ على بركة على ابـى الحسن على الرسالة ـ 358
حاشية الشيخ على بركة على المكودى ـ 358 ـ 371
حاشية الرهونى على الزقانى ـ 281
حاشيـة العلمى على شرح الفشتالى لرسالة الماردينى ـ 372

حلية الفرسان لابى عبد الله النعاس القيسى ـ 99
حوالة جامع السوق الفوقى بتطوان ـ 377

حرف الدال

الدر المنتخب لابن الحاج ـ 273 ـ 383
درة الحجال ـ 41 ـ 129 ـ 140 ـ 157
درة الاحساب ـ 74
الدرر الحسان للشيخ على بركة ـ 358
دلائل الخيرات ـ 329 ـ 331 ـ 394 ـ 395 ـ 408
دليل مؤرخ المغرب الاقصى لابى محمد عبد السلام بن سودة ـ 146 ـ 155
دوحة الناشر ـ 41 ـ 117 ـ 118 ـ 120 ـ 121 ـ 124 ـ 140 ـ 144 ـ 146 ـ 155 ـ 156 ـ 167
ديوان ابن زاكور ـ انظر الروض الاريض
ديوان الرافعى التطوانى ـ 337 ـ 350 ـ 396 ـ 404 ـ 429
ديوان الشيخ ابىعلىاليوسى ـ 412 413

حرف الراء

الرحلة الحجازية للرافعى التطوانى ـ 312 ـ 350 ـ 390 ـ 391
الرحلة العياشية لابى سالم العياشى 349
رحلة الوزير ـ 405
رقم الحلل لابن الخطيب ـ 147
رسالة ابن ابى زيد ـ 76 ـ 354 ـ 356
رسالة ابى على اليوسى للسلطان مولاى اسماعيل ـ 411 ـ 414
الروض الاريض ـ ديوان ابى عبد الله ابن زاكور ـ 378 ـ 386 ـ 420
روضة المحاسن للشيخ المهدى الفاسى 317

حرف الزاى

زهر البستان لابن العياشى ـ 259 ـ 261 ـ 271

حرف الكاف

كبرى الشيخ السنوسى فى التوحيد 355
كتاب البيدق ـ 42 ـ 71
كتاب الدولة السعدية ـ 41
كتاب فى الرد على الطائفة الاندلسية لابن سلطان القسنطينى التطوانى ـ 157
كتاب العجائب للسفير الحاج محمد تميم التطوانى ـ 263
كتاب الفقيه التطوانى فىابن الخطيب السلمانى ـ 81
كتاب قواعد الاسلام ـ 74
كناش الفقيه ابن رحمون التطوانى ـ 59 ـ 95 ـ 224 ـ 230 ـ 232 ـ 233 ـ 258 ـ 336
كناش سيدى محمد افيلان ـ 270
كناش سيدى مفضل افيلال ـ 59
كناش الفقيه الرافعى ـ انظر مجموع
كناش قديم بتطوان ـ 86

حرف اللام

لا مارينا اسبانيولا ـ البحرية الاسبانية ـ 126
لامية الافعال لابن مالك ـ 336
لقطة الفرائد لابن القاضى ـ 43 ـ 128 ـ 133 ـ 140 ـ 397

حرف الميم

مجلة الاندلس باسبانيا ـ 118

مجلة افريقيا بسبتة ـ 175
مجلة موريطانيا بطنجة ـ 115
مجلة السلام لمحمد داود ـ 9 ـ 235
270
مجموع الفقيه الرافعى التطوانى ـ
259 ـ 271 ـ 367 ـ 380 ـ 390
ـ 427
مجموع الفقيه عبد الله شطير التطوانى
377
مجموع الفقيه سيدى المامون افيلال
ـ 358
مجموعة م هنرى دى كاسترى الفرنسى
ـ 120 ـ 178 ـ 186 ـ 187 ـ 188
ـ 190 ـ 192 ـ 194 ـ 212 ـ 213
ـ 221 ـ 229 ـ 231 ـ 233 ـ 246
ـ 247 ـ 248 ـ 249 ـ 251 ـ 272
ـ 275
مختصر ابن الحاجب ـ 355
مختصر تاريخ تطوان لمحمد داود ـ 8
مختصر الشيخ خليل ـ 350 ـ 352 ـ
354 ـ 356 ـ 392 ـ 397
مختصر السعد ـ 355 ـ 356
المخطوط التطوانى ـ 59 ـ 275
مخطوط قديم ـ 86 ـ 90 ـ 95 ـ 97
ـ 146
مخطوط الفقيه العطار ـ 58
مخطوط حرب تطوان ـ 59
مذكرات هنرى ماينوارينج ـ 187
مرآة المحاسن لابى حامد الفاسى ـ
ـ 42 ـ 90 121 ـ 143 ـ 307 ـ 315
ـ 316 ـ 329 ـ 939
مرآة الجنان ـ 75
ملوك فرنسا والمغرب، لشارل بنز ـ
262
ممتع الاسماع للمهدى الفاسى ـ 320
321 ـ 329
مناهل الصفا للفشتالى ـ 43 ـ 130
ـ 131 ـ 133 ـ 177 ـ
المنتقى المقصور لابن القاضى ـ 129
ـ 131
منظومة فى الفقه للشيخ على بركة
358
منهاج السلوك للشيخ التبين ـ 74
المعارج المرقية ـ انظر الرحلة الحجازية للرافعى
معجم ما استعجم للبكرى ـ 66
معجم المطبوعات لسركيس ـ 70
معيار الاختيار لابن الخطيب 81 ـ 82
المعيار للونشريشى ـ 145
المسالك والممالك للبكرى ـ 42 ـ 65
66 ـ 68
المشيشية ـ (صلاة) ـ 316
المواهب اللدنية ـ 392

حرف النون

نبذة العصر فى اخبار ملوك بنى نصر
ـ 88
النبوغ للعلامة الاستاذ عبد الله كنون
ـ 412
نزهة الاخوان لابى محمد سكيرج ـ
39 ـ 49 ـ 50 ـ 52 ـ 53 ـ 59 ـ
60 ـ 309
نزهة الافكار فى مناقب التبين والفخار ـ 74
نزهة الحادى لليفرانى ـ 41 ـ 48 ـ
180 ـ 182 ـ 183 ـ 184 ـ 185 ـ
270
نزهة المشتاق للادريسى ـ 41 ـ 69
نفح الطيب للمقرى ـ 42 ـ 182 ـ
183 ـ 301
النفحة المسكية ـ رحلة التمجروتى ـ
42 ـ 43 ـ 159 ـ 162
نهج الاذهان لسرديرة ـ 175
نوازل الشريف العلمى ـ 281

نوازل الزياتى (الجواهر المختارة) ـ
ـ 141 ـ 278 ـ 301 ـ 304 ـ 340
ـ 342
نشر ازاهـر البستان لابن زاكور ـ
ـ 348 ـ 351 363 ـ 370 ـ 378 ـ
384 ـ 389 ـ 391 ـ 416

نشر المثانى للقادرى ـ 159 ـ 182 ـ
ـ 183 ـ 184 ـ 243 ـ 257 ـ 259
ـ 261 ـ 309 ـ 312 ـ 316 ـ 321
ـ 329 ـ 330 ـ 338 ـ 339 ـ 341
ـ 348 ـ 349 ـ 358 ـ 377 ـ 416

حرف الصاد

صحيح الامام البخارى ـ 160 ـ 350 ـ
ـ 352 ـ 353 ـ 354 ـ 355 ـ 393
صحيح الامام مسلم ـ 350
صغرى الامام السنوسى ـ 353 ـ 354
صفوة من انتشر لليفرانى ـ 159 ـ
ـ 280 ـ 309 ـ 312 ـ 321 ـ 322
ـ 329 ـ 330 ـ 335 ـ 336 ـ 339
ـ 341 ـ 349 ـ 358 ـ 362 ـ 377
ـ 411 ـ 412

حرف العين

عائلات تطوان لمحمد داود ـ 79
العبـر لابـن خلـدون ـ 34 ـ 42 ـ
52 ـ 65
العرف العاطر للقادرى ـ 78
عروسة المسائل فى تاريخ بنى وطاس
146 ـ 147 ـ 154 ـ 168
عمدة الراوين لابى العباس الرهونى ـ
ـ 31 ـ 32 ـ 39 ـ 48 ـ 50 ـ 52
57 ـ 59 ـ 277 ـ 336
عناية اولى المجد ـ 339 ـ 349

حرف الغيـن

غرر المقاصد والمطالب ـ 390 ـ 405

حـرف الفاء

فتـح التأييد للحسن بن ريسون ـ
322 ـ 325

حرف القـاف

قاموس طبى ـ لليون الافريقى ـ 87
القرطـاس ـ لابن ابى زرع ـ 41 ـ
64 ـ 71 ـ 79
قـلائد العقيـان لابن خاقان ـ 140 ـ
363

حرف السين

السجل الوطنى الاسبانى ـ 115
السلم للاخضرى، فى المنطق ـ 354
السنن، للمواق ـ 145
سهم الاصابـة، فـى حكم طابة لابى
حامد الفاسى ـ 339
سلوة الانفاس ـ لابن جعفر الكتانـى
ـ 52 ـ 280 ـ 339 ـ 416 ـ 422

حرف الشين

شرح ابيات الشيخ انوار التطوانى
لابى حامد الفاسى ـ 321
شـرح الاجرومية للشيخ على بركة
ـ 358
شـرح الاكتفـا ـ لابـن عبد السلام
بنانـى ـ 348
شرح ألفية ابن مالك للمكودى ـ 358
شرح الامالى، لابى على القالى ـ 66
شرح تائيـة الجعيدى ـ لابى العباس
ابن عجيبة ـ 331 ـ 333 ـ 336
شرح جمع الجوامع للمحلـى ـ 350
353 ـ 354

شرح الخزرجية لابى عبد الله ابن زاكور ـ 350
شرح ديوان الحماسة لابى عبد الله ابن زاكور ـ 350
شرح لامية العرب لابى عبد الله ابن زاكور ـ 350
شرح نظم الذكاة لابى فارس الزياتى ـ 341
شرح قلائد العقيان، لابى عبد الله ابن زاكور ـ 350
شرف الطالب لابن الخطيب القسنطينى ـ 317
الشمائل للترمذى ـ 350 ـ 353 ـ 355
الشفا للقاضى عياض ـ 354

حرف الواو

وصف افريقيا، لليون الافريقى ـ 37 ـ 63 ـ 87 ـ 116
وصف افريقيا، لمارمول الاسبانى ـ 83 ـ 109 ـ 122

الفهرس السادس

للصور

رقم

1 – صورة سيدى محمد الخامس ملك المغرب المحبوب حفظه الله
2 – المؤلف محمد داود
3 – مؤلف الكتاب وكاتبا تقدمتيه الاستاذان بنونة والوزانى فى عهد الشباب
4 – الاصدقاء الثلاثة بعد تأليف هذا الكتاب
5 – المؤرخ التطوانى ابو العباس احمد الرهونى مؤلف «عمدة الراوين»
6 – المؤرخ المكناسى أبو زيد عبد الرحمن بن زيدان مؤلف «الاتحاف»
7 – المؤرخ المراكشى القاضى عباس بن ابراهيم مؤلف «الاعلام»
8 – منظر عام لمدينة تطوان وبعض ضواحيها
9 – قوس حجرى من بقايا «تمودة» الرومانية فى ضواحى تطوان
10 – منظر عام لبعض خرائب تمودة الرومانية
11 – منظر آخر لخرائب تمودة المخربة قبل الاسلام
12 – قبة الشيخ عبد القادر التبين من رجال تطوان فى القرن السادس
13 – قبة الشيخ ابى عبد الله الفخار من رجال تطوان فى القرن السادس
14 – قبة الشيخ ابى يعلى طلحة الدريج من كبار صلحاء تطوان
15 – مدفن الشيخ المجاهد ابى الحسن المنظرى الغرناطى مجدد بناء تطوان
16 – بعض الاسوار والابراج القديمة بتطوان .
17 – أحد الابراج التى بناها الاندلسيون المجددون لبناء تطوان

18 ـ أحد الابراج التى شيدت عند تجديد بناء تطوان فى القرن التاسع
19 ـ برج الحراسة الدائمة بتطوان، وهو من آثار المنظرى
20 ـ باب النوادر وبرجها الكبير فى الجهة الغربية من تطوان
21 ـ باب العقلة، فى الجهة الشرقية من مدينة تطوان
22 ـ ساحة الفدان السوق العمومى القديم بتطوان
23 ـ باب التوت، احد الابواب السبعة القديمة بتطوان
24 ـ منظر عام اخذ لتطوان من الجبل المشرف عليها
25 ـ منظر عام لوسط مدينة تطوان
26 ـ منظر عام لحومة العيون وبعض الجبال المجاورة لتطوان
27 ـ منظر عام لبعض القسم الشرقى من مدينة تطوان
28 ـ شارع الوسعة ـ داخل حومة البلد من مدينة تطوان
29 ـ الجانب الغربى من شارع السوق الفوقى بتطوان
30 ـ منظر قديم لمدخل شارع الطرافين بتطوان
31 ـ قطعة من شارع العيون بتطوان
32 ـ قبر المجاهد المقدم ابى العباس احمد بن عيسى النقسيس حاكم تطوان
33 ـ صورة المقدم الخضر غيلان المجاهد المغربى الكبير
34 ـ صورة سلطان المغرب مولاى رشيد بن الشريف العلوى
35 ـ صورة السلطان مولاى اسماعيل مفخرة المغرب والعائلة العلوية الشريفة
36 ـ الحاج محمد تميم قائد تطوان وسفير السلطان مولاى اسماعيل الى ملك فرنسا
37 ـ صورة رسالة بعثها مولاى اسماعيل الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا
38 ـ صورة رسالة بعثها قائد تطوان الى ملك فرنسا
39 ـ صورة رسالة بعثها قائد تطوان الى وزير فرنسا
40 ـ منظر قديم لمدينة طنجة فى عهد الاحتلال البرتغالى
41 ـ صورة عامة لمدينة طنجة فى عهد الاحتلال الانجليزى والحصار المغربى

42 – صورة اخرى لطنجة اثناء احتلال الانجليزيين لها
43 – صورة رسم عدلى كتب بتطوان فى القرن الحادى عشر
44 – نموذج من الرسوم الشرعية بتطوان فى القرن الحادى عشر
45 – صورة باب الزاوية الفاسية فى حومة العيون بتطوان
46 – باب الزاوية الناصرية فى حومة البلد بتطوان
47 – ازاوية سيدى السعيدى قرب باب السعيدة بتطوان
48 – باب زاوية سيدى السعيدى بتطوان
49 – باب زاوية سيدى على بن مسعود الجعيدى بتطوان
50 – باب زاوية سيدى الحاج على بركة فى السوق الفوقى بتطوان
51 – محراب زاوية الشيخ على بركة عالم تطوان وصالحها
52 – ضريح الشيخ على بركة الاندلسى التطوانى
53 – مزارة زاوية الشيخ الحاج على بركة فى شارع السوق الفوقى بتطوان
54 – محمد داود بعد الفراغ من تأليف كتابه «تاريخ تطوان» وطبع المجلد الاول منه

الفهرس السابع

لمراجع هذا المجلد من الكتب والدواوين والمستندات وغيرها

من المعلوم اننا ـ ولو لم نستثن مدينة فاس ـ نجد ان المطابع الى الآن لم تخرج لقراء العربية اى كتاب كامل عن تاريخ اية مدينة من مدن المغرب، كما اننا لا نعرف انه ألف كتاب خاص مستوف لتاريخ المدن المغربية، فالذى يريد ان يؤلف او يكتب عن مدينة او ناحية خاصة بوطننا المغربى، لا يجد بين يديه كتابا يشفى غليله ويمكنه الاكتفاء به عما عداه، بل عليه ان يبحث هنا وهناك ، وينقل ما يعثر عليه مبعثرا فى الكتب والاوراق ومختلف المستندات، وأحيانا يضطره الحال لسؤال الشيوخ العارفين، والنقل من أفواه المطلعين، وخصوصا منهم المسنين .

وتاريخ تطوان من هذا القبيل، فقد طالعت لجمعه ما لا يخطر بالبال من المراجع والاوراق والمستندات، وسأثبت فى هذا القسم نيفا وستين من المراجع التى استفدت ونقلت منها لتحرير هذا المجلد بالخصوص، وبعضها نقلت منه كثيرا، والبعض الآخر نقلت منه قليلا، ودونك اسماءها مع نبذة عنها وعن مؤلفيها وبيان المخطوط منها والمطبوع

1 - **ابتهاج القلوب** ـ بخبر الشيخ ابى المحاسن وشيخه المجذوب، لابى زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى المتوفى بفاس سنة 1196 وهو مجلد كبير لم يطبع ومنه نسخة جيدة كاملة فى الخزانة الداودية بتطوان، وقد نقلت ما فيه عن تراجم اصحاب الشيخ يوسف الفاسى من أهل تطوان

2 - **الارشيف ماروكان** ـ ARCHIVES MAROCAINES PARIS 1904 - 1934

وهى نشرة صدر منها عن باريس 33 عددا من سنة 1904 الى سنة 1934، وقد نقلت منها فى أماكن عديدة .

3 - **أزهار البستان** ـ فى طبقات الاعيان، لابى العباس احمد بن عجيبـة المتوفى سنة 1224، وضريحه فى قبيلة انجرة القريبة من تطاوان، وهو كتاب لم يطبع، وقد نقلت منه فى عدة تراجم لرجال تطوان

4 - **التقاط الدرر** ـ لابى عبد الله محمد بن الطيب القادرى (1187) وقد تكلمت عليه فى صفحة 317 ونقلت منه فى تراجم عديدة

5 - **الانيس المطرب** ـ فيمن لقيته من ادباء المغرب، لابى عبد الله محمد ابن الطيب العلمى المتوفى بمصر سنـة 1134 وهو مجلد طبع بفاس سنة 1305 وقد نقلت منه مرارا عديدة

6 - **الاعلام بمن غبر** ـ لابى محمد عبد الله الفاسى، وهو مخطوط تكلمت عليه فى ص 279 و 345 ونقلت منه فى بعض التراجم

7 - **الاعـلام بمن حل مـراكش واغمات من الاعلام** ـ للقـاضى عباس ابن ابراهيم المراكشى المتوفى بمراكش سنـة 1378 هـ 1959 م وقد تكلمت عليه وعلى مؤلفه فى ص 33 ونقلت منه فوائد .

8 - **الاعـلام** ـ لمعاصرنا الاديب الكبير خير الدين الزركلى وهو قاموس تراجم طبع اولا بمصر فى ثلاثة اجزاء سنة 1345 ـ 1347 هـ ـ 1927 ـ 1928 م. ثم بلغنى انه طبع ثانيا فى اثنى عشر جزءا، وقد نقلت منه فى بعض التراجم

9 - **الاستبصار، فى عجائب الامصار** ـ وقد تكلمت عليه فى طرة ص 70 ونقلت منه ايضا فى وصف حالة تطوان فى القرن السادس

10 - **استنزال السكينة** ـ لابى زيد الفاسى، وهو جـزء مخطوط تكلمت عليه فى طرة ص 145، وقد نقلت منه فى بعض التراجم

11 - **الاستقصا،** فى اخبار المغرب الاقصى، لابى العباس احمد بن خالد الناصرى السلوى المتوفى سنة 1315 وقد تكلمـت عليه وعلـى مؤلفه فى ص 32 ونقلت منه فى اماكـن كثيـرة .

12 - **بحث سرديرة** ـ فى اولاد النقسيس، وهو منشور فى مجلة افريقيا A F R I C A وقد تكلمت عليه وعلى مؤلفه فى ص 175 ـ ونقلت منه عدة مرات

13 - **البحرية الاسبانية فى القرن السادس عشر** ـ LA MARINA ESPAÑOLA EN EL SIGLO XVI. - Don Francisco de Benavides, Cuatralvo de las Galeras de España, por Ignacio BAUER LANDAUER. - Madrid 1921
طبع بمدريد باللغة الاسبانيــة سنة 1921 وقد نقلــت منه عند الكلام على بعض حوادث تطوان فى القرن المذكور الموافق للقرن العاشر للهجرة

14 - **البيان المغرب** ـ لابن عذارى المراكشى، وقد تكلمت عليه فى ص 67 ونقلت منه ايضا .

15 - **تاريخ ابن خلدون** ـ واسمه «العبر» وقد تكلمت عليه وعلــى مؤلفه فى ص 65، ونقلت منه فى بعض المناسبات

16 - **تــاريخ الدولــة السعديــة** ـ «مؤلفه مجهول» وقد طبع برباط الفتح سنة 1353 ونقلت منه فى عدة اماكن .

17 - **تاريخ المغرب** ـ لمنويــل كاسطيانوس الراهــب الاسبانى واسمه Historia de Marruecos وقد تكلمت عليه فى ص 82 ونقلت منه فى عدة محلات

18 - **تأليف فى الادعية والاذكار** ـ لابى عبد الله الرافعى التطوانى وهو مخطوط استفدت منه وتكلمــت عليه فــى ص 408

19 - **تأليف فى أولاد الدريج** ـ بفــاس وتطــوان، لابى الربيع سليمان الحوات، وهو جزء مخطوط بالخزانة الداودية، وقد نقلت منه فى ترجمة الشيخ ابى يعلى طلحة الدريج دفين تطوان .

20 - **تحفة الاخوان** ـ ببعض مناقب شرفاء وزان، وهــو جزء طبع بفاس، سنة 1324 وقد استفدت منه عند الكلام على تطوان من الناحية العلمية فى ص 426

21 - **تقييد صغير** عن تاريخ بناء تطوان لابى حامد الفاسى وقد نقلته من كناش ابن رحمون التطوانى واستفدت منه ونقلــت منــه عند الكلام على تجديد بناء هذه المدينة .

22 - **الجغرافية التونسية** للمختار السمــاوى ومحمــد كمون، وهو جــزء طبع بتونس سنة 1345 هـ 1927 م. وقد نقلت منه عند الكلام على سمية تطوان وهى تيطاوين المدينة الواقعة فى الجنــوب التــونسى

23 - **الجواهر المختارة**، فيما وقفت عليه من النوازل بجبل غمارة ـ «نوازل الزياتى» لابى فارس عبد العزيز الزياتى المتوفى بتطوان سنة 1055. وقد تكلمت عليه فى ص 342 وترجمة مؤلفه فى ص 341. وقد نقلت منه فى اماكن عديدة وهى مخطوطة جيدة بالخزانة الداودية .

24 - **الجيش العرمرم** ـ لابى عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المتوفى بمراكش سنة 1294. وهو مجلد طبع بفاس سنة 1336 وقد نقلت منه فى عدة اماكن

25 - **حاشية على شرح المكودى** لالفية ابن مالك، للشيخ على بركة وترجمته فى ص 347 وقد تكلمت عليها فى ص 358 ونقلت منها فى ترجمة مؤلفها

26 - **حاشية العلمى** على شرح الفشتالى لرسالة الماردينى وهى مجلد طبع بفاس فى العقد السادس من هذا القرن وقد نقلت منها فى ترجمة الشيخ على بركة .

27 - **حلية الفرسان** ، وشجاعة الشجعان، لابى عبد الله النعاس القيسى، وهو مخطوط فى الخزانة المنونية بمكناس، وقد استفدت منه ونقلت بعض الفوائد .

28 - **حوالات مساجد تطوان** وزواياها، مسجد السوق الفوقى، وزاوية سيدى السعيدى، وزاوية سيدى على بن مسعود، وغيرها وهى مخطوطات عهدى بها فى وزارة الاحباس بتطوان حينما كان المغرب تحت الحمايتين الاجنبيتين لا اعادهما الله

29 - **درة الحجال**، فى غرة اسماء الرجال، لابى العباس احمد ابن القاضى المتوفى بفاس سنة 1025 وقد طبع فى مجلدين بالرباط سنة 1334 هـ 1936 م وقد نقلت منه فى بعض التراجم

30 - **الدرر الحسان** ، للشيخ علي بركة التطوانى، وهو مخطوط تكلمت عليه فى ص 358 (1) ونقلت منه فى ترجمة مؤلفه

---

1) المرجو من القارىء المعتنى بالتحقيق والتدقيق، ان يشطب على كلمة ـ الخطب ـ ويكتب بدلها ـ الحسان ـ فى سطر 22 من ص 358 من هذا المجلد

31 - **الدر المنتخب** المستحسن، فى مآثر اميــر المومنين مولانا الحسن ، لابى العباس احمد بن محمد ابن الحاج المتوفى بفاس سنة 1315 وهــو مخطـوط فى عدة مجلدات كبار تكلمت عليه فى ص 383 ونقلت منه مرارا

32 - **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** ـ لابى محمد عبد السلام بــن سودة حفظه الله وقد طبع بتطوان سنة 1363 هـ 1950 م وقد نقلت منه واستفدت

33 - **دوحة النـاشر** ـ لابى عبد الله محمد بن عسكر المتوفى سنة 986 وهو مطبوع بفاس سنة 1309، وقد نقلت منه فى تراجم عديدة .

34 - **ديوان ابى على اليوسى** ـ المتوفــى سنة 1102، وقد طبع بفاس فى فى العقد الرابع من هذا القرن، ونقلت منه عند الكلام على زيارات مؤلفه لتطوان

35 - **ديوان ابن زاكــور** ـ وهو ابو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكــور الفاسى، وقد تكلمت عليه فى ص 416 ونقلت منه فى عدة اماكن

36 - **ديوان ابى عبد الله الرافعى** ـ وقد تكلمت عليه فى ص 396 وعلى مؤلفه فى ص 390 ونقلت منه فى ترجمة صاحبه وفى غيرها .

37 -**زهر البستان** ـ فى نسب اخوال سيدنــا زيــدان لابــى عبد الله ابن العياشى المتوفى سنة 1139 وهو فــى جزء مخطــوط بالخزانة الداودية فى نحو مائة وخمسين صفحة، وقد تكلمت عليه وعلى مؤلفه فى ص 259 ونقلت منه عند الكلام على حصار طنجــة ثم عند احتلالهــا .

38 -**كتاب البيدق** ـ وهو كتاب المهدى بن تومــرت الخ. وقد تكلمت عليــه فى ص 71. ونقلت منه بعض حوادث تطوان فى القرن السادس .

39 - **كناش بن رحمون** ـ لصاحبه الفقيه الشريف سيدى التهــامى بن محمد بن رحمون التطوانى، وهو مخطوط ذكرته فى ص 59 ـ 95 ونقلت منــه عدة فوائد تاريخية .

40 - **كناش سيدى محمد بن الهــاشمى** افيــلال ـ المتوفى بتطوان سنة 1264 وهو مجلد كبير كتبه بخطه وضمنه فوائد علمية وتاريخية وادبيــة، وقد نقلت منه عدة فوائد .

41 - **لقطة الفرائد** ـ لابى العباس احمد بن القاضى السابق الذكر، وهو مخطوط فى الخزانة السودية بفاس ، وقد نقلت منه فى عدة مناسبات .

42 - **مجموع الفقيه الرافعى التطوانى** ـ وهو مخطوط بتطوان، ويحتوى على مؤلفاته الثلاثة المذكورة فى ترجمته، ص 390 مع فوائد زائدة على ذلك ، وقد نقلت منه فى عدة مناسبات .

43 - **مجموع الفقيه شطير** ـ المتوفى بتطوان فى العقد الثانى من القرن الثانى عشر واسمه «نضار الاصيل» وهو مخطوط بقلم مؤلفه فى الخزانة الداودية بتطوان وقد نقلت منه بعض التواريخ .

44 - **مجموعة م. هنرى دى كاسترى** البحاثة الفرنسى واسمها
LES SOURCES INÉDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC PAR LE COMTE HENRY DE CASTRIES
وهى مجموعة فى بضعة عشر مجلدا ضخما تحتوى على نصوص وثائق مغربية وافرنجية من فرنسا واسبانيا وانجلترا والبرتغال وهولندا الخ. وقد استفدت منها ونقلت فى هذا المجلد وغيره .

45 - **مخطوطات تطوانية** مختلفة ذكرت اسماؤها فى فهرس الكتب.

46 - **مرآة المحاسن** ـ لابى حامد العربى بن يوسف الفاسى المتوفى بتطوان سنة 1052 وهو جزء طبع بفاس وفيه التعريف بالشيخ ابى المحاسن الفاسى وعدد من العلماء ، وقد نقلت منه فى اماكن عديدة .

47 - **ملوك فرنسا والمغرب** ـ لشارل پنز، طبع بالدار البيضاء فى جزءين سنة 1945 – 47 CHARLES PENZ LES ROIS DE FRANCE ET LE MAROC
وقد تكلمت عليه ونقلت منه فى صفحة 262 الخ .

48 - **ممتع الاسماع** ـ فى ذكر الجزولى والتباع، لابى عيسى المهدى بن احمد الفاسى المتوفى سنة 1109، وهو جزء مطبوع بفاس سنة 1313، وقد نقلت منه فى بعض التراجم .

49 - **مناهل الصفا** ـ لابى فارس عبد العزيز الفشتالى، وهو جزء مختصر مخطوط فى الخزانة الكنونية بطنجة، وقد نقلت منه بعض حوادث عصره

50 - **المنتقى المقصور** ـ على مآثر خلافة المنصور، لابى العباس احمد بن القاضى، وهو مخطوط طُبع بعضه بفاس، وقد نقلت منه فى ترجمة مؤلفه .

51 - **المعارج المرقية** ـ فى الرحلة المشرقية الحجازية، لابى عبد الله محمد ابن على الرافعــى التطوانى، وهى محفوظة فى الخزانة الداودية بتطوان، وقد تكلمت عليها ونقلت ملخصها فى ترجمة مؤلفهــا ص 391

52 - **المسالك والممالك** ـ لابى عبيد البكرى الاندلسى، وهو كتاب طبع بالجزائر سنة 1911. وقد تكلمت على مؤلفه فى ص 66 ونقلت منه مرارا

53 - **نبذة العصر** ، فى اخبار ملوك بنى نصر، وهو جزء طبع بالعرائش سنة 1940، وقد نقلت منه عند الكلام على انتقال الاندلسيين الى تطوان

54 - **نزهة الاخوان** ـ لابى محمد عبد السلام بن احمد سكيرج التطوانى المتوفى سنة 1250 وقد تكلمت عليه وعلى مؤلفه بتوسع فى ص 48 ونقلت منــه فى عدة اماكن .

55 - **نزهة الحادى** ، بأخبار ملوك القــرن الحادى، لابى عبد الله محمد اليفرانى المراكشى المتوفى سنة 1140، وقد نقلت منه فى عدة **اماكن وخصوصا** عند الكلام على الشيخ السعــدى الذى قتــل قرب تطوان

56 - **نزهة المشتاق** ، فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى وهو مجلد طبع بليدن سنة 1885 م. وقد تكلمت عليه وعلى مؤلفه فى ص 69 ونقلت منه ايضا

57 - **النفحــة المسكية،** فى السفارة التركية، لابى الحسن على الجزولى التمجروتــى المتوفــى بمراكــش سنــة 1003 وقــد تكلمــت عليها فى ص 119 ونقلت منها وخصوصا عند الكلام على زيارة مؤلفها لتطوان .

58 - **نشر ازاهر البستان،** فيمن اجازنى بالجزائر وتطوان، لابى عبد الله ابن زاكور الفاسى، وقد طبع بالجزائر سنة 1319 هـ 1902 م. وقد تكلمت عليه فى ص 416 ونقلت منــه كثيــرا .

59 - **نشر المثانى** ، لاهل القرن الحادى عشر والثانــى ، لابــى عبد الله محمد بن الطيب القادرى المتوفى سنة 1187، وهو مجلد كبير طبع بفاس سنة 1310 وقد نقلت منه كثيرا

60 - **صفوة من انتشر** ، من اخبــار صلحاء القرن الحــادى عشر، لابــى عبد الله محمد الصغير اليفرانى، وهو مجلد طبع بفاس وقد نقلت منه مرارا

61 - **عمدة الراوين** ـ لابـى العباس احمـد بن محمد الرهونى المتوفى بتطوان سنة 1373 هـ 1953 م وهو مخطوط تكلمت عليه وعلى مؤلفه باسهاب فى ص 50 .

62 - **عناية اولى المجد** ـ لابى الربيع سليمان بن محمد العلوى، وقد طبع بفاس سنة 1347 نقلت منه فى بعض التـراجم

63 - **غرر المقاصد المطالب** ـ للفقيه الرافعى التطوانى، وهو مخطـوط تكلمت عليه فى ص 405 ونقلت منه فى ترجمة مؤلفه

64 - **فتح التأييد** ، لابى على الحسن بن ريسون وهو مخطوط بتطـوان وقد استفدت ونقلت منه وتكلمت عليه وعلى مؤلفه فى ص 322

65 - **القرطاس** ـ لابن ابى زرع، وباسم القرطاس اشتهر، واسمه الكامل الانيس المطرب بروض القرطاس، فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس(1) وهو مجلد طبع بفاس، وقد تكلمت عليه فى ص 64 ونقلت منه فى عدة مناسبات.

66 - **سلوة الانفاس** ، ومحادثة الاكياس، فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لابى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى المتوفى بفاس سنة 1345 وقد طبع بفاس فى ثلاثة اجزاء سنة 1316 ونقلت منه فى عدة تراجم

67 - **شرح تائية الشيخ الجعيدى** ـ لابى العبـاس ابـن عجيبة، وهـو مخطوط فى الخزانة الداودية، وقد نقلت منه فى ترجمة الشيخ المذكور

68 - **وصف افريقيا لليون الافريقى** ـ الحسن الوزان الاندلسى ـ المغربى وقد تكلمت عليه فى ص 37 ـ 63 ـ 87 ـ ونقلت منه فى عدة مناسبات

69 - **وصف عام لافريقيا** ـ باللغة الاسبانية ـ تأليف لويس ديل مارمول كاربخال الاسبانى DESCRIPCION GENERAL DE AFRICA. POR LUIS DEL MÁRMOL CARVAJAL ثلاثة اجزاء طبع الاولان منها فى غرناطة سنة 1573 والثالث فى مالقة سنة 1599 وقد تكلمت عليـه وعلـى مؤلفـه فى ص 109

1) الناس يفضلون الاسم المكون من كلمة واحدة على المكون من احدى عشرة كلمة ـ هو اصطلاح، ولا مشاحاة فى الاصطلاح

المجلد الثاني من هذا الكتاب

وهـو فى مثـل حجم المجلـد الاول

مـن محتـويـاتـه :

(الباب الخامس) تطوان فى القرن الثانى عشر
ولاة تطوان وحوادثها فى هذا القرن
فتح مدينة العرائش
فتح مدينة اصيلا
نصوص بعض رسائل بين ملكى المغرب وفرنسا
حصار المسلمين لسبتة
فتح حصن بادس بالريف
عبيـد البخـارى بتطوان
حالـة القائد علـى بن عبـد الله بتطـوان
ولايـة الباشـا احمـد بتطـوان
سفـارة انجليزيـة بتطـوان
معاهدة بين المغرب وانجلترا عـام 1133 هـ 1721 م
ثورة الجبليين ضد الباشا احمد
قيام اهل تطوان ضد الباشا احمد
عزل الباشا احمد وتولية الباشا بوشفرة بتطوان
سفير تطوانى بين المغرب وانجلترا
مبعوث ملـك انجلتـرا الى ملـك المغـرب بتطوان
معركة «عيطة السبت» بين اهـل تطـوان والباشـا احمد
ولاية الحاج عمر لـوقش على تطـوان

موقف تطوان والباشا احمد من اضطرابات المغرب
بين الباشا احمد والسلطان المستضيء
زحف الباشا احمد على فاس لاحتلالها
هزيمة الباشا احمد وقطع رأسه وتعليقه على باب فاس
السلطان يدخل طنجة ويستولي على كنوز الباشا احمد بها
ولاية القائد محمد تميم بتطوان
السلطان يقتل وفد طنجة
قتل القائد تميم بتطوان
ولاية القائد محمد لوقش
بناء اسوار تطوان
قراصنة تطوان يقدمون الاسارى للسلطان
ولاية القائد عبد الكريم بن زاكور على تطوان
ولاية الحاج محمد عاشر
سفارة رسمية بتطوان
سفير من تطوان الى تركيا
حصار مدينة مليلية
سفير تطواني آخر الى تركيا
انعام على الانجليز من سلطان المغرب
السلطان يودع امواله بتطوان
من مداخيل تطوان في عهد السلطان محمد بن عبد الله
منشدو تطوان بين يدي السلطان بالرباط

المجلدات السبعة

الباقية من هذا الكتاب

هذا الكتاب فيه ثمانية مجلدات :

المجلد الاول، هو هذا المطبوع الذى بين يديك

المجلد الثانى ، يحتوى على الفصل الاول من الباب الخامس، فى ولاة تطوان وحوادثها فى القرن الثانى عشر .

المجلد الثالث ، يحتوى على الفصل الثانى من الباب الخامس ، فى قضاة تطوان وعدولها فى القرن المذكور .

الفصل الثالث فى تراجم رجال تطوان كذلك ،

الفصل الرابع فى زوار تطوان كذلك ،

الفصل الخامس ، ملخص عن حالة تطوان كذلك ،

على الفصل الوحيد من الباب السادس ، فى ولاة تطوان وحوادثها من عام 1201 الى 1276

المجلد الرابع ، وكله عن حرب المغرب واسبانيا عام 1276 هـ 1860 م ويحتوى على الباب السابع ، وفيه مقدمة وستة فصول :

الفصل الاول ، فيما قبل اعلان الحرب بين المغرب واسبانيا

الفصل الثانى ، فيما بين اعلان الحرب وابتداء القتال

الفصل الثالث ، فيما بين ابتداء القتال واحتلال تطوان

الفصل الرابع ، فيما بين احتلال تطوان وعقد الصلح

المجلد الخامس ، وكله ايضا عن الحرب المذكورة ، وفيه :

الفصل الخامس من الباب السابع ، فيما بين عقد الصلح والجلاء عن تطوان

الفصل السادس ، فى ابحاث مختلفة عن هذه الحرب.

المجلد السادس ، وفيه الباب الثامن ، تطوان بعد حرب الستين وفيه خمسة فصول

الفصل الاول فى ولاة تطوان وحوادثها من عام 1278 الى 1300 هـ.

الفصل الثانى ، فى قضاة تطوان وعدولها ووثائقها فى القرن الثالث عشر

الفصل الثالث ، فى التصوف والشيوخ بتطوان كذلك

الفصل الرابع ، فى تراجم رجال تطوان كذلك .

الفصل الخامس ، ملخص عن احوال تطوان كذلك

المجلد السابع ، وفيه الباب التاسع ، تطوان فى القرن الرابع عشر وفيه خمسة فصول :

الفصل الاول ، فى ولاة تطوان وحوادثها من عام 1301 الى عام 1331

الفصل الثانى ، من قضاة تطوان وعدولها ووثائقها فى القرن الرابع عشر.

الفصل الثالث ، فى رحلات المشاهير الى تطوان كذلك .

المجلد الثامن ، وفيه :

الفصل الرابع من الباب التاسع ، فى تراجم رجال تطوان كذلك

الفصل الخامس، ملخص عن احوال تطوان كذلك

انتهى المجلد الاول (من ثمان
مجلدات) من كتاب «تاريخ تطوان»
تأليف محمد داود، ويليه المجلد
الثاني واوله : الباب الخامس ـ
تطوان في القرن الثاني عشر

المـؤلف

يتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، الى جميع الفضلاء الذيـن مدوا له يد المساعدة الادبية عند تأليفه لهذا الكتـاب، ويرجو الله تعلـى ان يبارك فيهم ويجازيهم على حسن صنيعهم احسن الجزاء .

وهو يؤمل ان يقع الشروع فى طبع المجلد الثانى منه فى أقـرب فرصة ممكنة بحول الله، فلذلك يرجو من كل من يقف علـى خطـا فى هذا المجلد، ان ينبهه لاصلاحه، كما يرجو من كل من لديـه معلومـات تاريخيـة او وثائـق او مستندات او رسوم تتعلق بتطوان او حوادثها او رجالها، ان يفيده بما لديه من ذلك، ليقع الحاقـه بالمحـل المناسب لـه، وينبه على ذلـك فـى الالحاقات او الاستدراكات عند طبع المجلد الثانى بحول الله .

وهو يعد كل من يمده بفائدة او يقدم اليه وثيقة، بأن ينسب اليه فائدته ويرد اليه وثيقته ان كـان يهمه الاحتفـاظ بها، ولـه مع ذلك مـن الله الثواب الجزيل، ومن المؤلف الشكر الجميل .

وهو مستعد لان يتقبل بمزيد الارتياح، كل ملاحظة وجيهة او نقد نزيـه او بحث جديد، او استشكال مفيد، ويجيب عن ذلك اما برسائل خاصة او على صفحات الجرائد والمجلات .

وهو يرى ان مؤلفى عصرنا هذا، قد اتيح لهم من الفرص ما لم يتح لمن قبلهم من المؤلفين، وانه ينبغى لمن يفكر فى المصلحة العامة وتعميم الفائدة، ان يستغل هذه الفرص فرص طبع الكتب فى حياة مؤلفيهـا ، ووجـود النشرات العلمية والادبية، وسهولة الاتصالات والمراسلات، وتيسر اتمام النقص وتدارك الاخطاء ، وان كان الكمال انما هو لله وحده .

ثم لكـل من يريـد الاتصال بالمؤلـف ، ان يكـاتبـه بهـذا العنـوان :

محـمـد داود

بـاب العقلـة تطوان (المغرب)